فهرسة الجزء الثالث من السيرة الحلبية

﴿تمت﴾

﴿فهرسة الجزء الثالث من السيرة النبوية التى بهامش السيرة الحلبية﴾

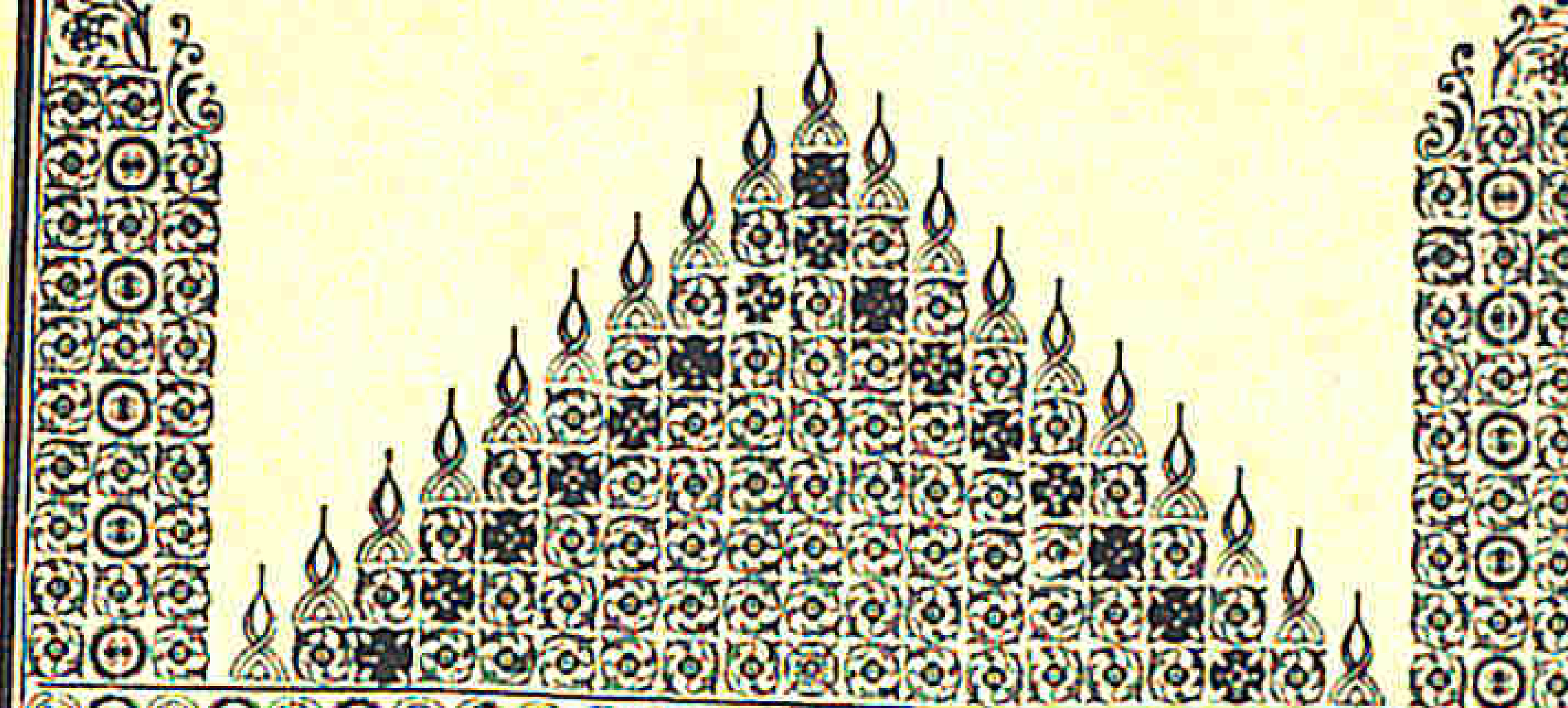
﴿تمت﴾

الجزء الثالث

من انسان العيون فى سيرة الامين المأمون
المعروفة بالسيرة الحلبية تأليف الامام
العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
على بن برهان الدين الحلبى
الشافعى نفع الله
بعلومه
آمين

وبهامشها السيرة النبوية والآثار المحمدية لمفتى
السادة الشافعية بمكة المشرفة السيد أحمد زينى
دحلان رحمه الله





بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بنى لحيان

بناحية عسفان ولحيان بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل * لايخفى ان بعد مضى ستة أشهر من غزوة بنى قريظة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع أى وهم خبيب وأصحابه رضى الله عنهم الذين قتلوا ببئر معونة كما سيأتى ذكر ذلك فى السرايا أى لانه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن وجدا شديدا على أصحابه المقتولين بالرجيع وأراد أن ينتقم من هذيل فأمر أصحابه بالتهيء وأظهر أنه يريد الشام أى ليدرك من القوم غرة أى غفلة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخرج فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى المحل الذى قتل فيه أهل الرجيع ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا الى رؤس الجبال ه أى وأرسل السرايا فى كل ناحية فلم يجدوا أحدا ه أى وأقام على ذلك يومين فلما رأى صلى الله عليه وسلم انه فاته ما أراده من غرتهم قال لو انا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان وهذا يدل على أن أصحابه كانوا أكثر من مائتين وهو يخالف ما تقدم انه خرج فى مائتى رجل الا أن يقال زادوا على المائتين بعد خروجه ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا راجعين وفى لفظ آخر فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس القصة أى وقد يقال لا منافاة بين اللفظين ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال جابر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه أى توجه الى المدينة آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون أى وفى رواية لربنا عابدون أعوذ بالله من وعثاء السفر أى مشقة السفر وكآبة أى حزن المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال قال وزاد بعضهم اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانا قيل ولم يسمع هذا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة اه وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من بنى لحيان وقف على الابواء فنظر يمينا وشمالا فرأى قبر أمه آمنة فتوضأ ثم صلى ركعتين فبكى وبكى الناس لبكائه ثم قام فصلى ركعتين ثم انصرف الى الناس وقال لهم صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاكم قالوا بكيت فبكينا يا رسول الله قال ما ظننتم قالوا ظننا أن العذاب نازل علينا قال لم يكن من ذلك شئ قالوا ظننا ان أمتك كلفت من الاعمال ما لا تطيق قال لم يكن من ذلك شئ ولكنى مررت بقبر أمى فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى عز وجل أن أستغفر لها فزجرت زجرا أى منعت عن ذلك منعا شديدا فأبكانى وفى لفظ فعلى بكائى هذا أى فعلى هذا بكائى والذى فى الوفاء أنه صلى الله عليه وسلم وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فأبصر قبر أمه فورد الماء فتوضأ ثم صلى ركعتين قال بريدة فلم يفجأنا الا ببكائه فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فقال ما الذى أبكاكم الحديث ثم دعا براحلته فركبها فسار يسيرا فأنزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم الى آخر الآيتين فلما سرى عنه الوحى قال أشهدكم انى برىء من آمنة كما تبرأ ابراهيم من أبيه أى وهذا السياق يدل على ان هاتين الآيتين غير مازجر به عن الاستغفار لها المتقدم فى قوله فزجرت زجرا فليتأمل وفى مسلم عن أبى أيوب رضى الله عنه قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزورها أى بعد ذلك فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت وسيأتى عن عائشة رضى الله عنها ان فى حجة الوداع مر صلى الله عليه وسلم على عقبة الحجون فنزل وقال لها وقفت على قبر أمى وسيأتى ان ذلك يدل على ان قبر أمه بمكة لا بالابواء وتقدم الجمع بين كونه بالابواء وكونه بمكة وسيأتى فى الحديبية انه صلى الله عليه وسلم زار قبرها وفى فتح مكة أيضا وسيأتى الكلام على ذلك وان ذلك كان قبل احيائها له وايمانها به صلى الله عليه وسلم

غزوة ذى قرد

بفتح القاف والراء وقيل بضمهما أى وقيل بضم الاول وفتح الثانى اسم ماء والقرد فى الاصل الصوف الردىء ويقال لها غزوة الغابة والغابة الشجر الملتف * لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة بنى لحيان لم يقم بها الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن فى خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة أى وكانت اللقاح عشرين لقحة وهى ذات اللبن القريبة من الولادة أى لها ثلاثة أشهر ثم هى لبون وفيها رجل من بنى غفار هو ولد أبى ذر الغفارى وزوجة لابى ذر فقوله وامرأة له أى لابى ذر رضى الله عنه لا لولده كما يعلم مما يأتى وكان راعيها يؤوب أى يرجع بلبنها كل ليلة عند المغرب الى المدينة أى فان المسافة بينها وبين المدينة يوم أو نحو يوم فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع اللقاح وعند ابن سعد كان فيها أبو ذر وولده أى وزوجة أبى ذر فقتلوا ولده أى واحتملوا المرأة قال جاء ان أبا ذر الغفارى رضى الله عنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون فى اللقاح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

حجة الوداع

وفى سنة عشر من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وسميت بذلك لانه ودع الناس فيها ولم يحج بعدها وما عرف وداعه حتى توفى بعدها بقليل فعرفوا المراد وانه ودع الناس بالوصية التى أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفارا وأكد التوديع باشهاد الله عليهم بانهم شهدوا انه بلغ ما أرسل اليهم به وتسمى حجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها وحجة البلاغ لانه بلغ الناس الشرع فى الحج قولا وفعلا وتسمى حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وكان صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحى كل عام ويغزو المغازى ويبعث السرايا والبعوث من حين أذن له فى القتال فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج فتجهز وأمر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غير هذه الحجة قال أبو اسحق السبيعى وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم أنه لم يحج قبل الهجرة الا واحدة وليس كذلك بل حج قبلها مرارا وقيل حج وهو بمكة حجتين وقيل ثلاث حجج والحق الذى لا ارتياب فيه كما فى شرح الزرقانى على المواهب انه لم يترك الحج وهو بمكة قط لان قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف واذا كانوا هم على غير دين يحرصون على اقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التى امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه انه فى الجاهلية رأى النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة وانه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويصل الى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو قبائل العرب الى الاسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقانى فلا يقبل نفى ابن سعد وانه لم يحج بعد النبوة الا حجة الوداع لان المثبت مقدم على النافى خصوصا وقد صحبه دليل اثباته ولم يصحب النافى دليل نفيه ولذلك قال ابن الجوزى حج صلى الله عليه وسلم حججا لا يعرف عددها وقال ابن الاثير فى النهاية كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى رضى الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفارى وكان نساؤه كلهن معه وقد طاف عليهن كلهن ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذى الحجة يوم الاحد وخرج معه صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويقال أكثر من ذلك وهذه عدة من خرج معه وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع على وأبى موسى رضى الله عنهما وجاء فى حديث ان الله وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور فى كتب السنة شهير شائع فلا حاجة الى الاطالة به

باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود

التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم قد تقدم انه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصرى وذلك فى أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم فى سرية عيينة بن حصن وكان ذلك فى المحرم سنة تسع

وفد نصارى نجران

وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا جاؤه يجادلونه

فى شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن تشتمل على ثلاث وسبعين قرية وكان
وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوى بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم
الباطل فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم تألفا لهم ورجاء لاسلامهم ولدخولهم بالامان فاقرهم على كفرهم سياسة
فليس فيه اقرار على الباطل بل
جعل ذلك وسيلة لدخولهم فى الحق
فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم
وكانوا لما دخلوا المسجد النبوى
عليهم ثياب الحبرات وأردية
الحرير مختمين بخواتم الذهب
ومعهم هدية وهى بسط فيها
تماثيل ومسوح فصار الناس
ينظرون للتماثيل فقال صلى الله
عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة
لى فيها وأما هذه المسوح فان
تعطونيها آخذها فقالوا نعم
نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين
ما على هؤلاء من الزينة والزى
الحسن تشوفت نفوسهم الى
الدنيا فأنزل الله تعالى قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند
ربهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وأزواج
مطهرة ورضوان من الله والله
بصير بالعباد ولما فرغوا من
صلاتهم عرض صلى الله عليه وسلم
عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن
فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث
عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير
وزعمكم ان لله ولدا وروى ابن أبى
حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان رهطا من نجران قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ما شأنك تذكر صاحبنا قال من هو
قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله قال
أجل قالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى وقيل
عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين (وفى رواية) ان واحدا منهم قال له المسيح ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى
وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال هو عبد الله وكلمته

لانا من عيينة بن حصن وذويه أن يغيروا عليك فالح عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك فكان أبو ذر رضى الله عنه
يقول عجبا لى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكأنى بك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى والله لفى منزلنا ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روحت
وحلبت عتمتها وغنا فلما كان الليل أحدق بنا عيينة بن حصن فى أربعين فارسا فصاحوا بنا وهم
قيام على رؤسنا فاشرف لهم ابنى فقتلوه وكان معه ثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم وشغلهم عنى
اطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا فى أدبارها فكان آخر العهد بها ولما قدمت المدينة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبرته تبسم اه أى وروى بدل عيينة بن حصن ابنه عبد الرحمن بن عيينة
ابن حصن قال بعضهم ولا منافاة لان كلا من عيينة بن حصن وعبد الرحمن بن عيينة كان فى
القوم وكان أول من علم بهم سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه
ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له أى لطلحة يقوده فلقى غلاما لعبد الرحمن بن عوف
فاخبره ان عيينة بن حصن قد أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربعين فارسا من
غطفان قال سلمة فقلت يا رباح اقعد على هذا الفرس فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد
أغير على سرحه أى وهذا السياق يدل على ان رباحا غلامه صلى الله عليه وسلم كان مع سلمة
أسقط الراوى ذكره ولم يقل ومعه رباح غلامه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان رباحا هذا هو غلام
عبد الرحمن الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون رباح غلامه صلى الله عليه وسلم وغلام
عبد الرحمن لجواز ان يكون كان لعبد الرحمن ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فهو غلام عبد
الرحمن بحسب ما كان ثم رأيت ما يؤيد الاول وهو ما فى بعض الروايات عن سلمة قال خرجت أنا
ورباح عبد النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤذن بالاولى يعنى لصلاة الصبح نحو الغابة وأنا
راكب على فرس أبى طلحة الانصارى فلقينى عبد لعبد الرحمن بن عوف قال أخذت لقاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة وقد طوى فى هذه الرواية ذكر غلام
طلحة ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر أنه لم يقف على اسم غلام عبد الرحمن بن عوف هذا أى الذى
أخبر سلمة بأمر اللقاح قال ويحتمل ان يكون هو رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ملك أحدهما وكان يخدم الآخر فنسب تارة الى هذا وتارة الى هذا هذا كلامه ولا يخفى بعده
للتصريح بان رباحا غير غلام عبد الرحمن وان رباحا كان مع سلمة وان غلام عبد الرحمن هو الذى
أخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون الفرس لطلحة ولا بين كونها لابى طلحة ولا بين كون
عبد طلحة كان قائدها وبين كون سلمة راكبها لانه يجوز أن يكون ركبها أثناء الطريق
فليتأمل وفى تسمية غلامه صلى الله عليه وسلم رباحا مع نهيه صلى الله عليه وسلم ان الشخص
يسمى رقيقه باحد أربعة أسماء أفلح ورباح ويسار ونافع وزاد فى رواية خامسا وهو نجيح فهلا
غير صلى الله عليه وسلم اسمه ان كانت وقعت التسمية من غيره صلى الله عليه وسلم ويقال لم يغير
صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم اشارة الى أن النهى للتنزيه ثم ان سلمة رجع الى المدينة وعلا ثنية
الوداع فنظر الى بعض خيولهم فصرخ باعلى صوته واصباحاه أى قال ذلك ثلاث مرات أى

ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا أن تقول هو اله وقالوا ان كنت صادقا فأرنا عبدا الله يحيى الموتى ويشفى الاكمه والابرص
ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحى بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله
تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين ثم قال لهم ان الله أمرنى
ان لم تنقادوا للاسلام أباهلكم
أى ندعو ونجتهد فى الدعاء باللعنة
على الكاذب فقالوا يا أبا القاسم
نرجع فننظر فى أمرنا فخلا بعضهم
ببعض فقال بعضهم والله قد علمتم
ان الرجل نبى مرسل وما لاعن
قوم قط نبيا الا استؤصلوا أى
أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم
الا دينكم فوادعوه وصالحوه
وارجعوا الى بلادكم وفى لفظ انهم
ذهبوا الى بنى قريظة وبنى قينقاع
واستشاروهم أى شاوروا من بقى
منهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه
ولا يلاعنوه وفى لفظ انهم واعدوه
على الغد فلما أصبح صلى الله عليه
وسلم أقبل ومعه حسن وحسين
وفاطمة وعلى رضى الله عنهم
وعند ذلك قال لهم الاسقف انى
لارى وجوها لو سألوا الله تعالى
أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا
تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على
وجه الارض نصرانى فقالوا له
صلى الله عليه وسلم لا نباهلك وعن
عمر رضى الله عنه أنه قال للنبى
صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم
يا رسول الله بيد من كنت تأخذ
قال آخذ بيد على وفاطمة والحسن
والحسين وعائشة وحفصة وهذه
زيادة موافقة لقوله تعالى ونساءنا
ونساءكم ويروى عن النبى صلى
الله عليه وسلم أنه قال أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنونى لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادى
عليهم نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم انهم صالحوا النبى صلى الله
عليه وسلم على الجزية على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا

وقيل نادى الفزع الفزع ثلاثا ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك وفى لفظ وقفت على تل بناحية
سلع أى وفى لفظ على اكمة وفى لفظ آخر فصعدت فى سلع ولا مخالفة كما لا يخفى فجعلت وجهى من
قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه اسمع ما بين لابتيها أى اسمع صوته أو أن ذلك وقع
خرقا للعادة ويا صباحاه كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه لانهم يسمون يوم الغارة
يوم الصباح ثم خرج يشتد فى اثر القوم كالسبع وقد كان يسبق الفرس جريا حتى لحق بهم فجعل
يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع أى يوم هلاك اللئام
فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وهكذا يفعل قال كنت ألحق الرجل منهم فارميه بسهم
فى رجله فيعقره فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم أرميه فاعقره
فيولى عنى فاذا دخلت الخيل فى بعض مضايق الجبل علوت الجبل ورميتهم بالحجارة قال ولم أزل
أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ولا يلقون شيأ
من ذلك الا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وما زلت
كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله تعالى من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته
وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع صرخ
بالمدينة الفزع الفزع يا خيل الله اركبى قيل وكان أول ما نودى بها وفيه كما فى الاصل انه نودى بها
فى بنى قريظة كما تقدم وأول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد
ابن عمرو ويقال له ابن الاسود وتقدم أنه قيل له ذلك لانه كان فى حجر الاسود بن عبد يغوث
وتبناه فنسب اليه ثم عباد بن بشر وسعيد بن زيد ثم تلاحقت به الفرسان وأمر عليهم سعيد
ابن زيد وقيل المقداد وجزم به الدمياطى رحمه الله أى ويدل له قول حسان رضى الله عنه
فى وصف هذه الغزوة غداة فوارس المقداد لكن فى السيرة الشامية ان سعيد بن زيد
رضى الله عنه غضب على حسان وحلف لا يكلمه أبدا وقال انطلق الى خيلى فجعلها للمقداد
وان حسان رضى الله عنه اعتذر الى سعد بان الروى وافق فى اسم المقداد وذكر أبياتا
يرضى بها سعيد بن زيد فلم يقبل منه سعيد ذلك وهذا يدل للاول وعقد صلى الله عليه وسلم
لذلك الامير لواء فى رمحه ثم قال له اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس فخرج الفرسان
فى طلب القوم حتى تلاحقوا بهم وكان شعارهم يومئذ أمت أمت وأول فارس
لحق بهم محرز بن نضلة ويقال له الاخرم الاسدى ووقف لهم بين أيديهم وقال لهم يا معشر
بنى اللكيعة أى اللئيمة قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والانصار فحمل عليه
شخص من المشركين فقتله وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أنه قال ثم ان القوم جلسوا
يتغدون وجلست على رأس قرن جبل فقال لهم رجل أتاهم من هذا قالوا لقينا من هذا البرح
حتى انتزع كل شئ فى أيدينا قال فليقم اليه منكم أربعة فتوجهوا الى فهددتهم أى فقد جاء عنه
رضى الله عنه أنه قال لهم هل تعرفونى قالوا لا ومن أنت قلت أنا سلمة بن الاكوع والذى كرم
وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا أطلب رجلا منكم الا أدركته ولا يطلبنى فيدركنى قال بعضهم
انا نظن ذلك فرجعوا قال فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم

فارسل معهم أباعبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة (وفى رواية) هذا القوى الامين وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك وفى أهل نجران وفى الرد عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوركم فى الارحام كيف يشاء أى بان يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون فى أول الكلام اشارة الى الرد عليهم وذلك براعة استهلال وهى من المحسنات البديعية

﴿وفد تميم الدارى وأصحابه﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم الداريون أبو تميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فأسلموا وحسن اسلامهم رضى الله عنهم وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرة بعدها وفى المرة الاولى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند وهو من أصحاب تميم فنهضنا من عنده نتشاور فى أى الاراضى نأخذ فقال تميم نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا قال تميم نسأله بيت جبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتابا نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين أعطاه الله الارض فوهب لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الدارى وأصحابه انى أنطيتكم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم

يومهم الاخرم الاسدى فلما رأيت الاخرم الاسدى أول الفرسان نزلت من الجبل وأخذت بعنان فرسه وقلت له احذر القوم لا يقتطفوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم ان الجنة حق وان النار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة فخليت عنه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه فلحق عبد الرحمن أبو قتادة رضى الله عنه فعقر عبد الرحمن فرس أبى قتادة فقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة رضى الله عنه الى الفرس (أقول) ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة ابن عيينة فانى لم أقف على ذكر عبد الرحمن هذا فيمن قتل من المشركين فى هذه الغزوة وان أبا قتادة رضى الله عنه قتل حبيبا وغشاه ببرده كما سيأتى الا أن يقال جاز أن يكون له اسمان عبد الرحمن وحبيب ثم رأيت الحافظ ابن حجر أشار الى ذلك وقيل قاتل محرز مسعدة الفزارى وبه جزم الحافظ الدمياطى وذكر ان قاتل حبيب المقداد بن عمرو فقال وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن والله أعلم ولم يقتل من المسلمين الا محرز ابن نضلة الذى هو الاخرم الاسدى وكان رأى قبل ذلك بيوم ان سماء الدنيا فرجت وما بعدها حتى انتهى الى السماء السابعة ثم انتهى الى سدرة المنتهى فقيل له هذا منزلك فعرضها على أبى بكر رضى الله عنه وكان من أعلم الناس بالتعبير كما تقدم فقال له أبشر بالشهادة وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين وقد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه أى واستعمل على حرس المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه فى ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة فاذا حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة مسجى أى مغطى ببرد أبى قتادة فاسترجع المسلمون أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقالوا اقتل أبو قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لابى قتادة وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه أى القاتل له قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال والذى أكرمنى بما أكرمنى به ان أبا قتادة على آثار القوم يرتجز فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى كشف البرد عن وجهه المسجى فاذا وجه حبيب فقال الله أكبر صدق الله ورسوله يارسول الله غير أبى قتادة وفى لفظ فخرج أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حتى كشفا البرد الحديث وقيل الذى قتله أبو قتادة وغشاه ببرده هو مسعدة قاتل محرز رضى الله عنه لا حبيب على ما تقدم ففى رواية أن أبا قتادة رضى الله عنه اشترى فرسا فلقيه مسعدة الفزارى فتفاوض معه فقال له أبو قتادة اما انى أسأل الله أن ألقاك وأنا عليها قال آمين فلما أخذت اللقاح ركب تلك الفرس وسار فلقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم امض يا أبا قتادة صحبك الله قال فسرت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم فى جبهتى فنزعت قدحه وأنا أظن أنى نزعت الحديدة فطلع على فارس وقال لقد ألقانيك الله يا أبا قتادة وكشف عن وجهه فاذا هو مسعدة الفزارى فقال أيما أحب اليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة فقلت ذاك اليك فقال صراع فنزل وعلق سيفه فى شجرة ونزلت وعلقت سيفى فى شجرة وتواثبنا فرزقنى الله الظفر عليه فاذا أنا على صدره واذا شئ مس رأسى فاذا سيف

أبدا الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وكتب * ومن فضائل تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه حيث خطب فقال فى خطبته حدثنى تميم الدارى وذكر خبر الجساسة أى لان فيما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقى انسانا يجر شعره فقال له من أنت قال انا الجساسة قالوا فاخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبى الذى خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال ذلك خير لهم قال أفلا تخبرونى عن عين زغر ما فعلت فاخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فاخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال اما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير ولما افتتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب فلما أسلموا دخل الناس فى دين الله أفواجا وتتابعت الوفود عليه صلى الله عليه وسلم

﴿وفد كعب بن زهير رضى الله عنه وقد تقدمت قصته فى فتح مكة﴾

(وفد ثقيف) ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل ان يصل الى المدينة فأسلم رضى الله عنه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى قومه يأمرهم بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يارسول الله انا أحب اليهم من أبكارهم أى أولادهم

مسعدة قد وصلت اليه فى المعالجة فضربت بيدى الى سيفه وجردت السيف فلما رأى ان السيف وقع بيدى قال يا أبا قتادة استحيينى قلت لا والله قال فمن للصبية قلت النار ثم قتلته وأدرجته فى بردى ثم أخذت ثيابه فلبستها ثم استويت على فرسه فان فرسى نفرت حيث تعالجنا وذهبت للقوم فعرقبوها ثم ذهبت خلف القوم فحملت على ابن أخيه فدققت صلبه فانكشف من معه عن اللقاح فحبست اللقاح برمحى وجئت أحرسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح وجهك يا أبا قتادة أى فقلت ووجهك يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو قتادة سيد الفرسان بارك الله فيك يا أبا قتادة وفى ولدك وولد ولدك وفى لفظ وفى ولد ولدك اه أى وقال له صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى بوجهك قلت سهم أصابنى فقال اذن منى فنزع السهم نزعا رفيقا ثم بزق فيه ووضع راحته عليه فوالذى أكرمه بالنبوة ما ضرب على ساعة قط ولا قرح على (وفى رواية) ولا قاح وفى لفظ قال لى قتلت مسعدة قلت نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم يدعو لابى قتادة اللهم بارك له فى شعره وبشره فمات أبو قتادة رضى الله عنه وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة أى وأعطاه صلى الله عليه وسلم فرس مسعدة وسلاحه أى كما تقدم وقال بارك الله لك فيه وهذا السياق يدل على ان أبا قتادة رضى الله عنه انفرد عن الصحابة وتقدمهم وتخلف مسعدة عن قومه مدة مصارعة أبى قتادة له وقتله له ولا مانع من ذلك وقيل استنقذوا نصف اللقاح أى عشرة وفيها جمل أبى جهل الذى غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأفلت القوم بالعشرة الاخرى أى ولا ينافيه ما تقدم من قول أبى قتادة فانكشفوا عن اللقاح وجئت أحرسها الان المراد جملة من اللقاح لكنه مخالف لما تقدم عن سلمة رضى الله عنه من قوله ما زلت أرشقهم يعنى القوم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه فليتأمل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد بناحية خيبر وتلاحق به الناس أى وقال له سلمة بن الاكوع يارسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت ما بقى فى أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم أى وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم من قوله حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه لجواز أن يكون صدر عنه ما تقدم لظنه ان ذلك هو جميع اللقاح التى أخذت ثم تحقق ان الذى استنقذه هو وأبو قتادة جملة منها وما فى البخارى من قوله واستنقذوا اللقاح كلها يجوز أن يكون قائل ذلك ظن ان الذى استنقذ من أيدى القوم هو جميع ما أخذوه من اللقاح كما ان سلمة رضى الله عنه اعتقد أن جميع اللقاح التى أخذت هى التى جعلها خلف ظهره كما تقدم فكل من سلمة وأبى قتادة خلف نصف اللقاح التى هى العشرة التى خلصت من أيدى القوم (وفى رواية) عن سلمة قال قلت يارسول الله ابعث معى فوارس لندرك القوم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ضحك صلى الله عليه وسلم ملكت فأسجح أى ترفق والمعنى قدرت فاعف وانما كانوا عطاشا الان سلمة رضى الله عنه ذكر انه تبعهم الى قبيل غروب الشمس الى أن عدلوا الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فحلاهم أى طردهم عنه ومنعهم الشرب منه وتركوا فرسين وجاء بهما سلمة رضى الله عنه يسوقهما الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل هذا كان من سلمة رضى الله عنه بعد أن رجعت الصحابة عنهم واستمر يتبعهم وقال له صلى الله عليه وسلم بخص يارسول الله القوم الآن يغبقون بأرض غطفان أى يشربون اللبن بالعشى الذى هو الغبوق فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحل المذكور لم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث يوما وليلة أى وعن سلمة رضى الله عنه وأتانى عمى عامر بن الاكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو صلى الله عليه وسلم قد أخذ كل شئ استنقذته منهم ونحر لهم بلال رضى الله عنه ناقة ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم ذهب الى الماء بعد ان كان مكانه بالجبل المذكور وصلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف أى لخوف أن العدو يجىء اليهم ولعل هذه هى صلاة بطن نخل وهى على مارواه الشيخان انه جعل القوم فرقتين وصلاها مرتين كل مرة بفرقة والاخرى تحرس أى تكون فى وجه العدو أى فى المحل الذى يظن مجيئهم منه وذلك كان لغير جهة القبلة والا فالعدو لم يكن بمرأى منهم وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن (أقول) لكن رأيت فى الامتاع وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة الخوف فقام الى القبلة وصف طائفة خلفه وطائفة مواجهة العدو وصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين وسلم فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل رجل من الطائفتين ركعة ولا يخفى ان هذه الكيفية هى صلاة عسفان والله أعلم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم قال خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة رضى الله عنهما وعند خروجه صلى الله عليه وسلم وتلاحق بعض الفرسان به قال لابى عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك للحق بالناس قال أبو عياش فقلت يارسول الله انى أفرس الناس قال أبو عياش فوالله ماجرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى فعجبت لذلك وقسم صلى الله عليه وسلم فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة وبعث سعد بن عبادة رضى الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد أى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد بن عبادة فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون فى المحل ويحملون الكل ويحملون عن العشيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الناس فى الاسلام خيارهم فى الجاهلية اذا فقهوا فى الدين وأقبلت امرأة أبى ذر رضى الله عنهما على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من جملة اللقاح وهى القصوى أفلتت من القوم فطلبوها فأعجزتهم وفى لفظ وانفلتت المرأة من الوثاق ليلا فأتت الابل فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت على عجزها ثم زجرتها وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ونذرت ان نجاها الله عز وجل لتنحرنها فلما أخبرت النبى صلى الله عليه وسلم الخبر قالت يارسول الله قد نذرت أن أنحرها ان نجانى الله عليها أى وآكل

من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بئسما جزيتها أن حملك أى لاجل ان حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها الا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين وفى لفظ لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا تملك ابن آدم انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله تعالى ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى وهذا السياق يدل على ان المرأة قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بتلك الناقة قبل قدومه المدينة وفى السيرة الهشامية أنها قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبرته الخبر ثم قالت يارسول الله انى نذرت لله الحديث وهو يخالف مايأتى من قوله ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء أى ولعل مافى الاوسط للطبرانى بسند ضعيف عن النواس بن سمعان رضى الله عنه ان ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرقت فقال لئن ردها الله على لاشكرن ربى وقد وقعت فى حى من من أحياء العرب فيهم امرأة مسلمة فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها فأصبحت المدينة الى آخره لا ينافى ماهنا لجواز تعدد الواقعة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء مردفا سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقد غاب عنها خمس ليال وأعطى صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع سهم الراجل والفارس جميعا أى مع كونه كان راجلا وهذا استدل به من يقول ان للامام أن يفاضل فى الغنيمة وهو مذهب أبى حنيفة واحدى الروايتين عن أحمد وعند مالك وامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنهما لا يجوز ولعله لعدم صحة ذلك عندهما وتبعت فى تقديم هذه الغزوة على غزوة الحديبية الاصل وهو الموافق لقول بعضهم أجمع أهل السير على ان غزوة الغابة قبل الحديبية ولقول أبى العباس شيخ القرطبى صاحب التذكرة والتفسير لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية والشمس الشامى ذكرها بعد الحديبية تبعا لما فى صحيح البخارى انها بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاثة أيام وفى مسلم نحوه ففيه عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فرجعنا أى من غزوة ذى قرد الى المدينة فلم نلبث الا ثلاث ليال حتى خرجنا الى خيبر ويؤيده قول الحافظ شمس الدين بن امام الجوزية قد وهم جماعة من أصحاب المغازى والسير فذكروا غزوة الغابة قبل الحديبية قال الحافظ ابن حجر مافى البخارى أصح مما ذكره أهل السير قال ويحتمل فى طريق الجمع أن تكون اغارة عيينة بن حصن على اللقاح أى فى الغابة وقعت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الحديبية قبل الخروج الى خيبر أى ويلزم أن يكون فى كل كان خروجه صلى الله عليه وسلم وان أول من علم بأخذ اللقاح سلمة بن الاكوع ووقع له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ماتقدم هذا حقيقة التكرار والاقول الذى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع فيها لسلمة ولغيره من الصحابة ماوقع كانت أولا أو ثانيا فليتأمل ثم رأيت عن الحاكم رحمه الله تعالى أنه ذكر فى الاكليل ان الخروج الى ذى قرد تكرر أى ثلاث مرات ففى الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل أحد وفى الثانية خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمس والثالثة هى المختلف فيها أى ومعلوم ان هذه المختلف فيها خرج اليها صلى الله عليه وسلم فليتأمل والله تعالى أعلم

﴿غزوة الحديبية﴾

(وفى رواية) من أبصارهم فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم لانه كان محببا مطاعا وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف ٨ فتوجه الى قومه فلما أشرف لهم على علية دعاهم الى الاسلام وأظهر دينه فرموه بالنبل من كل جانب فاصابه سهم فقتله وفى لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده فلما كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت ماترى فى دمك قال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم وقال فى حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور فى سورة يس وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة فى حق شخص آخر يقال له قرة بن حصن أو ابن الحرث بعثه صلى الله عليه وسلم الى بنى هلال ابن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا أقامت بعد قتل عروة أشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا فى ذلك عبد ياليل ابن عمرو وكان فى سن عروة بن مسعود فأبى لانه خشى ان يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبى العاص وهو أصغرهم من

فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة بن شعبة الثقفى فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقى أبا بكر رضى الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضى الله عنه أقسمت عليك لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم ٩ عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا تحية الجاهلية وهى عم صباحا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة فى ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبى العاص عند متاعهم فكان عثمان رضى الله عنه اذا رجعوا ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبى صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى أبى بكر رضى الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وروى ابن منده وغيره عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه قال استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لانى كنت قرأت سورة البقرة فى مدة اقامتهم وعنه رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ان القرآن يتفلت منى فوضع يده على صدرى وقال ياشيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيأ بعده أريد حفظه وعنه رضى الله عنه قلت يارسول الله ادع الله أن يفقهنى فى الدين ويعلمنى قال ماذا قلت فاعدت عليه القول فقال لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد من أصحابك اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفى صحيح

مسلم عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان حال بينى وبين صلاتى فقال ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فأذهبه الله عنى وكان فى هذا الوفد رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفى الخبر المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك

بالتخفيف تصغير حدبا وعلى التشديد عامة الفقهاء والمحدثين وأشار بعضهم الى أنه لم يسمع من فصيح ومن ثم قال النحاس سألت كل من لقيت ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا فى أنها بالتخفيف وفى كلام بعضهم أهل الحديث يشددون وأهل العربية يخففون وفى كلام بعض آخر أهل العراق يشددون وأهل الحجاز يخففون وهى بئر وقيل شجرة سمى المكان باسمها وقيل قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم قال وسببها انه صلى الله عليه وسلم رأى فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين أى بعضهم محلق وبعضهم مقصر وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين انتهى أى وطاف هو وأصحابه واعتمر وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ثم أخبر أصحابه انه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر فخرج صلى الله عليه وسلم معتمرا ليأمن الناس أى أهل مكة ومن حولهم من حربه وليعلموا أنه صلى الله عليه وسلم انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وكان احرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة من ذى الحليفة أى بعد ان صلى بالمسجد الذى بها ركعتين وركب من باب المسجد وانبعثت به راحلته مستقبل القبلة أحرم وأحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة أى وكان خروجه فى ذى القعدة وقيل كان خروجه فى رمضان وهو غريب ولفظ تلبيته صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة الشريفة نميلة بن عبد الله الليثى أى وقيل ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم كلثوم بن الحصين أى وقيل استخلف أبا رهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبو رهم حافظا للمدينة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بعد أن استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ممن أسلم غفار ومزينة وجهينة وأسلم القبيلة المعروفة خشية من قريش أن يحاربوه أو ان يصدوه عن البيت كما صنعوا فتثاقل كثير منهم وقالوا أنذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم بذلك فأنزل الله تعالى تكذيبهم فى اعتذارهم بقوله يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم وخرج صلى الله عليه وسلم بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه أم سلمة وأم عمارة وأم منيع وأم عامر الاشهلية رضى الله عنهن ومعه المهاجرون والانصار ومن لحق بهم من العرب وأبطأ عليه كثير منهم كما تقدم وساق معه الهدى سبعين بدنة أى وقد جللها أى فى ذى الحليفة بعد ان صلى بها الظهر ثم أشعر منها عدة وهى موجهات للقبلة فى الشق الايمن أى من سنامها ثم أمر صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه ناجية لما انه نجا من قريش فأشعر ما بقى وقلدهن نعلا نعلا وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها والاشعار جرح بصفحة سنامها والتقليد أن تقلد فى عنقها قطعة جلد أو نعل بالية ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وقيل كانوا أربع عشرة مائة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة وقيل كانوا ألفا وثلثمائة وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة وخمسة وعشرين أى وقيل ألف وسبعمائة أى وليس معهم سلاح الا السيوف فى القرب وقال

وبينه فيدرمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وبما جاء فى أحاديث أخر انه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ يده وجعلها مع يده فى القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأجيب بأن الامر باجتناب المجذوم ارشادى ومواكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة فى حق من قوى ايمانه وعدم جوازها فى حق من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقتدى به فيأخذ قوى الايمان بطريق التوكل وضعيف الايمان بطريق التحفظ والاحتياط ولا تأثير الا لله وما يتخيل من العدوى فى أمثال ذلك من جملة الاسباب العادية التى لا تأثير لها بل يحصل الشئ عندها لا بها والفعل لله وحده الله خالق كل شئ * وعند انصراف وفد ثقيف قالوا يارسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله انى رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن وفى رواية ان عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه قال قلت يارسول الله اجعلنى امام قومى قال أنت امامهم وقال له اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا وكان خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه هو الذى يمشى بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود وغيره له ألا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ سلب المتعرض لصيد وج والمدينة هو أحد قولين الشافعى رضى الله عنه والمشهور عنه فى وج وحرم المدينة أنه يحرم التعرض لصيدهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون

له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتخشى يارسول الله من أبى سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها فقال لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا وكان معهم مائتا فرس فأقبلوا نحوه صلى الله عليه وسلم أى فى بعض الحال وكان بين يديه صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نشرب به ولا ماء نتوضأ منه الا فى ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون اى وفى لفظ فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة وفى لفظ آخر فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه وفى لفظ آخر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه واستدل به بعضهم على ان الماء خرج من نفس بشرته الشريفة صلى الله عليه وسلم قال أبو نعيم فى الحلية وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه الصلاة والسلام من الحجر فان نبعه من الحجر متعارف معهود وأما من بين اللحم والدم فلم يعهد قال بعضهم وانما لم يخرجه صلى الله عليه وسلم بغير ملابسة ماء فى اناء تأدبا مع الله تعالى لانه المنفرد بابتداع المعدومات من غير أصل قال جابر رضى الله عنه فشربنا وتوضأنا ولو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة فلما كانوا بعسفان جاء اليه صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان العتكى أى وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسله الى مكة عينا له فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من أطاعهم من الاحابيش وأجلبت ثقيف معهم ومعهم النساء والصبيان وفى لفظ خرجوا ومعهم العوذ المطافيل أى النياق ذوات اللبن التى معها أولادها ليتزودوا بذلك ولا يرجعون خوف الجوع قال السهيلى والعوذ جمع عائذ وهى الناقة التى معها ولدها وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذى يعوذ بها لانها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لانها فى معنى نامية وزاكية هذا كلامه والعوذ المطافيل النساء معهن أطفالهن أى انهم خرجوا بنسائهم معهن أولادهن ليكون أدعى لعدم الفرار أى ويجوز أن يكونوا خرجوا بذلك جميعه وقد لبسوا جلود النمر أى أظهروا العداوة والحقد وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله أن لا يدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد أى رضى الله عنه لانه أسلم بعد ذلك فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم أى وكانت مائتى فرس أى وقد صفت الى جهة القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر رضى الله عنه فتقدم فى خيله فقام بازاء خالد وصف أصحابه رضى الله عنهم أى وحانت صلاة الظهر فأذن بلال رضى الله عنه وأقام فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصف الناس خلفه فركع بهم وسجد ثم سلم فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم وفى لفظ قال خالد بن الوليد رضى الله عنه قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن تأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم أى التى هى صلاة العصر وبهذا استدل على انها الصلاة الوسطى واستدل له أيضا بأنه كان فى أول ما أنزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم نسخ ذلك أى تلاوته بقوله تعالى والصلاة الوسطى فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآيات وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم جميعا حتى عباد بن بشر وأصحابه جميعا الذين قاموا

طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير فى دين لا صلاة فيه وفى لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه ان يترك لهم الطاغية التى هى صنمهم لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهى اللات وكانوا يقولون لها الربة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهرا واحدا وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام فى قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند خروجهم قال لهم كنانة أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم ان محمدا سألنا أمورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نعطيه ولا نقبل هذا أبدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيئوا للقتال ورموا حصونكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم وقالوا والله مالنا به من طاقة فارجعوا اليه واعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقال لهم لم كتمتمونا قالوا أردنا ان ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا ما فيها من المال والحلى فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ان يقضى دين عروة وأخيه الاسود من مال الطاغية فقضاه وذلك ان أبا مليح بن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين

لما قاتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهم لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد بني عامر بن صعصعة﴾

وفيهم عدو الله عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم كان ينادي مناديه بسوق عكاظ هل من راحل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال لأربد وهو أخو لبيد الشاعر إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت على نفسي أي حلفت أن لا أنتهي حتى تتبع عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أي اجعلني خليلا وصديقا لك قال صلى الله عليه وسلم لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء ويبست يده على السيف فلم يستطع سله (وفي رواية) لما جاءه عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له أسلم يا عامر فقال عامر لي إليك حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتجعل لي الأمر بعدك إن أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل نجد أتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا (وفي رواية) قال له يا محمد ما لي إن أسلمت فقال له لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا (وفي رواية) خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل ومكث صلى الله عليه وسلم أياما يدعو الله ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت

بإزاء خالد رضي الله عنهم وحانت صلاة العصر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف أي على ما ذكره الله تعالى فلما جعل المسلمون يسجد بعضهم وبعضهم قائم ينظر إليهم قال المشركون لقد أخبروا بما أردناه بهم ولعل هذه الصلاة هي صلاة عسفان لأن كراع الغميم بالقرب منه كما تقدم وهي على ما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صفهم صفين وأنه أحرم بهم وركع واعتدل بهم جميعا ثم لما سجد سجد معه الصف الأول سجدتيه وتخلف الصف الثاني في اعتداله للحراسة فلما قام وقام معه من سجد سجد الصف الثاني ولحقه في القيام وتقدم الصف الثاني وتأخر الصف الأول ثم ركع واعتدل بهم جميعا ثم سجد وسجد معه الصف الثاني الذي تقدم واستمر الصف الأول الذي تأخر على الحراسة في اعتداله فلما جلس للتشهد أتموا بقية صلاتهم وجلسوا معه للتشهد فتشهد وسلم بهم جميعا وعلى هذه الصلاة حمل أئمتنا ما جاء فرضت الصلاة في الخوف ركعة أي أنها ركعة مع الإمام ويضم إليها أخرى ثم رأيت في الدر المنثور التصريح بأن هذه الصلاة هي صلاة عسفان عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال غرة الحديث المتقدم واشترط أئمتنا في هذه الصلاة وهي إذا كان العدو في جهة القبلة ولا ساتر أن يكون كل صف مقاوما للعدو وأن كل واحد لاثنين وإلا لم تصح الصلاة لما فيه من التغرير بالمسلمين ولعل صلاته صلى الله عليه وسلم بالصفين كانت كذلك وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن كصلاة بطن نخل فعلم أن القرآن لم ينزل إلا بصلاة ذات الرقاع وبصلاة شدة الخوف ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة شدة الخوف وهي أن يلتحم القتال أو لم يأمنوا هجوم العدو ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قريشا تريد منعه عن البيت قال أشيروا علي أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه أي وفي الإمتاع فقال المقداد رضي الله عنه يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون والله يا رسول الله لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال يا ويح قريش نهكتهم الحرب أي أضعفتهم وفي لفظ أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين أي كاملين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة أي وهي صفحة العنق فهو كناية عن القتل ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها فقال رجل من أسلم أنا يا رسول الله أي ويقال إنه ناجية بن جندب رضي الله عنه فسلك بهم طريقا وعرا فلما خرجوا منه وقد شق عليهم ذلك وأفضوا إلى أرض سهلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك فقال والله إنها أي قول

استغفر

أو ابعث له داء يقتله واهد قومه ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت وأنى شئت وفي البخاري أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به وما كان على وجه الأرض رجل أخافه على نفسي غيرك وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا فقال لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف (وفي رواية) إلا رأيت بيني وبينه سورا من حديد (وفي رواية) لما وضعت يدي على السيف يبست فما أستطيع أحركها (وفي رواية) لما أردت فصل سيفي نظرت فإذا فحل من الإبل فاغر فاه بين يدي يهوي إلي فوالله لو سللته لخفت أن يبلع رأسي ولا مانع من تكرير عزمه على الفعل وعند كل مرة يرى واحدا مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فأوى إلى بيت امرأة من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم فسار يتأسف على مجيء الموت له في بيتها ويجس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتا وكان يقول وهو يجول ابرز يا ملك الموت (وفي لفظ) يا موت ابرز لي لأقاتلك فلم يزل كذلك حتى أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الإسلام إلى أن مات وذلك إنما هو عامر بن الطفيل الأسلمي فإنه صحابي رضي الله عنه قال يا رسول الله زودني كلمات أعيش بهن قال يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام

أستغفر الله للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها ثم إن خالدا رضي الله عنه لم يشعر بهم إلا وقد نزلوا بذلك المحل فانطلق نذيرا لقريش وقد جاء في تفسير الحطة أنها المغفرة أي طلب المغفرة أي اللهم حط عنا ذنوبنا وهذا هو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم قولوا نستغفر الله إلى آخره وجاء في تفسيرها أيضا أنها لا إله إلا الله فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة سوداء استهزاء وجراءة على الله تعالى وفي البخاري فقيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم أي أطيازهم وقولوا حبة في شعيرة وقد جاء أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له الذنوب أي المذكورة في قوله تعالى وادخلوا الباب أي باب أريحاء بلد الجبارين سجدا أي خاضعين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال بعضهم فكما جعل الله لبني إسرائيل دخولهم الباب على الوجه المذكور سببا للغفران فكذا حب أهل البيت سبب للغفران ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يسلكوا طريقا تخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما كانوا به أي بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت ناقته صلى الله عليه وسلم أي القصوى فقال الناس حل حل فألحت أي تمادت واستمرت على عدم القيام فقالوا خلأت القصوى أي حرنت يقال خلأت الناقة وألح الجمل بالخاء المعجمة فيهما وحرن الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما هو لها بخلق وفي لفظ ما ذاك لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة أي منعها الله عن دخول مكة أي علم صلى الله عليه وسلم أن ذلك صد له من الله عن مكة أن يدخلها قهرا والذي نفس محمد بيده لا تدعني قريش اليوم إلى حطة أي خصلة يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها أي وفي رواية فيها تعظيم حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها أي من ترك القتال في الحرم والكف عن إراقة الدم ثم زجرها صلى الله عليه وسلم فقامت فولى راجعا عوده على بدئه ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه فأخرج صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فأعطاه ناجية بن جندب رضي الله عنه سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو البراء ابن عازب رضي الله عنه أو خالد بن عبادة الغفاري فنزل في قليب فغرزه في جوفه فجاش أي علا وارتفع بالرواء أي الماء العذب حتى ضرب الناس عليه بعطن وفي لفظ حتى صدروا عنها بعطن أي حتى رووا ورويت إبلهم حتى بركت حول الماء لأن عطن الإبل مباركها قال ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى الحديبية على ثمد وهو حفرة فيها ماء من ثمادها قليل الماء يتربضه الناس تربضا أي يأخذونه قليلا قليلا ثم لم يلبث الناس حتى نزحوه فاشتكى الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الماء وفي لفظ العطش أي وكان الحر شديدا فانتزع صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ودفعه للبراء فقال اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية ففعل والقليب جاف فجاش الماء وقيل دفعه لناجية بن الأعجم فعنه رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شكي إليه قلة الماء فأخرج سهما من كنانته ودفعه إلي ودعا بدلو من ماء البئر فجئته به فتوضأ فمضمض ثم مج الماء في الدلو ثم قال انزل بالدلو في البئر وأثر ماءها بالسهم

واستحى من الله كما نستحي من رجل من أهلك واذا أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيئات وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات على كفره وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقال لاربد ما وراءك يا اربد قال لا شئ والله لقد دعانا الى شئ لوددت انه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك في يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى الذي هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بني عامر وحسن اسلامه رضي الله عنه

وفد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

قيل انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر انه سنة تسع قال ابن عباس رضي الله عنهما ما سمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب (وفي رواية) أيكم محمد قالوا هذا المتكئ فقال اني سائلك فمشدد عليك فلا تجد علي فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك (وفي رواية) أنشدك بالذي خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن تأمرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيأ وان نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدونها قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك ان نأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك ان نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما رجع الى قومه كان أول شئ تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال ويلكم

انه

فوالذي بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرني الماء وفارت كما يفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها يغترفون من جوانبها حتى نهلوا عن آخرهم وعلى البئر نفر من المنافقين منهم عبد الله بن أبي ابن سلول فقال له أوس بن خولي رضي الله عنه ويحك يا أبا الحباب ما آن لك تبصر ما أنت عليه أبعد هذا شئ فقال اني رأيت مثل هذا فقال له أوس رضي الله عنه قبحك الله وقبح رأيك ثم أقبل أي عبد الله المذكور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب اني رأيت أي كيف رأيت مثل ما رأيت اليوم قال ما رأيت مثله قط قال فلم قلت ما قلت فقال يا رسول الله استغفر لي وقال ابنه عبد الله يا رسول الله استغفر له فاستغفر له وفي لفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر نتبرضها من البرض وهو الماء الذي يقطر قليلا قليلا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا وركابنا وفي لفظ فرفعت اليه الدلو فغمس يده فيها فقال ما شاء الله ان يقول ثم صب الدلو فيها فلقد لقيت آخرنا أخرج بثوب خشية الغرق ثم ساحت نهرا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد يقال لا مانع من وقوع جميع ذلك لكن يبعد ان يكون ذلك في قليب واحد قال بعضهم فلما ارتحلوا أخذ البراء رضي الله عنه السهم فجف الماء كأن لم يكن هناك شئ وفي كلام هذا البعض أن أبا سفيان قال لسهيل بن عمرو رضي الله عنهما قد بلغنا انه ظهر بالحديبية قليب فيه ماء فقم بنا ننظر الى ما فعل محمد فأشرفا على القليب والعين تنبع تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل وفيه ان أبا سفيان رضي الله عنه لم يكن حاضرا في الحديبية وحمل ذلك على ان ذلك كان من أبي سفيان بعد ارتحاله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ينافيه ما قدمه هذا البعض أن عند ارتحالهم من الحديبية رفع السهم وجف القليب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح فكان من كبار مسلمة الفتح في رجال من خزاعة وكانت خزاعة مسلمها ومشركها لا يخفون عليه صلى الله عليه وسلم شيأ كان بمكة بل يخبرونه به وهو بالمدينة وكانت قريش ربما تفطن لذلك فسألوه ما الذي جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته وفي المواهب أنه صلى الله عليه وسلم قال لبديل ما تقدم من قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب الى آخره وأن بديلا رضي الله عنه قال له سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال هذا كلامه والرواية المشهورة أن بديلا ومن معه من خزاعة لما رجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد وان محمدا لم يأت لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم أي قابلوهم بما يكرهون وقالوا ان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أي قهرا أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب أي وفي لفظ انهم قالوا أيريد محمد أن يدخلها علينا في جنوده معتمرا تسمع العرب

انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه واني أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم

وفد عبد القيس

وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال أبياتا يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله

يا نبي الهدى أتاك رجال
قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقي وقع يوم عبوس
أوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل السراب قيل كان مجيئهم سنة عشر فعرض صلى الله عليه وسلم الاسلام على الجارود بعد انشاده الابيات فقال يا محمد اني كنت على دين واني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن ان قد هداك الى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء في رواية أنه كان مع الجارود سلمة بن عياض الاسدي وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج يزعم انه نبي فهل لك أن نخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري ان أخبرنا بها انه لنبي يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة أن لا اله الا الله وأني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند يعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا أخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت ان تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام

انه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبدا ومنا عين تطرف ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص أخا بني عامر فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا الرجل غادر أي (وفي رواية) فاجر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل فرجع الى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم الحليس بن علقمة وكان سيد الاحابيش يومئذ وتقدم عن الاصل ان الاحابيش هم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق بن خزيمة أي وأنه قيل لهم ذلك لانهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبشي هم وقريش على انهم يد واحدة على من عاداهم ما سجا الليل ووضح نهار وما رسا حبشي فسموا أحابيش قريش ٥ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون أي يتعبدون ويعظمون أمر الاله وفي لفظ يعظمون البدن وفي لفظ يعظمون الهدى ابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي بضم المهملة أي ناحيته وأما ضد الطول فبفتح المهملة قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله بكسر الحاء المهملة موضعه الذي ينحر فيه من الحرم أي يرجع الحنين واستقبله الناس يلبون قد شعثوا صاح وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت أبى الله أن يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب الكعبة انما القوم أتوا عمارا أي معتمرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة ٥ وقيل انه بمجرد ان رأى هذا الامر رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم في ذلك أي قال اني رأيت ما لا يحل منعه رأيت الهدى في قلائده قد أكل أوباره أي معكوفا عن محله والرجال قد شعثوا وقملوا فقالوا له اجلس فانما أنت اعرابي ولا علم لك أي فما رأيت من محمد مكيدة فعند ذلك غضب الحليس وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه أي كف يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهذا هو الذي شبهه صلى الله عليه وسلم بعيسى ابن مريم عليه السلام ولما قتله قومه قال صلى الله عليه وسلم مثله في قومه كصاحب يس كما سيأتي ذلك فقال يا معشر قريش اني رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد واني ولد فقالوا صدقت وهذا يدل على ان ذهاب عروة بن مسعود رضي الله عنه انما كان بعد تكرر الرسل من قريش اليه صلى الله عليه وسلم وبه يعلم ما في المواهب أن عروة لما سمع قريشا توبخ بديلا ومن معه من خزاعة قال أي قوم ألستم بالوالد الى آخره وفي لفظ ألستم كالوالد أي كل واحد منكم كالوالد لي وأنا كالولد له وقيل أنتم حي قد ولدني لان أمه سبيعة بنت عبد شمس قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال يا محمد جمعت أوباش أي أخلاط

ألاوان أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة خيرا من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاخير من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم له فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وذكر بعضهم ان وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن أن وفادتهم تكررت وجزم بذلك في المواهب وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق (وفي رواية) يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي بغير حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقى أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم انما يحتاج من الرجل الى أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله

الناس ثم جئت بهم الى بيضتك أي أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك أي انهزموا غدا وفي لفظ والله لا أرى وجوها أي عظماء واني أرى أشوابا من الناس خليقا أي حقيقا ان يفروا ويدعوك وأبو بكر رضي الله عنه جالس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امصص بظر اللات والبظر قطعة تبقى في فرج المرأة بعد الختان وقيل التي تقطعها الخاتنة أنحن ننكشف عنه قال من هذا يا محمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبي قحافة فقال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها أي على هذه الكلمة التي خاطبتني بها ولكن هذه بها (وفي رواية) والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لاجبتك بها وتلك اليد التي كانت لابي بكر رضي الله عنه عند عروة هي أن عروة استعان في حمل دية فأعانه الرجل بالواحد من الابل والرجل بالاثنين وأعانه أبو بكر رضي الله عنه بعشرة ابل شواب ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه أي وهذه عادة العرب أن الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كانه صلى الله عليه وسلم انما لم يمنعه من ذلك استمالة وتأليفا له والمغيرة بضم الميم وكسرها ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد وعليه المغفر فجعل يقرع يد عروة اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها ويقول اكفف يدك عن وجه (وفي رواية) عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل اليك فانه لا ينبغي لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة رضي الله عنه اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فيقول للمغيرة ويحك ما أفظك وما أغلظك أي ما أشد قولك (وفي رواية) فلما أكثر عليه غضب عروة وقال ويحك ما أفظك وما أغلظك ليت شعري من هذا الذي آذاني من بين أصحابك والله اني لا أحسب فيكم ألأم منه ولا شر منزلة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة أي لان عروة كان عم والد المغيرة فالمغيرة يقول له يا عم لان كل قريب من جهة الاب يقال له عم وليس في الصحيح لفظ ابن أخيك فقال أي غدر أي يا غادر وهل غسلت غدرتك وفي لفظ سوأتك وفي لفظ ألست أسعى في غدرتك الا بالامس وفي لفظ يا غدر والله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ الا بالامس وقد أورثتنا العداوة من ثقيف الى آخر الدهر قيل أراد عروة بذلك انه الذي ستر غدر المغيرة بالامس لان المغيرة رضي الله عنه قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف وفد هو واياهم مصر على المقوقس بهدايا قال وكنا سدنة اللات أي خدامها واستشرت عمي عروة في مرافقتهم فأشار علي بعدم ذلك قال فلم أطع رأيه فأنزلنا المقوقس في كنيسة للضيافة ثم أدخلنا عليه فقدموا الهدية له فاستخبر كبير القوم عني فقال ليس منا بل من الاحلاف فكنت أهون القوم عليه فأكرمهم وقصر في حقي فلما خرجوا لم يعرض علي أحد منهم مواساة فكرهت ان يخبروا أهلنا باكرامهم وازدراء الملك بي فأجمعت قتلهم ونزلنا محلا فعصبت رأسي فعرضوا علي الخمر فقلت رأسي تصدع ولكن أسقيكم فسقيتهم وأكثرت لهم

عليه وسلم ان فيك خلتين (وفي رواية) خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والاناة كقناة التؤدة أي التأني في الامر وقد جاء في الحديث التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة وفي رواية أنهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالقوم وفي رواية بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة أي لان مساكنهم بالبحرين أي وما والاها من أطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام وصرح في بعض الروايات بانه رجب فمرنا بأمر نأخذ به ونخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الامام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير وفي رواية والمقير والمراد النهي عن انتباذ النبيذ في هذه الاشياء لانها تسرع بالتخمر الذي هو سبب الاسكار والدباء القرع والحنتم جرار مدهونة بدهان أخضر والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر والمقير ما طلي بالقار وهو الزفت وجاء في رواية بدل المقير والمزفت وفي رواية قال واشربوا في أسقية الادم أي الجلود يعني انتبذوا فيها بدل تلك الاواني فقالوا يا رسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الاشج يا رسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأومأ بكفه فقال صلى الله عليه وسلم يا أشج ان أرخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج يديه وبسطها يعني أعظم منها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه أي سكر قام الى ابن عمه فضرب

بغير مزج حتى همدوا فوثبت عليهم فقتلتهم جميعا وأخذت كل ما معهم وقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده فسلمت عليه وقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام يا مغيرة فقال أبو بكر رضي الله عنه من مصر قدمت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك لانهم من بني مالك فقلت كان بيني وبينهم ما يكون بين العرب وقتلتهم وجئت باسلابهم ليخمسها النبي صلى الله عليه وسلم أو يرى فيها رأيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما اسلامك فقبلته ولا آخذ من أموالهم شيأ ولا أخمسه فانه غدر والغدر لا خير فيه فقلت يا رسول الله انما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله قال وبلغ ذلك ثقيفا فتداعوا للقتال واصطلحوا على أن يحمل عمي عروة ثلاث عشر دية وفي رواية لما وردوا على المقوقس أعطى كل واحد منهم جائزة ولم يعط المغيرة شيأ فحقد عليهم فلما رجعوا نزلوا منزلا وشربوا الخمر ولما سكروا وناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم وأخذ أموالهم وجاء وأسلم فاختصم بنو مالك مع رهط المغيرة وشرعوا في المحاربة فسعى عروة في اطفاء نار الحرب وصالح بني مالك على ثلاث عشرة دية ودفعها عروة ولما أسلم المغيرة قال له النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء وفيه ان هذا مال حربي قصد أخذه والتغلب عليهم الا أن يقال هؤلاء مؤمنون منه لانهم اطمأنوا اليه أي ويذكر أن المغيرة بن شعبة هذا رضي الله عنه كان من دهاة العرب وأحصن في الاسلام ثمانين امرأة ويقال ثلثمائة امرأة وقيل ألف امرأة قيل لاحدى نساء المغيرة انه لدميم أعور فقالت هو والله عسيلة يمانية في ظرف سوء ولما ولي رضي الله عنه الكوفة أرسل يخطب بنت النعمان بن المنذر فقالت لرسوله قل له ما قصدت الا أن يقال تزوج المغيرة الثقفي بنت النعمان بن المنذر والا فأي حظ لشيخ أعور في عجوز عمياء وهذه هي القائلة لسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه لما وفدت عليه وهو والي الكوفة وأكرمها في دعائها له ملكتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ولا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا أزال عن كريم نعمة الا جعلك السبب في عودها اليه انما يكرم الكريم الكريم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه أول من حيا سيدنا عمر رضي الله عنه بأمير المؤمنين وعند مجيء عروة أخبر صلى الله عليه وسلم عروة بما أخبر به من تقدم من أنه لم يأت لحرب فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ أي يغسل يديه الا ابتدروا وضوأه أي كادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه أي يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه أي واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف ان لا تنصروا عليه فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل فقال ما أراكم الا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف وعروة هذا

هو ابن مسعود الثقفى وهو عظيم القريتين الذى عنته قريش بقولها ولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل المعنى بذلك الوليد بن المغيرة ويقال ان عروة هذا كان جدا للحجاج لامه ويدل لذلك كما يدل للاول ما حكى عن الشعبى أنه سأل الحجاج وهو والى العراق حاجة فاعتل عليه فيها فكتب اليه والله لا أعذرك وأنت والى العراقين وابن عظيم القريتين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه الى قريش وحمله صلى الله عليه وسلم على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عقره عكرمة بن أبى جهل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما لقى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته أى ولعل ذكر أبى سفيان من غلط بعض الرواة لما تقدم أنه لم يكن حاضرا بالحديبية أى صلحها وأمر صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله وشيك أى قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم بعث عثمان رضى الله عنه بكتاب لقريش أى قيل فيه انه ما جاء لحرب أحد وانما جاء معتمرا بدليل ما يأتى فى ردهم عليه وقيل فيه ما وقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو وليقع الصلح بينهم على أن يرجع فى هذه السنة الحديث وانهم لما احتبسوه أمسك صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو عنده كذا فى شرح الهمزية لابن حجر وقدمه على الاول فليتأمل فخرج عثمان بن عفان رضى الله عنه الى مكة ودخل مكة من الصحابة عشرة أيضا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ليزوروا أهاليهم لم أقف على أسمائهم ولم أقف على انهم هل دخلوا مع عثمان أم لا فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قبل خيبر فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى أبى سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به أى وهم يردون عليه ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان من تبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف ٥ (وفى رواية) قال له أبان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال المسلمون قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قال وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف به حتى أطوف فلما رجع عثمان وقالوا له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت قال بئسما

ساقه بالسيف وكان فى القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال فلما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبى لاغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية انهم سألوه عن النبيذ فقالوا يا رسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال فلا تشربوا فى النقير فكأنى بكم اذا شربتم فى النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا فى النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبى أنت وأمى يا رسول الله لو كنت ولدت فى جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال ان أرضكم رفعت لى منذ قعدتم فنظرت من أدناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرنى يذهب بالداء ولا داء معه وانما اقتصر فى المناهى على شرب الانبذة فى الاوعية المذكورة مع ان فى المناهى ما هو أشد فى التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم ان النهى عن الانتباذ فى هذه الاوانى انما كان فى أول تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة فى شربها معتادة لها ثم لما استقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الانتباذ فى هذه الاوانى فانتبذوا فى كل اناء واجتنبوا المسكر فالنهى عن الانتباذ فيها منسوخ والقصد اجتناب المسكر فقط والله أعلم

وفد بنى حنيفة

ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاء بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيما له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خويصات فلما انتهى

ظننتم بى دعتنى قريش الى أن أطوف بالبيت فأبيت والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضى الله عنه قد قتل أى وكذا قتل معه العشرة رجال الذين دخلوا مكة أيضا فقال صلى الله عليه وسلم عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة أى بعد أن قال لهم ان الله أمرنى بالبيعة فعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بينما نحن جلوس قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهو عمر بن الخطاب أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه أى وبايعه الناس على عدم الفرار وأنه اما الفتح واما الشهادة وهذا هو المراد بما جاء فى بعض الروايات فبايعناه على الموت ولم يتخلف منا أحد الا الجد ابن قيس قال لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس وقد قيل انه كان يرمى بالنفاق وقد نزل فى حقه فى غزوة أى غزوة تبوك من الآيات ما يدل على ذلك كما سيأتى وهو ابن عمة البراء بن معرور رضى الله عنه وكان سيد بنى سلمة بكسر اللام فى الجاهلية وقد قال صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس أى على بخل فيه قال وأى داء أدوأ من البخل ثم قال صلى الله عليه وسلم بل سيدكم عمرو بن الجموح وقيل قالوا يا رسول الله من سيدنا قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وهذا قال ابن عبد البر ان النفس اليه أميل ومما يدل للاول ما أنشده شاعر الانصار رضى الله عنهم من قوله

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تسموه سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التى * نبخله فيها وان كان أسودا
فتى ما يخطى خطوة لدنيئة * ولا مد يوما ما الى سوأة يدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندى أن يسودا
اذا جاءه السؤال أنهب ماله * وقال خذوه انه عائد غدا
ولو كنت يا جد بن قيس على التى * على مثلها عمرو لكنت المسودا

أى وبايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان فوضع يده على يده أى وضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك أى وفى لفظ قال اللهم ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا أنه صلى الله عليه وسلم علم بعدم صحة القول بأن عثمان قد قتل أو أن ذلك كان بعد مجىء الخبر له صلى الله عليه وسلم بأن القول بقتل عثمان رضى الله عنه باطل ٥ وفيه أنه حيث علم صلى الله عليه وسلم أن عثمان لم يقتل لا معنى للبيعة لان سببها كما علمت بلوغه الخبر أن عثمان قد قتل الا أن يقال سببها ما ذكر وقتل العشرة من الصحابة ويدل لذلك ما يأتى قريبا أن عثمان رضى الله عنه بايع بعد مجيئه من مكة فليتأمل أى وبهذا يرد ما تمسك به بعض الشيعة فى تفضيل على كرم الله وجهه على عثمان رضى الله عنه لان عليا كان من جملة من بايع تحت الشجرة وقد خوطبوا بقوله صلى الله

مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم النبى صلى الله عليه وسلم وسأله أن يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا فى رحالنا يحفظها لنا فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ادعى مسيلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم أشركه معه فى النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى أما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم أنى أشركت معه فى الامر أى وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه وقد بلغه صلى الله عليه وسلم ان مسيلمة قال ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها وانى لاراك الذى رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عنى ثم انصرف عنه صلى الله عليه وسلم والذى رأى منه صلى الله عليه وسلم هو انه رأى فى المنام ان فى يده سوارين من ذهب قال فأهمنى شأنهما فأوحى الله الى فى المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى أى وهما الاسود العنسى صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان العنسى يقول ان ملكا يقال له ذو النون يأتينى كما يأتى جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذى فى الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان فيها تابعا ومن ثم جاؤا به مستورا حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم أو قام فى حفظ الرحل كما تقدم والثانية كان متبوعا لم يحضر أنفة واستكبارا وعامله صلى الله

عليه وسلم معاملة الكرام ألقاله فأتاه الى قومه وهو فيهم ولما خرج الاسود العنسي بصنعاء وادعى النبوة غلب عامل النبي صلى الله
عليه وسلم على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية ويقال انه مر به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادعى الاسود انه سجد له ولم يقم الحمار حتى
قال له شيأ فقام وكان مع الاسود شيطانان يقال لاحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقاف
مصغرا وكانا يخبرانه بكل شيء يحدث
من أمور الناس وكان باذان عاملا
للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا بصنعاء
فمات فجاء شيطان الاسود فأخبره
فخرج في قومه حتى ملك صنعاء
وتزوج المرزبانة زوجة باذان
فواعدت فيروز الديلمي وغيره
فدخلوا عليه ليلا وقد سقته الخمر
صرفا حتى سكر وكان على بابه ألف
حارس فنقب فيروز ومن معه
الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز
واحتز رأسه وأخرجوا المرأة وما
أحبوا من متاع البيت وأرسلوا
الخبر الى المدينة فوافاهم عند
وفاته صلى الله عليه وسلم قال أبو
الاسود عن عروة أصيب الاسود
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر
أصحابه ثم جاء الخبر الى أبي بكر وقيل
وصل الخبر بذلك صبيحة دفن
النبي صلى الله عليه وسلم وقصة أبي
مسلم الخولاني مع الاسود العنسي
مشهورة رواها جملة من أصحاب
السنن عن جملة من الصحابة حتى
قال بعضهم انها من المشهور
المستفيض وحاصلها ان الاسود
العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني
لما ادعى الاسود النبوة بصنعاء
اليمن فلما جاءه قال له أتشهد أني
رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد
أن محمدا رسول الله قال نعم فردد
ذلك عليه مرارا وهو يقول كما قال
أولا فأمر بنار عظيمة فأججت ثم
ألقي فيها أبو مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله في
صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي الى سارية فبصر به عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن قال ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال أنا هو قال أنشدك الله أنت هو قال

عليه وسلم أنتم خير أهل الارض فانه صريح في تفضيل أهل الشجرة على غيرهم وأيضا على
حضر بدرا دون عثمان وقد جاء مرفوعا لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وحاصل الرد
أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع عن عثمان مع الاعتذار عنه بأنه في حاجة الله وحاجة رسوله
صلى الله عليه وسلم وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه عن بدر لاجل تمريض
بنته صلى الله عليه وسلم وأسهم له كما تقدم فهو في حكم من حضرها على أنه سيأتي انه رضي الله عنه
بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض
على عدم حياة الخضر عليه الصلاة والسلام حينئذ لانه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه
وقد قامت الادلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقد أشار الى
امتناع عثمان رضي الله تعالى عنه من الطواف والى عدم صحة القول بأن عثمان قتل والى
مبايعته صلى الله عليه وسلم عنه صاحب الهمزية بقوله رحمه الله

وأبى أن يطوف بالبيت اذ لم * يدن منه الى النبي فناء
فجزته عنها ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعـ * ـمال بالترك حبذا الادباء

أي وامتنع رضي الله عنه أن يطوف بالبيت لاجل أنه لم يقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من
البيت جانب فجزته عن تلك الفعلة وهي ذهابه اليهم وامتناعه من الطواف يد من نبيه عليه
الصلاة والسلام تلك اليد البالغة في الكرم وذلك في بيعة رضوان وذلك أدب عظيم عند عثمان
رضي الله تعالى عنه حصل منه أمر عظيم مستغرب وهو تضاعف ثواب الاعمال التي تركها
بسبب تركها وهي الطواف وذكر ان قريشا بعثت الى أبي ابن سلول ان أحببت أن تدخل
فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله رضي الله عنه يا أبت أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل
موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ قال ان لي في رسول الله أسوة حسنة فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم امتناعه رضي عنه وأثنى عليه بذلك وكانت البيعة تحت شجرة هناك أي
من أشجار السمر أي ولما جاء عثمان رضي الله تعالى عنه بايع تحت تلك الشجرة وقيل لها بيعة
الرضوان أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة رواه مسلم ه
وكانوا ألفا وأربعمائة على الصحيح وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان الله قد غفر
لاهل بدر والحديبية وتقدم ان الواو بمعنى أو في حديث لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية
بدليل رواية مسلم هذه ومن ثم قال ابن عبد البر رحمه الله ليس في غزواته صلى الله عليه وسلم
ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديبية والراجح تقدم غزوة أحد على غزوة الحديبية وأنها
التي تلي بدرا في الفضيلة وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن أبي سنان الاسدي كذا في
الاصل انه الصواب بعد ان حكى ان أول من بايع ابو سنان أي وهو ما ذهب اليه في الاستيعاب
حيث قال الاكثر الاشهر ان أبا سنان أول من بايع بيعة الرضوان أي لا ابنه سنان وأبو سنان
هذا هو أخو عكاشة بن محصن رضي الله عنه وكان أكبر من أخيه عكاشة بعشرين سنة وضعفه

اللهم نعم فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكى وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني
في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا أدركت أمداد خولان يقولون
للامداد من بني عبس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضره ونقلة هذا الحديث مشهورون ومجراه مجرى
الاستفاضة ثم ان مسيلمة حين ادعى
النبوة صار يتكلم بالهذيان
ليضاهي به القرآن فمن ذلك قوله
قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى
أخرج منها نسمة تسعى من بين
صفاق وحشا وصنع اللعين سجعا
ومراده أن يكون على منوال سورة
الكوثر فقال انا أعطيناك الجواهر
فصل لربك وهاجر ان مبغضك
رجل فاجر وفي رواية انا
أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر
في الليالي الغوادر وفي رواية
انا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك
وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر
فظن اللعين المخذول أن الجواهر
تعادل الكوثر فجهل اللغة مع أن
الكوثر الخير الكثير فليت شعري
ما الذي جاء به فانه أخذ لفظ القرآن
وحرف الكلم عن مواضعه وأبدل
شانئك بمبغضك ولكونه هو الفاجر
أتى الفجور في لسانه وصرف عن
الاتيان بمثله ولم يعرف المخذول انه
محروم عن الوصول الى المطلوب
فأقبح هذا التسجيع الركيك
الذي لا يساوي أقل كلام من كلام
الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين
ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة
وأحل لهم الخمر والزنا ترغيبا لهم
في اتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة
ويدعي أنه مشارك له وهذا من
سخافة عقله اذ النبي لا يبيح المحرمات
وكانت دعوى مسيلمة النبوة في
حياة النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته الا في زمن الصديق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب
الفتنة على بني حنيفة جمع جموعا كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصديق رضي الله عنه جيشا أمر عليهم خالد بن الوليد رضي الله
عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري المازني وقيل عدي بن سهل وقيل

في الاصل بأن أبا سنان رضي الله عنه مات في حصار بني قريظة ودفن بمقبرتهم أي كما تقدم
ولما بايعه سنان قال للنبي صلى الله عليه وسلم أبايعك على ما في نفسك قال وما في نفسي قال اضرب
بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو اقتل وصار الناس يقولون له صلى الله عليه وسلم نبايعك على
ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع قال
وذكر ان سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بايع ثلاث مرات اول الناس ووسط الناس وآخر
الناس بأمره له صلى الله عليه وسلم في الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له في ذلك فضيلة أي لانه صلى الله عليه وسلم أراد أن
يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته بالاسلام وشهرته في الثبات أي بدليل ما وقع له رضي الله عنه
في غزوة ذي قرد بناء على تقدمها على ما هنا أو تفرس فيه صلى الله عليه وسلم ذلك بناء على تأخرها
* وبايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرتين أي وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر
الله الآية ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة
فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله تعالى الآية أي لا تصدوا هؤلاء العمار أن
صدكم أصحابهم قال وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص أي وهو الذي بعثته قريش
له صلى الله عليه وسلم ليسأله فيما جاء وقال صلى الله عليه وسلم في حقه هذا رجل غادر وفي لفظ
رجل فاجر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو
يجدوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه الا مكرزا فانه أفلت وصدق فيه
قول النبي صلى الله عليه وسلم انه رجل فاجر أو غادر كما تقدم وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل
من المسلمين ابن زنيم رضي الله عنه رمي بسهم فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلا وعند ذلك
بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعا منهم سهيل بن عمرو فلما رآه النبي صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه سهيل أمركم فقال سهيل يا محمد ان الذي كان من حبس أصحابك أي
عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا كارهين له
حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا فابعث الينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه
الى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم وهو عثمان والعشرة رجال فأرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابهم انتهى * ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأي بالصلح على
أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس فبعثوا
سهيل بن عمرو أي ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليصالحه على أن يرجع في عامه هذا لئلا تتحدث العرب بأنه دخل عنوة أي وانه
يعود من قابل فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال أراد القوم
الصلح حيث بعثوا هذا الرجل أي ثانيا فلما انتهى سهيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جثا

أو دجانة رضي الله عنه وقيل وحشي والاول أشهر واعل عبد الله بن زيد هو الذي ضربه أولا وكمل عليه الآخرون وفي البخاري عن وحشي لما خرج مسيلمة قلت لأخرجن اليه لعلي أقتله فكافي به حمزة فخرجت مع الناس فاذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه 22 حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الانصار بالسيف على هامته وكان عمره

على ركبتيه بين يديه صلى الله عليه وسلم والمسلمون حوله جلوس وتكلم فأطال ثم تراجعا أي ومن جملة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة بالضم أي بالشدة والاكراه ولكن ذلك من العام القابل ثم التام الامر بينهما على الصلح على ترك القتال الى آخر ما يأتي ولم يبق الا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال له يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة في ديننا فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا عمر الزم غرزه أي ركابه وفي رواية أنه قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فاني أشهد أنه رسول الله قال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابي بكر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ووافق عمر رضي الله عنه من ذلك الشروط التي ذكرها أمرا عظيما وجعل يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام حتى قال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر اني رضيت وتأبى فكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون هذا خيرا والذي في الامتاع عكس هذا وهو أنه قال ما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ثم لابي بكر ثانيا ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أي بعد أن كان أمر أوس بن خولة أن يكتب فقال له سهيل لا يكتب الا ابن عمك علي أو عثمان بن عفان فأمر عليا كرم الله وجهه فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أي الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لان قريشا كانت تقولها وأول من كتبها أمية بن أبي الصلت ومنه تعلمها وتعلمها هو من رجل من الجن في خبر ذكره المسعودي أي وانما كتبها بعد ان قال المسلمون والله لا نكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فضج المسلمون وعن الشعبي رحمه الله كان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فكتب النبي أول ما كتب باسمك اللهم وتقدم أنه كتب ذلك في أربع كتب حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتب باسم الله ثم نزلت ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أي فكتبها وهذا السياق يدل على تأخر نزول الفاتحة عن هذه الآيات لان البسملة نزلت أولها وتقدم الخلاف في وقت نزولها فليتأمل ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم أبيك أي وفي لفظ لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله

حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه

لهفي عليك أبا ثمامه
لهفي على ركن اليمامه
كم آية لك فيهم
كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي وكذب أي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم انه دعا لابنين بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة في بئر فغار ماؤها ومسح رأس صبي فقرع قرعا فاحشا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد طيء﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم قبيصة ابن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه جودا وخلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الارض كأنه راكب حمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل ابن مهلهل أشهد ان لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشا وأقطعه محابن من أرضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من حمى المدينة أي ما يحموه منها في

وجهه

اثناء الطريق اصابته الحمى وفي لفظ قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى ولما مات اقام قبيصة بن الاسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أقطعه فيه محابن بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة اضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب وقيل ان زيد الخير بقي الى خلافة عمر رضي الله عنه 23 وانه لما ارتدت العرب عند موت النبي صلى

وجهه امحه وفي لفظ امح رسول الله فقال علي كرم الله وجهه ما أنا بالذي أمحاه وفي لفظ لا أمحوك وفي لفظ والله لا أمحوك أبدا فقال ارنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا والله رسول الله وان كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله وفي لفظ فجعل علي يتلكأ ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد أي مقهور وهو اشارة منه صلى الله عليه وسلم لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما فانهما في حرب صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال الى رأس الحول وكان القتال في صفر دام مائة يوم وعشرة أيام قتل فيه سبعون ألفا خمسة وعشرون ألفا من جيش علي كرم الله وجهه من جملة تسعين ألفا وخمسة وأربعون ألفا من جيش معاوية من جملة مائة وعشرين ألفا فلما كتب الكاتب في الصلح هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقال عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي هو أحد الحكمين اكتب اسمه واسم أبيه وأرسل معاوية يقول لعمرو ولا تكتب أن عليا أمير المؤمنين لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت انه أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب علي بن أبي طالب وامح أمير المؤمنين فقيل له يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها الا تعود اليك فلما سمع علي كرم الله وجهه ذلك وأمره بمحوها وقال امحها تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ما تقدم ومن ثم قال الله أكبر مثلا بمثل والله اني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه سبحان الله أتتشبه بالكفار فقال له علي كرم الله وجهه يا ابن النابغة أي العاهرة ومتى كنت عدوا للمسلمين هل تشبه الا أمك التي وقعت بك فقال عمرو لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا فقال علي كرم الله وجهه اني لأرجو الله أن يطهر مجلسي منك ومن أشباهك وذكر ان أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما أخذا بيد علي كرم الله وجهه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بيننا وبينهم وضجت المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لم نعط هذه الدنية في ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومئ بيده اليهم ان اسكتوا ثم قال أرنيه الحديث وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين وقيل سنتين وقيل أربع سنين أي وصححه الحاكم تأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض أي ويقال لهذا العقد هدنة ومهادنة وموادعة ومسالمة وقال زيادة على اشتراك الكف عن الحرب على أنه من أتى محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده اليه ذكرا كان أو أنثى قال السهيلي رحمه الله وفي رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله هذا كلامه ومن أتى قريشا ممن كان مع محمد أي مرتدا ذكرا كان أو أنثى لم نرده اليه وهذا الثاني يوافق قول أئمتنا معاشر الشافعية يجوز شرط أن لا يردوا من جاءهم مرتدا والاول يخالف قولهم لا يجوز شرط رد مسلمة

الله عليه وسلم ثبت على الاسلام وكتب الى أبي بكر بهذين البيتين

أما تخشين الله بيت أبي نصر
فقد قام بالامر الجلي أبو بكر
نجي رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصديق في معظم الامر

﴿وفد عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه﴾

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه كنت امرأ شريفا في قومي آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا أبا لك اعزل لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ثم انه أتاني ذات يوم فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيك محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي أجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي والتحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربي الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى أن قدمت على الشام فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت أي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله ما لي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر

هذا الرجل قالت أرى والله ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا للرأى قال فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم حشوها ليف فقدمها الى وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس عليها فقال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لى ما معناه يا عدى بن حاتم ألست من القوم الذين لهم دين لانه كما تقدم كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع أى تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم فى الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك قلت أجل والله وعرفت انه نبى مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهى قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أى الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد عروة المرادى﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة مفارقا لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة أصاب فيها همدان من مراد ما أرادوا فى يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى

وجبت

تأتينا منهم فان شرط فسد الشرط والعقد الا أن يقال هذا ما وقع عليه الامر أولا ثم نسخ كما سيأتى وشرطوا أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة أى صدورا منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة وقيل صدورا نقية من الغل والخداع منطوية على الوفاء بالصلح وأنه لا اسلال ولا أغلال أى لا سرقة ولا خيانة قال سهيل وأنك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وأنه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فتدخلها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة أى ثلاثة أيام معك سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس لا تدخلها بغيرها ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذى كتب الكتاب بيده الشريفة وهو ما وقع فى البخارى أى أطلق الله يده صلى الله عليه وسلم بالكتابة فى تلك الساعة خاصة وعد معجزة له قال بعضهم لم يعتبره أى القول بذلك أهل العلم ومعنى كتب أمر بالكتابة وفى النور وفى كون هذا أى أنه كتب بيده فى البخارى فيه نظر والذى فى البخارى وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ليكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد الحديث أى فلفظة بيده ليست فى البخارى ومع اسقاطها التأويل ممكن وتمسك بظاهر قوله فكتب أبو الوليد الباجى المالكى رحمه الله على أنه صلى الله عليه وسلم كتب بيده فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه بأن هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لان هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن وبعد ان تحققت أميته صلى الله عليه وسلم وتقررت بذلك معجزته لا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلم فتكون معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا أى ويقال ان الذى كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة رضى الله عنه وعده الحافظ ابن حجر رحمه الله من الاوهام وجمع بأن أصل هذا الكتاب كتبه على كرم الله وجهه ونسخ مثله محمد بن مسلمة رضى الله عنه لسهيل بن عمرو أى فان سهيلا قال يكون هذا الكتاب عندى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عندى فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب لسهيل نسخة أخذها عنده وعند كتابته اشترط أن يرد اليهم من جاء مسلما قال المسلمون سبحان الله كيف نرد للمشركين من جاء مسلما وعسر عليهم شرط ذلك وقالوا يا رسول الله أتكتب هذا قال نعم أنه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى لفظ قال عمر يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ومن أعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه فى شئ وليس منا بل هو أولى بهم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف فى الحديد أى يمشى فى قيوده متوشحا سيفه قد أفلت الى أن جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى بنفسه بين أظهر المسلمين فجعل المسلمون يرحبون به ويهنؤنه فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وفى لفظ أخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه أبى جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وأخذ بتلابيبه وقال يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده الى لقد لجت القضية بينى وبينك أى

الله عليه وسلم هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنهم على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿وفد بنى زبيد﴾ بضم الزاى وفتح الموحدة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معديكرب الزبيدى وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادى انك سيد قومك وقد ذكر لنا ان رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبى فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لا يخفى عنك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيسا توعد عمرا فقال عمرو فى قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذرى من ذى سفاه ... يرد بنفسه شد المرادى
أريد حياته ويريد قتلى ... عذيرك من خليلك من مرادى

أى وبعد موته صلى الله عليه وسلم أسلم قيس فليس له صحبة وقيل بل أسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد كندة﴾ وكندة قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهى أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون من كندة وقيل ستون فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا فى قومه وهو أصغرهم فلما ارادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم رجلوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبأ فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة فى ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجبت وتمت قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره بلبيته ويجره ليرده الى قريش وجعل أبو جندل رضى الله عنه يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونى عن دينى ألا ترون ما لقيت فانه رضى الله عنه كان عذب عذابا شديدا على ان يرجع عن الاسلام فزاد الناس ذلك الى ما بهم أى فانهم كانوا لا يشكون فى دخولهم مكة وطوافهم بالبيت للرؤيا التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا الصلح وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصا من اشتراط أن يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم أى ورد أبى جندل اليهم بعد ضربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم وبهذا استدل أئمتنا على أنه يجوز شرط رد من جاءنا منهم مسلما اليهم ولا نرده اليهم الا اذا كان حرا ذكرا غير صبى ومجنون وطلبته عشيرته وفى لفظ آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسهيل انا لم نقض الكتاب بعد فقال بلى لقد لجت القضية بينى وبينك أى تم العقد فرده فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأجره لى فقال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد أجرناه لك لا نعذبه أى وهذا وما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمى رحمه الله ان مجئ أبى جندل كان قبل عقد الهدنة معهم رواه البخارى وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رأيت قوما قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد اما انى أقول لك لا تأخذ من محمد نصفا أبدا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة فقال مكرز وأنا أرى ذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومشى الى جنب أبى جندل أى وأبوه سهيل يجنبه يدفعه وصار عمر رضى الله عنه يقول لابى جندل اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم كلب أى ومعك السيف يعرض له بقتل أبيه أى وفى رواية أن دم الكافر عند الله كدم الكلب ويدنى قائم السيف منه أى وفى لفظ وجعل يقول يا أبا جندل ان الرجل يقتل أباه فى الله والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل رضى الله عنه ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم منى قال عمر رضى الله عنه وودت ان يأخذ السيف فيضرب أباه فضن الرجل بأبيه وفيه كيف يظن عمر حينئذ جواز قتله لابيه حتى يعرض له به الا ان يقال ظن ذلك لكونه يريد ان يفتنه عن دينه ويرجع الى الكفر وان كان صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا جندل اصبر واحتسب ورجع أبو جندل الى مكة فى جوار مكرز بن حفص أى وحويطب فادخلاه مكانا وكف عنه أبوه وأبو جندل اسمه العاص وهو أخو عبد الله بن سهيل بن عمرو واسلام عبد الله سابق على اسلام أبى جندل لان عبد الله شهد بدرا أى فانه خرج مع المشركين لبدر ثم انحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا والمشاهد كلها وأبو جندل رضى الله عنه أول مشاهده الفتح ودخلت خزاعة فى عقده صلى الله عليه وسلم وعهده أى وفى لفظ ووثب من هناك من خزاعة فقالوا نحن ندخل فى عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا

نسبحان الله انما يفعل ذلك الكاهن ران الكاهن والكهانة والتكهن فى النار فقالوا كيف نعلم انك رسول الله فأخذ كفا من حصباء
فقال هذا يشهد أنى رسول الله فسبح الحصى فى يده فقالوا نشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى بالحق
وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ٢٦ ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات

من قومه وفدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم و يذكر أن حويطبا قال لسهيل بادانا اخوالك يعنى خزاعة بالعداوة وكانوا يستترون منا فقد دخلوا فى عهد محمد وعقده فقال له سهيل ماهم الا كغيرهم هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد قوم اختاروا لانفسهم أمرا فما نصنع بهم قال حويطب نصنع بهم ان ننصر عليهم حلفاءنا بنى بكر قال سهيل اياك أن تسمع هذا منك بنو بكر فانهم أهل شؤم فيبيتوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه فينقض العهد بيننا و بينه ومن هذا التقرير يعلم أن بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ووقع فى المواهب مايقتضى ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم و بين سهيل بن عمرو و حبست قريش عثمان فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا ولا يخفى عليك مافيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح وأشهد عليه رجالا من المسلمين أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة أى ورجالا من قريش حويطبا ومكرزا قام الى هديه فنحره ومن جملته جمل لابى جهل وكان نجيبا مهريا كان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم فى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب ليغيظ بذلك المشركين غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كما تقدم قال وقد كان فرس من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى اثره عمرو بن عنمة الانصارى فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه و دفعوا فيه عدة نياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا انتهى وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له أى فعرضوا عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأبى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة وفرق صلى الله عليه وسلم لحم الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية حتى نحرت بالمروة وقسموا لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه وكان الحالق أى لرأسه خراش ابن أمية الخزاعى الذى بعثه الى قريش فعقروا جمله وأرادوا قتله كما تقدم فلما رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون و يحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبى قتادة وفى كلام بعضهم أى وهو السهيلى انه لم يقصر غيرهما ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة فقال اللهم ارحم المحلقين وفى لفظ يرحم الله المحلقين وفى لفظ اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين أو قال اللهم ارحم المحلقين أو اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين والمقصرين وفى رواية قال والمقصرين فى الرابعة وقد قالوا له يارسول الله لم ظاهرت أى أظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا أى لم يرجوا ان يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين أى لان الظاهر من حالهم انهم أخروا بقية شعورهم رجاء أن يحلقوها بعد طوافهم بالبيت وأرسل الله سبحانه وتعالى ريحا عاصفة احتملت شعورهم فالقتها فى الحرم وفيه أنه تقدم ان الحديبية أكثرها فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من

الكتاب

صفا حتى بلغ ورب المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شئ ودموعه تجرى على لحيته فقالوا انا نراك تبكى أمن مخافة من ارسلك قال خشيتى منه أبكتنى بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك الآية ثم قال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فعند ذلك شققوه وألقوه ولعل سجفهم جاوزت الحد الجائز شرعا وكان على النبى صلى الله عليه وسلم حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال انها حلة ذى يزن وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مثلهما وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك وقال الاشعث بن قيس له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكلة المرار وأنت ابن آكلة المرار و يعنون جدته أم كلاب لما تقدم انها من كندة وآكل المرار هو الحارث بن عمرو ولقب بذلك لاكله شجرا يقال له المرار فى غزوة غزاها ولما قال له الاشعث ماذكر قال صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا وننتفى من أبينا أى لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء فقال الاشعث بن قيس يامعشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين والاشعث هذا

ممن ارتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام فى خلافة الصديق رضى الله عنه فانه حوصر وجىء به أسيرا
فقال للصديق حين أراد قتله استبقنى لحربك وزوجنى أختك فزوجه أخته أم فروة وعاد الى الاسلام فدخل سوق الابل بالمدينة
واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعنى

أبا بكر رضى الله عنه زوجنى أخته ولو كنا ببلادنا كانت لى وليمة غير هذه ثم قال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل
اثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد قال لى غلام ولد عند مخرجى اليك لوددت أن لى به سبعة قال انهم لمجبنة مبخلة
وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الاشعث اليرموك بالشام ثم القادسية ٢٧ وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين

الكتاب أمرهم بالنحر والحلق قال ذلك ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أى وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت مالك يارسول الله مرارا وهو لا يجيبها ثم ذكر لها مالقى من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا و يحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا ياأم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى و ينظرون وجهى فقالت يارسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت عليه صلى الله عليه وسلم أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم و ينحر بدنه و يحلق رأسه ففعل كذلك أى أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدن رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل صلى الله عليه وسلم قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة أى بعد أن أقام بالحديبية تسعة عشر يوما وقيل عشرين يوما فلما كان صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة أى بكراع الغميم أنزلت عليه سورة الفتح أى وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أنزلت على سورة هى أحب الى مما طلعت عليه الشمس وحصل للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنا كل من لحمه وندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تفعل يارسول الله فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لاقينا العدو غدا جياعا رجالا أى ثم قال ولكن ان رأيت ان تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله أى وحشوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأخذنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا من أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة قال الراوى فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله والله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء نطفة لانه ينطف أى يصب فأفرغها فى قدح أى ووضع راحته الشريفة فى ذلك الماء قال الراوى فتوضأنا كلنا أى الاربع عشرة مائة ندغفقه دغفقة أى نصبه صبا شديدا ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا هل من طهور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الوضوء والى تكثير الطعام والماء أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله فى وصف راحته الشريفة

مع على رضى الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن على رضى الله عنهما وقيل مات سنة ثنتين وأربعين

﴿وفد ازدشنوءة﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد الله الازدى وكان أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهى مدينة بها قبائل اليمن فحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا فى طلبهم حتى اذا أدركوهم عطف المسلمون عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أى ينظران الاخبار فبينما هما عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم بأى بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يارسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن يعنى قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل

الاستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن فى عدم الادراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر
البدن فجلس الرجلان الى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما أى
يخبركما بموتهم فقوما اليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم راجعين الى قومهم افوجدا قومهم اقد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم بعد ذلك وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد جرش فأسلموا فقال لهم صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حول بلدهم

﴿وفادة رسول الحارث بن كلال وأصحابه﴾ ٢٨

وذلك ان الحارث بن كلال بضم الكاف والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة كتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه وانكم أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله ابن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ولا تخونوا ولا تجادلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله

﴿وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامي﴾ الله

وفد رسول فروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه واهدى فروة له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب فقبل صلى الله عليه وسلم الهدية وأعطى الرسول اثنتي عشرة أوقية من

أحيت المرملين من موت جهد * أعوز القوم فيه زاد وماء

أي حفظت على المحتاجين للزاد والماء حياتهم فسلموا من موت قحط شديد أعوز القوم في ذلك القحط زاد وماء وقال الامام السبكي في تائيته في تكثير الماء

وعندي عين لا يمين بأن في * يمينك وكفا حيثما السحب ضنت

ولما أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح قال له جبريل عليه السلام يهنئك يا رسول الله وهنأه المسلمون وتكلم بعض الصحابة وقال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك بئس الكلام بل هو أعظم الفتح لقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالبراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله تعالى سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت أعلم بالله وبامره منا وقال له بعض الصحابة أي وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام فانكم تأتونه وتطوفون به (أقول) فيه انه تقدم أن ذلك كان عن رؤيا لا عن وحي الا أن يقال يجوز ان يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بمثل ما رأى ثم أخبرهم بذلك والله أعلم وفي لفظ لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين واخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا اله أين رؤياك يا رسول الله فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية (أقول) ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وأنها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وان الاولى اقترن بها الوحي وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا الى عمر بن الخطاب فقال هذا الذي قلت لكم ولما كان في حجة الوداع وقف صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال يا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الذي قلت لكم وفيه انه لم يتقدم في الرؤيا انه صلى الله عليه وسلم يأخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك بعد الرؤيا وان المراد من ذلك مجرد دخول مكة والله أعلم وأصابهم مطر في الحديبية لم يبل أسفل نعالهم أي ليلا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صلوا في رحالكم أي ووقع مثل ذلك في حنين انه أصابهم مثله فأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي ألا صلوا في رحالكم وقال صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة الحديبية لما صلى بهم أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال الله عز وجل أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا برحمة الله وفضله فهو مؤمن بالله وكافر بالكواكب ومن قال مطرنا بنجم كذا وفي رواية بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي وهذا عند أئمتنا مكروه لا حرام أي لان المراد بالايمان شكر نعمة

فضة وكان فروة عاملا للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ومعان بفتح الميم وضمها اسم جبل فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد فانك تعلم ان عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك

﴿وفد الحارث بن كعب﴾ ٢٩

قد تقدم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد ابن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿وفد رفاعة بن زيد الخزاعي﴾

بالخاء المعجمة والزاي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة ابن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله ورسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضي الله عنهم

﴿وفد همدان﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء ثياب مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليك جاوزن سواد الريف * في هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

الله حيث نسبها الى الله والكفر كفران النعمة حيث نسبها لغيره فان اعتقد ان النجم هو الفاعل كان الكفر فيه على حقيقته وهو ضد الايمان والاول انما نهي عنه لانه كان من أمر الجاهلية والا فهذا التركيب لا يقتضي ان يكون نوء كذا فاعلا ومن ثم لو قال مطرنا في نوء كذا أي في وقت نوء كذا لم يكره وكان ابن أبي ابن سلول قال هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى أي وسمي الخريف خريفا لانه تخترف فيه الثمار أي تقطع والنوء سقوط نجم ينزل في الغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق من أنجم المنازل وذلك يحصل في كل ثلاثة عشر يوما الا الجبهة النجم المعروف فان لها أربعة عشر يوما قال بعضهم والانواء ثمانية وعشرون نوأ أي نجما كان العرب يعتقدون ان من ذلك يحدث المطر أو الريح وفي الحديث لو حبس الله القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله أصبح طائفة منهم به كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح بكسر الميم نجم يقال هو الدبران وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ونقل عن عمر رضي الله عنه انه قال مطرنا بنوء كذا ولعله لم يبلغه النهي عن ذلك حيث قال قال العارف بالله ابن عطاء الله لعل هذا يكون ناهيا لك أيها المؤمن عن التعرض الى علم الكواكب واقترانها ومانعا لك ان تدعي وجود تأثيراتها واعلم ان لله فيك قضاء لا بد ان ينفذه وحكما لا بد ان يظهره فما فائدة التجسس على غيب علام الغيوب وقد نهانا سبحانه ان نتجسس على غيبه وصارت تلك الشجرة التي وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي في خلافته ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وأمر بها فقطعت أي خوف ظهور البدعة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أول من هاجر من النساء بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانها خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وفي الاستيعاب يقولون انها مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولا يعرف لها اسم الا هذه الكنية وهي أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لامه ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضي الله عنها وأعلمتها انها جاءت مهاجرة وتخوفت ان يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة أعلمته بها فرحب بام كلثوم رضي الله عنها فخرج أخواها عمارة والوليد في ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فلم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أي بعد ان قالت له يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الى الضعف فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنزل القرآن بنقض ذلك العهد بالنسبة للنساء ان جاء منهن مؤمنا لكن بشرط امتحانهن بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات أي في مدة هذا العهد والصلح مهاجرات فامتحنوهن قال السهيلي رحمه الله وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة انها ما هاجرت ناشزة ولا هاجرت الا لله ولرسوله وفي لفظ كانت المرأة اذا جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم حلفها عمر رضي الله عنه بالله ما خرجت رغبة بارض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ما خرجت الا حبا لله

فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على اعدائه من محمد وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد اليهم ثم بعث عليا رضي الله عنه وأمر خالدا بالرجوع وان من كان مع خالد ان شاء بقي مع علي وان شاء رجع وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه خبر اسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان وجاءه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم ابدال وفيهم أوتاد الاسلام

﴿وفد تجيب﴾ بضم المثناة فوق وهي قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيرا شرح صدره للدين وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وملاقاتنا له وكلامنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا فقال ارسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك فقال يا رسول الله ان حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما أخرجني الا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه

ورسوله فاذا حلفت لم ترد ورد صداقها الى بعلها أي ولما قدم الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا ان تحبس النساء ولم يكن لام كلثوم رضي الله عنها زوج بمكة فلما قدمت المدينة زوجها زيد بن حارثة وفي رواية لما كان صلى الله عليه وسلم بالحديبية جاءته جماعة من النساء المؤمنات مهاجرات من مكة من جملتهن سبيعة بنت الحرث فأقبل زوجها وهو مسافر المخزومي طالبا لها وأراده مشركو مكة ان يردوهن الى مكة فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاستحلف صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فأعطى صلى الله عليه وسلم زوجها مسافرا ما أنفق عليها فتزوجها عمر رضي الله عنه وهذا السياق يدل على ان الآية الكريمة نزلت بالحديبية وما قبله يدل على انها نزلت بالمدينة وقد يقال لا مانع من تكرر نزول الآية واما في غير مدة هذا العهد أي بعد نسخه بفتح مكة فلم تستحلف امرأة جاءت الى المدينة ولا يرد صداقها الى بعلها ومن ثم ذهب أئمتنا الى أنه اذا شرط رد المسلمة اليهم فسدت الهدنة كما تقدم ولا يجب دفع المهر للزوج لو جاءت مسلمة وقوله تعالى وآتوهم أي الأزواج ما أنفقوا أي من المهور محمول على الندب والصارف له عن الوجوب كون الاصل براءة الذمة لان البضع ليس بمال للكافر وفيه ان طلب رد المهور للازواج كان واجبا في مدة العهد خاصة كما علمت وأنزل الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر أي نهى المؤمنين عن البقاء على نكاح المشركات فطلق الصحابة رضي الله عنهم كل امرأة كافرة في نكاحهم حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له امرأتان فطلقهما يومئذ فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية فكان صلى الله عليه وسلم في مدة العهد يرد الرجال ولا يرد النساء أي بعد امتحانهن فقد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أبو بصير رضي الله عنه وكان ممن حبس بمكة وكتب في رده أزهر بن عوف رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو من الطلقاء وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كتابا وبعث به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يا رسول الله أتردني الى المشركين يفتنونني عن ديني قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما أي وصار المسلمون رضي الله عنهم يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يغرونه بالذين معه حتى اذا كانوا بذي الحليفة جلس رضي الله عنه الى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير رضي الله عنه لاحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر قال نعم انظر اليه ان شئت فاستله أبو بصير رضي الله عنه ثم علاه به حتى قتله وفي لفظ ان الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال لاضربن بسيفي هذا في الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير أوصارم سيفك هذا قال نعم فقال

ناولنيه

وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه واذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله اني لارجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا قال صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله ان يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب الى زياد بن الوليد يوصيه به خيرا وكان زياد واليا على حضرموت

﴿وفد بني ثعلبة﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم صلى بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته تجري علينا ثم لما جاؤا يودعونه قال لبلال اجزهم فأعطى كل واحد منهم خمس أواق فضة والأوقية أربعون درهما

ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد وقيل تناوله بفيه وصاحبه نائم فقطع اساره أي كتافه ثم ضربه به حتى برد فطلب المولى فخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصا يطن تحت قدميه وفي لفظ والحصا يطير من تحت قدميه من شدة عدوه أي وأبو بصير في أثره حتى أزعجه قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفي لفظ قد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له ويحك ما لك قال قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد واني لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير رضي الله عنه أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحا السيف ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك استلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان أفتن فيه أو يفتن بي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب حيث شئت فقال يا رسول الله هذا سلب العامري أي الذي قتله رحله وسيفه تخمسه فقال له صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك ومن ثم قال فقهاؤنا يجوز رد المسلم الى الطالب له من غير عشيرته اذا قدر على قهر الطالب والهرب منه وعند ذلك ذهب أبو بصير رضي الله عنه الى محل من طريق الشام تمر به عيرات قريش واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة أي انهم لما بلغهم خبره رضي الله عنه أي وأنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال صاروا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنهما الذي رده يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين فارسا أسلموا فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة التي هي زمن الهدنة أي خوف أن يردهم الى أهليهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مادة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفي رواية ان قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه في ذلك وأن قريشا قالوا انا أسقطنا هذا الشرط من الشروط من جاء منهم اليك فأمسكه في غير حرج أي وفي لفظ من أتاه فهو آمن فانا أسقطنا هذا الشرط فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي جندل والى أبي بصير رضي الله عنهما ان يقدما عليه وان من معهما من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيراتهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير رضي الله عنه يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه أبو جندل رضي الله عنه مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيراتهم وعلمت أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين عسر عليهم رد أبي جندل الى قريش مع أبيه سهيل بن عمرو وان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه

﴿وفد بني سعد هذيم من قضاعة﴾ عن النعمان رضي الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطوءة قهرا وغلبة واستولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد وهي سهيل بن بيضاء فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم فقلنا يا رسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

﴿وفد بني فزارة﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بني فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أي توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف أي هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أي وهو خارجة يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ما حولنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى

صلى الله عليه وسلم أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت أولى لانها كانت سببا لكثرة المسلمين فان الكفار لما أمنوا القتال اختلطوا بالمسلمين فأثر فيهم الاسلام فأسلم كثير منهم وقد ذكر بعض المفسرين ان الذين أسلموا في سنتي الفتح بناء على ان المدة كانت سنتين أو المعنى سنتين من الصلح أي من مدته يعدلون الذين أسلموا قبلهما قال وعن بعضهم أي وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد لقد رأيت سهيل بن عمرو رضي الله عنه بعد اسلامه في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق لحلق رأسه فانظر الى سهيل كلما يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم يضعه على عينيه واذكر امتناعه ان يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أي وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمدت الله وشكرته الذي هداه للاسلام وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون قد حصرنا المشركون وكان لي وفرة فجعلت الهوام أي القمل تتساقط على وجهي فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي وفي رواية أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادنه فدنوت يقول ذلك مرتين أو ثلاثا وفي رواية أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وأنا أوقد تحت برمة وفي لفظ قدر لي فقال كأنك تؤذيك هوام رأسك قال أجل قال احلق واهد هديا فقال ما أجد هديا فقال صم ثلاثة أيام وفي لفظ فقال أيؤذيك هوام رأسك وفي لفظ لعلك آذاك هوام رأسك قلت نعم يا رسول الله قال ما كنت أرى ان الجهد بلغ بك هذا فأمرني ان أحلق أي وفي رواية أصابتني هوام في رأسي وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى تخوفت على بصري وأنزل الله تعالى هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه أي فحلق ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق أي زاد في رواية من زبيب بين ستة مساكين والفرق بفتح الفاء والراء ثلاثة آصع أي زاد في رواية من تمر لكل مسكين نصف صاع أو انسك أي اذبح ما تيسر لك انتهى زاد في رواية أي ذلك فعلت أجزأ عنك فحلقت ثم نسكت أي وفي رواية الشيخين انسك شاة أو صم ثلاثة أيام أو أطعم فرقا من الطعام على ستة مساكين قال ابن عبد البر عامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القرآن وعليه عمل العلماء في كل الامصار وفتواهم وما ورد من الترتيب في بعض الاحاديث لو صح كان معناه الاختيار أولا فأولا قال الزمخشري في سفر السعادة أمر صلى الله عليه وسلم في علاج القمل بحلق الرأس لتنفتح المسام وتتصاعد الابخرة وتضعف المادة الفاسدة التي يتولد القمل منها وذكر في الهدى أن أصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة والاستفراغ فالى الاول شرع التيمم خوفا من استعمال الماء والى الثاني شرع الفطر في رمضان في السفر لئلا يتوالى مشقة السفر ومشقة الصوم والى الثالث بحلق رأس المحرم اذا كان به أذى من قمل ليستفرغ المادة

الفاسدة

ربك فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلادك غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان التمر في المربد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء وقام أبو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فوالله ما رأوا الشمس سبعا ثم قام الرجل يعني الذي سأله أن يستسقي لهم فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه فقال اللهم حوالينا ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب وفي السيرة الحلبية ان هذا المطر كان عام المدينة وما حولها الى محل هؤلاء الوافدون أحاديث الاستسقاء تعددت وتكررت فهذه القصة غير قصة الاعرابي الذي سأله السقيا وهو صلى الله عليه وسلم على المنبر وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول

ودعا للأنام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقي * وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون * بقراها وأحييت أحياء
فترى الارض غبه كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

الفاسدة والابخرة الرديئة وعند أئمتنا لا بد أن يكون ما يذبحه مجزئا في الاضحية وبعد الحديبية قبل خيبر وقيل بعد خيبر نزلت آية الظهار قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وسبب ذلك ان أوس بن الصامت لا عبادة بن الصامت كما قيل أي وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وفي لفظ كان به لمم أي نوع من الجنون وكان فاقد البصر قال لزوجته خولة بنت ثعلبة وفي لفظ بنت خويلد وكانت بنت عمه وقد راجعته في شيء فغضب فقال لها أنت علي كظهر أمي وكان ذلك في زمن الجاهلية طلاقا أي كالطلاق في تحريم النساء ثم راودها عن نفسها فقالت كلا لا تصل الي وقد قلت ما قلت حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ انه لما قال لها أنت علي كظهر أمي اسقط في يده وقال ما أراك الا قد حرمت علي انطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأليه فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو يمشط رأسه الشريف أي عنده ماشطة أي وهي عائشة رضي الله عنها تمشط رأسه وفي لفظ كان الظهار أشد الطلاق وأحرم الحرام اذا ظاهر الرجل من امرأته لم ترجع اليه أبدا فأخبرته فقال لها صلى الله عليه وسلم ما أمرنا بشيء من أمرك ما أراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي وتركي الى غير أحد وقد كبر سني ودق عظمي وفي لفظ انها قالت اللهم اني أشكو اليك شدة وحدتي وما يشق علي من فراقه وما نزل بي وبصبيتي قالت عائشة رضي الله عنها فلقد بكيت وبكى من كان في البيت رحمة لها ورقة عليها وفي لفظ قالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا ذات مال وأهل فلما أكل مالي وذهب شبابي ونفضت بطني وتفرق أهلي ظاهر مني فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه فبكت وصاحت وقالت أشكو الى الله فقري ووحدتي وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وصارت ترفع رأسها الى السماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم قد فرغ من شق رأسه وأخذ في الشق الآخر أنزل الله عليه الآية فسري عنه وهو يتبسم فقال صلى الله عليه وسلم لها مريه فليحرر رقبة فقالت والله ما له خادم غيري قال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والله انه لشيخ كبير انه ان لم يأكل في اليوم مرتين يندر بصره أي لو كان مبصرا فلا ينافي ما تقدم أنه كان فاقد البصر قال فليطعم ستين مسكينا فقالت والله ما لنا اليوم وقية فقال مريه فلينطلق الى فلان يعني شخصا من الانصار أخبرني ان عنده شطر وسق من تمر يريد أن يتصدق به فليأخذه منه (وفي رواية) مريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينا وليراجعك ثم أتته فقصت عليه القصة فانطلق ففعل أي وفي لفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سأعينه بفرق من تمر فبكت وقالت وأنا يا رسول الله سأعينه بفرق آخر قال قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا وفي رواية لما قال لها صلى الله عليه وسلم ما أعلم الا قد حرمت عليه قالت لها عائشة رضي الله عنها وراءك فتنحت فلما نزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي وسري عنه قال يا عائشة أين المرأة قالت ها هي هذه قال ادعيها فدعتها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اذهبي فجيئي بزوجك فذهبت فجاءت به وأدخلته على النبي صلى الله عليه وسلم

فاذا هو ضرير البصر فقير سيئ الخلق فقال له صلى الله عليه وسلم أتجد رقبة قال لا وفى لفظ قال مالى بهذا من قدرة قال أفتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال والذى بعثك بالحق انى اذا لم آكل المرة والمرتين والثلاث يغشى على وفى لفظ انى اذا لم آكل فى اليوم مرتين كل بصرى أى لو كان موجودا قال أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا قال لا الا أن تعينني بها فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر عنه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه مكتلا يأخذ خمسة عشر صاعا فقال أطعمه ستين مسكينا قال بعضهم وكانوا يرون أن عند أوس رضى الله عنه مثلها حتى يكون لكل مسكين نصف صاع وفيه انه خلاف الروايات من أنه لا يملك شيأ فقال على أفقر منى فوالذى بعثك بالحق مابين لابتيها أهل بيت أحوج اليه منى فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذهب به الى أهلك وهذا أول ظهار وقع فى الاسلام ومر عمر رضى الله تعالى عنه بخولة هذه فى أيام خلافته فقالت له قف يا عمر فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها وأطالت الوقوف وأغلظت له القول أى قالت له هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا وأنت فى سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشى الفوت فقال لها الجارود قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه دعها وفى رواية فقال له قائل حبست الناس لاجل هذه العجوز قال ويحك وتدرى من هذه قال لا قال هذه امرأة قد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عنى الى الليل ما انصرفت حتى تنقضى حاجتها * قيل وفى هذه السنة التى هى سنة ست حرمت الخمر وبه جزم الحافظ الدمياطى وقيل حرمت سنة أربع أى ويدل له ما تقدم من اراقة الخمر وكسر جرارها فى بنى قريظة وقيل فى السنة الثالثة وقيل انما حرمت فى عام الفتح قبل الفتح قال بعضهم حرمت ثلاث مرات أى نزل تحريمها ثلاث مرات كان المسلمون يشربونها حلالا أى لغيره صلى الله عليه وسلم أما هو فحرمت عليه قبل البعثة بعشرين سنة فلم تبح له قط وقد جاء أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الاصنام شرب الخمر وتقدم ان جماعة حرموها على أنفسهم وامتنعوا من شربها ولازالت حلالا للناس حتى نزل قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فعند ذلك اجتنبها قوم لوجود الاثم وتعاطاها آخرون لوجود النفع أى وكانوا ربما شربوها وصلوا فلما نزل قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى امتنع من كان يشربها لاجل النفع من شربها فى أوقات الصلاة ورجع قوم منهم عن شربها حتى فى غير أوقات الصلاة وقالوا لا خير فى شئ يحول بيننا وبين الصلاة وسبب نزول هذه الآية ماجاء عن على كرم الله وجهه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما أى وشرابا من الخمر فأكلنا وشربنا فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة أى الجهرية وقدمونى فقرأت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون الى أن قلت وليس لى دين وليس لكم دين ثم نزلت الآية الاخرى الدالة على تحريمها مطلقا وهى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل أنتم منتهون أى ولعل هذه الآية

الاخيرة

وحديث الاعرابى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة اذ قام اعرابى فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ان يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ومافى السماء قزعة فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذى يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة فى مثل الجوبة حتى سال الوادى شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود أى المطر الكثير وجاء فى أحاديث انه صلى الله عليه وسلم خرج مرة أخرى الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما ان يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه مرة اعرابى فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد أبياتا منها قوله

وليس لنا الا اليك فرارنا
وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام على فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال صلى الله عليه وسلم اجل وفى رواية لما جاءه المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشى واسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ فى العيدين والاستسقاء فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفى الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس

الاخيرة هى التى عناها أنس رضى الله عنه بقوله كما فى البخارى كنت ساقى القوم الخمر بمنزل أبى طلحة أى وهو زوج أمه رضى الله عنهم ونزل تحريم الخمر فأمر مناديا ينادى الا ان الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة أخرج فانظر ما هذا الصوت قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادى ألا ان الخمر قد حرمت فقال لى اذهب فاهرقها فقال بعض القوم قتل قوم أى فى أحد وهى فى بطونهم وفى رواية قالوا يارسول الله كيف بمن مات من أصحابنا وكان شربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أى لان ذلك كان قبل تحريمها مطلقا وقد جئ لعمر رضى الله عنه بشخص من المهاجرين الاولين قد سكر فأراد عمر جلده فاستدل على عمر بهذه الآية فقال عمر لمن حضره ألا تردون عليه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية نزلت عذر الماضين وحجة على الباقين ثم استشار عمر رضى الله عنه عليا كرم الله وجهه فأشار عليه أن يجلده ثمانين جلدة ولعل هذا الشخص هو قدامة بن مظعون وتقدمت قصته فى بدر وتقدم فى ذلك ان الذى رد عليه بذلك عمر لا ابن عباس رضى الله عنهم وكذا وقع لابى جندل رضى الله عنه مثل ذلك وأنه أشفق أى خاف من ذلك فلما بلغ عمر رضى الله عنه كتب اليه ان الذى زين اليك الخطيئة هو الذى حظر أى منع عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية

غزوة خيبر

على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب أى الذى سميت باسمه المدينة كما تقدم وفى كلام بعضهم الخيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد كما فى سيرة الحافظ الدمياطى ومعلوم أن البريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال * ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية أقام شهرا وبعض شهر أى ذا الحجة ختام سنة ست وأقام من المحرم افتتاح سنة سبع أياما قيل عشرين يوما أو قريبا من ذلك ثم خرج الى خيبر أى وهذا ما ذهب اليه الجمهور ونقل عن الامام مالك رضى الله عنه ان خيبر كانت سنة ست واليه ذهب الامام ابن حزم وفى التعليقة للشيخ أبى حامد انها كانت سنة خمس قال الحافظ ابن حجر وهو وهم ولعله انتقل من الخندق الى خيبر قال وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاءه المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد فأما الغنيمة فلا أى لا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادى بذلك فنادى به قال أنس رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طلحة وهو زوج أم أنس كما تقدم حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا الى غلاما من غلمانكم يخدمنى فخرج أبو طلحة مردفى وأنا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال اه (أقول) وهذا السياق يدل على ان أول خدمة

بوجهه وقلب رداءه لكى ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسقنا طبقا مغدقا عاما هنيأ مريأ مريعا وابلا شاملا مجللا دارا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيى به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم انزل فى أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيى به بلدك الميت وتسقيه مما خلقت انعاما واناسى كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفه عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذى ينشدنا قوله فقام على رضى الله عنه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أجل فهذه الاحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرره منه صلى الله عليه وسلم وفى كل مرة يسقون ففى ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم أجاز صلى الله عليه وسلم بنى فزارة بما يجيز به الوفود ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد بنى أسد

وفد عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى أسد فيهم حضرمى بن عامر فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال بعض منهم يارسول الله صلى الله عليك وسلم أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا أتيناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن على من وراءنا وفى رواية ان حضرمى بن عامر قال أتيناك بتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء أى ذات قحط ولم تبعث

أنس رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم حينئذ وهو يخالف ما سبق ان عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس قال جاءت بي أمي أم أنس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ما ذكر رجاء أن يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس ومن ثم لم يخرجه صلى الله عليه وسلم معه وفيه أنه خرج معه في بدر فقد جاء أنه قيل لانس رضي الله عنه أشهدت بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أم لك وأين غبت عن بدر وقد يقال جاز أن يكون عرض لانس رضي الله عنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ما يقتضي الشفقة عليه في عدم اخراجه معه والله أعلم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة وقيل سباع بن عرفطة أي وصح وكان الله وعده وهو بالحديبية أي عند منصرفه منها في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ٥ أي مغانم خيبر وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة رضي الله تعالى عنها وقال صلى الله عليه وسلم في سيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنهما انزل فخذ لنا من هناتك وفي رواية من هنيهاتك وفي لفظ من هنياتك بقلب الهاء الثانية ياء أي من أراجيزك وأشعارك وفي لفظ انزل فحرك بنا الركاب فقال يا رسول الله قد تولى قولي أي الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز بقوله رضي الله تعالى عنه

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

الابيات وفي مسلم * اللهم لولا أنت ما اهتدينا * قيل وصوابه في الوزن لاهم أو يا الله أو والله لكن في تلك الابيات فاغفر فداء لك ما اقتفينا أي فاغفر ما اكتسبنا وأصل الاقتفاء الاتباع وفي خطاب الباري عز وجل بفداء لك ما لا ينبغي لانه لا يقال للباري عز وجل فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه متوقع حلوله بالمفدى بالفتح فيجعل المفدى بالكسر نفسه فداء له من ذلك فيبذل نفسه عن نفسه وأجيب عن ذلك بأن الشاعر لم يرد ذلك بل أراد أن يبذل نفسه في رضاه سبحانه وتعالى وعند انشاده الابيات المذكورة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه والله وجبت أي الشهادة يا رسول الله لولا أي هلا أمتعتنا به أي أبقيته لنا لنتمتع به ومنه أمتعني الله ببقائك أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر لانه صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا واستشهد وفي لفظ أن القائل له أسمعنا رجل من القوم قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه صريحا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعه قال من هذا السائق قالوا عامر قال صلى الله عليه وسلم يرحمه الله فقتل في هذه الغزاة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك رضي الله عنه فقال الناس قتله سلاحه وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه صلى الله عليه وسلم

والمسلمون

الينا وفي رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا يا رسول الله خصلة بقيت قال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم وفي رواية في مسلم فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح الا بتيقن الموافقة وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم

﴿وفد بني عذرة﴾

قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة وسلموا سلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائل منهم نحن من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا ما أعرفني بكم أي لقيتم مكانا رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ثم قال فما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا ثم قالوا الام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وان تشهدوا أني رسول الله الى كافة الناس فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا وبشرهم رسول الله

والمسلمون وفي رواية قال سلمة بن الاكوع يا رسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن أخي عامر أحبط عمله وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا أحبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه وفي رواية انه لشهيد وفي لفظ انه لجاهد مجاهد وفي لفظ مات جاهدا مجاهدا والجاهد الجاد في أمره فلما قام بوصفين كان له أجران وقيل هو من باب جاد مجد وشعر شاعر فهو تأكيد وكون عامر أخا سلمة هو خلاف ما تقدم أنه عمه وهو الصحيح المشهور قال في النور ويمكن الجمع بأن يكون عمه من النسب وأخاه من الرضاعة أي وحينئذ يكون هذا محمل قول ابن الجوزي رحمه الله من الاخوة الذين حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر وسلمة ابنا الاكوع وفي فتح الباري عن بعض الصحابة فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

اذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له عامر رضي الله عنه يقول

قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه فذهب عامر يسفل لمرحب أي يضربه من أسفل فعاد سيفه على نفسه أي أصاب عين ركبة عامر فمات من ذلك الحديث وكون عامر ارتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي حدا به لا ينافي ما جاء أن البراء بن مالك كان حسن الصوت وكان يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أسفاره لان المراد في غالب أو في بعض أسفاره كما صرحت به بعض الروايات وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له أي للبراء اياك والقوارير وهو يدل على أنه كان يرتجز بنسائه صلى الله عليه وسلم وهو يخالف أن البراء كان حادي الرجال وأنجشة حادي النساء الا أن يقال جاز أن يكون البراء حدا للنساء في بعض الاسفار أو في بعض الاحيان وأنجشة كان في الغالب قال بعضهم كان أنجشة رضي الله تعالى عنه عبدا أسود وكان حسن الصوت بالحداء اذا حدا أعنقت الابل أي سارت العنق وأسرعت فلما حدا بأمهات المؤمنين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك رفقا بالقوارير ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر وكان وقت الصبح قال لاصحابه رضي الله عنهم قفوا ثم قال أي وفي لفظ قال لهم قولوا اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله أي وفي لفظ ادخلوا على بركة الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقولها لكل قرية دخلها أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا في رفع أصواتكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قال عبد الله بن قيس رضي الله عنه وكنت خلف دابته صلى الله عليه وسلم فسمعني أقول لا حول ولا قوة الا بالله

صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة لانهم قالوا له يا رسول الله ان فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال لا تسألوها عن شيء ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسا أحدهم بردا

﴿وفد بلي﴾

على وزن علي مكبرا وهم حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بلي منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة فنزلوا على رويفع ابن ثابت البلوي فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات منكم على غير الاسلام فهو في النار وفي رواية عن رويفع قال قدم وفد قومي فأنزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا فقال رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يا رسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حقا ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار وقال له أبو الضبيب يا رسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة قال يا رسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام قال فما بعد ذلك قال فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أي يضيق عليك وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للاثم بأن تتكلم بسيء القول

العلي العظيم فقال ياعبد الله بن قيس قلت لبيك يارسول الله قال ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يارسول الله فداك أبي وأمي قال لا حول ولا قوة الا بالله ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين أمره صلى الله عليه وسلم بأن أصحابه يرفعون أصواتهم بالتلبية وقد يقال المنهي عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذي ربما آذى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها كما تقدم فلا منافاة ولما أبصر صلى الله عليه وسلم عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم قالوا محمد والخميس أي الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة أقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وادبروا هرابا قال وذكر أنه كان بها عشرة آلاف مقاتل وانهم كانوا لا يظنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم حين بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم وهم يخرجون ويصطفون صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات وذكر أن عبد الله بن أبي ابن سلول أرسل اليهم يخبرهم بأن محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وأدخلوا أموالكم حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل فلما كانت الليلة التي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحتها بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فأصبحوا أي قاموا من نومهم وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم وغدوا الى أعمالهم معهم الفؤس ويقال لها الكرازين والمساحي ومعهم المكاتل أي وهي القفف الكثيرة فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا هاربين الى حصونهم اهـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أي وبذلك استدل على جواز الاقتباس من القرآن وانما قال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم التي هي الفؤس والمساحي تفاءل صلى الله عليه وسلم بأن حصونهم ستخرب أو أخذ ذلك من اسمها أو أن ذلك دعاء بلفظ الخبر قال الامام النووي رحمه الله والاصح أنه أعلمه الله بذلك ويوافقه ما في فتح الباري ويحتمل أن يكون قال ذلك بطريق الوحي ويؤيده قوله انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أي لانه نزل بساحتهم وهي في الاصل الفضاء بين الابنية وابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم بحصون النطاة قبل حصون الشق وقيل بحصون الكتيبة أي لانهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة وكان نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان الرأي تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأي فقال يارسول الله ان أهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمرة النخل أي النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأي اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد رضي الله عنه وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال رسول

قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال لك أو لأخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال ويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم

﴿وفد بني مرة﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة ورأسهم الحرث ابن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أين تركت أهلك قال بسلاح وما والاها قال فكيف البلاد قال والله انا لمسنتون وما في المال صوت يرده فادع الله لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجاز كل واحد بعشر أواق فضة وفضل الحرث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت بعد ذلك بلادهم

﴿وفد خولان﴾

وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الارض والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا ابدلنا الله ما جئت به وقد

الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول أي وفي لفظ ان راحلته صلى الله عليه وسلم قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وفي الاصل أنه نزل بذلك ليحول بين أهل خيبر وبين غطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا مخالفة بين هذه الروايات الثلاثة فليتأمل وابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر أي وأمر صلى الله عليه وسلم بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها قال قيل وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفي يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف أي ففي مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار وهو متوجه الى خيبر جاز أن يكون ركب ذلك الحمار في الطريق وحال القتال ركب ذلك الفرس انتهى (أقول) يرشد الى هذا الجمع قوله متوجه الى خيبر وظاهر هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم باشر القتال بنفسه وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال بنفسه الا في أحد ويبعد أن يكون باشر القتال بنفسه ولم يقتل أحدا اذ لو قتل أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعي الى نقله وقد يكون المراد بقولهم وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه أي قاتل جيشه ويدل لذلك ما في الامتاع وألح على حصن ناعم أي وهو من حصون النطاة بالرمي ويهود تقاتل ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال له الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة وفي يده قناة وترس وقد دفع صلى الله عليه وسلم لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما والله أعلم وفي ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب وقيل كنانة بن الربيع وقد يجمع بأنهما اجتمعا على ذلك وسيأتي ما يدل على أن قاتله غيرهما وقد يقال لا مانع من أن يكونوا أي الثلاثة تجمعوا على قتله أي فان محمود بن مسلمة رضي الله عنه كان قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحا فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه أي وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات رضي الله عنه من شدة الجراحة وجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا لقيتموه فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ثم الزموا الارض

بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد أصابتنا سنة مسنتة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قربانا في غداة واحدة وتركناها فأكلتها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرا أي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس يعنون الصنم ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أنزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وقالوا كنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الدين فأخبرهم بها وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصفا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم المسمى عم أنس

﴿وفد بني محارب﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم وقال له قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم فقال له ذلك الرجل انك والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك

بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال يارسول الله ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ
ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى جاء بى حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله

عز وجل فقال يارسول الله استغفرلى من مراجعتى اياك فقال رسول الله

جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا أى وفى سياق بعضهم مايدل على أنه صلى الله عليه وسلم مكث سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة رضى الله عنه للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان فاذا أمسى رجع صلى الله عليه وسلم الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان صلى الله عليه وسلم يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر به عمر رضى الله عنه أن يضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع صلى الله عليه وسلم كلام عمر فسلم وأدخله عليه فدخل باليهودى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى ماوراءك فقال تؤمننى ياأبا القاسم فقال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال ولعل المراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافى ماتقدم من انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة أوان ذلك المخبر أخبر بحسب مافهم أنهم يجعلون ذراريهم فى الشق والحال أنهم انما يذهبون ليجعلوا ذراريهم فى حصون الكتيبة فليتأمل وفى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لايعرفه غيرى وأخرى قيل ماهى قال يستخرج المنجنيق وينصب على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال ياأبا القاسم احقن دمى قال أنت آمن قال ولى زوجة فيهم الى قال هى لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال أنظرنى أياما ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لاعطين الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه وفى لفظ قال صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله لايولى الدبر يفتح الله عز وجل على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن من الصحابة رضى الله عنهم أحد له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا يرجوان يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال ماأحببت الامارة الا ذلك اليوم ولعل ذلك لاينافى ماجاء أن وفد ثقيف لما جاؤه صلى الله عليه وسلم قال لهم لتسلمن أو لابعثن اليكم رجلا منى وفى رواية مثل نفسى فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم قال عمر رضى الله عنه فوالله ماتمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت أنصب صدرى له صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول هو هذا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى على كرم الله وجهه فأخذ بيده وقال هو هذا هو هذا وقد يقال لايلزم من محبة الشئ تمنيه بخلاف العكس ففى هذه الغزاة أحب الامارة وما تمناها وفى وفد ثقيف انما تأخر عن هذه الغزاة تمناها لان الوصف فى ذلك أبلغ من الوصف هنا فليتأمل ويروى ان عليا كرم الله وجهه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم أى فى خيبر قال اللهم لامعطى لما منعت ولا مانع لما

صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ماقبله من الكفر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهليهم

وفد صداء

وهم حى من عرب اليمن وفد عليه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التى كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جئتك وافدا عمن ورائى فاردد الجيش وأنا لك بقومى فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد وخرج الصدائى الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون على فنزلوا عليه فأعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا الاسلام فيهم فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة فى حجة الوداع ويسمى ذلك الرجل الذى كان سببا فى رد الجيش ومجىء الوفد زياد بن الحرث الصدائى

وقال له صلى الله عليه وسلم ياأخا صداء انك لمطاع فى قومك قال فقلت بل من من الله عز وجل ومن رسوله وفى رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يارسول الله فكتب لى بذلك فقلت يارسول الله مر لى بشئ

من صدقاتهم قال نعم فكتب لى كتابا آخر قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أى
ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال أذن ياأخا صداء فأذنت على راحلتى ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع
فقال ياأخا صداء هل معك ماء قلت معى شئ فى اداوتى أى وهى اناء من جلد صغير

وفى رواية الاشئ قليل لايكفيك قال هاته

أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على كرم الله وجهه وكان أرمد شديد الرمد أى وكان قد تخلف فى المدينة ثم لحق بالقوم أى فقيل له انه يشتكى عينيه فقال صلى الله عليه وسلم من يأتينى به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم قد عصب عينيه فعقد له صلى الله عليه وسلم اللواء أى لواءه الابيض فعن ابن اسحق وابن سعد لم تكن الرايات الا يوم خيبر أى فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضى الله عنها تدعى العقاب وفى كلام المقريزى لما ذكر رتب الرياسة فى الجاهلية ذكر أن العقاب كان فى الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب وجاء الاسلام وهى عند أبى سفيان وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن أبى طلحة من بنى عبد الدار وفى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله وكانت له صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من غرة مخملة يقال لها العقاب وكان له راية صفراء ولواؤه أبيض دفعه الى على كرم الله وجهه وفيه ان ذلك اللواء يقال له العقاب وفى سيرة الدمياطى رحمه الله وكانت ألويته صلى الله عليه وسلم بيضا وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك العلم ولعل هذا اللواء الذى فيه الاسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أى بالسواد ولعله محمل قول بعضهم كان له صلى الله عليه وسلم لواء أغبر وربما كان من خز بعض نسائه ٥ فقال على كرم الله وجهه يارسول الله انى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فتفل صلى الله عليه وسلم وفى لفظ بصق فى عينيه أى بعد ان وضع رأسه فى حجره وفى لفظ فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع قال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى لفظ فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهى أن من طلب شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولم يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أى وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه حلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لاتقع الا على رأس من لايريدها اذ فى رواية عن على كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال على كرم الله وجهه فما وجدت بعد ذلك اليوم لاحرا ولا بردا أى فكان يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وقد يخالف ذلك ماحكاه بعضهم قال دخل رجل على على كرم الله وجهه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أى قطيفة خلقة فقال ياأمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال نصيبا وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لاأرزؤكم من مالكم وانها القطيفة التى خرجت بها من المدينة وقد يقال لامخالفة لانه يجوز أن تكون رعدته رضى الله عنه ليست من

فجئته به قال صب فصببت مافى الاداوة فى القعب أى وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرأيت من بين كل أصبعين عينا تفور ثم قال ياأخا صداء لولا انى أستحيى من ربى عز وجل لسقينا وأسقينا أى من غير نهاية ثم توضأ وقال أذن فى أصحابى من كانت له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يارسول الله انه آخذنا بكل شئ كان بيننا وبينه فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخير فى الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله أعطنى من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبى مرسل جزأها على ثمانية اجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هو صداع فى الرأس وداء فى البطن ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على رجل من قومك أستعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يارسول الله ان لنا بئرا اذا كان

الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز
وجل لنا فى بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولنى سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن الى وقال اذا انتهيت
اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة

وفد غسان

غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا

اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندرى هل يتبعنا قومنا أم لا لانهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا أعلموهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم ٤٢ ﴿وفد سلامان﴾ بفتح السين وتخفيف اللام وفى العرب بطون ثلاثة

ينسبون اليه بطن من الازد وبطن من طى وبطن من قضاعة ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم حبيب بن عمرو السلامانى فأسلموا قال حبيب رضى الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء قال حبيب قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اللهم اسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة واعتذر الينا بلال رضى الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

البرد خلاف ماظنه السائل لجواز أن تكون لحمى أصابته فى ذلك الوقت وقد أشار الى التفل صاحب الهمزية رضى الله تعالى عنه بقوله

وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

وفى قوله صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية اطلاق الراية على اللواء ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه خذ هذه الراية وتقدم أن الراية قد يطلق عليها اللواء هذا وفى كلام بعضهم ان أبا سفيان رضى الله عنه كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التى كانت لا يحبسها الا رئيس اذا حميت الحرب هذا كلامه فلعل تسمية رايته صلى الله عليه وسلم بالعقاب لكونها كذلك فقال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم يارسول الله قال أن يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفى رواية لما أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله علام أقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى أى حساب بواطنهم وسرائرهم على الله لانه المطلع وحده على ما فيها من ايمان خالص أو نفاق وكفر زاد فى رواية وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم أى تتصدق بها فى سبيل الله فقد جعل صلى الله عليه وسلم عصمة الدم بالنطق بالشهادتين لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك الصلاة ولا على ترك الزكاة ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما يجب عليهم وفى لفظ قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك أى وعن حذيفة رضى الله عنه لما تهيأ على كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على والذى نفسى بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة يا على انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغد أى برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفار وفى لفظ كرار غير فرار فدعا عليا كرم الله وجهه وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك أى ودعا له ولمن معه بالنصر وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار أى الذى هو سيفه فى وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج على كرم الله وجهه بها يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال على بن أبى طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما أنزل على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج منهم اليه الحرث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت على كرم الله وجهه فتضاربا فقتله على وانهزم اليهود الى الحصن

﴿وفد بنى عبس﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيأ وسألهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه بأنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه لكن ورد ليس بينى وبين عيسى نبى ويمكن الجمع بأن معنى هذا ليس بينى وبينه نبى مرسل فلا ينافى ان خالدا نبى غير مرسل ﴿وفد مزينة﴾ ٤٣ وهى قبيلة تنسب الى مزينة امرأة عمرو

ابن أد بن طابخة بن الياس بن مضر روى البيهقى عن النعمان ابن مقرن المزنى رضى الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة رجل (وفى رواية) غير النعمان ان فيهم رجالا من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم يارسول الله مالنا من طعام نتزوده فقال يا عمر زود القوم قال ما عندى ما أزودهم به الا شئ من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم فأدخلهم منزله ثم أصعدهم الى علية قال عمر رضى الله عنه فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فأخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت فى آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها وفى هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان التمر كان قليلا فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته وفى رواية وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه أى ننقصه

﴿وفد الاشعريين﴾

قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وهم منسوبون الى أشعر ابن أدد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم قيل وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبا وفيهم اياس ابن عمرو الحميرى فقالوا يارسول الله أتيناك لنتفقه فى الدين

الحصن ثم خرج اليه مرحب فحمل مرحب عليه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على كرم الله وجهه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده أى وراء ظهره ثمانين شبرا قال الراوى فجهدت أنا وسبعة نفر على ان نقلب ذلك الباب فلم نقدر قال بعضهم فى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر قال وقيل ولم يقدر على حمله أربعون رجلا وقيل سبعون وفى رواية ان عليا كرم الله وجهه لما انتهى الى باب الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا ان أعادوه مكانه وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية وفى بعضها قال الذهبى انه منكر وفى الامتاع وزعم بعضهم أن حمل على كرم الله وجهه الباب لا أصل له وانما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ وجاء أن مرحبا المار أى أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن فى سلاحه أى وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد نقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز ويقول من أبيات

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

ومعنى شاك السلاح تام السلاح ومعنى مجرب أى معروف بالشجاعة وقهر الفرسان ثم صار يقول هل من مبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا له يارسول الله أنا الموتور أى الذى قتل له قتيل فلم يؤخذ بثاره الثائر قتل أخى بالامس قال صلى الله عليه وسلم فقم اليه اللهم أعنه عليه فقتله محمد بن مسلمة رضى الله عنه أى فان مرحبا حمل على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت به وأمسكته فضربه محمد رضى الله عنه فقتله ويدل لذلك قول الامام المزنى رحمه الله فى المختصر ان النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر نفل محمد بن مسلمة سلب مرحب سيفه ورمحه ومغفره وبيضته ووجد على سيفه مكتوب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقيل القاتل له على كرم الله وجهه وبه جزم مسلم رحمه الله فى صحيحه قال بعضهم والاخبار متواترة به وقال ابن الاثير الصحيح الذى عليه أهل السير والحديث ان عليا كرم الله وجهه قاتله وفى الاستيعاب والصحيح الذى عليه أكثر أهل السير والحديث ان عليا قاتله ويروى ان عليا كرم الله وجهه ورضى عنه لما خرج اليه ارتجز بقوله

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * ضرغام آجام وليث قسوره

وقيل بدله * كليث غابات كريه المنظره * أى فان أم على كرم الله وجهه سمته أسدا باسم أبيها وكان أبوه أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك وسماه عليا أى ومن أسماء الاسد حيدرة والحيدرة الغليظ القوى وقيل لقب بذلك فى صغره لانه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ومن كان كذلك يقال له حيدرة ويقال ان ذلك كان كشفا من على كرم الله وجهه فان مرحبا كان رأى فى تلك الليلة فى المنام أن أسدا افترسه فذكره على كرم الله وجهه بذلك ليضيفه ويضعف نفسه ويروى ان عليا كرم الله وجهه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الاضراس والى ذلك يشير بعضهم

والمحققون على ان قدوم الاشعريين كان مع أبى موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع وهى سنة الوفود ولذا اجتمعوا مع بنى تميم روى يزيد بن هرون عن حميد عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه وروى الامام أحمد عن جبير بن

وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا

قد فؤادى فى الهوى قده * قد على فى الوغى مرحبا

أى وقد يجمع بين كون القاتل لمرحب عليا كرم الله وجهه وكون القاتل له محمد بن مسلمة بان محمد بن مسلمة أثبته أى بعد ان شق على كرم الله وجهه هامته لجواز أن يكون شق هامته ولم يثبته فأثبته محمد بن مسلمة ثم ان عليا كرم الله وجهه وقف عليه أى ويدل لذلك ما فى بعض السير عن الواقدى رحمه الله لما قطع محمد بن مسلمة ساقى مرحب قال له مرحب أجهز على فقال لا ذق الموت كما ذاقه أخى ومر به على كرم الله وجهه فضرب عنقه وأخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلبه فقال محمد يا رسول الله ما قطعت رجليه وتركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا ان أجهز عليه فقال على كرم الله وجهه صدق فأعطى سلبه لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه ولعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الاكوع لمرحب فلا ينافى ما مر عن فتح البارى ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر أى وهو يرتجز بقوله

قد علمت خيبر انى ياسر * شاكى السلاح بطل مغادر

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضى الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يقتل ابنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير رضى الله عنه أى وعند ذلك قال له صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبى حوارى وحوارى الزبير وذكر الزمخشرى ان هذه الواقعة للزبير كانت فى بنى قريظة حيث قال انه يعنى الزبير رضى الله عنه أول من استحق السلب وكان ذلك فى بنى قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب واحدى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه فليتأمل فانى لم أقف فى كلام أحد على ان بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفى رواية ان القاتل لياسر على ابن أبى طالب كرم الله وجهه أى ويمكن الجمع بمثل ما تقدم وكان شعار المسلمين أمت أمت وفى رواية يا منصور أمت أمت ومن جملة من قتل من المسلمين الاسود الراعى كان أجيرا لرجل من اليهود يرعى غنمه وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم أى وفى الامتاع اسمه يسار فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم وفى رواية انه قال ان أسلمت فالى قال الى الجنة فأسلم فقال يا رسول الله انى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفى لفظ انها أمانة وهى للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اضرب فى وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فأخذ حفنة من حصباء فرمى بها فى وجهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم رضى الله عنه الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر وفى رواية سهم غرب بفتح الراء والاضافة وبتسكين الراء بلا اضافة وهو ما لا

بعرف

مطعم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من فى الارض فقال رجل من الانصار الا نحن فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال الا نحن يا رسول الله قال الا أنتم ولما لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا وبايعوا فقال صلى الله عليه وسلم الاشعريون كصرة فيها مسك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين بالتشديد جمع فداد وهم من يعلو صوته وهم المكثرون من الابل أهل الوبر قبل مطلع الشمس وقوله الايمان يمان أى منسوب لاهل اليمن لان صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدى الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد وقال أبو عبيدة وغيره معناه ان مبدأ الايمان من مكة لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقيل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذى هو فيه يمانية وقيل المراد الانصار لانهم يمنيون فى الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره وقيل غير ذلك ومعنى الحديث وصف الذين جاؤا بقوة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على ان المخاطبين من الصحابة ليسوا كذلك ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن فى كل زمان والحديث يشمل من ينسب الى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد فى جهة اليمن رقاق القلوب والابدان بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والابدان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان نفرا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يا بنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله جئنا لنتفقه فى الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان

يعرف راميه فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم أعرضت عنه فقال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد فى لفظ لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا وفتح الله ذلك الحصن الذى هو حصن ناعم وهو أول حصن فتح من حصون النطاة على يد على كرم الله وجهه أى وعن عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بنى قمة أى وهى أول دار فتحت بخيبر وهى بالنطاة وهى منزل ياسر أخى مرحب وظاهر السياق أنها حصن ناعم ويروى ان عليا كرم الله وجهه لما فتح الحصن أخذ الرجل الذى قتل أخا محمد بن مسلمة وسلمه اليه فقتله وتقدم ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه قتل مرحبا لكونه قاتل أخيه على ما تقدم وسيأتى انه صلى الله عليه وسلم دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه وهذا يؤيد ما تقدم من أن الثلاثة أى مرحب وكنانة وذلك الرجل الذى سلمه على له اشتركوا فى قتل أخى محمد بن مسلمة قال وأصاب المسلمين رضى الله عنهم مجاعة وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول له صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال زيد بن حارثة أخو اسماء والله انى لارجو أن يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه صلى الله عليه وسلم اسماء وبلغه ما قالت اسلم فدعا لهم فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدى شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما ودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه وندب الناس وكان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل الى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر حصن أكثر طعاما منه أى من شعير وتمر وودك أى من سمن وزيت وشحم وماشية ومتاعا منه ولا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة فى وصف حصن ناعم من قولها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخره ولا ما تقدم من أنهم ادخلوا أموالهم حصون الكتيبة لانه يجوز أن يكون المراد بأموالهم النقود ونحوها دون ما ذكرهنا وكان فى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فقتله وخرج آخر مبارزا يقال له الديال فبرزله عمارة بن عقبة الغفارى رضى الله تعالى عنه فضربه على هامته فقتله وقال له خذها وأنا الغلام الغفارى فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد أى وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فحرض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب رضى الله تعالى عنه فانهزمت يهود وأغلقت الحصون عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر

عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قال الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يمان والحكمة يمانية وروى الطبرانى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعيينة بن حصن أى الرجال خير قال أهل نجد قال كذبت بل هم أهل اليمن الايمان يمان الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد دوس

وهم قوم أبى هريرة رضى الله عنه ينتهى نسبهم الى الازد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها قبل الهجرة فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا كثير الضيافة فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا من الكلام فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بى حتى عزمت أن لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت فى اذنى حين غدوت اليه كرسفا أى قطنا فرقا من أن يبلغنى شئ فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل أمى والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لاجل أن لا أسمع قولك ثم أبى الله الا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فرد الله كيدهم فى نحورهم وقلب مكرهم عليهم فاعرض على أمرك فعرض على رسول الله

صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن قال فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة
الحق وقلت يا رسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانى راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية فقال اللهم اجعل له
آية وفى رواية اللهم اجعل له نورا قال الطفيل فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين
عينى مثل المصباح فقلت اللهم فى
غير وجهى انى أخشى أن يقولوا
انها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى
دينهم فوقع فى رأس سوطى
فكان يضىء كالقنديل فى الليلة
المظلمة فكان الطفيل يسمى ذا
النور فرأى قومه ذلك النور وهو
مقبل عليهم قال فلما أصبحت فيهم
جاءنى أبى وكان شيخا كبيرا فقلت
اليك عنى يا أبت فلست منى
ولست منك قال ولم يا بنى قلت
أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله
عليه وسلم قال يا بنى فدينى دينك
قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر
ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت قال
فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء
فعرضت عليه الاسلام فأسلم ثم
أتتنى صاحبتى يعنى زوجته فقلت
لها اليك عنى فلست منى ولست
منك قالت ولم قلت فرق الاسلام
بينى وبينك أسلمت وتابعت محمدا
قالت فدينى دينك ثم أمرها
فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض
عليها الاسلام فأسلمت ثم دعا دوسا
الى الاسلام فأجابه أبو هريرة
رضى الله عنه وأبطأ الباقون قال
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة وقلت يا رسول الله قد غلبنى
على دوس الزنا أى حبهم له وعلمهم
بأنهم ان أسلموا منعوا منه فادع
الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اهد دوسا وائت بهم ثم قال
ارجع الى قومك فادعهم الى الله
وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم الى الله حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم قدمت على
النبى صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا وكانوا فى العدد أربعمائة ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم
بخيبر فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بأحسن الناس وجوها وأطيبهم أفواها أى كلاما وأعظمهم أمانة وروى البيهقى

والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيأ كثيرا ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أى لا تخرجوا به الى بلادكم وهذا دليل لما ذهب اليه امامنا
رضى الله تعالى عنه من ان للغانمين أخذ ما تمس الحاجة اليه من الطعام وما يؤكل غالبا من
الفواكه وعلف الدواب من الغنيمة بدار الحرب اذا كان الجيش بدار الحرب الى أن يصلوا الى غير
دار الحرب مما يباع ذلك فيه وليس لهم أخذ ما تندر الحاجة اليه كالفانيد والسكر ولا ينافى
ذلك ما ذكر هنا لانه يجوز أن يكون الاذن فى أكل مجموع ما ذكر * وفى السيرة الهشامية عن
عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال أصبت من فىء خيبر أى من غنيمتها جراب شحم
فاحتملته على عنقى الى رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها أى وهو أبو اليسر كعب بن
عمرو بن زيد الانصارى رضى الله تعالى عنه فأخذ بناصيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين
فقلت والله لا أعطيكه فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك
فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا أبا لك خل بينه وبينه فأرسله فانطلقت به الى رحلى
وأصحابى فأكلناه وفى الامتاع انهم وجدوا فى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب آلة حرب
دبابات ومنجنيقا أى وذلك موافق لما تقدم عن ذلك المخبر له صلى الله عليه وسلم بأن فى حصن فى
بيت منه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف ولعز وجود ذلك كان بدلالة ذلك
الرجل عليه ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم من أهله الى حصن قلة وهو حصن بقلة جبل أى
ويعبر عنه بقلعة الزبير رضى الله تعالى عنه أى الذى صار فى سهم الزبير بعد ذلك وهو آخر
حصون النطاة أى لحصون النطاة ثلاثة حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة فأقام
المسلمون على حصار هذا الحصن الذى هو حصن قلة ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود وقال له
صلى الله عليه وسلم يا أبا القاسم تؤمنى على أن أدلك على ما تستريح به فانك لو مكثت شهرا لا تقدر
على فتح هذا الحصن فان به دبولا وهى الانهار الصغيرة تحت الارض يخرجون ليلا فيشربون
منها فان قطعت عنهم شربهم أهلكتهم فأمنه صلى الله عليه وسلم وسار الى دبولهم فقطعها
فعند ذلك خرجوا وقاتلوا أشد القتال وفتح ذلك الحصن * ثم سار المسلمون الى حصار حصون
الشق بفتح الشين المعجمة وكسرها والفتح أعرف عند أهل اللغة فكان أول حصن بدأ به من
حصنى الشق حصن أبى فقاتل أهله قتالا شديدا وخرج رجل منهم يقال له غزول يدعو الى
البراز فبرز له الحباب رضى الله تعالى عنه وحمل عليه فقطع يده اليمنى ونصف الذراع فبادر
راجعا منهزما الى الحصن فتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فذفف عليه فخرج آخر مبارزا
فخرج له رجل من المسلمين فقتل ذلك الرجل وقام مكانه يدعو للبراز فخرج له أبو دجانة رضى الله
تعالى عنه فضربه أبو دجانة رضى الله تعالى عنه فقطع رجله ثم ذفف عليه وعند ذلك أحجمت يهود
عن البراز فكبر المسلمون وتحاملوا على الحصن ودخلوه يقدمهم أبو دجانة رضى الله تعالى عنه
فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البرىء
وهو الحصن الثانى من حصنى الشق فمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد رميا للمسلمين بالنبل
والحجارة حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به فأخذها صلى الله عليه

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى فقرأ فى
الركعة الاولى بسورة مريم وفى الاخيرة بويل للمطففين فلما قرأ اذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت تركت عمى له مكيالان اذا
اكتال اكتال بالاوفى واذا كال كال بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قادم
عليكم فقلت لا أسمع به فى مكان
أبدا الا جئته فتزودنا سباع وجئنا
خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو
محاصر الكتيبة فأقمنا حتى فتح
الله علينا فأسهم لنا مع المسلمين
ويروى ان الطفيل بن عمرو رضى
الله عنه قال لم أزل مع النبى صلى
الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه
مكة قلت يا رسول الله ابعثنى الى
صنم عمرو بن حممة يعنى صنم
دوس حتى أحرقه فبعثه فهدمه
ثم أوقد النار عليه وهو يقول
يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
انى حشوت النار فى فؤادكا
ثم رجع فكان مع المصطفى صلى
الله عليه وسلم حتى قبض فلما ارتدت
العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا
من قتال أهل الردة من أهل
اليمامة وغيرهم وكان وهو متوجه
الى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى
رؤيا فقال لاصحابه انى رأيت
رؤيا فاعبروها لى انى رأيت ان
رأسى قد حلق وانه خرج من فى
طائر ولقيتنى امرأة فأدخلتنى
فى فرجها وان ابنى يطلبنى طلبا
حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا
خيرا قال أما والله فقد أولتها قالوا
ماذا قال أما حلق رأسى فوضعه
وأما الطائر الذى خرج من فى
فروحى وأما المرأة التى أدخلتنى
فى فرجها فالارض تحفر لى فأغيب
فيها وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه
عنى فانى أراه سيجهد ان يصيبه ما أصابنى فاستشهد الطفيل باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفى منها ثم استشهد عام اليرموك
زمن عمر رضى الله عنهم وقال بعض أهل المغازى ان الطفيل استشهد باليرموك وجزم بهذا ابن حبان وقال موسى بن عقبة انه
استشهد باجنادين وأخرج البغوى عن الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه قال أقرأنى أبى بن كعب القرآن فأهديت له قوسا

وسلم كفا من حصباء فحصب به ذلك الحصن فرجف بهم ثم ساخ فى الارض وأخذ المسلمون من
فيه أخذا ذريعا أى لحصون الشق اثنان حصن أبى وحصن البرىء وحينئذ يتأمل فى قول
الحافظ الدمياطى فى سيرته والشق وبه حصون منها حصن أبى وحصن البرىء (أقول) وفى
الامتاع أنهم وجدوا فى حصن الصعب الذى هو أحد حصون النطاة منجنيقا أى كما أخبر
بذلك اليهودى الذى جاء به عمر رضى الله تعالى عنه وأدخله عليه صلى الله عليه وسلم وأمنه كما
تقدم وانهم نصبوا المنجنيق الذى وجدوه فى حصن الصعب على هذا الحصن الذى هو حصن
البرىء من حصون الشق أى وهو يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا فى غزوة الطائف
الا أن يقال يجوز أن يكون المراد بعدم نصبه أنه لم يرم به الا فى غزوة الطائف وأما هنا فنصب
ولم يرم به فلا مخالفة ووجدوا فى هذا الحصن آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل فيها
وتشرب فقال صلى الله عليه وسلم اغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا وفى رواية سخنوا فيها
الماء ثم اطبخوا بعد وكلوا واشربوا وحكمة تسخين الماء فيها لا تخفى وهى أن الماء الحار أقوى
فى النظافة واخراج الدسومة والله أعلم ثم ان المسلمين لما أخذوا حصون النطاة وحصون الشق
انهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة وهى ثلاثة حصون القموص
كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان أعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا
حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على كرم الله وجهه ومنه سبيت صفية رضى
الله تعالى عنها كما قاله الحافظ ابن حجر قال وقيل كان اسمها قبل أن تسبى زينب فلما صارت من
الصفى سميت صفية والصفى ما كان يصطفيه صلى الله عليه وسلم لنفسه من الغنيمة قبل أن
تقسم على ما تقدم وكان فى الجاهلية لامير الجيش ربع الغنيمة ومن ثم قيل له المرباع قال
السهيلى رحمه الله كانت أموال النبى صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه من الصفى والهدية
وخمس الخمس هذا كلامه ولا يخفى أنه يزاد على ذلك الفىء * وانتهى المسلمون الى حصار الوطيح
بالحاء المهملة مأخوذ من الوطح وهو فى الاصل ما تعلق بمخالب الطير من الطين سمى الوطيح
باسم الوطيح بن مازن رجل من ثمود وحصن سلالم ويقال له السلاليم وهو حصن بنى الحقيق آخر
حصون خيبر ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهما فهم صلى الله عليه وسلم
أن يجعل عليهم أى على من فيهما المنجنيق أى ينصبه عليهم ولم يرم به فلما أيقنوا بالهلكة سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من
خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب واحد منهم الا ثوب واحد على ظهره وفى لفظ وتركوا
ما لهم من مال وأرض من الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فصالحهم
على ذلك وعلى أن ذمة الله ورسوله بريئة منهم أن يكتموه شيأ من متاعهم يسألهم عنه فعلم أن
حصون خيبر فتحت عنوة الا الحصنين المذكورين وهما الوطيح وسلالم فانهما لم يفتحا عنوة بل
صلحا فكانا فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على أنهم لم يقاتلوا فى حال حصارهم
لان الفىء ما جلوا عنه من غير مقاتلة كذا قيل وظاهر اطلاق قول الروضة من الفىء ما صولح
عليه أهل بلد من الكفار أنه وان كان بعد محاصرتهم ومقاتلتهم للمسلمين فى حال حصارهم

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد طارق بن عبد الله المحاربى رضى الله عنه﴾

روى البيهقى عن جامع بن شداد المحاربى قال حدثنى رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربى قال انى لقائم بسوق ذى المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب اذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا قالوا غلام من بنى هاشم يزعم أنه رسول الله قلت من هذا الذى يفعل به هذا الاذى قالوا عمه عبد العزى أبو لهب قال فلما أسلم الناس وهاجر واخرجنا من الربذة وهى موضع معروف به قبر أبى ذر رضى الله عنه نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل فى طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال طارق بن عبد الله ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال أتبيعونى جملكم هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق به فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا فعرضناه للضياع قال طارق فقالت المرأة التى معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم وفى رواية قالت الظعينة فلا تلاوموا أى لا يلم بعضكم بعضا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيأ أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشى أتانا رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم هذا تمركم الذى بعتم به جملكم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا أى فلا تسامحوا فى الكيل فى مقابلة أكلكم قال فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا أى واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك فأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك فقام رجل من

برمى الحجارة أو النبل وفى فتح البارى نقلا عن ابن عبد البر أنه جزم بأن حصون خيبر فتحت عنوة وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال هذا كلامه فليتأمل فان بالقتال يخرج عن كونه فيأ ولعل المراد قتال بالنبل ورمى بالحجارة والا فقد تقدم أنه لم يخرج منهما أحد للمقاتلة فليتأمل فان كلامه يقتضى ان بالحصار و بالقتال بنحو النبل يخرج ذلك عن كونه فيأ له صلى الله عليه وسلم ويكون غنيمة ولعله مذهب المالكية الذى هو مذهب ابن عبد البر رحمه الله تعالى وفى الاصل عن ابن شهاب رحمه الله أنه قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال هذا كلامه فظاهره ان القتال وقع من الذين جلوا فى حال حصارهم والا فقد علمت أن الذين جلوا لم يخرج أحد منهم للقتال فى حال حصارهم وسيأتى ما يصرح بان ما جلوا عنه فىء لا غنيمة * ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها أى ووجدوا فى أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم وهو يخالف ما قاله أئمتنا ان كتبهم التى يحرم الانتفاع بها لكونها مبدلة تمحى ان أمكن أو تخرق وتجعل فى الغنيمة فتباع الا أن يدعى أن تلك الصحف لم تكن مبدلة وغيبوا الجلد الذى كان فيه حلى بنى النضير أى وعقود الدر والجوهر الذى جلوا به لانهم لما جلوا كان سلام بن أبى الحقيق رافعا له ليراه الناس وهو يقول باعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها كما تقدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعية بن عمرو أى وهو عم حيى بن أخطب وفى لفظ سعية بن سلام بن أبى الحقيق وفى الامتاع وسأل صلى الله عليه وسلم كنانة بن أبى الحقيق اين مسك أى جلد حيى بن أخطب أى وانما نسب اليه الجلد المذكور فقيل كنز حيى لان حييا كان عظيم بنى النضير والا فهو لا يكون الا عند بنى الحقيق فقال أذهبته الحروب والنفقات فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية بن عمرو للزبير رضى الله تعالى عنه فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف فى خربة ههنا فذهبوا الى الخربة ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وهو زوج صفية تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم وبالربيع أخوه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين آنيتكما التى كنتم تعيرونها أهل مكة أى لان أعيان مكة اذا كان لاحدهم عرس يرسلون فيستعيرون من ذلك الحلى انتهى أى والآنية والكنز عبارة عن حلى كان أولا فى جلد شاة ثم كان لكثرته فى جلد ثور ثم كان لكثرته فى جلد بعير كما تقدم فقالا أذهبته النفقات والحروب فقال صلى الله عليه وسلم العهد قريب والمال أكثر من ذلك انكما ان كتمتمانى شيأ فاطلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما فقالا نعم فاخبره الله بموضع ذلك الحلى أى فانه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار اذهب الى محل كذا وكذا ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو قال عن يسارك مرفوعة فائتنى بما فيها فانطلق فجاءه بالآنية ويمكن الجمع بين هذا وما تقدم وما يأتى أنهم فتشوا عليه فى خربة حتى وجدوه بان التفتيش كان فى أول الامر واعلام الله تعالى له بذلك كان بعد فجىء به فقوم بعشرة آلاف دينار

الانصار فقال يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذ لنا بثأرنا فرفع صلى الله عليه وسلم يده حتى رأيت بياض ابطه فقال لا تجنى أم على ولد مرتين وأسلم القوم على يديه صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى أهلهم والله أعلم

﴿وفد بهراء﴾

بالمد قبيلة من قضاعة روى الواقدى عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أمى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن فى منازل الانصار خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس وهو تمر يعجن بسمن وأقط فأكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شئ فجمع فى قصعة صغيرة فأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاة ضباعة وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فأصاب منها هو ومن معه فى البيت حتى نهلوا ثم قال اذهبى بما بقى الى ضيفكم فرجعت بها فأكل منها الضيف ما أقاموا أى مدة اقامتهم يرددون ذلك عليهم وما تنقص فجعلوا يقولون للمقداد يا أبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا فى الحين فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أكل منها وردها فان هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذى أراد صلى الله عليه وسلم فأظهروا الاسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهلهم باليمن

﴿وفد غامد﴾

قبيلة من الازد باليمن * قدم عليه صلى الله عليه وسلم سنة عشر عشرة من غامد فنزلوا فى بقيع الغرقد وفيه يومئذ اثل وطرفاء ثم انطلقوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وخلفوا أصغرهم فى رحالهم فأقروا بالاسلام وسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من خلفتم فى رحالكم قالوا أحدثنا سنا قال فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت

أى لانه وجد فيه أساور ودمالج وخلاخيل وأقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجوهر والزمرذ وعقود أظفار مجزع بالذهب فضرب أعناقهما وسبى أهلهما أى وفى لفظ آخر لما فتحت خيبر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وفى لفظ ابن ربيعة بن أبى الحقيق وكان عنده كنز بنى النضير فسأله صلى الله عليه وسلم عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة أى فان كنانة حين رأى النبى صلى الله عليه وسلم فتح حصن النطاة وتيقن ظهوره عليهم دفنه فى خربة أى وفيه أن هذا لا يناسب ما سبق من ان حييا كان يطيف بتلك الخربة الا أن يقال جاز أن يكون دفنه فى تلك الخربة فى محل آخر غير الذى دفنه فيه حيى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدته عندك أقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به الزبير رضى الله تعالى عنه فقال عذبه حتى نستأصل ما عنده فكان الزبير رضى الله تعالى عنه يقدح بزند أى بالزناد الذى يستخرج به النار على صدره حتى أشرف على نفسه وأخذ منه جواز العقوبة لمن يتهم ليقر بالحق فهو من السياسة الشرعية ثم دفعه صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه فضرب عنقه بأخيه محمود أى ولا مانع أن يكون السؤال وتعذيب الزبير وقع لسعية وكنانة أيضا * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم أى التى غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منها صفية رضى الله تعالى عنها ابنة حيى ابن أخطب من سبط هرون بن عمران أخى موسى عليهما الصلاة والسلام فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وجعلها عند أم سليم التى هى أم أنس خادمه صلى الله عليه وسلم حتى اهتدت وأسلمت ثم أعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وجعل عتقها صداقها أى أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا فى الحال ولا فى المآل أى لم يجعل لها شيأ غير العتق وقد سئل أنس رضى الله تعالى عنه عن صفية فقيل له يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها وهذا يرد ما استدل به بعض فقهائنا على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نكاح الامة الكتابية وجواز وطئها بملك اليمين من أنه صلى الله عليه وسلم كان يطأ صفية قبل اسلامها بملك اليمين ويرد أيضا على من استدل من فقهائنا على استحباب الوليمة للسرية بأنه صلى الله عليه وسلم أولم على صفية كما علمت أنها زوجة لا سرية أى لكن ذكر بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم لما أولم على صفية رضى الله تعالى عنها قالوا ان لم يحجبها فهى أم ولد وان حجبها فهى امرأته وذلك دليل على استحباب الوليمة للسرية اذ لو اختصت بالزوجة لم يترددوا فى كونها زوجة أو سرية وذلك بعد أن خيرها صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجع الى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه فقالت أختار الله ورسوله وذكر فى الاصل ان جعل عتق الامة صداقها من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وذهب الامام أحمد رحمه الله الى عدم الخصوصية وقال ابن حبان لم ينقل دليل على أنه خاص به صلى الله عليه وسلم دون أمته وقيل ان دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه

فاخذ عيبة أحدكم فقال أحدهم مالاحد عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردت الى موضعها فرجعوا حتى
أتوا رحلهم فسألوا الذى خلفوه فقال فزعت من نومى ففقدت العيبة فقمت فى طلبها فاذا رجل كان قاعدا فثار يعدو منى فانتهيت
الى حيث ينتهى فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا خبرها وانها قد
ردت فرجعوا وأخبروه صلى الله عليه وسلم وجاء الغلام الذى خلفوه فأسلم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب أن يعلمهم قرآنا ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى بلادهم

﴿وفد الازد﴾

قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من الازد ينسبون الى جدهم الاعلى وهو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان روى أبو نعيم عن سويد ابن الحرث الازدى رضى الله عنه قال وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما أنتم أى ما صفتكم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره شيأ منها فنتركه فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تعملوا بها قلنا أمرتنا أن نقول
لا اله الا الله أى مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال فقال
وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك
الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أى هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ثم قال وأنا أزيدكم خمسا

وسلم صفية فوهبها له وقيل وقعت فى سهمه رضى الله تعالى عنه ثم ابتاعها صلى الله عليه وسلم منه
بتسعة أرؤس أو الاطلاق الشراء فى ذلك على سبيل المجاز على أنه يخالف ما تقدم أنها من صفيه
صلى الله عليه وسلم قبل القسمة وفى البخارى فجمع السبى فجاء دحية رضى الله تعالى عنه فقال
يانبى الله أعطنى جارية من السبى فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح
الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى
غيرها أى فاخذ غيرها أى والتى أخذها غيرها هى أخت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق زوج
صفية كما فى الام لامامنا الشافعى رضى الله عنه عن سيرة الواقدى وقول الرجل للنبى صلى الله
عليه وسلم يانبى الله أعطيت دحية صفية يدل على أنه أعطاها وحينئذ يخالف ما قيل ان اسمها
زينب فسماها صلى الله عليه وسلم صفية كما تقدم وفى رواية ان صفية سبيت هى وبنت عم
لها وان بلالا جاء بهما فمر على قتلى يهود فلما رأتهم بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت
التراب على رأسها فلما رآها صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عنى هذه الشيطانة وقال صلى الله عليه
وسلم لبلال انزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ثم دفع صلى الله عليه
وسلم بنت عمها الى دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه وفى رواية وأعطى دحية بنتى عمها عوضا عنها
أى وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل بصفية رأى بأعلى عينها خضرة فقال ما هذه الخضرة
قالت كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق تعنى زوجها أى وهو عروس وأنا نائمة فرأيت كأن
القمر وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطمنى وقال تمنى ملك العرب وفى لفظ حين نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيبر وكانت عروسا رأت كأن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصت
ذلك على زوجها فقال والله ما تمنين الا هذا الملك الذى نزل بنا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها
منها ولا مانع من تعدد الرؤية أو انها رأت الشمس والقمر فى وقت واحد وسيأتى فى الكلام
على زوجاته صلى الله عليه وسلم أنها قصت ذلك على أبيها ففعل بها ذلك وسيأتى أنه لا مانع من تعدد
الوقعة وان ما فعله بها ذلك وتقدم عن جويرية رضى الله تعالى عنها أنها رأت القمر أيضا وقع فى حجرها
وكون صفية رضى الله تعالى عنها كانت عروسا عند مجيئه صلى الله عليه وسلم خيبر ربما يدل
على ان سلام بن مشكم طلقها قبل الدخول بها فقد تقدم ان كنانة تزوجها بعد أن طلقها سلام
ابن مشكم فليتأمل • وعن صفية رضى الله تعالى عنها أنها قالت انتهيت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما من الناس أحد أكره الى منه قتل أبى وزوجى وقومى فقال صلى الله عليه وسلم
ياصفية أما انى اعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا فى كذا وكذا وقالوا فى كذا وكذا
وفى رواية ان قومك صنعوا كذا وكذا وما زال صلى الله عليه وسلم يعتذر الى حتى ذهب ذلك
من نفسى فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب الى منه صلى الله عليه وسلم وأعرس بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان طهرت من الحيض فى قبة بعد ان دفعها صلى الله عليه وسلم
لام سليم لتصلح من شأنها وبات تلك الليلة أبو أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه متوشحا سيفه
يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى مكان أبى أيوب

فتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون أى متصفين بالخمس عشرة التى ذكرتم فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون
ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون
فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقا من الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم

﴿وفد بنى المنتفق﴾

وهى قبيلة من عامر بن صعصعة قدم عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى المنتفق وفيهم لقيط ابن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أى الصبح فقام فى الناس خطيبا فلما فرغ قلت يارسول الله علام نبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشركوا بالله شيأ قال قلت يارسول الله وان لنا ما بين المشرق والمغرب فقال تحل منها حيث شئت ولا يجنى عليك الا نفسك فلما انصرفنا عنه قال انهم من أتقى الناس لله فى الدنيا والآخرة فقال له بعض أصحابه من هم يارسول الله قال بنو المنتفق قالها ثلاثا

﴿وفد النخع﴾

بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى والاسفع الذى سواده مشرب
بحمرة والاحوى الذى ليس شديد السواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك أمة مصرة على حمل قال نعم قال فانها
قد ولدت غلاما وهو ابنك فقال يارسول الله فما له أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذى
بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذلك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه

فقال مالك يا أبا أيوب قال يارسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت اباها وزوجها وقومها
وهى حديثة عهد بكفر فبت أحفظك فقال اللهم احفظ ابا أيوب كما بات يحفظنى قال السهيلى
رحمه الله فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستشفون به فيستصحون
أى ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية
مات أبو أيوب رضى الله تعالى عنه هنالك فاوصى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة
الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا امكانا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم
فاخبروهم أنه كبير من أكابر الصحابة فقالت الروم ليزيد ما أحمقك وأحمق من ارسلك أأمنت
ان ننبشه بعدك فنحرق عظامه فخاف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بارض العرب
وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا أى وجاء أنه صلى
الله عليه وسلم لما قطع ستة أميال من خيبر وأراد أن يعرس بها فابت فوجد النبى صلى الله عليه
وسلم فى نفسه فلما سار ووصل الصهباء مال الى دومة هنالك فطاوعته فقال لها ما حملك على ابائك
حين أردت المنزل الاول قالت يارسول الله خشيت عليك قرب يهود وهذا المحل الذى هو الصهباء
هو الذى ردت فيه الشمس لعلى بعد ما غربت كما تقدم وأقام صلى الله عليه وسلم بذلك المحل ثلاثة
أيام وجعل وليمتها حيسا فى نطع صغير والحيس تمر واقط وسمن أى ففى البخارى فاصبح النبى
صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر
وجعل الرجل يجئ بالسمن أى وجعل الرجل يجئ بالاقط وذكر أيضا السويق ولا يخفى ان
الحيس خلط السمن والتمر والاقط الا أنه قد يخلط مع هذه الثلاثة السويق وهذا يدل
على أن الوليمة على صفية رضى الله تعالى عنها كانت نهارا وذهب ابن الصلاح من أئمتنا الى أن
الافضل فعلها ليلا قال بعضهم وهو متجه ان ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعلها ليلا أى لاحد
من نسائه وقد جاء لابد للعرس من وليمة وقال لانس آذن من حولك أى ليأكلوا من ذلك وكان
صلى الله عليه وسلم يضع لها ركبته لتركب فتضع رجلها على ركبته الشريفة حتى تركب وفى لفظ
لما وضع صلى الله عليه وسلم ركبته لتركب عليها أبت أن تضع قدمها على ركبته الشريفة
ووضعت فخذها على ركبته أى ولعل هذا الثانى منها كان فى أول الامر فلا مخالفة وعن صفية
رضى الله تعالى عنها ما رأيت أحدا قط أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته
ركب بى فى خيبر وأنا على عجز ناقته ليلا فجعلت أنعس فتضرب رأسى مؤخرة الرحل فيمسنى
بيده ويقول يا هذه مهلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن اتيان الحبالى من النساء اللاتى سبين
وان لا يصيب أحد امرأة من السبى غير حامل حتى يستبرئها أى تحيض أى وفى لفظ أمر صلى
الله عليه وسلم مناديه ينادى ان من آمن بالله واليوم الآخر لا يسق بمائه زرع الغير ولا يطأ
امرأة حتى تنقضى عدتها أى حتى تحيض وبلغه صلى الله عليه وسلم عن شخص انه ألم بامرأة من
السبى حبلى فقال لقد هممت ان ألعنه لعنة تدخل معه فى قبره ونهى صلى الله عليه وسلم عن أكل
الثوم ورأيت فى كلام بعضهم ان غالب اقتياتهم فى خيبر كان أكل الثوم والكراث حتى تقرحت
اشداقهم أى وذلك قبل النهى ثم رأيت فى الترغيب والترهيب عن أبى ثعلبة انه غزا مع رسول

قرطان والقرط مايكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بفتح الميم والسين المهملة قال ذلك
ملك العرب يرجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أى يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من
الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى
لظى بصير وأعمى أطعمونى
آكلكم وأهلكم ومالكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك فتنة تكون فى آخر الزمان
قال يارسول الله وما الفتنة قال
يقتل الناس امامهم ويشتجرون
اشتجار اطباق الرأس أى
يشتبكون فى الفتنة اشتباك
اطباق الرأس وخالف رسول الله
بين أصابعه يحسب المسىء فيها
أنه محسن ويكون دم المؤمن عند
المؤمن أسهل وفى رواية أحلى
من شرب الماء وان مات ابنك
أدركت الفتنة وان مت أنت
أدركها ابنك قال يارسول الله
ادع الله انى لا أدركها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم
لاتدركها اياه فمات وبقى ابنه
عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه
وسلم فهو تابعى وكان ممن خلع
عثمان رضى الله عنه وفى رواية
أن النخع بعثوا رجلين أرطاة بن
شرحبيل من بنى حارثة والارقم
من بنى بكر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم باسلامهم فلما قدما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرض عليهما الاسلام فقبلاه
فبايعاه على قومهما وأعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم
شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما
خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما
قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا
من قومنا سبعين رجلا كلهم
أفضل مناوكلهم يقطع الامر وينفذ من الاشياء مايشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير صلى
وقال اللهم بارك فى النخع وعقد لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ لكن قوله وكان فى
يده يوم الفتح لايناسب ماتقدم ان وفد النخع كان قدومه فى المحرم سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود النخع والله

الله صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدوا فى جنانها بصلا وثوما فأكلوا منه وهم جياع فلما راح الناس
الى المسجد اذا ريح بصل وثوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا
يقربنا وليس فى ذلك نهى عن أكل الثوم والبصل أى مطلقا انما النهى عن اتيان المسجد لمن أكلهما
تأمل ومن ثم جاء انه لما قال ذلك صلى الله عليه وسلم قال الناس حرم ذلك فلما بلغه صلى الله عليه
وسلم ماقالوا قال أيها الناس انه ليس انا تحريم ما أحل الله ولكنها شجرة أكره ريحها وعن فرقد
السبخى ما أكل نبى قط ثوما ولا بصلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء ففى مسلم عن على
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر قال بعضهم والراجح
ان النهى عن متعة النساء لم يكن فى خيبر فانه شىء لم يعرفه أهل السير ولا رواه أهل الاثر ويدل
لذلك ماقيل ان ثنية الوداع انما سميت بذلك لانهم فيها ودعوا النساء اللاتى تمتعوا بهن فى خيبر
أى وانما كان تحريمها عام الفتح أى ولامعارضة لانه أحل بعد ذلك أى بعد خيبر فى عام الفتح
ثم حرم فيه بعد ثلاثة أيام كما سيأتى وقيل حرمت فى حجة الوداع وقيل فى غزوة أوطاس وهذا هو
الصحيح وسيأتى فى غزوة الفتح الجمع بين هذه الاقول قال السهيلى رحمه الله وأغرب ماروى
فى ذلك رواية من قال ان ذلك كان فى غزوة تبوك وفى حديث خرجه أبو داود ان تحريم نكاح
المتعة كان فى حجة الوداع ومن قال من الرواة انه كان فى غزوة أوطاس فهو موافق لمن يقول
انه كان عام الفتح هذا كلامه وعن امامنا الشافعى رضى الله عنه لا أعلم شيأ حرم ثم أبيح ثم حرم
الا المتعة أى فقد حرمت مرتين ونقل السهيلى رحمه الله وغيره عن بعضهم انها أبيحت وحرمت
ثلاث مرات وعن بعضهم انها أبيحت وحرمت أربع مرات ولينظر هذا مع قول بعضهم ان أول
من حرم المتعة سيدنا عمر رضى الله عنه وقيل لم يحرمها صلى الله عليه وسلم مطلقا بل عند
الاستغناء عنها وأباحها عند الحاجة اليها أى عند خوف الزنا وبذلك كان يفتى ابن عباس رضى
الله عنهما وفى كلام فقهائنا والنهى عن نكاح المتعة فى خبر الصحيحين الذى لو بلغ ابن عباس
رضى الله عنهما لم يستمر على القول باباحتها لمن خاف الزنا مخالفا فى ذلك لكافة العلماء وقد وقعت
مناظرة فى المتعة بين القاضى يحيى بن أكثم وأمير المؤمنين المأمون فان المأمون نادى باباحة
المتعة فدخل عليه يحيى بن أكثم وهو متغير اللون بسبب ذلك وجلس عنده فقال له المأمون
مالى أراك متغيرا قال لما حدث فى الاسلام قال وما حدث قال النداء بتحليل الزنا قال المتعة زنا
قال نعم المتعة زنا قال ومن أين لك هذا قال من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما الكتاب فقد قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله والذين لفروجهم حافظون الا على
أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون
يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال أفهى الزوجة التى عند الله ترث وتورث ويلحق
بها الولد قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين واما السنة فقد روى الزهرى بسنده
الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنادى بالنهى
عن المتعة وتحريمها بعد ان كان امر بها فالتفت المأمون للحاضرين وقال اتحفظون هذا
من حديث الزهرى قالوا نعم يا أمير المؤمنين فقال المأمون استغفر الله نادوا بتحريم المتعة ونهى

سبحانه وتعالى أعلم ﴿باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم﴾ التى أرسلها الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام أى فى الغالب والا فبعضها
ماليس كذلك ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أى ليكون
فى ذلك اشعار بأن الاحوال المعروضة عليهم ينبغى أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح اذا كان الختم
عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو
شمع ويختم فوق ذلك والظاهر
أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون
الغرض من ذلك أمن التزوير
لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله
عليه وسلم خاتما من فضة أى بعد
أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى
به ذو واليسار من أصحابه فصنعوا
خواتيم من ذهب ولما لبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس
أصحابه خواتيمهم فأخبره جبريل
عليه السلام من الغد بأن لبس
الذهب حرام على ذكور أمتك
فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الخاتم فطرح أصحابه
خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة
ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول
سطر والله سطر والاسطر الثلاثة
تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد
آخر الاسطر ورسول فى الوسط
والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة
لتكون على الاستواء اذا ختم بها
فكان ذلك الخاتم فى يده صلى الله
عليه وسلم ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد
عمر ثم فى يد عثمان رضى الله عنهم
حتى وقع فى بئر أريس فى السنة
التى توفى فيها عثمان رضى الله عنه
فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه
واختلفت الروايات فى موضع
الخاتم من يده صلى الله عليه وسلم
فقيل فى خنصر اليسار وهو
المروى عن عامة الصحابة وقيل
فى خنصر اليمين وهو المروى عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وجمع البغوى بأن النبى صلى الله عليه
وسلم فعل كلا من الامرين تختم فى يمينه وفى يساره لكن قال التختم فى اليسار كان آخر الامرين وروى أشعب الطامع عن
عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى اليمين قال الامام النووى التختم فى اليمين

صلى الله عليه وسلم فى خيبر عن لحوم الحمر الاهلية أى فانهم اصابهم جوع فوجدوا الحمر الاهلية
أى ثلاثين حمارا خرجت من بعض الحصون وقيل لم يدخلوها الحصون فأخذها رهط من
المسلمين وذبحوها وجعلوا لحومها فى القدور والبرام وجعلوا يطبخونها اذ أكل فربهم النبى صلى
الله عليه وسلم فسألهم عما فى القدور والبرام قالوا لحوم الحمر الانسية أى المخالطة للانس فنهاهم
صلى الله عليه وسلم عن اكلها حتى ان القدور أكفئت وانها لتفور أى وفى البخارى ان النبى صلى
الله عليه وسلم رأى نيرانا توقد يوم خيبر قال علام توقد هذه النيران قالوا على الحمر الانسية
قال اكسروها وأهريقوها قالوا ألا نهريقها ونغسلها قال اغسلوا وفى رواية أنه صلى الله عليه
وسلم قال ماهذه النيران على أى شىء توقد قالوا على لحم قال على أى لحم قالوا على لحم حمر انسية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله أونهريقها
ونغسلها فقال أو ذاك وعدوله صلى الله عليه وسلم الى هذا الثانى اما باجتهاد أو وحى وجاء انه صلى
الله عليه وسلم عند ذلك أمر عبد الله بن عوف ان ينادى فى الناس ان لحوم الحمر الاهلية لاتحل
لمن يشهد أن محمدا رسول الله وأمر أن تكفأ القدور ولا يأكلوا من لحوم القدور شيأ وفى مسلم
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طلحة فنادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم
عن لحوم الحمر الاهلية فانها رجس أو نجس وهذا السياق كله يدل على انهم لم يأكلوا منها شيأ
(وفى السيرة الهشامية) وأكل المسلمون من لحوم الحمر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى
الناس عن أمور سماها لهم وهذا يرد القول بأنه انما نهى عن اكلها للحاجة اليها أو لانها أخذت
قبل القسمة وروى أبو داود باسناد على شرط مسلم عن جابر رضى الله عنه ذبحنا يوم خيبر الخيل
والبغال ولم ينهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيل وفى رواية ورخص فى أكل الخيل أى
أباح اكلها وفى مسلم عن أسماء رضى الله عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأكلناه أى وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولم ينكره وعن خالد بن الوليد رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل قال
السهيلى رحمه الله وحديث الاباحة أصح وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحم
الجلالة وعن ركوبها حتى تعلف اربعين يوما والجلالة التى تأكل الجلة وهى الروث والعذرة
وذكر الهروى انه صلى الله عليه وسلم كان لايأكل الدجاج الجلالة حتى تقصر أى تحبس ثلاثة
أيام وذكر فقهاؤنا ان الحمر الاهلية حلت بعد تحريمها ثم حرمت فليتأمل ونهى صلى الله عليه
وسلم عن أكل كل ذى ناب من السباع أى وذى مخلب من الطير وعن بيع المغانم حتى تقسم
وجعلت له صلى الله عليه وسلم مائدة فأكل متكئا واطلى بالنورة وكان ينوره الرجل فاذا بلغ
عانته تولى ذلك صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وروى ابن ماجه بسند جيد كما قاله الحافظ
ابن كثير انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدأ بعورته فطلاها وطلى سائر جسده اهله وحينئذ
يكون المراد بعانته فى الرواية السابقة العورة على ان تلك الرواية مرسلة فلا يحتج بذلك
لمن يقول ان العورة ماعدا السوأتين وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها انها قالت
اطلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنورة فلما فرغ منها قال يامعشر المسلمين عليكم بالنورة فانها

أو اليسار كلاهما صح نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم لكنه فى اليمين أفضل لانه زينة واليمين به أولى ونقل ابن أبى حاتم عن أبى زرعة انه صلى الله عليه وسلم كان فى يمينه أكثر منه فى يساره وكان يجعل فصه مما يلى كفه وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلمه مع أصحابه فى ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثنى رحمة وكافة فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلفت الحواريون على عيسى بن مريم فقال أصحابه وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يارسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا رضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا كره وأبى فشكا ذلك عيسى الى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر﴾

المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير لانه بقر أى شق عنه لان أم قيصر ماتت فى المخاض فشق عنه وأخرج فسمى قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسما لكل من ملك الروم وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكان وصوله اليه فى المحرم سنة سبع وكان ارساله مع دحية الكلبى رضى الله عنه وأمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع الكتاب الى قيصر وكان صلى الله عليه وسلم قال قبل ذلك من ينطلق بكتابى هذا قيصر الى هرقل وله الجنة فقال دحية انا يارسول الله فأعطاه ذلك الكتاب وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر دحية رضى الله عنه ان يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر فلما انتهى دحية الى الحرث أرسل معه عدى بن حاتم رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضى الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله تعالى قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية وما هو فقال ان له على كل عتبة منبرا

طيبة وطهور وان الله تعالى يذهب بها عنكم اوساخكم واشعاركم أى فهو من نعيم الدنيا ومن ثم كرهه عمر رضى الله عنه وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له وقد دخل الحمام اتدخل الحمام وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الحمام وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما طاب حمامكما وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يتنور كل شهر ويقلم اظفاره كل خمسة عشر يوما وما ورد انه صلى الله عليه وسلم لم يتنور فهو ضعيف معارض بما هو اقوى منه وا كثر عددا على ان المثبت مقدم على النافى أى وفى الينبوع وقول أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان يحلق محمول على الغالب من امره صلى الله عليه وسلم (وفى الخصائص الصغرى) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما تنور نبى قط وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم وقت لقص الشارب وتقليم الاظفار ان لا يدع ذلك اربعين يوما أى وكان صلى الله عليه وسلم يقص أظفاره كل خمسة عشر يوما كما تقدم وقد استفيد من هذا كما قال بعضهم فائدة نفيسة وهى ذكر التوقيت للتنور وقص الاظفار قال بعضهم وفيه نظر فان بدنه صلى الله عليه وسلم كان فى غاية الاعتدال فلا يقاس به صلى الله عليه وسلم غيره فى ذلك نظير ما قالوه فيما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يوضئه المد ويغسله الصاع ان ذلك خاص ببدن من يكون بدنه كبدنه عليه الصلاة والسلام نعومة واعتدالا والا زيد ونقص المتفاوت فكذلك هنا ومن ثم قال الائمة رحمهم الله فى نحو حلق العانة ونتف الابط والقلم للظفر وقص الشارب ان ذلك لا يتقيد بمدة بل يختلف باختلاف الابدان والحال فيعتبر وقت الحاجة الى ازالة ذلك وبهذا يرد على من قال يكره التنور فى أقل من شهر وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر الاشعريون أى ومنهم أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه والدوسيون ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه فسأل صلى الله عليه وسلم أصحابه رضى الله عنهم ان يشركوهم فى الغنيمة ففعلوا قال وعن موسى بن عقبة رحمه الله ان أحد الاشعريين ومن ذكر معهم أى وهم الدوسيون من هذين الحصنين اللذين فتحا صلحا وتكون مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اعطائهم ليست استنزالا لهم عن شئ من حقهم وانما هى المشورة العامة أى المأمور بها فى قوله تعالى وشاورهم فى الامر انتهى (أقول) وهذا صريح فى ان ذلك كان فيأ له صلى الله عليه وسلم فهما وما فيهما مما أفاء الله عليه صلى الله عليه وسلم لان الفئ ما جلوا عنه من غير قتال أى من غير مصافة للقتال والحاصل ان ارض خيبر ونخلها غنيمة لانه صلى الله عليه وسلم غلب على النخل والارض وألجأهم الى الحصون وفتح جميع الحصون عنوة الا الوطيح والسلالم فانهما فتحا صلحا على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم بشرط ان لا يكتموه شيأ من أموالهم وان من كتم شيأ انتقض ذلك الصلح له بالنسبة لدمه وذراريه وهذان الحصنان هما المرادان بالكتيبة فى قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم يطعم من الكتيبة أهله لما علمت انهما من حصونها وانهما وما فيهما مما أفاء الله عليه وكونه صلى الله عليه وسلم كان يطعم أهله مما فيهما واضح واما اذا كان المراد يطعم من الارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فقد يتوقف فيه لما تقدم ان أرض خيبر

يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان احدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بالشام قبل اسلامه أى كان بغزة مع رجال من قريش فى تجارة لهم زمن هدنة الحديبية وكان أول الهدنة فى ذى القعدة سنة ست وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر من تبوك فى السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه كتب لقيصر مرتين قال أبو سفيان فاتانا رسول قيصر وهو والى شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه فى بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أيهم أقرب نسبا لهذا الذى يزعم أنه نبى وفى رواية لهذا الرجل الذى خرج بأرض العرب يزعم انه نبى فقال أبو سفيان انا أقربهم نسبا أى لانه لم يكن فى الركب يومئذ من بنى عبد مناف غيره وعبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابى سفيان زاد فى رواية ما قرابتك منه قلت هو ابن عمى فقال لترجمانه ادنه منى ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى ثم قال لترجمانه قل لاصحابه أنى قدمت هذا امامكم لاسأله عن هذا الرجل الذى يزعم انه نبى وانما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا عليه الكذب ان قاله أى حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأثروا على كذبا لكذبت ولكنى استحييت فصدقت وأنا كاره وفى رواية لولا مخافة أن ينقلوا عنى الكذب الى قومى ويتحدثوا به فى بلادى لكذبت عليه وبه يعلم ان الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال قلت لا وفى رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا قلت لا قال هل كان من آبائه ملك قلت لا زاد فى رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه أم

ونخلها غنيمة وذلك شامل للارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فليتأمل والله أعلم وفى لفظ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه من أرض الحبشة ومعه الاشعريون أبو موسى الاشعرى واخواه ابو رهم وأبو بردة رضى الله عنهم وكان أبو موسى أصغرهم وأقواهم وكان قوم جعفر بالحبشة أى لانهم هاجروا الى الحبشة من اليمن كما تقدم وقيل قدومهم اليه صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون وذكر انهم عند مجيئهم صاروا يقولون غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وفى كلام بعضهم ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حقهم أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية ولما أقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر رضى الله عنه قام صلى الله عليه وسلم الى جعفر وقبله بين عينيه وفى رواية قبل جبهته أى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما قدم جعفر رضى الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وجعل ذلك أصلا لاستحباب المعانقة وقال بعضهم انها مكروهة وحديث جعفر يحتمل ان يكون قبل النهى عنها فانه نهى عن المعاكمة وهى المعانقة وحمل ذلك بعضهم على ما اذا كانت المعانقة من غير حائل (أقول) لم يجب بذلك سيدنا مالك رضى الله عنه فانه لما قدم عليه سفيان بن عيينة رضى الله عنه صافحه مالك وقال له لولا انها بدعة لعانقتك فقال له سفيان قد عانق من هو خير منك ومنى النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك تعنى جعفر بن أبى طالب قال نعم ذلك حبيب خاص ليس بعام أى فذلك من خصوصياته فقال له سفيان ما عم جعفر يعمنا وما يخصه يخصنا أى فالاصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان أتأذن لى ان أحدثك بحديث قال نعم فقال حدثنى فلان عن فلان عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكر الحديث المتقدم عنه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم التزم زيد بن حارثة رضى الله عنه حين قدم عليه من مكة وأما المصافحة فقد جاء أن أهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام محبتكم المصافحة وقام صلى الله عليه وسلم لصفوان ابن أمية لما قدم عليه والى عدى بن حاتم قال السهيلى وليس هذا معارضا لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب ان لا يقام له وكان صلى الله عليه وسلم يقوم لفاطمة رضى الله عنها وكانت تقوم له صلى الله عليه وسلم هذا كلامه والله أعلم ولما رآه صلى الله عليه وسلم جعفر حجل أى مشى على رجل واحدة اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان أهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أشبهت خلقى وخلقى وفى لفظ جعفر أشبه الناس بى خلقا وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين لانه رضى الله عنه كان يحب المساكين ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه وذكر بعضهم انه لما قال له صلى الله عليه وسلم اشبهت خلقى وخلقى رقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة المواجيد من مجالس الذكر والسماع ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما أدرى بأيهما افرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر رضى الله عنه وقيل قدم

ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم والمراد باشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبى بكر وعمر وحمزة رضى الله عنهم ممن أسلم قبل
هذا السؤال فانهم من ذوى الانساب الكريمة لكنهم ليسوا من أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار وفى رواية
عند ابن اسحق تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأبى ذوو الانساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على
الاكثر الاغلب أى الاكثر
والاغلب أن أتباعه الضعفاء قال
فهل يزيدون أو ينقصون قلت
بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم
سخطة لدينه أى كراهية له وعدم
رضا به بعد أن دخل فيه قلت لا قال
فهل يغدر اذا عاهد قلت لا ونحن
الآن منه فى ذمة ما ندرى ما هو
فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت
نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت
دول وسجال تدال علينا مرة أى
كما فى أحد وندال عليه مرة أخرى أى
كما فى بدر وقد تقدم فى غزوة أحد
ان أبا سفيان قال فى يوم أحد يوم
أحد بيوم بدر والحرب سجال أى
نوب وفى لفظ قال أبو سفيان لقيصر
علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم
غزوتهم فى بيوتهم نبقر البطون
ونجدع الآذان والانوف والفروج
وأشار بذلك ليوم أحد قال فما
يأمركم به قلت يقول اعبدوا الله
وحده ولا تشركوا به شيأ وينهانا
عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة
والصدق والعفاف أى ترك المحارم
وخوارم المروأة والوفاء بالعهد
وأداء الامانة فقال لترجمانه قل له
انى سألتك عن نسبه فزعمت انه
فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث
فى نسب قومها وسألتك هل هذا
القول قاله منكم أحد قبله فزعمت
أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا
القول قبله لقلت هو يأتم بقول
قيل قبله وسألتك هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك فلما
هل كان من آبائه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم
فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أى لان الغالب ان اتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار وسألتك

مع جعفر رضى الله عنه سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة
وثمانية روميون من أهل الشام وفى لفظ قدم معه سبعون كافرا أصحاب الصوامع وقيل
كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من الشام وقيل كانوا ثمانين
رجلا أربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام
فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا
بما كان ينزل على عيسى صلى الله عليه وسلم ولعل هؤلاء الذين من الحبشة هم المرادون بقول
بعضهم ووفد اليه وفد النجاشى فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك
يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم وفى لفظ وقدم عليه أيضا
أبو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه وهم دوس كما تقدم قال أبو هريرة رضى الله عنه
قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى فأخبرنا
ان النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر الكتيبة فأقمنا
حتى فتح الله أى وكان من جملة من قدم معهم من بلاد الحبشة أم حبيبة بنت أبى سفيان
رضى الله عنهما زوج النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها أى عقد عليها وهى بالحبشة
فانها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام
هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هى على اسلامها كما تقدم وقد أرسل صلى الله عليه
وسلم عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه فى المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشى ليزوجها
منه صلى الله عليه وسلم قالت أم حبيبة رضى الله عنها رأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى يا أم
المؤمنين ففزعت فأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى قالت فما شعرت
الا وقد دخلت على جارية النجاشى فقالت لى ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب اليه ان يزوجك منه فقلت لها بشرك الله بالخير ويقول لك وكلى من يزوجك فأرسلت
بالوكالة الى خالد بن سعيد رضى الله عنه أى وأعطت تلك الجارية سوارين وخدمتين أى
خلخالين وخواتيم فضة سرورا بما بشرت به فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب
ومن معه من المسلمين فحضروا وخطب النجاشى رضى الله عنه فقال الحمد لله الملك القدوس
أى وفى لفظ بدل ذلك المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
وانه الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
لى ان أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبنا الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد أصدقها أربعمائة دينار أى وفى لفظ أربعمائة مثقال ذهب ثم سكب الدنانير بين يدى
القوم فتكلم خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره
وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى ودفع النجاشى
الدنانير لخالد بن سعيد فقبضها منه وقيل انه أنقدها لها النجاشى على يد جاريته التى بشرتها

هل يزيدون أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فزعمت
ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أى اذا حصل به انشراح الصدر وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه
دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت
انه يأمركم بالصلاة والصدق
والعفاف والوفاء بالعهد وأداء
الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت
ان لا وكذلك الرسل لا تغدر لانها
لا تطلب حظ الدنيا الذى لا يناله
طالبه الا بالغدر فعلمت أنه نبى وقد
كنت اعلم أنه خارج ولكن لم أظن
أنه فيكم وان كان ما حدثتنى به حقا
فيوشك أى يقرب أن يملك موضع
قدمى هاتين وهذه الاشياء التى
سأل عنها هرقل كانت مذكورة
عنده فى الكتب القديمة من
علامات نبوته صلى الله عليه وسلم
ثم قال قيصر ولو أعلم انى أخلص
اليه أى أصل لتجشمت أى
تكلفت مع المشقة لقيه وفى رواية
لا أستطيع ان أفعل ان فعلت
ذهب ملكى وقتلنى الروم * قال
الامام النووى ولا عذر له فى هذا
لانه قد عرف صدق النبى صلى
الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب
الرياسة وآثرها على الاسلام ولو
أراد الله هدايته لوفقه كما وفق
النجاشى فانه لما أسلم ما زالت عنه
الرياسة قال الحافظ ابن حجر لو تفطن
هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم
فى الكتاب أسلم تسلم وحمل الجزاء
على عمومه فى الدنيا والآخرة
وأسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن
التوفيق بيد الله ثم قال هرقل ولو
كنت عنده لغسلت عن قدميه أى
مبالغة فى خدمته والتعبد له ولا
أطلب منه ولاية ولا منصبا قال
أبو سفيان ثم دعا قيصر بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفى لفظ عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أى بالكلمة الداعية
للاسلام وهى كلمة التوحيد أى أدعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أى لايمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام

فلما جاءتها بتلك الدنانير أعطتها خمسين دينارا وقد يقال يجوز ان يكون النجاشى استردها من
خالد ثم دفعها لتلك الجارية أو أمر خالد بن سعيد بدفعها للجارية لتدفعها لام حبيبة فلا مخالفة
وهذا السياق يدل على ان النجاشى كان هو الوكيل عنه صلى الله عليه وسلم وفى كلام بعض
فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم وكل عمرو بن أمية فى نكاح أم حبيبة وقد يقال معنى توكيل عمرو
ارساله بالوكالة للنجاشى أى ثم لما أرادوا أن يقوموا بعد العقد قال لهم النجاشى اجلسوا فان
من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام
فأكلوا ثم تفرقوا قالت أم حبيبة رضى الله عنها فلما كان من الغد جاءتنى جارية النجاشى
فردت على جميع ما أعطيتها وقالت ان الملك عزم على ان لا أرزأك شيأ وقد أمر الملك نساءه ان
يبعثن اليك بكل ما عندهن من العطر فجاءت بورس وعنبر وزباد كثير وقالت حاجتى اليك ان
تقرئى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وتعلميه أنى قد اتبعت دينه وكانت كلما دخلت
على تقول لا تنسى حاجتى اليك ثم أرسل النجاشى أم حبيبة مع شرحبيل بن حسنة أى قالت
أم حبيبة ولما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت
معى جارية النجاشى وأقرأته منها السلام فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وعليها
السلام ورحمة الله وبركاته وجاء انه لما رجعت اليه صلى الله عليه وسلم مهاجرة الحبشة قال
ألا تخبرونى بأعجب شئ رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم يا رسول الله بينما نحن جلوس
اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم وعلى رأسها قلة فيها ماء فمرت بصبى فدفعها فوقعت على ركبتيها
فانكسرت قلتها فلما ارتفعت أى قامت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله
الكرسى وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدى والارجل بما كانوا يكسبون تعلم أمرى
وأمرك عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ
لضعيفهم من قويهم وذكر انه لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر ودنا منها بعث
محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم قال محيصة فجئتهم فجعلوا
يتربصون ويقولون ان بخيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحرث وسيد اليهود
مرحب ما نرى ان محمدا يقرب اليه فكنت عندهم يومين ثم أردت الرجوع فقالوا نحن نرسل
معك رجالا ماينا يأخذون لنا الصلح كل ذلك وهم يظنون انه صلى الله عليه وسلم لا يقدر على فتح
خيبر حتى جاءهم أناس من حصن ناعم وأخبروهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحه
فأرسلوا رجلا من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع فى نفر يصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل نصالحوا معه على ان يكون لهم نصف الارض ولرسول الله صلى الله عليه وسلم النصف
الآخر فكان فدك على الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى كان له نصفها لانها
لم تؤخذ عنوة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق منها ويعود منها على صغير بنى هاشم ويزوج منها
أيمهم ولما مات صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضى الله
عنها ان يجعلها أو نصفها لها فأبى وروى لها أنه صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبياء لا نورث

ما تركناه صدقة أى على المسلمين ومما يؤيد الثانى ما قيل انه لما أجلاهم عمر رضى الله عنه
معهم وذخيرة كسا أى اشترى منهم حصتهم التى هى النصف بمال من بيت المال فلما صارت
الخلافة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قيل له ان مروان اقتطعها أى جعلها قطعا له فقال
أرأيتم أمرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا نورث
ما تركناه صدقة ليس لى بحق وانى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم أى صدقة على المسلمين وطلب الصلح كان بعد ان أرادت غطفان وسيدهم عيينة
ابن حصن أن يعينوا أهل خيبر أى وكانوا أربعة آلاف فان يهود خيبر لما سمعوا بمجيئه صلى الله
عليه وسلم اليهم أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهودة بن قيس فى أربعة عشر رجلا الى غطفان
ليستمدوا بهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين فجهزوا ثم خرجوا ليظاهروا
يهود خيبر أى يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم أن لا يعينوهم على ان يعطيهم
من خيبر شيئا سماه لهم أى وهو نصف ثمارها فأبوا وقالوا جيراننا وحلفاؤنا فلما ساروا قليلا
سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ظنوه القوم أى ظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم
أى فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا على الصعب والذلول أى مسرعين على أعقابهم فأقاموا
فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل خيبر أى وفى رواية
سمعوا صوتا أيها الناس أهليكم خولفتم اليهم فرجعوا فلم يروا لذلك نبأ ويدل للثانى ان غطفان
لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم خيبر قال عيينة بن حصن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد وجده صلى الله عليه وسلم فتح حصونها أعطنى ما غنمت الذى وعدتنا وفى رواية أعطنى مما غنمت
من حلفائى فانى امتنعت عنك وعن قتالك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن
الصياح الذى سمعت أنفذك الى أهلك ولكن لك ذو الرقيبة قال عيينة وما ذو الرقيبة قال
الجبل الذى رأيت فى منامك انك أخذته أى فان عيينة بن حصن لما سمع الصوت ورجع الى
أهله ولم يجد شيأ رجع بعد ذلك بمن معه الى خيبر وانهم بالقرب منها عرسوا من الليل فنام عيينة
وانتبه وقال لقومه أبشروا فانى رأيت الليلة فى النوم انى أعطيت ذا الرقيبة وهو جبل بخيبر
لقد والله أخذت برقبة محمد فلما قدم خيبر وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر
الحديث وقدم عليه صلى الله عليه وسلم حينئذ أيضا حجاج بن علاط السلمى وأسلم والعلاط وسم
فى العنق وهو أبو نصر بن حجاج الذى نفاه عمر رضى الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفى
تهتف به وتقول الابيات التى منها

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير يوما للحجاج يا ابن المتمنية تعيره بذلك وكان الحجاج مكثرا من المال
فقال يا رسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فأذن لى ان آتى مكة لآخذ مالى
قبل ان يعلموا باسلامى فلا أقدر على أخذ شئ منه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله لا بد لى من ان أقول أى أتقول واذكر ما هو خلاف الواقع أى ما احتال به لما يوصل
الى أخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتسمعون

الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال أبو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أى أصواتهم التى لا تفهم فلا أدرى ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابى وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبى كبشة أى عظم أمره هذا ملك بنى الأصفر يخافه فما زلت موقنا انه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام أى فأظهرت ذلك اليقين وفى رواية ما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقوله ابن أبى كبشة قيل انه جد لآمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وجاء فى رواية ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله هل تتهمونه بالكذب فقال لا ولكن سأخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو قال يزعم انه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أى قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك أى فى انه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال وما أعلمك بهذا قال انى كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم نستطع ان نحركه كأنما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذى فى زاويته منقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لاصحابى ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدى الساعة نبيا بشركم به

الاخبار

الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أى أهل القوة والمنعة بعد
ما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال
حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال ابن عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فقالوا احجاج
عنده والله الخبر ولم يكونوا علموا باسلامى يا حجاج انه قد بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر ما يسركم فاجتمعوا على يقولون ايه يا حجاج
فقلت لهم لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير أهل خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط
وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم وفى لفظ يقتلونه بمن كان
أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به
عليكم فيقتل بين أظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرمائى أريد أن أقدم فأصيب من
غنائم محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ما هنالك فجمعوا الى مالى على أحسن ما يكون
ففشا ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين وسمع
بذلك العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فجعل لا يستطيع أن يقوم ثم بعث الى حجاج
غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجل من أن يكون الذى جئت به حقا فقال له
حجاج اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له اخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم
عنى فأقبل الغلام فقال أبشر أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يمسه شئ وأخبره بذلك
فأعتقه العباس رضى الله تعالى عنه وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان ظهرا جاءه حجاج
فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام أى وقال انى أخشى الطلب فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك
فوافقه العباس على ذلك فقال انى قد أسلمت وان لى مالا عند امرأتى ودينا على الناس ولو علموا
باسلامى لم يدفعوه الى انى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام
رسوله فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق فلما أمسى حجاج
خرج وطالت على العباس تلك الليالى الثلاث فلما مضى حجاج أى ومضت الثلاث عمد العباس
رضى الله تعالى عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى
مجالس قريش وهم يقولون اذا مر بهم لا يصيبك الا الخير يا أبا الفضل هذا والله التجلد بحر
المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الا الخير بحمد الله أخبرنى حجاج أن خيبر فتحها الله على
يد رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله وسهام رسول الله واصطفى رسول الله صفية بنت
ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها أى وانما قال ذلك لكم ليخلص ماله والا فهو
ممن أسلم فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون ألا يا عباد الله انفلت
عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك هذا وفى
الدلائل للبيهقى رحمه الله لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال حجاج بن علاط يا رسول الله
ان لى بمكة مالا وان لى بها أهلا وأنا أريد ان آتيهم فأنا فى حل ان أنا نلت منك وقلت شيأ فأذن له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء فقال لامرأته حين قدم اخفى على واجمعى ما كان
عندك فانى أريد ان أشترى من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم ففشا

صاحب الروم والله ما لكى وما لكه وفى لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب فى صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد أن يقطعه فقال قيصر ما شأنك فقال تنظر فى كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر ملك الروم فقال له قيصر انك أحمق صغيرا ومجنون كبيرا أتريد أن أمزق كتابا قبل ان أنظر ما فيه ولعمرى لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق ان يبدأ بها منى ولئن سمانى صاحب الروم فلقد صدق ما أنا الا صاحبهم ولا أملكهم ولكن الله سخرهم لى ولو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفى رواية سيكون لهم بقية وقد صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الحافظ ابن حجر ان الملك المنصور قلاوون ارسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسل ملك المغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبله واكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية ثم أخرج صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ما صح عنه صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم * ويروى ان قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر

ذلك بمكة فاشتد ذلك على المسلمين وأظهر المشركون فرحا وسرورا وبلغ العباس رضي الله تعالى عنه الخبر فقعد وجعل لا يستطيع أن يقوم فأرسل العباس رضي الله تعالى عنه غلاما له الى الحجاج ويلك ما تقول فالذي وعد الله خير مما جئت به فقال حجاج يا غلام اقرأ أبا الفضل السلام وقل له فليخل بي في بعض بيوته فاني آتيه بالخبر على ما يسره فلما بلغ العبد باب الدار قال ابشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا حتى قبل ما بين عينيه فأخبره بقول حجاج فأعتقه ثم جاء حجاج فأخبره بافتتاح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وغنم أموالهم وأن سهام الله قد جرت فيها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى صفية بنت حيي لنفسه وخيرها بين أن يعتقها وتكون له زوجة أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون له زوجة ولكن جئت لمالي هنا أن أجمعه وأذهب به واني استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول فأذن لي ان أقول ما شئت فاخف علي يا أبا الفضل ثلاثا ثم اذكر ما شئت قال فجمعت له امرأته متاعه فلما كان بعد ثلاث أتى العباس رضي الله تعالى عنه امرأة حجاج فقال ما فعل زوجك قالت ذهب وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك فقال أجل لا يحزنني الله فلم يكن لمحمد الا ما أحب فتح الله على يد رسوله خيبر واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كان لك في زوجك حاجة فالحقي به قالت أظنك والله صادقا قال فاني والله صادق والامر على ما أقول ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش الحديث قال ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر كان التمر أخضر فأكثر الصحابة من أكله فأصابتهم الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بردوا لها الماء في الشنان أي القرب ثم صبوا عليكم منه بين أذاني الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم وعن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه أصابتني ضربة يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة بن الاكوع فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيت منها ساعة وفي هذه الغزوة أراد صلى الله عليه وسلم أن يتبرز فقال لابن مسعود رضي الله تعالى عنه يا عبد الله انظر هل ترى شيأ فنظرت فاذا شجرة واحدة فأخبرته فقال لي انظر هل ترى شيأ فنظرت شجرة أخرى متباعدة من صاحبتها فأخبرته فقال قل لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ان تجتمعا فقلت لهما ذلك فاجتمعا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها وفي الامتاع عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى كان صلى الله عليه وسلم بالنصف مما بينهما ولأم بينهما وقال التئما علي باذن الله تعالى فالتأمتا قال جابر رضي الله تعالى عنه فخلوت أحدث نفسي فحانت مني التفاتة فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا وذهبت كل واحدة الى محلها الحديث ولا بعد

ان أتى بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي الا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم اني أردت ان أختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت وقالوا الله أتدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابي فلما رأى نفرتهم وأيس من ايمانهم قال ردوهم علي وقال اني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه اني مسلم ولكني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس)

كتب اليه صلى الله عليه وسلم كتابا وبعث به مع عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه لانه كان يتردد على كسرى كثيرا وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أي الذين هم أتباعك قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه

في تعدد الواقعة ووقع له صلى الله عليه وسلم مجيء بعض الشجر اليه قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه وقولهم له أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد ومن خضبهم له بالدماء فقال يا رب أرني اليوم آية أطمئن اليها ولا أبالي بمن آذاني بعدها وكان ذلك لوادي به شجر فأمر أن يدعو شجرة من تلك الشجر وفي لفظ غصنا من أغصان شجرة فدعا ذلك فانتزع من مكانه وجاء اليه وسلم عليه ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالعود فعاد الى مكانه فحمد الله وطابت نفسه وعلم أنه على الحق وقال لا أبالي بمن آذاني بعد هذا من قومي (أقول) ووقع له صلى الله عليه وسلم اجابة الحجر ففي تفسير الفخر الرازي أنه صلى الله عليه وسلم كان مع عكرمة بن أبي جهل بشط ماء فقال عكرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الحجر كان في الجانب الآخر يسبح في الماء ويجيء اليك ولا يغرق فأشار اليه صلى الله عليه وسلم فانقلع ذلك الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعكرمة يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فأشار اليه صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه ولم يسلم عكرمة في ذلك الوقت وانما أسلم يوم فتح مكة والله أعلم وعند خروجه صلى الله عليه وسلم الى هذه الغزوة أمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من كان مضعفا أو ضعيفا أو مصعبا أي راكبا دابة صعبة فليرجع فرجع ناس وارتحل مع القوم رجل على بكر صعب أو ناقة صعبة فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فلما جيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما شأن صاحبكم فأخبروه قال يا بلال ما كنت أذنت في الناس من كان مصعبا أي راكبا دابة صعبة فليرجع قال بلى فأبى صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه وأمر صلى الله عليه وسلم بلالا فنادى في الناس الجنة لا تحل لعاص ثلاثا وفيها مات شخص من الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم وامتنع من الصلاة عليه فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين وفيها انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من المسلمين هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا أشد القتال فارتاب بعض الصحابة أي كيف يكون من أهل النار مع هذه المقاتلة الشديدة فلما كثرت الجراحات في ذلك الرجل ووجد ألمها أخرج سهما من كنانته ونحر نفسه فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا بلال فأذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث وفي رواية ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وتقدم في غزوة أحد مثل ذلك ولا بعد في التعدد ان لم يكن من الاشتباه على الراوي (أقول) في سيرة الحافظ الدمياطي لما فتحت خيبر واطمأن الناس جعلت زينب ابنة الحرث أخي مرحب وهي امرأة سلام بن مشكم تسأل أي الشاة أحب الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون الذراع قيل وانما أحب صلى الله عليه وسلم الذراع لانه هادي الشاة وأبعدها من الاذى فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يلبث أن يقتل

فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه فمزقه وفي رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحامل الكتاب ان يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى ان يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليه كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث بطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق ملك كسرى وفي رواية مزق الله ملكه وفي رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى أميره باليمن يقال له باذان انه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الي برأسه يكتب الي بهذا الكتاب أي الذي بدأ فيه بنفسه وهو عبدي وفي رواية قال له ان لم تكفني رجلا خرج بأرضك يدعوني الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فليأتيا به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه وبعث معه رجلا آخر من الفرس وبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى بعث الى الملك باذان ان يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا اليك فان أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهم ثم قال لهما ويلكما من أمركما

بهذا قال أمرتنا بهذا يعنيان كسرى فقال صلى الله عليه وسلم ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني
غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا أي ليلة الثلاثاء
لعشر مضين من جمادى الاولى سنة سبع فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى باذان ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى يوم كذا في شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذه الرواية مجرد الوقت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث

باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الله المسلمين ملك
كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم
﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة﴾ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه

من ساعته فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف فلما غابت الشمس وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب بالناس انصرف وهي جالسة عند رحله فسأل عنها فقالت يا أبا القاسم هدية أهديتها لك فأمر بها صلى الله عليه وسلم فأخذت منها فوضعت بين يديه صلى الله عليه وسلم وأصحابه حضور أو من حضر منهم وفيهم بشر بن البراء بن معرور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوا فقعدوا وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة ازدرد بشر ما في فيه وأكل القوم منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع أو الكتف تخبرني أنها مسمومة فقال بشر والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي أي لقمتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها الا أن أنغص عليك طعامك فلما أكلت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون ازدردتها فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان أي أسود وماطله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول ثم مات وقال بعضهم فلم يقم بشر من مكانه حتى توفي أي والمتبادر من المكان مكان الاكل وربما يدل له عدم ذكر بشر في الحجامة وطرح منه الكلب فمات اه أي فلم يأكل الا بشر رضي الله تعالى عنه وحينئذ يكون المراد بقوله وأكل القوم منها أي أرادوا الاكل أي ووضعوا أيديهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم ويدل له ما يأتي عن الامتاع وفي الاصل أنها أهدتها الصفية رضي الله تعالى عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور فقدمت اليه ما تلك الشاة فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وفي رواية الذراع فانتهش منه قطعة فلاكها ثم ألقاها أي ولم يبتلعها أي وانتهش من الشاة بشر قطعة فابتلعها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناول شئ منها وقال ان كتف هذه الشاة تخبرني أني نعيت فيها فقال بشر والذي أكرمك لقد وجدت ذلك فيما أكلته فما منعني من لفظه الا اني أعظمت أن أنغصك طعاما فلم يقم بشر رضي الله تعالى عنه من مكانه حتى كان لا يتحول الا ان حول والى هذا أشار الامام السبكي في تائيته بقوله رحمه الله

وأحييت عضو الشاة بعد مماتها * فجاء بنطق موضح للنصيحة
وقال رسول الله لا تك آكلي * فزينب سامتني الهوان وسمت

وهذا يؤيد القول بأن كلام نحو الجماد يكون بعد أن يخلق الله فيه الحياة ومذهب الاشعري رحمه الله أن الله يخلق في نحو الجماد حروفا وصوتا يحدث ذلك فيه أي وليس من لازم ذلك وجود الحياة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله أي حجمه أبو طيبة مولى بني بياضة وقيل أبو هند وهو مولى بني بياضة أيضا أي وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤسهم أي وهم كما في الامتاع ثلاثة نفر وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيأ وفيه أنه لا معنى لاحتجام أصحابه اذا لم يأكلوا شيأ ومن ثم قال في سفر السعادة واحتجم صلى الله عليه وسلم بين الكتفين في ثلاثة مواضع وأمر من أكل أي من أراد أن يأكل معه بذلك الا أن يقال بمجرد وضع اليد ربما سرى بسببه السم الى باقي الجسد وقال صلى الله عليه وسلم الحجامة في الرأس هي المعينة أمرني بها جبريل عليه السلام حين أكلت طعام اليهودية وقد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في

غير

الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم
لان السلم يأتي بمعنى السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم
روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها

فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام وفي الآخر يأمره ان يزوجه أم حبيبة فأخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت وقد

عرفنا ما بعث به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين فأشهد انك رسول
صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يده لله رب العالمين وفي رواية
وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت أتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه أرسل ابنه في ستين نفسا في أثر

غير هذه الواقعة مرارا في محال مختلفة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم احتجم على الاخدعين مرتين واحتجم وسط رأسه الشريف وكان يسميها منقذة أي وذلك لما سحر في سفر السعادة لما سحره اليهودي ووصل المرض الى الذات المقدسة النبوية أمر صلى الله عليه وسلم بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لا حظ له في الدين والايمان يستشكل هذا العلاج هذا كلامه ودخل عليه صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس وهو يحتجم في القمحدوة فقال يا ابن أبي كبشة لم احتجمت وسط رأسك فقال يا ابن حابس ان فيها شفاء من وجع الرأس والاضراس والنعاس والجنون أي وفي الحديث الحجامة في الرأس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه وفي الحديث اجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والاحد وفي بعض الروايات يوم الاحد شفاء ويحتاج للجمع وجاء النهي عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفي حديث بعض رواته واهي الحديث احتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا في النقرة والكاهل ووسط الرأس وسمى واحدة الدافعة والاخرى المعينة والاخرى المنقذة وقال صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به الحجامة وما مررت ليلة أسري بي بملا من الملائكة الا قالوا يا محمد مر أمتك بالحجامة قال في الهدى والحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد والاولى أن تكون في الربع الثالث من الشهر لانه وقت هيجان الدم وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وتكره في الاربعاء والسبت قيل ويوم الجمعة وفي الحديث من احتجم يوم الاربعاء أو السبت وحصل له برص لا يلومن الا نفسه وجاء أمره صلى الله عليه وسلم باجتناب الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي أصيب فيه أيوب عليه السلام بالبلاء وما يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وليلة الاربعاء ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك اليهودية فقال أسممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه التي في يدي وهي الذراع قالت نعم قال ما حملك على ما صنعت قالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك أي وفي لفظ قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي ما نلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمت له اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فأذاع الذراع ما فيه من سم * بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم * لم تقاصص بجرحها العجماء

أي ثم جعلت اليهودية السم القاتل لوقته في الشاة ومرات كثيرة يطلب الشقوة ويتحلى بها الاشقياء الذين لا خلاق لهم فأخبر ذلك الذراع النبي صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من السم اخفاء ذلك النطق عن الحاضرين ابداء واظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ما تحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم يقاصص تلك المرأة بجرحها أي بجرح سمها الان اسم بجرح

من أرسلهم مع جعفر بن أبى طالب عند خروجه من عنده فلما كانوا فى وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين وعند وصول كتابه قال النبى صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وفى رواية ان عمرو بن أمية قال للنجاشى عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ٦٤ ان على القول وعليك الاستماع كأنك منا أى فى الرقة علينا وكأنا منك أى فى الثقة بك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شر قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفى ذلك توقع الجد واصابة الفصل والا فأنت فى هذا النبى الامى كاليهود فى عيسى بن مريم وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشى أشهد بالله انه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وانه ليس الخبر كالعيان ولكن أعوانى من الحبشة قليل فانظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وفى رواية ولو أستطيع ان آتيه لأتيته وتوفى النجاشى سنة تسع وقيل سنة ثمان وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذا النجاشى هو الذى أسلم وأكرم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأما النجاشى الذى ولى الامر بعده فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام فقد روى البيهقى عن ابن اسحق قال هذا كتاب من النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله ما وأدعوك بدعاية الله فانى رسوله فاسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك قال فى المواهب وقد

الباطن كما يجرح الحديد الظاهر فلما مات بشر رضى الله تعالى عنه أمر بها فقتلت أى وقيل وصلبت كما فى أبى داود وعبارة السهيلى رحمه الله وقد روى أبو داود أنه قتلها ووقع فى كتاب شرف المصطفى أنه قتلها وصلبها هذا كلامه وقيل انما تركها لانها أسلمت فالعفو عنها أى عدم مؤاخذتها كان قبل أن يموت بشر رضى الله تعالى عنه فلما مات بشر دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر فقتلوها وفى الامتاع واختلفت الآثار فى قتلها ففى صحيح مسلم انه لم يقتلها وقال ابن اسحق أجمع أهل الحديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها وقد علمت أنه لا مخالفة لكن قتلها مشكل على ما عليه أئمتنا معاشر الشافعية من أن من ضيف بمسموم يقتل غالبا مميزا فمات كان شبه عمد لا قود فيه وفى كلام بعضهم أنها قالت قد استبان لى الآن أنك صادق وانى أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فانصرف عنها حين أسلمت كذا فى جامع معمر عن الزهرى انها أسلمت قال معمر هكذا قال الزهرى انها أسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وأمر صلى الله عليه وسلم بتلك الشاة فأحرقت وفى رواية انه بعد سؤال اليهودية واعترافها بسط صلى الله عليه وسلم يده الى الشاة وقال لاصحابه كلوا باسم الله فأكلوا وقد سموا الله فلم يضر ذلك أحدا منهم قال ابن كثير وفيه نكارة وغرابة شديدة هذا كلامه ويذكران أخت بشر بن البراء دخلت عليه صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فقال لها هذا أوان انقطاع ابهرى من الاكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر والابهر العرق المتعلق بالقلب وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ومن جملة من أعطاه صلى الله عليه وسلم أبو سبيعة بن المطلب بن عبد مناف واسمه علقمة ولم يقسم صلى الله عليه وسلم لمن غاب من أهل الحديبية الا لجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ورضخ صلى الله عليه وسلم للنساء أى وكن عشرين امرأة فيهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم سليم وأم عطية الانصارية وعن بعضهم قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقلت يا رسول الله قد أردن الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها فى عنقى فوالله لا تفارقنى أبدا وأوصت أنها تدفن معها زاد فى السيرة الهشامية أنها قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فلما كان الصبح وأناخ راحلته ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالى قال مالك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فأصلحى من نفسك ثم خذى اناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك قالت فكنت لا أطهر من حيضة الا جعلت فى طهورى ملحا وأوصت أن يجعل ذلك فى غسلها حين ماتت ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض لما قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أعلم بها منكم وأعمرها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم على انا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم أى وهذا يخالف ما عليه أئمتنا من أنه لا يجوز فى عقد الجزية أن يقول الامام أو نائبه أقركم ما شئنا لخلاف

خلط بعضهم فلم يميز بينهما أى بين النجاشيين فظنهما واحدا وفى صحيح مسلم ما يدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشى الذى صلى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس﴾ ٦٥ ومعناه المطول البناء وهو لقب لكل من ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بنى اسرائيل بعث صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة اللخمى رضى الله عنه الى المقوقس وذلك أنه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب وقال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلى وشددت على راحلتى وودعت أهلى وسرت وفى رواية أنه أرسل مع حاطب جبرا مولى أبى رهم الغفارى والكتاب مع حاطب وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله (وفى رواية) عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أى الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ثم ان حاطبا رضى الله عنه سار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية ٩ سيره ثالث بعد ان ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فاخبر انه فى مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جىء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى

ما شئتم لانه تصريح بمقتضى العقد لان لهم نبذ العقد ما شاؤا وذكر أئمتنا أنه يجوز منه صلى الله عليه وسلم لا منا أن يقول أقررتكم ما شاء الله لانه يعلم مشيئة الله دوننا والشطر فى هذا ظاهر فى النصف ولم أقف على تعيينه فى رواية وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الى أهل خيبر عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه خارصا فيل وانما خرص عليهم عبد الله عاما واحدا ثم مات وهذا يخالفه قول بعضهم كان عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه يأتيهم كل عام يخرصها يعنى الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولانتم أبغض الى من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى اياه على أن لا أعدل فقالوا بهذا قامت السموات والارض وكان يخرص عليهم بعده جبار بن صخر وكان خارصا لاهل المدينة (أقول) أى ساقاهم على النخل وزارعهم على الارض هكذا استدل بذلك أئمتنا على ما ذكر أى على جواز المساقاة وجواز المزارعة تبعا لها ويكون ذلك مخصصا للنهى عن المزارعة أى ما لم تكن تبعا للمساقاة وهو لا يتم الا ان كانت أرض خيبر جميعها بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وانه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا لان فى المزارعة يجب أن يكون البذر من المالك لا من العامل ولم أقف فى شئ من الطرق على أنه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا بل ظاهر الروايات يدل على أن البذر منهم وصرحت به رواية مسلم ويبعد أن تكون أراضى خيبر كلها كانت بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وحينئذ يكون الواقع فى خيبر انما هى المخابرة وهى المعاملة على الارض ببعض ما يخرج منها والبذر من العامل وهى باطلة عندنا بل قيل عند المذاهب الاربعة ولو تبعا للمساقاة والله أعلم ثم ان الصديق رضى الله تعالى عنه أقرهم بعده صلى الله عليه وسلم ثم أقرهم عمر رضى الله تعالى عنه الى أن خرج ولده عبد الله رضى الله تعالى عنه ما فى خلافة أبيه الى خيبر فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه فقام عمر رضى الله تعالى عنه خطيبا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل أهل خيبر على أموالهم أى أرضهم ونخيلهم وقال لهم نقركم على ما أقركم الله وأن عبد الله بن عمر خرج الى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم وقد رأيت اجلاءهم أى ووافقه الصحابة على ذلك فان عمر رضى الله تعالى عنه قام خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان يهود فعلوا بعبد الله بن عمر ما فعلوا وفعلوا بمظهر بن رافع ما فعلوا مع عدوهم على عبد الله بن سهل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أشك انهم أصحابه وأنا أريد أن أجلو يهود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقركم ما أقركم الله وقد أذن الله فى اجلائهم فقام طلحة بن عبد الله فقال قد والله أحسنت يا أمير المؤمنين ووفقت فهم أهل سوء فقال عمر رضى الله تعالى عنه من معك على مثل رأيك قال المهاجرون جميعا والانصار فسر بذلك عمر رضى الله تعالى عنه وقوله وفعلوا بمظهر ما فعلوا أى لان مظهر بن رافع قدم خيبر بأعلاج من الشام عشرة عبيد له ليعملوا له بأرضه فأقام بخيبر ثلاثة أيام فقال لهم رجل من يهود أنتم نصارى ونحن يهود وهذا سيدكم من قوم عرب قهرونا بالسيف وأنتم عشرة رجال ورجل واحد

ابن مريم رسول الله فماله حيث آذاه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه اليه قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى يعني فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه أي بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة وينهى عما ترغب عنه ولم أجده بالساحر الضار ولا بالكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء أي الشئ الغائب والاخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك أي فانه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وهما مارية وسيرين وبثياب وهي عليه عشرون ثوبا من قباطي مصر وفي رواية وأرسل له عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ثم قال وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفي رواية

يسوقكم الى الجهد والبؤس وتكونون في رق شديد فاذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه فقالوا والله ليس معنا سلاح فدست اليهود لهم سكينتين أو ثلاثة فلما خرجوا من خيبر أقبلوا على مطهر بسكاكينهم فخرج مطهر يعدو الى سيفه وكان في قرابه على راحلته فأدركوه قبل الوصول اليه وبعجوا بطنه ثم انصرفوا سراعا حتى دخلوا خيبر على يهود فآووهم وزودوهم الى الشام وجاء عمر رضي الله تعالى عنه الخبر بقتل مطهر وما صنعت به يهود وقوله مع عدوانهم على عبد الله ابن سهيل أي فانه وجد قتيلا في خيبر لاهل حصن الشق فسألهم أخوه محيصة فقالوا لا والله ما لنا به من علم قال فجئت أنا وأخي عبد الرحمن وأخي حويصة وهو أكبرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أخي عبد الرحمن يتكلم وهو أصغرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر فسكت فأردت أن أتكلم فقال كبر كبر فسكت فتكلم أخي حويصة وذكر أن اليهود تهمتنا وظنتنا فقال صلى الله عليه وسلم اما أن يدوا صاحبكم واما أن يأذنوا بحرب وكتب صلى الله عليه وسلم اليهم في ذلك وكتبوا اليه ما قتلناه فقال صلى الله عليه وسلم لي ولاخوي تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقلنا يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد قال فتحلف لكم يهود قلنا يا رسول الله ليسوا بمسلمين فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده بمائة ناقة خمس وعشرين جذعة وخمس وعشرين حقة وخمس وعشرين ابنة لبون وخمس وعشرين بنت مخاض وعن ابن المسيب رحمه الله كانت القسامة في الجاهلية ثم أقرها صلى الله عليه وسلم في الاسلام في الانصاري الذي وجد قتيلا في جب من جباب يهود فلما اجمع الصحابة على ذلك أي على ما أراده سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه جاءه أحد بني الحقيق فقال يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على أموالنا وشرط ذلك لنا فقال له عمر رضي الله تعالى عنه أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لك كيف بك اذا أخرجت من خيبر يعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال هذه كانت هزيلة من أبي القاسم فقال كذبت يا عدو الله ثم بلغه رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى دينان في جزيرة العرب وقوله لاخرجن اليهود والنصارى وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب وفي رواية آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أخرجوا اليهود من الحجاز وفي لفظ ان عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز أي وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة والمراد بجزيرة العرب الحجاز المشتملة عليه أي فالمراد بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة لان عمر لما أجلاهم ذهب بعضهم الى تيما وبعضهم الى أريحا وتيما من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز وقيل له حجاز لانه حجز بين نجد وتهامة ففحص عمر رضي الله تعالى عنه عن ذلك حتى تيقنه وثلج صدره فأجلى يهود خيبر أي وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره وأجلى يهود فدك ونصارى نجران فلا يجوز اقامتهم بذلك أكثر من ثلاثة أيام غير يومي الدخول والخروج ولم يخرج يهود وادي القرى وتيما لانهما من أرض الشام لا من الحجاز ثم ركب في المهاجرين والانصار وخرج معه جبار بن صخر ويزيد بن ثابت فقسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها كما قسمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أنه صلى الله

انه أهدى له مع الجاريتين جارية اخرى اسمها قيسر وهي اخت مارية وفي رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم اهدى واحدة من تلك الجواري لابي جهم بن حذيفة العدوي وهي أم ابنه زكريا الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر وأهدى صلى الله عليه وسلم اخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهي أم عبد الرحمن بن حسان وفي رواية أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجواري غلاما اسود خصيا يقال له مأبور وفي رواية أنه اهدى مع البغلة حمارا أشهب يقال له يعفور وأما البغلة فتسمى الدلدل وكانت شهباء ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وأهدى له أيضا فرسا وهو اللزاز في رواية أن المقوقس قال لحاطب ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلا من عسل بنها بكسر الموحدة قرية من قرى مصر فأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها بالبركة ولما أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى واهدى له ربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا وفي رواية انه أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ثم ان المقوقس قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده وبعث معي جيشا يحرسني الى أن دخلت جزيرة العرب ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفقت بالقافلة وفي بعض كتب السير أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل اسلام المغيرة فلما دخلوا على المقوقس قال ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد قالوا ما تبعه منا رجل واحد قال كيف صنع قومه قالوا اتبعه أحداثهم

عليه وسلم لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد ابن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبهم الا نبي وقد كنت أتوقعك لتركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولم يبق من الانبياء غيرك قد كنت لرجل يهودي فكنت أعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى نفسه في بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات قال ابن حبان هذا خبر لا أصل له واسناده ليس بشئ وقال ابن الجوزي لعن الله واضعه فانه لم يقصد الا القدح في الاسلام والاستهزاء به وقد قال شيخنا العماد بن كثير هذا شئ باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف وسألت شيخنا المزي رحمه الله فقال ليس له أصل وهو ضحكة وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضي عياض في الشفاء والسهيلي في روضه وكان الاولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمسلمين

﴿غزوة وادي القرى﴾

ثم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من خيبر أتى وادي القرى وأهله يهود فدعاهم صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا أي برز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله تعالى عنه فبرز آخر فقتله علي كرم الله وجهه ثم برز آخر فقتله أبو دجانة رضي الله تعالى عنه فقاتلهم المسلمون الى المساء وقتل منهم أحد عشر رجلا فظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموال أهلها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الارض والنخيل في أيدي أهلها أي من بقي منهم وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر وفي لفظ ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود وترك في أيديهم أراضي وادي القرى والبساتين والحدائق يعملون فيها ويأخذون الاجرة وقيل حاصرهم ليالي ثم انصرف راجعا الى المدينة فعلى الاول تضم للغزوات التي وقع فيها القتال ولما بلغ أهل تيما ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم قال وقتل عبده صلى الله عليه وسلم الاسود الذي كان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يحط رحله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها من خيبر من الغنائم قبل ان تقسم تشتعل عليه نارا انتهى ولما قرب من المدينة سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليلة فلما كان قبيل الصبح نزل وعرس وقال الا رجلا حافظا لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام فقال بلال رضي الله تعالى عنه أنا يا رسول الله أحفظه عليك وفي لفظ قال يا بلال اكلأ لنا الليل فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقام بلال رضي الله تعالى عنه يصلي ما شاء الله ثم استند الى بعير واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى ضربتهم الشمس وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت يا بلال قال يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك قال صدقت أي وتبسم صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم التفت الى أبي بكر الصديق وقال له ان الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأخبر بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم الصديق فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أشهد أنك رسول الله ثم سار صلى الله عليه وسلم بالناس يقود بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس وأمر بلالا فأقام الصلاة وفي رواية فاقتادوا رواحلهم وفي رواية فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي وقال هذا واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي الحديث فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري وفي رواية ان الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا فاذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع اليها فليصلها في وقتها أي وقيل ان ذلك كان في مرجعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقيل في مرجعه من حنين وقيل في مرجعه من تبوك قال في الامتاع وهذا لا يصح لان الآثار الصحاح على خلافه أي دالة على ان ذلك كان في رجوعه صلى الله عليه وسلم من وادي القرى وقد يقال لا مانع من التعدد ويدل للقول بأن ذلك كان في مرجعه من الحديبية ما جاء عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وفي رواية لما انصرفنا من غزوة الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم من يحرسنا الليلة فقلت أنا يا رسول الله قال انك تنام ثم أعاد من يحرسنا الليلة فقلت أنا حتى أعاد ذلك مرارا وأنا أقول أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت قال فحرستهم حتى اذا كان من وجه الصبح أدركني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنام فنمت فما أيقظنا الا حر الشمس في ظهورنا وسيأتي في تبوك عن الحافظ ابن حجر اختلاف العلماء في التعدد وكان بين الحديبية وعمرة القضاء اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله تعالى عنهم وقيل كان بعد عمرة القضاء ويشهد له ما جاء عن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أنه قال لما أراد الله عز وجل ما أراد بي من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمدا صلى الله عليه وسلم سيظهر فلما جاء صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه صلى الله عليه وسلم فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد وقد سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما فاتك فقد فاتك مواطن صالحة فلما جاءني

وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال فالى ماذا يدعو قالوا الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى وهذا الذي تصفون منه نعت الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر فقالت ثقيف لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه فنغض المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب ثم سأله عن أشياء مثل سؤال هرقل لابي سفيان ثم قال لهم ما فعلت يهود يثرب قلنا خالفوه فأوقع بهم فقال هم حسد أما انهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف وذكر الواقدي وابن أبي الحكم من طريق أبان بن صالح قال أرسل المقوقس الى حاطب أي حين جاءه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسألك عن ثلاث فقال لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الام يدعو محمد قلت الى أن نعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم الى أن قال صفه لي فوصفته فأوجزت قال بقيت أشياء لم تذكرها أفي عينيه حمرة قلت ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك أحدا قال حاطب رضي الله عنه فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فكان كما قال ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمر على نصرانيته حتى فتح المسلمون

كتابه

كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما اجتمعنا للخروج الى المدينة لقيت صفوان فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا قال لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا قلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة أي الحجبي قلت هذا لي صديق فاردت أن أذكر له ثم ذكرت من قتل من آبائه أي قتل أبيه طلحة وعمه عثمان أي وقتل اخوته الاربع مسافع والجلاس والحارث وكلاب كلهم قتلوا يوم أحد كما تقدم فكرهت أن أذكر له ثم قلت وما علي فقلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة فواعدني ان سبقني أقام في محل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة اسم محل فنجد عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك أين مسيركم قلنا الدخول في الاسلام قال وذلك الذي أقدمني وفي لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبي فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا ما جئت الا لاسلم فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا المدينة الشريفة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فاخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا أي وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول فلقيني أخي فقال اسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يتبسم الي حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله أي وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفي رواية عن عمرو بن العاص قال قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه صلى الله عليه وسلم قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحدا من الصحابة في أمر حزبه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر رضي الله تعالى عنه بتلك الحالة وكان عمر رضي الله تعالى عنه على خالد كالعاتب وتقدم أن عمرا رضي الله تعالى عنه أسلم على يد النجاشي رضي الله تعالى عنه قال بعضهم وفي اسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة وهي صحابي أسلم على يد تابعي ولا يعرف مثله

منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى التميمي﴾ وكان بالبحرين بعث صلى الله عليه وسلم اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام * قال في شرح المواهب ولم نر أحدا ذكر لفظ ذلك الكتاب فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يهود ومجوس أي باقين على كفرهم فأحدث الي أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فاني أذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا أي من قبولك للحق وانقيادك للايمان واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه أي من مال وزوجات أربع يحل نكاحهن وعفوت عن أهل الذنوب أي المتقدمة منهم في الكفر وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية أنه كتب اليه ان افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة وفي رواية كتب اليه أن أعرض عليهم الاسلام فان أبوا أخذت منهم الجزية على ان لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم

● وذكر السهيلي في الروض ان العلاء لما قدم على المنذر قال له يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب ان لا تصدقه ولمن لا يخون أن لا تأمنه ولمن

ومن حين أسلم خالد رضي الله تعالى عنه لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل فيكون في مقدمها والله أعلم

﴿عمرة القضاء أي ويقال لها عمرة القضية﴾

أي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها أي صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص قال السهيلي رحمه الله وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص أي لانها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة أي وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن البيت منها سنة ست وليست قضاء عن العمرة التي صد عن البيت فيها فانها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم التي اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهي أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التي قرنها مع حجه في حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من انه كان قارنا وكلها في ذي القعدة الا التي كانت مع حجه وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه أنه اعتمر خارجا من مكة الى الحل في تلك المدة أصلا ولم يفعل هذا على عهده صلى الله عليه وسلم الا عائشة رضي الله تعالى عنها كما سيأتي في حجة الوداع وكون العمرة لا تفسد بالصد انما هو على ما يراه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه اما على من يرى ان العمرة تفسد بالصد عنها وانه يجب قضاؤها كما هو المنقول عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فواضح انها قضاء وهذه العمرة ليست من الغزوات وانما ذكرها البخاري فيها لانه صلى الله عليه وسلم خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر وليس من لازم الغزو وقوع المقاتلة ومن ثم قيل لها غزوة الامن وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقد عليه قريشا في الحديبية أي من أنه يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام وفي أنس الجليل ما يفيد ان اشتراط الثلاثة أيام كان في عمرة القضاء ففيه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا عمرة القضاء فأبى أهل مكة أن يدعوه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم ثلاثة أيام وان لا يخرج من أهلها أحدا ان أراد أن يتبعه وان لا يمنع من أصحابه أحدا أن يقيم بها وأصحابه كانوا ألفين أي وأمر ان لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف أحد الا من استشهد في خيبر ومن مات وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية واستخلف على المدينة أباذر الغفاري وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها أي جعل في عنق كل بعير قطعة من جلد أو نعلا بالية ليعلم أنه هدي فيكف الناس عنه ولم يذكر هنا الاشعار أي وجعل عليها ناجية بن جندب قال وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه أي وعلى السلاح بشير بوزن أمير ابن سعد وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه فقيل يا رسول الله حملت

السلاح

لا يخاف أن لا نثق به فان كان هكذا فهذا هو النبي الامي الذي والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه امر به أوليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه اذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت واقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ماجاء به أن يعظم رسوله وسأنظر أي سأنظر فيما أصنع من الذهاب اليه أو مكاتبته وروى الطبراني وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدي عن أبيه قال وفد المنذر ابن ساوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم امسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم ووضع المنذر سلاحه ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا مع الجمال انظر الى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال المنذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم رأيت منك مالم أر من أصحابك فقلت أشيء جبلت عليه أو أحدثته قال لا بل جبلت عليه فأسلموا انتهى قال بعض أهل السير ان ذلك اشتباه وان هذا الوفد معروف للاشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن ساوى لم تعرف له وفادة وذكر أبو جعفر الطبري ان المنذر بن ساوى مات بالقرب من وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو كم جعل صلى الله عليه وسلم للميت من ماله عند الموت فقال الثلث قال فما ترى أن اصنع في ثلث مالي قال ان شئت قسمته في سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجري بعدك على من شئت قال ما أحب ان أجعل شيأ من مالي كالسائبة ولكني أقسمه والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان﴾ بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبا واما عمان بفتح العين وشد الميم فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبي برزة رضي

السلاح وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح لكن يكون قريبا منا فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فمضى بالخيل محمد بن مسلمة فلما كان بمر الظهران وجد نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله أي وقد رأوا سلاحا كثيرا فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح ففزعت قريش وقالوا اما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد في أصحابه ثم ان قريشا بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال صلى الله عليه وسلم اني لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذي تعرف به البر والوفاء ثم رجع مكرز الى مكة سريعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم انتهى فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت هو وأصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة أي راكبا ناقته القصواء وأصحابه محدقون به قد توشحوا السيوف يلبون ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وهي ثنية كداء بالمد أي وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة قال اللهم لا تجعل منايانا بها يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها أي وجعل صلى الله عليه وسلم السلاح في بطن ناجج موضع قريب من الحرم وتخلف عنده جمع من المسلمين أي نحو مائتين من أصحابه عليهم أوس بن خولي وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم والى أصحابه وهم يطوفون بالبيت وقد قالوا أي كفار قريش ان المهاجرين أوهنتهم أي أضعفتهم حمى يثرب وفي لفظ قالوا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه أن يرملوا الاشواط الثلاثة أي ليرى المشركين أن لهم قوة أي فعند ذلك قال المشركون أي قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا انهم لينفرون أي يثبون نفر الظبي أي الغزال وانما لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل في الاشواط كلها رفقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك وهذا أول رمل واضطباع في الاسلام وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثلاثة أيام فلما تمت الثلاثة التي هي أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة فقالوا انا نشدك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه منها وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية رضي الله عنها أي وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهي اخت ام الفضل زوج العباس رضي الله تعالى عنهما واخت أسماء بنت

الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم فسبوه وضربوه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك وروى الامام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر وكان بعث كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان في ذي القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضي الله عنه وكتب له فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر على وزن جعفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب الكتاب أبي بن كعب وختمه صلى الله عليه وسلم قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت اني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك بهذا الكتاب أي وبالدعاء الى ما تضمنه من الايمان فقال عبد أخي جيفر هو المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال وما تدعو اليه قلت أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وأن تشهد أن محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام فسألني أين كان اسلامك قلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال كيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال انظر يا عمرو ما تقول فانه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله في

عميس لامها زوج حمزة رضى الله تعالى عنه وكان تزوجه صلى الله عليه وسلم ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة وقيل بعد أن أحل منها وقيل وهو محرم أى وهو ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ورواه الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد بعث اليها جعفر رضى الله عنه ليخطبها ولما انتهت اليها خطبة النبى صلى الله عليه وسلم كانت على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله أى ومن ثم قيل انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل جعلت أمرها الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقيل جعلت أمرها الام الفضل أختها فجعلت ام الفضل أمرها للعباس فزوجها العباس وأصدقها عنه صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ولا مانع من نكاحه صلى الله عليه وسلم وهو محرم فان من خصائصه صلى الله عليه وسلم حل عقد النكاح فى الاحرام أى وفى كلام السهيلى كان من شيوخنا من يتأول قول ابن عباس تزوجها محرما أى فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام ولم يرد الاحرام بالحج أى كما أراد ذلك الشاعر بقوله فى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ودعا فلم أر مثله مقتولا

أى فى شهر حرام فانه قتل فى أيام التشريق هذا كلام السهيلى قال ابن كثير رحمه الله وفيه نظر لان الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما متضافرة بخلاف ذلك التى منها تزوجها وهو محرم هذا كلامه وعن ابن المسيب غلط ابن عباس أو قال وهم ابن عباس ما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم الا وهو حلال ومن ثم روى الدارقطنى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال قال السهيلى فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره فقف عليها فانها غريبة عن ابن عباس وذكر بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم وكل أبا رافع رضى الله تعالى عنه فى نكاح ميمونة رضى الله تعالى عنها وفى بعض السير وعن أبى رافع قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وأنا الرسول بينهما رواه البيهقى والترمذى والنسائى وأراد صلى الله عليه وسلم أن يبنى بها فى مكة فلم يمهلوه يبنى بها قال وقد قال لهم ما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاما فقالوا لا حاجة لنا فى طعامك أخرج عنا من أرضنا هذه الثلاثة قد مضت وفى لفظ قال لهم انى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى أدخل بها وأصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا وفى رواية جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم فى قبته التى نصبها بالابطح وذلك وقت الظهر وقيل وقت الصبح ولا مخالفة لجواز مجيئهم له فى الوقتين وعند مجيئهم له صلى الله عليه وسلم كان مع الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب ناشدتك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فغضب سعد بن عبادة رضى الله عنه لما رأى من غلظ كلامهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال لذلك القائل كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا أرض آبائك أى وفى لفظ قال يا عاض بظر أمه أرضك وأرض أمك دونه ليست بأرضك ولا أرض آبائك والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

دينار ثم قال ما أرى هرقل علم باسلامه أى النجاشى قلت بلى قال بأى شئ علمت ذلك قلت كان النجاشى يخرج له خراجا فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألنى درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن على ملكى لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه ولو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن أى أبخل بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أى طرفا وتابعا بعد ان كان رأسا ومتبوعا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن أى لما فيه من مواساة الفقراء قال وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات فى الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى الشجر وترد المياه قلت نعم قال والله ما أرى قومى فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فمكثت ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبرى ثم انه دعانى يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعى فقال دعوه فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعونى أجلس على عادة ملوك العجم فى أن رسول شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض ختمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا انى رأيت أخاه أرق منه فقال جيفر ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب فى الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد

وسلم وقال يا سعد لا تؤذ قوما زارونا فى رحالنا وأسكت الفريقين ثم انه صلى الله عليه وسلم أمر أبا رافع رضى الله تعالى عنه أن ينادى بالرحيل ولا يمسى بها أحد من المسلمين وخلف أبا رافع ليأتى له بميمونة حين يمسى فخرج بها ولقيت ميمونة رضى الله تعالى عنها من سفهاء مكة عناء فعن أبى رافع رضى الله تعالى عنه لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من أذى ألسنتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ولميمونة فقلت لهم ما شئتم هذه والله الخيل والسلاح ببطن يأجج وأنتم تريدون نقض العهد والمدة فولوا راجعين منكسين وأقام صلى الله عليه وسلم بسرف بكسر الراء وهو محل بين مساجد عائشة وبطن مر وهو أقرب الى مساجد عائشة وفيه دخل صلى الله عليه وسلم بميمونة أى تحت شجرة هناك وكان محل موتها ودفنها دفنت فيه بعد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم أخبرها بانها لا تموت بمكة فلما ثقل عليها المرض وهى بمكة قالت اخرجونى من مكة فانى لا أموت بها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بذلك فحملوها حتى أتوا بها ذلك الموضع فماتت به ودفنت به أى وهى آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفى من أزواجه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن وحين دخوله صلى الله عليه وسلم مكة أخذ عبد الله ابن رواحة رضى الله تعالى عنه بغرزه أى ركابه صلى الله عليه وسلم أى وقيل بزمام الناقة وهو رضى الله تعالى عنه وعنا وعن المسلمين يقول من أبيات

خلوا بنى الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير فى رسوله

قد أنزل الرحمن فى تنزيله * بأن خير القتل فى سبيله

فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

وفى لفظ

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

وما قيل

نحن قتلناكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * أو يذهل الخليل عن خليله

قاله عمار بن ياسر يوم صفين لا يمنع أن يكون ذلك من كلام ابن رواحة رضى الله تعالى عنه وتمثل به عمار رضى الله تعالى عنه أى وأما ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلى يقاتل على تأويله فقال فيه الدارقطنى رحمه الله تفرد به بعض الرافضة قال وذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال مه يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل وذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال ايه يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقال الناس أى وفى الامتاع وكان ابن رواحة يرتجز فى طوافه وهو آخذ بزمام الناقة فقال عليه الصلاة والسلام ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقالها الناس وطاف صلى الله عليه وسلم على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وذكر أنه صلى الله

رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا فى ضلال فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الحرجة وهى الشجر الملتف والمراد التحوز وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أى جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الاسلام ولا تدخل عليك الخيل والرجال وفى هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال وفى هذا دليل على قوة نفس عمرو رضى الله عنه وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب وأنذره بالحرب والهلاك فى محل ملكه بحضرة أعوانه مع انه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته صلى الله عليه وسلم فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا قال عمرو فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو انى أرجو أن يسلم أخى ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لى فانصرفت الى أخيه فأخبرته انى لم أصل اليه فأوصلنى اليه فقال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله ههنا أى لبعد الدار وان بلغت خيله ههنا وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قال عمرو وقلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه فقال له ما نحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل اليه أجابه فأصبح فأرسل الى فأجاب للاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونا لى على من خالفنى وأسلم معهما خلق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم قال بعضهم ثم ان عمرا لم يزل بعمان حتى توفى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد ولعل اقامته كانت بأمر النبى صلى الله عليه وسلم حين بعثه أو باشارة فهم منها ذلك أو باجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفى﴾ صاحب اليمامة وهى بلاد بالمشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على الحنفى وأرسل

الكتاب مع سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه وكان ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا وغيرها واستشهد باليمامة في قتال أهل الردة وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله

عليه وسلم دخل البيت فلم يزل به حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة فقال عكرمة بن أبي جهل لقد أكرم الله تعالى أبا الحكم يعني والده أبا جهل حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول وقال صفوان بن أمية الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا وقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أذهب أبي ولم يشهد هذا اليوم حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة وسهيل بن عمرو ولما سمع ذلك غطى وجهه وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله تعالى عنهم قال بعضهم وكون ماذكر أي من دخوله صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة وأذان بلال رضي الله تعالى عنه فوق ظهرها كان في عمرة القضاء خلاف المشهور اذ المشهور أن ذلك كان في يوم الفتح ويدل لذلك ما قيل لم يدخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وأنه أراد ذلك فأبوا وقالوا لم يكن في شرطك فأمر بلال فأذن فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها قال الواقدي في هذا القيل انه أثبت ﴿أقول﴾ ويؤيد الاول ما جاء دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها اني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي من بعدي أي لاتخاذهم ذلك سنة الآن يقال يجوز أن يكون ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وينبغي أن يكون هذا من اعلام النبوة فان الناس يحصل لهم من التعب بسبب دخولها سيما زمن الموسم ما لا يعبر عنه من المتاعب والامور القظيعة والله أعلم * ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة أي وأوقف الهدى عند المروة وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عندها وحلق ولم أقف على من حلق رأسه الشريف في هذه العمرة ثم رأيته في الامتاع قال حلقه معمر بن عبد الله العدوي وفعل كفعله صلى الله عليه وسلم المسلمون أي ومن لم يجد منهم بدنة رخص له في البقرة وكان قدم رجل مكة بقر فاشتراه الناس منه وأمر صلى الله عليه وسلم من تحلل أن يذهب الى السلاح ويأتي آخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته عمارة أي وقيل اسمها أمة أبيها وقيل أمامة وقيل أمة الله قال ابن عبد البر والمثبت أمامة وأمها سلمى بنت عميس بنت عمه حمزة رضي الله تعالى عنه تنادي ياعم ياعم أي وفي لفظ ان أبا رافع خرج بها فتناولها علي كرم الله وجهه فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فلما وصلوا المدينة اختصم فيها علي وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فقال زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه أنا أحق بها لانها ابنة أخي أي وأنا وصيه لانه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وزيد أي وجعل حمزة رضي الله تعالى عنه وصيه وقال علي كرم الله وجهه أنا أحق بها لانها ابنة عمي وجئت بها من مكة وقال جعفر رضي الله تعالى عنه أنا أحق بها لانها ابنة عمي وخالتها تحتي أي وهي أسماء بنت عميس فقضى بها صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله تعالى عنه وقال الخالة بمنزلة الام هذا وفي الامتاع وكلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمارة بنت حمزة رضي الله تعالى عنهما وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة فقال علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين وأنه لما قضى لجعفر رضي الله تعالى عنه حجل جعفر حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا جعفر فقال يا رسول الله كان النجاشي اذا أرضى أحدا قام فحجل حوله وفيه أنه فعل مثل ذلك بخيبر * وما بالعهد من قدم * الآن يقال يجوز أن يكون في خيبر فعل

صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحباه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف قال السهيلي وقال له سليط يا هوذة انك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا يشقون به واني آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة يا سليط سودني من لو سودك شرفت به وقد كان لي رأي أختبر به الامور ففقدته فوضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع الى فيها رأيي فأجيبك به ان شاء الله وذكر الواقدي ان أركون دمشق الرومي من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءني كتاب من النبي يدعوني الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لا تجيبه قال ضننت بديني وأنا ملك قومي ولئن تبعته لن أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك في اتباعه وانه للنبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله واركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ثم ان هوذة كتب للنبي صلى الله عليه وسلم جواب كتابه ذلك وقال فيه ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك وكأنه أراد الشركة في النبوة أو الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بكتابه على النبي صلى الله عليه

وسلم وأخبره بخبره فلما قرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لو سألني سيابة من الارض أي قطعة منها ما فعلت باد وباد ما في يديه أي هلك وهو خبر أو دعاء فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة قد مات على كفره فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل

ذلك ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وفيه تقديم الخالة في الحضانة على العمة لان عمتها صفية رضي الله تعالى عنها كانت موجودة وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه في هذا الموطن أنت أخي وصاحبي وفي لفظ أنت مني وأنا منك وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله تعالى عنه أشبهت خلقي وخلقي أي وقد تقدم منه صلى الله عليه وسلم ذلك له في خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله تعالى عنه أنت أخي ومولاي وفي لفظ أنت مولى الله ومولى رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿غزوة مؤتة﴾

بضم الميم وبالهمزة ساكنة وبترك الهمزة موضع معروف عند الكرك وفي كلام السهيلي مؤتة مهموز الفاء وأما الموتة بلا همز فضرب من الجنون وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوي الحديث فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة هذا كلامه كانت هذه الغزوة في جمادى الاولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحرث بن عمير الازدي بكتاب الى هرقل عظيم الروم بالشام أي فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني أي وهو من أمراء قيصر على الشام فقال أين تريد لعلك من رسل محمد قال نعم فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد الامر عليه فجهز جمعا من أصحابه وعدتهم ثلاثة آلاف وبعثهم الى مقاتلة ملك الروم وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس قال وفي رواية فان أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم وقد حضر ذلك المجلس رجل من يهود فقال يا أبا القاسم ان كنت نبيا يصاب جميع من ذكرت لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بني اسرائيل كان الواحد منهم اذا استعمل رجلا على القوم وقال ان أصيب فلان لا بد أن يصاب أي ولو عدمائة أصيبوا جميعا ثم صار يقول لزيد اعهد فلن ترجع الى محمد أبدا ان كان نبيا وزيد يقول أشهد أنه نبي وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم نهاهم ان يأتوا مؤتة فغشيتهم ضبابة فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة انتهى وودعهم الناس وقالوا لهم صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين قال ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال أي بعد قوله أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا بصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء انتهى وقال لهم المسلمون دفع الله عنكم وردكم غانمين فمضوا حتى نزلوا من أرض الشام فبلغهم ان هرقل

وفي رواية فقال قائل يا رسول الله من يقتله قال أنت وأصحابك قال بعضهم والظاهر ان المخاطب من الذين اشتركوا في قتله أو هو خالد ابن الوليد أي فانه رضي الله عنه كان أمير الجيش الذي قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن أبي شمر الغساني﴾

وكان أميرا بدمشق من جهة قيصر وكان اقامته بغوطتها وهو موضع بالشام كثير الماء والشجر وبعث صلى الله عليه وسلم اليه شجاع بن وهب الاسدي من أسد بن خزيمة رضي الله عنه وكان من السابقين الاولين واستشهد باليمامة ومعه كتابه فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فاني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسألني عنه صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام فأراه خرج بأرض القرظ فأنا أؤمن به وأصدقه وأنا أخاف من الحرث بن أبي شمر أن يقتلني وكان هذا الحاجب روميا اسمه مري قال شجاع وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحرث ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج

الحرث يوما فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان
باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل ان تنعل ثم قال اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره بخبري
فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضي الله عنه وقد بعثه صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب اليه
أن لا تسر اليه واله عنه ووافقني
بايليا قال ورجع اليه جوابه وأنا
مقيم فدعاني وقال متى تريد ان
تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر
لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني
حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال
اقرأ على رسول الله مني السلام
وأخبره بأني متبع دينه فقدمت
فأخبرته صلى الله عليه وسلم بخبر
الحرث فقال باد ملكه وأقرأته
من مري السلام وأخبرته بما
قال فقال صلى الله عليه وسلم صدق
وفي كلام بعض أهل السير ان
الحرث أسلم ولكن قال أخاف ان
أظهر اسلامي فيقتلني قيصر
وذكر ابن هشام وغيره ان شجاع
ابن وهب انما توجه الى جبلة بن
الايهم ويقال أرسل الى الحرث
والى جبلة وان شجاعا قال له
يا جبلة ان قومك يعني الانصار
نقلوا هذا النبي الامي من داره
الى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه
وان هذا الدين الذي أنت عليه
ليس بدين آبائك ولكنك ملكت
الشام وجاورت الروم ولو جاورت
كسرى دنت بدين الفرس فان
أسلمت أطاعتك الشام وهابتك
الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا
وكانت لك الآخرة وقد كنت
استبدلت المساجد بالبيع والاذان
بالناقوس والجمع بالشعانين وكان
ما عند الله خيرا وأبقى فقال جبلة
والله اني لوددت ان الناس اجتمعوا
على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع قومي به وقد دعاني قيصر الى قتال
أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكني لست أرى قتالا باطلا وسأنظر وذكر بعضهم انه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل له هدية وكان ثابتا على اسلامه الى زمن خلافة عمر رضي الله عنه فكتب الى عمر رضي الله عنه

ملك الروم في مائة ألف من الروم وانضم اليه من قبائل العرب أي المتنصرة أي من بني بكر
ولخم وجذام مائة ألف وفي رواية كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم
من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين وكان المسلمون ثلاثة آلاف كما مر فلما بلغهم ذلك
أقاموا في ذلك المحل ليلتين ينظرون في أمرهم هل يبعثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرونه بعدد عدوهم فاما أن يمدهم برجال أو يأمرهم بأمر فيمضوا اليه فشجعهم عبد الله
ابن رواحة وقال لهم يا قوم والله ان الذي تكرهون للذي خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة
ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به
فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة أي فقال الناس صدق والله ابن رواحة فمضوا
للقتال فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم من الروم والعرب فانحاز المسلمون الى مؤتة فالتقى الجمعان
عندها واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
أي لواؤه حتى قتل رضي الله تعالى عنه فأخذ الراية جعفر رضي الله تعالى عنه وقاتل على فرس
أشقر ثم نزل عنه وعقره أي وهو أول رجل من المسلمين عقر فرسه وأول فرس عقر في سبيل الله
عقره خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصحابة وبه
استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار ويقاتل عليه المسلمين ثم قاتل رضي
الله تعالى عنه فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى
قتل رضي الله تعالى عنه فأخذها عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وتقدم بها وهو على
فرسه وجعل يتردد في النزول عن فرسه ثم نزل وقاتل حتى قتل أي وحينئذ اختلط المسلمون
والمشركون وأراد بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه يقول يا قوم
يقتل الانسان مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا ه فأخذ الراية ثابت بن أرقم رضي الله عنه
وقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت فقال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس
على خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أي ويقال ان ثابت بن أرقم دفعها الى خالد رضي الله تعالى
عنه وقال أنت أعلم بالقتال مني فقال له خالد أنت أحق به مني لانك ممن شهد بدرا ثم أخذه
خالد رضي الله تعالى عنه ومانع القوم وثبت ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة
على أحدهما وفي رواية فقاتلوا المشركين حتى هزموهم فعند ابن سعد أن خالدا رضي الله
تعالى عنه لما أخذ اللواء حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم
حيث شاؤا وأظهر الله المسلمين قيل وسبب ذلك أن خالدا رضي الله تعالى عنه لما أصبح جعل
مقدمة الجيش ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة فظن المشركون مجيء
عدد للمسلمين فرعبوا وانهزموا فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم و يجوز أن يكون ذلك بعد انحياز
المسلمين فلا منافاة بين الروايتين وكانت مدة القتال سبعة أيام وروى البخاري عن خالد رضي
الله تعالى عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما بقي في يدي الا صفيحة يمانية
انتهى وأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك فأخبر به أصحابه أي فانه لما اطلع على
ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال أيها الناس باب خير باب

خير

يستأذنه في القدوم عليه فسر عمر رضي الله عنه بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى
أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق
الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام عنده بالمدينة
مكرما فخرج عمر حاجا فخرج معه
وحين تطوف بالبيت وطئ رجل
من فزارة ازاره فغضب فلطم
الفزاري لطمة هشم بها أنفه
وكسر ثناياه وفي رواية فقأ عينه
فشكى الفزاري الى عمر رضي الله
عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت
أنفه أو قال له لم فقأت عينه فقال
يا أمير المؤمنين وطئ على ازاري
ولولا حرمة البيت لضربت عنقه
بالسيف فقال له عمر رضي الله
عنه اما أنت فقد أقررت اما ان
ترضيه والا اقدته منك وفي
رواية قال والحكم اما بالعفو أو
بالقصاص فقال جبلة فيصنع بي
ماذا قال مثل ما صنعت به فقال
أتقتص له مني سواء وأنا ملك
وهذا سوقة فقال له عمر رضي الله
عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل
لك عليه الا بالتقوى قال ان كنت
أنا وهذا الرجل في الدين سواء
فانا أتنصر فاني كنت يا أمير
المؤمنين أظن اني أكون في
الاسلام أعز مني في الجاهلية فقال
له عمر رضي الله عنه اذا تنصرت
أضرب عنقك قال فأمهلني الليلة
حتى انظر في أمري قال ذلك الى
خصمك فقال الرجل أمهلته
يا أمير المؤمنين فأذن له عمر في
الانصراف ثم ركب في بني عمه
وهرب الى قسطنطينية فدخل
على هرقل وتنصر هنالك وكان
مع الروم في قتالهم المسلمين حتى
هلك على النصرانية وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما ولم يصح وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الارض
برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها
جبلة باسمه قيل فيها قبر ابراهيم بن أدهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بني نهد﴾

خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد رضي
الله تعالى عنه شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر رضي الله تعالى عنه فشد على القوم حتى
قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه واثبت قدميه
حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه
ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفي لفظ ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله
وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله
عليهم قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ
سمي خالد سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه
وعن عبد الله بن أبي أوفى قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله
انهم يقعون في فأرد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار
قال بعضهم وكون هذا نصرا وفتحا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا مائتي
ألف والصحابة ثلاثة آلاف أي كما تقدم اذا كان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية وفي رواية
أصاب خالد رضي الله عنه منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما يأتي ان طائفة
منهم فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون
الى آخر ما يأتي وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنهما أي زوج جعفر رضي الله عنه قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتيني ببني جعفر
فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه أي وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يا رسول الله
بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقمت أصيح
واجتمع علي النساء أي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يا أسماء لا تقولي هجرا
ولا تضربي خدا وجاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ان النساء عيينا وفتن قال
فارجع اليهن فأسكتهن فذهب ثم رجع فقال له مثل الاول وقال نهيتهن فلم يطعنني فقال اذهب
فأسكتهن فان أبين فاحث في أفواههن التراب وقال صلى الله عليه وسلم اللهم قد قدم يعني جعفرا
الى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك في ذريته وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله وقال لا تغفلوا عن آل جعفر ان تصنعوا لهم طعاما فانهم
قد شغلوا بأمر صاحبهم انتهى أي وفي لفظ دخل صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها
وهي تقول واعماه فقال صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك الباكية وفي لفظ البواكي
ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفي رواية
فانهم قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ان سلمى مولاة النبي صلى الله
عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم طبخته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال
عبد الله رضي الله عنه فأكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتي
وفي لفظ أنا وأخي في بيته ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى نسائه

وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم ويكلمهم بلغتهم وذلك من أنواع بلاغته صلى الله عليه وسلم فكان يتكلم مع كل ذى لغة غريبة بلغته ومع كل ذى لغة بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستحداثا للالفة والمحبة فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب

ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى فعل لآل جعفر رضى الله عنهم قال السهيلى هو أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة قال عبد الله رضى الله عنه ودعا لى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريت شيأ الا بورك لى فيه ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بخبر الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرنى وان شئت أخبرتك قال فأخبرنى يا رسول الله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم أى وحين رأى ذلك صلى الله عليه وسلم قال قد حمى الوطيس أى حميت الحرب واشتدت وقال صلى الله عليه وسلم مثل لى جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا أى اعراضا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل لى انهما حين غشيهما الموت اعرضا وجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل وعن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر رضى الله عنه فجاءه الشيطان لعنه الله فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد رضى الله عنه قال وفى رواية رأيتهم فيما يرى النائم وفى رواية لقد رفعوا الى أى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله ابن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه أى انحرافا فقلت عم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى انتهى أى فانه كما تقدم صار يستنزل نفسه ويتردد فى النزول بعض التردد وفى لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح وفى لفظ طعنة ورمية وفى لفظ آخر ضربه رومى فقده نصفين فوجد فى احدى شقيه بضعة وثمانين جراحا فيما أقبل من بدنه اثنين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح أى وقيل أربعا وخمسين وفى رواية التسعين أثبت قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال انى صائم فضعه فى ترسى عند رأسى فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا وعمره احدى وأربعون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة وفيه انه تقدم انه كان أسن من على بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال وعلى ما قيل انه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى ان عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لان عليا كرم الله وجهه أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره احدى وعشرون سنة ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة وكونه رضى الله عنه مات صائما

أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب فانظر الى دعائه صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة حين سألوه ذلك فقال اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم وفى رواية اللهم بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا اللهم انى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ثم انظر دعاءه لبنى نهد وقد وفدوا عليه فى جملة الوفود فقام طهفة ابن رهم النهدى يشكو الجدب اليه فقال يا رسول الله أتيناك من غورى تهامة بأكوار الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشرائع الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء لهم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى بنى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل

ورسوله لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وروى العسكرى عن على رضى الله عنه

لا يناسب كونه شق نصفين وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء فقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا قال مر بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم على ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان ينشدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة وفى رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله تعالى من يديه وروى جناحان من ياقوت أى وذكر السهيلى رحمه الله ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيهما جعفر رضى الله عنه يقتدر بهما على الطيران لا أنهما جناحان كجناح الطائر كما يسبق للوهم أى لان الصورة الآدمية أشرف الصور أى ولا يضر فى ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم وصار المسلمون يحثون فى وجوههم التراب ويقولون لهم يا فرارون فررتم فى سبيل الله فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفى لفظ انهم قالوا يا رسول الله نحن الفارون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون أى الكرارون وهو دليل على انه كان بينهم محاجزة وترك للقتال وعن بعض الصحابة لما قتل ابن رواحة رضى الله عنه انهزم المسلمون رضى الله عنهم أسوأ هزيمة ثم تراجعوا ولقد لقوا من أهل المدينة لما رجعوا شرا حتى ان الرجل يجىء الى أهل بيته يدق عليهم بابه فيأبون يفتحون له ويقولون له هلا تقدمت مع أصحابك فقتلت حتى ان نفرا من الصحابة رضى الله عنهم جلسوا فى بيوتهم استحياء كلما خرج واحد منهم صاحوا به وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم رجلا رجلا ثم يقول أنتم الكرارون فى سبيل الله ويعنون بالفرار انحيازهم مع خالد رضى الله عنه حين انحاز العدو عنهم وانما انحاز خالد رضى الله عنه لترتيبه العسكر وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم خالدا رضى الله عنه على ذلك وأثنى عليه وقتل رجل من المسلمين رجلا من الروم فأراد أخذ سلبه فمنعه خالد رضى الله عنه فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال لخالد ما منعك ان تعطيه سلبه قال استكثرته عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعه له وكان عوف بن مالك رضى الله عنه كلم خالدا فى دفع ذلك لذلك الرجل قبل أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمر خالد بعوف بن مالك أطلق لسانه فى خالد رضى الله عنه وقال له أما ذكرت لك ذلك ونحوه فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لخالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لى أمرائى وفيه ان القاتل استحق السلب فكيف منعه وأجيب بأنه يجوز أن يكون دفعه له بعد وانما أخر دفعه تعزيرا لعوف رضى الله عنه حين أطلق لسانه فى خالد وانتهك حرمته وتطييبا لقلب خالد رضى الله عنه للمصلحة فى اكرام الامراء وهذا السياق يدل على ان الجيش كله رضى الله عنهم قيل لهم الفرارون وانما كان لطائفة من الجيش فروا الى المدينة لما رأوا من

قال قلنا يا نبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تتكلم بلسان العرب ما لا نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى أى علمنى رياضة النفس ومحاسن الاخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت فى بنى سعد بن بكر أى فجمع لى بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها قال فى المواهب وتحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة الى التفسير فغورى تهامة ما انحدر منها والاكوار الرحل والميس بفتح الميم وسكون التحتية شجر صلب يعمل منه رحال الابل ونستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب فى الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالخلب وهو المنجل وقيل نستخلب الخبير أى نقطع النبات ونأكله ونستعضد البرير أى نقطعه والبرير ثمر الاراك وكانوا يأكلونه فى الجدب لقلة الزاد ونستخيل الرهام بكسر الراء وهى الامطار الضعيفة واحدتها رهمة أى نتخيل الماء فى السحاب القليل ونستحيل بالجيم الجهام أى نراه حائلا يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بفتح الجيم السحاب الذى فرغ ماؤه ويروى ونستخيل بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال اذا ظننت أراد لا نتخيل فى السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه فنظن ما لا وجود له موجودا ويروى ونستحيل بالحاء المهملة والمراد لا ننظر من السحاب فى حال الا الى جهام من قلة المطر وقوله من أرض غائلة النطاء بكسر النون أى المهلكة للبعد يقال بلد نطى أى بعيد والمدهن بالضم نقرة فى

الجبل ومستنقع الماء وكل موضع حفره السيل وآلة الدهن وقار ورنه وهذا كناية عن جفاف الماء فى جميع نواحيهم والجعثن بالجيم والمثلثة المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون أصل النبات والاملوج بضم الهمزة واللام وبالجيم ورق شجر يشبه الطرفاء والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم هو الغصن اذا يبس وذهبت طراوته يريد ان الاغصان يبست

كثرة العدو فليتأمل وعد هذه غزوة تبعت فيه الاصل والحق انها ليست من الغزوات بل من السرايا الآتى ذكرها لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها والله أعلم

فتح مكة شرفها الله تعالى

كان فى رمضان سنة ثمان وكان السبب فى ذلك انه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيه ان من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكان قبل ذلك بينهما دماء أى فحجز الاسلام بينهم التشاغل الناس به وهم على ماهم عليه من العداوة وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم أى يناصرونه على عمه نوفل بن عبد مناف فان المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وأفنية كانت لعبد المطلب واغتصبه اياها فاضطرب عبد المطلب لذلك واستنهض قومه فلم ينهض معه أحد منهم وقالوا له لا ندخل بينك وبين عمك وكتب الى اخواله بنى النجار فجاءه منهم سبعون راكبا فأتوا نوفلا وقالوا له ورب البنية لتردن على ابن أختنا ما أخذت والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف خزاعة بعد ان حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحلف فانهم أوقفوه على كتاب عبد المطلب وقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه أى بالحديبية وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذا قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وميثاقه ومالا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما اشرق ثبير وثبت حرا مكانه ومابل بحر صوفة وفى الامتاع ان نسخة كتابهم باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة مابل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد واوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما اقام الاخشبان وعمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون متعاونون فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله جميلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحقكم وأنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف فلما كانت الهدنة وهى ترك القتال التى وقعت فى صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر أى طائفة منهم يقال لهم بنو نفاثة أى وفى الامتاع وسببها ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مما كان بينهم من العداوة فطلب بنو نفاثة من أشراف قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة أى جاؤهم ليلا بغتة وهم آمنون على ماء لهم يقال له الوتير

وهلكت من الجدب وقوله وهلك الهدى بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشد الياء كالهدى بسكون الدال وتخفيف الياء مايهدى الى البيت الحرام من النعم لينحر فأطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا تسمية له تسمية للشئ ببعضه وقوله ومات الودى بشد الياء هو فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن أى الصنم يعنون انهم تركوا عبادة الاصنام والالتجاء اليها والعتن أى الاعتراض يقال عن لى الشئ اذا اعترض كأنه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل وقوله ماطمى البحر بالطاء المهملة أى ارتفع بأمواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة فألف فراء بزنة كتاب اسم جبل يصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله ولنا نعم همل بفتحتين أى مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهى كالضالة والابل الاغفال التى لا لبن فيها والوقير القطيع من الغنم وقوله كثير الرسل بفتح الراء أى شديد التفرق فى طلب الرعى قليل الرسل بكسر فسكون اللبن وقوله سنية بالتصغير للتعظيم وقوله حمراء أى شديدة أى أصابها جدب شديد وقوله مؤزلة أى آتية بالازل أى القحط

ليس لها علل هو الشرب ثانيا ولا نهل هو الشرب أولا أى لشدة القحط وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أى خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن وهو الذى حرك فى السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء والضمائر لارضهم أو انعامهم المذكورة فى كلام طهفة فدعا النبى صلى الله عليه وسلم

لهم فى ألبانهم باقسامها والقصد الدعاء لهم بخصب أرضهم وسقيها فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها فى الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير لانه من الدثار وهو الغطاء لانه يغطى وجه الارض وافجر له الثمد بفتح المثلثة واسكان الميم وتفتح الماء القليل أى صيره كثيرا وقوله ودائع

فأصابوا منهم أى قتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى أى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل ابن عمرو رضى الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك ولا زالوا بهم الى أن ادخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة أى ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم ذلك وظنوا انهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ناصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وجاء الحرث بن هشام الى أبى سفيان وأخبره بما فعل القوم فقال هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وانه لشر والله ليغزونا محمد ولقد حدثتنى هند بنت عتبة يعنى زوجته انها رأت رؤيا كرهتها رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة فكره القوم ذلك وعند ذلك خرج عمرو وقيل عمر بضم العين وصحح الذهبى ابن سالم الخزاعى أى سيد خزاعة فى أربعين راكبا أى من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ودخل المسجد ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين الناس وقال من أبيات

يارب انى ناشد محمدا * حلف ابينا وأبيه الاتلدا

ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا

هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم أى ودمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لا ينصرنى الله وفى لفظ لا نصرت ان لم أنصر بنى كعب يعنى خزاعة مما أنصر به نفسى وفى رواية لامنعنهم مما أمنع منه نفسى زاد فى رواية وأهل بيتى ثم مرت سحابة فى السماء وارعدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا السحاب ليستهل أى وفى لفظ لينصب بنصر بنى كعب يعنى خزاعة أى وعن بشر بن عصمة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خزاعة منى وأنا منهم وقبل قدوم عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامه بذلك حدثت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الوقعة قال لها لقد حدث فى خزاعة حدث قالت فقلت يا رسول الله أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذى بينك وبينهم فقال ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير قال خير وفى لفظ قالت لخير أو لشر قال لخير وعن ميمونة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات عندها ليلة فقام ليتوضأ للصلاة قالت فسمعته يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد قال هذا راجز بنى كعب يعنى خزاعة يزعم ان قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل أى بطنا منهم وهم بنو نفاثة قالت ميمونة فأقمنا ثلاثا ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعت الراجز يقول يارب انى ناشد محمدا الى آخر ما تقدم انتهى وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه فيمن تهمتكم قالوا بنو بكر قال كلها قالوا لا ولكن بنو نفاثة قال هذا بطن من بكر ولما ندمت قريش على نقضهم العهد أرسلوا أبا سفيان ليشد

الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ووضائع الملك بكسر الميم هى الوظائف التى تكون على الملك وهو ما يلزم الناس فى أموالهم من الزكاة والصدقة أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا نتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيأ بل أنتم فيها كسائر المسلمين وقوله لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الاولى مكسورة والثانية ساكنة أى لا تمنع الزكاة يقال لط الغريم اذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة أى لا تمل عن الحق مادمت حيا والخطاب لطهفة بن رهم ويروى ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة بصيغة التفعل ولا تتثاقل عن الصلاة أى لا تتخلف عنها وعن أدائها فى وقتها وقوله فى الكتاب فى الوظيفة الفريضة الوظيفة الحق الواجب والفريضة هى الهرمة المسنة التى انقطعت عن العمل والانتفاع بها أى لا نأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة أى فهى لكم لا نأخذها فى الزكاة أيضا والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين معجمة وهى من الابل الحديثة العهد بالنتاج كالنفاس من بنى آدم أى لكم خيار المال كالفريش لانها لبون نفيسة ولكم شراره أيضا كالفريضة والفارض ولنا وسطه رفقا بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام والركوب بفتح الراء أى الفرس الذلول أى المذلل المركوب أى لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب أى بخلاف المعد للتجارة

والفلو بفتح الفاء وضم اللام وشد الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب امتن عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها وهو ذو العنان الركوب ورديها وهو الفلو الضبيس أى أظهر المنة عليهم فى ذلك لان الله ما أوحى اليه باخذ الزكاة فى ذلك فهى غير واجبة فيه لاعليهم ولا على غيرهم وقوله لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ماسرح من المواشى أى لا يدخل عليكم أحد فى مراعيكم والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها وقوله ولا يعضد طلحكم أى لا يقطع شجركم الذى لاثمر له فغيره من باب أولى وقوله ولا يحبس دركم أى لا تحبس ذوات اللبن عن المراعى الى أن تجتمع الماشية ثم تعد أى يعدها الساعى لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها أو منع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة أو المعنى لا تأخذ ذات الدر لما فى ذلك من الاضرار وقوله مالم تضمروا الاماق أى مالم تخفوا وتكتموا الاماق أى الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة الاكرام وفى رواية الرماق وهو الغدر أيضا وقال الزمخشرى فى تفسير الاماق المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله وقوله وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذى يجعل فيه عرى وتشد به البهمة لتتخلص من الرباط أى الا أن تنقضوا العهد فاستعار الاكل لنقض العهد استعارة تصريحية أو تمثيلية وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فان فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أى الزيادة يعنى من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له وهو صادق بأى زيادة كانت أى يزاد فى عقوبته ولو بقتاله فان مانع الزكاة يقاتل قال فى المواهب فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذى انطبق على

العقد ويزيد فى المدة فقالوا والله ما الحاسوك أخرج الى محمد فكلمه فى تجديد العهد وزيادة المدة فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين فأسرع السير لانه يرى أنه أول من خرج من مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قبل قدوم أبى سفيان كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة وهو راجع بسخطه ثم رجع أولئك الركب من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا أبا سفيان أى ومولى له كل على راحلة وقد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد فى المدة وقد خافوا مما صنعوا فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد ان فارقوه فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم انهم ذهبوا الى المدينة الشريفة قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا فى الاودية أى ليخفى مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل أى وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمت الطريق وان أبا سفيان لقى بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان ان يكون بديل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال للقوم اخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لا علم لنا بها أى وقالوا انما كنا فى الساحل نصلح بين الناس فى قتيل ثم صبر أبو سفيان حتى ذهب أولئك القوم وفى لفظ قال من أين اقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فجاء منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى قال أبو سفيان احلف بالله لقد جاء القوم محمدا انتهى فلما قدم أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش النبى صلى الله عليه وسلم وانت مشرك نجس قال والله لقد اصابك بعدى شر فقالت بل هدانى الله تعالى للاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر واعجبا منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها فقال أنا اترك ما كان يعبد آبائى واتبع دين محمد ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فامدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك جئت يا أبا سفيان قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن على مدتنا وصلحنا فأعاد أبو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمهما الله ان مجيئه لام حبيبة رضى الله عنها بعد مجيئه للنبى صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفى رواية قال لابى بكر جدد العقد وزدنا فى المدة فقال أبو بكر جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو وجدت الذر تقاتلكم لاعنتها عليكم ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم أى بها وفى رواية انه قال له ما كان من حلفنا جديدا أخلقه الله وما كان مقطوعا

لغتهم أى من حيث المماثلة فى غرابة الالفاظ مع انه زاد عليها فى الجزالة أى حسن النظم والتأليف وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها فلما كان كلام من تقدم على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم فاستعمالها مع من هى لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب وحشى بالنسبة لغيرهم حتى ان كلام البادية الوحشى فصيح بالنسبة لهم وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت فى كتب السنة وفى شرح الشهاب الخفاجى على الشفاء ان جماعة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من أبون أسران أى أيكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اشكد أور ومعنى اشكد تعال وأقبل وهلم وأور ومعناه هنا أو الينا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فأسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب فلا توازى فصاحة ولا تبارى بلاغة فلا حاجة الى الاطالة به وفى المواهب والشفاء وشروحهما كثير من ذلك

فلا وصله الله فعند ذلك قال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شرا وفى لفظ سوأ ثم جاء الى عثمان ابن عفان رضى الله عنه فقال انه ليس فى القوم أقرب بى رحما منك فزد فى المدة وجدد العقد فان صاحبك لا يرده عليك أبدا فقال عثمان جوارى فى جواره صلى الله عليه وسلم انتهى ثم جاء فدخل على على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعنده فاطمة وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لى الى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع ان نكلمه فالتفت الى فاطمة رضى الله عنها فقال يا ابنة محمد هل لك ان تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما يبلغ بنى ذلك ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفى رواية انه قال لفاطمة اجيرى بين الناس فقالت انما انا امرأة قال قد اجارت اختك يعنى زينب أبا العاص بن الربيع يعنى زوجها واجاز ذلك محمد قالت انما ذاك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فأمرى أحد ابنيك قالت انهما صبيان ليس مثلهما يجير قال فكلمى عليا فقالت أنت تكلمه فكلم عليا فقال يا أبا سفيان انه ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار وقول فاطمة رضى الله عنها فى حق ابنيها انهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا من ان شرط من يؤمن ان يكون مكلفا واما قولها وانما انا امرأة فلا يوافق ما عليه أئمتنا من ان للمرأة والعبد ان يؤمنا لان شرط المؤمن عند أئمتنا أن يكون مسلما مكلفا مختارا وقد أمنت زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم زوجها ابا العاص ابن الربيع وقال صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت وقال المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم كما سيأتى فى السرايا وقد تقدم ذلك قريبا عن أبى سفيان وسيأتى قريبا ان أم هانئ أجارت وأنه صلى الله عليه وسلم قال لها أجرنا من أجرت يا أم هانئ لكن سيأتى ان هذا كان تأكيد للامان الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لاهل مكة لا أمان مبتدأ ثم ان أبا سفيان أتى أشراف قريش والانصار وكل يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى على كرم الله وجهه وقال يا أبا الحسن انى أرى الامور قد انسدت على فانصحنى قال والله لا أعلم لك شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى أجرت بين الناس زاد فى رواية ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ولا يرد جوارى قال وفى رواية انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى أجرت بين الناس أى وقال لا والله ما أظن أحدا يخفرنى ويرد جوارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة وفى لفظ يا أبا سفيان انتهى ثم ركب بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طالت غيبته واتهمته قريش أنه صبأ واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل فلما أخبرها أى وقد نام منها وجلس منها مجلس الرجل من امرأته فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح

أبو سفيان حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رؤسهما بالدم ليدفع عنه التهمة فلما رأته قريش قالوا ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد قال لا والله لقد أبى علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم له وفي رواية قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيأ ثم جئت الى ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو أي وفي رواية أعدى العدو ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله لا أدري أيغني عني شيأ أم لا قالوا وبم أمرك قال أمرني ان أجير بين الناس أي قال لي لم تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ان لا يخفر جواره ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا أي وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة والله لم يزدني قالوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك أي ازالة خفارتك عليهم لهين والله أراد الرجل يعنون عليا كرم الله وجهه أن يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه أي قال لعائشة جهزينا وأخفي أمرك فدخل أبو بكر رضي الله عنه على ابنته رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تجعل قمحا سويقا ودقيقا وفي لفظ وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أي بنية أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري وأي ذلك قبل أن يستشير صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة كما سيأتي ثم انه صلى الله عليه وسلم أعلم الناس انه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز أي وفي الامتاع ان أبا بكر رضي الله عنه لما سأل عائشة رضي الله عنها دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأتجهز قال نعم قال فأين تريد يا رسول الله قال قريشا واخف ذلك يا أبا بكر وأمر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريده وقد قال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أوليس بيننا وبينهم مدة قال انهم غدروا ونقضوا العهد واطو ما ذكرت لك وفي رواية ان أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بني الاصفر قال لا قال أفتريد أهل نجد قال لا قال فلعلك تريد قريشا قال نعم قال يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة قال أولم يبلغك ما صنعوا ببني كعب يعني خزاعة قال وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة أي وذلك بعد ان تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة فذكر له أبو بكر رضي الله عنه ما يشير به الى عدم السير حيث قال له هم قومك وحضه عمر رضي الله عنه حيث قال نعم هم رأس الكفر زعموا أنك ساحر وأنك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولون وايم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فعند ذلك ذكر صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر كابراهيم وكان في الله ألين من اللين وان عمر كنوح وكان في الله أشد من الحجر وأن الامر أمر عمر وتقدم نحو هذا لما استشارهما صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر أي ثم قدمت المدينة من قبائل العرب أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة

قوله وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لذي المشعار الهمداني ذو المشعار بكسر الميم واسكان الشين المعجمة وعين مهملة فالف فراء اسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط الهمداني وهمدان شعب عظيم أي قبيلة من همدان ويكنى مالك أبا ثور وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك فقال يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلاص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي أمر بكتابة ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها أي المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح (وقوله) نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصي من القوم ويختارهم وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع اذناب وقوله أتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة ولا تزال قلوصا حتى تصير بازلا وهي ما تم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة والنواجي السراع جمع ناجية وقوله متصلة بحبائل الاسلام أي عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال ايام قبيلتان من همدان وقوله ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد والسنة الطريقة وروى عن وشية ماحل والماحل هو الواشي والساعي بالافساد والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية أي

ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها أي وفي رواية قال اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فجأة وأخذ بالانقاب أي الطرق أي أوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها أي وقال لهم لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه ولما أجمع صلى الله عليه وسلم المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش أي الى ثلاثة منهم من كبرائهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا ويقال أعطاها عشرة دنانير وكساها بردا أي وقال لها أخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فسلكت غير الطريق قال وتلك المرأة هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب بن عبد مناف وكانت مغنية بمكة وكانت قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلمت وطلبت منه البرة وشكت الحاجة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل منهم من قتل ببدر تركوا الغناء فوصلها صلى الله عليه وسلم وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى قريش وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغني به انتهى فجعلت الكتاب في قرون رأسها أي ضفائر رأسها خوفا أن يطلع عليها أحد ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد أي وقيل عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد أي ولا مانع ان يكون أرسل الكل وبعض الرواة اقتصر على بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم أدركا امرأة بمحل كذا قد كتب معها حاطب بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعناه في أمرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فان أبت فاضربوا عنقها فخرجا حتى أدركاها في ذلك المحل الذي ذكره صلى الله عليه وسلم فقالا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فاستنزلاها وفتشاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها علي كرم الله وجهه اني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو أضرب عنقك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه وفي البخاري اخرجته من عقاصها ولا منافاة وفيه في محل آخر اخرجته من حجزتها والحجزة معقد الازار والسراويل قال بعضهم ولا مانع ان يكون في ضفائرها وانها جعلت الضفائر في حجزتها فدفعته اليه وسيأتي انها ممن أباح صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ثم اسلمت وعفا عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الكتاب أي وصورة الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم فانه منجز له ما وعده فيكم فان الله تعالى ناصره ووليه وقيل فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر وقيل فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن بالغزو ولا أراه الا يريدكم وقد احببت ان تكون لي يد بكتابي اليكم (أقول) لا مانع أن يكون جميع ما ذكر في الكتاب بأن يكون فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد آذن أي أعلم بالغزو وقد نفر أي عزم على أن ينفر فاما

لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل وقوله سوداء أي شديدة فهو من اضافة الصفة للموصوف أي لا ينقض عن داهية شديدة ولعلع بلامين وعينين جبل وما جرى اليعفور بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ولد الظبية وقوله بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لا نبات فيها فالمراد ان عهدهم لا ينقض أصلا الان لعلعا مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالارض القفراء وقوله صلى الله عليه وسلم لمخلاف هو الناحية وطرف الاقليم وقوله خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب بكسر الجيم والهضب بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضا وحقاف الرمل بحاء مهملة مكسورة فقاف بينهما ألف اسم موضع أيضا وهذه المواضع بلادهم وفراعها بكسر الفاء وراء وعين مهملة جمع فرعة بفتح فسكون أي ما علا من الجبال أو الارض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أعناب كانت لعمرو ابن العاص رضي الله عنه بالطائف على ثلاثة أميال من وج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهملة ثم زاءين مخففتين ما صلب من الارض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقوله يأكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أي تأكل ماشيتهم أو أن يأكلون بمعنى يملكون وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد أي المباح الذي ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشيء اذا اندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها أو سماها دفئا لانه يتخذ من اصوافها وأوبارها ما يتدفأ به وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أي لنا من نخلهم ما يصرم أي يقطع وما يخرج منه وهو التمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وباء موحدة ما هرم بكسر الراء من ذكور الابل وتكسرت أسنانه

والأنثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها والفصيل بالمهملة الذى انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر والداجن الدابة التى تألف البيوت والكبش الحورى بحاء مهملة فواو مفتوحتين وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذى فى صوفه حمرة منسوب ٨٦ الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تم سنها وذلك اذا دخلت فى السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذى دخل فى السنة الخامسة أو السادسة وفى النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذى كمل وانتهى سنه وذلك فى السنة السادسة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة العليمى﴾

وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمى بمهملة مصغر نسبة لبنى عليم الكلبى وفد قطن مع قومه على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها
نبت نضارا فى الارومة من كعب
أغر كأن البدر سنة وجهه
اذا ما بدا للناس فى خلل العضب
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها
ودنت اليتامى فى السقاية والجدب

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم خيرا وكتب له كتابا وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمى باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبى وسعد بن عبادة وعبد الله بن انيس عليهم من الحمولة الراعية البساط ان الظئار فى كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفى الشوى الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفى العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس

اليكم واما الى غيركم ولا أراه الا يريدكم وهذا كان قبل ان يعلم بسيره الى مكة فلما علم ألحق بالكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه أى يريد التوجه اليكم بجيش الى آخره وبعض الرواة اقتصر على ما فى بعض الكتاب والله أعلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال له أتعرف هذا الكتاب قال نعم فقال ما حملك على هذا فقال والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفى لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولا عشيرة ولى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم أى وفى لفظ قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا أى حليفا من قريش وفى كلام بعضهم ما يفيد أن الملصق هو الذى لا نسب له ولا دخل فى حلف قال ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم وأهليهم بمكة ولم يكن لى قرابة فأحببت ان أتخذ فيهم يدا أحمى بها أهلى أى وهى أمه ففى بعض الروايات كنت غريبا فى قريش وأمى بين أظهرهم فأردت ان يحفظونى فيها وما فعلت ذلك كفرا بعد اسلام وقد علمت ان الله تعالى منزل بهم بأسه لا يغنى عنهم كتابى شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يا رسول الله دعنى لاضرب عنقه فان الرجل قد نافق وفى لفظ قال له قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم وفى رواية دعنى أضرب عنقه لانه يعلم انك يا رسول الله أخذت على الطريق وأمرت أن لا ندع أحدا يمر بن تنكره الا رددناه انتهى (وأقول) مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق أى خالف الامر لا انه أخفى الكفر لقوله صلى الله عليه وسلم قد صدقكم ورأى ان مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم مقتضية للقتل ولكن رواية البخارى انه قد صدقكم ولا تقولوا له الا خيرا وعليها يشكل قول عمر المذكور ودعاؤه عليه بقوله قاتلك الله الا أن يقال يجوز ان يكون قول عمر لذلك كان قبل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر وعند قول عمر رضى الله عنه دعنى لاضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى رواية لا يدخل النار أحد شهد بدرا فعند ذلك فاضت عينا عمر رضى الله عنه بالبكاء أى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآيات وفى قوله عدوى وعدوكم منقبة عظيمة لحاطب رضى الله عنه بأن فى ذلك الشهادة له بالايمان وقوله تلقون اليهم بالمودة أى تبدونها لهم وذكر بعضهم ان البلتعة فى اللغة التظرف بالظاء المشالة يقال تبلتع فى كلامه اذا تظرف فيه * ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى وقيل ابن أم مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطى فى سيرته وخرج لعشر وقيل لليلتين وقيل لثنتى عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل سبع عشرة وقيل ثمان عشرة وهو فى مسند الامام أحمد بسند صحيح قال ابن القيم انه أصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان أى وصدر به فى الامتاع وقيل خرج لتسع عشرة مضين من شهر رمضان فى سنة ثمان قال فى النور لا أعلم خلافا فى الشهر والسنة وما فى البخارى

* وتفسير ذلك ان العمائر جمع عمارة بالفتح اصغر من القبيلة والاحلاف المحالفون لهم ومن ظأره الاسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخره هاء على وزن منعه أى ومن جمعه الاسلام عليهم من غيره والحمولة بفتح الحاء هى التى ترعى بأنفسها بأن تكون سائمة فى كلاء مباح والبساط التى معها أولادها والظئار أن تعطف الناقة على غير ٧٨ ولدها فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله ناقة بالرفع فاعل لجب مقدرا وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع اصناف الابل حتى لو تمحضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية الحمولة بفتح الحاء والمائرة التى تحمل الميرة وهى الطعام والمعنى ان الابل التى تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة لانها عوامل وبه قال قوم وقوله وفى الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة ما لها سنتان لكن الذى فى الفروع ان الواجب فى الغنم جذعة ضأن لها سنة أو أجذعت مقدم أسنانها أو ثنية معز لها سنتان ويمكن حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والابل لانهما غالب أموالهم والجدول النهر الصغير والعين المعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض بلا تعب والعثرى الزرع الذى لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين أى بتقويم الخراص العدل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر﴾

بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء الحضرمى رضى الله عنه ونسبه ينتهى الى مالك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمى كان أبوه من أقيال اليمن ووفد هو على النبى صلى الله عليه وسلم واستقطعه أرضا فأقطعه اياها وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم معه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ليسلمه اياها وكان معاوية رضى الله عنه حافيا فأحرقه حر الشمس فسأله ان يردفه خلفه فأبى ورأى انه لا يكون كفؤا الان يكون رديفه فقال له لست ممن يردفه الملوك فسأله

ان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة أى فيكون فى السنة التاسعة فيه نظر وكان صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف أى باعتبار من لحقه فى الطريق من القبائل كبنى أسد وسليم ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والانصار وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرسا وقيل كان صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر ألفا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى الابواء أو قريبا منها لقيه أبو سفيان ابن عمه الحرث وكان الحرث أكبر أولاد عبد المطلب وكان يكنى به كما تقدم وكان أبو سفيان أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على حليمة كما تقدم ولقيه عبد الله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب أخو أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها لابيها لان والدة أم سلمة عاتكة بنت جندل الطعان وكان عند أبيها أمية بن المغيرة زوجتان أيضا كل منهما تسمى عاتكة فكان عنده أربع عواتك وكان مجىء الحرث وعبد الله له صلى الله عليه وسلم يريدان الاسلام وكانا رضى الله تعالى عنهما من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أشد الناس اذاية له صلى الله عليه وسلم أى بعد ان كان الحرث قبل النبوة آلف الناس له صلى الله عليه وسلم لا يفارقه كما تقدم وقد تقدم بعض ذكر أذيتهما له صلى الله عليه وسلم فأعرض صلى الله عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة رضى الله عنها فيهما أى قالت له لا يكون ابن عمك وابن عمتك أى وصهرك أشقى الناس بك فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى بهما اما ابن عمى يعنى أبا سفيان فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى يعنى عبد الله أخا أم سلمة فهو الذى قال لى بمكة ما قال أى قال له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا انظر اليك ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله أرسلك الى آخر ما تقدم فلما خرج الخبر اليهما قال أبو سفيان ومعه ابن له والله ليأذنن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت جوعا وعطشا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وقبل صلى الله عليه وسلم اسلامهما وقيل ان عليا كرم الله وجهه قال لابى سفيان ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى ان يكون أحد احسن قولا منه ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وكان أبو سفيان رضى الله عنه بعد ذلك لا يرفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لانه عاداه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين سنة يهجوه ولم يتخلف عن قتاله وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ويقول أرجو أن يكون خلفا من حمزة رضى الله عنهما أى وقال له صلى الله عليه وسلم يوما الصيد كل الصيد فى جوف الفرا وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا * وفى سفره صلى الله عليه وسلم صام وصام الناس حتى اذا كانوا بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الاولى أى وهو محل بين عسفان وقديد أفطر أى وقيل أفطر

لعليه ان يلبنهما فابى وقال دونك ظل ناقتى فامش فيه وذلك كافيك فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك فعاش وائل ابن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه قال وائل فوددت لو كنت حملته بين يدى وكان له قبل الاسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوما فى الظهيرة فسمع صوتا هائلا فانى فسجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا لوائل بن حجر
يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر
ليس بذى عرف ولا ذى نكر
ولا بذى نفع ولا ذى ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمرى

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرنى فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل
وسر اليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلى
محمد الرسول خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فأدناه النبى صلى الله عليه وسلم وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الاقيال أتاكم من أرض بعيدة راغبا فى الاسلام فقال يارسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده ثم انه نزل الكوفة فى آخر عمره وتوفى بها فى خلافة معاوية رضى الله عنه وله بها عقب ووقع فى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالكندى فقيل انه غلط والصواب الحضرمى وقال ابن الجوزى الحضرمى أو الكندى فلا مانع من كونه حضرميا كنديا ثم كتب له صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال وتفسيره الاقيال هم الرؤساء دون الملوك وقيل الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة يقول

بعسفان وقيل أفطر بقديد وقيل افطر بكراع الغميم ولا منافاة لتقارب الامكنة وقال بعضهم لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم كرر الفطر فى تلك الاماكن لتتساوى الناس فى رؤية ذلك فأخبر كل منهم عن محل رؤيته قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج ووصل الى محل يقال له الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام رضى الله عنه فى مائتين ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب ان يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر أى وفى الامتاع لما خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة نادى مناديه من أحب أن يصوم فليصم وفى بعض الايام صب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه الماء ووجهه من شدة العطش وفى لفظ من شدة الحر وهو صائم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ الكديد بلغه ان الناس شق عليهم الصيام أى وانهم ينظرون فيما فعلت فاستوى صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد العصر ودعا باناء فيه ماء وقيل لبن فشرب ثم ناوله لرجل بجنبه فشرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس صام فقال أولئك العصاة أى لانهم خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم لهم بالفطر ليقووا على مقاتلة العدو ولانه صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فلم يزل صلى الله عليه وسلم يفطر حتى انسلخ الشهر انتهى أى وفى قديد عقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران أى وهو الذى يقال له الآن بطن مر وعشاء أى وقد أعمى الله الاخبار عن قريش اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم فلم يعلموا بوصوله اليهم أى ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره اليهم فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان العباس رضى الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما أى مظهر الاسلام مهاجرا فالتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذى الحليفة فرجع معه الى مكة أى وأرسل أهله وثقله الى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرتك ياعم آخر هجرة كما أن نبوتى آخر نبوة قال العباس رضى الله عنه ورقت نفسى لاهل مكة أى وقال واصباح قريش والله ائن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر قال العباس رضى الله عنه فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء أى زاد بعضهم التى أهداها له دحية الكلبى فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة فوالله انى لاسير اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان أى وقد خرجا وحكيم بن حزام أى بعد أن خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام فلقيا بديلا فاستصحباه وخرجوا يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به أى لانهم علموا بمسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى أى جهة وفى سيرة الدمياطى ولم يبلغ قريشا مسيره اليهم فلا ينافى ما قبله وهم مغتمون يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا أى فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة وبديل

الذين أقروا على ملكهم لا يزالون من عهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم رؤساء سادات فلا يرد انه مساو لمفهوم الارواع وقوله وفى التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفى القاموس التيعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان أى غير البقر وقوله ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وشد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها تحتية فألف آخره طاء مهملة أى لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهى الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أى اعطوا بلغة اليمن أو بنى سعد وقرئ شاذا انا أنطيناك وروى فى الدعاء لا مانع لما أنطيت والثبجة بمثلثة فموحدة فجيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أى أعطوا الوسط فى الصدقة لا من خيار المال ولا من دنيه وفى السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان الاصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهى ساكنة فأدغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل فى الرسم تخفيفا فلذلك اتصلت النون بالميم لفظا وخطا فأدغمت اذ لم يبق مانع من الادغام بخلاف ما لو رسمت فانها تكون فاصلة وقوله فاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أى اضربوه وأصله الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال صفعت فلانا أصفعه اذا ضربت قفاه

يقول له هذه والله خزاعة حمشتها الحرب وحمشتها بالحاء المهملة والشين المعجمة أى أحرقتها وقيل بالسين المهملة أى اشتدت عليها من الحماسة وهى الشدة وأبو سفيان يقول خزاعة أذل وأقل من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها أى وفى رواية ان القائل هذه خزاعة غير بديل وان بديلا هو القائل هؤلاء أكثر من خزاعة وهو المناسب لان بديلا من خزاعة قال العباس رضى الله عنه فعرفت صوت أبى سفيان أى وكان أبو سفيان صديقا للعباس ونديمه قال العباس فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به أى وفى رواية قد جاءكم بعشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فركب خلفى أى ورجع صاحباه فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال من هذا وقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة فسبقته فاقتحمته عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فى اثرى فقال يارسول الله هذا أبو سفيان أى عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى لاضرب عنقه قال قلت يارسول الله انى قد أجرته ولعل العباس وعمر رضى الله عنهما لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه ان صح قال العباس رضى الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دونى فلما أكثر عمر فى شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت مثل هذا أى ولكنك قد عرفت انه من رجال عبد مناف قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وما بى الا أنى قد عرفت ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به وفى البخارى أن الحرس ظفروا بأبى سفيان ومن معه وجاؤا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وجمع بعضهم بأنه يجوز أن يكون العباس أخذهم من الحرس أى ويؤيده قول ابن عقبة رحمه الله لما دخل الحرس بأبى سفيان وصاحبيه لقيهم العباس بن عبد المطلب فأجارهم أى وأتى بأبى سفيان وتأخر صاحباه قال وفى لفظ أخذهم نفر من الانصار بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيونا فأخذوا بخطم أبعرتهم فقالوا من أنتم قالوا نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم فجاؤا بهم الى عمر رضى الله تعالى عنه أى لانه كان فى تلك الليلة على الحرس كما تقدم فقالوا جئناك بنفر من أهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بأبى سفيان ما زدتم فقالوا والله أتيناك بأبى سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى

واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب أى غربوه وانفوه وقوله نضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشد الراء المكسورة وبالجيم المضمومة من التضريج وهو التدمية أى ارجوه حتى يسيل دمه ويموت وقوله بالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أى بالحجارة وقوله ولا توصيم فى الدين بصاد مهملة

أصبح فغدوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وفيه مالا يخفى فان الجمع بينه وبين ماقبله بعيد قال العباس ولما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس الى رحلك فذهبت به فلما أصبح غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد ان نودى بالصلاة وثار الناس ففزع أبو سفيان وقال للعباس ياأبا الفضل ما يريدون قال الصلاة وفى رواية ماللناس أأمروا فى بشئ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة ورأى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رآهم يركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد فقال للعباس ياعباس ما يأمرهم بشئ الا فعلوه فقال له العباس لو نهاهم عن الطعام والشراب لاطاعوه فقال مارأيت ملكا مثل هذا لاملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بنى الاصفر ثم قال للعباس كلمه فى قومك هل عنده من عفو عنهم فانطلق العباس بأبى سفيان حتى أدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ياأباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله قال بأبى وأمى أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لما أغنى عنى شيأ بعد قال ويحك ياأباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بأبى أنت وأمى أما والله هذه فان فى النفس حتى الآن منها شيأ قال وفى رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس وان العباس قال يارسول الله أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم أى عن أهل مكة ودعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد أن لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا أنى رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام فقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيأ فأرجئها انتهى أى أخرها الى وقت آخر وفى أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة فى غزوة الفتح ان بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم فى الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل ابن عمرو أى وهذا يدل على القول بأن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه وذكر بعضهم انه أسلم بعد الحديبية وقبل الفتح فقال العباس رضى الله تعالى عنه لابى سفيان ويحك اسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فأسلم وذكر عبد بن حميد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين عرض الاسلام على أبى سفيان قال له كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضى الله تعالى عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان ويحك ياعمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم وكان فى هذا تصديق أمية بن أبى الصلت فانه كان يقول كنت أرى فى كتبى أن نبيا يبعث فى حرتنا فكنت أظن بل كنت لا أشك انى أنا هو فلما دارست أهل العلم اذا هو فى بنى عبد مناف فنظرت فى بنى عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر الا عتبة بن ربيعة فلما جاوز الاربعين سنة ولم يوح اليه علمت أنه غيره قال أبو سفيان فخرجت فى ركب أريد اليمن فى تجارة فمررت بأمية بن أبى الصلت فقلت له كالمستهزئ به ياأمية قد خرج النبى الذى قد كنت تنعته قال انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعنى من اتباعه الا الاستحياء من نسيات ثقيف انى كنت أحدثهم انى هو ثم يريننى تابعا لغلام من بنى

مكسورة تفعيل من الوصم وهو العيب والعار أى لاعار فى اقامة الحدود أى لاتحابوا فيها أحدا وهذا بمعنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله ولا غمة فى فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أى لا تستر ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين ويروى ولا عمه فى الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أى لاحيرة ولا تردد فيه وقوله يترفل بشد الفاء المفتوحة أى يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه أى تطويله واسباله للفخر والعظمة فاستعير أو هو كناية عن جعله رئيسا عليهم محكما فيهم * فهذه نبذة من مكاتباته صلى الله عليه وسلم ومخاطباته يعلم منها انه كان يكلم كل ذى لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكأنه يسلب الارواح ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها ولذا قال بعضهم كلامه صلى الله عليه وسلم معجز قال الزهرى قال رجل من بنى سليم يارسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ما قال لك وما قلت له فقال صلى الله عليه وسلم قال أيماطل الرجل أهله قلت نعم اذا كان مفلسا قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبنى ربى ونشأت فى بنى سعد رواه ابن عساكر وغيره قال فى القاموس دالكه أى ماطله والملفج بضم الميم واسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم اسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج

اذا كان فقيرا وهو على غير قياس والقياس كسر الفاء ومثله فى الخروج عن القياس احصن فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر فى الجميع وقيل ان الكلام كناية عن مماطلة الرجل امرأته فى الايلاج عند ارادة الوقاع أى أيداعب الرجل امرأته قبل الجماع فقال صلى الله عليه وسلم

عبد مناف ثم قال لابى سفيان كأنى بك ياأباسفيان ان خالفته قد ربطت كما يربط الجدى حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد رواه الطبرانى فى معجمه وذكر بعضهم أن أمية هذا كان يتفرس فى بعض الاحيان فى لغات الحيوان فمر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو فقال هذا البعير يقول ان فى رحله مسلة تصيب ظهره فأنزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل فوجدوا المسلة كما قال وذكر أن حكيم بن حزام قال يارسول الله أجئت بأوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أظلم وأفجر قد غدرتم بعقد الحديبية وتظاهرتم على بنى كعب يعنى خزاعة بالاثم والعدوان فى حرم الله وأمنه فقال بديل صدقت والله يارسول الله فقد غدروا بنا والله لو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا منا الذى نالوا فقال حكيم قد كنت يارسول الله حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك لهوازن فانهم أبعد رحما وأشد عداوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن يجمعهما الى ربى فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وأخذ أموالهم وذراريهم وقال له أبو سفيان يارسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن قال العباس فقلت يارسول الله ان أباسفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن أى لحكيم بن حزام من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقى فى الاسلام مثل ذلك كان من أشراف قريش فى الجاهلية والاسلام وأعتق فى الجاهلية مائة رقبة وفى الاسلام مثل ذلك فانه حج فى الاسلام وأوقف بعرفة مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة وعقد صلى الله عليه وسلم لابى رويحة الذى آخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال لواء وأمره أن ينادى من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن أى وانما قال ذلك لما قال له أبو سفيان وما تسع دارى وما يسع المسجد ولما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك قال أبو سفيان هذه واسعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أباسفيان وبديلا وحكيم بن حزام ه أى وعليه انما خص أبو سفيان بالذكر فى بعض الروايات لشرفه قال له احبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها قال العباس ففعلت فمرت القبائل كلها كلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال ياعباس من هذه فأقول سليم فيقول مالى ولسليم أى فان أول القبائل مر سليم وفيها خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت بالفاء والدال المهملة القبائل كلها ماتمر قبيلة الا سألنى عنها فاذا قلت له بنو فلان قال مالى ولبنى فلان أى وقد ذكرها بعضهم مرتبة فقال أول من مر خالد ابن الوليد فى بنى سليم بضم السين فقال أبو سفيان ياعباس من هؤلاء قال هذا خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه فى خمسمائة من المهاجرين وفتيان العرب فقال أبو سفيان من هؤلاء قال

نعم اذا كان ملفجا أى مفلسا كناية عن كونه عاجزا ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمى مفلسا تشبيها بمن لا يملك مالا لعجزه وقيل معناه أيماطلها بمهرها اذا كان فقيرا فقد أجاب صلى الله عليه وسلم السائل بجواب يحتمل لتلك المعانى كما أن سؤاله كان كذلك فهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم ومن جوامع كلمه التى اختص بها صلوات الله وسلامه عليه وفى حديث عطية السعدى رضى الله عنه قال قدمت وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومى فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيأ فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة وقال الله مسؤول ومنطى وفى شرح الشهاب على الشفاء روى باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفقا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يارسول الله ما رأينا أفصح منك قال وما يمنعنى من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربى مبين وقواعد السحابة أساسها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهى التى قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهرى مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شئ علا فقد بسق والوميض

اللمع الخفى يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز وانما فى برنة الضرب البرق الضعيف قال الجوهرى خفق اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا فى نواحى الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض والذى يشق شقاهو والذى يستطيل فى الغمام وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء وبعد أن بث صلى الله عليه وسلم كتبه فى الآفاق أمر أمراءه فى كل قطر دخل فى طاعته وانقاد لشريعته فمن أمراءه صلى الله عليه وسلم باذان بن ساسان كان نائبا لكسرى على اليمن فلما هلك كسرى باخبار النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أسلم باذان لظهور صدق النبى صلى الله عليه وسلم له فى اخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات وأرسل للنبى صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه فأمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وفاء بقوله صلى الله عليه وسلم لرسولى باذان حين ارادا الرجوع اليه قولا له ان أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير فى الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم ثم مات واستعمل النبى صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن باذان وقيل ان باذان خرج للوفود على النبى صلى الله عليه وسلم فلحقه العنسى الكذاب الذى ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل ان الذى قتله الاسود اغاه وابنه شهر لاهو وان العنسى تزوج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة فاعانت فيروز الديلمى على قتل الاسود فانها مكنته من الدخول عليه ليلا فقتله وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه وولى زياد ابن لبيد الانصارى رضى الله عنه حضرموت وهو مخلاف باليمن وولى أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل رضى الله عنه الجند ومخاليفها وولى أبا سفيان بن حرب رضى الله عنه نجران وهو موضع باليمن قال بعضهم انه لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم كان أبو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء بلدة بناحية تبوك ثم ان أبا بكر لما جهز

الزبير قال ابن أخيك قال نعم ثم مرت بنو غفار بكسر الغين المعجمة ثم أسلم ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع ولما مرت أشجع قال أبو سفيان للعباس هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ٥ حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء لكثرة الحديد والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد أى فيها ألفا دارع وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول رويدا حتى يلحق أولكم آخركم قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة فقال أبو سفيان والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقلت يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن ثم قلت له النجاء بالفتح والمد الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية رضى الله تعالى عنهم فأخذت بشاربه وقالت كلا ما معناه اقتلوا الخبيث الدنس الذى لا خير فيه قبح من طليعة قوم أى وفى رواية انها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتى او ادخلى بيتك وقال ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به من دخل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا قبحك الله وما تغنى عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد أى وبهذا استدل على أن مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال امامنا الشافعى رحمه الله وقال غيره فتحت عنوة وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم وجه حكيم بن حزام مع أبى سفيان بعد اسلامهما الى مكة وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت بأسفل مكة ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن وكانت بأعلى مكة واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة أمر بقتلهم وهم أحد عشر رجلا أى وفى الامتاع ستة نفر وأربع نسوة وان وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن أبى سرح وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس بنى عامر وكان أحد النجباء الكرام من قريش رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وعبد الله بن خطل وقينتاه وعكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك والحويرث بن نقيل ومقيس ابن حبابة وهبار بن الاسود رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكعب بن زهير رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو صاحب بانت سعاد والحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو أخو أبى جهل لابويه وزهير بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك وعاشت الى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وتقدم أنها كانت حاملة لكتاب حاطب بن أبى بلتعة وصفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وزهير بن أبى سلمى أى وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان ووحشى بن حرب رضى الله تعالى عنه ٥ فانه أسلم بعد ذلك وفى رواية أن سعد بن عبادة رضى

الجيوش للشام كان أول أمير عقد رايته يزيد بن أبى سفيان ثم ولى الشام فى خلافة عمر رضى الله عنه بعد أبى عبيدة رضى الله عنه وقبل أخيه معاوية وتوفى يزيد رضى الله عنه بالشام وهو أكبر من معاوية قال بعضهم ان يزيد بن أبى سفيان أفضل آل أبى سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله عنه مكة وولى على بن أبى طالب رضى الله عنه القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص رضى الله عنه عمان الى غير ذلك مما بسطه أهل السير وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب فى ذكر شىء من معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم

اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يمكن حصرها ولنقتصر على المشهور منها وقد يذكر شىء مما تقدم فى أول بعثته أو مما اندرج فى غزواته وسراياه فلا ينبغى الملل والسآمة عند ذكر شىء من ذلك لان بتكراره تزداد الفائدة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى أى بطلب المعارضة كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها لانها لا تنسب لكسبهم لكونها خارقة للعادة وهى تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعى الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الامر الخارق للعادة الى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور فى كتب الكلام فلا حاجة الى الاطالة به ثم ان دلائل رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار عن شانه شهيرة فمن ذلك ما وجد فى التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له ونحو وجه بأرض العرب وما خرج بين يدى مولده ومبعثه من الامور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما أحل الله بأصحابه فان تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوهة بذكرهم مشيرة الى أنه سيمر بهم نبأ عظيم وذلك بظهور هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم

الله تعالى عنه كان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أى على الانصار ولما مر على أبى سفيان وهو واقف بمضيق الوادى قال أبو سفيان من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فلما حاذاه سعد قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أى الحرب والقتال اليوم تستحل الحرمة وفى لفظ الكعبة اليوم أذل الله قريشا فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ورايته مع الزبير رضى الله تعالى عنه فلما مر بأبى سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما يا رسول الله فانا لا نأمن من سعد أن يكون له فى قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا أى وفى رواية اليوم يعظم الله فيه الكعبة اليوم تكسى فيه الكعبة وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة أى أرسل عليا كرم الله وجهه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس رضى الله تعالى عنهما وقيل أعطاه للزبير وقيل لعلى كرم الله وجهه خشية أن يقع من ابنه قيس ما لا يرضاه صلى الله عليه وسلم أى لان قيسا رضى الله تعالى عنه كان من دهاة العرب وأهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لما ولاه سيدنا على كرم الله وجهه بعد قتل عثمان رضى الله تعالى عنه مصر لرأى العجب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له رضى الله تعالى عنه عجوز وقالت له أشكو اليك قلة الجرذان ببيتى والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لاكثرن الجرذان ببيتك فلأ بيتها طعاما وأدما وقيل قالت له مشت جرذان بيتى على العصى فقال لها لادعهن يثبن وثبة الاسود ثم ملأ بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة ومن هذا الوادى ما كتب به بعضهم الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين أشكو اليك الشرف فقال له ما أحسن ما استنصحت وأعطاه عشرة آلاف درهم فقيل له فى ذلك فقال يسأل ما لا يقدر عليه ويعتذر فلا يعذر ولما أشرف أبوه سعد رضى الله تعالى عنهما على الموت قسم ماله فى أولاده وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد ولد له ذلك الحمل كلمه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى أن ينقض ما صنع أبوه من تلك القسمة فقال نصيبى للمولود ولا أغير ما صنع أبى ولم يكن فى وجه قيس رضى الله تعالى عنه شعر وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار رضى الله تعالى عنهم تقول وددنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا وكان له ديون على الناس كثيرة فلما مرض رضى الله تعالى عنه استبطأ عواده فقيل له انهم مستحيون من أجل دينك فأمر مناديا ينادى كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها اليه ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عن سعد اذ صار لابنه قيس رضى الله تعالى عنهما قال وروى أن سعدا أبى أن يسلم اللواء الا بامارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل صلى الله عليه وسلم اليه بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس رضى الله تعالى عنهما انتهى وفى

وتكون نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها الى ما حولها من البلاد والمدن فأصبحت ليلة المولد ناشفة كأن لم يكن بها شئ من الماء ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى أي شئ يكون هذا قال حدث يكون من ناحية العرب * ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بنعوته وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من أمكنتها الى غير ذلك مما روي ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبيا ومن تأمل في جميع ما آثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته وقد اكتفى كثير ممن عاصره صلى الله عليه وسلم بتلك الاشياء فآمن وانقاد له صلى الله عليه وسلم وعلم ان تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غير نبي فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة اسمه وصفته واني أومن به وأصدقه وعن أبي رمثة التميمي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبي الله أي لما شاهده من عظمته ونور نبوته فأوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم ان ضماد بن ثعلبة الازدي كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافدا الى مكة فقدم مرة في أول مبعثه صلى الله عليه وسلم وسمع الناس

صحيح البخاري أن كتيبة الانصار جاءت مع سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت كتيبة وهي أقل وفي رواية الحميدي وهي أجل الكتائب بالجيم قال في الاصل وهي أظهر من رواية أقل لانها كانت خاصة المهاجرين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والراية مع الزبير رضي الله تعالى عنه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة أي وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت وقال لا تقاتلوا الا من قاتلكم وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو أي رضي الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك قد جمعوا ناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان من جملتهم رجل كان يعد سلاحا ويصلح من شأنه فتقول له زوجته أي وقد كانت أسلمت سرا لماذا تعد ما أرى فيقول لمحمد وأصحابه فتقول له والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شئ قال والله اني لارجو أن أخدمك بعضهم وفي تاريخ مكة للازرقي قال رجل من قريش لامرأته وهي تبري نبالا له وكانت أسلمت سرا فقالت له لم تبري هذا النبل قال بلغني أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزونا فإني كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت له والله لكأني بك وقد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل ذلك الرجل اليها فقال ويحك هل من مخبأة فقالت له فأين الخادم فقال لها دعي عنك وأنشد الابيات الآتية هذا كلامه وسبب ذلك ان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما لقيهم بالمحل المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل وكان من جملة من انهزم ذلك الرجل وفي رواية أنه لما دخل بيته قال لامرأته أغلقي علي بابي قالت وأين ما كنت تقول أين الخادم الذي كنت وعدتني تسخر به فقال

* انك لو شهدت يوم الخندمه * عبارة الازرقي * وأنت لو أبصرتنا بالخندمه *

اذ فر صفوان وفر عكرمه * واستقبلتنا بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه

لهم نهيت حولنا وهمهمه * لا تنطقي في اللوم أدنى كلمه

والغمغمة الصوت الذي لا يفهم والنهيت بالمثناة تحت وفوق الزحير والهمهمة صوت في الصدر أي واستمر خالد رضي الله تعالى عنه يدفعهم الى أن وصل الحزورة الى باب المسجد أي وصعدت طائفة منهم الجبل فتبعهم المسلمون فرأى صلى الله عليه وسلم وهو على العقبة بارقة السيوف فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقيل له لعل خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل من يقاتله وما كان يا رسول الله ليخالف أمرك فقتل من المشركين أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل وفي رواية جعل صلى الله عليه وسلم الزبير رضي الله تعالى عنه على احدى المجنبتين أي وهما الكتيبتان تأخذ احداهما اليمين والاخرى اليسار والقلب بينهما وخالدا على الاخرى وأبا عبيدة على الرجالة وفي لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة أي الذين لا دروع لهم قال في شرح مسلم فهم رجالة لا دروع عليهم وقد أخذوا بطن الوادي ولعل ذلك كان قبل الدخول الى مكة فلا ينافي ما سيأتي أنه صلى الله عليه وسلم أعطى

الزبير

يقولون فيه ما قالوا أي من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون وكان ضماد عالما بالطب ويرقي في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون جاءه وقال اني راق فهل بك من شئ فأرقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغت قاموس البحر أي وسطه أو لجته ثم قال هات يدك أبايعك فآمن به وصدقه وأسلم وانقاد من غير تردد واكتفى بهذه الكلمات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتها مع ما شاهده من نور وجهه الشريف وحسن بهجته وقال بعضهم في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقرأ قرآنا أي وان لم يظهر معجزة كما قال ابن رواحة رضي الله عنه

لو لم يكن فيه آيات مبينة

لكان منظره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذي أظهره ودعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم تطرق عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وتتابعت الايدي في التعاون والتناصر على اظهار الحق فصاروا جمعا واحدا في نصرته ناظرين الى طلعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على ما يريد وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته وبذلوا أرواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ووطنوا أنفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم لاجل اعزاز كلمته واعلاء

الزبير رضي الله تعالى عنه رايته وأمره أن يغرزها بالحجون لا يبرح حتى يأتيه في ذلك المحل وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد الراية وقد بوشت قريش أوباشا أي جمعوها من قبائل شتى فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضي الله تعالى عنه وقال له اهتف أي صح لي بالانصار فهتف بهم فجاؤوا فطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا أي ودخلوا من أعلى مكة قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء وما أحد يوجه الينا منهم شيأ وفي لفظ فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه أي لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش أي لا جماعة لقريش بعد اليوم لان الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الاعظم فيقال السواد الاعظم ويعبر عنها بالخضرة كما هنا فالمراد جماعة قريش وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن قال ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال له لم قاتلت وقد نهيت عن القتال قال هم يا رسول الله بدؤنا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار عنده يا فلان قال لبيك يا رسول الله قال ائت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان لا تقتل بمكة أحدا فجاء الانصاري فقال يا خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال يا رسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم قال ولم قال هذا خالد بن الوليد لا يلقى أحدا من الناس الا قتله قال ادع لي خالدا فدعاه له فقال يا خالد ألم أرسل اليك أن لا تقتل أحدا قال بل أرسلت أن أقتل من قدرت عليه قال صلى الله عليه وسلم ادع لي الانصاري فدعاه له فقال أما أمرتك أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا قال بلى ولكنك أردت أمرا وأراد الله غيره فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل للانصاري شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن الطلب قال قد فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى الله أمرا ثم قال كفوا السلاح الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهذه المقاتلة التي وقعت لخالد رضي الله تعالى عنه لا تنافي كون مكة فتحت صلحا كما تقدم أي لانه صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة وأما قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فهو من زيادة الاحتياط لهم في الامان وقوله احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال ولم يقع قتال ومن ثم قتل خالد رضي الله تعالى عنه من قاتل من الكفار وارادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهما أخته أم هانئ كما سيأتي لعله تأول فيهما شيأ أو جرى منهما

قـال له وتأمين أم هانئ لهما من تأكيد الامان الذى وقع للعموم فلا حجة فى كل ماذكر على أن مكة فتحت عنوة كما قاله الجهور وقيل أعلاها فتح صلحا أى الذى سلكه أبو هريرة والانصار لعدم وجود المقاتلة فيه وأسفلها الذى سلكه خالد رضى الله عنه فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه كما تقدم ودخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته القصواء أى مردفا أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله تعالى مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المغفر وقيل وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفها بين كتفيه بغير احرام ورايته سوداء ولواؤه أسود وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كان لواؤه يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب أى وهى التى كانت بخيبر وتقدم أنها كانت من برد عائشة وعنها رضى الله تعالى عنها أنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد والتنوين من أعلى مكة وهذا هو المعروف خلافا لمن قال انه دخل من أسفل مكة وهى ثنية كدى بضم الكاف والقصر والتنوين وسيأتى أنه عند الخروج خرج صلى الله عليه وسلم من هذه وبهذا استدل أئمتنا على انه يستحب دخول مكة من الاولى والخروج منها من الثانية أى واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول مكة كما حكاه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا أى وسيأتى ذلك عن أم هانئ رضى الله تعالى عنها أى وكان شعار المهاجرين يابنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الاوس يابنى عبيد الله أى شعارهم الذى يعرف به بعضهم بعضا فى ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب لو وجد * ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس قال وذلك بالحجون موضع ما غرز الزبير رضى الله تعالى عنه رايته صلى الله عليه وسلم عند شعب أبى طالب الذى حصرت فيه بنو هاشم أى وبنو المطلب قبل الهجرة بقبة من أدم نصبت له هناك ومعه صلى الله عليه وسلم فيها أم سلمة وميمونة زوجتاه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهما فعن جابر رضى الله تعالى عنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضى الله تعالى عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله تعالى علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر أى لان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما تقدم فى قصة الصحيفة انتهى وفيه أنه سيأتى فى حجة الوداع أنهم تحالفوا بالمحصب ففى البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بالمحصب وعن اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال يا رسول الله أين تنزل غدا أتنزل فى دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار وتقدم ما يغنى عن اعادته هنا فكان صلى الله عليه وسلم يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة

دينه واظهاره بل الدنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا غرض فى العاجل أطمعهم فى نيله فيرغبون بسببه أو ملك أو شرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغنى فقيرا لانه كان يحمل الاغنياء على صرف أموالهم فى الجهاد ونحوه من أنواع القرب ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر والاعراض عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر فهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله بالاختيار العقلى والتدبير الفكرى لا والذى بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يشك عاقل فى شئ من ذلك وانما هو أمر الهى وشئ غالب سماوى ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثرها متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر فى مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية الغزوات وفى محافل المسلمين ومجمع العساكر والجنود ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة ولا انكار على من روى ذلك مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة فى الكذب كلهم عدول لا يخافون فى الله لومة لائم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وبعض ألفاظ فى القرآن ثم نقلت الى من بعدهم قرنا بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة وجماعة عن جماعة قال القاضى عياض فى الشفاء فمن اعتنى بطرق النقل لم يشك فى صحة هذه القصص المشهورة أى من المعجزات وخوارق العادات كالاخبار بالمغيبات ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر وكان فان أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد وأنها مدينة عظيمة وانها دار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها أى تجهل الجاهل بذلك لا ينفى التواتر فكذا ما نحن فيه ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم انه كان أميا لا يخط

وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين فقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة أى مهاجرا يوم الاثنين أى ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين ثم سار صلى الله عليه وسلم والى جانبه أبو بكر رضى الله تعالى عنه يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته أى ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه آخذ بزمامها واستلم الحجر بمحجن فى يده وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حى من أحياء العرب صنم قد شد ابليس أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفى لفظ لقفاه وفى لفظ فما أشار لصنم من ناحية وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع على وجهه من غير أن يمسه بما فى يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر عليها كلها وفى رواية فأقبل صلى الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت وفى يده قوس أخذ بسيته والسية ما انعطف من طرف القوس فأتى صلى الله عليه وسلم فى طوافه على صنم الى جنب البيت أى من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام ٥ فجعل يطعن بها فى عينيه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا أى فأمر به صلى الله عليه وسلم فكسر فقال الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه لابى سفيان وقد كسر هبل أما انك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم فقال أبو سفيان رضى الله تعالى عنه دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع اله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان أى وانتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة قال وعن على كرم الله وجهه قال انطلق بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى أتى الكعبة فقال اجلس فجلست لى جنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال صلى الله عليه وسلم يا على اصعد على منكبى ففعلت أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه اصعد على منكبى واهدم الصنم فقال يا رسول الله بل اصعد أنت فانى أكرمك ان أعلوك فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد أنت فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فصعد على كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به قال على فلما نهض بى فصعدت فوق ظهر الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وخيل لى حين نهض بى انى لو شئت لنلت أفق السماء أى وفى رواية قيل لعلى كرم الله وجهه كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من حالى انى لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت وعند صعوده كرم الله وجهه قال له صلى الله عليه وسلم ألق صنمهم الاكبر وكان من نحاس أى وقيل من قوارير أى زجاج وفى رواية لما ألقى الاصنام لم يبق الا صنم خزاعة موتدا باوتاد من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته وهو يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر (أقول) وهذا السياق يدل على أن هذا الصنم غير هبل وان هبل ليس أكبر أصنامهم

كتابا بيده ولا يقرؤه ولد فى قوم أميين ونشأ بينهم فى بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج فى سفر قاصدا الى عالم يعكف عليه ليتعلم منه فجاءهم بأخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها الا القليل ولقائهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بأحد منهم حتى يظن انه أخذ عنهم ثم انه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين وجهابذة الثقاة المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا أدل شئ على انه أمر جاءه من عند الله تعالى لا صنع لاحد فيه ومن أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم فقد تحداهم بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشئ منه فكان هذا القرآن الذى أعجزهم أوضح فى الدلالة على الرسالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين فى اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا فى ابراء الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا فى المحافل جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة فيأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة فى المقامات وفى كل موضع شديد الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ويرفعون من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون الاعناق بأحسن من عقد اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات

بل هذا أكبر منه ولم أقف على اسمه ومما يدل على أن الذى كسر هو هبل قول الزبير رضى الله
تعالى عنه كما تقدم لابى سفيان ان هبل الذى كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر قال دعنى ولا توبخنى
لو كان مع اله محمد اله آخر لكان الامر غير ذلك وفى الكشاف ألقاها جميعها وبقى صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال صلى الله عليه وسلم يا على ارم به فحمله رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا أسحر
من محمد وفى خصائص العشرة لصاحب الكشاف زيادة وهى ونزلت من فوق الكعبة
وانطلقت أنا والنبى صلى الله عليه وسلم نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش هذا كلامه
وهذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكة فليتأمل وفى الكشاف أيضا كان حول البيت
ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت
لقبائل العرب أصنام يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى ربه عز وجل فقال يا رب الى
متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فأوحى الله تعالى الى البيت انى سأحدث لك توبة جديدة
فلأملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم
عجيج حولك بالبيت هذا كلامه ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة أى بعد أن أرسل
بلالا رضى الله تعالى عنه الى عثمان بن أبى طلحة يأتى بمفتاح الكعبة الى آخر ما سيأتى وبعد أن
محيت منها الصور أى فانه صلى الله عليه وسلم أمر عمر رضى الله تعالى عنه وهو بالبطحاء أى يأتى
الكعبة فيمحو كل صورة فيها وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد ترك صورة ابراهيم فقال صلى
الله عليه وسلم يا عمر ألم آمرك أن لا تترك فيها صورة قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم
بالازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين هذا
وفى كلام سبط ابن الجوزى قال الواقدى رحمه الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن
الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما ان يقدما الى البيت وقال لعمر لا تدع صورة
حتى تمحوها الا صورة ابراهيم هذا كلامه فليتأمل وفى رواية عن أسامة بن زيد رضى الله
تعالى عنهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فرأى صورا فدعا بدلو من
ماء فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها أى وتلك الصور هى صور الملائكة وصور ابراهيم
واسمعيل فى أيديهما الازلام يستقسمان بها أى واسحق وبقية الانبياء كما تقدم فى بنيان قريش
الكعبة وصورة مريم فقال قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون قاتلهم الله لقد علموا أنهما
لم يستقسما بالازلام قط أى ولا منافاة لانه يجوز أن يكون عمر رضى الله تعالى عنه ترك مع
صورة ابراهيم صورة اسمعيل ومريم وصور الملائكة ووجد صورة حمامة من عيدان بفتح
العين المهملة وكسرها بيده ثم طرحها ودعا بزعفران فلطخه بتلك التماثيل أى بموضعها وصلى
بها ركعتين بين اسطوانتين وفى لفظ بين العمودين اليمانيين وفى لفظ المقدمين وبينه وبين
الجدار ثلاثة أذرع انتهى أى وفى الترمذى دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر فى نواحيه
ولم يصل وفى رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن أبى
طلحة زاد فى رواية والفضل بن العباس قال الحافظ ابن حجر وفى رواية شاذة فأغلقوا عليهم

الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق فكل من البدوى والحضرى لهما الحجة البالغة والقوة
الدامغة لا يرتابون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من أبوابها وعلوا صرح البلوغ أسبابها فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد
أحكمت آياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبادرت فى
الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان جوامعه جاءهم وهم
أفصح ما كانوا فى هذا الباب مجالا
وأشهر فى الخطابة رجالا وأكثر
فى السجع والشعر ارتجالا وأوسع
فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التى بها يتحاورون ومنازعهم
التى عنها يتناضلون صارخا بهم فى
كل حين ومقرعا لهم من الاعوام
بضعا وعشرين على رؤس الملا
أجمعين فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين فلم يزل يقرعهم أشد
التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ
ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح أرضهم
وديارهم وأموالهم وهم فى كل
هذا عاجزون عن معارضته وما
ذلك الا لمصير علما على رسالته
وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة
وبرهان واضح وهو باق دون
غيره من المعجزات ومنه تستنبط
الاحكام الشرعية والعلوم
العقلية ولم تستنبط من معجز
سواه فمعجزات الانبياء انقرضت
بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها
الا من حضرها ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بانهم لا يقدرون على معارضة
القرآن حيث تحداهم به وقال لهم كما أمره الله تعالى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلى الله عليه وسلم بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا الا انه

الباب

الباب وفى لفظ آخر فاغلقا أى عثمان وبلال فاجاف أى أغلق عليهم عثمان الباب وجمع بان
عثمان هو المباشر لذلك لانه من وظيفته وبلال رضى الله تعالى عنه كان مساعدا له فى الغلق
أى ولما دخلوا كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة قال ابن عمر رضى الله
تعالى عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نعم وذهب عنى أن أسأله كم صلى وهذا يدل على أن قول بلال رضى الله تعالى عنه
انه صلى الله عليه وسلم صلى أى بالصلاة المعهودة لا الدعاء كما ادعاه بعضهم وفى كلام السهيلى
فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى فيها ركعتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما قال أخبرنى أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم
يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين أى بين الباب والحجر الذى هو الملتزم
وقال هذه القبلة فبلال رضى الله تعالى عنه مثبت للصلاة فى الكعبة وأسامة رضى الله تعالى
عنه ناف والمثبت مقدم على النافى على أنه جاء أن أسامة رضى الله تعالى عنه أخبر أيضا انه صلى
الله عليه وسلم صلى فى الكعبة وأجيب بان أسامة حيث أثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى اعتمد
ما عنده أى وفى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله
عليه وسلم دخل الكعبة فصلى بين الساريتين ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين
ثم قال هذه القبلة ثم دخل صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما اختلف وسبب الاختلاف تعدد دخوله صلى الله عليه وسلم ففى المرة
الاولى دخل وصلى وفى المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق يدل على أن ذلك كان يوم
الفتح وفى كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال رضى الله تعالى عنهم صحيحتان لانه صلى
الله عليه وسلم دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى وذلك فى حجة الوداع هذا كلامه
فليتأمل أى ثم انه صلى الله عليه وسلم جاء الى مقام ابراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين
ثم أخره على ما تقدم ودعا صلى الله عليه وسلم بماء فشرب منه وتوضأ وفى لفظ ثم انصرف صلى الله
عليه وسلم الى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب أى يغلبهم الناس على وظيفتهم
وهى النزع من زمزم لانتزعت منها دلوا أى فان الناس يقتدون به صلى الله عليه وسلم فى ذلك مع
أن النزع من وظيفة بنى عبد المطلب وانتزع له العباس رضى الله تعالى عنه دلوا فشرب منه
وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم وفى لفظ لا تسقط قطرة الا فى يد انسان ان كان
قدر ما يشربها شربها والا مسح بها جلده والمشركون يقولون ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ
هذا ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد أى والناس حوله خرج أبو بكر وجاء
بابيه رضى الله تعالى عنهما يقوده وقد كان كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت
الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لاتيناه تكرمة لابى بكر
فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه فاجلسه بين يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فاسلم رضى
الله تعالى عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر باسلام أبيه رضى الله تعالى عنهما أى

كان أعقل الرجال من أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق فالكامل عقله لم يحصل له ريب فى خبر الله بل قطع القول فيما أخبر
به عن ربه بأنهم لا يأتون بشئ من مثله وهذا من أحسن ما يكون فى هذا المجال وأبدعه وأبينه فانه نادى عليهم بالعجز عن معارضته
ونفى قدرتهم فى المستقبل حيث قال ولن تفعلوا فلو قدروا لفعلوا فصار صارخا بعجزهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم
الالمام به مع توفر الدواعى وتظاهر
الاجتهاد وهم فى كل حين ناكصون
عن معارضته يخادعون أنفسهم
بالتكذيب والافتراء يقولون
ان هذا الا سحر يؤثر وسحر
مستمر وافك افتراه وأساطير
الاولين ورضوا بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا
اليه وفى آذاننا وقر أى صمم ومن
بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون وقنعوا بادعاء القدرة مع
عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه
وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم
فلو استطاعوه ما منعهم أن يشاؤا
وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا
وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف
فلم يقدروا مع استنكافهم أن
يغلبوا خصوصا فى الفصاحة
وقال تعالى اظهارا لعجزهم قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
أى معينا فهذا نزل ردا لقولهم لو
نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر
سبحانه وتعالى الجن تعظيما لاعجاز
القرآن والا فالتحدى انما وقع
للانس دون الجن لانهم ليسوا
من أهل اللسان العربى الذى جاء
القرآن على أساليبه لان للهيئة
الاجتماعية من القوة ما ليس
للافراد واذا فرض اجتماع
الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز فرضيت همهم الشريفة وانفسهم الابية بسفك
الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال
لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من أهل الفصاحة

والبلاغة بأنه لا يقدر أحد على معارضته وأنه ليس من كلام البشر فممن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك أنه ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا أو تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وان كان الذي يأتيك رئيا بذلنا أموالنا في طلب الطب لك

فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ما وراءك فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة اسلام حمزة رضي الله عنه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الأذية وروى من حديث اسلام أبي ذر رضي الله عنه كما رواه مسلم انه حين بلغه بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعث أخاه انيسا ينظر له في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ذر يصف أخاه بقوله والله ما سمعت بأشعر من أخي انيس قد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أي عارضهم في قصائدهم أي فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبي ذر يخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه لصادق وانهم لكاذبون وروى البيهقي في قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش في الفصاحة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي شيأ لانظر فيه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد علي قراءتك فأعاد صلى الله عليه وسلم

وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من اسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن اسلام أبي طالب كان أقر لعينك كذا في الشفاء وكان رأس أبي قحافة ولحيته بيضاء كالثغامة فقال غيروهما وجنبوهما السواد أي وفي رواية واجتنبوا السواد وجاء غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى وفي رواية اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وجاء ان أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب بالحناء والكتم قال ابن عبد البر رحمه الله والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له وقد اختضب أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالحناء والكتم واختضب عمر رضي الله تعالى عنه بالحناء وجاء يا معشر الانصار حمروا أو صفروا وخالفوا أهل الكتاب وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يصفر وعن أنس رضي الله تعالى عنه دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبيض الرأس واللحية فقال ألست مؤمنا قال بلى قال فاختضب لكن قيل انه حديث منكر وجاء من اختضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة قيل انه حديث منكر وجاء يكون آخر الزمان رجال من أمتي يغيرون بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة قيل هو غريب جدا قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كسعد بن أبي وقاص والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أي وعقبة بن عامر المدفون بمصر قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابي متفق عليه الا قبر عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه فانه كان يخضب بالسواد وهو القائل في ذلك

نسود أعلاها وتأبى أصولها * ولا خير في الأعلى اذا فسد الأصل

وكان واليا على مصر من جهة معاوية رضي الله تعالى عنه فعزله بمسلمة بن مخلد وأمره بالغزو في البحر وكان عقبة رضي الله تعالى عنه يقول ما أنصفنا معاوية عزلنا وغربنا لم يبلغهم النهي أو فهموا أن النهي للكراهة وقد جاء أول من جزع من الشيب ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال عليه الصلاة والسلام يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك فأوحى الله اليه هذا سربال الوقار ونور الاسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي الا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يا رب زدني فأصبح رأسه مثل الثغامة البيضاء وفي المشكاة قال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد لا يجدون رائحة الجنة رواه أبو داود والنسائي أي وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أول من خضب بالسواد فرعون ومن أهل مكة أي من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضي الله تعالى عنه اخضبوا بالسواد فانه أنكى للعدو وأحب للنساء فليتأمل وكان لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أخت صغيرة في عنقها طوق من فضة اقتلعه انسان من عنقها فأخذ أبو بكر رضي الله تعالى عنه بيد أخته وقال أنشدكم بالله وبالاسلام طوق أختي فما أجابه أحد ثم قال الثانية والثالثة فما أجابه أحد فقال رضي الله تعالى عنه يا أختاه احتسبي طوقك فوالله ان الأمانة في الناس اليوم لقليل قال بعضهم ولم يعش لأبي

قحافة

الآية فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا بأقوال الجن مني والله ما يشبه الذي يقول شيأ من ذلك والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته وقد سبق عند

ذكر استهزاء المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ان الوليد بن المغيرة هذا قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم ما هو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطا وروى أبو نعيم من طريق ابن اسحق عن رجل من بني سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل وكان معاذ أسلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما أحسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا * قال في المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى وان البشر وغيرهم لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك

﴿ذكر وجوه اعجاز القرآن﴾

اعلم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز أي قلة اللفظ وكثرة المعاني والبلاغة الخارقة لعادة العرب حتى كان في الحد الأعلى مثل قوله ولكم في القصاص حياة يجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كثيرة وحكى أبو عبيد أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام أي انما كان سجوده لانه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه في التراب وسمع اعرابي آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا

قحافة رضي الله تعالى عنه ولد ذكر الا أبو بكر ولا يعرف له بنت الا أم فروة التي أنكحها أبو بكر من الأشعث بن قيس وكانت قبله تحت تميم الداري وهي هذه المذكورة هنا وقيل كانت له بنت أخرى تسمى عريبة وعليه فيحتمل ان تكون هي المذكورة هنا وتقدم اسلام أبي بكر رضي الله تعالى عنهما لما كان المسلمون في دار الأرقم وأمه بنت عم أبيه قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار أسلم هو ووالداه وجميع ابنائه وبناته غير أبي بكر وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضي الله تعالى عنهم ولد محمد في حجة الوداع وهو المقتول بمصر وبناته ثلاثة أيضا أسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهم وعنهن مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهي ببطن أمها وقد أنزل الله تعالى في حقه رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي الآيات قال بعضهم لا يعرف في الصحابة أربعة أسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذي بعده الا في بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ويكنى بأبي عتيق أي وقد قيل ان قيل هل تعرفون أربعة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في نسق أي من الذكور كل ابن الذي قبله أجيب بأنهم هؤلاء الأربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد وبقولنا من الذكور لا يرد ما أورد على ذلك أن هذا يصدق على أبي قحافة وابنه أبي بكر وبنته أسماء وابنها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم نعم يرد على ذلك حارثة أبو زيد فانه أسلم على ما ذكره الحافظ المنذري ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد وجاء أسامة بولد في حياته صلى الله عليه وسلم أي ويحتاج الى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك المولود الا أن يقال كان من شأنهم اذا ولد لأحدهم مولود جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن حب الحب ولم أقف على اسم هذا المولود فليراجع في أسماء الصحابة وحينئذ يقال لأجل عدم وروده من ذكر ليس لنا أربعة ذكور معروفة أسماؤهم وبعد الوقوف على اسم ذلك المولود يقال لأجل عدم الورود ليس لنا أربعة ليسوا من الموالي الا أبو قحافة وابنه أبو بكر وابن أبي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد أبو عتيق فليتأمل لا يقال هذا موجود في غير بيت الصديق فقد ذكروا في الصحابة أربعة كذلك أي ذكور كل واحد أبو الذي بعده عرفت أسماؤهم وليس فيهم مولى وهم اياس بن سلمة بن عمرو بن الال لانا نقول المراد المتفق على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم (ومن الفوائد) المستحسنة أنه ليس في الصحابة قال بعضهم بل ولا في التابعين من اسمه عبد الرحيم وثلاثة ذكور أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم على نسق وهم السائب والد امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وأبوه عبيد وجده عبد يزيد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فعلاه حيث ينظر الى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والانصار تحته قال بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته فنزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم بما ذكر القوم فلما قضى الوحي رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يا معشر الانصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته

لايقدر على مثل هذا الكلام أى لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر وحكى الاصمعى أنه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس
سنين أو ستا وهى تقول أستغفر الله من ذنوبى كلها قال الاصمعى فقلت لها مم تستغفرين وأنت صغيرة لم يجر عليك قلم أى لم تبلغى الحلم
فقالت أستغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغير حله مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالامران أرضعيه وألقيه والنهيان ولا تخافى ولا تحزنى والخبران وأوحينا وفاذا خفت وقيل الخبران والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهو خبر من جهة وبشارة من جهة وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم أيها المسلمون قال فتأملتها فاذا هى قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون فكان ذلك سبب اسلامه وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفا من البلاغة وحظا من البيان أن يضعوا أشياء يلبسون به على الناس يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ورأوه مكان النجم من يد المتناول ومنهم من أراد أن يصنع كلاما قليلا يحاكى به نحو سورة الكوثر ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح فجاء بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله وظهر لاهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم فولوا عنه

ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم فما أسمى اذا أى ان فعلت ذلك
كيف أسمى وأوصف بانى عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك انى عبد الله ورسوله أى ومن كان هذا
وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه صلى الله
عليه وسلم يبكون و يقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن أى البخل بالله وبرسوله أى لا نسمح
ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم و يصدقانكم وفى رواية ان الانصار رضى الله تعالى عنهم قالوا
فيما بينهم أترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله ارضه و بلده يقيم بهما فلما فرغ صلى
الله عليه وسلم من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى
الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم أى وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة
نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك وأظهرك الله أن ترجع
الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم وانما أمر
صلى الله عليه وسلم بقتل ابن أبى سرح لانه كان أسلم قبل الفتح وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الوحى وكان صلى الله عليه وسلم اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليه
عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال ان محمدا
لا يعلم ما يقول فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب الى مكة وقيل انه لما
كتب ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر تعجب من تفصيل
خلق الانسان فنطق بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتب ذلك هكذا أنزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانى يوحى الى
فارتد ولحق بمكة فقال لقريش انى كنت أصرف محمدا كيف شئت كان يملى على عزيز حكيم
فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وكل ما أقوله يقول اكتب هكذا أنزلت فلما كان يوم
الفتح وعلم باهدار النبى صلى الله عليه وسلم دمه لجأ الى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة
فقال له يا أخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه عثمان رضى
الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له ثم أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه
النبى صلى الله عليه وسلم فصار عثمان رضى الله عنه يقول يارسول الله أمنته والنبى صلى الله
عليه وسلم يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه
وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال صلى الله عليه وسلم
لعباد بن بشر وكان نذر ان رأى عبد الله أى وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبى صلى الله عليه
وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له صلى الله عليه وسلم انتظرتك أن توفى بنذرك قال يارسول الله
خفتك أفلا أومضت الى فقال انه ليس لنبى أن يومض * وفى رواية الايماء خيانة ليس لنبى
أن يومى * وفى رواية لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الاعين أى وهذا يدل على أن خائنة الاعين
الايماء بالعيون أى ان يومى بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو المزهدا وقيل انه أسلم وبايع
والنبى صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وصار يستحى من مقابلته صلى الله عليه وسلم فقال صلى

مدبرين واعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله ياضفدع كم تنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين
لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا
والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما

سبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التى ألفوها فيكون حجة على خزيه ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى خرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل أى ممتد ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففى هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا يخفى على من لا يعلم فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه يعيبه و يعلم ضرورة هجانته ولكنته

﴿ومن وجوه اعجازه﴾

الوصف الذى صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع فلا يشبه نظما ولا نثرا ولا خطبة ولا رسالة ولا سجعا مع أنه يشاركها فى أنه مؤلف من كلماتهم ونزل على أساليب كلامهم فى البلاغة وقد اشتمل على حسن التأليف والتئام الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب فى عجائب تراكيبهم وغرائب أساليبهم وبدائع انشاآتهم وروائع اشاراتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء به القرآن ووقفت عليه تقاطيع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى حسن كلامهم فلا ريب أنه فى فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفى بلاغته قد أصاب المعانى بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه

الله عليه وسلم لعثمان أما بايعته وأمنته قال بلى ولكن يذكر جرمه القديم فيستحى منك قال
الاسلام يجب ما قبله وأخبره عثمان رضى الله عنه بذلك ومع ذلك فصار اذا جاء جماعة للنبى صلى
الله عليه وسلم يجئ معهم ولا يجئ اليه منفردا * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل ابن خطل
لانه كان ممن أسلم أى قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد الله و بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من
الانصار يخدمه وفى لفظ كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا
و يصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا
وكان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعره وكانت له قينتان تغنيانه بهجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذى يصنعه وقد قيل انه ركب فرسه لابسا الحديد وأخذ بيده قناة وصار
يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه
وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحجون فأخبره خبره فأمر بقتله وقيل لما طاف صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل
هذا ابن خطل متعلقا بأستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة
حد واجب أى فقتله سعد بن حريث وأبو برزة وقيل قتله الزبير رضى الله عنه وقيل سعد بن
ذؤيب وقيل سعيد بن زيد قال فى النور والظاهر اشتراكهم فيه جميعا جمعا بين الاقوال وأمر
صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى
فأمنها وأسلمت والحويرث بن نقيذ وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان يؤذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة و يعظم القول فى أذيته و ينشد الهجاء وكان العباس عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضى عنه حمل فاطمة وأم كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد
بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى به الارض قتله على بن أبى طالب كرم الله
وجهه فى ذلك اليوم وقد خرج يريد أن يهرب ومقيس بن ضبابة انما أمر بقتله لانه كان قد أتى
النبى صلى الله عليه وسلم مسلما طالبا الدية أخيه هشام بن ضبابة رضى الله عنه قتله رجل من
الانصار فى غزوة ذى قرد خطأ يظنه من العدو ودفع له النبى صلى الله عليه وسلم دية أخيه ثم انه
عدا على الانصارى قاتل أخيه فقتله بعد ان أخذ دية أخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم قتله
ابن عمه نميلة بن عبد الله الليثى أى بعد ان أخبر نميلة بأن مقيسا مع جماعة من كبار قريش
يشربون الخمر فذهب اليه فقتله وذلك بردم بنى جمح وقيل قتل وهو معلق بأستار الكعبة
وأما هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه
كان عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفهاء من قريش حين بعث بها
زوجها أبو العاص الى المدينة فأهوى اليها هبار ونخس بعيرها وفى رواية ضربها بالرمح
فسقطت من على الجمل على صخرة أى وكانت حاملا فألقت ما فى بطنها واهراقت الدماء ولم يزل
بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لقيتم هبارا فاحرقوه ثم قال
انما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم أسلم

الباهر مارام معارضته شقى الانهافت تهافت الفراش فى الشهاب وذل ذل الغنم بين الليوث الغضاب وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته أنه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما يحكى عن يحيى بن حكيم الاندلسى وكان بليغ الاندلس فى زمانه قيل انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين أنه رام شيأ من المعارضة للقرآن فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها فاعترته خشية ورقة فى قلبه حاثته على التوبة عما كان رامه وعلم أنه أمر لا يقدر عليه البشر ويحكى أن المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة فقبل العين المهملة وكان أفصح أهل وقته وكان فى عصر التابعين طلب المعارضة ورامها فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبى يقرأ فى المكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين فقال أشهد أن هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض أبدا ثم رجع ومحا ما عمله وأبطله وعلم أنه لا مناسبة بينه وبين كلام الله فى شئ وبالتأمل فى القرآن المجيد يظهر لك من عجائبه ما لا يمكن حصره فتأمل فى مثل قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقوله تعالى ويا أرض ابلعى ماءك الآية وقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك أن تحت كل لفظة جملا كثيرة وفصولا جمة ووجدت فيها أوامر وزواجر مع ايجاز الالفاظ وكثرة المعانى ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها كل شئ فى موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل واذا تأملت أيضا القرآن وجدته مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة جامعا للحجج والمحتج

بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر أنه لما أسلم وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فانتهوا عنه وهذا السياق يدل على انه أسلم قبل أن يذهب الى المدينة وفى لفظ ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال يا محمد أنا جئت مقرا بالاسلام وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واعتذر اليه أى قال له صلى الله عليه وسلم بعد ان وقف عليه وقال السلام عليك يا نبى الله لقد هربت منك فى البلاد وأردت اللحوق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك فى صفحك عمن جهل عليك وكنا يا نبى الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا بك من الهلكة فاصفح عن جهلى وعما كان منى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا هبار عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب ما كان قبله وقوله مهاجرا فيه انه لا هجرة بعد فتح مكة الا ان يقال هى مجاز عن مجرد الانتقال عن محل الى آخر أخذا مما يأتى ان شاء الله فى عكرمة وأما عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم انما أمر بقتله لانه كان أشد الناس هو وأبوه أذية للنبى صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دمه فر الى اليمن فاتبعته امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحرث بن هشام بعد أن أسلمت فوجدته فى ساحل البحر يريد أن يركب السفينة وقيل وجدته فى السفينة فردته أى بعد أن قالت له يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك فقد استأمنت لك فجاء معها فاسلم وحسن اسلامه أى بعد أن قال يا محمد هذه يعنى زوجتى أخبرتنى انك أمنتنى قال صدقت انك آمن فقال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له صلى الله عليه وسلم يا عكرمة ما تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به أى وأقدم عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله عليه وسلم اليه قائما فرحا به أى ورمى صلى الله عليه وسلم برداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة وفى بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه وقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاء عكرمة ابن أبى جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة والعكرمة الانثى من الحمام واستدل بذلك على تأخر أوانها تكون لغير من ترى قال وصار عكرمة قبل اسلامه يطالب امرأته أم حكيم بجماعها فتأبى وتقول أنت كافر وأنا مسلمة والاسلام حائل بينى وبينك فقال ان أمرا منعك منى لامر كبير أى ولما قتل عكرمة رضى الله عنه فى اليرموك فى قتال الروم وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول له لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى أن أصاب فى جموعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمته فما أصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضى الله عنه

له واستيفاء هذه الامور متسقة أحسن نسق لا يتمكن لغير الله عز وجل فادعاء أنه من عند النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة أنه جاء على لسانه من عند الله فان عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة كما أن كونه خارقا للعادة معلوم بالضرورة كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته مع اعترافهم باعجاز بلاغته ثم هو آية معجزة فى سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها قصها الله تعالى على أعجب ترتيب وأبدع تهذيب مرتبطا أولها بآخرها لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ثم ان قصصه اذا كررت فيه وذكرت مرة بعد أخرى اختلفت فيها العبارات وذكرت فى كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى فى البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها قال فى الشفا ومن تفنن فى علوم البلاغة وأرهف خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته فهو كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى بل أعظم من ذلك لان هذا من جنس ما يتعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا أشمخ الانوف أباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختيارا ولا يؤثرونه الا اضطرارا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها أهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم أهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الانام وما منهم أحد الا جهد جهده واستفرغ ما فى وسعه فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما أظهروا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بقطرة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فانطقوا بل انقطعوا

عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التى دخل بها خالد فيها فقتلت به سبعة من الروم وقال صلى الله عليه وسلم قبل أن يقدم عليه عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه يأتيكم عكرمة مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى ولا يلحق الميت انتهى أى وفى رواية لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا وفى أخرى لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفى أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وجاء أنه شكى اليه صلى الله عليه وسلم قولهم عكرمة بن أبى جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وقد كان قبل اسلامه بارز رجلا من المسلمين فقتله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال أضحكنى أنهما فى درجة واحدة فى الجنة ومن ثم قتل عكرمة شهيدا فى قتال الروم فى وقعة اليرموك كما مر وسارة رضى الله عنها فانها أسلمت وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتلها لانها كانت مغنية بمكة وكانت تغنى بهجائه صلى الله عليه وسلم وهى التى وجد معها كتاب حاطب وقد استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأسلمت كما تقدم والحرث ابن هشام وزهير بن أمية استجارا بأم هانئ بنت أبى طالب أخت على بن أبى طالب كرم الله وجهه شقيقته ولم تكن أسلمت اذ ذاك فاراد على قتلهما فمنعها رضى الله عنها أنها قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الى رجلان من أحمائى أى من أقارب زوجها هبيرة بن أبى وهب مستجيران بى فاجرتهما وذكر الازرقى بدل زهير بن أمية عبد الله بن أبى ربيعة فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال والله لاقتلنهما أى وقال تجيرى المشركين فحلت بينه وبينهما فخرج فاغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا بأم هانئ وفى الرواية الاولى فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم أقبل على فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك فاخبرته الحديث فقال أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا نقتلهما وفى البخارى أيضا انه صلى الله عليه وسلم اغتسل فى بيتها ثم صلى الضحى ثمانى ركعات أى لما ذكر ذلك لابن عباس رضى الله عنهما قال انى كنت أمر على هذه الآية يسبحن بالعشى والاشراق فأقول أى صلاة صلاة الاشراق فهذه صلاة الاشراق وفى لفظ ما عرفت صلاة الاشراق الا الساعة وهذا يدل لما أفتى به والد شيخنا الرملى رحمهما الله تعالى أن صلاة الضحى صلاة الاشراق خلافا لما فى العباب من أنها غيرها او يحتاج للجمع بين هذه الرواية والتى قبلها على ثبوت صحتهما وبهذه الواقعة قال المحاملى من أئمتنا فى كتابه اللباب الذى هو أصل التنقيح الذى هو أصل التحرير ومن دخل مكة وأراد أن يصلى الضحى أول يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة وبه الغز فقيل شخص يستحب له الاغتسال لصلاة الضحى فى مكان خاص وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى قط وانى لاسبحها أى أصليها وعن

(ومن وجوه اعجازه) ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان في وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم عله
الا الله فجاء كما أخبر على الوجه الذي به أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه
بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة ١٠٦ قبل عام الحديبية فظنوا أنه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق
عليهم ذلك فأنزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فأخبرهم بأنه سيقع بعد ذلك فكان كما أخبر فلما وقع ذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم ذلك الذي قلت لكم وكقوله تعالى غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فأخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فكان كما أخبر الله وذلك أن الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون بها تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا بأذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وأخبر أبو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك وقال سنظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية ابن خلف وقيل أبي بن خلف كذبت فقال له أبو بكر بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار وجعلوا الموعد بينهما ثلاث سنين وأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك أي غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فأخذ القلائص أبو بكر رضي

عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله ما أخبرني أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا أم هانئ وهذا ينازع فيه ما يأتي أن صلاة الضحى مما اختص بوجوبها صلى الله عليه وسلم وأسلمت أم هانئ ذلك اليوم الذي هو يوم الفتح أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل عندك من طعام نأكله قالت ليس عندي الا كسر يابسة وأنا أستحي أن أقدمها اليك فقال هلمي بهن فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال هل من أدم فقالت ما عندي يا رسول الله الا شيء من خل فقال هلميه فصبه على الكسر وأكل منه ثم حمد الله ثم قال نعم الادم الخل يا أم هانئ لا يقفر بيت فيه خل أي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعا به فجعل يأكل به ويقول نعم الادم الخل وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه مامرفوعا ان الله يوكل بآكل الخل ملكين يستغفران له حتى يفرغ وجاء نعم الادم الخل اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلي ولم يقفر بيت فيه خل وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخذني رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لي فدخلت فقال هل من غداء فقالوا نعم فأتى بثلاثة أقرصة فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا فوضعه بين يدي ثم أخذ الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من أدم فقالوا الا الا شيء من خل قال هاتوه فنعم الادم الخل وفي رواية فان الخل نعم الادام قال جابر رضي الله عنه فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر وصفوان بن أمية استأمن له عمير ابن وهب أي قال له يا نبي الله ان صفوان سيد قومي قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال صلى الله عليه وسلم أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني آية يعرف بها أمانك فأعطى صلى الله عليه وسلم لعمير عمامته التي دخل بها مكة أي وفي لفظ أعطاه برده أي بعد أن طاب منه العود فقال لا أعود معك الا أن تأتيني بعلامة أعرفها فقال امكث مكانك حتى آتيك به فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فرده أي بعد أن قال له اعزب عني لا تكلمني فقال أي صفوان فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هذا يزعم أنك أمنتني قال صدق فقال يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر أي ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حنين ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمها أي بالجعرانة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملآن نعما وشاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نبي فأسلم كما سيأتي وهند امرأة أبي سفيان رضي الله عنهما فانها أسلمت بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتلها لانها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه كما تقدم وكعب بن زهير رضي الله عنه فانه أسلم بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم

ووحشى

الله عنه من ورثة أمية او أبي لان أمية قتل يوم بدر وأبي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد فتمام الاجل انما وقع بعد موتهما
فالقلائص انما أخذت من ورثتهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه تصدق بها وانما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل
تحريم القمار شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (ومن الاخبار بالغيب) ١٠٧ الواقع في القرآن قوله تعالى ليظهره
على الدين كله فهذا وعد من الله بان دين رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر يغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله عليه وسلم جميع الامم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ أي ليجعلنهم خلفاء في أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم والآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم فكانت الغلبة لهم على أهل الردة في خلافة الصديق رضي الله عنه وعلى الروم وفارس في خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم في البلاد وأبدلهم بعد خوفهم أمنا كما أخبر سبحانه وتعالى ومكن دينهم في مشارق الارض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيها كما قال صلى الله عليه وسلم زويت الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها وكقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم بكى عمه العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول ففتحت مكة
ودخل الناس في دين الله أفواجا أي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة لما أعز الله الدين ونشر أعلامه في الخافقين فتوفي رسول الله

ووحشى رضي الله عنه فانه أسلم بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه قتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد وكانت الصحابة أحرص شيء على قتله ففر الى الطائف وقد قدمنا اسلامه استطرادا قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاءه الكبار والصغار والرجال والنساء يبايعهم على الاسلام أي على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ودخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا أي وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فاخذته الرعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد أي وكان من جملة من بايعه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما فمن معاوية رضي الله عنه لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لامي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر بإسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له أي بعد ان استشار فيه جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين وأردفه النبي صلى الله عليه وسلم يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب زاد في رواية ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لمعاوية يا معاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والتي تليها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وازروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين وقد بشر بمعاوية رضي الله عنه بعض كهان اليمن وسبب ذلك أن أمه هند كانت قبل أبيه أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ثم خرج الفاكه لبعض حاجته وأقبل رجل كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة التي هي هند ولى هاربا وأبصره الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله وقال لها من هذا الذي كان عندك قالت ما رأيت رجلا ولا انتبهت حتى أيقظتني فقال لها الحقي بأبيك وتكلم فيها الناس فقال لها أبوها عتبة يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني نبأك فان كان الرجل عليك صادقا دسست اليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة وان يكن كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له انه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجوا معهم بهند ونسوة معها فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الكاهن الفلاني تنكرت حالة هند وتغير وجهها فقال لها أبوها اني قد أرى ما بك من تنكر

صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم أسلموا ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة فكان الامر كما أخبر الله وكقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فأخبر سبحانه وتعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان فى المستقبل كما أخبره لا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله أى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر فى قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن وقد اجتهد كثير من الملحدة فى ادخال شئ من التبديل فى القرآن بعد أن أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم فى هذه المدة الطويلة فلم يقدروا على اطفاء شئ من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما أخبر الله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعى من سعى فى اطفائه وافتضاح جهلة أعدائه (ومما أخبر الله به من المغيبات) فى القرآن العزيز قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذى سيهزم ولا المراد من الآية فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس صلى الله عليه وسلم درعه وخرج اليهم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر رضى الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ أى سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم أى يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى وكقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ففيها اخبار بالغيب وذلك أن ناسا من اليمن وبنى خزاعة أسلموا ولقوا بمكة بعد أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وكثير من أصحابه فلقوا من المشركين أذى شديدا فارسلوا

الحال وماذاك الا لمكروه عندك كان هذا قبل أن يشهد الناس مسيرنا قالت لا والله يا أبتاه ماذاك لمكروه عندى ولكنى أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمنى ميسما يكون على سبة فى العرب قال فانى سوف أختبره من قبل أن ينظر فى أمرك فصفر بفرس حتى أدلى ثم أخذ حبة من حنطة فادخلها فى احليله وأوكأ عليها بسير فلما وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة انا قد جئناك فى أمر وانى قد خبأت لك خبأ أختبرك به فانظر ما هو قال ثمرة فى كمرة قال أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت انظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب كتفها ويقول انهضى حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى غير رسحاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنترت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله لاحرص على أن يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضى الله عنهم وقد قال له صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فأحسن وفى رواية اذا ملكت من أمر أمتى شيأ فاتق الله واعدل ويؤثر عنه رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك ثم بكى رضى الله عنه حتى علا نحيبه كتب الى عائشة رضى الله عنها اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام وكتبت اليه رضى الله عنها مرة أخرى أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيأ والسلام ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان رضى الله عنهما متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعننى على أن لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن أى وذلك اسقاط الاجنة زاد فى لفظ ولا تلحقن بازواجكن غير أولادهم أى ولا تقعدن مع الرجال فى خلاء أى لا تجتمع امرأة مع رجل فى خلوة ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قال ابن عباس رضى الله عنهما البهتان أن تلحق بزوجها ولدا ليس منه أى ولا يغنى عنه الزنا كما أن ذلك لا يغنى عن الزنا وقد تحبل ولا يلحقه بأحد ولا تعصينى فى معروف وجاء أن بعض النسوة قالت ما هذا المعروف الذى لا ينبغى لنا أن نعصيك فيه قال لا تنحن أى وفى لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا وفى لفظ ولا تحلقن شعرا ولا تخرقن قرنا ولا تشققن جيبا ولا تدعين بالويل وجاء هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلاب وجاء تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على رأسها تقول ويلاه وجاء النائحة اذا لم تتب تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وجاء لا تقبل الملائكة على نائحة وجاء ليس للنساء فى اتباع الجنائز من أجر وجاء أن هندا قالت

وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وأبشروا فان الفرج قريب وأذن الله للمسلمين فى الجهاد وأنزل آيات فى الامر بالجهاد ومنها هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الى آخرها فكان بعدها ما أوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التى شفيت بها صدورهم حتى خربوا ديار المشركين بالسبى والجلاء وسلب النعم وكقوله تعالى لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بأنهم لا يقدرون عليكم الا بأذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وانهم ان يقاتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم فكان الامر كذلك (ومما فى القرآن من الاخبار بالمغيبات) ما فيه من كشف أسرار المنافقين مما كانوا يخفونه فى قلوبهم مما لا يعلم علمه الا الله وكشف أسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه فيما بينهم وهم يظنون أنه لا يشعر به غيرهم وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم أنها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أى يقول اليهود فيما بينهم وفى تناجيهم فى خلوتهم هلا يعذبنا الله فى قولنا فى حق محمد لو كان نبيا لدعا علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم وزاد ذلك بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يعنى انهم يسرون فى ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا أتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذى أخفوه هو قول بعضهم لبعض فى الخلوة يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فاعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه فهو من جملة الاخبار بالمغيبات وكقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وكقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين أى بالتكذيب والسخرية فاخبر الله تعالى بتحريفهم

له صلى الله عليه وسلم انك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال أى لان الرجال كان صلى الله عليه وسلم يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن والله انى كنت أصيب من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل عفا الله عنك أى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبى الله وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين أو تزنى الحرة يا رسول الله ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وفى لفظ هل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر وفى لفظ أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا بأولادهم وفى لفظ ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فضحك صلى الله عليه وسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفترينه قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح زاد فى لفظ وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تعصيننى فى معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى معروف وفى لفظ انها أتته متنقبة بالابطح وقالت انى امرأة مؤمنة أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك قال بعضهم وفى اسلام أبى سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها أى لانها أسلمت بعده بليلة واحدة واقرارهما على نكاحهما الحجة للشافعى رضى الله عنه ثم أرسلت اليه صلى الله عليه وسلم بهدية وهى جديان مشويان مع مولاة لها فاستأذنت فاذن لها فدخلت عليه وهو صلى الله عليه وسلم بين نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من بنى عبد المطلب وقالت له ان مولاتى تعتذر اليك وتقول ان غنمها اليوم لقليل الوالدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لكم فى غنمكم وأكثر والدتها فكثر الله ذلك تقول تلك المولاة لقد رأينا من كثرة غنمها ووالدتها ما لم نكن نرى قبل وجاءت اليه وقالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل ممسك فهل على من حرج أن أطعم من الذى له عيالنا فقال لها لا عليك أن تطعميهم بالمعروف وفى لفظ ان أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ما أخذت منه وهو لا يعلم قال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف أى وجاء ان بعض النساء قالت هلم نبايعك يا رسول الله قال لا أصافح النساء وانما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة وفى لفظ قولى لالف امرأة كقولى لامرأة واحدة وعن عائشة رضى الله عنها لم يصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط وانما كان يبايعهن بالكلام وعن الشعبى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب وقيل انه غمس يده فى اناء وأمرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة قال ابن الجوزى والقول الاول أثبت وقد ذكر المبايعات له صلى الله عليه وسلم لا فى خصوص يوم الفتح على حروف المعجم فى كتاب التلقيح وتقدم عن أم عطية رضى الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم أرسل الينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن

كنابهم وبعقالتهم وعدم طاعتهم وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه
فى صورة التماس نظره ورعايته مكرا منهم وليا بألسنتهم وهو من الاخبار بالغيب فضيحة لهم (ومن الاخبار بالغيب) قوله تعالى
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر
وقع فى نفوسهم ودوه وأحبوه
وهو مغيب عن النبى صلى الله
عليه وسلم فاعلمه به جبريل عليه
السلام حين نزل عليه بهذه الآية
وذلك ان الله وعد نبيه صلى الله
عليه وسلم بأحد الامرين الظفر
بالعير القافلة من الشام باموال
قريش أو قتل النفير وهم
قريش الذين خرجوا من مكة
لتخليص تلك العير وكانت الصحابة
رضى الله عنهم يودون فى أنفسهم
أخذ العير لما فيها من المال ولقلة
ما عندهم من السلاح والرجال
فقدر الله انهم يلقون العدو
ويقطع دابر الكافرين فقتل
صناديدهم وأيد الله المؤمنين
وأعز الدين (ومن الاخبار
بالغيب) قوله تعالى انا كفيناك
المستهزئين وهم خمسة أو سبعة
من الكفار كانوا يؤذونه صلى الله
عليه وسلم أشد الاذى ويسخرون
به فاخبره الله تعالى بهلاكهم
قبل وقوعه فكان كما قال فلما
نزلت هذه الآية عليه صلى الله
عليه وسلم بشر أصحابه بهلاكهم
وقد تقدم الكلام عليهم فى
مباحث البعثة (ومن الاخبار
بالغيب) قوله تعالى والله يعصمك
من الناس أى يحفظك من جميع
الناس الذين يريدون بك سوأ وكان
الصحابة رضى الله عنهم يحرسونه
صلى الله عليه وسلم فى أسفاره فلما
نزلت هذه الآية منعهم من
الحراسة وما أصابه يوم أحد لا ينافى هذا لان الآية نزلت بعدها أو المراد من هذه الآية حفظه من
القتل فكان محفوظا مع كثرة من رام ضرره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة منها ما فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال غزونا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن

يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ وقرأ الى قوله تعالى فى معروف فقلن نعم فمد يده من خارج
ومددن أيديهن من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد ولعل ذلك كان بحائل والفتنة مأمونة
وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أين ابنا أخيك يعنى أبا لهب عتبة ومعتب لا أراهما قال
العباس رضى الله عنه قد تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش قال ائتنى بهما فركبت اليهما
فأتيت بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهما ودعا لهما
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة
ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه صلى الله عليه وسلم فقلت له سرك الله يا رسول الله انى أرى
السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى وشهدا معه حنينا
والطائف ولم يخرجا من مكة ولم يأتيا المدينة وقلعت عين معتب فى حنين وعن أبى سعيد
الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدنى ربى ثم قرأ
اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رضى الله عنه بقوله

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفى الآية الكبـ * ـرى عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

أى أجاب دعوته صلى الله عليه وسلم الرفيع والوضيع وعن الاول كنى بالخضراء التى هى السماء
فقد جاء فى حديث سنده واه السماء الدنيا زمردة خضراء وذكر أنها أشد بياضا من اللبن
وخضرتها من صخرة خضراء تحت الارض وكنى عن الثانى بالغبراء التى هى الارض وانما كانت
غبراء لان جميع طبقاتها من طين مع حصول نصره صلى الله عليه وسلم على أعاديه وفتح لبلادهم
بعد ذلك الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وقلتهم وكثرة عدوهم مع التصميم
على أذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وتوالت له عليهم الاغارة
المحيطة بهم من سائر الجوانب * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه دعا عثمان
ابن طلحة رضى الله عنه فانه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد
وعمرو بن العاص قبل الفتح وأسلموا كما تقدم واستمر فى المدينة الى أن جاء معه صلى الله عليه
وسلم الى فتح مكة وبه يرد ما روى انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه الى عثمان
ابن طلحة لاخذ المفتاح فأبى أن يدفعه له وقال لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه
منه ولوى على كرم الله وجهه يده وأخذ المفتاح منه قهرا وفتح الباب وأنه لما نزل قوله تعالى
ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها أمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع له المفتاح متلطفا به
فجاء على كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال له أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على
كرم الله وجهه لان الله أمرنا برده عليك فأسلم ثم لما دعا صلى الله عليه وسلم عثمان وجاء اليه
أخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم ذكر صلى الله
عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين
مختلفتين

من أغصانها وتفرق الناس فى الوادى ليستظلوا بالشجر فأتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فأخذ السيف فاستيقظ وهو قائم
على رأسه والسيف مصلت فى يده فقال له من يمنعك منى قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فسقط السيف من يده ووقعت له روعة
فأخذ السيف صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خيرا آخذ فعفا عنه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
للصحابة ها هو جالس وهو ملك
قومه فانصرف حين عفا عنه
وقال والله لا أكون فى قوم هم
حرب لك وأمثال هذا كثير
وتقدم فى الغزوات شئ من ذلك
﴿ومن وجوه اعجازه القرآنية﴾
ما أخبر الله به من أخبار القرون
السالفة والامم البائدة والشرائع
الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة
الواحدة الا الفذ الشاذ من
أحبار أهل الكتاب الذى قطع
عمره فى تعلم ذلك فاورد الله ذلك
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
على أتم حال يليق به وينبغى له
وأتى به على غاية مرتبة من كماله
ورفعته فاعترف العالمون بذلك
بصحته وصدقه مع أنه لم ينله
بتعليم ومع أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب
ولم يشتغل بمدارسة ومداومة
طلب ومجالسة تحتك فيها الركب
بالركب ولم يغب عن قومه غيبة
يحتمل أنه تعلم فيها ما أخبرهم
به ولا جهل حاله أحد منهم من
ولادته الى وفاته حتى يتوهم
تعلمه ذلك من أهل الكتاب وقد
كان أهل الكتاب من أحبار
اليهود والنصارى كثيرا ما يسألونه
صلى الله عليه وسلم عن أخبار الامم
السالفة فينزل عليه من القرآن
ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص
الانبياء عليهم السلام مع أممهم
فيذكرها لهم صلى الله عليه وسلم
مفصلة بابلغ عبارة وألطف اشارة
نحو خبر موسى والخضر وخبر يوسف واخوته وكقصة أصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الانباء والقصص
المذكورة فى القرآن عمن مضى من الامم السالفة وكبيان ابتداء الخلق وما جرى فى ذلك وخلقه للسموات والارض وآدم وحواء وما
فى التوراة والانجيل من الاحكام والشرائع والتوحيد وما فى الزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بهما من أهل

مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعى واليمين على من أنكر
ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذى محرم ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح ولا يصام
يوم الاضحى ولا يوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها
بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون وفى لفظ ماذا تقولون
ماذا تظنون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت أى وفى لفظ لما خرج
صلى الله عليه وسلم من الكعبة يوم الفتح وضع يده على عضادتى الباب ثم قال ماذا تقولون
ماذا تظنون انى فاعل فيكم قالوا خيرا فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم
وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وفى لفظ فانى
أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم
الطلقاء أى الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق فى الاصل الاسير اذا أطلق فخرجوا
فكأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام قال وذكر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من
طوافه أرسل بلالا رضى الله عنه الى عثمان بن طلحة يأتى بمفتاح الكعبة فجاء الى عثمان
فأخبره فقال انه عند أمى فرجع بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن المفتاح عند
أمه فبعث اليها رسولا فقالت لا واللات والعزى لا أدفعه أبدا فقال عثمان يا رسول الله أرسلنى
أخلصه لك منها فأرسله فجاء اليها فطلبه منها فقالت لا واللات والعزى لا أوصله اليك أبدا فقال
يا أمه ادفعيه الى فانه قد جاء أمر غير ما كنا عليه ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى ويأخذه منك غيرى
فأدخلته حجرتها وقالت أى رجل يدخل يده ههنا أى وقالت له أنشدك الله أن يكون ذهاب
مأثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ينتظر حتى انه ليتحدر منه
مثل الجمان من العرق فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار
وعمر رضى الله عنه رافع صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بنى خذ المفتاح فان تأخذه
أحب الى من أن تأخذه تيم وعدى أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذه عثمان فخرج يمشى
حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المفتاح فحنى اليه وتناوله أى وفى رواية فاستقبلته ببشر
واستقبلنى ببشر فأخذه منى وفتح الكعبة وفى رواية انه قال له هاك المفتاح بأمانة الله وفى لفظ
لما أبت أمه أن تعطيه المفتاح قال والله لتعطينه أو لاخرجن هذا السيف من منكبى فلما رأت
ذلك أعطته اياه فجاء به ففتح عثمان له الباب ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها
وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى بعض هذه القصة بقوله

صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوا فى السطعن منها ما شانها الابطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء

الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شئ منها بل أذعنوا لذلك واعترفوا به فنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الازلية
ومنهم من خذله الله فكفر عنادا وحسدا ومع هذا العناد والحسد الذى أظهروه ولم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شئ
من ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم ١١٢ وحرصهم على تكذيبه فى شئ من كلامه ومع طول احتجاجه عليهم بما فى
كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه فى طلب أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم فكان يعلمهم بمكتوم شرائعهم وما تضمنته كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما سألوه عن حكم الرجم للزانى المحصن وكانوا قد أنكروه فى شريعتهم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وأخبرهم بانه مذكور فى التوراة وكبيان ما حرم اسرائيل على نفسه واسرائيل هو يعقوب عليه السلام وكان اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم امتحانا له عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم لحوم الابل وألبانها فصدقوه وذلك ان يعقوب عليه السلام نذر انه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات أن يذبح آخر أولاده فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده لانه اشترط فى النذر الدخول الى بيت المقدس سليما من الامراض والآفات فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد
منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح وسألوه صلى الله عليه وسلم أيضا عما حرم على بنى اسرائيل من صلى
الطيبات والانعام التى كانت أحلت لهم فحرمها الله عليهم ببغيهم أى عقوبة لهم بسبب ظلمهم وأنزل الله فى ذلك وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم

أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاقواء والاكفاء
فدعوا أحلم البرية والعفو * وجواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها التراث والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه * عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله * تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس * لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فارضى الله * منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح * الا بما حواه الاناء

أى ألقت قومه الذين لم يؤمنوا به بين يديه حبائل بغيهم التى مدها المكر والدهاء حالة كون ذلك منهم فبسبب مكرهم أتتهم من قبله خيل تتبختر بها راكبوها الى الحرب والخيل عليها الشجعان كبر وترفع فى الحرب قصدت فى أبدانهم الرماح فبسبب قصدها بهم كانت الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح ما عابها الايطاء أى لم يعدم وجوده فيها والايطاء فى القافية تكريرها متحدة اللفظ والمعنى وهو معيب على الشاعر لانه يدل على قصوره والطعنات المتوالية فى محل واحد تدل على قصر ساعد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا أظلم الجو حتى ظن ان وقت الغدو من تلك الغبرة وقت العشاء وذلك بأرض مكة عند فتحها أمسكت عند ذلك الغبار لكثرته الحجون وهو كداء بالفتح والمد أعلى مكة الكثرة ما أعطاه صلى الله عليه وسلم للناس وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم القليل من الناس كداء بالضم والمد وهو أسفل مكة وهذه لغة فيه قليلة وعند ذلك قل غباره وأهلكت تلك الخيول أوجها من الناس بمكة ممن أباح دمه ومن قاتل وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون اليها من تلك البيوت خلوها عن أنس بها والرجوع اليها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما مضى منهم وجواب الحليم لمن سأله العفو عنه العفو وارخاء الجفون من الحياء وحلفوه بالقربى التى وصلت اليه من بطون قريش وهم ولد النضر بن كنانة التى قطعتها القاتلة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا صلى الله عليه وسلم عفو قادر لم يكدر ذلك العفو عنهم اغراء سفهائهم به حالة كون ذلك الاغراء منهم فيما مضى واذا كان القطع والوصل لله تساوى عند فاعل ذلك التقريب للاقارب والبعداء والابعاد للاقارب والبعداء والذى تقريبه وابعاده لله لا لغيره يستوى عنده سبه والمبالغة فى مدحه اذا أتاه ذلك من غيره ومن ثم لو كان انتقامه لهوى النفس الامارة بالسوء لاستمرت قطيعة الرحم ودام ابعاده لها كيف وقد قام لله فى أموره كلها فبسبب ذلك أرضى الله تباين منه صلى الله عليه وسلم لاعدائه ووفاء لاوليائه ففعله صلى الله عليه وسلم كله جميل ولا بدع فى ذلك اذ ما يسيل مما فى الاناء على ظاهره الا ما كان فى تلك الاناء فمن امتلأ قلبه خيرا كانت أفعاله كلها خيرا ومن امتلأ قلبه شرا كانت أفعاله كلها شرا * ثم جلس

وانا لصادقون فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من
الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه
فى سورة الانعام وقوله ببغيهم أى بقتل أنبيائهم وأخذهم أموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم لم يحرم الله علينا
شيأ فان حرم علينا شيأ فبينه فانزل الله هذه الآية الصريحة فى تكذيبهم فافتضحوا ١١٣ وجاء أن اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم
تزعم أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم فى شرعه فانزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فبهتوا لما يجدوا فيها ما ادعوه ومن الاخبار بما فى الكتب السابقة قوله تعالى فى وصف أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الآية والاشارة لقوله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولم يذكر عن أحد منهم انه كذبه فى شئ من ذلك بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته وبانهم انما جحدوا نبوته حسدا وعنادا كأهل نجران وعبد الله بن صوريا وحيى بن أخطب وغيرهم من أحبار اليهود والنصارى حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهلتهم امتنعوا وخافوا من نزول العذاب عليهم واعترفوا بنبوته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهرا بغيا وعنادا وصالحوه وانصرفوا كما سيأتى وعن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها وكانت بنت حيى بن أخطب قالت كان عمى أبو ياسر أحسن رأيا من أبى كان يقول لابى أليس هو الذى
 نجده فى كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته وقد فضح الله أهل الكتاب الذين
حسدوه صلى الله عليه وسلم وأظهر كثيرا مما أخفوه قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويعفو عن كثير أى لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ما ذكره تعالى من عجز قوم
فى قضايا واعلامهم بانه لا يفعلونها وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوى باطلة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فى كمه فقام اليه على كرم الله وجهه فقال يا رسول الله اجمع لنا وفى لفظ اجمع لى الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم أى منهم على كرم الله وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقيل نزلت هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فى شأن عثمان ابن طلحة رضى الله عنه ودفع المفتاح له أى لما أخذه على كرم الله وجهه وقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم لعلى أكرهت وآذيت وأمره صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه فقد أنزل الله فى شأنك أى أنزل الله عليه ذلك فى جوف الكعبة وقرأ عليه الآية ففعل على كرم الله وجهه ذلك وسياق هذه الرواية يدل على ان عليا كرم الله وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان فلما نزلت الآية أمره صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح لعثمان والسقاية كما تقدم كانت احواضا من أدم يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحاج ويطرح فيها التمر والزبيب فى بعض الاوقات وفى كلام الازرقى كان لزمزم حوضان حوض بينها وبين الركن يشرب منه وحوض من ورائها للوضوء أى ولعل هذا كان بعد الفتح والسقاية قام بها العباس رضى الله عنه بعد موت أبيه عبد المطلب وقام بها بعده ولده عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقد تكلم فيها محمد بن الحنفية مع ابن عباس فقال له ابن عباس مالك ولها نحن أولى بها فى الجاهلية والاسلام قام بها العباس بعد موت أبيه عبد المطلب وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس يوم الفتح واستمر المفتاح مع عثمان رضى الله عنه الى أن أشرف على الموت ولم يعقب دفعه الى أخيه شيبة ومن ثم عرفت ذريته بالشيبيين أى وفى رواية دفع صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة الى عثمان والى شيبة ابن عمه وقال خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم أى وكون شيبة ابن عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ ابن حجر الشيبيون نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة فأبو طلحة له ولدان عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان وفى كلام ابن الجوزى ما يوافقه وهو ان عثمان لما هاجر الى المدينة وأسلم سنة ثمان لم يزل مقيما بالمدينة حتى خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة أى وقد تقدم ثم رجع الى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة واستمر مقيما بها حتى مات بها فى أول خلافة معاوية رضى الله عنه فلم يزل عثمان رضى الله عنه يلى فتح البيت الى أن أشرف على الموت دفع المفتاح الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة فى ولد شيبة وكان عثمان بن طلحة هذا خياطا وهى صناعة نبى الله ادريس عليه

فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى ان كنتم صادقين انكم من أهل الجنة وانها مخصوصة بكم فتمنوا الموت لان من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب التخلص من هذه الدار وأكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال الله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم فنفى منهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله ان وأبدا وما قدمت أيديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة ففى هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب وهو انتفاء تمنيهم الموت فى المستقبل فكان كما أخبر اذ لم يتمنوه ولو تمناه أحد منهم لمات ولم يقع التمنى من أحد منهم مع توفر الدواعى على نقله لو وقع والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية الان النطق بقولهم تمنينا ممكن وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الاغص بريقه يعنى يموت مكانه نصرفهم الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحى اليه ولم يتمنه أحد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته وفى الشفاء من أعجب أمر اليهود انه لا يوجد منهم أحد يقدم على تمنى الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم من التمنى موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنهم به ومثل ما تقدم فى الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال

الصلاة والسلام وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا عثمان بن طلحة وقال له أرنى المفتاح فأتاه به فلما بسط يده اليه قام العباس فقال يا رسول الله اجعله لى مع السقاية فكف عثمان يده فقال صلى الله عليه وسلم أرنى المفتاح فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الاولى فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتنى المفتاح فقال هاك بأمانة الله ولعل هذا كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة فيكون طلب العباس رضى الله عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة وبعده وفى رواية أنه قال له ائتنى بالمفتاح قال فأتيته به فأخذه ثم دفعه الى وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وفى لفظ غيره ان الله رضى لكم بها فى الجاهلية والاسلام انى لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم وفى رواية لا يظلمكموها الا كافر ولا مانع أن يكون ذلك بعد أن دفعه على كرم الله وجهه له بأمره صلى الله عليه وسلم وكأنه صلى الله عليه وسلم أحب أن يؤدى الامانة بيده الشريفة من غير واسطة وقال له يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف فقال عثمان رضى الله عنه فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال ألم يكن الذى قلت لك قال رضى الله عنه فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لى بمكة قبل الهجرة وقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة مع الناس وكنا نفتحها فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فلما أقبل ليدخلها أغلظت عليه ونلت منه وحلم على ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت قد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت كلمته صلى الله عليه وسلم منى موقعا وظننت ان الامر سيصير الى ما قال صلى الله عليه وسلم قال فلما قال لى يوم الفتح ذلك قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم دخل يومئذ الكعبة ومعه بلال فأمره أن يؤذن أى للظهر على ظهر الكعبة وأبو سفيان وعتاب بن أسيد وفى لفظ خالد بن أسيد والحرث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أى أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا العبد فيسمع منه ما يغيظه فقال الحرث أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته أى وفى رواية أنه قال ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ولا مانع من وجود الامرين منه أى وتقدم فى عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما أذن بلال رضى الله عنه على ظهر الكعبة أيضا أى وقال غير هؤلاء من كفار قريش لقد أكرم الله فلانا يعنى أباه اذ قبضه قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وفى لفظ والله الحدث العظيم أن يصيح عبد بنى جمح ينهق على بيته فقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذى قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال أما أنت يا فلان فقد قلت كذا واما أنت يا فلان فقد قلت كذا وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله

عليه

وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له لخبث طباعهم قال تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر وأما المؤمن فلا تزال روعته به أى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه اجلالا وهيبة تولية عند تلاوته انجذابا فيميل قلبه وسمعه لحبه استماعه ويزداد هشاشة ونشاطا لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أى يعرض لجلدهم القشعريرة عند القرآن فشعريرة من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضى الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين ومما يدل على ان ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شئ خص به القرآن دون غيره من الكلام انه أمر يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره وما ذاك الا لسر فيه وأمر ربانى ولذلك يتاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره وفى الشفاء للقاضى عياض ان نصرانيا مر بقارئ يتلو القرآن جهرا فوقف ليسمع قراءته وهو يبكى فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم والمراد بالشجا الطرب وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهم حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم القرآن فمنهم من أسلم لهذه الروعة لاول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر روى البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الى المدينة

عليه وسلم فقال لو انشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك وجاء أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أبى سفيان وهو فى المسجد فلما نظر اليه أبو سفيان قال فى نفسه ليت شعرى بأى شئ غلبنى فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حتى ضرب يده بين كتفيه فقال بالله غلبتك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان أشهد أنك رسول الله وصار بعض قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة رضى الله عنه وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبى والله ايمانا ويقينا فعلمت أنه رسول الله وألقى عليه صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة سنة وعقبه بعده يتوارثون الاذان بمكة وتقدم أن أذان أبى محذورة وتعليمه صلى الله عليه وسلم الاذان كان مرجعه من حنين وتقدم طلب تأمل الجمع بينهما وفى تاريخ الازرقى أن جويرية بنت أبى جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة ولقد جاء لابى الذى جاء محمدا من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه وعن الحرث بن هشام قال لما أجارتنى أم هانئ وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارها فصار لا أحد يتعرض لى وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فمر على وأنا جالس فلم يتعرض لى وكنت أستحى أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياى فى كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقينى بالبشر فوقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وجاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومى أى وقيل عبد الله ابن السائب بن أبى السائب وقيل السائب بن عويمر وقيل قيس بن السائب بن عويمر قال فى الاستيعاب وهذا أصح ما قيل فى ذلك ان شاء الله تعالى وكان شريكا له صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فقال فأخذ عثمان وغيره يثنون على فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلمونى به كان صاحبى وفى لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخى وشريكى كان لا يدارى ولا يمارى قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تتقبل منك أى لتوقف صحتها على الاسلام وهى الاعمال المتوقفة على النية التى شرطها الاسلام وهى اليوم تتقبل منك أى لوجود الاسلام (وارسل) سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه ولده عبد الله ليأخذ له أمانا منه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أبى تؤمنه فقال صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بالله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد اليه النظر فلعمرى ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا فكان سهيل رضى الله تعالى عنه يقبل ويدبر وخرج الى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة (وذكر) ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح قال فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا فضالة قال فضالة نعم يا رسول الله قال

ليكلم النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر قال فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي أن يطير أي حدث عنده فزع وخوف شديد حتى ظن أن قلبه
يفنى ويطير زاد في رواية وذلك أول ما وقر الايمان في قلبي أي لانه لما سمعها وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع
لعرق الكفر لدلالتها على ان لا خالق
يستحق العبادة الا الله فسكن الايمان
في قلبه بعد اضطرابه وفي رواية
فصدع قلبي وفي رواية انه لما سمع قوله
تعالى والطور وكتاب مسطور في
رق منشور تحير واندهش فلما سمع
ان عذاب ربك لواقع ماله من
دافع جلس وخاف ان العذاب
ينزل به فلما سمع يوم تمور السماء
مورا وتسير الجبال سيرا فويل
يومئذ للمكذبين أخذه خوف
شديد فلما وصل الى قوله أم هم
المسيطرون قال كاد قلبي يطير الى
آخر الحديث ففيه دليل لروعة
القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة
سبب لاسلامه رضي الله عنه
﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ان قارئه
لا يمله ولو أعاده مرارا مع ان
القلوب جبلت على معاداة المعادات
وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره
تكراره على سمعه بل الملازمة
لتلاوته تزيده حلاوة وترديده
يوجب له محبة وحسنا وبهجة
وقبولا ولا يزال غضا طريا لا تتغير
بهجته ونضارته فكأنه في كل مرة
قريب عهد بالنزول وغيره من
الكلام ولو بالغ في الحسن والبلاغة
ما بالغ يمل مع الترديد ويعادى اذا
أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات
ويؤنس بتلاوته عند نزول
الكربات وسواه من الكتب
لا يوجد فيه ذلك حتى أحدث لها
أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها او المراد ان غير القرآن يخترع له أسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه
ولاختصاص القرآن بعده مال قارئه وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس

ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله تعالى عنه يقول
والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيأ أحب الي منه قال ولما كان الغد من يوم الفتح
عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا
بعد الظهر مسندا ظهره الشريف الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال
أيها الناس ان الله تعالى قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر
ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر
يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة ولم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل
لي الا هذه الساعة أي من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا قد رجعت حرمتها
اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله قد أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء في
صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل
فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي من بني بكر فانه
دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به وطعنه منهم خراش بمشقص في بطنه حتى
قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا أي والمشقص
ما طال من النصال وعرض قال ابن هشام وبلغني انه أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه أنه تقدم في خيبر أنه ودى قتيلا وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم
الى يوم القيامة قال العلماء أي على الكفر أي لا يقاتلوا على أن يسلموا ونادى منادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره (ولما
أسلمت هند) رضي الله تعالى عنها عمدت الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول
كنا منك في غرور ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التي حول مكة أي
لانهم كانوا اتخذوا مع الكعبة أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها كتعظيم الكعبة وكانوا يهدون
لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم من ذلك كما
تقدم العزى وسواع ومناة وسيأتي الكلام على ذلك في السرايا ان شاء الله تعالى أي وفي هذا
العام الذي هو عام الفتح كانت غزوة أوطاس وأوطاس هي هوازن وحلل صلى الله عليه وسلم
المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها ففي صحيح مسلم عن بعض الصحابة لما أذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المتعة خرجت أنا ورجل الى امرأة من بني عامر كأنها بكرة عيطاء وفي لفظ مثل البكرة
العطنطنة فعرضنا عليها أنفسنا فقلنا لها هل لك أن يستمتع منك أحدنا فقالت ما تدفعان فقلنا
بردينا وفي لفظ رداءينا فجعلت تنظر فتراني أجمل من صاحبي وترى برد صاحبي أحسن من
بردي فاذا نظرت الي أعجبتها واذا نظرت الى برد صاحبي أعجبها فقالت أنت وبردك تكفيني
فكنت معها ثلاثا والحاصل ان نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم أبيح يوم الفتح ثم
نسخ

بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم
هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن ولا تخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته
ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى
الى صراط مستقيم ﴿ومن وجوه
اعجازه﴾ جمعه لعلوم ومعارف لم
تعرفها العرب ولا محمد صلى الله عليه
وسلم قبل نزول الوحي عليه بل ولا
يحيط أحد من علماء الامم بها ولا
يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع
فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج العقلية والرد على
فرق الامم ببراهين قوية بينة سهلة
الالفاظ رام المتحذلقون أن
ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا
كقوله تعالى لخلق السموات
والارض أكبر من خلق الناس
وكقوله تعالى أوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على أن
يخلق مثلهم وكقوله تعالى قل
يحييها الذي أنشأها أول مرة
وكقوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وفيه من دقائق علم
النجوم كقوله تعالى والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم
لا الشمس ينبغي لها أن تدرك
القمر ومن دقائق علم الطب كلوا
واشربوا ولا تسرفوا ومن دقائق
علم الهندسة انطلقوا الى ظل ذي
ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من
اللهب ففيه اشارة الى شكل
مثلث مع بعض أحكامه التي
لا يعرفها الا الراسخون في علم
الهندسة وفيه جمل من علوم السير
والاخلاق الحميدة وتزكية
النفس وأنباء الامم والمواعظ
والحكم وجوامع الكلم وأخبار
الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم والامثال والاشياء التي دلت على البعث وآياته والاخبار عما كان وما يكون وما فيه من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة الارحام الى غير ذلك قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وأخرج ابن أبي شيبة ان الله تعالى قال للنبي صلى

نسخ في أيام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وكان فيه خلاف في الصدر الاول ثم ارتفع
واجمعوا على تحريمه وعدم جوازه قال بعض الصحابة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
بين الركن والباب وهو يقول أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع الا وان الله حرمها
الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ أي لكن
في مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر وعمر وفي رواية عنه حتى نهى عنه عمر رضي الله تعالى عنه وقد تقدم في غزاة خيبر عن
امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه لا أعلم شيأ حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة وهو يدل على أن
اباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به وهذا يعارض ما تقدم أن الصحيح أنها
حرمت في حجة الوداع الا أن يقال يجوز أن يكون تحريمها في حجة الوداع تأكيد التحريمها
عام الفتح فلا يلزم أن تكون أبيحت بعد تحريمها أكثر من مرة كما يدل عليه كلام امامنا
الشافعي لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
أوطاس المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وقد يقال مراد هذا القائل بعام أوطاس عام الفتح لان غزاة
أوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم وما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من جوازها
رجع عنه فقد قال بعضهم والله ما فارق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا حتى رجع الى قول
الصحابة في تحريم المتعة ونقل عنه رضي الله تعالى عنه أنه قام خطيبا يوم عرفة وقال أيها الناس
ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير والحاصل أن المتعة من الامور الثلاثة التي نسخت
مرتين الثاني لحوم الحمر الاهلية الثالث القبلة كذا في حياة الحيوان قال واستقرض صلى الله
عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه خمسين ألف
درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين
ألف درهم فرقها صلى الله عليه وسلم في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاهم مما غنمه من هوازن
وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء اهـ أي وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة أي بعد فتحها تسعة
عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري بقصر الصلاة في مدة اقامته وبهذا الثاني قال
أئمتنا ان من أقام بمحل لحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول
والخروج ولعل سبب اقامته المدة المذكورة أنه كان يترجى حصول المال الذي فرقه في أهل
الضعف من أصحابه فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة الى حنين لحرب هوازن وجاء اليه صلى الله
عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وقد أخذ بيد ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة فقال سعد يا رسول
الله هذا ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد الي انه ابنه أي قال اذا قدمت مكة انظر الى ابن وليدة
زمعة فانه مني فاقبضه اليك فقال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي ابن وليدة أبي زمعة ولد نه
على فراشه أي مع كونها فراشا له فنظر صلى الله عليه وسلم الى ذلك الولد فاذا هو أشبه الناس
بعتبة بن أبي وقاص فقال لعبد بن زمعة هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل انه ولد على فراش
أبيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة احتجبي منه يا سودة
لما رأى عليه من شبه عتبة أي تخشى أن يكون ابن خاله فأمرها بالاحتجاب ندبا واحتياطا فلم

الله عليه وسلم انى منزل عليك توراة أى كتابا يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب الاحبار عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما فى الكتب قبله التى ألفاظها على الضعف منه مرات ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز وبحسن تأليفه وايجازه وبلاغته فهذا دليل وفى أثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهى مدلول فالقارئ يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول أعمارهم وامتداد أزمنتهم قال سعيد بن جبير ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا فى صحفها غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير وقد من الله تعالى على هذه الامة بأن يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ويسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده كضرب الامثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر فيها

برها حتى لقى الله وفى بعض الروايات احتجبى منه ياسودة فليس لك بأخ وسرقت امرأة فأراد صلى الله عليه وسلم قطعها ففزع قومها الى أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهم يستشفعون به فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال أتكلمنى فى حد من حدود الله تعالى فقال أسامة استغفر لى يارسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان ما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها وفى كلام بعضهم كانت العرب فى الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى (وولى صلى الله عليه وسلم) عتاب ابن أسيد رضى الله تعالى عنه وعمره احدى وعشرون سنة أمر مكة وأمره صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه بمكة معه معلما للناس السنن والفقه وفى الكشاف وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله أى وقال ذلك ثلاثا وكان رضى الله تعالى عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام فنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم هذا وفى تاريخ الازرقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أسيدا فى الجنة وأنى أى كيف يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن أسيد فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذى رأيت ادعوه لى فدعى له فاستعمله يومئذ على مكة ثم قال ياعتاب أتدرى على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا فان قيل كيف يقول صلى الله عليه وسلم عن أسيد انه رآه فى الجنة ثم يقول عن ولد اسيد انه الذى رآه فى الجنة قلنا لعل عتابا كان شديد الشبه بأبيه أسيد ففطن صلى الله عليه وسلم عتابا اباه فلما رآه عرف أنه عتاب لا أسيد وفى كلام سبط ابن الجوزى عتاب بن أسيد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة لما خرج الى حنين وعمره ثمانى عشرة سنة وفى كلام غيره ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم انما استخلف عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة الا أن يقال لا مخالفة ومراده باستخلافه ابقاؤه على ذلك وينبغى أن يكون ما تقدم عن الكشاف من قول أهل مكة له صلى الله عليه وسلم لقد استخلفت على أهل الله عتاب بن أسيد الى آخره بعد ابقائه على استخلافه لما لا يخفى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن اسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده كما تقدم مثل ذلك فى أبى جهل وولده عكرمة رضى الله تعالى عنه ولما ولاه صلى الله عليه وسلم على مكة جعل له فى كل يوم درهما فكان رضى الله تعالى عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم فى كل يوم ويروى أنه قام فخطب الناس فقال أيها

من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن انطلاق الملا منهم واجتماعهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ فى ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا فى أوجز كلام وأحسن نظام على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل فصاحته ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ان الله وسع على الامة بقراءته على أوجه متنوعة وطرق متعددة وهى طرق القراآت المشهورة ومع ذلك لا يختل شئ من بلاغته وجميع أنواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه وهذا لا يمكن مثله فى كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد فى انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شئ من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على أوجه متنوعة بخلاف القرآن العزيز قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها فعجز غيرهم أولى وهم قد عرفوا انه صلى الله عليه وسلم من قبل نبوته بأربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيأ ولم ينشد شعرا لغيره فضلا عن انشائه ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وشهد له سبحانه وتعالى فى كتابه بذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضى

الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم أى له درهم فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما فى كل يوم فليست لى حاجة الى أحد وعن جابر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على مكة وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة ولعل الدرهم كل يوم يحرز القدر المذكور أى أربعين أوقية فى السنة فلا مخالفة وفى السنن الكبرى للبيهقى وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذى قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر وألقاها بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش

﴿غزوة حنين﴾

اسم موضع قريب من الطائف وفى كلام بعضهم الى جنب ذى المجاز وهو سوق الجاهلية وتقدم ذكره وفى كلام بعض آخر اسم لما بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذى كانت به الوقعة فى آخر الامر أى وسببها انه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان أهلهما كانوا طغاة عتاة مردة قال قال أئمة المغازى لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض فأشفقوا أى خافوا أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد فرغ لنا فلا ناهية أى لا مانع له دوننا والرأى أن نغزوه فحشدوا وبغوا وقالوا والله ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فأجمعت هوازن أمرها اه أى جمعوا وكان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصيرى أى بالصاد المهملة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضر معهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر أى لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين أى وقيل قارب المائتين قاله ابن الجوزى وقد عمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب أى لانه كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ياليل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وقيل قارب بن الاسود وكان سن مالك بن عوف اذ ذاك ثلاثين سنة فأمر الناس بأخذ أموالهم ونسائهم وأبنائهم معهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فقال دريد للناس بأى واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم محل الخيل وفى لفظ مجال الخيل بالجيم لا حزن ضرس ولا سهل دهس والحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاى وبالنون ما غلظ من الارض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الراء وبالسين المهملة ما صلب من الارض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة والهاء وبالسين المهملة اللين كثير التراب مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير بضم النون أى صوتها وبكاء الصغير ويعار الشاء واليعار بضم المثناة تحت وبالعين المهملة المخففة والراء صوت الشاء أى وخوار البقر أى صوتها قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال ابن مالك أى وكان توافق معه على أن لا يخالفه فانه قال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود الحجاز

ولا تتناهى واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصى عدد معجزات القرآن بألف ولا ألفين ولا أكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحداهم
بسورة منه فعجزوا عنها واقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسها معجزات كما تقدم
وجاء في حديث قدسي من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع
قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ونور أبصارنا واجعلنا من المنتفعين به العاملين بما فيه التالين له حق تلاوته انك على كل شئ قدير

أي غالبهم اما قتلوا واما خرجوا عن ذل وصغار فقال له لا تخالفنك في أمر تراه فقيل له هذا مالك فقال يا مالك أما انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن اجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به قال أبو ذر أي زجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول الاصل أي صوت بلسانه في فيه ثم قال له راعي وفي لفظ رويعي ضأن والله ماله وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد الاول بفتح الحاء المهملة والثاني بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وبفتحها الحظ لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن قد شرط يعني مالكا أن لا يخالفني فقد خالفني فأنا أرجع الى أهلي فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها رأي أو ذكر قالوا أطعناك أي ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعلوا الابل صفوفا والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا وفي لفظ صفت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم صفت النساء على الابل ثم صفت الغنم ثم صفت النعم ثم قال للناس اذا رأيتموهم فشدوا عليهم شدة رجل واحد وبعث عيونا له أي وهم ثلاثة أنفار أرسلهم لينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وان أطعتنا رجعنا بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن العسكر فلم يرده ذلك ومضى على ما يريده ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم أرسل اليهم رجلا من أصحابه أي وهو عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي وأمره ان يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم أي ومكث فيهم يوما أو يومين وسمع ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر أي وجاءه رجل فقال يا رسول الله اني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر السير الى هوازن وذكر له صلى الله عليه وسلم أن عند صفوان بن أمية ولم يكن اسلم يومئذ بل كان مؤمنا أدرعا وسلاحا فأرسل صلى الله عليه وسلم اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلق به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس وفي رواية الامام أحمد قال صفوان عارية مؤداة فقال صلى الله عليه وسلم العارية مؤداة فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح قيل وسأله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها ففعل وذكر أن بعض تلك الادراع ضاع فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فقال أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب (قال واستعار صلى الله عليه وسلم) من ابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح فقال

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم)

انشقاق القمر اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله فأما القسم الماضي وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم سماه بعضهم ارهاصا وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة وأما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات بسببه ما لا يحصى فكرامات الاولياء من تتمات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول

والكرامات منهم معجزات
حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمى أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذي خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رأت أمه قصور بصرى وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آمنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفي رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة وكذا كل ما كان قبل

بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا فمنه انشقاق القمر وقد نطق القرآن به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروى أحاديثه أهل السنن كالبخاري ومسلم والامام أحمد والبيهقي وبقية أهل السنن رووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم علي وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان

له كأني أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين اهـ أي وتقدم أن نوفلا هذا فدى نفسه وكان في أسرى بدر بألف رمح وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكة أي على ما تقدم قال بعضهم وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير دين يرجون الغنائم ولا يكرهون أي من لم يصدق ايمانه أن الضيعة وفي لفظ أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أي فقد خرج معه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو فلما قربوا من محل العدو صفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا كرم الله وجهه وأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه راية ولواء الخزرج أعطاه الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه ولواء الاوس أعطاه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه وفي سيرة الدمياطي وفي كل بطن من الاوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم وكذلك قبائل العرب فيها الالوية والرايات يحملها رجال منهم وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ومروا بشجرة سدرة كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها بها فقالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فلما كان بحنين وانحدروا في الوادي أي وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك اجعل لك كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد أي وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم أي وعن البراء رضي الله تعالى عنه وسأله رجل فقال فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وأما ما روي عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فمنهزما حال من سلمة لا من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم قط في موطن من المواطن كما تقدم وعن البراء رضي الله عنه كانت هوازن ناسا رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام وأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوي أحد على أحد أي ويقال ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أي من كان اسلامه مدخولا منهم اخذلوه هذا وقته فانهزموا فهم أول من انهزم وتبعهم الناس وعند ذلك قال أبو قتادة رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ما شأن الناس قال أمر الله وهذا السياق يدل على أنهم انهزموا مرتين الاولى في أول الامر والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم والذي في الاصل الاقتصار على الاولى وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ومعه نفر قليل

وغيرهم ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وقد أجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية عن أنس رضي الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين وكان أنس بالمدينة صغيرا فروايته كانت عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا رواية ابن عباس رضي الله عنهما لانه اذ ذاك لم يولد وفي رواية البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل أي فوقه كما في الحديث قبله فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية للامام أحمد عن

جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا
الجبل فقالوا أي الكفار سحرنا محمد فقال رجل منهم أي وهو أبو جهل ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس وفي رواية
عن ابن مسعود رضي الله عنه فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ

سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك رواه أبو داود والطيالسي وفي رواية للبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فسلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه فقال الكفار هذا سحر مستمر وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والنضر ابن الحرث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فانشق وفي رواية فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر

منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن أخيه الحرث وربيعة بن الحرث
ومعتب ابن عمه أبي لهب وفقئت عينه ولم أقف على أيهما كانت أي وورد في عدد من ثبت
معه روايات مختلفة فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل كانوا الثمانية
ولا مخالفة لامكان الجمع وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا رسول الله أنا محمد بن
عبد الله أي عبد الله ورسوله وعن العباس رضي الله عنه كنت آخذا بحكمة بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي وهي الشهباء التي أهداها له فروة بن عمرو الجذامي أي صاحب البلقاء
وعامل ملك الروم على فلسطين يقال لها فضة وقيل التي يقال لها دلدل التي أهداها له المقوقس
وفي البخاري التي أهداها له ملك أيلة قال بعضهم والاول أثبت ويدل للثاني ما أخرجه أبو نعيم
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على
بغلته الشهباء وكان يسميها دلدل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم دلدل البدي فألزقت بطنها
بالارض الحديث وأبو سفيان بن الحرث آخذ بركابه صلى الله عليه وسلم وهو يقول حين رأى
ما رأى من الناس الى أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال صلى الله عليه وسلم يا عباس
اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وفي لفظ
يا عباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا ونصروا أي انما
خص صلى الله عليه وسلم العباس بذلك لانه كان عظيم الصوت كان صوته يسمع من ثمانية
أميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة
ثمانية أميال وغارت الخيل يوما على المدينة فنادى واصباحاه فلم تسمعه حامل الا وضعت من
عظم صوته وفي لفظ آخر نادى يا أصحاب السمرة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة أي وخص
سورة البقرة بالذكر لانها أول سورة نزلت في المدينة فيها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله وفيها أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وفيها ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله
وفي لفظ نادى يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد التعميم لانهم كانوا
صبروا في الحرب فأجابوا لبيك لبيك وفي لفظ يا لبيك يا لبيك أي وفي البخاري لما أدبروا
عنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين التفت عن يمينه فقال يا معشر
الانصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار
قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ويجوز أن يكون هذا بعد نداء العباس وقربهم منه
صلى الله عليه وسلم وصار الرجل يلوي بعيره فلا يقدر على ذلك أي لكثرة الاعراب المنهزمين
فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم
الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم فأشبهت عطفة الانصار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفي لفظ عطفة البقر على أولادها فقال ما هم
أخوف عندي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رماح الكفار حتى اذا انتهى اليه من
الناس مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القوم
وهم يجتلدون أي وكان شعارهم كيوم فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم الآن حمي الوطيس

فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا ورواه البخاري مختصرا عن ابن عباس وهو
رضي الله عنهما بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس رضي الله عنهما وان لم يشاهد القصة كما تقدم
ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء في رواية لعبد الرزاق والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه

رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء والسويداء بالمد والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل
وفي شرح المواهب أن التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل
والاخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين لانه اذا ذهبت

فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره صدق أنه بينهما وأي جبل آخر كان في جهة يمينه أو يساره صدق عليه انها عليه أيضا ووقع في بعض روايات ابن مسعود رضي الله عنه ان انشقاق القمر كان والنبي صلى الله عليه وسلم بمنى وفي روايات أنس أن ذلك كان بمكة ولا تعارض لان مراد أنس رضي الله عنه ان ذلك كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى أنها من جملة مكة بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل أن يصير الى المدينة فظهر أن المراد بذكر مكة في رواية أنس الاشارة الى ان ذلك وقع قبل الهجرة وقيل ان الشق تعدد فمرة كان وهم بمنى ومرة وهم بمكة وقيل ان مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل فيحتمل انهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرة ذكروا حراء ومرة ذكروا أبا قبيس فقد روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما انشق القمر ليلة أربع عشرة نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل وجاء انه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبي صلى الله

وهو جارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم والوطيس في الاصل التنور وهذه من
الكلمات التي لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وهي مثل يضرب لشدة الحرب أي وصار
يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وهذا السياق يدل على أن المائة انتهت اليه صلى الله
عليه وسلم بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بأن الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا المائة
وفي رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحاء المهملة ابن النعمان يا حارثة
كم ترى الناس الذين ثبتوا فحزرتهم مائة فقلت يا رسول الله مائة فلما كان يوم من الايام مررت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد فقال جبريل
عليه السلام يا محمد من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة بن النعمان فقال جبريل
عليه السلام هو أحد المائة الصابرة يوم حنين لو سلم لرددت عليه السلام قال فلما أخبرني بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له ما كنت أظنه الا دحية الكلبي واقفا معك وفي رواية
لما فر الناس يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا أربعة ثلاثة من بني هاشم
ورجل من غيرهم علي بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه وأبو سفيان بن الحرث آخذ بالعنان
وابن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل أحد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم الا قتل
وذكر بعضهم أنه رأى أبا سفيان بن الحرث حينئذ آخذا بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافي
ما تقدم أن الآخذ بذلك العباس رضي الله عنه وأن أبا سفيان بن الحرث كان آخذا بركابه
صلى الله عليه وسلم لجواز أن يكون آخذ بزمامها بعد أخذه بركابه صلى الله عليه وسلم
وعن أبي سفيان بن الحرث قال لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف
مصلتا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر الي فقال له العباس يا رسول الله أخوك وابن
عمك أبو سفيان فارض عنه فقال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت الي وقال يا أخي
فقبلت رجله في الركاب وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو سفيان بن الحرث من شبان
أهل الجنة أو من سيد فتيان أهل الجنة وليس قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب
الى آخره من الشعر لان شرطه كما تقدم في بناء المسجد أن يكون عن قصد وروية بناء على أن
مشطور الرجز ومنهوكه شعر وهو الصحيح خلافا للاخفش حيث رد على الخليل في قوله ان الرجز
شعر بأنه وقع منه صلى الله عليه وسلم في قوله المذكور وقد قال الله تعالى وما علمناه الشعر
وما ينبغي له ورد بأن ما يقع موزونا لا عن قصد لا يقال له شعر ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم
مع زيادة وانما قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لان العرب
كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته كما تقدم
فليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن
العواتك والفواطم وأخذ من هذا أنه لا بأس بالانتساب في موطن الحرب وذكر الخطابي أنه
صلى الله عليه وسلم انما قال أنا ابن عبد المطلب على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم صلى الله عليه
وسلم بذلك رؤيا كان رآها عبد المطلب أيام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفهم بها
وذكرهم اياها وهي احدى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم * ثم نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته
وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولني من الحصباء فخفضت به بغلته حتى كادت بطنها تمس

عليه وسلم احدى الفرقتين وقال اشهدوا ثم أراهم الفرقة الاخرى وقال اشهدوا وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التي فيها أنه أراهم
انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرير الانشقاق وانه وقع مرتين فلا تنافي بين الروايات قال القاضي عياض في الشفاء وحيث
اجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف

على أهل الارض اذهو شئ ظاهر لجميعهم وحاصل الرد عليه انه لم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه فلم يروه انشق بل لو فرض انهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الارض لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض وقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ماهو من مقابليهم من أقطار الارض أو يحول بين قوم وبينه سحاب ولهذا توجد الكسوفات فى بعض البلاد دون بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعض لا يعرفها الا ذو المعرفة ذلك تقدير العزيز العليم وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس فى الليل السكون واغلاق الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيأ الا من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء وكثيرا ما يكون خسوف القمر فى البلاد وأكثر الناس لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وأمور عظام تظهر بالليل فى السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ومع ذلك فقد سألت قريش كثيرا من أهل الآفاق فأخبروهم بأنهم شاهدوا ذلك فقالوا سحر مستمر أى عام وكان المخبرون هم السفار لان المسافرين فى الليل غالبا يكونون فى ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم فان الغالب عليهم أن يكونوا نياما ويكفى ذلك فى ثبوت التواتر ان خفى على كثير من أهل الآفاق وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا فى فتح أبواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك من انكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك وأجيب بأنه لا انكار للعقل فى ذلك فان القمر مخلوق فلله أن يفعل فيه ما يشاء * يحكى ان أبا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية وأخبر ملك الروم بأن هذا

الارض ثم قبض قبضة من تراب قال بعضهم كأن الله أفقه أى أفهم البغلة كلامه صلى الله عليه وسلم أى علمت مراده وفى رواية كما تقدم أنه قال لها يادلدل البدى فلبدت أى انخفضت وفى رواية قال أربضى دلدل فربضت وقيل ناوله العباس ذلك وقيل ناوله على وقيل ابن مسعود رضى الله عنهم فمنه حادت به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه أى وفى رواية قال حم لا ينصرون وفى رواية جمع بينهما فما خلف الله منهم انسانا الا ملأت عينيه وفمه ترابا تلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد فولوا مدبرين ه أى وقال بعضهم ماخيل الينا الا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلبة شاة أن كشفناهم قال فبينما نحن نسوقهم ونحن فى آثارهم انتهى صاحب بغلة بيضاء واذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا من قولهم وركبوا أجسادنا فكانت اياها والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

أى ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصى فأهلك ذلك الجيش العظيم أى شئ عصا موسى عند ذلك الحصى وأى شئ القاء موسى عليه السلام تلك العصا عند القاء ذلك الحصى شتان ما بينهما فلا يقاس هذا بذلك لان هذا أعظم لان انقلاب العصا حية كان مشابها لانقلاب حبالهم وعصيهم حيات ولأن ابتلاعها لحبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شملهم بل زاد مددهم طغيانهم وعتوهم على موسى عليه السلام بخلاف هذا الحصى فانه أهلك العدو وشتت شملهم أى وذلك أنه عند القتال أنزل الله تعالى قوله و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ الى قوله غفور رحيم فقد جاء أن بعض أصحابه أى وهو أبو بكر رضى الله عنه كما فى سيرة الحافظ الدمياطى قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءته تلك الكلمة وقيل بل قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المسلمين وقيل قال ذلك فتى من الانصار أى وهو سلمة بن الاكوع أو سلمة بن وقش أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه وقال اللهم أنشدك ما وعدتنى اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا أى وأخرج البيهقى فى الاسماء والصفات عن الضحاك قال دعا موسى عليه الصلاة والسلام حين توجه الى فرعون لعنه الله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كنت وتكون وأنت حى لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ياحى ياقيوم وكان أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فاتبعه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورجل من الانصار يريدانه فأتى على من خلفه وضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين

عند

أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته ليناظره فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين انكروها وهم فى جواركم فأفحم ولم يحر جوابا (تنبيه) مايذكره بعض القصاص ان القمر دخل فى جيب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل وسئل النووى عن رجلين تنازعا فى انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما انشق فرقتين دخلت احداهما فى كمه وخرجت من الكم الآخر وقال الآخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل فى كمه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشق وهو فى موضعه من السماء وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه هكذا أثبت فى الصحيحين من رواية ابن مسعود رضى الله عنه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم رد الشمس له روت أسماء بنت عميس الخثعمية رضى الله عنها وهى زوج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ثم تزوجها أبو بكر رضى الله عنه بعد استشهاد جعفر رضى الله عنه ثم تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على بن أبى طالب رضى الله عنه فلم يصل على رضى الله عنه العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت ياعلى قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء بنت عميس رضى الله عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء فى خيبر رواه الامام أبو جعفر الطحاوى وقال ان أحمد بن صالح المصرى كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار أئمة الحديث الثقات وحسبه ان البخارى روى عنه فى صحيحه ولا عبرة باخراج

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما فى نفوسهم من الضغن ومنهم أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه قيل وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام فى كنانته فقال لا تنتهى هزيمتهم يعنى المسلمين دون البحر أى وقال والله غلبت هوازن فقال له صفوان بفيك الكثيب أى الحجارة والتراب وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم من مكة وأظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها أى وقال آخر أى وهو أخو صفوان لامه الا قد بطل السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك أى أسقط أسنانك والله لان يربنى من الربوبية أى على كنى و يدبر أمرى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن وفى رواية مر رجل من قريش على صفوان بن أمية فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان رضى الله عنه وقال أتبشرنى بظهور الاعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه وكونهم لا يجبرونها أبدا هذا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ ان أديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا فقال له سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شئ وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لا يضر ولا ينفع وعن شيبة الحجبى رضى الله عنه أى حاجب البيت و يقال لبنيه بنو شيبة وهم حجبة البيت كما تقدم انه كان يحدث عن سبب اسلامه قال ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وسار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها أى وفى لفظ اليوم أدرك ثأرى من محمد أى لان أباه وعمه قتلا يوم أحد قتلهما حمزة رضى الله عنه كما تقدم وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته لا يزداد ذلك الامر عندى الا شدة فلما اختلط الناس ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد الذى أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه وفى رواية لما هممت به حال بينى و بينه خندق من نار وسور من حديد فنادانى صلى الله عليه وسلم ياشيبة ادن منى فدنوت منه فالتفت الى وتبسم وعرف الذى أريد منه فمسح صدرى ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو كان الساعة اذا أحب الى من سمعى و بصرى ونفسى وأذهب الله ما كان فى ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى الله أعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى كل شئ ولو كان أبى حيا ولقيته تلك الساعة لأوقعت به السيف فجعلت الزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كرة واحدة وقربت اليه صلى الله عليه وسلم بغلته فاستوى عليها قائما وخرج فى أثرهم حتى تفرقوا فى كل وجه أى لا يلوى أحد منهم على أحد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى قتلوا الذرية فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وفى رواية من أقام بينة على قتيل

ابن الجوزى لهذا الحديث فى الموضوعات فقد اطبق العلماء على تساهله فى كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطى   ومن غريب ماتراه فاعلم * فيه حديث من صحيح مسلم   قال فى المواهب فى حديث رد الشمس قد صححه الطحاوى والقاضى عياض قال الزرقانى ١٢٦ وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس

قتله فله سلبه وفى الاصل فى غزوة بدر ان المشهور ان قول النبى صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه انما كان يوم حنين وأما ماروى أنه قال ذلك يوم بدر و يوم أحد فأكثر ما يوجد فى رواية من لا يحتج به ومن ثم قال الامام مالك رضى الله عنه لم يبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين وتعقب ما فى الاصل بأنه وقع ذلك فى غزوة موتة كما فى مسلم وهى قبل الفتح وفى كلام بعضهم كون السلب للقاتل أمر مقرر من أول الامر وانما تجدد يوم حنين الاعلام العام والمناداة لا شرعيته وحدث أنس رضى الله عنه ان أبا طلحة رضى الله عنه استلب وحده عشرين رجلا أى قتلهم وأخذ أسلابهم وقال أبو قتادة رضى الله عنه رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان واذا رجل من المشركين يريد اعانة المشرك على المسلم فأتيته وضربت يده فقطعتها فاعتنقنى بيده الاخرى فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الموت ولولا ان الدم نزفه لقتلنى فسقط وضربته فقتلته وأجهضنى عنه القتال فلما وضعت الحرب أوزارها قلت يارسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب وأجهضنى عنه القتال فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يارسول الله فأرضه عنى من سلبه فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لا يرضيه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله وفى لفظ قال أبو بكر رضى الله عنه أى للنبى صلى الله عليه وسلم كلا لا تعطيه أضيبع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والاضيبع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فاردده عليه سلبه قال أبو قتادة رضى الله عنه فأخذته منه فاشتريت بثمنه أى السلب الذى جمعته بستانا وأدرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد قال أقتلك قال ومن أنت قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخرة الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر بقتله أمه قالت له أما والله لقد أعتق اثنين ثلاثا أمهاتك له ألا تكرمت عن قتله لما أخبرك عنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله أى وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضى الله عنه وقيل عبد الله بن قبيع وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة رضى الله عنه وهى حازمة وسطها ببرد لها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله فقال لها زوجها أبو طلحة ماهذا الخنجر معك يا أم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرمصاء فأعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أى وكان يقال لها الغميصاء والرميصاء وهى التى يخرج القذى من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل لها الرميصاء لرمص كان فى عينها وهى ولدها أنس بن مالك رضى الله عنه قالت قد مات أبى مالك عنها مشركا ثم خطبها عمى أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم فقالت له انى أتزوجك ولا آخذ منك صداقا غيره فتزوجها قال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة

رضى الله عنها باسناد حسن ورواه ابن مردويه من حديث أبى هريرة باسناد حسن أيضا ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضى القضاة ولى الدين العراقى فى شرح التقريب عن اسماء ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا رضى الله عنه فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر على رضى الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله اصليت قال لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس كى يصلى قالت اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام على فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء ورواه الطبرانى أيضا عن اسماء رضى الله عنها بلفظ آخر قالت اشتغل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا على أصليت العصر قال لا يارسول الله فتوضأ صلى الله عليه وسلم وجلس فى المجلس فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب وفى لفظ آخر عند الطبرانى أيضا فى الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحى يغشى عليه فأنزل عليه يوما وهو فى حجر على رضى الله عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لما سرى عنه صليت العصر قال لا يارسول الله فدعا الله بكلمتين

أو ثلاث فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت اسماء فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حتى صلى العصر على رضى الله عنه ومن القواعد ان تعدد الطرق يفيد أن للحديث أصلا قال الزرقانى فى شرح المواهب ومن لطائف الاتفاقات الحسنة ان أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل على رضى الله عنه ورد الشمس له والسماء ١٢٧ مغيمة غيما مطبقا فظنوا أنها غربت وهموا

الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا فقالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك وعنه رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل على أحد من النساء الا أزواجه والا أم سليم فانه كان يدخل عليها فقيل له فى ذلك فقال انى أرحمها قتل أخوها معى ولعل المراد أنه كان يكثر الدخول عليها كأزواجه ولا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على غيرها من نساء الانصار لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الاختلاء بالاجنبية فكان يدخل على أخت أم سليم وهى أم حرام بالراء رضى الله عنها وتفلى له رأسه الشريف و ينام عندها و يدخل على الربيع ثم رأيته فى الامتاع أشار الى ذلك وفى مزيل الخفاء أن أم سليم وأختها خالتا النبى صلى الله عليه وسلم من جهة الرضاع وعليه فلا دلالة فى دخوله صلى الله عليه وسلم عليهما والخلوة بهما على جواز الخلوة بالاجنبية وعن أنس رضى الله عنه قال مات ابن لابى طلحة من أم سليم أى وهو أبو عمير الذى كان صلى الله عليه وسلم يداعبه و يقول أبا عمير مافعل النغير ذكره السيوطى فى كتابه تبريد الاكباد وفى كلام بعضهم مايفيد أنه غيره فقالت لاهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقال مافعل ابنى قالت هو أسكن ما كان فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا قال لا قالت فاحتسب ابنك فغضب ثم انطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما فى غابر ليلتكما قال فحملت بعبد الله المذكور قالت ولما ولدته حملته وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك تمر فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن صلى الله عليه وسلم فى فيه الشريف فلاكهن ثم فغرفا الصبى فمجه فيه فجعل الصبى يتلمظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الانصار التمر وسماه عبد الله أى وجاء لعبد الله هذا الذى جاء من جماع تلك الليلة تسعة أولاد كلهم قد قرؤا القرآن ولما أخبر أبو طلحة النبى صلى الله عليه وسلم بما تقدم عن أم سليم قال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل صابرة بنى اسرائيل فقيل يارسول الله ما كان من خبرها قال كان فى بنى اسرائيل امرأة وكان لها زوج وكان له منها غلامان وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعو عليه الناس ففعل واجتمع الناس فى داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا فى بئر كانت فى الدار فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين ابناى قالت هما فى البيت وانها كانت تمسحت بشئ من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال أين ابناى قالت هما فى البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثوابا لصبرى * ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم أبا عامر الاشعرى رضى الله عنه وسيأتى فى السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معسكره قال شيبة فدخل خباءه فدخلت عليه مادخل عليه غيرى حبا لرؤيته وجهه وسرورا به فقال ياشيبة الذى أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرته فى نفسى مما لم أذكره لاحد قط فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله

بالانصراف فأصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فأشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربى ياشمس حتى ينتهى
مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك ان أردت ثناءهم
أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن
هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبرانى فى معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن لا تغرب حتى تقدم عير قريش التى رآها ليلة الاسراء وأخبرهم انها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجىء فتأخرت ساعة من نهار الى أن قدمت وروى يونس بن أبى بكر عن ابن اسحق امام المغازى قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجىء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار أى قارب ذلك اليوم أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجئ العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة حبست عليه الشمس أى أمسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون عليه السلام فهو محمول على ان المعنى لم تحبس على أحد من الانبياء غيرى الا ليوشع وقال الحافظ ابن حجر الحصر محمول على الماضى للانبياء قبل نبينا وليس فيه انها لا تحبس بعد الماضى وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث على رضى الله عنه لانه فى قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب وفى قصة على كان حبسها بعد الغروب وقوله الا ليوشع بن نون يعنى حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهرون

عليهما السلام وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو القائم بالرسالة بعده فدعا الله تعالى أن يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر وقاتلهم يوم الجمعة فلما قاربت الشمس الغروب خاف ان تغيب قبل أن يفرغ منهم و يدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فردعليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم ١٢٨ قيل كان علم النجم صحيحا قبل ذلك فلما وقفت الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردت لعلى رضى الله عنه بطل جميعه

﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم كلام الشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة وأحاديث كلام الشجر له كثيرة شهيرة رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأسامة بن زيد وأنس بن مالك ويعلى بن مرة وغيرهم ورواها عنهم أضعافهم من التابعين قال القاضى عياض فى الشفاء فصارت فى انتشارها من القوة حيث هى قال الشهاب الخفاجى يعنى أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوى وصارت فى مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء روى البيهقى والبزار والدارمى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أين تريد يا اعرابى قال أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه السمرة وهى بشاطئ الوادى فأقبلت تخد الارض أى تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا أى طلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت له بأنه رسول الله حقا ثم رجعت الى مكانها ورجع الاعرابى الى قومه وقال يارسول الله ان يتبعونى آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال سأل اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية أى علامة تدل على أنه رسول الله فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله مكة

ثم قلت استغفر لى فقال غفر الله لك أى وقالت له صلى الله عليه وسلم أم سليم رضى الله عنها بابى أنت وأمى يارسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن وعن عائذ بن عمرو قال أصابتنى رمية يوم حنين فى جبهتى فسال الدم على وجهى وصدرى فسلت النبى صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهى وصدرى الى ترقوتى ثم دعانى فصار أثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سائلة كغرة الفرس وجرح خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فتفل النبى صلى الله عليه وسلم فى جرحه فلم يضره أى فعن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار و رجع المسلمون الى رحالهم يمشى فى المسلمين و يقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله لانه قد أثقل بالجراحة فتفل النبى صلى الله عليه وسلم فى جرحه فبرئ وعن جبير ابن مطعم رضى الله تعالى عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيأ أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا و بين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وفى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله أن سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين اكتافهم أى فعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليها عمائم حمر قد أرخوها بين اكتافهم بين السماء والارض وكتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم ولما وقعت الهزيمة أسلم ناس من كفار مكة وغيرهم لما رأوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن شيبة الحجبى قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما خرجت اسلاما ولكن خرجت اتقاء أن تظهر هوازن على قريش فوالله انى لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى لارى خيلا بلقا قال ياشيبة أنه لا يراها الا كافر فضرب بيده صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب الى منه ويحتاج الى الجمع بينه و بين ما تقدم على تقدير صحتهما وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبى والغنائم أن تجمع فجمع ذلك كله وأحدره الى الجعرانة أى بسكون العين وتخفيف الراء وكثير من أهل الحديث يشددها وسمى المحل باسم امرأة كانت تلقب بذلك قيل وهى التى نقضت غزلها من بعد قوة فكان بها الى ان انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من غزوة الطائف وفى هذه الغزوة سمى طلحة بن عبيد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر

﴿غزوة الطائف﴾

ولما علم صلى الله عليه وسلم ان مالك بن عوف وجماعة من أشراف قومه لحقوا بالطائف عند انهزامهم أى والطائف بلد كبير كثير الاعناب والنخيل والفاكهة قيل سمى بذلك لان جبريل عليه السلام طاف بها حين نقلها من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أى ان الله يرزقهم أى أهل مكة من الثمرات أى وقيل انهم بنوا حولها حائطا وطافوا به تحصينا لهم وقيل هى جنة أصحاب الصريم كانوا نواحى صنعاء نقلها جبريل عليه السلام فسار بها الى

يدعوك فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابى ائذن لى أسجد لك أى بعد ان آمن به ١٢٩ كما صرح به فى رواية فقال له صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا ان يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها فقال الاعرابى فأذن لى اقبل يديك ورجليك فاذن له وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال آذنت أى أعلمت النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وان الجن قالوا له من يشهد لك أى بأنك رسول الله فقال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وتقدم فى مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب قريش للمستضعفين قصة ركانة رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيها انه صلى الله عليه وسلم لما طلب منه أن يسلم قال لا الا أن ترينى آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم و يدى ركانة فقال أريتنى أمرا عظيما فرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فابى و بقى على كفره حتى كان عام الفتح فاسلم رضى الله عنه وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين وروى البيهقى عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه

فى أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فأوحى الله اليه ان ائت وادى كذا من أودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ماشاء الله أى جعله مدة قائما عنده ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال علمت ان لا مخافة على وروا بنحو هذا البزار وأبو يعلى والبيهقى عن عمر بن

مكة وطاف بها حول البيت ثم أنزلها فى ذلك المكان أى و يقال له وج سمى ذلك باسم شخص من العماليق أول من نزل به وأن أولئك القوم تحصنوا فى حصن به وأدخلوا فيه ما يصلحهم سنة خرج صلى الله عليه وسلم من حنين وتوجه اليهم وترك السبى بالجعرانة أى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسبى والغنائم الى الجعرانة مع بديل بن ورقاء الخزاعى وفى كلام السهيلى وكان سبى حنين ستة آلاف رأس قد ولى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب أمرهم وجعله أمينا عليهم هذا كلامه أى ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف لان أبا سفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطائف كما سيأتى فلا معارضة أى ومر صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أى ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما أن نخرب عليك حائطك فابى أن يخرج فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ومر صلى الله عليه وسلم بقبر فقال هذا قبر أبى رغال وهو أبو ثقيف أى وكان من ثمود قوم صالح أى وقد أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ثم دفن فيه أى بعد ان كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة فلما خرج من الحرم الى المكان المذكور أصابته النقمة فعن بعض الصحابة حين خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قبر أبى رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وفى العرائس عن مجاهد قيل له هل بقى من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقى أربعين يوما وكان بالحرم فجاءه حجر ليصيبه فى الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل فى حرم الله تعالى فرجع فوقف خارجا من الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته وخرج من الحرم الى هذا المحل أصابه الحجر فقتله فدفن فيه وأبو رغال هذا هو الذى كان دليلا لابرهة ليوصله الى مكة لما مر أبرهة بالطائف وتلقاه أهله وأظهروا له الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فأرسلوا أبا رغال معه دليلا كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم آية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ان أنتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فنبشوه واستخرجوا منه الغصن وقدم صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه على مقدمته أى وهى خيل بنى سليم مائة فرس قدمها من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل كذلك حتى وصل فلما وصل نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات أى وممن أصيب أبو سفيان بن حرب أصيبت عينه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال يارسول الله هذه عينى أصيبت فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عينك وان شئت فالجنة وفى لفظ فعين فى الجنة قال فالجنة ورمى بها من يده أى وقلعت عينه الثانية فى القتال يوم اليرموك عند مقاتلة الروم فان أبا سفيان رضى الله تعالى عنه كان فى ذلك اليوم يحرض المسلمين على قتال الروم والثبات لهم و يقول لهم الله الله عباد الله انصروا الله ينصركم اللهم هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك وذلك فى آخر خلافة الصديق

الخطاب رضى الله عنه وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم قال أرى آية لا أبالى من كذبنى فذكر نحوه وروى البخارى فى تاريخه والبيهقى
والدارمى والترمذى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف انك رسول
الله فقال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بى قال نعم فدعاه فجعل ينقز أى يثب حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى

مكانه فأسلم الاعرابى وفى رواية فجعل ينزل من النخلة شيئاً فشيئاً حتى سقط على الارض فاقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابى وقال أشهد انك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ وروى الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب ان أريك آية أى تزيل حزنك قال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادى أى الذى كان فيه مع جبريل فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال صلى الله عليه وسلم حسبى حسبى وفى رواية لا أبالى من كذبنى من قومى بعد هذا أى لان الجماد اذا أطاع دعوته دل ذلك على ان الناس تطيعه لكن تأخير ذلك لحكم خفية وروى الدارمى من حديث أنس والبيهقى من حديث عمر رضى الله عنهما وروى الامام أحمد والطبرانى

والبيهقى عن يعلى بن مرة الثقفى رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير فذكر الحديث الى أن قال
ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته وفى رواية طافت به ثم رجعت الى مكانها
فلما استيقظ صلى الله عليه وسلم ذكرت له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها فى أن تسلم على فاذن لها وروى مسلم فى صحيحه عن جابر

فان الصديق رضى الله تعالى عنه توفى وهم فى الاستعداد للقتال باليرموك وكان الامير على العسكر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولما ولى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أرسل البريد بعزل خالد وولاية أبى عبيدة بن الجراح على العسكر فجاء البريد وقد التحم القتال بين المسلمين والروم وأخذته خيول المسلمين وسألوه عن الخبر فلم يخبرهم الا بخير وسلامة وأخبرهم عن امداد يجىء اليهم وأخفى موت أبى بكر رضى الله تعالى عنه وتأمير أبى عبيدة فأتوا به الى خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه فأسر اليه موت أبى بكر وولاية عمر رضى الله تعالى عنهما وأخبره بما أخبر به الجند فاستحسن ذلك منه وأخذ الكتاب فجعله فى كنانته وخاف ان هو أظهر ذلك يتخاذل العسكر ثم لما انهزم الروم وجمعوا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة آلاف دفع خالد رضى الله تعالى عنه الكتاب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فتولى أبو عبيدة ثم بعث أبو عبيدة أبا جندل رضى الله تعالى عنه بشيرا الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه بالفتح على المسلمين ولما عزل سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة خطب الناس وقال انى أعتذر اليكم من خالد بن الوليد انى نزعته وأثبت أبا عبيدة بن الجراح فقام اليه عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد بن الوليد دون ابن عم أم سيدنا عمر فقال والله ما عدلت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قطعت الرحم وحقدت ابن العم فقال عمر رضى الله تعالى عنه انك قريب القرابة حديث السن غضبت لابن عمك ومات ممن جرح بالطائف اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف الآن وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب رضى الله تعالى عنهما فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين الصلاة مقصورة مدة حصار الطائف وكانت ثمانية عشر يوما أى غير يومى الدخول والخروج وهذا هو المراد بقول فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة وقيل فى مدة حصاره غير ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة أم سلمة وعندها أخوها عبد الله ومخنث واذا المخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل هذا عليكن وأراد المخنث بالاربع التى تقبل بهن عكنها الاربع التى فى بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهى الثمانية التى تدبر بهن أى وفى الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ يقال له ماتع وكان يدخل بيوته صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان يرى انه لا يفطن لشىء من أمر النساء ولا اربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد بن الوليد ويقال لعبد الله أخى أم سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف غدا فعليك بادية أى رضى الله تعالى عنها فانها ان أسلمت وبادية بالياء المثناة تحت لا بالنون بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان اذا قامت تثنت واذا جلست تبنت واذا تكلمت تغنت بين رجليها مثل الاناء المكفوء ثم نفركأنه الاقحوان فقال صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد أمعنت النظر ما كنت أظن هذا الخبيث

يعرف

ابن عبد الله رضى الله عنهما قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة حتى نزلنا واديا أفيح أى واسعا فذهب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى معى باذن الله تعالى فانقادت معه

كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده والمخشوش الذى وضع له الخشاش وهو عود يجعل فى أنف البعير لينقاد بسهولة ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا والمنصف بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة آخره فاء الموضع الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع وفى رواية انه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فرجعت احضر أى أعدو وأجرى وجلست أحدث نفسى بهذا الامر الغريب العجيب فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة واختصره بعضهم وروى البيهقى وأبو يعلى عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه هل تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى تقصده وتعنيه فقلت ان الوادى ما فيه موضع خال عن الناس فقال هل

ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك
فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما فقضى حاجته ثم قال
لى قل لهن يفترقن والذى نفسى بيده لرأيتهن يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى الامام أحمد والبيهقى والطبرانى بسند صحيح

يعرف شيأ من أمر النساء وفى الاغانى ان هيتا بكسر الهاء وقيل بفتحها واسكان التحتية بعدها مثناة والهيت الاحمق المخنث قال لعبد الله بن أمية ان فتح الله عليكم الطائف فاسأل النبى صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان فانها رداح شموع نجلاء ان تكلمت تغنت يعنى من الغنة واذا قامت تثنت موردة الخدين مخطة المانتين لفعاء الفخذين مسرولة الساقين كأنها قضيب بان وفى لفظ كأنها خوط بانة قصفت تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين فخذيها شىء مخبوء كأنه الاناء المكفوء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال لقد غلغلت النظر يا عدو الله ثم نفاه من المدينة الى الحمى وقال لا يدخل على أحد من نسائكم فقيل له صلى الله عليه وسلم انه يموت جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس وقيل نفى صلى الله عليه وسلم كلا من ماتع وهيت الى الحمى فشكيا الحاجة فأذن لهما ان ينزلا كل جمعة يسألان الناس ثم يرجعان الى مكانهما فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلا المدينة فاخرجهما أبو بكر رضى الله تعالى عنه فلما توفى دخلا المدينة فاخرجهما عمر رضى الله تعالى عنه فلما مات دخلا وغيلان أبو بادية هو الذى أسلم وعنده عشر نسوة فامره صلى الله عليه وسلم ان يمسك أربعا ويفارق سائرهن واختلف الفقهاء فى ذلك فقال فقهاء الحجاز يختار أربعا وقال فقهاء العراق يمسك التى تزوج أولا ثم الذى تليها الى الرابعة واحتج فقهاء الحجاز بترك الاستفصال وغيلان هذا لما وفد على كسرى قال له أى ولدك أحب اليك فقال الغائب حتى يقدم والمريض حتى يعافى والصغير حتى يكبر وكان المخنثون فى زمانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة هيت وماتع وهذم وقيل لهم ذلك لانه كان فى كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا انهم يأتون الفاحشة الكبرى ويحتمل أن يكون كل من ماتع وهيت كان معه صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة وقد سمع منهما ما تقدم عنهما ويدل لهذا الاحتمال أنه نفاهما وفى البخارى أن القائل لعبد الله ما تقدم هو هيت ويحتمل أن الذى كان معه صلى الله عليه وسلم أحدهما وتكرر منه ذكر ما تقدم وتسميته باسم الآخر غلط من بعض الرواة فليتأمل وقال أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ونادى من يبارز فلم يطلع اليه أحد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا اهـ ونصب عليهم المنجنيق أى ورمى به كما فى كلام غير واحد من أئمتنا وهو أول منجنيق رمى به فى الاسلام أى أرشده اليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال انا كنا بارض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا أى ويقال ان سلمان رضى الله تعالى عنه هو الذى عمله بيده وفيه أنه تقدم فى خيبر انه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه آلة حرب ودبابات ومنجنيقات الا أن يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذى بالطائف لانه يجوز أن يكون الذى وجدوه فى خيبر لم يكن معهم فى الطائف وتقدم فى خيبر انه صلى الله عليه وسلم لما حاصر الوطيح وسلالم أربعة عشر يوما ولم يخرج أحد منهما هم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم المنجنيق وتقدم عن الامتاع انه صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على حصن البراء وقد قدمنا ان ذلك لا يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا فى

عن يعلى بن سيابة رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وقال فى رواية فأمر وديتين أى نخلتين صغيرتين فانضمتا وعن غيلان بن سلمة الثقفى رضى الله عنه مثله فى شجرتين وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى غزوة حنين ولله در البوصيرى حيث يقول جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت

فروعها من بديع الخط فى اللقم

أى الطريق * (ومن معجزاته) * صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له روى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لاعرفه الآن قال بعضهم هو الحجر الاسود وقال آخرون هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذى كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به ذكر ذلك فى المواهب ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الامام أبو حفص الميانشى قال أخبرنى كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبنى فى الجدار المقابل لدار أبى بكر رضى الله عنه المشهورة هو الذى كلم النبى صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والدارمى والحاكم وصححه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال العلماء وانما كان هذا فى بدء نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى أبو نعيم عن بريرة رضى الله عنها قالت لما أراد الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم كان يمضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر

غزوة الطائف لانه يجوز أن يكون مراده هذا البعض لم يرم به الا فى غزوة الطائف أى كما أشرنا اليه وأول من صنع المنجنيق ابليس فان غروذ اللعين ما الله لما أراد أن يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار بنى الى جنب الجبل جدارا طوله ستون ذراعا ولما ألقوا الحطب وجعلوا فيه النار ووصلت النار الى رأس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم ابليس لعنه الله فى صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه فى تلك النار وأول من رمى به فى الجاهلية جذيمة الابرش وهو أول من أوقد الشمع ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة وزحفوا بها الى جدار الحصن ليحرقوه وفى الامتاع دخلوا تحت دبابتين وكانا من جلود البقر فأرسلت اليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجال أى والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم تاء التأنيث وهى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم أى ونخيلهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أدعها لله وللرحم ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر أى وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة أى وكان عبد الحرث بن كلدة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة قال واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن فى ان يأتى ثقيفا فى حصنهم ايدعوهم الى الاسلام فاذن له فى ذلك فاتاهم فدخل فى حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد أى زاد بعضهم ولا تعطوا بايديكم ولا تتأثروا أى لا يشق عليكم قطع هذا الشجر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ماقلت لهم ياعيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يارسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك اه ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف أى فان خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت له يارسول الله ما يمنعك ان تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا الآن فيهم وما أظن ان نفتحها الآن وقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك فقال لم يؤذن لنا فى قتالهم فقال رضى الله تعالى عنه كيف نقبل فى قوم لم يأذن الله فيهم وفى لفظ ان خولة قالت يارسول الله اعطنى ان فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان أو حلى الفارعة بنت عقيل وكانتا من أحلى نساء ثقيف فقال لها صلى الله عليه وسلم وان كان لم يؤذن لنا فى ثقيف ياخولة فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماحديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلت لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يارسول الله قال لا قال أوأذن بالرحيل قال بلى واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس أى وهو نوفل ابن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له يارسول الله ثعلب فى حجران أقمت أخذته وان

تركته

الا قال السلام عليك يارسول الله وكان يرد عليهم وعليكم السلام قال بعضهم فهذا أمر يقر به الحجر فكيف ينكره البشر رواه البزار وأبو نعيم وروى البيهقى عن جابر رضى الله عنه قال لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم أى فى ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر الا سجد له (ومن ذلك) تأمين أسكفة الباب أى عتبته وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم روى البيهقى وابن ماجه عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يا أبا الفضل لا ترم بكسر الراء أى لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى آتيك فان لى فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير بحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه اى اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمى وصنو أبى أى مثله وهؤلاء أهل بيتى أى من أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين وبنو العباس هؤلاء هم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد وأختهم أم حبيبة رضى الله عنهم وفيهم يقول عبد الله الهلالى

ماولدت نجيبة من فحل

بجبل نعلمه أو سهل

كسبعة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل

عم النبى المصطفى ذى الفضل

وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الامام أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضى الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وروى مسلم مثل هذا عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حراء وزاد وقال ومعه على وطلحة والزبير وفى رواية وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم وقال فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد وأو للتقسيم

تركته لم يضرك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاذن فى الناس بالرحيل فضج الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فاصابت الناس جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أى تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا أن رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا واستقبلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ولعل صاحب الهمزية رحمه الله يشير الى ذلك بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

أى آذاه صلى الله عليه وسلم قومه من قريش وغيرهم فأرخى جفنه حياء وصاحب عدم الانتقام شأنه ارخاء الجفن وسع علمه علوم العالمين من الانس والجن والملك ووسع حلمه كل من صدر منه نقص فهو بسبب ذلك بحر واسع لم تتعبه الاحمال الثقيلة ومن جملة من جرح سيدنا عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما رماه بسهم أبو محجن وطاوله ذلك الجرح الى أن مات به فى خلافة أبيه ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان يحبها حبا شديدا امر عليه أبوه يوم جمعة وهو يلاعبها وقد صلى الناس فقال عبد الله أوجمع الناس فسمعه أبوه فقال أشغلتك عن الصلاة لاجرم لا تبرحن حتى تطلقها فطلقها ثم تعب عبد الله بسبب طلاقها فاطلع عليه أبوه يوما فسمعه يقول أبياتا من جملتها

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير جرم تطلق

فقال له ياعبد الله راجع عاتكة فقال لابيه قف بمكانك وكان معه غلام مملوك له فقال للغلام أنت حر لوجه الله اشهد أنى قد راجعت عاتكة فلما مات رضى الله تعالى عنه رثته بقولها فى أبيات

آليت لا تنفك عينى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما أعرس بها قال له على كرم الله وجهه أتأذن لى أن أكلم عاتكة فقال لاغيرة عليك كلمها فقال لها على كرم الله وجهه أنت القائلة البيت آليت لا تنفك عينى قريرة * عليك ولا ينفك جلدى أصفرا

قالت لم أقل هكذا وبكت وعادت الى حزنها فقال له عمر رضى الله تعالى عنه يا أبا الحسن ما أردت الا افسادها على فلما قتل عمر رضى الله تعالى عنه رثته بابيات منها

من لنفس عادها أحزانها * ولعين شفها طول السهد

جسد لفف فى اكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

ثم تزوجها الزبير رضى الله تعالى عنه فلما قتل رثته بأبيات منها تخاطب قاتله

ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

(وروى مسلم) أيضا والترمذى والنسائى فى حراء أيضا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه وزاد فيهم عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وفى رواية أنه وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا هو تحركه طربا بصعودهم عليه أو خوفا وهيبة واجلالا وليست رجفة غضب كرجفته ببنى اسرائيل لما حرفوا الكلم وروى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وروى البخارى ومسلم والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم وفى رواية لابن مسعود رضى الله عنه فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ولا تنافى بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بأنه يشير اليها من غير مس ليوافق ما قبله أو أنها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بمس لطيف لا يقتضى سقوطها عادة فعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والبيهقى فى حديث بحيرا الراهب وهو بفتح الباء مقصورا فى ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه أبى طالب فى تجارة وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج لتلك المرة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش من أين عرفت هذا فقال لانه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبى ولانه أقبل وعليه غمامة تظلله فلما دنا من القوم

ثم خطبها سيدنا على كرم الله وجهه فقالت له لم يبق للاسلام غيرك وأنا أنفس لك عن القتل ومن ثم قيل فى حقها من أراد الشهادة فعليه بعاتكة وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم من ذلك أى وبينا هو يسير ليلا بواد بقرب الطائف اذ غشى سدرة فى سواد الليل وهو فى وسن النوم فانفرجت السدرة له نصفين فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نصفيها وبقيت منفرجة على حالها أى وعند انحداره صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة لقيه سراقة وهو واضع الكتاب الذى كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادى أنا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فأدنوه منه وساق اليه الصدقة وسأله عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك من أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فى كل ذات كبد حراء أجر وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة أحصى السبى فكان ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألفا وأربعة آلاف وقية فضة فاعطى صلى الله عليه وسلم للمؤلفة أى من أسلم من أهل مكة فكان أولهم أبا سفيان بن حرب رضى الله عنه أعطاه أربعين أوقية ومائة من الابل وقال ابنى يزيد ويقال له يزيد الخير فأعطاه كذلك وقال ابنى معاوية فأعطاه كذلك فأخذ أبو سفيان رضى الله عنه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله لانت كريم فى الحرب وفى السلم أى وفى لفظ لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وقد سالمتك فنعم المسالم أنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وأعطى حكيم بن حزام رضى الله عنه مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه اياها أى وفى الامتاع وسأله حكيم بن حزام مائة من الابل فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه وقال له يا حكيم هذا المال خضر حلو من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها أى وقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق نبيا لا أرزأ أحدا بعدك شيأ حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيأ ثم ان عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال عمر يا معشر المسلمين انى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له من هذا الفىء فيأبى أن يأخذه وأعطى صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة مثله وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الابل فقال فى ذلك شعرا أى يعاتبه صلى الله عليه وسلم به حيث فضل الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن عليه وهو

أتجعل نهبى ونهب العبيد * يعنى فرسه بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فأعطاه صلى الله عليه وسلم تمام المائة أى وفى رواية أنه قال اقطعوا عنى لسانه وفى الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى وأعطه مائة من الابل هذا كلامه وحينئذ يتوقف فى قولهم فظن ناس أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يمثل به وفزع هو أيضا لذلك فأتى به الى

الغنائم

وقد سبقوه الى فىء الشجرة جلس صلى الله عليه وسلم فمال الفىء اليه (ومما يلحق) بذلك تأثير قدميه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة والانة الصخر له قال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء وهذا مما شاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر وقال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب

وموطئ ابراهيم فى الصخر وطئه
على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه فى الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة الى الآن وما ذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم السارى فى البغلة ليكون أوضح فى الدلالة على انه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه وفى شرح المواهب للعلامة الزرقانى ان أثر قدمه صلى الله عليه وسلم وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس وذكر السيوطى فى الخصائص ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه ما وطئ على صخر الا وأثر فيه قال بعضهم كان ذلك قبل البعثة وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة متحققة عند الائمة الجهابذة من أهل الحديث

الغنائم وقيل له خذ منها ما شئت فقال انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع لسانى بالعطاء فكره أن يأخذ منها شيأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة وفى رواية فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وروى بدل فما كان حصن ولا حابس فما كان بدر ولا حابس وهو صحيح أيضا لان بدرا جد حصن أبو أبيه فانتسب تارة الى أبيه حصن وتارة الى جد أبيه بدر فان عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر وروى بدل مرداس شيخى بالافراد يعنى والده ويروى بالتثنية يعنى والده وجده وفى كلام بعضهم كانت المؤلفة ثلاثة أصناف صنف يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا كصفوان بن أمية وصنف ليثبت اسلامهم كأبى سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والاقرع بن حابس لكن فى رواية قيل يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل ابن سراقة فقال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والاقرع ولكنى تألفتهما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه وتقدم أن جعيلا هذا كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وهو الذى تصور الشيطان بصورته يوم أحد وقال ان محمدا قد مات وجاء انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا نكلهم الى ايمانهم منهم فرات بن حيان وأعطى صفوان بن أمية ما تقدم ذكره وهو جميع ما فى الشعب من غنم وابل وبقر وكان مملوأ وكان ذلك سببا لاسلامه كما تقدم (أقول) فى كلام ابن الجوزى رحمه الله اعلم أن من المؤلفة قلوبهم أقواما تألفوا فى بدء الاسلام ثم تمكن الاسلام فى قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفة وانما ذكرهم العلماء فى المؤلفة اعتبارا ببداية أحوالهم وفيهم من لم يعلم منه حسن الاسلام والظاهر بقاؤه على حالة التأليف ولا يمكن أن يفرق بين من حسن اسلامه وبين من لم يحسن اسلامه لجواز أن يكون من ظننا به شرا أنه على خلاف ذلك اذ الانسان قد يتغير عن حاله ولا ينقل الينا أمره فالواجب أن نظن بكل من نقل عنه الاسلام خيرا وقد جاء عن أنس رضى الله عنه قال كان الرجل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فيسلم لشئ يعطاه من الدنيا فلا يمسى حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما فيها هذا كلام ابن الجوزى والعباس بن مرداس أسلم قبل الفتح بيسير وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية والله أعلم ولا زال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل ما بين مائة وخمسين من الابل أى وذلك من الخمس كما سيأتى ثم أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم أى ما بقى منها وهى الاربعة الاخماس الباقية بعد اعطاء من تقدم ما تقدم من الخمس وقسمتها عليهم أى بعد أن اجتمعوا اليه وصاروا يقولون يا رسول الله اقسم علينا حتى ألجؤه صلى الله عليه وسلم الى شجرة فاختطفت رداءه فقال ردوا ردائى أيها الناس فوالله ان كان لى فيه شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعيره فأخذ وبرة من سنامه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله ما لى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة فجاء

فلا وجه لانكار بعض القاصرين لها وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة في داري آمنت بك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى قال بعض المحققين وفي معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغني عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف فهي باطلة كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من أهل السنن منهم البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث أبي ذر وأنس بن مالك رضي الله عنهما ففي رواية عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت أتتبع خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكأني أرى انه في وحي فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله أي حبهما فأمرني أن أجلس فجلست الى جنبه لا أسأل عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال الله ورسوله وأشار بيده أن أجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبي بكر رضي الله عنه ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم أخذهن وناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن

شخص من الانصار بكبة من خيوط شعر وقال يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها بردعة بعير لي دبر فقال أما نصيبي منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها والقاها وروى أن عقيلا كان دفع لامرأته ابرة أخذها من الغنيمة أي فانها قالت له قد علمت أنك قد قاتلت فاذا أصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شيأ فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع وأخذها منها والقاها في الغنائم وفي كلام السهيلي ان أبا جهم بن حذيفة العدوي كان على الانفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء وأخذ من الانفال زمام شعر فمانعه أبو جهم فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال أقدني منه فقال خذ مائة ودعه فقال أقدني منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا أقيدك من وال عليك فقومت المائة والخمسون بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنا جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة وما أقسم ما يقع خص كل رجل أربع من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثني عشرة بعيرا وعشرين ومائة شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم الا لفرس واحد ومن ثم لم يعط الزبير رضي الله عنه الا لفرس واحد وكان معه أفراس وبه أخذ امامنا الشافعي رضي الله عنه فقال لا يعطى الا لفرس واحد وقال بعض المنافقين قيل وهو معتب هذه القسمة ما عدل فيها أو ما أريد بها وجه الله فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه الشريف أي حتى صار كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شيء أحمر يدبغ به الجلد وفي رواية فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا واحمر وجهه وقال من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى عليه السلام لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر انتهى ولعل من ذلك أن قارون ابن خالة موسى عليه السلام أو ابن عمه حمله البغي والشر على أن أحضر امرأة بغيا وجعل لها جعلا على أن ترمي موسى بنفسها وأحضر بني اسرائيل وأعلمهم بذلك ودعا موسى عليه السلام وقال له ان قومك اجتمعوا لتخرج اليهم لتأمرهم وتنهاهم فخرج عليه السلام اليهم وقال لهم يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه حتى يموت ومن زنى وهو لم ينكح جلدناه مائة جلدة فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال ادعها فان قالت فهو كما قالت فأتت فقال موسى يا فلانة أنشدك بالذي أنزل التوراة أصدق قارون فقالت أما اذا أنشدتني فقد أشهد أنك بريء وأنك رسول الله وأن قارون جعل لي جعلا على أن أرميك بنفسي وجاءت بخريطتين فيهما دراهم عليهما خاتمه وقالت لولا ان قارون أعطاني هاتين وهذا خاتمه وأعوذ بالله ان افتري على الله فنظر القوم الى خاتمه فلما صدقها خر موسى ساجدا فأوحى الله اليه أن ارفع رأسك فاني أمرت الارض أن تطيعك فخسف به فهو يتجلجل في الارض يخسف به في كل يوم مقدار قامة الى يوم القيامة ولعل من ذلك أيضا ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام ان طائفة تزعم أن الله لا يكلمك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا فأوحى الله لموسى عليه السلام أن اختر سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل أنت وهرون واستخلف

يوشع

في كف أبي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن وناولهن عمر رضي الله عنه فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن من الارض وناولهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن فوضعهن في الارض فخرسن ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا وفي رواية أنس رضي الله عنه ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن واستشكل قوله ثم وضعهن في أيدينا بأن ما تقدم يقتضي انه لم يحضر غير أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر رضي الله عنهم وأجيب بأنه يحتمل تكرر القصة أو أن ما تقدم باعتبار أول الامر ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه خصوصا وقد كان خادم النبي صلى الله عليه وسلم فتقل مفارقته له ولم يذكر علي رضي الله عنه لانه لم يكن حاضرا معهم في ذلك المجلس وذلك لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ولو كان حاضرا لسبحت في كفه قطعا (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام وهو يؤكل روى البخاري والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي الشفاء للقاضي عياض عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وروى أبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام يسبح قالوا أو تفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل ادن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها فقال نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذا انه كان يسبح وهو في الاناء وظاهر حديث البخاري انه كان يسبح بعد وضعه في الفم ولا مانع منهما وفي قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة وهو آية للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام وكذا تسبيح الحصى

يوشع ففعل فلما سمعوا كلامه سبحانه سألوه ان يريهم الله جهرة ومن ذلك نسبته الى انه قتل أخاه هرون عليهما السلام كما تقدم اى وقيل ان قائل هذه القسمة ما عدل فيها ذو الخويصرة التميمي وهو غير ذي الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد فقد جاء ان ذا الخويصرة التميمي وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فكيف رأيت قال لم أرك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر رضي الله عنه ألا نقتله قيل وقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه ألا أضرب عنقه قال الامام النووي رحمه الله ولا تعارض لان كل واحد منهما استأذن فيه اى ففي مسلم فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا ثم أدبر فقام اليه خالد رضي الله عنه فقال يا رسول الله الا أضرب عنقه قال لا لعله أن يكون يصلي قال خالد رضي الله عنه وكم مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أومر ان أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي كرم الله وجهه وهو باليمن بذهبة في تربتها أي لم تخلص من ترابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير فغضبت قريش فقالوا يعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انما فعلت ذلك لاتألفهم فجاء رجل فقال اتق الله يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله ان عصيته يأمنني على أهل الارض ولا تأمنوني وفي رواية ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء فجاء رجل فقال ما تقدم فقال له ويلك أو لست أحق أهل الارض أن يتقي الله ولعل هذه القسمة غير قسمة غنائم حنين وان الرجل الذي قال له ما ذكر يحتمل أن يكون واحدا منهم أو من شيعة ذلك الرجل الذي قال له في أحدهما وذكر بعضهم ان ذا الخويصرة أصل الخوارج وأنه صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية وفي رواية قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس اني أقتل أصحابي ان هذا وأصحابه اى جماعة يخرجون من صلبه فهو أصل الخوارج يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم وفي لفظ تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا تلاوة الفم وانهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود أي قتلا مستأصلا لعامتهم وفي رواية اذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وبهذا استدل من يقول بجواز قتل الخوارج وقد قاتلهم علي كرم الله وجهه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج أهم كفار فقال من الكفر فروا فقيل أمنافقون فقال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقال ماهم فقال أصابتهم فتنة فعموا وصموا فلم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل وحينئذ يكون المراد بالدين في وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويبعده رواية بدل الايمان الاسلام وكان مصداق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

لان الجبال لم تسبح وهى بيد داود عليه السلام بخلاف الحصى فانها سبحت بيده صلى الله عليه وسلم و بيد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منها اذ لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وانما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لان الطير ناطق فى الجملة بخلاف الطعام ١٣٨ وروى البيهقى ان أبا الدرداء وسلمان الفارسى رضى الله عنهما كانا اذا كتب أحدهما للآخر قال له بآية الصحفة وذلك انهما بينما هما يأكلان فى صحفة اذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة . روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك حتى صار متواترا قال القاضى عياض والتاج السبكى والحافظ ابن حجر وغيرهم ان حنين الجذع وانشقاق القمر نقل منهما احاديثه متواترة نقلت نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له فى ذلك وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى رضى الله عنه ما أعطى الله نبيا ما أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل له أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حين سمع صوته فهى أكبر من ذلك وقال القاضى عياض فى الشفاء حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أى لكثرة طرقه لصحة ونقل جماعة عن جماعة له يستحيل تواطؤهم على الكذب أخرجه أهل الصحيح أى الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة فى كتبهم كالشافعى والامام أحمد والبخارى وابن خزيمة وابن حبان والترمذى وابن ماجه وأبى يعلى والطبرانى والحاكم والدارمى ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل

ان ذا الخويصرة خرج منه حرقوص المعروف بذى الثدية وهو أول من بويع من الخوارج بالامامة والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بحبوط عمل مرتكبها وتخليده فى النار ويحكمون بأن دار الاسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر ولا يصلون جماعة وسبب مقاتلة سيدنا على كرم الله وجهه لهم انهم نقموا عليه التحكيم الذى وقع بينه و بين معاوية فى صفين وقالوا لا حكم الا لله وأنت كفرت حيث حكمت الحكمين فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع اليك وان تكن الاخرى فانا نابذك على سواء ان الله لا يهدى كيد الخائنين فلما أيس من رجوعهم اليه قاتلهم وحرقوص هذا أول مارق من الدين وكان رجلا أسود احدى عضديه مثل ثدى المرأة فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض ولما قاتلهم على كرم الله وجهه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فأتى به فاذا هو له ثدى كثدى المرأة وفى رواية التمسوه فى القتلى فلم يجدوه فقام على كرم الله وجهه بنفسه فطاف فى القتلى فأخرجوه من بينهم فكبر على كرم الله وجهه ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض فقام اليه عبيدة السلمانى فقال يا أمير المؤمنين والله الذى لا اله الا هو أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى والله الذى لا اله الا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شئ وجدوا فى أنفسهم أى غضبوا حتى كثرت منهم القالة أى وهى القول الردئ أى حتى قال بعضهم ان هذا لهو العجب يعطى قريشا وفى لفظ الالفاء والمهاجرين ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم أى وفى لفظ ان هذا لهو العجب ان سيوفنا تقطر من دماء قريش وان غنائمنا ترد عليهم وفى رواية اذا كانت شديدة ندعى اليها ويعطى الغنيمة غيرنا وفى رواية سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم فان كان من أمر الله صبرنا وان كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم استعتبناه فدخل عليه سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم أى غضبوا لما صنعت فى هذا الفئ الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما ولم يكن فى هذا الحى من الانصار منها شئ قال فأين أنت من ذلك يا سعد فقال يا رسول الله ما أنا الا من قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة أى وهى قبة من أدم اى وفى كلام بعضهم ان الحظيرة الزريبة التى تجعل للابل والغنم من الشجر لتقيهما من البرد والريح ولعل هذا باعتبار الاصل فلا مخالفة فلما اجتمعوا له أتى سعد اليه صلى الله عليه وسلم فقال اجتمع لك هذا الحى من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فقال لهم أفيكم أحد من غيركم قالوا الا ابن أخت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن أخت القوم منهم وفى رواية قال من كان ههنا من غير الانصار فليرجع الى رحله وذكر بعضهم أن سبب ايراد ابن أخت القوم منهم أنه صلى الله عليه

ابن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة بن الحصيب الاسلمى وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة السهمى ثم رواه الشافعى فى مسنده حديث أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى مستندا الى جذع اذ كان المسجد عريشا أى مسقوفا بالجريد وكانت الجذوع له كالاعمدة وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه ١٣٩ أى وهو تميم الدارى رضى الله عنه هل لك أن نجعل منبرا تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هى التى على المنبر أى فى خلافة معاوية رضى الله عنه لان مروان زاد فيه ست درجات وقال انما زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك الى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من أثل الغابة وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب فتجاوز الجذع الذى يخطب عليه خار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده فسكت ثم رجع الى المنبر وفى رواية للبخارى عن جابر رضى الله عنه فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع أى النبى صلى الله عليه وسلم الى المنبر فصاحت النخلة زاد فى رواية صياح الصبى حتى كادت أن تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها أى النخلة وفى رواية فضمه أى الجذع اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكن قال عليه الصلاة والسلام كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفى رواية للبخارى عن جابر أيضا رضى الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت والعشار بكسر العين النوق الحوامل التى انتهت فى حملها الى عشرة أشهر وفى رواية للنسائى فى السنن الكبرى عن جابر رضى الله عنه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج بفتح الخاء وضم اللام الخفيفة آخره جيم الناقة

عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه اجمع لى من هنا من قريش فجمعهم له ثم قال تخرج اليهم أم يدخلون قال أخرج فخرج صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش هل فيكم من غيركم قالوا الا ابن أختنا فذكره ثم قال يا معشر قريش ان أولى الناس بى المتقون فانظروا لا يأتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهى انتهى فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الانصار ما مقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها على فى أنفسكم والمقالة كما علمت الكلام الردئ والجدة الغضب والمعروف انه الموجدة ومن ثم قال بعضهم الجدة فى المال والموجدة فى الغضب ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى وأعداء فألف بين قلوبكم أى وفى لفظ وكنتم متفرقين فجمعكم الله وفى لفظ يا معشر الانصار ألم يمن الله عليكم بالايمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الاسماء أنصار الله وأنصار رسوله قالوا بلى الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا تجيبونى يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المنة والفضل أى وفى لفظ قالوا يا رسول الله وجدتنا فى ظلمة فأخرجنا الله بك الى النور ووجدتنا على شفا جرف من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فافعل ما شئت فأنت يا رسول الله فى حل قال اذا والله لو شئتم لقلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك أى وخائفا فأمناك أوى أى ان كان متعديا كما هنا فالافصح المد وان كان قاصرا فالافصح القصر قال تعالى وآويناهما الى ربوة وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف قال فقال الانصار المن لله ولرسوله والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ما حديث بلغنى عنكم فسكتوا فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الانصار أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثة أسنانهم قالوا يغفر الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم أى وفى رواية ما الذى بلغنى عنكم قالوا هو الذى بلغك لانهم لا يكذبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى رجالا حديثو عهد بكفر أتألفهم اه أى وفى رواية ان قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وانى أردت أن أجبرهم وأتألفهم أوجدتم يا معشر الانصار فى أنفسكم فى لغاعة بضم اللام وغينين معجمتين أى شئ قليل من الدنيا ألفتها قوما ليسلموا أى ليحسن اسلامهم ويسلم غيرهم تبعا لهم و وكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لا يزلزل ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت رجلا من الانصار أى لانتسبت الى المدينة ولو سلك الناس شعبا أى بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بين جبلين وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وفى لفظ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا أى وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى ليس من المن المذموم فى قوله صلى الله عليه وسلم آفة السماحة المن بل هو من التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم

التى انتزع ولدها وفى رواية لابن خزيمة عن أنس رضى الله عنه فحنت الخشبة حنين الواله وفى رواية للامام أحمد والدارمى وابن
ماجه عن أبى بن كعب رضى الله عنه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق يعنى انه بالغ فى الصياح فاخذ أبى ذلك الجذع لما هدم
المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وصار رفاتا ١٤٠ وهذا لاينافى انه جاء فى رواية فامر به نبى الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت
المنبر لاحتمال انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف فاخذه أبى بن كعب رضى الله عنه وفى رواية لابى يعلى عن أنس رضى الله عنه خار كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية سهل بن سعد وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفى رواية حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت وقال والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة وفى رواية للدارمى عن بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنه فقال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت ان أردك الى الحائط أى البستان الذى كنت فيه تنبت لك عروقك و يكمل خلقك و يجدد لك خوص وثمر وان شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له يستمع مايقول فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء أى وهى الجنة على دار الفناء أى وهى الدنيا قال القاضى عياض فى الشفاء وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا حدث بهذا بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه قال فى المواهب ان الله خلق فى الجذع حياة وعلما حتى صوت واشتاق يحابينا
وقد عامله النبى صلى الله عليه وسلم معاملة الحى فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ماتعودا

للانصار ألا تجيبونى الخ فليتأمل أى وقد جاء فى مدح الانصار اللهم اغفر للانصار و أبناء الانصار ولازواج الانصار ولذرارى الانصار الانصار كرشى وعيبتى وان الناس يكثرون و يقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وفى لفظ آخر اللهم صل على الانصار وعلى ذرية الانصار وعلى ذرية ذرية الانصار وقال للانصار أنتم شعار والناس دثار أى والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار الثوب الذى يكون فوق ذلك الثوب فهم ألصق به وأقرب اليه صلى الله عليه وسلم من غيرهم وقال الانصار حبهم ايمان و بغضهم نفاق اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء أبناء الانصار ولنساء الانصار ولنساء أبناء الانصار ولنساء أبناء أبناء الانصار وفى لفظ اللهم اغفر للانصار ولذرارى الانصار ولذرارى ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لايبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال لاتؤذوا الانصار فمن آذاهم فقد آذانى ومن نصرهم فقد نصرنى ومن أحبهم فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى ومن بغى عليهم فقد بغى على ومن قضى لهم حاجة كنت فى حاجته يوم القيامة أسرع ان الله اختار دارهم لاعزاز دينه واختارهم لنبيه أنصارا وقال صلى الله عليه وسلم حب الانصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق وقال فى الانصار لايحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقال لهم اللهم أنتم أحب الناس الى قال ذلك ثلاثا قال وقال حسان رضى الله عنه فى مدح الانصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترفوا * للنائبات وماخافوا وماضجروا اهـ

أى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك مع عمرو بن ثعلبة أنه صلى الله عليه وسلم سبى فاعطى قوما ومنع قوما وقال انا لنعطى قوما نخشى هلعهم وجزعهم ونكل قوما الى ماجعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن ثعلبة فكان عمرو رضى الله عنه يقول مايسرنى ان لى بها حمر النعم ولما أسرت أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الشيماء بشين معجمة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وميم ممدودة و يقال الشماء بغير ياء واختلف فى اسمها صارت تقول والله انى أخت صاحبكم ولا يصدقوها فأخذها طائفة من الانصار حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يامحمد انى أختك قال وما علامة ذلك الحديث ثم قال لها ارجعى الى الجعرانة تكونين مع قومك فانى أمضى الى الطائف فرجعت الى الجعرانة فلما قدم صلى الله عليه وسلم الجعرانة جاءته فقالت يارسول الله انى أختك أى وأنشدته أبياتا قال وماعلامة ذلك بكسر الكاف لانه خطاب المؤنث قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وفى رواية فى وجهى وفى رواية فى ابهامى وأنا متوركتك تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة وفى رواية قال لها ان تكونى صادقة فان بك منى أثرا لن يبلى فكشفت عن عضدها ثم قالت نعم يارسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتنى هذه العضة تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فليتأمل وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم لها قائما و بسط لها رداءه وأجلسها عليه اى ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما اى وقال لها سلى تعطى واشفعى تشفعى فاستوهبته السبى أى بعد أن قال لها قومها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته قومك لرجونا أن

قال العلامة الزرقانى يعنى انه أمر مسطر فى كل من اعتاد أمرا وانقطع عنه فانه يتألم لذلك و يحزن فاذا رجع اليه فرح واطمأن وهذا
الجذع لما ألف مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه
أحبته المسافرون سفرا طويلا لاسيما اذا ظن المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ولله در القائل ١٤١

وألف حتى فى الجمادات حبه
فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده
فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع ياقوم هكذا
أما نحن أولى أن نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق فقد ساعة
فليس وفاء أن نطيق له بعدا

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم سجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف روى الامام أحمد والنسائى باسناد جيد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون أى يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أى الانتفاع به فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسنى عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فدخل الحائط أى البستان والجمل فى ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يارسول الله قد صار مثل الكلب الكلب أى العقور وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه أى واضعا مشفره
باركا بين يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل فقال له أصحابه يارسول الله هذه بهيمة
لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصلح لبشر قط أن يسجد لبشر لو صلح لبشر
أن يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وروى الامام أحمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عن يعلى بن مرة

يحابينا فأتته فقالت أتعرفنى قال ما أنكرك فمن أنت قالت أنا أختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك ذات يوم فعضضت كتفى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها ثم استوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبه لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة هى أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم وقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت أمتعتك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وتردنى الى قومى فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية وقيل بل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل ان القادمة عليه صلى الله عليه وسلم أمه من الرضاع التى هى حليمة وتقدم الكلام على ذلك قال بعضهم وهذا العطاء الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة من قريش انما كان من خمس الخمس الذى هو سهمه صلى الله عليه وسلم لامن أربعة أخماس الغنيمة والا لاستأذن الغانمين فى ذلك لانهم ملكوها بحوزهم لها ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن وهم أربعة عشر رجلا مسلمين ورأسهم زهير بن صرد وفى لفظ يكنى بأبى صرد وأبو برقان بالموحدة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اى فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك وفى رواية قالوا يارسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك اى لان مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة كانت من هوازن اى وقال له أيضا ولو ملحنا اى أرضعنا للحرث بن أبى شمر اى ملك الشام أو للنعمان بن المنذر اى ملك العراق ثم نزل منا بمثل مانزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين وأنشده أبياتا يستعطفه صلى الله عليه وسلم بها منها

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك مملوءة من محضها الدرر

اى الدفعات الكثيرة من اللبن انا لنشكر للنعماء ان كفرت أى جحدت وفى لفظ

انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
انا نؤمل عفوا منك نلبسه * هدى البرية أن تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ام أموالكم أى وفى لفظ البخارى أحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال وفى رواية وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون اى لانه صلى الله عليه وسلم انتظرهم بعد ان قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأى الامرين أحب اليكم اطلب لكم السبى أم الاموال وانما قال صلى الله عليه وسلم لهم قد وقعت المقاسم اى لانه لايجوز للامام أن يمن على الاسرى بعد القسم وانما يمن عليهم قبله كما وقع له صلى الله عليه وسلم فى يهود خيبر ولا يخفى ان هذا فى الرجال دون الذرارى فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم

في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم اى وقال لهم فاذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا اى بعد ان قال لهم صلى الله عليه وسلم اظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد ان أثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وانى قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل كذا فى البخارى وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال واما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل انسان ست فرائض من أول سبى أصيبه وفى رواية فمن أحب منكم أن يعطى غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطى ويأخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار رضى الله تعالى عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن اما انا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس اما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتمونى اى أضعفتمونى حيث صرتم تعصونى منفردا وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم جاؤا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء سبى فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد عليهم وذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفئ الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم فلما فرق صلى الله عليه وسلم النساء نادى مناديه ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال أصبنا سبايا يوم حنين فكنا نلتمس فداءهن فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه وكانت اليهود تزعم أن العزل الموؤدة الصغرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أحد أن يصرفه وجاء لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لاخرج الله منها ولدا وقد جاء فى الحديث ما قالت اليهود ففى مسلم وابن ماجه العزل الوأد الخفى أى لان التحرز عن الولد بالعزل كدفنه حيا فليتأمل وقدم الكلام على ذلك مبسوطا والفرق بين ما هنا وبين ما يؤخذ فى الزكاة لانه فرض واجب على رب المال والى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

من فضله على هوازن اذ كا ❊ ن له قبل ذاك فيهم رباء
وأتى السبى فيه أخت رضاع ❊ وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا ❊ س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء ❊ أى فضل حواه ذاك الرداء

الثقفى رضى الله عنه قال بينا نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر أى صوت كثيرا فوضع جرانه وهو بالكسر مقدم العنق فوقف النبى صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير فجاء فقال صلى الله عليه وسلم له بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فاحسن اليه أى بقلة العمل وكثرة العلف وروى الدارمى والبزار والبيهقى باسناد جيد عن جابر رضى الله عنه أن جملا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا قال فما شأنه قالوا سنونا عليه عشرين سنة فلما كبر سنه أردنا نحره فقال صلى الله عليه وسلم تبيعونيه قالوا هو لك يارسول الله فقال احسنوا اليه حتى يأتى أجله فقالوا يارسول الله نحن احق أن نسجد لك من البهائم فقال لا ينبغى لبشر أن يسجد لبشر ولو كان النساء لازواجهن وفى رواية أنه قال لصاحب الجمل ما لبعيرك يشكوك زعم أنك شنأته حتى كبر تريد أن تنحره فقال صدقت والذى بعثك بالحق لا أفعل وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فادخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يدعو له والنبى صلى الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار فقال يارسول الله انى جئت فى حاجة وانه لى فحلان اغتلما وانى أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب فاحب أن تدعو أن يسخرهما الله عز وجل لى فقال لاصحابه قوموا معنا فذهب حتى أتى الباب فقال افتح ففتح فاذا أحد الفحلين قريب من الباب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له فقال صلى الله عليه وسلم ائتنى بشئ أشد به رأسه وأمكنه منه فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه ثم مشى الى أقصى

فغدت

فغدت فيه وهى سيدة النسوة ❊ والسيدات فيه اماء

اى أعتق صلى الله عليه وسلم هوازن قبيلة أمه من الرضاعة التى هى حليمة السعدية وكانوا ستة آلاف آدمى وانما أعتقهم لاجل انه صلى الله عليه وسلم كان له وهو طفل فيهم رباء بفتح الراء والمد أى تربيته فيهم ولاجل ان أخته من الرضاع أتت فى ذلك السبى وتلك الاخت صغر كفرها وسباؤها قدرها الرفيع باخوته صلى الله عليه وسلم فاعطاها برا وفعل معها معروفا حتى وقع فى وهم الحاضرين بسبب ذلك ان سباءها هداء بكسر الهاء كالعروس التى تهدى لزوجها ومن بره صلى الله عليه وسلم لها أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه اى شرف لذلك الرداء شرف عظيم لا غاية له بسبب مماسته لجسده الشريف فصارت فى ذلك السبى سيدة من فيه من النساء وصارت السيدات التى فيه بالنسبة اليها اماء وليتأمل الجمع بين كون أخته المذكورة هى الشافعة فى السبى وقبلت شفاعتها وبين كون السائل فيهم هوازن والاصل اقتصر على سؤال الوفد ورد جميع السبى ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن أبى ان يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا انى لاحسب ان لها فى الحى نسبا وعسى أن يعظم فداؤها ثم ردها بعد ذلك بعشر من الابل وقيل بست أخذ ذلك من ولدها بعد ان ساومه فيها مائة من الابل وقال له ولدها والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد اى بحزين لفراقها ولا درها بماكد لنون اى غزير وهو من الاضداد وقيل قائل ذلك له زهير وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون زهير هو ولدها فقال عيينة خذها لا بارك الله لك فيها قال وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم دعا على من أبى أن يرد من السبى شيأ أن يبخس اى يكسد فان ولدها دفع له فيها مائة من الابل فأبى ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالمائة فقال لا أدفع الا خمسين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة وفى رواية الا بستة فقال له ما تقدم ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبى قبطية قبطية فقال لا والله ما ذلك لها عندى فما فارقها حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف وهو ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط وهم أهل مصر وضم القاف من التغيير فى النسب أى وفى كلام بعضهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشترى للسبى ثياب المتعة فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النضرى بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية وكلمه الوفد فى ذلك فقالوا يارسول الله أولئك سادتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أريد بهم الخير ولم يجز ان تجرى السهمان فى مال مالك بن عوف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ما فعل مالك بن عوف قالوا يارسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه أنه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ مالكا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه وأن ماله وأهله موفور وما وعده به نزل من الحصن مستخفيا خوفا أن تحبسه ثقيف

الحائط اذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدا فقال ائتنى بشئ أشد به رأسه وامكنه منه فجاء بخطام فشد به رأسه وامكنه منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك وروى الامام أحمد وأبو داود وابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما قال أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الى حديثا لا احدث به احدا من الناس قال وكان أحب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم أى عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شئ مرتفع على الارض أو حائش نخل أى وهو النخل المجتمع فدخل حائط رجل من الانصار أى لحاجته فاذا جمل فلما رأى الجمل النبى صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فاتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه أى وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لى يارسول الله فقال الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى انك تجيعه وتدئبه أى تتعبه بكثرة العمل وفى رواية وكان لا يدخل أحد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه أى وضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس ❊ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ❊ سجود الغنم وطاعتها له صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا أى بستانا الانصارى ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له أى تعظيما له لما شاهدت نور نبوته والهمها الله معرفته فقال أبو بكر يارسول الله نحن أحق بالسجود لك من الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وآمن وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل فى غنم يرعاها لاهل خيبر فقال يارسول الله كيف لى بالغنم

قال أحصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك أمانتك وردها الى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة له صلى الله
عليه وسلم فهذا من طاعات الحيوانات له ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ كلام الذئب واقراره برسالته صلى الله عليه وسلم
روى الامام أحمد باسناد جيد والترمذى ١٤٤ والحاكم باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال عدا الذئب على شاة
فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فقال الراعى يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق وفى رواية رسول الله فى النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبإ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك وفى لفظ يدعو الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه قال أبو سعيد فاقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى اخبرهم أى بما شاهدته ليسروا ويزداد ايمانهم فاخبرهم وفى رواية وكان الرجل يهوديا فجاء وأسلم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه ثم قال صلى الله عليه وسلم انها أمارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده وفى رواية أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال الذئب للراعى أنت أعجب منى واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدرا عنده وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف
أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى
قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها اى لم ينقص منها شئ فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها وروى قصة كلام

اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى أتى الدهناء محلا معروفا وركب راحلته ولحق برسول
الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة وأسلم ورد عليه أهله وماله واستعمله صلى الله عليه وسلم
على من أسلم من هوازن فكان لا يقدر على سرح لثقيف الا أخذه ولا رجل الا قتله وكان
رضى الله عنه أرسل بالخمس مما غنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ أى وجاء أعرابى
الى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل الذى هو الجعرانة وهو المراد بقول بعضهم وهو بحنين
لان المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الاعرابى جبة وهو متضمخ بخلوق أى مصفر
لحيته ورأسه وقد أحرم بعمرة فقال أفتنى يا رسول الله وفى رواية قال له كيف ترى فى رجل
أحرم فى جبة بعدما تضمخ بطيب فسكت ساعة ثم نزل عليه الوحى فلما سرى عنه قال أين السائل
عن العمرة اخلع عنك الجبة واغسل عنك أثر الخلوق وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم
ما كنت تصنع فى حجك قال كنت أنزع هذه الجبة واغسل هذا الخلوق فقال صلى الله عليه وسلم
اصنع فى عمرتك ما كنت صانعا فى حجك واستدل بذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الاحرام
بما يبقى عند الاحرام والراجح عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه استحباب ذلك (وجاء صلى الله
عليه وسلم) رجل فوقف على رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى عندك
موعدا فقال صلى الله عليه وسلم له صدقت فاحتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال صلى الله
عليه وسلم هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التى دلته على
عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت أحزم وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه
الصلاة والسلام فقالت حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة كذا ذكره الغزالى رحمه
الله قال السخاوى وهذا أخرجه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وفيه نظر كما قال العراقى
وهذا أصل فى عدم اخلاف الوعد ولهذا نقل الامام النووى رحمه الله ان جماعة ذهبوا
الى وجوب الوفاء بذلك ووجهه السبكى رحمه الله بأن اخلاف الوعد كذب والكذب
حرام وترك الحرام واجب وذكر الغزالى رحمه الله ان اخلاف الوعد لا يكون كذبا
الا اذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء أى ويدل لذلك ما جاء عن عبد الله بن ربيعة قال
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت أمى يا عبد الله
تعال أعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت ان تعطيه قالت اردت أن أعطيه تمرا
قال لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة (وأحرم صلى الله عليه وسلم) من الجعرانة ودخل مكة ليلا
واستمر يلبى حتى استلم الحجر رجع من ليلته وأصبح بها كبائت وفى لفظ أصبح بمكة كبائت وفيه
نظر ولم يسق هديا فى هذه العمرة وحلق رأسه وكان الحالق لرأسه الشريف أبا هند الحجام
وقيل أبو خراش بن أمية الذى حلق رأسه صلى الله عليه وسلم فى الحديبية وأتى بأعمال العمرة
بعد ان أقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا

﴿غزوة تبوك﴾

بعدم الصرف للعلمية والتأنيث ووقع فى البخارى صرفها انظر الموضع أى ويقال لها غزوة

العسيرة

الذئب أيضا الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما وأبو نعيم عن أنس رضى الله عنه وروى سعيد
ابن منصور عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء الذئب فأقعى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه اى يحركه فقال
صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيأ ١٤٥ قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا
ورماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وهذا الاستفهام مفخم أمره قال القاضى عياض فى الشفاء وقد روى ابن وهب ان الذئب كلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل اسلامهما وذلك أنهما وجدا ذئبا يريد أخذ ظبى فجرى الذئب خلف الظبى من الحل يدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك فقال الذئب لما سمع تعجبهما وعلم من حالهما أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان لصفوان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة اى لاهلها ليتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة اى فاسدة متغيرة يعنى يقع الفساد والتغير فى أهلها باسلامهم وهجرتهم الى المدينة وسمى ذلك فسادا باعتبار زعمهم الذى كانوا يعتقدونه قبل اسلامهم ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ حديث الحمار أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضى الله عنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كل منهم لا يركبه الا نبى وقد كنت
أتوقعك ان تركبنى لانه لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعثر
به عمدا وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فانت يعفور وهو اسم ولد الظبى كأنه سمى به لسرعته فكان
عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله

العسيرة ويقال لها الفاضحة لانها أظهرت حال كثير من المنافقين فى شهر رجب سنة تسع
أى بلا خلاف ووقع فى البخارى أنها كانت بعد حجة الوداع قيل وهو غلط من النساخ بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأنهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء
المحل المعروف أى وذكر بعضهم أن سبب ذلك أن متنصرة العرب كتبت الى هرقل ان هذا
الرجل الذى قد خرج يدعى النبوة هلك وأصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم فبعث رجلا
من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا أى ولم يكن لذلك حقيقة أى وانما ذلك شئ قيل لمن يبلغ
ذلك للمسلمين ليرجف به وكان ذلك فى عسرة فى الناس وجدب فى البلاد أى وشدة من نحو الحر
وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ٥ أى وكونه عند طيب الثمار
يؤيد قول عروة بن الزبير أن خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك كان فى زمن الخريف ولا ينافى
ذلك وجود الحر فى ذلك الزمن لان أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعد
المشقة وشدة الزمن أى وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم وأمر الناس بالجهاز أى وبعث الى
مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله أى أكد
عليهم فى طلب ذلك وهى آخر غزوته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان بن عفان رضى الله تعالى
عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها قال فانه جهز عشرة آلاف انفق عليها عشرة آلاف دينار
غير الابل والخيل وهى تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الاسقية
أى وفى كلام بعضهم انه اعطى ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى
الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض أى وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى
عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى ان طلع الفجر رافعا يديه الكريمتين
يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال
سألت ربى أن لا يدخل النار من صاهرته أو صاهرنى وجاء رضى الله تعالى عنه بالف دينار
فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيديه ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا اهـ وفى رواية جاء بعشرة آلاف دينار الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهر
البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن الى يوم
القيامة ما يبالى ما عمل بعدها أى ولعل هذه العشرة الآلاف هى التى جهز بها العشرة
آلاف انسان وانها أى العشرة غير الالف التى صبها فى حجره صلى الله عليه وسلم وأنفق غير عثمان
أيضا من أهل الغنى قال وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاء
بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ
قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بنصف ماله فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال النصف الثانى وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى
الله تعالى عنه بمائة أوقية أى ومن ثم قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى

صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابى الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال الواقدى مات يعفور منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وبه جزم النووى عن ابن الصلاح فيكون موته
قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى ١٤٦ حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وأخرجه ابن حبان وغيره

عنهما كانا خزانتين من خزائن الله فى الارض ينفقان فى طاعة الله تعالى وجاء العباس رضى الله
تعالى عنه بمال كثير وكذا طلحة رضى الله تعالى عنه وبعثت النساء رضى الله تعالى عنهن بكل
ما يقدرون عليه من حليهن وتصدق عاصم بن عدى رضى الله تعالى عنه بسبعين وسقا من تمر
اه وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع أى سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يستحملونه أى يسألونه أن
يحملهم فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه وعند ذلك تولوا وأعينهم تفيض من الدمع
حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون أى ما يحملهم ومن ثم قيل لهم البكاؤن ومنهم العرباض بن سارية
رضى الله تعالى عنه ولم يذكره القاضى البيضاوى فى السبعة وحمل العباس رضى الله تعالى عنه
منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضى الله تعالى عنه بعد الجيش الذى جهزه ثلاثة أى وحمل يامين
ابن عمرو النضرى اثنين دفع لهما ناضحا له وزود كل واحد منهما اصاعين من تمر وعدهم مغلطاى
ثمانية عشر وفى البخارى عن أبى موسى الاشعرى قال أرسلنى أصحابى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أسأله الحملان لهم فقلت يا نبى الله ان أصحابى أرسلونى اليك لتحملهم فقال والله
لا أحملكم على شئ وفى رواية والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فرجعت حزينا الى أصحابى
من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم وجد فى نفسه
حيث حلف على ان لا يحملهم قال فرجعت الى أصحابى فاخبرتهم الذى قال النبى صلى الله عليه
وسلم فلم ألبث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادى أين عبد الله بن قيس فاجبته قال أجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما أتيته قال خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها الى أصحابك زاد
بعضهم فعند ذلك قال بعضهم لبعض أغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حملناه على يمين الغلق
وقد حلف ان لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا يبارك لنا فى ذلك فاتوه فذكروه فقال عليه الصلاة
والسلام انا ما حملتكم الله حملكم ثم قال انى لا أحلف يمينا فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن
يمينى واتيت الذى هو خير أى فهو صلى الله عليه وسلم انما حلف أن لا يتكلف لهؤلاء حملا
بقرض ونحوه ما دام لا يجد لهم حملا فلا حنث وفيه ان هذا لا يناسب قوله انى لا أحلف الى آخره
واجيب بان هذا استئناف قاعدة لا تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم حنث فى يمينه بل خرج
الكلام على تقدير كأنه قال لو حنثت فى يمينى حيث كان الحنث خيرا وكفرت عنها لكان ذلك
شرعا واسعا بل ندبا راجحا ويؤيده انه لم ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن هذه اليمين
وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله وقد يقال ان حمل العباس رضى الله تعالى عنه اثنين منهم
الى آخره كان قبل وجود هذه الابعرة الستة أو يدعى أن هؤلاء غير من تقدم فلما تجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا أى وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا
وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وقيل بزيادة الفين وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصارى
رضى الله تعالى عنه على ما هو المشهور وقال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو أثبت عندنا وقيل
سباع بن عرفطة أى وقيل ابن ام مكتوم وقيل على بن أبى طالب قال ابن عبد البر وهو الاثبت
هذا كلامه وفى كلام ابن اسحق وخلف عليا كرم الله وجهه على أهله وأمره بالاقامة فيهم
وتخلف عنه عبد الله بن أبى ابن سلول ومن كان من المنافقين بعد ان خرج بهم وعسكر عبد الله بن

وأنكره بعضهم وقال انه موضوع
وقال بعضهم انه ضعيف وقد
تعددت طرقه قال العلامة
الزرقانى وليس فيه ما ينكر شرعا
فلا بدع فى وقوعه له صلى الله عليه
وسلم فنهايته الضعف لا الوضع
ومن معجزاته صلى الله عليه
وسلم حديث الضب بفتح المعجمة
وموحدة ثقيلة حيوان برى
يشبه الورل قال ابن خالويه
لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة
سنة فصاعدا يقال انه يبول كل
أربعين يوما قطرة ولا يسقط له
سن ويقال ان اسنانه قطعة
واحدة ليست متفرقة وحديثه
مشهور بين الالسنة وقد رواه
البيهقى والطبرانى وشيخه الحاكم
وشيخه ابن عدى والدارقطنى
كلهم من حديث ابن عمر رضى الله
عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم
كان فى محفل من أصحابه اذ جاءه
أعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا
جعله فى كمه ليذهب به الى رحله
فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة
أى الصحابة قال من هذا قالوا نبى
الله وفى رواية الدارقطنى فقال
على من هؤلاء الجماعة فقيل له
على هذا الذى يزعم انه نبى فاتاه
فقال يا محمد ما اشتملت النساء على
ذى لهجة أكذب منك فلولا أن
تسمينى العرب عجولا لقتلتك
ولسررت الناس أجمعين بقتلك
فقال عمر يا رسول الله دعنى أقتله
فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد ان يكون نبيا ثم اقبل الاعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرج ابى
الضب من كمه قال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان بين وفى رواية فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربى مبين يسمعه وفى رواية يفهمه القوم

جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة
رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابى زاد
الدارقطنى وابن عدى فقال الاعرابى أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ١٤٧ والقد أتيتك وما على وجه الارض أحد هو

أبى على ثنية الوداع أى أسفل منها لان معسكره صلى الله عليه وسلم كان على ثنية الوداع وكان
عسكر عبد الله بن أبى أسفل منه قال ابن اسحق رحمه الله وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين
أى والتعبير عن ذلك بالزعم واضح لانه يبعد أن يكون عسكر عبد الله مساويا لعسكره صلى الله
عليه وسلم فضلا عن كونه أكثر منه فليتأمل وقال عند تخلفه يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد
الحال والحر والبلد البعيد أى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله
لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبأصحابه أى وقيل للروم بنو الاصفر لانهم ولد روم بن العيص بن اسحق نبى الله عليه السلام
وكان يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء بأخبار القدماء أن العيص تزوج بنت عمه اسمعيل
فولدت له الروم وكان به صفرة فقيل له الاصفر وقيل الصفرة كانت بأبيه العيص ٥ ولما
ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات
فدفع لواءه الاعظم لابى بكر الصديق رضى الله عنه ورايته صلى الله عليه وسلم العظمى للزبير
رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير رضى الله عنه وراية الخزرج الى الحباب بن
المنذر رضى الله عنه ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية أى لبعضهم راية
ولبعضهم لواء وكان قد اجتمع جمع من المنافقين أى فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم لبعض
أتحسبون جلاد بنى الاصفر أى وهم الروم كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنهم يعنى
الصحابة غدا مقرنون فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضرب بالسيوف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لعمار بن ياسر رضى الله عنه أدرك القوم فانهم قد
احترقوا فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بل قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك
لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله
تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد
هل لك فى جلاد بنى الاصفر قال يا رسول الله أو تأذن لى أى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف
قومى انه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر
فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول
ائذن لى ولا تفتنى الآية وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات بنى الاصفر
نساء الروم فقال قوم من المنافقين ائذن لنا ولا تفتنا فأنزل الله تعالى الآية ألا فى الفتنة سقطوا
أى التى هى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفى لفظ انه صلى الله عليه
وسلم قال للجد بن قيس يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تحقب أى تردف خلفك من بنات
الاصفر فقال ما تقدم وعند ذلك لامه ولده عبد الله رضى الله عنه وقال له والله ما يمنعك الا النفاق
وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال
له اسكت يا لكع فوالله لانت أشد على من محمد وفى رواية ان الجد بن قيس لما امتنع واعتذر بما
تقدم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن أعينك بمالى فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها
لن يتقبل منكم وتقدم انه لم يبايع بيعة الرضوان وتقدم انه تاب من النفاق وحسنت توبته وأنه

أبغض الى منك والله لانت
الساعة أحب الى من نفسى
وولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى
وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى
فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذى هداك الى هذا الدين الذى
يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله الا
بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقرآن
قال فعلمنى فعلمه صلى الله عليه
وسلم الفاتحة والاخلاص فقال
يا رسول الله ما سمعت فى البسيط
ولا فى الوجيز أحسن من هذا
فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام
رب العالمين وليس بشعر واذا
قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما
قرأت ثلث القرآن وان قرأتها
مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن
وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت
القرآن كله فقال الاعرابى نعم
الاله الهنا يقبل اليسير ويعطى
الكثير ثم قال صلى الله عليه وسلم
ألك مال فقال ما فى سليم قاطبة
أفقر منى فقال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى
أثروه فقال عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه انى أعطيه يا رسول
الله ناقة عشراء أهديت الى يوم
تبوك تلحق ولا تلحق أتقرب
بها الى الله دون البختى وفوق العرابى
فقال صلى الله عليه وسلم لقد
وصفت ما تعطى فاصف لك
ما يعطيك الله قال نعم قال لك ناقة
من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط
كالبرق الخاطف فخرج الاعرابى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه ألف اعرابى من بنى سليم على ألف دابة بألف رمح وألف
سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا هذا الذى يكذب ويزعم أنه نبى فقال الاعرابى انى أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا

صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بالارداء فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ماولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يارسول الله مرنا بامرك فقال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر رضى الله عنهما ١٤٨ فلم يؤمن فى أيامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود كيف وقد رواه الائمة الحفاظ الكبار كابن عدى وتلميذه البيهقى وهو لا يروى موضوعا والدارقطنى وناهيك به ولحديث ابن عمر طرق ورواه أبو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن على رضى الله عنه ورواه ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن حديث عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما غاية الامر أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوى بعضها بعضا والله أعلم ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ حديث الغزالة أى كلامها له روى حديثها البيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من طرق يقوى بعضها بعضا فعلم أن له أصلا فيكون حسنا لغيره وذكره القاضى عياض بلا سند عن أم سلمة رضى الله عنها بدون تمريض فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له ورواه أبو نعيم فى الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضا رضى الله عنهما قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى مجندل فى شملة نائم فى الشمس فقال لها ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان أى ولدان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى أذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار اى المكاس ان لم أرجع فاطلقها فذهبت فارضعتهما ورجعت عن قرب فاوثقها النبى صلى الله عليه وسلم كما كانت فانتبه الاعرابى من نومه فقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وفى رواية لزيد بن أرقم رضى الله عنه قال فيها فانا والله رأيتها

صلى الله عليه وسلم وقال لبنى ساعدة من سيدكم فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال وأى داء أدوأ من البخل قالوا يارسول الله من سيدنا فقال بشر بن البراء بن معرور وفى رواية سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح وذكر ابن عبد البر أن النفس أميل الى الاول ومات الجد بن قيس فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فأنزل الله تعالى قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون أى يعلمون (وجاء المعذرون) أى وهم الضعفاء والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال السهيلى وأهل التفسير يقولون ان آخر براءة نزل قبل أولها وان أول ما نزل منها انفروا خفافا وثقالا قيل معناه شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل أصحاب شغل وغير ذى شغل وقيل ركبانا ورجالة ثم نزل أولها تنبذ كل ذى عهد الى صاحبه كما تقدم وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا من لا يتهم فى اسلامه (ولما خلف صلى الله عليه وسلم) عليا كرم الله وجهه أرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك أخذ على كرم الله وجهه سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون أنك ما خلفتنى الا استثقلتنى وتخففت منى فقال كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى أى فان موسى عليه السلام حين توجه الى ميقات ربه استخلف هرون عليه السلام فى قومه فرجع على الى المدينة وعن على كرم الله وجهه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة وخلف جعفرا فى أهله فقال جعفر والله لا أتخلف عنك فخلفنى فقلت يارسول الله أتخلفنى تقول قريش أليس قولون ما أسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه وأخرى أبتغى الفضل من الله لانى سمعت الله يقول ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار الآية فقال أما قولك ان تقول قريش ما أسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا انى ساحر وانى كاهن وانى كذاب وأما قولك أبتغى الفضل من الله فلى بى أسوة أى حيث تخلفت عن بعض مواطن القتال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى عليهما السلام وهو لم يتخلف عنه على كرم الله وجهه فى مشهد من المشاهد الا فى هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة ان هذا من النص التفصيلى فى خلافة على كرم الله وجهه قالوا لان جميع المنازل الثابتة لهرون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلى كرم الله وجهه من النبى صلى الله عليه وسلم والا لما صح الاستثناء أى استثناء النبوة بقوله الا انه لا نبى بعدى ومما ثبت لهرون من موسى استحقاقه للخلافة عنه لو عاش بعده أى دون النبوة ورد بأن هذا الحديث غير صحيح كما قاله الآمدى وعلى تسليم صحته بل صحته هى الثابتة لانه فى الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وكل من الرافضة والشيعة لا يراه حجة فى الامامة وعلى تسليم أنه حجة فلا عموم له بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث أن عليا كرم الله وجهه خليفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أهله خاصة مدة غيبته بتبوك

تسبح فى البرية وهى تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ورواه الطبرانى بنحوه هذا وساق الحافظ المنذرى لفظ الطبرانى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة وأنكر السخاوى حديث تكليم الغزالة ثم قال لكنه فى الجملة وارد فى عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخنا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فى المجلس الحادى والستين من تخريج ١٤٩ أحاديث المختصر الكبير فى الاصول لابن الحاجب وقال العلامة ابن السبكى فى شرح مختصر ابن الحاجب وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وان لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا اذ ذاك وقال الحافظ ابن حجر والذى أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها له وشهادتها عنده صلى الله عليه وسلم والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة وقد روى ذلك الامام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطى الاندلسى عن عائشة رضى الله عنها قالت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر اى سكن وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب اى مشى فى البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل معناه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما أى ألف الحيوان الذى لا يعقل له صلى الله عليه وسلم ومهابته عنده آية ظاهرة وذكره القاضى عياض فى الشفاء بسنده الى قاسم ابن ثابت أيضا وعن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أوست أو سبع لينحرها يوم عيد فزدلفن اليه بايتهن يبدأ أى تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة فى أن يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى رواه الحاكم والطبرانى وأبو نعيم وروى الطبرانى عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بجمع طرق المدينة بصرنا باعرابى أخذ بخطام بعير حتى وقف على النبى صلى الله عليه وسلم

بتبوك كما أن هرون كان خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة فعلى تسليم أنه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص غير حجة فى الباقى أو حجة ضعيفة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرار أخرى غير على فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة وصار بعد مسيره صلى الله عليه وسلم يتخلف عنه الرجل فيقال تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه (وكان ممن تخلف عن مسيره) معه صلى الله عليه وسلم أبو خيثمة ولما أن سار صلى الله عليه وسلم أياما دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما وكان يوما شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه كما فى الكشاف أى ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير أى وأولى لك كلمة تهديد وتوعد (ولما مر) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم أى لان البكاء يتبعه التفكر والاعتبار فكأنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتفكر فى أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم فى الارض وامهالهم مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه يقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيأ وان لا يتوضؤا به للصلاة وان لا يعجن به عجين وأن لا يحاس به حيس ولا يطبخ به طعام وأن العجين الذى يعجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل وان الطبيخ الذى طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيأ ثم ارتحل بالناس أى لا زال سائرا حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنه تهب عليهم الليلة ريح شديدة أى وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن أن يخرج واحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر كذلك فى طلب بعير له فاحتملته الريح حتى ألقته بجبل طيئ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذى خنق فشفى والذى ألقته الريح بجبل طيئ فارسلته طيئ له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة (وفى سيرة الحافظ الدمياطى) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على

فقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال ان هذا الاعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهو صلى الله عليه وسلم منصت
له ثم قال للرجل انصرف فان البعير يشهد بانك كاذب وعبارة الشفاء ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه
وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وانها ملكه 150 وفي الشفاء أيضا ومن هذا القبيل ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لفرسه وقد قام الى
الصلاة في بعض أسفاره والفرس
غير مربوط لا تبرح بارك الله فيك
حتى نفرغ من صلاتنا وجعله في
قبلته فاحرك عضوا حتى صلى صلى
الله عليه وسلم ففيه معجزة له حيث
فهم الحيوان كلامه ومما يندرج
في تسخير الحيوانات له صلى الله عليه
وسلم ما رواه البخاري في تاريخه
والبيهقي في سننه من تسخير الاسد
لسفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن
فلقي الاسد فقال له انا سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي
كتابه فالهمه الله تعالى أن فهم كلامه
فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه من اليمن مثل ذلك
وفي رواية للبزار والبيهقي صححها
السيوطي ان سفينة رضي الله عنه
كان في سفينة في البحر فانكسرت
به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال
فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى
أقامني على الطريق وأخذ صلى الله
عليه وسلم مرة باذن شاة أي أمسكها
باصبعيه ثم خلاها فصار ذلك ميسما
فيها وفي نسلها ويلتحق بهذا المبحث
ما روى الواقدي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك
خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح
كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم
الذين بعثه اليهم والواقدي امام
جليل من أئمة السير وثقه بعضهم
وتكلم فيه بعضهم قال الشهاب
الخفاجي وكفى برواية الشافعي
عنه دليلا على صحة ما رواه وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في
الشفاء والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ نبع الماء
الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم * قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت في عدة مواطن

عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر
فكان يطوف في أصحابه على العسكر ثم أصبح الناس ولا ماء معهم أي وحصل لهم من العطش
ما كادت تقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر
رضي الله عنه خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وفي لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم أي قال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب
ذلك قال نعم فدعا أي ورفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس
واحتملوا ما يحتاجون اليه قال وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وأن رجلا من
الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله تعالى
وتجعلون رزقكم أي بدل شكر رزقكم انكم تكذبون أي حيث تنسبونه للانواء وقيل انه
قال له ويحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة انتهى وفي لفظ أنهم لما شكوا اليه صلى الله عليه
وسلم شدة العطش قال صلى الله عليه وسلم لعلي لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم هذا بنوء كذا وكذا
فقالوا يا نبي الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا
الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجل يغرف بقدحه ويقول هذا نوء فلان فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال
رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الغنيمة ان محمدا يزعم
أنه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول
كذا وكذا واني والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها أنها في شعب كذا وكذا وقد حبستها
شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها أي وتقدم له صلى الله
عليه وسلم نظير هذا في غزوة بني المصطلق التي هي المريسيع ولا بعد في تعدد الواقعة ويحتمل
أن يكون من خلط بعض الرواة ولما سمع بذلك بعض الصحابة جاء الى رحله فقال ان به والله
لعجب في شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة قائل اخبره الله عنه وذكر المقالة
فقال له بعض من في رحله هذه المقالة قالها فلان يعني شخصا في رحله أيضا قالها قبل أن تأتي
بيسير فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما أشعر أي عدو الله اخرج من رحلي ولا تصحبني فيقال
انه تاب ويقال انه لم يزل متهما بشر حتى هلك وتباطأ جمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء
والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع اثر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل أي وقيل بجيشه قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر
وأبطأ به بعيره فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك
فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص يمشي فقال يا رسول الله ان هذا
الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم
قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم انه يموت وحده فقد مات رضي الله

في مشاهد عظيمة وورد من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض هذه القصة
رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع
العساكر ولم يرد عن أحد منهم انكار على الراوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي 151 من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث
نبع الماء جاء من رواية أنس
عند الشيخين وأحمد وغيرهم من
خمسة طرق وعن جابر عندهم
من أربعة طرق وعن ابن مسعود
عند البخاري والترمذي وعن ابن
عباس عند الامام أحمد والطبراني
من طريقين نقل ابن بطال لم يرد
الا من طريق انس مردود
وهذه المعجزة لم يسمع انها وقعت
لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي
أعظم من نبع الماء من الحجر الذي
وقع لموسى عليه الصلاة والسلام
حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر
منه اثنتا عشرة عينا لان خروج
الماء من الحجارة معهود في الجملة
بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه
ليس بمعهود وما أحسن قول بعضهم
ان كان موسى سقى الاسباط من حجر
فان في الكف معنى ليس في الحجر
قال في المواهب وقد روى حديث
نبع الماء جماعة من الصحابة منهم
أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس
وأبو ليلى رضي الله عنه فاما حديث
أنس ففي الصحيحين قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر زاد في رواية
وهو بالزوراء موضع بسوق
المدينة فالتمس الناس الوضوء فلم
يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء
فامر الناس أن يتوضؤا منه
فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه
فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند
آخرهم وكانوا سبعين أو ثمانين وفي رواية بقباء الانس كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة وانهم كانوا مرة ثمانين
اوسبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا أنس رضي الله عنه وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم
مبالغة في التعميم حتى كان الآخر هو الذي ابتدئ به اشارة الى أن الآخر أسبغ الوضوء من غير نقص مثل اسباغ الاول بل كأنه هو

عنه وحده بالربذة لما أخرجه عثمان رضي الله عنه اليها أي فانه بعد موت أبي بكر رضي الله عنه
خرج من المدينة الى الشام فلما ولي عثمان رضي الله عنه شكاه معاوية رضي الله عنه اليه
فانه كان يغلظ على معاوية في بعض أمور تقع منه فاستدعاه عثمان رضي الله عنه من الشام
ثم أسكنه الربذة ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فوصاهما عند موته أي غسلاني وكفناني
ثم اجعلاني على قارعة الطريق فأول من يمر بكم قولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات رضي الله عنه فعلا به ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود
في رهط من أهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم
الغلام وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله
ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل
هو وأصحابه فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود خبره أي وفي الحدائق عن أم ذر قالت
لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك قلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض
ولا بد لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده
عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية واني أنا الذي أموت
بالفلاة والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت وفي رواية ما كذبت ولا كذبت
فانظري الطريق فقالت قد ذهب الحاج وتقطعت السبل فقال انظري فقالت كنت أشد الى
الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع اليه فأمرضه فبينما أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم
الرخم فألحت بثوبي فأسرعوا الي ووضعوا السياط في نحورها يستبقون الي فقالوا ما لك يا أمة
الله فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلت نعم فأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال أبشروا
فانكم عصابة من المؤمنين وحدثهم الحديث وقال والله لو كان لي أولها ما يسعني كفنا ما كفنت
الا فيه واني أنشدكم الله والاسلام لا يكفنني منكم رجل كان أميرا ولا عريفا ولا بريدا أو نقيبا
ولم يكن منهم أحد سلم من ذلك الا فتى من الانصار فقال والله لم أصب مما ذكرت شيأ أنا أكفنك
في ردائي هذا وثوبين معي من غزل أمي فمات فكفنه الفتى الانصاري ودفنه في النفر الذين
معه (أقول) يحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم عن ابن مسعود
رضي الله عنه لجواز أن يكون قدومه بعد أن كفن بكفن الانصاري ولا ينافي ذلك ما تقدم
من قول الراوي فلما مات فعلا أي زوجته وغلامه ذلك أي غسله وتكفينه ولا ينافي ذلك قول
الغلام لابن مسعود ومن معه أعينونا على دفنه ولا ينافي ذلك قول الراوي هنا ودفنه أي الفتى
الانصاري في النفر الذين معه لان ذلك يقال اذا اشترك مع غيرهم في ذلك وأبو ذر رضي الله
عنه اسمه جندب وقيل اسمه سلمة بن جنادة وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع
والقول بالحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي
لهجة أصدق من أبي ذر وكان رضي الله عنه من الاقدمين في الاسلام قال ابن عبد البر كان

الاول وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يارسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشيء من ماء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال أنس رضي الله عنه فرأيتها ١٥٢ أي الصحفة تخلل عيونا أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا أي حملنا الماء معنا فقال صلى الله عليه وسلم أكفيتم قلنا نعم يارسول الله فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء وأخرج البيهقي عن أنس أيضا رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعها القدح فأدخل أصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال أنس رضي الله عنه بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم ابن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها فجهش الناس حوله أي أسرعوا فقال ما لكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه الا ما بين يديك فوضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة البخاري أيضا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وقال كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من أربع عشرة مائة فبعضهم جبر الكسر وبعضهم ألغاه ويؤيده أنه جاء في رواية للبخاري كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر واعتمد النووي هذا الجمع قال أصحة الروايات كلها وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه كان مثل ذلك في غزوة بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ولفظه قال جابر رضي الله عنه قال لي رسول الله ناد بالوضوء فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال ثم قلت

خامس رجل أسلم فليتأمل وقال صلى الله عليه وسلم أبو ذر في أمتي شبيه عيسى ابن مريم في زهده وبعضهم يرويه من ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى أبي ذر والى وجود ما أخبر صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر من أنه يموت وحده أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وعاش أبو ذر كما قلت وحده * ومات وحيدا في بلاد بعيدة

قال وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأسفر الناس بصلاتهم التي هي صلاة الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه لعبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته انتهى أي ولعل هذا لا ينافي ما تقدم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس وقوله لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزوة حيث يصلي بالعسكر فليتأمل أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر أي في مرض موته لان المراد صلاة كاملة أو تكرر الصلاة هذا وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فيما حكاه القاضي عياض رحمه الله أنه لا يجوز لأحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له وقد قال أئمتكم شفعاؤكم ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت قال وعن حذيفة رضي الله عنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الماء قلة أي ماء عين تبوك أي وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي وأمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من مائها وقد سبق اليها رجلان أي من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك وفي رواية سبق اليها أربعة من المنافقين ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها بما دفعه اليهم صلى الله عليه وسلم فجاشت بالماء والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

فيوما بوقع النبل جئت بشربهم * ويوما بوقع الوبل جدت بسقية

وحينئذ أي وحين اذ ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك يسقط الاعتراض بان

يارسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب له ماء في أشجاب على حمارة من جريد قال فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في أشجابه من شيء فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد الا شيأ يسيرا لو أني أفرغه لشربه يابس الاناء فرجعت فأخبرته قال اذهب فأت به فأتيته به ١٥٣ فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمز بيده ثم أعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فأتي بها تحمل فوضعها بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى قال الحافظ ابن حجر وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه وقوله في أشجاب جمع شجب وهي القربة البالية وروى حديث جابر رضي الله عنه الامام أحمد في مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيأ من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عن جابر أيضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال باسم الله ثم قال اسبغوا الوضوء قال جابر فو الذي ابتلاني ببصري أي بفقده وذهابه لانه عمي آخر عمره رضي الله عنه لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها أي يده حتى توضؤا أجمعون ورواه أيضا عن جابر البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أي وهو الحديبية فأصابنا عطش فجهشنا أي أسرعنا

بان وقع النبل لم يكن بتبوك وانما كان بالحديبية على أن الذي بالحديبية انما هو غرز سهم واحد لا سهام فليتأمل ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا ملئ جنانا أي بساتين وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كادت الشمس قيد رمح أي وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال اكلأ لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه قال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفي رواية ان بلالا رضي الله عنه قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يارسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك أي وفي لفظ أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق ان الشيطان صار يهدأ بلالا للنوم كما يهدأ الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر به النبي الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وتقدم في خيبر أي في غزوة وادي القرى فانها كانت عند منصرفه من خيبر الخلاف في أي غزوة كان وسار صلى الله عليه وسلم مسرعا بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك وفي منصرفه من تبوك قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال من هذا فقلت أبو قتادة يارسول الله خفت أن تسقط فدعمتك فقال حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك في التعريس فقلت ما شئت يارسول الله فقال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفي رواية قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله كما حفظت نبيه وهذا تقدم في منصرفه من خيبر ولا مانع من التعدد ويحتمل أن هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتأمل ثم قال صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لي احفظ علينا ميضأتك وفي رواية ازدهر بها يا أبا قتادة فسيكون لها نبأ الحديث

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى تور من ماء وهو بفتح المثناة الفوقية اناء من حجارة أو صفر يشرب فيه قيل أنه يشبه الطست فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر 154 كم كنتم قال كنا ألفا وخمسمائة وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه ففى صحيح البخارى من رواية علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سفر قيل هو الحديبية وجزم أبو نعيم بان ذلك كان فى غزوة خيبر ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء وفى رواية فجاؤا باناء فيه ماء قليل فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود رضى الله عنه فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله فى جوفى أى لطلب البركة وفى رواية قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يطلب ماء قليلا ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تأدبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير أصل ولئلا يظن بعض القاصرين انه هو الموجد للماء وللاشارة الى ان الله تعالى أجرى العادة فى الدنيا غالبا بالتسبب وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال دعا النبى ان صلى الله عليه وسلم بلالا لطلب الماء فقال بلال لا والله ما وجدت الماء فقال هل من شن فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه الدارمى وأبو نعيم ورواه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى ليلى ورواه أبو نعيم

وفى رواية ما أيقظنا الا حر الشمس فقلنا انا لله فاتنا الصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من ماء الاداوة التى هى الميضأة ففضل فضل فقال يا أبا قتادة احتفظ بما فى الاداوة واحتفظ بالركوة فان لهما شأنا فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس وفى لفظ أن عمر رضى الله عنه هو الذى أيقظ النبى صلى الله عليه وسلم بالتكبير أقول ظاهر هذه الرواية أنهم صلوا بأماكنهم ولم ينتقلوا وفى رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا عن مكانكم الذى أصابتكم فيه الغفلة وفى لفظ ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا أسرينا حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندرى ما يحدث له صلى الله عليه وسلم فى نومه أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى كما تقدم فى غزوة بنى المصطلق فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس أى من فوات صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية أن الصديق رضى الله عنه استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح قال لا ضير أو لا يضير ارتحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وهذا كالذى فيه التصريح بأن هاتين القضيتين وقعتا فى غزوة تبوك الاولى عند ذهابهم لها والثانية عند منصرفهم منها وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعض الصحابة بعد أن صلى بنا ورأى بنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا رسول الله بتفريطنا فى صلاتنا فقال أما لكم فى أسوة حسنة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الاخرى وفى فتح البارى اختلف فى تعيين هذا السفر ففى مسلم أنه كان فى رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة وفى أبى داود أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا الحديث وفى مصنف عبد الرزاق أن ذلك كان بطريق تبوك وقد اختلف العلماء هل كان ذلك نومهم عن صلاة الصبح مرة أو أكثر فجزم الاصيلى رحمه الله بأن القصة واحدة وتعقبه القاضى عياض رحمه الله بأن قصة أبى قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين وهو دليل على تعدد القصة لاختلاف مواطنها وفى الطبرانى قصة شبيهة بقصة عمران وان الذى كلأ لهم الفجر ذو مخبر قال ذو مخبر فما أيقظنى الا حر الشمس فجئت أدنى القوم فأيقظته وأيقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وفيه تأمل وتقدم عن الامتاع عن عطاء بن يسار ان ذلك كان فى تبوك وهذا الايهم والا فلا نار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة والله أعلم واستشكل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد قالت له أتنام قبل أن توتر قال تنام عينى ولا ينام قلبى وأجيب عنه بأجوبة أحسنها

أيضا من طريق القاسم بن عبد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته صلى الله عليه وسلم وبمسه لمحله وبدعوته * فمن ذلك ما تقدم ذكره فى غزوة تبوك أنه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاؤا عين تبوك 155 فوجدوها تبض بشىء من ماء مثل شراك النعل قال معاذ بن جبل الراوى لهذه القصة فغرفنا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شىء ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفى رواية فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا أى بساتين وعمرانا فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم وفى البخارى فى غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ومروان بن الحكم ان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء لم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه والثمد بفتحتين حفرة فيها ماء قليل وفى رواية للبخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم توضأ فتمضمض ودعا ومج فى بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك وفى مغازى أبى الاسود محمد بن عبد الرحمن الأسدى المدنى يتيم عروة بن الزبير عن عروة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم توضأ فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فى الدلو وأمر أن يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه فى البئر ودعا الله تعالى ففارت الى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها فجمع فى هذه الرواية بين التوضى والمج والقاء سهم من كنانته ففى رواية البخارى اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة غير القصة السابقة قريبا فى ذكر نبع الماء من بين أصابعه

أن القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ولا يدرك ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ومن الاجوبة أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب أحواله وان كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك ويكون قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أى غالبا ويكون هذا حاله دائما وأبدا اذا كان متوضأ لقولهم انه لا ينتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم بالنوم وفى جعله العين محلا للنوم نظر لان العين انما هى محل السنة ومحل النعاس الرأس ومحل النوم القلب قال الحافظ السيوطى وكون القلب محلا للنوم دون العين لا يشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبى لانه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى لفظ ارتحلوا فان هذا واديه شيطان بأنه يقتضى تسلط الشيطان على النبى صلى الله عليه وسلم لان الظاهر ان وجود الشيطان هو السبب فى النوم عن الصلاة وأجيب بأنه على تسليم ذلك فان تسليطه انما كان على من كان يحفظ الفجر بلال أو غيره ففى بعض الروايات كما تقدم أن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبى حتى نام ثم لحق صلى الله عليه وسلم بالجيش وقبل لحوقه صلى الله عليه وسلم بهم قال لاصحابه ما ترون الناس يعنى الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها عند زوال الشمس وقد كادت أعناق الخيل والركاب تقع عطشا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئنى بميضأتك فجاء بها وفيها شىء من ماء وفى رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فأفرغ ما فى الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وروّوا خيلهم وركابهم وكان فى العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس أى على ما تقدم ومن الابل خمسة عشر ألف بعير والناس ثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا وواضح ان هذه العطشة غير المتقدمة التى دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفى كلام بعضهم أنه لما حصل للقوم العطش أرسل صلى الله عليه وسلم نفرا ويقال عليا والزبير يعترضون الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم فى محل كذا على ناقة معها سقاء ماء فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشتروا منها عجوزها وأتوا بها مع الماء فلما بلغوا المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء (وفى رواية) اذا نحن بامرأة سادلة رجلها بين مزادتين فسألوها فى الماء فقالت أنا وأهلى أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت من هو رسول الله لعله الساحر وفى رواية الذى يقال له الصابئ وخير الاشياء انى لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم خلوا عنها وفى رواية قلنا لها أين الماء قالت اهاه اهاه لا ماء لكم بينكم وبين الماء مسيرة يوم وليلة ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذنين انا فى الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به فقالت شأنكم فقال

صلى الله عليه وسلم لابى قتادة هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده الشريفة فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملؤه ورووا ابلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها والميضأة هى الاداوة لانه يتوضأ منها وفى الدلائل للبيهقى فجعل فى اناء من مزادتيها ثم قال فيه ما شاء الله أن يقول زاد فى رواية ثم مضمض ثم رد الماء فى المزادتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالى ثم أمر الناس أن يملؤا آنيتهم وأسقيتهم ثم قال لها تعلمى والله ما رزأنا من مائك شيأ ولكن الله عز وجل هو الذى سقانا والعزالى جمع عزلاء والعزلاء هى التى تجعل فى فم القربة ليستنزل فيها الماء من الراوية وهى المرادة بالمزادة وهذا السياق يدل على أن هذه عطشة ثالثة لان الثانية وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وهذه وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجدوا فى الميضأة شيأ (وفى رواية) ان تلك المرأة أخبرته أنها موتمة أى لها صبيان أيتام فقال هاتوا ما عندكم فجمعنا لها من كسر وتمر وصرتها صرة ثم قال لها اذهبى فاطعمى هذا عيالك وفى رواية أيتامك وصارت تعجب بما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا قالت حبسنى أنى رأيت عجبا من العجب أرأيتم مزادتى هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا وأخذوا من القرب والمزاد المطاهر ما لا أحصى ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فلبثت شهرا عند أهلها ثم أقبلت فى ثلاثين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وأسلموا وفى مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجىء الآخر بكف من تمر ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا فى أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفى رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك فى الرجوع من غزوة الحديبية أى ولا مانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وأسقاهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر رضى الله عنهم (وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم) قال كنت فى غزوة تبوك على نحى السمن فنظرت الى النحى وقد قل ما فيه وهيأت للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما ووضعت النحى فى الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحى فقمت فأخذت رأسه بيدى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى لو تركته لسال الوادى سمنا وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال هل من عشاء فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا

صلى الله عليه وسلم مما رواه البخارى ومسلم فى المغازى من حديث جابر رضى الله عنه لانه قال فى حديثه فجعل الماء يفور من بين أصابعه وفى حديث البراء أنه صب ماء وضوئه فى البئر فالقصة متعددة فحديث جابر فى نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور والبراء كان فى تكثير ماء البئر لارادة ما هو أعم من ذلك كشرب وسقى دواب ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من بين أصابعه ويده فى الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذى بقى فى الركوة فى البئر فتكاثر الماء فيها قال فى فتح البارى وفى حديث زيد بن خالد انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضى الله عنهما مما رواه البخارى ومسلم فى قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لا تروى خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفيرها قال البراء وأتى صلى الله عليه وسلم بدلو منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قال البراء فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا وفى رواية فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفى الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قيل هو الحديبية وقيل تبوك وقيل غيرهما فاشتكى الناس اليه صلى الله عليه وسلم العطش فنزل صلى الله عليه وسلم ودعا الزبير وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين فجاءا بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ من أفواه المزادتين وأوكأ أفواههما ثم وضع يده فى الماء فجعل يفور ونودى فى الناس اسقوا واستقوا فغسلوا جربنا
والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجمعوا لها أى للمرأة أى تطييبا لخاطرها فى مقابلة حبسها فى ذلك الوقت عن السير الى قومها وما نالها من خوف أخذ مائها قال بعضهم انما أخذوها واستجازوا أخذ مائها لانها كانت حربية وعلى فرض

جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيأ فأخذ الجراب ينفضه جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت فى يده صلى الله عليه وسلم سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده الشريفة على التمرات وقال كلوا بسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها فى يدى الاخرى وصاحباى يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هى فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل شبعا فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليهن ثم قال كلوا بسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أستحيى من ربى لاكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن (وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك يحنة بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التأنيث ابن رؤبة بالموحدة صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء تأنيث أجرب بعدو بقصر قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة وأهل ميناء وأهدى يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالحه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية أى بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له صلى الله عليه وسلم ولاهل أيلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر (وكتب) صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين (وصالح صلى الله عليه وسلم) أهل ميناء على ربع ثمارهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال رأيت ونحن بتبوك شعلة من نار فى ناحية العسكر أى ضوء شمعة كما صرح به الجلال السيوطى رحمه الله حيث أجاب من سأله هل الشمع كان موجودا قبل البعثة وهل وقد عنده صلى الله عليه وسلم بأنه كان موجودا قبل البعثة فقد ذكر العسكرى رحمه الله فى الاوائل ان أول من أوقده خزيمة الابرش أى وقد تقدم وهو قبل البعثة بدهر وورد فى حديث انه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقد ألفت فى المسئلة تأليفا سميته مسامرة السموع فى ضوء الشموع قال ابن مسعود رضى الله عنه فاتبعتها أنظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات واذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه وهو يقول أدليا الى أخاكما فأدلياه اليه فلما هيأه لشقه قال اللهم قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود يا ليتنى كنت صاحب الحفرة أى والبجاد بموحدة ككتاب الكساء المخطط الغليظ لانه لم يكن لعبد الله المذكور الا بجاد واحد فشقه نصفين فاتزر بواحد

أن يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض على ان نفس الشارع صلى الله عليه وسلم تفدى بكل نفس فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيرا فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها وقال لها صلى الله عليه وسلم تعلمين ما رزأنا من مائك شيأ ولكن الله هو الذى سقانا فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا ما حبسك يا فلانة فقالت العجب أى حبسنى العجب لقينى رجلان فذهبا بى الى هذا الرجل الذى يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا وحكت لهم ما فعل ثم قالت فوالله انه لاسحر الناس كلهم أو انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذى هى منه فقالت المرأة يوما لقومها ما أرى ان هؤلاء يدعونكم الا عمدا فهل لكم رغبة فى الاسلام فأطاعوها فدخلوا فى الاسلام وتقدمت هذه القصة فى غزوة تبوك وتقدم فيها أيضا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ من ميضأة لابى قتادة رضى الله عنه وبقى فيها شئ من ماء ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أصابهم عطش شديد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا بالميضأة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب فى قدحه وأبو قتادة يسقيهم فازدحم الناس على الميضأة بمجرد رؤية الماء لشدة عطشهم فقال صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملء أى لاوانيكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ففعلوا أى تركوا الازدحام قال أبو قتادة رضى الله عنه فجعل صلى الله عليه وسلم يصب فى قدحه وأسقيهم زاد الامام أحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركائبهم وملؤا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب الماء فقال لى اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال ان ساقى القوم آخرهم شربا قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم فى الوفود عند ذكر وفد بنى فزارة انهم شكوا اليه القحط فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء عليهم سبعا حتى قالوا يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع

الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادى قناة شهرا وقناة بمنع الصرف
بدل من الوادى وهو اسم لواد معين من أودية بناحية أحد به مزارع ولم يجئ أحد من ناحية الاحدث بالجود بفتح الجيم أى المطر
الكثير وتقدم فى غزوة تبوك انهم عطشوا ١٥٨ عطشا شديدا فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء
خيرا فادع الله لنا أن يسقينا قال
أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو
السماء فلم يرجعهما حتى قالت
السماء أى غيمت وظهر فيها سحاب
فانكبت فملؤا ما معهم من آنية
ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز
العسكر وروى ابن اسحق فى
مغازيه عن عمرو بن شعيب بن
محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضى الله عنهما عن أبيه عن جده
عبد الله ان أبا طالب قال كنت
بذى المجاز وهو اسم سوق بقرب
عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية
فادركنى العطش فشكوت الى
ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه
وسلم فقلت يا ابن أخى عطشت وقلت
له ذلك وانا لا أرى عنده شيأ فثنى
وركه ثم نزل على الدابة وكان صلى
الله عليه وسلم رديفا لابى طالب
وقال يا عم عطشت فقلت نعم فاهوى
بعقبه الى الارض أى ضرب
الارض بقدمه فاذا بالماء فقال
اشرب يا عم فشربت ورواه أيضا
ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه
وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾
صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام
القليل ببركته ودعائه * روى
البخارى ومسلم وغيرهما عن جابر بن
عبد الله رضى الله عنهما فى قصة
حفر الخندق قال رأيت بالنبى صلى
الله عليه وسلم خمصا شديدا وهو
ضمور البطن من الجوع فاخرجت
جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة
بضم الباء مصغرا وهى الصغيرة من أولاد المعز وفى رواية عناق داجن أى لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير يستقوا
وفى رواية فامرت امرأتى فطحنت لنا الشعير وفى رواية عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال انا نازل ثم قام و بطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق

وارتدى بالآخر وقدم المدينة وأسلم وقرأ قرآنا كثيرا وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك خرج معه وقال
يارسول الله ادع الله لى بالشهادة فقال صلى الله عليه وسلم ائتنى بلحاء شجرة أى بقشرها فأتاه
بذلك فربطه صلى الله عليه وسلم على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار قال يارسول الله
ليس هذا ما أردت قال انك اذا أخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد فاخذته الحمى بعد الاقامة
بتبوك أياما ومات بها أى وهذا هو المشهور وروى عن الادرع الاسلمى وكان فى حرس رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة أحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل ميت فقيل
هذا عبد الله ذو البجادين توفى بالمدينة وفرغوا من جهازه وحملوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ارفقوا به رفق الله بكم فانه كان يحب الله ورسوله قال ابن الاثير وهذا حديث غريب لا يعرف الا
من هذا الوجه وتقدم (وعن الحافظ السيوطى) رحمه الله انه ذكر أنه أوقد للنبى صلى الله
عليه وسلم الشمع عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقد دل ذلك على اباحة استعماله أى الشمع ولا
بعد استعماله اسرافا مع قيام غيره من الادهان مقامه وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع
عشرة ليلة وفى سيرة الحافظ الدمياطى عشرين ليلة يصلى ركعتين ولم يجاوز تبوك و يحتاج
أئمتنا الى الجواب عن ذلك على تقدير صحته قال وقد استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى
مجاوزتها فقال له عمر رضى الله عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو أمرت بالسير لم استشركم فيه فقال يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد
من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله
أمرا وهذا تصريح بأن تبوك لم يقع بها مقاتلة ولا حصل فيها غنيمة وبه يرد ما ذكره الزمخشرى
فى فضائل العشرة أنه صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد يقسم غنائم تبوك فدفع لكل واحد
سهما ودفع لعلى كرم الله وجهه سهمين فقام زائدة بن الاكوع وقال يارسول الله أوحى نزل
من السماء أم أمر من نفسك فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله هل رأيتم فى ميمنتكم
صاحب الفرس الاغر المحجل والعمامة الخضراء بها ذؤابتان مرخاتين على كتفيه بيده حربة قد
حمل بها على الميمنة فأزالها قالوا نعم قال هو جبريل عليه السلام وانه أمرنى أن أدفع سهمه لعلى
فقال زائدة حبذا سهم مسهم وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة فيها أما بعد فان أحسن
الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عز
وجل والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر
يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ومن يصبر على الرزية يعوضه الله أستغفر الله لى ولكم
(وأهدى له صلى الله عليه وسلم) بعض أهل الكتاب جبنة فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل
ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل قليل جدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه
فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه
فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم ان

ذواقا فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل أو أهيم فقلت يارسول الله ائذن لى الى البيت فقلت لامرأتى رأيت
بالنبى صلى الله عليه وسلم شيأ ما كان فى ذلك صبر فعندك شئ قالت عندى شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم
فى البرمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم والعجين قد اختمر والبرمة بين ١٥٩ الاثافى كادت ان تنضج فقالت امرأته لا تفضحنى
برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
معه فجئته فساررته فقلت يارسول
الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من
شعير فتعال أنت ونفر معك يعنى
دون العشرة وفى رواية فقلت
طعيم لنا صنعته فقم أنت يارسول
الله ورجل أو رجلان وكنت أريد
ان ينصرف وحده قال كم هو
فذكرت له فقال كثير طيب قل لها
لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور
حتى آتى فصاح النبى صلى الله عليه
وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع
سورا فحيهلا بكم أى هلموا مسرعين
والسور الطعام الذى يدعى اليه
وفى رواية فقال قوموا فقام
المهاجرون والانصار فلما دخل
على امرأته قال ويحك جاء النبى
صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين
والانصار ومن معهم قالت هل
سألك قلت نعم وفى رواية قال
فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله
تعالى وقلت جاء الخلق على صاع
من شعير وعناق فدخلت على
امرأتى أقول افتضحت جاءك رسول
الله بالجند أجمعين فقالت هل كان
سألك كم طعامك فقلت نعم فقالت
الله ورسوله أعلم نحن أخبرناه
بما عندنا وفى رواية أنها خاصمته
فى أول الامر وقالت بك وبك فلما
اعلمها بانه اعلم به النبى صلى الله عليه
وسلم سكن ما عندها وقالت الله
ورسوله اعلم لعلمها بامكان خرق
العادة ودل ذلك على وفور عقلها
وكمال فضلها رضى الله عنها واسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم
حتى أجئ ثم جاء وفى رواية فجئت وجاء النبى صلى الله عليه وسلم يقدم الناس فاخرجت المرأة له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد
الى برمتنا فبصق فيها وبارك أى دعا بالبركة ثم قال لجابر ادع خابزة فلتخبز معى زوجتك ثم قال لها اقدحى أى اغرفى من برمتكم ولا تنزلوها

يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل
فصار يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه ومسح بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما شاء أن يدعو به فانخرق من الماء وكان له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا
حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا
الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أى وهذا خلاف عين تبوك الذى تقدم له صلى الله
عليه وسلم فيها ما يشبه هذا وقوله لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ههنا ملئ جنانا
الى آخره لان تلك العين كانت بتبوك وهذا عند منصرفه من تبوك قال واجتمع رأى من كان
معه صلى الله عليه وسلم من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر
رجلا على أن ينكثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا
اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش
العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن
يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس
بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا
وسلكوا العقبة وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضى الله عنه أن يأخذ بزمام الناقة
يقودها وأمر صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفى
الدلائل عن حذيفة قال كنت ليلة العقبة آخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود
به وعمار بن ياسر يسوقه أو أنا أسوقه وعمار يقوده أى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم
فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب به
وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية أنه صلى الله عليه
وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به
فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان
القوم ملثمين والليلة مظلمة وعن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه أنه كان يقول لما سقط
متاع النبى صلى الله عليه وسلم وأردت جمعه نورلى فى أصابعى الخمس فأضاءت حتى جمعت ما سقط
حتى ما بقى من المتاع شئ وفى لفظ أن حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وراحلة
فلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا ليسيروا معى فى العقبة
فيزحمونى فيطرحونى منها ان الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبركما بهم واكتماهم فلما أصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يارسول الله ما منعك البارحة من
سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة
فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا فان

وهم أى القوم الذين جاؤا معه ألف وأقعدهم عشرة عشرة يأكلون فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا أى مالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط أى تغلى وتفور كما هى وأن عجيننا ليخبز كما هو وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقى بقية قال كلى هذا وأهدى فان الناس أصابتهم مجاعة وفى رواية فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كان فقال كلى وأهدى فلم نزل نأكل ونهدى يومنا أجمع وفى رواية فأكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وصريح هذا أن الذى باشر الغرف النبى صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها الدال على أن مباشر ذلك المرأة ويمكن الجمع بينهما فانها كانت تساعده فى الغرف وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وهو زوج أم أنس لام سليم رضى الله عنها وهى أم أنس رضى الله عنهما لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع وفى رواية لمسلم قال أبو طلحة جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت قالوا من الجوع وفى رواية للامام أحمد أن أبا طلحة رأى النبى صلى الله عليه وسلم طاويا فدخل على أم سليم فقال هل عندك من شئ يأكله النبى صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى أى تحت ابطى ولاثتنى أى ببعض الخمار أى ادارت بعض الخمار على رأسه كالعمامة ثم أرسلتنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس فسلمت عليه وفى رواية فقمت عليهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أأرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام أى لأجله قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من أصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون أو ثمانون رجلا وانطلقت بين أيديهم ولأبى نعيم أخذ صلى الله عليه وسلم بيدى فشدها

أحببت بأسمائهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال صلى الله عليه وسلم انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون الشهادة ثم جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية وأنزل الله تعالى وهموا بما لم ينالوا ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهى سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم انتهى أى وفى لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلكه وفى الامتاع ان النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صلى الى نخلة فجاء شخص فمر بينه وبين تلك النخلة بنفسه وفى رواية وهو على حمار فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله أثره فصار مقعدا وكان يقال لحذيفة رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوحى اليه وراحلته باركة فقامت تجر زمامها فلقيتها فأخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنختها ثم جلست عندها حتى قام النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته بها فقال من هذا قلت حذيفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى مسر اليك سرا فلا تذكرنه انى نهيت ان أصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته اذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة رضى الله تعالى عنه فقاده الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر رضى الله عنه وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافه ان بالمدينة لاقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان محل بينه وبين المدينة ساعة من نهار أى وقال البكرى أظن أن الراء سقطت من بين الهمزة والواو أى أروان منسوب الى البئر المشهورة وحين نزل صلى الله عليه وسلم أتاه خبر مسجد الضرار فأنزل الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية أى لاضرار أهل قباء أى وذلك أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم اخوتهم بنو غنم ابن عوف وقالوا نصلى فى مربط حمار لا لعمر الله أى لانه كان لامرأة كانت تربط فيه حمارها ولكننا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على اخواننا وكان المسلمون فى تلك الناحية كلهم يصلى فى مسجد قباء جماعة فلما بنى هذا المسجد انصرف عن مسجد قباء جماعة وصلوا بذلك المسجد فكان به تفريق للمؤمنين فكانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبى صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن به أى ويقال ان أبا عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم فاسقا هو الآمر لهم ببنائه فقال لهم ابنوا الى مسجدا واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة وأنهم لما

فرغوا

ثم أقبل بأصحابه حتى اذا دنوا أرسل يدى فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه حتى جئت أبا طلحة فأخبرته بمجيئهم قال يا أنس فضحتنا وللطبرانى فجعل يرمينى بالحجارة ثم قال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم أى قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله أعلم كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدا ليظهر المعجزة فى تكثير الطعام ودل ذلك على فضل أم سليم رضى الله عنها ورجحان عقلها فانطلق أبو طلحة حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه حتى دخل على أم سليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمى يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز الذى كانت ارسلته مع أنس رضى الله عنه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت أى كسر وعصرت أم سليم عكة وفى رواية فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان فى العكة شئ فجاء بها فعصراها حتى خرج ثم مسح صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال باسم الله فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته فى الجفنة يتسع فأدمته أى صيرت ما خرج من العكة اداما له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء أن يقول وفى رواية للامام أحمد فقال باسم الله وفى مسلم فمسحها ودعا فيها بالبركة وفى رواية للامام أحمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال باسم الله اللهم أعظم فيها البركة ثم قال ائذن لعشرة أى بالدخول لانه أرفق ثم العشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أى بقية وفى مسلم وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا ولأبى نعيم حتى أهدت أم سليم لجيرانها وهذه القصة قيل انها جرت أيام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذى أعده النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة فى غزوة الخندق ووقع فى هذه القصة اختلاف فى الالفاظ فى روايات كثيرة وفى بعضها أنهم صنعوا له صلى

فرغوا من بنائهم أرسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم ويصلى فيه كما صلى فى مسجد قباء فهم أن يأتيهم فأنزل الله تعالى الآية وفى رواية أتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة قال انى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل من السفر وسألوه اتيان المسجد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء فأمر جماعة منهم وحشى قاتل حمزة رضى الله عنهم وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه على أصحابه ففعل به ذلك قال وكان ذلك بين المغرب والعشاء ووصل الهدم الى الارض وأعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن أرقم رضى الله عنه يجعله بيتا فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط وحفرت به بقعة تخرج منها الدخان ولعل هذا أى جعله بيتا كان بعد أن أمر صلى الله عليه وسلم أن يتخذ محلا لالقاء الكناسة والجيفة وفى الكشاف أن مجمع بن حارثة كان امامهم فى مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته أن يأذن لمجمع بن حارثة أن يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أنى لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بهم ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة أسكننيها ربى تنفى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد ولما رأى صلى الله عليه وسلم جبل أحد قال هذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتقدم ما فى ذلك فى غزوة أحد وعن عائشة رضى الله عنها ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تلقاه النساء والصبيان يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

قال البيهقى رحمه الله وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لا انه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فاعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه انتهى أى وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا غزوة تبوك جهد الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك ورآهم يسوقونه فوقف صلى الله عليه وسلم فى مضيق والناس يمرون فيه فنفخ فى الظهر وقال اللهم احمل عليها فى سبيلك فانك تحمل على القوى والضعيف والرطب واليابس فى البر والبحر فزال ما بها من الاعياء وما دخلنا الا وهى تنازعنا أزمتها وجاء أن حية عارضتهم فى الطريق عظيمة الخلقة فانحاز الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله

أ‌لم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى يستمعون القرآن أى نخلة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وتقدم الكلام عليه فرأى عليه من الحق حين ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلده أن يسلم عليه وها هو يقرئكم السلام فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا بضعة وثمانين رجلا وتخلف عنه أيضا كعب بن مالك وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانا من الاوس فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علانيتهم ووكل سرائرهم الى الله واستغفر لهم وأما الثلاثة فعن كعب بن مالك الخزرجي رضى الله عنه أنه قال لما جئته صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه تبسم تبسم الغضب وقال لى تعال فجئت حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك فصدقته وقلت والله ما كان لى من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك وفى رواية قلت يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا رأيت أن سأخرج من سخطه بعذره ولقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخط على فيه ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك وقال الرجلان الآخران وهما مرارة ابن الربيع وهلال بن أمية وكانا ممن شهد بدرا وهما من الاوس مثل قول كعب فقال لهما صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لكعب ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس فاما الرجلان فكنا فى بيوتهما يبكيان وأما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف بالاسواق فلا يكلمه أحد منهم قال ولما طال ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه والله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فسكت فعدت اليه فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار قال وبينما أنا أمشى بسوق المدينة اذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلنى على كعب بن مالك فطفق أى جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان أى وهو الحرث بن أبى شمر أو جبلة بن الايهم وكان الكتاب ملفوفا فى قطعة من الحرير فاذا فيه أما بعد فانه بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فيممت أى قصدت به التنور فسجرته بها أى ألقيته فيها أى والانباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين قال حتى اذا مضت أربعون ليلة جاءنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى صاحبى أى وهما هلال بن أمية ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره

الله عليه وسلم عصيدة وهو محمول على تعدد القصة وتكرر ذلك وتقدم فى غزوة الحديبية وفى غزوة تبوك أيضا أن الصحابة أصابتهم مجاعة فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى نحر بعض ظهورهم فاذن فقال عمر رضى الله عنه يا نبى الله لو أمرتهم ان يجمعوا افضل أزوادهم ثم تدعو الله لهم بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فأمرهم بجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا اناء الا ملؤه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش الاسدية رضى الله عنها فقالت لى أمى أم سليم لو أهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلى فعمدت الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور وهو اناء من صفر أو حجارة وفى رواية للبخارى فى برمة فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه أى التور ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله قيل لانس كم كان عددكم قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا كلهم حتى شبعوا ثم قال لى يا أنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال ان أم مالك الانصارية كانت تهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمنا ان فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى الذى كانت تهدى فيه للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بنيها حتى عصرته فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أعصرتيها فقالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما وروى ابن أبى عاصم

أن أخدمه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن لا يقربك قالت والله انه ما به حركة الى شئ والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى قال فى النور الظاهر ان القائل له امرأة لان النساء لم يدخلن فى النهى لان فى الحديث ونهى المسلمين وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء فدل على أن المراد الرجال قالت لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن أى أعلم بتوبة الله علينا فلما جاءنى الرجل الذى سمعت صوته يبشرنى أى وهو حمزة ابن عمر والاوسى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله لا أملك غيرهما يومئذ واستعرت أى من أبى قتادة رضى الله عنه ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا أى جماعة جماعة يهنؤنى بالتوبة يقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة أى لانه صلى الله عليه وسلم كان آخى بينهما حين قدم المدينة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر فلما جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله فقلت يا رسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك أى وكان المبشر لهلال بن أمية أسعد بن أسد وكان المبشر لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة أو سلامة بن وقش أى وفى البخارى عن كعب رضى الله عنه فأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة رضى الله عنها محسنة فى شأنى معينة فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أعلم بتوبة الله علينا وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين وقال فى حق من اعتذر له صلى الله عليه وسلم سيحلفون بالله لكم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين واستشكل نزول الوحى بالقرآن فى بيت أم سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم فى حق عائشة رضى الله عنها ما نزل على الوحى فى فراش امرأة غيرها وأجاب بعضهم بأنه يجوز أن يكون ما تقدم فى حق عائشة كان قبل هذه القصة أو أن الذى خصت به عائشة رضى الله تعالى عنها نزول الوحى فى خصوص الفراش لا فى

وابن أبى خيثمة عن أم مالك الانصارية أنها جاءت بعكة سمن الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بلالا بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة فجاءت فقالت انزل فى شئ قال وما ذاك قالت رددت على هديتى فدعا بلالا فسأله فقال والذى بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك هذه بركة يا أم مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها أن تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وأخرج الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أمه رضى الله عنها قالت كانت لى شاة فجعلت من سمنها فى عكة فبعثت بها مع زينب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمنا فقالت يا زينب ألست امرتك أن تبلغى هذه العكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها قالت قد فعلت ان لم تصدقينى فتعالى معى فذهبت معها الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال جاءت بها فقالت والذى بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمنا تقطر فقال أتعجبين يا أم سليم ان الله أطعمك وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه أى أعطاه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لو لم تكله لاكلتم منه أى دائما ولقام بكم أى مدة حياتكم من غير نقص وهذا الرجل قال بعضهم هو جد سعيد ابن الحرث استعان بالنبى صلى الله عليه وسلم فى انكاحه فأنكحه امرأة فالتمس صلى الله عليه وسلم ما يسأله فلم يجد فبعث أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهنها عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه صلى الله عليه وسلم اليه قال فأطعمنا منه وأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلنا فوجدناه كما أدخلناه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم والحكمة فى ذهاب السمن حين عصرت أم مالك العكة واعدام الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ويتضمن

التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي في شرح مسلم وقيل انما
كان ذلك لافشائه سرا من أسرار الله ينبغي كتمه ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لانه فيمن

للنفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط بقاء الباقي مجهولا

البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية قال كانوا
عشرة أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله
عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد منهم أبو لبابة فلما مر بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من هؤلاء قالوا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال صلى
الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني
وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي
يطلقنا فأنزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية فعند ذلك أطلقهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعذرهم فجاؤا بأموالهم وقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا
فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ أموالكم فأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة
تطهرهم الى قوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الذين لم يربطوا
أنفسهم بالسواري وتقدم أن أبا لبابة رضي الله عنه ربط نفسه ببعض سواري المسجد في قصة
بني قريظة وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه وقد ذكره ابن اسحق فليتأمل ذلك ولما قدم
صلى الله عليه وسلم من تبوك وجد عويمر العجلاني رضي الله عنه امرأته حبلى أي وهي خولة
بنت عمه قيس فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم أي في المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك
ابن سحماء ابن عمه وقال وجدته على بطنها واني ما قربتها منذ أربعة أشهر فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عويمرا وقال له اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله
أقسم بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ أربعة أشهر ودعا صلى الله عليه وسلم
بالمرأة التي هي خولة وقال لها اتقي الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا
رجل غيور وانه يأتي وشريكا يطيل السهر ويتحدث حملته الغيرة على أن قال ما قال فدعا شريكا
وقال له ما تقول فقال مثل قول المرأة فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم
شهداء الا أنفسهم الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بالصلاة جامعة فلما صلى
العصر أي وقد نودي بذلك واجتمع الناس قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قم فقام وقال أشهد بالله
ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني
لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة
أشهد بالله اني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله
على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال لخولة
قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا زانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد
بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله اني لحبلى منه وانه
لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت
في الخامسة ان غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينهما أي قال له لا سبيل لك عليها وهو دليل لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه

القائل

يخشى الخيانة أو كيلوا ما تخرجونه
أو كيلوا عند الشراء أو ادخاله
المنزل وروى الترمذي وشيخه
الدارمي عن سمرة بن جندب
رضي الله عنهما قال كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم نتداول
من قصعة فيها لحم من غدوة حتى
الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة
قلنا فما كانت تمد أي شئ كانت
تزاد به قال من أي شئ تعجب ما كانت
تمد الا من ههنا وأشار بيده الى
السماء والمراد من احسان الله
معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي
رواية عن سمرة أيضا رواها
الترمذي والدارمي وابن أبي شيبة
والحاكم والبيهقي وأبو نعيم قال أتى
النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها
لحم فتعاقبوها أي قعد عليها عشرة
بعد عشرة من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون فقال
رجل لسمرة هل كانت تمد فقال
ما كانت تمد الا من ههنا وأشار
بيده الى السماء وروى الامام أحمد
والترمذي والنسائي عن سمرة أيضا
رضي الله عنه نحو ذلك وروى
البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن
أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام
فاذا مع رجل صاع من طعام
أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك
مشعان أي ثائر الرأس شعثه طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أبيعا أم عطية أو قال أم هبة قال لا بل بيع فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى وايم الله
ما في الثلاثين ومائة الا وقد حز له النبي صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا أعطاه اياه وان كان غائبا خبأ له فجعل منها
قصعتين فأكلوا أجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهرة وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من

الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل وروى الامام أحمد والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال
لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب أي بمكة في ابتداء البعثة وكانوا أربعين
رجلا منهم جماعة الواحد منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق وهو اناء يسع اثني عشر صاعا وذلك ستة عشر رطلا فصنع لهم

القائل ان الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن وما جاء في بعض الروايات انه طلقها ثلاثا
قبل أن يأمره صلى الله عليه وسلم أي بعدم الاجتماع بها فهو محمول على أنه ظن ان التلاعن
لا يحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق فقال هي طالق ثلاثا ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم
عقب ذلك لا سبيل لك عليها أي لا ملك لك عليها فلا يقع طلاقك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان جاء
الولد على صفة كذا فعويمر صادق وان جاء على صفة كذا فعويمر كاذب فجاء على الصفة التي
تصدق عويمرا فكان الولد ينسب الى أمه وفي البخاري أن عويمرا أتى عاصم بن عدي وكان
سيد بني عجلان فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف
يصنع سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فكره
النبي صلى الله عليه وسلم تلك المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأله عويمر فقال له عاصم لم تأتني بخير فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة
وعابها أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره المسئلة التي لا يحتاج اليها أي التي لم تكن وقعت
لا سيما ان كان فيها هتك ستر مسلم أو مسلمة قال فعويمر رضي الله عنه لم يكن وقع له مثل ذلك
حينئذ ثم تفق له وقوع ذلك بعد فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فجاءه عويمر وهو وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته
رجلا ان تكلم جلدتموه وان قتله قتلتموه أو سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قد أنزل
الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فائت بها أي وذلك بعد أن ذكر له عويمر قصته وفي رواية
قد قضي فيك وفي امرأتك فتلاعنا وفيه أن هلال بن أمية أحد المتخلفين عن تبوك قذف
امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء أي وكانت حاملا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم البينة زاد في رواية أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا
يتكلف يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول والا حد في ظهرك فقال هلال
والذي بعثك بالحق اني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام أي بعد أن قال صلى الله عليه وسلم اللهم افتح أي بين لنا الحكم وأنزل الله تعالى والذين
يرمون أزواجهم فأرسل صلى الله عليه وسلم الى المرأة فجاءت وتلاعنا وعند الخامسة تلكأت
ونكصت حتى ظن انها ترجع أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لها انها أي اللعنة موجبة أي للعذاب
في الآخرة وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ثم قالت والله لا أفضح قومي سائر الايام
وقالتها أي الخامسة أي وقال صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا فهو لهلال وان جاءت به كذا فهو
لشريك فجاءت به على الوصف الذي ذكر أنه يكون لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا ما سبق
من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن وجمهور العلماء على أن سبب نزول آية اللعان قصة هلال
ابن أمية وانه أول لعان وقع في الاسلام وذهب جمع الى أن سبب نزولها قصة عويمر العجلاني
لقوله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا واجيب بان معناه ما نزل في قصة
هلال لان ذلك عام في جميع الناس قال الامام النووي رحمه الله ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعا

مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو ثم دعا بعس من لبن
والعس قدح من خشب يروي
الثلاثة والاربعة فشربوا منه
حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب
منه فلما أراد صلى الله عليه وسلم
أن يتكلم قال أبو لهب سحركم
محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان
الغد أعاد لهم ذلك فكان مثل
ذلك فأعاد ذلك ثالثا ثم دعاهم الى
الله وحذرهم عقابه فقال أبو لهب
تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا
أبي لهب الى آخر السورة وروى
ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
أمرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن أدعو أهل الصفة لطعام
يأكلونه عنده فتتبعتهم حتى
جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة
فيها طعام فأكلنا ما شئنا وفرغنا
وهي مثلها حين وضعت أي
لم تنقص شيأ الا أن فيها أثر الاصابع
قال أبو نعيم في الحلية كان أهل
الصفة نيفا ومائة وفي عوارف
المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة
(وروى الطبراني) والبيهقي عن
أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه
أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابي بكر رضي الله عنه حين
قدما المدينة في الهجرة من الطعام
زهاء ما يكفيهما أي طعاما يكفي
رجلين فقط فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه أي شبعوا وتركوا الطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا
حتى تركوا وما خرج أحد منهم حتى اسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه
بهم قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة وثمانين والا فالذين دعاهم

مائة وستون وخص النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الانصار ليتألفهم وليشهدوا تلك المعجزة فيسلموا او ينصروه وقد كان ذلك وسماهم
أنصار الله صلى الله عليه وسلم بأنهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك (وروى ابن سعد) عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن على زين
العابدين رضى الله عنهم أن فاطمة الزهراء ١٦٦ رضى الله عنها طبخت قدر الغدائهما ووجهت عليا رضى الله عنه الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها صلى الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له وامها ولعلى رضى الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها تفيض أى لكثرة ما فيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم فأكلت فاطمة رضى الله عنها ما شاء الله (وروى أبوداود) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يزود أربعمائة راكب من احمس من تمر كان في علية فقال يارسول الله ماهى الا آصوع أى ليس ذلك التمر يكفى هؤلاء القوم لقلته قال اذهب وافعل ما آمرك به أى ولا تبال بقلة التمر فذهب فزودهم منه وكان التمر قدر الفصيل أى ولد الناقة الصغير الرابض فبقى أى بحاله بعدما أعطاهم لم ينقص منه شيء ورواه البيهقى بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا انه قال أربعمائة راكب من مزينة فيحتمل تعدد القصة أو أنه كان بعضهم من احمس وبعضهم من مزينة (وروى البخارى) حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما في قصة قضاء دين أبيه لما استشهد يوم أحد وعليه دين اراد أداءه لغرمائه وكان قد بذل لغرماء أبيه اصل ماله أى بستانه ونخلا كان يتقوت منه فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهودا فلم يرضوا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان أمره بجذ الثمار على
وجعلها بيادر في أصولها أى جعلها كوما كوما في أصول النخل فمشى صلى الله عليه وسلم في أرضها ودعا الله تعالى أن يبارك فيها فنمت
وزادت فأوفى منها جابر الغرماء وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال

فلما اهماسألا فى وقتين متقاربين أى وقال صلى الله عليه وسلم فى كل اللهم افتح ونزلت هذه الآية فيهما وسبق هلال باللعان فكان أول من لاعن وفى مسلم أن سعد بن عبادة قال يارسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال سعد بلى والذى أكرمك بالحق وفى رواية كلا والذى بعثك بالحق ان كنت لاعاجله بالسيف وفى لفظ لضربته بالسيف من غير صفح أى بل أضربه بحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا الى ما يقول سيدكم وليس ذلك من سعد رضى الله تعالى عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو اخبار عن حاله ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انه لغيور وأنا أغير منه والله أغير منى فأخبر صلى الله عليه وسلم عن سعد بأنه غيور وأنه صلى الله عليه وسلم أغير منه وان الله أغير منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء فى الحديث لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة ليكثر سؤال العباد اياها والثناء منهم عليه وفى تفسير الفخر الرازى رحمه الله لا شخص أغير من الله وبه استدل على جواز اطلاق الشخص على الله تعالى وفى الحلية لابى نعيم رحمه الله عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أرأيت لو وجدت مع أم رومان رجلا ما كنت صانعا قال كنت فاعلا به شرا ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عمر أرأيت لو وجدت رجلا أى مع زوجتك ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقرأ صلى الله عليه وسلم والذين يرمون أزواجهم الآية وفى الام لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه أن رجلا من أهل الشام وجد مع امرأته رجلا فقتله فرفع الامر الى معاوية رضى الله تعالى عنه فاشكل على معاوية القضاء فيها فكتب معاوية الى أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه أن يسأل عن ذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاستخبر على أبا موسى عن القصة فاخبره أبو موسى ان معاوية كتب اليه فى ذلك فقال على كرم الله وجهه أنا أبو الحسن ان لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته وفى الخصائص الكبرى ان فى غزوة تبوك اجتمع صلى الله عليه وسلم بالياس فعن أنس رضى الله تعالى عنه سمعنا صوتا يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ما هذا الصوت قال أنس رضى الله تعالى عنه فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآنى قال أنت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه واقرأه السلام وقل له أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء صلى الله عليه وسلم يمشى وأنا معه حتى اذا كنت منه قريبا تقدم النبى صلى الله عليه وسلم وتأخرت أنا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شئ شبه السفرة ودعانى فأكلت معهما قليلا فاذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وأنا انظر الى بياض ثوبه فيها قال الحافظ ابن كثير هذا حديث موضوع مخالف للاحاديث الصحاح من وجوه واطال فى بيان ذلك والعجب من الحاكم كيف يستدركه

النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما أى ليسرا بذلك ويزدادا ايمانا وروى البيهقى والترمذى عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال أصاب الناس مخمصة أى جوع زاد فى رواية فى بعض غزواته صلى الله عليه وسلم وفى أخرى انها غزوة تبوك
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر فى المزود ١٦٧ قال فأتنى به فقبض قبضة جاء فى رواية انها
بضع عشرة تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لى عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لى خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت أهلى ومن أردت اطعامه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما الى ان قتل عثمان رضى الله عنه فانتهب منى فذهب وانما قال له خذ ما جئت به لانه بقى بعد أكلهم ما جاء به كحاله فأمره برده الى محله وأن يأخذ منه كل ما أراد وفى رواية الترمذى فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله أى جعلته محمولا معى فى اسفارى وأنا غاز فى سبيل الله وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان أبا هريرة رضى الله عنه اصابه الجوع مرة فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم أى طلب منه ان يتبعه فتبعه فوجد صلى الله عليه وسلم فى بيته لبنا فى قدح قد أهدى اليه صلى الله عليه وسلم فامر أبا هريرة رضى الله عنه ان يدعو أهل الصفة قال فقلت ما موقع هذا اللبن منهم أى ما مقداره القليل كاف منهم كنت أحق به منهم لشدة جوعى ولا بد من امتثال أمر النبى صلى الله
عليه وسلم فدعوتهم اليه صلى الله عليه وسلم فامرنى أن أسقيهم فجعلت أعطى الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر
حتى روى جميعهم قال أبو هريرة رضى الله عنه فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال
اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة

لى الصحيحين وهذا مما يستدرك به على الحاكم وفى النور لم يجئ فى حديث صحيح اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالياس وفى الجامع الصغير الياس أخو الخضر وفى تفسير البغوى أربعة من الانبياء أحياء الى يوم البعث اثنان فى الارض وهما الخضر والياس أى والياس فى البر والخضر فى البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذى القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام وعن ابن اسحق الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل أى وقد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم أنهما اخوان لجواز أن يكونا أخوين لام قال الحافظ ابن كثير رحمه الله لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس أن الخضر عليه الصلاة والسلام اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم من الايام ولو كان حيا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله اجتماعه به صلى الله عليه وسلم وفى الخصائص الكبرى عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال خرجت ليلة مع النبى صلى الله عليه وسلم أحمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم أعنى على ما ينجينى مما خوفتنى منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس ضع الطهور وائت هذا فقل له ادع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه الله على ما بعثه به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به من الحق فأتيته فقلت له فقال مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كنت أحق أن آتيه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له أخوك الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الله فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلنى من هذه الامة المرحومة المتاب عليها قال بعضهم وهذا حديث واه منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر عليه السلام نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قال السيوطى فى اللآلئ قلت قد أخرج هذا الحديث الطبرانى فى الاوسط وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى الاصابة قد جاء من وجهين وفى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء عليهم الصلاة والسلام الا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما السلام والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر والحقيقة الحكم بالباطن وقد نص العلماء على ان غالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الامور وحقائقها ومن ثم أنكر موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر صلى الله عليه وسلم فى قتله الغلام بقوله لقد جئت شيأ نكرا فقال له الخضر عليه السلام وما فعلته عن أمرى ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام انى على علم من عند الله لا ينبغى لك أن تعلمه أى تعمل به لانك لست مأمورا بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغى لى أن أعلمه أى لا ينبغى لى ان أعمل به لانى لست مأمورا بالعمل به وفى تفسير أبى حيان والجمهور على ان الخضر نبى وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت اليه أى ليعمل بها وعلم موسى عليه السلام الحكم بالظاهر أى دون الحكم بالباطن ونبينا صلى الله عليه وسلم حكم بالظاهر فى أغلب أحواله وحكم بالباطن أى فى بعضها بدليل قتله صلى الله عليه وسلم للسارق وللمصلى لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل وقد ذكر بعض السلف رحمه الله ان الخضر الى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وان

وروى البيهقى من حديث خالدبن عبد العزى وهو خالدبن حزام بن خويلدبن أسدبن عبد العزى بن قصى اسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات فى الطريق وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وأخو حكيم بن حزام رضى الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فربه النبى صلى الله عليه وسلم مرة فاعطى النبى صلى الله عليه وسلم شاة لذبحها وأكلها ضيافة منه له وكان عيال خالد كثيرا مايذبح الشاة لاجلهم فلا تكفيهم عظما اعظما لكثرتهم فاكل النبى صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة وجعل فضلتها فى دلو لخالد ودعا له بالبركة وفى رواية أنه قال اللهم بارك لابى خناش نثر ذلك لعياله فاكلوا وأفضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه قال القاضى عياض فى الشفاء وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة أى نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته فى الصحيح أى من الاحاديث وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لايعد بعدهم وأكثرها فى قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن أن يسكت من حضرها على ما أنكره ويلتحق بهذا ماذكره فى الشفاء مما أخرجه البيهقى وابن سعد وابن عدى عن سعد مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنهم كانوا فى غزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلثمائة فنزلوا على غيرماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبى صلى الله عليه وسلم أى أمر بحلبها فأروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ثم قال صلى الله عليه وسلم يارافع مولاه أملكها وما أراك مالكها فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت أى انحل وثاقها وغابت وفى رواية قال رافع ثم قمت فى بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارافع ذهب بها الذى جاء بها (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم روى البيهقى فى الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها

الذين يموتون فجأة هو الذى يقتلهم فان صح ذلك فهو فى هذه الامة بطريق النيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام صار من أتباعه صلى الله عليه وسلم كما ان عيسى عليه السلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لانه من اتباعه وفيه أن عيسى عليه السلام اجتمع به صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا ببيت المقدس فهو صحابى وجاء فى حديث مطعون فيه أى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الخضر والياس عليهما السلام يجتمعان فى كل عام أى فى الموسم ويحلق كل منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لايسوق الخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله مايكون من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من قالها حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات عوفى من السرق والحرق والغرق ومن السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب وعن على كرم الله وجهه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة الى باب الاسباط والله أعلم

باب سرايا صلى الله عليه وسلم وبعوثه

لايخفى أن ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غزوة وما خلا عنه صلى الله عليه وسلم يقال له سرية ان كان طائفة اثنين فأكثر فان كان واحدا قيل له بعث وربما سموا بعض السرايا غزوة كما فى موتة حيث قالوا غزوة موتة وكما فى سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطى فى الخصائص بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية وهو فى الاصل كثير وربما سموا الاثنين فأكثر بعثا ومنه قول الاصل كالبخارى بعث الرجيع وظاهر كلامهم انه لا فرق فى ذلك بين أن يكون ارسال ذلك لقتال أو لغيره قال كتجسس الاخبار أو لتعليمهم الشرائع كما فى بئر معونة والرجيع أو للتجارة كما فى سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقيه بنو فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم كما سيأتى والسرية فى الاصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود اليه خرجت ليلا أو نهارا وقيل السرية هى التى تخرج ليلا والسارية هى التى تخرج نهارا وهى من مائة الى خمسمائة وقيل الى اربعمائة أى وفى القاموس السرية من خمسة أنفس الى ثلثمائة أو أربعمائة وعليه فما دون ذلك لا يقال له سرية فما زاد على الثلثمائة أو الاربعمائة الى ثمانمائة يقال له منسر بالنون فان زاد على ذلك الى أربعة آلاف قيل له جيش أى وقيل الجيش من ألف الى أربعة آلاف فان زاد على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار أى الى اثنى عشر ألفا والبعث فى الاصل الطائفة تخرج من السرية ثم تعود اليها وهو من عشرة الى أربعين يقال له خفيرة ومن أربعين الى ثلثمائة يقال له مقنب ومازاد على ذلك يسمى جمرة قال بعضهم والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما هزم قوم بلغوا اثنى عشر ألفا من قلة اذا صدقوا وصبروا أى فلا يرد انهزام لقدر المذكور يوم حنين قال فى الاصل وكانت سراياه

فأراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يافلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعى فقالت لا والله يارسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا لى من الدنيا وهذه القصة أوردها القاضى عياض فى الشفاء بلفظ وعن الحسن أى البصرى أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له فى واد كذا فانطلق معه الى الوادى وناداها باسمها يافلانة احيى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما وروى ابن عدى وابن أبى الدنيا والبيهقى وأبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال كنا فى الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أى أنسا بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال يا أنس ائت أمه فأعلمها قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فاخذت بهما ثم قالت مات ابنى فقلنا نعم فقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت اليك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وخرجت اليك رغبة اللهم لا تشمت بى عبدة الاوثان ولا تحملنى فى هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبى صلى الله عليه وسلم وهلكت أمه وهذا وان كان كرامة لأمه فانما أعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها فى دينه وكل كرامة أولى فهى معجزة لنبيه ورووى الطبرى والخطيب البغدادى وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام بها ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت ربى عز وجل فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها الى الموتى وكذا روى من حديث عائشة رضى الله عنها احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك فى أول السيرة مستوفى فارجع اليه ان شئت ومما يلحق بذلك مارواه ابن أبى الدنيا وابن منده

صلى الله عليه وسلم التى بعث بها سبعا وأربعين سرية وهو فى ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب قال الشمس الشامى والذى وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين اهـ أى وكان صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا والوليد الصبى أى مالم يقاتل كالنساء والا فاقتلوا وفى رواية لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة وهذا عند العمد فلا ينافى انه يجوز الاغارة على المشركين ليلا وان لزم على ذلك قتل الصبيان والنساء والشيوخ فقد روى الشيخان سئل صلى الله عليه وسلم عن المشركين يبيتون أى يغار عليهم ليلا فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ولا سمع ولا طاعة فى معصية الله وكان صلى الله عليه وسلم يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا ويقول والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم ان يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أن اقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ومن جملة وصيته صلى الله عليه وسلم ان يوليه على سرية واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم أدعهم الى الاسلام فان هم أبوا فاسألهم الجزية فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم للسرايا بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى رضى الله تعالى عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا

سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فى ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الانصار وفيه نظر لانه صلى الله عليه وسلم لم يبعث من الانصار الا بعد أن غزا بهم بدرا أى وذلك فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض وهو أول لواء عقد فى الاسلام حمله أبو مرثد بفتح الميم واسكان الراء ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضى الله تعالى عنه ليعترض عير القريش جاءت من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل لعنه الله فى ثلثمائة رجل وقيل فى مائة وثلاثين فسار رضى الله تعالى عنه الى أن وصل سيف البحر أى بكسر السين المهملة واسكان المثناة تحت ثم فاء ساحله من ناحية العيص أرض من جهينة فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفا للفريقين فأطاعوه وانصرفوا ولم يقع بينهم قتال ولما عاد حمزة رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر أى بان مجديا حجز بينهم وأنهم رأوا منه نصفة قال صلى الله عليه وسلم فى مجدى انه ميمون النقيبة أى مبارك النفس مبارك الامر وقال سعيد أو رشيد الامر أى أموره ناجحة ولم يقع له اسلام أى وفى الامتاع وقدم رهط مجدى على النبى صلى الله عليه وسلم فكساهم

﴿سرية عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عبيدة بن الحرث رضى الله تعالى عنه فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين منهم سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة رضى الله تعالى عنه ليعترض عير القريش وكان رئيسهم أبا سفيان وقيل عكرمة بن أبى جهل وقيل مكرز بن حفص فى مائتى رجل فوافوا العير ببطن رابغ أى ويقال له ودان فلم يكن بينهم الا المناوشة برمى السهام أى فلم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وكان أول من رمى من المسلمين سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه فكان سهمه أول سهم رمى به فى الاسلام أى كما ان سيف الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه أول سيف سل فى الاسلام ففى كلام ابن الجوزى أول من سل سيفا فى سبيل الله الزبير بن العوام وقد ذكر أن سعدا رضى الله تعالى عنه تقدم أصحابه ونثر كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة أى لو رمى به لصدق رميه وشدة ساعده رضى الله تعالى عنه ثم انصرف الفريقان فان المشركين ظنوا أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو أى الذى يقال له ابن الاسود وعيينة بن غزوان فانهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم الى المسلمين فعلم ان سرية عبيدة بن الحرث رضى الله تعالى عنه بعد سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه وقيل بل هى قبلها وكلام الاصل يشعر به ويؤيده قول ابن اسحق كانت راية عبيدة بن الحرث فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام قال بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف ان بعث حمزة وبعث عبيدة رضى الله تعالى عنهما كانا معا أى فى يوم واحد فى محل واحد أى وشيعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا كما فى ذخائر العقبى فاشتبه الامر فمن قائل يقول ان راية حمزة رضى الله تعالى عنه أول راية عقدت فى الاسلام وان بعثه أول البعوث ومن قائل يقول ان راية عبيدة رضى الله تعالى عنه أول راية عقدت فى الاسلام وان بعثه أول البعوث لكن يشكل على ذلك ان خروج حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة كما تقدم وخروج عبيدة كان على رأس ثمانية أشهر كما تقدم وما ذكر ان بعثهما معا الى آخره يرد ما أجاب به بعضهم عن هذا الاشكال بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا وتأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية أشهر لامر اقتضى ذلك هذا كلامه الا أن يقال يجوز أن يكون المراد ببعثهما معا أمرهما بالخروج وان المراد بتشييعهما جميعا ان كلا منهما وقع له التشييع منه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يقتضى ان يكون ذلك فى وقت واحد تأمل وفى هذا اطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من أهل اللغة انهما مترادفان وتقدم انه لم يحدث له اسم الراية الا فى خيبر أى وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا الالوية وما هنا يرده وفى كلام بعضهم كانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض كما فى حديث ابن عباس وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما زاد أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله

والطبرانى وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال كان خارجة بن زيد من سراة الانصار أى أشرافهم فبينما هو يمشى فى طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفى فأعلمت به الانصار فأتوه فاحتملوه الى بيته وسجوه بكساء وبردين وفى البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجى لانهم شكوا فى موته لكونه مات فجأة فأخروا تجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشاء اذ سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسروا عن وجهه الغطاء فاذا هو قائل محمد رسول الله النبى الامى خاتم النبيين لا نبى بعده كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان وكأنه رأى روحه صلى الله عليه وسلم حاضرة عنده لان ما ذكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفى رواية وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أى أثنى عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به الدين ولم يذكر عليا رضى الله عنه لان ذلك كان قبل ولاية على رضى الله عنه وانما ألحق هذا بما نحن فيه وان كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الكلام بعد الموت كرامة وكرامات أمته صلى الله عليه وسلم من معجزاته أو يقال انه اذا كان فى أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك ما رواه البيهقى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضى الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الانصار وشهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وتقدم فى غزوة سرية خيبر حديث الشاة المسمومة وذلك أن يهودية أهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها فأكل صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى انها مسمومة (وفى المواهب) عن سعيد بن المسيب أن رجلا من الانصار توفى فلما كفن وأتاه

﴿سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه﴾

الى الخرار بفتح الخاء المعجمة وراءين مهملتين وفى النور بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء الاولى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس تسعة أشهر من الهجرة سعد بن أبى وقاص فى عشرين من المهاجرين أى وقيل ثمانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو وقال والخرار واد يتوصل منه الى الجحفة وقد عهد صلى الله عليه وسلم اليه ان لا يجاوزه ليعترض عير القريش تمر بهم فخرجوا يمشون على اقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا المكان المذكور فى صبح خمس فوجدوا العير قد مرت بالامس فانصرفوا راجعين الى المدينة اهـ وقد ذكر ابن عبد البر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الاولى وفى السيرة الشامية الباب السادس فى سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه الى الخرار وساق ما تقدم وقال بعده الباب السابع فى سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه روى الامام أحمد عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت جهينة فقالوا انك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فأوثق لهم فأسلموا وبعثنا صلى الله عليه وسلم ولا نكون مائة وكان ذلك فى رجب أى من السنة الثانية وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغير على حى من كنانة فأغرنا عليهم فكانوا كثيرا فلجأنا الى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون فى الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره وقال بعض آخر لا نقيم ههنا وقلت أنا فى اناس معى بل نأتى عير قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير وانطلق بعض أصحابنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان محمرا وجهه فقال جئتم متفرقين وانما أهلك من قبلكم الفرقة لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش أميرا فأمره علينا لنذهب الى جهة نخلة بين مكة والطائف

﴿سرية عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه﴾

الى بطن نخلة قال لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الاخيرة قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح وجده واقفا عند بابه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب فدخل عليه فامره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه فدفع اليه الكتاب وقال له قد استعملتك على هؤلاء النفر اهـ أى وكان قبل ذلك بعث عليهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فلما ذهب لينطلق بكى صبيانه الى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين أى فهو أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين ثم بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولا ينافى ذلك قول بعضهم أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء أو أن هذا أمير جميع المؤمنين وذاك أمير من معه من

القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم أن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ذبح شاة وطبخها وثرد فى جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها فأخذتها ومضيت وانها لتنازعنى أذنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة ما هذا يا جابر قلت والله هذه شاتنا التى ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فأحياها فقالت أشهد انه رسول الله ورواه أيضا الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر فى كتاب العجائب والغرائب

﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته صلى الله عليه وسلم وابراء ذوى العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم روى البيهقى والدارقطنى والحاكم والخطيب البغدادى عن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المثقلة ثم ضاد معجمة معيقيب اليمانى قال حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيته صلى الله عليه وسلم فيها ووجهه مثل دائرة البدر وفى رواية لابن قانع كأن وجهه القمر ورأيت منه عجبا جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه فى خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أى لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك قال الجلال السيوطى رحمه الله فى خصائصه الكبرى قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق فهو حديث حسن وقد ذكر السيوطى فى نظمه المشهور فى عدد الذين تكلموا فى المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم

وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم
أما تكلم النبى صلى الله عليه وسلم فتقدم فى أول السيرة انه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد الله تعالى وكان يناغى القمر و بكلامه وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا فى المهد فالكلام على قصصهم شهير فلا حاجة الى الاطالة به 172 (وروى البيهقى) من سلان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بصبى قد شب أى كبر وصار

المؤمنين خاصة فقد جاء أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يكتب أولا من خليفة أبى بكر فاتفق ان عمر رضى الله تعالى عنه أرسل الى عامل العراق أن يبعث اليه برجلين جلدين يسألهما عن أهل العراق فبعث اليه بلبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم الطائى فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك فى هذا الاسم فأخبره الخبر وقال أنت الامير ونحن المؤمنون فأول من سماه بذلك لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم وقيل أول من سماه بذلك المغيرة بن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر أمير المؤمنين فقد كتب رضى الله تعالى عنه بذلك الى نيل مصر فان عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما فتح مصر ودخل شهر بؤنة من شهور القبط دخل اليه أهل مصر وقالوا له أيها الامير اذا كان أحد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل أى ليجرى فقال لهم عمرو رضى الله تعالى عنه ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا مدة والنيل لا يجرى لا قليلا ولا كثيرا حتى هموا أهل مصر بالجلاء منها فكتب عمرو بذلك الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه كتابا وكتب بطاقة فى داخل الكتاب وقال فى الكتاب قد بعثت اليك بطاقة فى داخل الكتاب فألقها فى نيل مصر فلما قدم الكتاب أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله يجريك فاسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم وكان أولئك النفر ثمانية أى وقيل اثنى عشر من المهاجرين يعتقب كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن أبى وقاص وعيينة بن غزوان وكانا يعتقبان بعيرا منهم واقد بن عبد الله ومنهم عكاشة ابن محصن وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الله أن لا ينظر فى ذلك الكتاب حتى يسير يومين أى قبل مكة ثم ينظر فيه فيمضى لما أمر به ولا يستكره أحدا من أصحابه أى على السير معه أى وقد عقد له صلى الله عليه وسلم راية فكانت أول راية عقدت فى الاسلام راية عبد الله ابن جحش أى بناء على أن الراية غير اللواء وحينئذ تعارض القول بترادفهما والقول بان اسم الراية انما وجد فى خيبر قال ابن الجوزى رحمه الله وهو أول أمير فى الاسلام وفيه أنه يخالف لما سبق الآن يريد أول من سمى أمير المؤمنين فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ولا تكره أحدا من أصحابك على السير معك أى ولفظ الكتاب سر باسم الله وبركاته ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك وامض لامرى حتى تأتى بطن نخلة فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم فلما قرأ الكتاب على أصحابه قالوا نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى أى وجعل البخارى دفعه صلى الله عليه وسلم الكتاب لعبد الله يقرأه و يعمل بما فيه دليلا على صحة الرواية بالمناولة وهى أن الشيخ يدفع لتلميذه كتابا ويأذن له أن يحدث عنه بما فيه وممن قال بصحة المناولة

شابا وهو لم يتكلم أى لانه خلق أخرس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنا قال أنت رسول الله فأنطقه الله معجزة بعد ما كان أبكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروى الامام أحمد والبيهقى وابن أبى شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وشد العين يعنى قاء وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى وشفاه الله وروى ابن أبى شيبة عن أم جندب رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أتته امرأة من خثعم معها صبى به بلاء لا يتكلم فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها اياه وأمرها بسقيه ومسحه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وتقدم فى غزوة أحد أن قتادة بن النعمان رضى الله عنه لما قلعت عينه أخذها بيده فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة

فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم فى وجه أبى قتادة وهو الحرث بن ربعى الانصارى السلمى رضى الله عنه قال رضى الله عنه فما ضرب على ولا قاح أى ما أوجعنى ولا سال منه قيح (وروى النسائى والترمذى) والحاكم

سيدنا

والبيهقى وصححوه عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا أعمى قال يارسول الله ادع الله لى أن يكشف عن بصرى يعنى يزيل عنى العمى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فما قام القوم 173 من مجالسهم الا ورجع الرجل وقد أبصر

سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه روى اسمعيل بن صالح عنه أنه أخرج لهم كتبا مشدودة وقال لهم هذه كتبى صححتها ورويتها فارووها عنى فقال له اسمعيل بن صالح نقول حدثنا مالك قال نعم وفى لفظ أن عبد الله رضى الله عنه لما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة أى بعد ان استرجع ثم اعلم أصحابه وقال لهم من كان يريد الشهادة و يرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا ولم يتخلف منهم أحد حتى اذا كانوا ببحران بفتح الموحدة و بضمها وسكون الحاء المهملة موضع أضل سعد بن أبى وقاص وعيينة بن غزوان بعيرهما فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله ومن عداهما معه حتى نزل بنخلة فمرت عير لقريش أى تحمل زبيبا وأدما أى جلودا من الطائف وأمتعة للتجارة فى تلك العير عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله وأصحابه وتخوفوا منهم فأشرف عليهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه أى وتراءى لهم ليظنوا أنهم عمار فيطمئنوا أى وذلك بارشاد عبد الله بن جحش رضى الله عنه فانه قال لهم ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فلما رأوا رأسه محلوقا قالوا عمار أى هؤلاء قوم معتمرون لا بأس عليكم منهم وكان ذلك آخر يوم من شهر رجب أى وقيل أول يوم منه و يدل للاول ما جاء أن عبد الله تشاور مع أصحابه فيهم فقال بعضهم لبعض ان تركتموهم فى هذه الليلة دخلوا الحرم فقد تمنعوا منكم به وان قتلتموهم فى هذا اليوم تقتلوهم فى الشهر الحرام أى وكان ذلك قبل أن يحل القتال فى الشهر الحرام فان تحريم القتال فى الاشهر الحرم كان معمولا به من عهد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام جعل الله ذلك مصلحة لاهل مكة فان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة أن يجعل الله أفئدة من الناس تهوى اليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الاشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج فيها واردين لمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه الآخر للاياب لان العمرة لا تكون من أقاصى بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يوما ذكره السهيلى ولم يزل تحريم القتال فى تلك الاشهر الحرم الى صدر الاسلام وذلك قبل نزول براءة فان براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم وأن لا يحج مشرك واباحة القتال فى الاشهر الحرم أى مع بقاء حرمتها فانها لم تنسخ قال تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وانما نسخ حرمة القتال فيها خلافا لما نقل عن عطاء من أن حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ و يدل للثانى ما فى الكشاف وكان ذلك اليوم أول يوم من رجب وهم يظنون أنه من جمادى الآخرة فتردد القوم وهابوا الاقدام ثم شجعوا أنفسهم عليهم ثم أجمع رأيهم على قتل من لم يقدروا على أسره أى وأخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمى رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو أول قتيل قتله المسلمون وأسروا عثمان والحكم فهما أول أسير أسره المسلمون وأفلت بفتح الهمزة باقى القوم أى وجاء الخبر لاهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب أى بناء على ما تقدم

وكان عثمان بن حنيف و بنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة قال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء فلم يبق فيه شبهة فاحفظه (وروى أبو نعيم) ان ملاعب الاسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعاء وأن يشفيه الله ببركته فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يظن أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا أى قريب من الموت فشربها أى بعد أن وضعها فى ماء فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم (وروى ابن أبى شيبة والبيهقى) والطبرانى أن فديك بن عمرو السلامانى جىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان وهو عبارة عن العمى فسأله عما أصابه فقال كنت أقود جملا لى فوقعت رجلى على بيض حية فاصبت فى بصرى فلا أبصر شيأ فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر فكان يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين سنة وتقدم فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ثم

بعث الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان به رمد فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع (وروى البخارى) فى صحيحه عن المكى بن ابراهيم قال حدثنى يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت يا أبا مسلم ما هذه الضربة

قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة وهذا من ثلاثيات البخارى (وفى الشفاء) ورمى كلثوم بن حصين رضى الله عنه يوم أحد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أى فى نحره ومحل جراحته فبرأ (وروى الطبرانى) انه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تقد أى لم يبق فيها مدة وتج (وروى) أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فى غزوة الخندق كما قال السيوطى فانزى أخى على بن الحكم فرسا له الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدقها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم ومانزل عن فرسه فمسحها وقال باسم الله فما آذاه شئ وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات وروى ابن اسحق وغيره ان معاذ بن عفراء رضى الله عنه قطعت يده يوم بدر فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف الذى تفله عليها (وروى) ابن اسحق وغيره أيضا ان خبيب بن اساف رضى الله عنه أصيب يوم بدر بضربة سيف على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وروى البيهقى والنسائى والطيالسى باسناد صحيح ان قدرا انكفأت على ذراع محمد ابن حاطب الجمحى وهو طفل فمسح عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وتفل عليه فبرئ لحينه وروى الطبرانى والبيهقى أن شرحبيل الجعفى رضى الله عنه كانت فى كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فجعل يطحنها أى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر فى قوله يطحنها استعارة لطيفة وروى الطبرانى عن أبى امامة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام الذى بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذى فى فيك فناولها مافى فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأله أحد شيأ فيمنعه فلما استقر فى جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء

واستاق عبد الله وأصحابه رضى الله عنهم العير حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أول غنيمة غنمها المسلمون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام وأبى أن يستلم العير والاسيرين فسقط بالبناء للمجهول فى أيديهم أى ندموا وعنفهم اخوانهم من المسلمين وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال أى وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم يا معشر الصباة قد استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وزادوا فى التشنيع والتعيير وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون القتيل عمرو والحضرمى والقاتل واقد فيه عمرت بفتح العين المهملة وكسر الميم الحرب أى حضرت الحرب وقدت الحرب فكان ذلك الفأل عليهم لعنهم الله وضاق الامر على عبد الله وأصحابه رضى الله عنهم فانزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير أى عظيم الوزر وصد عن سبيل الله أى ومنع للناس عن دين الله وكفر به أى بالله والمسجد الحرام أى ومنع للناس عن مكة واخراج أهله منه وهم النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين منه أكبر عند الله أعظم وزرا والفتنة الشرك أى الذى أنتم عليه أو جملكم من أسلم على الكفر بالتعذيب له أكبر من القتل لكم فيه أى صدهم لكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراجكم من مكة وأنتم أهلها وفتنة من أسلم بحيث يرتد عن الاسلام ويرجع الى الكفر أكبر من قتل من قتلتم منهم ففرق عن عبد الله وأصحابه رضى الله عنهم أى وهذا كما ترى يدل على أنهم قتلوا مع علمهم بأن ذلك اليوم من رجب ويضعف ما تقدم عن الكشاف الموافق لما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب محمد كانوا يظنون أن ذلك اليوم آخر جمادى وكان أول رجب ولم يشعروا أى لان جمادى يجوز أن يكون ناقصا وفيه أنه لو كان الامر كذلك لاعتذر عبد الله وأصحابه رضى الله تعالى عنهم بذلك وجاء أن المسلمين اختلفوا فى ذلك اليوم فمن قائل منهم هذه غرة من عدوكم وغنم رزقتموه ولا ندرى أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع اشتملتم عليه ويذكر أنه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته ويضعفه ما تقدم فى غزوة بدر من أن أخاه طلب ثاره وكان ذلك سببا لاثارة الحرب وأن عتبة بن ربيعة أراد أن يتحمل ديته ويتحمل جميع ما أخذ من العير وان تكف قريش عن القتال وحينئذ تسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وطمع عبد الله وأصحابه فى حصول الاجر وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم أى فقد أثبت لهم الجهاد فى سبيل الله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم ذلك العير وخمسه أى جعل خمسه لله وأربعة أخماسه للجيش وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسه مع غنائم بدر وقيل ان عبد الله هو الذى خمسها أى فانه رضى عنه قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فأخرج خمس ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى عزله له وقسم سائرها بين أصحابه رضى الله عنهم وحينئذ يكون ما تقدم من قوله

أنس بن مالك رضى الله عنه ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان به بطء فى

منها والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة وانقلاب الاعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره صلى الله عليه وسلم روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان به بطء فى السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم قال لابى طلحة وجدنا فرسك بحرا أى كالبحر فى شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجارى وروى البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه قال جابر رضى الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أى وهى غزوة ذات الرقاع فأبطأ به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شأنك فقال له أبطأ بى جملى وأعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراه صلى الله عليه وسلم منه ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ثم وهب له البعير مع الثمن وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الاشجعى رضى الله عنه قال كنت فى بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة فى أخريات الناس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك قلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت فى يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتنى أول الناس ما أملك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة وفى رواية نخفقها بمخفقة كانت معه قيل انها الدرة وقيل العصا والخفق الضرب وفى رواية انه باع من بطنها باثنى عشر ألفا يعنى من أولادها وأولاد أولادها وروى ابن اسحق وابن سعد عن عبد الله بن أبى طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة الانصارى فرده هملاجا أى سريع السير لا يساير وروى البيهقى ان خالد بن الوليد رضى الله عنه كانت فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فكان لا يشهد قتالا الا رزق النصر وروى مسلم وأبو داود

وأبى أن يتسلم العير الظاهر فى أن العير لم تقسم المراد خمس تلك العير وهو أول غنيمة خمست فى الاسلام أى قبل فرضه ثم فرض على ما صنع عبد الله رضى الله عنه ويوافق ذلك قول ابن عبد البر فى الاستيعاب وعبد الله بن جحش أول من سن الخمس من الغنيمة للنبى صلى الله عليه وسلم من قبل أن يفرض الله الخمس وأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه الآية وانما كان قبل ذلك المرباع هذا كلامه والمرباع ربع الغنيمة وتقدم ان الفئ والغنيمة يطلق أحدهما على الآخر وفى كلام فقهائنا ان الغنيمة كانت فى صدر الاسلام له صلى الله عليه وسلم خاصة ثم نسخ ذلك بالتخميس وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء عثمان والحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان قتلتموهما نقتل صاحبيكم فان سعدا وعتبة رضى الله عنهما لم يحضرا الوقعة بسبب التماسهما بعيرهما وقد مكثا فى طلبه أياما ثم قدما ففادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسيرين أى كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا أى وعن المقداد أراد أميرنا يعنى عبد الله بن جحش أن يقتل الحكم فقلت دعه فقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ﴿بعث﴾ وفى الاصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطى

﴿سرية عمير بن عدى﴾

الخطمى الضرير الى عصماء أى بالمدينة بنت مروان اليهودية وكانت متزوجة فى بنى خطمة وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الانصارى أسلم بعد ذلك رضى الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمى وهو أول من أسلم من بنى خطمة الى قتل عصماء بنت مروان لانها كانت تسب الاسلام وتؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فى شعرها وتحرض عليه فجاءها عمير فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبى ترضعه فمسها بيده ونحى الصبى عن صدرها ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت ابنة مروان فقال نعم فهل على فى ذلك من شئ فقال لا ينتطح فيها عنزان أى الامر فى قتلها هين لا يعارض فيه معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التى لم تسمع الا من النبى صلى الله عليه وسلم وقد جمع غالبها فى النور فى هذا المحل قال وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا بالبصير لان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال انظروا الى هذا الاعمى الذى يسرى فى طاعة الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الاعمى ولكن البصير وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما قال ألا رجل يكفينا هذه يعنى عصماء بنت مروان فقال عمير بن عدى أنا لها فأتاها وكانت تمارة أى تبيع التمر فقال لها أعندك أجود من هذا التمر لتمر بين يديها قالت نعم فدخلت لى البيت وانكبت لتأخذ شيأ من التمر فالتفت يمينا وشمالا فلم يشعر بأحد فضرب رأسها حتى

قتلها وليتأمل هذا مع ما قبله ثم ان عميرا أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته نظر اليه فقال له أقتلت ابنة مروان قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير فلما رجع عمير الى منزل بني خطمة وجد بنيها في جماعة يدفنونها فقالوا يا عمير أنت قتلتها قال نعم فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لاضربنكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمة وكان يخفي اسلامه من أسلم منهم لكن جاء في رواية أنها كانت تلقي خرق الحيض في مسجد بني خطمة فليتأمل وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما أهدر دم عصماء نذر عمير ان رد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة سالما قتلها فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة عدا عليها عمير رضي الله تعالى عنه فقتلها وفي كلام السهيلي رحمه الله ان الذي قتل عصماء بعلها وقد يقال لا مخالفة لان عميرا رضي الله عنه جاز أن يكون كان بعلها قبل مرثد بن زيد وذكر في الاستيعاب في ترجمة عمير رضي الله عنه أنه قتل أخته لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمها (أقول) الظاهر انها غير عصماء لان نسب عصماء غير نسب عدى الا أن يقال انها أخته لامه و يبعده ما تقدم من انه كان زوجها والله أعلم ﴿بعث﴾ وفي الاصل تبعا للشيخ الحافظ الدمياطي

﴿سرية سالم بن عمير الى أبي عفك﴾

أي والعفك بفتح العين المهملة و بالفاء و بالكاف أي الحمق أي أبي الحمق اليهودي قال صلى الله عليه وسلم يوما من لي بهذا الخبيث يعني أبا عفك أي من ينتدب الى قتله وكان شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعيبه في شعره فقال سالم بن عمير رضي الله عنه أي وهو أحد البكائين وقد شهد بدرا علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فطلب له غرة أي غفلة فلما كانت ليلة صائفة أي شديدة الحر نام أبو عفك بفناء بيته أي خارجه فعلم بذلك سالم رضي الله عنه فأقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف في الفراش وصاح عدو الله فتركه سالم رضي الله عنه وذهب فقام الى أبي عفك ناس من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن اسحق قدم هذا البعث على بعث عمير

﴿سرية عبد الله بن مسلمة رضي الله عنه﴾

الى كعب بن الاشرف الاوسي أي فان أباه أصاب دما في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف منهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة وكان شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطي أحبار اليهود و يصلهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه أحبارهم ومن بني قينقاع و بني قريظة لاخذ صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هو

الذى

والنسائي وابن ماجه عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها انها أخرجت جبة طيالسة أي ذات أعلام خضر وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها فنستشفي بها وروى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد أي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه وفي رواية انه تفل فيها وروى أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بزق في بئر كانت في دار أنس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء في بعض أسفاره فسأل عن اسمه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم أتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه أي ألقى فيه ما في فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشا فسكتا وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل وفي رواية انه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء وتقدم في باب ما جاء في شأنه صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب وقال أدها لغرمائك عما عليه وكان عليه أربعون أوقية فقال سلمان وأين تقع هذه مما علي فاخذها صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه وقال خذها فان الله سيؤدي بها عنك قال سلمان فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقي عندي مثل ما أعطيتهم وروى الامام قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن حنش بن عقيل وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب صلى الله عليه وسلم أولها وشربت آخرها يعني انه صلى الله عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته قال فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وروى الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري

الذي كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير فارجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثيرة فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا لك فيما أخبرناك به ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله وهذا نزل فيه قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما استودعه شخص دينارا فجحده كذا في تكملة الجلال السيوطي وفي الكشاف وفروعه انها نزلت في فنحاص بن عازوراء وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة ولما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهما مبشرين لاهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان وأسر فلان وفلان من أشراف قريش صار كعب يكذب في ذلك ويقول هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها أي كما تقدم فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليه وينشد الاشعار ويبكي من قتل ببدر من أشراف قريش فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ثم رجع الى المدينة اي بعد ان لم يجد من يأوي رحله بمكة أي لانه لما قدم مكة وضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة وأكرمته زوجة عبد المطلب وهي عاتكة بنت أسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان وأخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته فلما بلغهما هجاء حسان ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودي وأسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضي الله عنهما وصار كلما تحول عند قوم من أهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله أي ويقال انه خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على أبي سفيان فقال لهم أبو سفيان انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت اي وحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فخرج من مكة للمدينة فلما وصل الى المدينة وصار يشبب بنساء المسلمين أي يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن أي وقيل ان كعب بن الاشرف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم الى الطعام فاذا حضر يفتكون به ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يستره بجناحه حتى خرج فلما فقدوه تفرقوا ولا مانع من تعدد الاسباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب بن الاشرف وفي لفظ من لنا بابن الاشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا أي وفي رواية انه يؤذي الله ورسوله وفي أخرى فانه قد آذانا بشعره وقوى المشركين علينا أي فان أبا سفيان قال لكعب فانك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق أنحن أم محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال

رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قتادة بن النعمان رضي الله عنه وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال لقتادة انطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جذل حطب وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال اضرب به فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض اللون شديد المتن أي قوي الجرم صلبا فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له العون وروى أهل السير والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا وقصة شاة أم معبد مشهورة رواها أصحاب السنن والسير وافردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت فحلب ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضي الله عنها وتقدم عند ذكر رضاع حليمة له صلى الله عليه وسلم ان حليمة بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها الى شارفهما وهي الناقة المسنة فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انها نسمة مباركة فقالت اني والله أرجو بركته الى آخر القصة وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وملخصها انه كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله

عليه وسلم هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر رضي الله عنه بصحفة فحلب فيها وقال لأبي بكر رضي الله عنه اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا هو سبب اسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد أي من الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة انه صلى الله عليه وسلم يأتيه الانصار بلبن يشرب به فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم ونام صاحباي فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته فكشف الاناء فلم يجد شيأ فرفع بصره الى السماء فقلت يدعو علي فقال اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت في اناء حتى علت الرغوة وجئت اليه صلى الله عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأها من الناس وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم أعطى بعض أصحابه لا وقد أرادوا السفر سقاء فيه ماء بعد ان أوكأه ودعا فيه بالبركة فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فاذا هو لبن حليب وزبدة في فمه وفي الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمر بن سعد ودعا له بالبركة في عمره وصحبته فمات وهو ابن

أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث فقال كعب لعنه الله أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه فقال له صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الاوسي أنا لك به يا رسول الله هو خالي لان محمد بن مسلمة ابن أخته أنا أقتله وأجمع اي عزم على ذلك هو وأربعة أي من الاوس عباد بن بشر وأبو نائلة وكان رضي الله عنه أخا لكعب بن الاشرف من الرضاعة والحرث بن عيسى والحرث بن أوس ومكث محمد بن مسلمة رضي الله عنه بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا ما تقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر ثم قال يا رسول الله لا بد لنا أن نقول أي نذكر ما نتوصل به اليه من الحيلة وحينئذ كان المناسب أن يقول لا بد لنا أن نتقول أي نخترع ما نحتال به عليه فقال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك فأباح صلى الله عليه وسلم لهم الكذب لانه من خدع الحرب كما تقدم وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن فتقدمهم الى كعب أبو نائلة رضي الله عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا ثم قال ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس أي وسألنا الصدقة ونحن لا نجد ما نأكل وسائر ما عندنا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه فقال كعب لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الامر سيصير الى ما تقول اي ثم قال له كعب أصدقني ما الذي تريدون في أمره قال خذلانه والتنحي عنه قال سرتني ان لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل فقال أبو نائلة وقيل محمد بن مسلمة كما في رواية صحيحة قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان كلا منهما قال له اني أريد أن تبيعني وأصحابي طعاما ونرهنك ونوثق لك فقال أترهنوني أبناءكم وفي رواية نساءكم قال أردت أن تفضحنا نرهنك من الحلقة اي السلاح كما تقدم وقيل الدرع خاصة ما فيه وفاء وقد أردت أن آتيك بأصحابي أراد أبو نائلة رضي الله عنه أن لا ينكر كعب السلاح اذا جاء به هو وأصحابه فقال ان في الحلقة لوفاء أي وفي البخاري قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب زاد في رواية ولا نأمنك عليهن وأي امرأة تمتنع منك لجمالك فانك تعجب النساء قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق قالوا هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة أي السلاح فرجع أبو نائلة رضي الله عنه الى أصحابه فأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده متوجهين الى كعب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته اي وأمر عليهم محمد بن مسلمة وكانت تلك الليلة مقمرة فأقبلوا رضي الله عنهم حتى انتهوا الى حصن كعب فهتف به أبو نائلة رضي الله عنه وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها أي طرفها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب

ثمانين فما شاب أي ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله عنه فكان ما مسته يده اسود وسائر رأسه أبيض يعني انه لم يشب موضع المس وروى الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه أي أن رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته أم عاصم كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشرى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالاخرى ثم أمرها على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لما جرح يوم حنين أي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة كغرة الفرس من أثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وروى ابن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض الا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه فانه أسود أي لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر لما في وجهه من النور وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ولا مانع من التعدد وجاء انه صلى الله عليه وسلم مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحرث فصارت له غرة بيضاء وروى انه مسح أيضا بناصية طلحة بن أم سليم فكانت له غرة وما زال على وجهه نور من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة ابن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء بشرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة أي يقابل الناظر

لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدني نائما الا يوقظني فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر أي وفي البخاري فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة فاني أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم وفي مسلم كأنه صوت دم أي صوت طالب دم قال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب كذا في البخاري وفي مسلم انما هو محمد ورضيعه قيل وصوابه انما هو محمد ورضيعه أبو نائلة فقد ذكر أهل العلم أن أبا نائلة رضي الله عنه كان رضيعا لمحمد فنزل أي ينفح منه ريح الطيب فتحدث معه هو وأصحابه ساعة ثم تماشوا ثم ان أبا نائلة رضي الله عنه وضع يده على رأس كعب ثم شم يده وقال ما رأيت طيبا أعطر من هذا الطيب أي فقال وكيف وعندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب وفي لفظ وأجمل بدل أكمل وهي أشبه فقال له يا أبا سعيد أدن مني رأسك أشمه وأمسح به عيني ووجهي ثم مشوا ساعة ثم عاد أبو نائلة لوضع يده على رأسه واستمسك به وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيأ أي وقع بعضها على بعض والصق عدو الله بأبي نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن الا وعليه نار قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه فوضعت سيفي في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع أي ولما صاح اللعين صاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فخرجت اليهود فأخذوا على غير طريق الصحابة ففاتوهم قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه وأصيب الحرث بن أوس من بعض أسيافنا في رجله ورأسه ونزف به الدم فتخلف عنا أي وناداهم اقرؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام فعطفوا عليه واحتملوه وفي رواية تخلف عن أصحابه فافتقدوه ورجعوا اليه فاحتملوه قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا وأخبرناه بقتل عدونا وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه قال وفي رواية أنهم حزوا رأس كعب وحملوا ذلك الرأس ثم خرجوا يشتدون فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تلك الليلة فلما سمعوا تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف أنهم قد قتلوا عدو الله وخرج الى باب المسجد فجاؤا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على باب المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يا رسول الله ورموا رأسه بين يديه فحمد الله على قتله أي وعند ذلك أصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه من التحريض عليه وأذيته المسلمين فازدادوا خوفا

(سرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه)

لقتل أبي رافع سلام بالتخفيف ابن أبي الحقيق على وزن نصير بالتصغير وبالحاء المهملة الخزرجي أي وفي البخاري أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال له سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر وكان تاجر أهل الحجاز لما قتلت الاوس أي عبد الله بن مسلمة وأبو نائلة ومن تقدم معهما كعب بن الاشرف تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الاشرف في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اليه وجهه بوجهه ليرى صورة وجهه فيه كالمرآة اشدة صفاء بشرته وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة بوزن درهم. دعا له بالبركة فكان يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسه كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذي كان أصابه وروى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرؤا وفي الشفا أيضا وأتاه رجل ذو أدرة وهي انتفاخ في الخصيتين فأمره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وروى الطبري ان المهلب بن يزيد الطائي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه فنبت شعره وروى عن طاوس بن كيسان اليماني لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس أي جنون فصك في صدره الا ذهب المس وروى الامام أحمد عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم مج في دلو فيه ماء اخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وصح انه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما اى حقيرا ودعا له بالبركة في خلقته وسائر أموره ففرع الناس طولا وتماما أي زاد عليهم في الطول وتمام سائر الاعضاء وكمل الله خلقته بدعائه صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين ان أبا هريرة

من الخزرج فذكروا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق اى لانه كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق لان الاوس والخزرج كانا يتنافسان فيما يقرب الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم لا تفعل الاوس شيأ من ذلك الا فعلت الخزرج نظيره وبالعكس ويقولون والله لا يذهبون بهذا فضلا علينا في الاسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أي في أن يتكلموا بما يتوصلون به اليه من الحيلة فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وأمرهم أن لا يقتلوا وليدا ولا امرأة فخرجوا حتى أتوا خيبر فتسوروا دار أبي رافع ليلا فلم يدعوا بيتا في الدار الا أغلقوه على أهله وكان أبو رافع في علية لها درجة أي سلم من الخشب من محل يصعد عليه الى تلك العلية فطلعوا في تلك الدرجة حتى قاموا على باب تلك العلية فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم قالوا اناس من العرب نلتمس الميرة وفي لفظ لما صعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يتكلم بلسان يهود فاستفتح وقال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته وقالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا عليه أغلقوا عليهم وعليها باب الحجرة ووجدوه وهو على فراشه ما دلهم عليه في الظلمة الا بياضه كأنه قبطية بيضاء فابتدروه بأسيافهم ووضع عبد الله بن أنيس رضي الله عنه سيفه في بطنه وتحامل عليه حتى أنفذه وهو يقول قطني قطني أي يكفيني يكفيني وعند ذلك صاحت المرأة قال بعضهم ولما صاحت المرأة جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده قال وفي رواية ان المرأة لما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بعضنا بالسيف فسكتت فابتدرناه بأسيافنا وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر فوقع من الدرجة فوثبت رجله وثبا شديدا أي جرحت جرحا شديدا وفي لفظ فقد انكسرت ساقه وفي آخره فانخلعت رجله فعصبها بعمامته والجمع بين كسر ساقه وخلع رجله واضح لان الانخلاع يكون من المفصل فقد انكسرت ساقه وانخلعت من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة أيضا وأما قول ابن اسحق رحمه الله فوثبت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم وفي السيرة الهشامية فوثبت يده وقيل رجله وقد يقال لا مانع من حصولهما قال فحملناه حتى أتينا محلا استخفينا فيه أي وذلك المحل من أفنيتهم التي يلقون فيها كناستهم وفي لفظ أنهم كمنوا في نهر من عيونهم حتى سكن الطلب وقد يقال لا مخالفة لانهم أوقدوا النيران وتفرقوا من كل وجه يطلبونهم أي وفي لفظ فخرج الحرث في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران حتى اذا أيسوا رجعوا الى عدو الله فاكتنفوه وهو بينهم يجود بنفسه فقال بعضنا لبعض كيف نعلم أن عدو الله مات فقال رجل منهم أنا أذهب فانظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امرأته تنظر في وجهه وفي يدها المصباح ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي أي وعلى الرواية الآتية أنه أكذبها ثم أقبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاضت واله يهود أي خرجت روحه فما سمعت من كلمة كانت

رضي الله عنه شكا اليه صلى الله عليه وسلم النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه أي فعل فعلا يشبه من يغرف من شيء ما يضعه في آخر ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيأ قال أبو هريرة رضي الله عنه فما كان أحد أحفظ مني لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله بن عمرو لتقدم اسلامه ولانه كان يكتب وأنا لا أكتب *(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) اجابة دعائه للناس دعا لهم أو عليهم وهذا باب واسع جدا قال القاضي عياض في الشفا اجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة وقد جاء في حديث رواه الامام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت ولده وولد ولده أي وصل أثر الدعوة وبركاتها الى ولده وولد ولده وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قالت أمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله تعالى له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أتيته قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة أي يزيدون عليها وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد فقد أجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وجاء انه مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه له وأطل حياته وان أنسا قال فأكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد الصلبي مائة وستة وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا لي اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفي رواية وأطل عمره واجعله رفيقي في الجنة فكان أنس رضي الله عنه يقول بعد ان طال عمره وكثر ماله وولده وأنا أرجو هذه يعني كونه رفيقه صلى الله عليه وسلم في الجنة ومن دعائه

ألذ الى نفسي منها ثم جئت وأخبرت أصحابي واحتملنا عبد الله بن عتيك وقدمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب وقال لا أخرج الليلة حتى أعلم أني قتلته أولا فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلق يحجل الى أصحابه وقال قد قتل الله أبا رافع فأسرعوا وليتأمل هذا مع ما قبله وقوله أنعى هو بفتح العين ٣ قيل والصواب انعوا والنعي خبر الموت والاسم الناعي ويقال له الناعية وكانت العرب اذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وسار يذكر أوصافه ومآثره وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا منافاة بين كونه انطلق يحجل الى أصحابه وكونهم حملوه لانه يجوز أن يكون عند وقوعه وحصول ما تقدم له لم يحس بالالم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل ومن ثم جاء في بعض الروايات نقمت أمشي ما بي قلبة أي علة مهلكة فلما وصل الى أصحابه وجاء عليه المشي أحس بالالم فحمله أصحابه وهذا السياق يدل على أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده وهو ما في البخاري وفي رواية أن الذي كسرت رجله أبو قتادة لانهم لما قتلوه وخرجوا نسي أبو قتادة قوسه فرجع اليها وأخذها فأصيبت رجله فشدها بعمامته ولحق بأصحابه وكانوا يتناوبون حمله حتى قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمسحها فبرئت أي وقال لما رآنا أفلحت الوجوه قلنا أفلح وجهك يا رسول الله وأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده صلى الله عليه وسلم في قتله كل منا ادعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام قال والثابت في الصحيح كما علمت أن عبد الله بن عتيك هو الذي انفرد بقتله وأن عدو الله كان بحصن بأرض الحجاز ولا منافاة لان خيبر من الحجاز أي من قراه وريفه فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ناداه بذلك كما ينادي الشخص شخصا لا يعرفه وهو يظن انه من أهل الحصن ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن فلما أغلق الباب علق المفاتيح قال ثم أخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته علي من داخله حتى انتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت فقلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته بالسيف فما أغنت شيأ وصاح فخرجت من البيت أي وعند ذلك قالت له امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك ثم عدت وقلت له ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف فعمدت اليه فضربته أخرى فلم تغن شيأ فتواريت ثم جئته كهيئة المغيث وغيرت صوتي واذا هو مستلق على ظهره فوضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم ثم جئت الى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلي فعصبتها بعمامتي فانطلقت الى أصحابي وقلت النجاة قد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال

٣ قوله قيل والصواب أنعوا لا أصل لهذا القيل كما يعلم بالوقوف على عبارة القاموس

صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالبركة أى بأن يبارك الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن رضى الله عنه فلو رفعت حجرا من مكانه بيدى لرجوت ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله له أبواب الخيرات وكان حين قدم المدينة فقيرا لا يملك شيأ فآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فأراد سعد بن الربيع أن يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله فقال لا حاجة لى فى ذلك بارك الله لك فى زوجتيك ومالك ثم قال دلونى على السوق فصار يتعاطى التجارة ففى أقرب زمن رزقه الله مالا كثيرا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم حتى انه لما توفى رضى الله عنه بالمدينة سنة احدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفؤس حتى جرحت الايدى من كثرة العمل وأخذت كل زوجة من زوجاته الاربع ثمانين ألفا وقيل ان نصيب كل واحدة من الاربع مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن على نيف وثمانين ألفا من الدنانير وأوصى رضى الله عنه بألف فرس وبخمسين ألف دينار فى سبيل الله وأوصى بحديقة لامهات المؤمنين رضى الله عنهن بيعت بأربعمائة ألف وأوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ وهذا كله غير صدقاته الفاشية فى حياته وعوارفه العظيمة فقد أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير وهى الجمال التى تحمل الميرة وكانت تلك العير فيها سبعمائة بعير وردت عليه وكان أرسلها للتجارة فجاءت تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها وجاء انه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وروى انه رضى الله عنه لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة جاء بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة آلاف وأمسكت لعيالى

اغارتا

ابسط رجلك فمسحها فكأنى لم أشتكها قط وعادت كأحسن ما كانت انتهى أى وهذا ما فى البخارى وفيه فى رواية أخرى ان ابن عتيك قال لما وضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أى الذى صعدت فيه أريد أن أنزل فاسقطت منه فانخلعت رجلى فعصبتها فأتيت أصحابى أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لا أبرح حتى أسمع الناعية فلما كان فى وجه الصبح صعد الناعية فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشى ما بى قلبة فأدركت أصحابى قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته وفى سيرة الحافظ الدمياطى انهم مكثوا فى ذلك المحل الذى استخفوا فيه يومين حتى سكن عنهم الطلب وينبغى النظر الى وجه الجمع بين ما ذكر

﴿سرية زيد بن حارثة﴾

رضى الله عنهما الى القردة بفتح القاف والراء وقيل بالفاء مفتوحة وقيل بكسرها وسكون الراء وقدمه فى الاصل على الاول اسم ماء وسببها أن قريشا لما كانت وقعة بدر خافوا الطريق التى كانوا يسلكونها الى الشام من على بدر فسلكوا طريقا أخرى من جهة العراق فخرج عير لهم فيه أموال كثيرة جدا من تلك الطريق يريدون الشام واستأجروا رجلا يدلهم على الطريق وكان ذلك الرجل ممن هرب من أسارى بدر وفى ذلك العير من أشراف قريش أبو سفيان وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبى ربيعة وحويطب بن عبد العزى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى مائة راكب وهى أول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميرا فصادف تلك العير على ذلك الماء فاصاب العير وأفلت القوم وأسر دليلهم وقدم زيد رضى الله عنه بتلك العير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم وأتى بذلك الاسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان تسلم تترك أى من القتل فاسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه بعد ذلك

﴿سرية أبى سلمة عبد الله بن عبد الاسد﴾

وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة كما تقدم الى قطن أى وهو جبل وقيل ماء من مياه بنى أسد وسببها أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابنى خويلد قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أخبره بذلك رجل من طئ قدم المدينة لزيارة بنت أخيه بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة المذكور وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتى تنزل أرض بنى أسد فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم فاغذ السير أى بفتح الهمزة والغين المشددة والذال المعجمة أى أسرع ونكب أى بفتح الكاف المخففة عدل عن سيف الطريق وسار وسار بهم ليلا ونهارا ليسبق الاخبار فانتهى الى ماء من مياههم فاغار على سرح لهم وأسروا ثلاثة من الرعاة وأفلت سائرهم ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان

أربعة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى ماله ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا رضى الله عنه هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته ذكره ملا على فى شرح الشفا وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ودعا له مرة وقال اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله أحاديث أخر فكان أول التمكين له أن استعمله أميرا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم فكان أميرا على الشام عشرين سنة ثم صار خليفة عشرين سنة وانعقد الامر على استخلافه حين نزل له الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافة فبايعه الناس وأما ما وقع بينه وبين على رضى الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغى الكف عنه لانه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران وللمخطئ أجر واحد وقد وردت أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو تنقص أحدا منهم وقد قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بأنه رضى عنهم ورضوا عنه فلا ينبغى لمؤمن ان يتعرض لاحد منهم بل يفوض ما وقع بينهم الى الله ويترك الخوض فيه ويعتقد انهم مجتهدون مأجورون وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فيؤخذ من مجموع الآيتين انهم كلهم فى الجنة رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم

أغارتا فى طلب النعم والشاء والرجال فاصابوا ابلا وشاء ولم يلقوا أحدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة قال وقيل انه أخرج صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا أى لانه صلى الله عليه وسلم كان يباح له أخذ الصفى وهو ما يختاره أو يختاره له أمير السرية قبل القسمة من الفئ أو الغنيمة من جارية أو غيرها كما تقدم وأخرج الخمس ثم قسم ما بقى بين أصحابه فاصاب كل انسان سبعة أبعرة أى وطليحة هذا كان يعد بألف فارس قدم عليه صلى الله عليه وسلم فى بعض الوفود وأسلم ثم ارتد وادعى النبوة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ثم أسلم بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه وحسن اسلامه وحج فى زمن عمر رضى الله عنه ولم يعرف لاخيه سلمة اسلام بعث عبد الله بن أنيس الى سفيان بن خالد الهذلى ثم اللحيانى بكسر اللام وفتحها وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن سفيان المذكور جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عبد الله بن أنيس رضى الله عنه ليقتله فقال صفه لى يا رسول الله فقال اذا رأيته هبته وفرقت أى خفت منه وذكرت الشيطان فقال عبد الله يا رسول الله ما فرقت من شئ قط فقال صلى الله عليه وسلم بلى انك تجد له قشعريرة اذا رأيته فقال عبد الله فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول أى ما أتوصل به اليه من الحيل فاذن لى أى قال لى قل ما بدا لك اى وقال انتسب الى خزاعة قال عبد الله بن أنيس فسرت حتى اذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب عرفة لقيته يمشى أى متوكئا على عصا يهد الارض ووراءه الاحابيش أى اخلاط الناس ممن انضم اليه فعرفته بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لانى هبته وكنت لا أهاب الرجال فقلت صدق الله ورسوله أى وكان وقت العصر فخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة يشغلنى عن الصلاة فصليت وأنا أمشى نحوه أومئ برأسى فلما انتهيت اليه قال لى من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال أجل انى لاجمع له فمشيت معه ساعة وحدثته فاستحلى حديثى أى وكان فيما حدثته به أن قلت له عجبت لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم فقال لى انه لم يلق أحدا يشبهنى ولا يحسن قتاله فلما انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه قال لى يا أخا خزاعة هلم فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى اذا هدأ الناس وناموا اغتررته فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا فى الجبل وضربت العنكبوت أى نسجت على وجاء الطلب فلم يجدوا شيأ فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فلما رآنى قال قد أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبرى فدفع لى عصا وقال تخصر بهذه فى الجنة أى توكأ عليها فان المتخصرين فى الجنة قليل فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدخلوها فى كفنه ويجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا أى وفى القاموس ذو المخصرة أى كمكنسة بكسر الميم عبد الله بن أنيس وهذه القصة وقصة كعب بن الاشرف ترد على الزهرى قوله لم يحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الى المدينة قط وحمل الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه رأس فكره ذلك وأول من حملت اليه الرؤس عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وفيه أنه لما قتل الحسين وجماعة من أهل بيته

الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن سبهم فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
أي لا فرضا ولا نفلا والاحاديث في ذلك كثيرة فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبتهم وأن لا يجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامة وأن
يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين وعن المقداد رضي الله عنه ان سعدا رضي الله عنه قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب

بعث ابن زياد قبحه الله برؤسهم الى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضي الله عنهما لم يبايع بالخلافة
الا بعد موت يزيد ومضى مدة خلافة ابنه معاوية بن يزيد رضي الله عنه الذي خلع نفسه وهي أربعون
يوما ولعل ارسال رأس الحسين ومن معه كان قبل رأس عبد الله بن أبي الحمق فلا ينافي قول ابن
الجوزي أول رأس حمل في الاسلام أي من المسلمين رأس عبد الله بن أبي الحمق وذلك أنه لدغ
فمات فخشيت الرسل أن تتهم بقتله فقطعوا رأسه فحملوه ثم رأيت ابن الجوزي قال قال ابن حبيب
نصب معاوية رضي الله عنه رأس عمرو بن أبي الحمق ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين
رضي الله عنه وقول الزهري الى المدينة لا يخالف ما في النور وتقدم في غزوة بدر كم من رأس حمل
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان تلك الرؤس لم تحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة على ان فيه انه لم يحمل اليه ذلك اليوم الا رأس أبي جهل على ما تقدم

سرية الرجيع

وفي الاصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة وقيل ستة عيونا الى مكة يتجسسون أخبار قريش ليأتوه بها وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله تعالى عنه ويقال له ابن أبي الاقلح بالقاف وقيل أمر عليهم مرثد الغنوي رضي الله عنه حليف عمه صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله عنه ومرثد بفتح الميم واسكان الراء والمثلثة والغنوي بغين معجمة أي وكان مرثد هذا يحمل الاسرى ليلا من مكة حتى يأتي بهم المدينة فوعد رجلا من الاسرى بمكة ان يحمله قال فجئت به حتى انتهيت به الى حائط من حيطان مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت من جملة البغايا بمكة فرأت ظلي في جانب الحائط فلما انتهت الي عرفتني قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة فقلت يا عناق ان الله حرم الزنا فقالت علي تخرج في أثري ثمانية رجال فتواريت في كهف الخندمة فجاؤا حتى وقفوا على رأسي فأعماهم الله عني فلما رجعوا رجعت لصاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى محل فككت عنه قيده ثم جعلت أحمله حتى قدمت المدينة ثم استشرته صلى الله عليه وسلم ان أنكح عناقا فامسك عني حتى نزلت الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فدعاني صلى الله عليه وسلم فتلاها علي ثم قال لي لا تتزوجها وفي قطعة التفسير للجلال المحلي ان الآية نزلت في بغايا المشركين لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوهن وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم الآية وفيه أن عند فقهائنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الاوثان وان لم تكن بغيا ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وخبيب بن عدي وخبيب تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وقد تسكن ثم نون مفتوحة ثم تاء تانيث مقلوب من الدثنة والندث استرخاء اللحم رضي الله عنهم فخرجوا اى يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل اقبهم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن أنيس وجاء برأسه الى رسول صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقومه وهم بنو لحيان فانهم

دعائي فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته وقد خرج أهل الصحيح كثيرا من دعوات سعد رضي الله عنه المستجابة وهي مشهورة مأثورة فمنها ان رجلا نال من علي رضي الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال اللهم ان كان كاذبا فأرني فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخاري ان سعدا رضي الله عنه دعا على أبي سعدة بقوله اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم دعا بعز الاسلام اى بأن الله يعز الاسلام أي يقويه وينصره بأحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه فكانوا قبل اسلام عمر رضي الله عنه لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روى من طرق أنه صلى الله عليه وسلم
خص عمر رضي الله عنه بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع ذكروا
بين الروايتين بانه أولا دعا بأن الله يعز الاسلام بأحدهما ثم لما تبين له باعلام من الله والهام منه أن اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا
وكرره حتى استجيب له وتقدمت قصة اسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين

ودعا صلى الله عليه وسلم لابي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات
وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ودعا صلى الله عليه وسلم للنابغة
الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بها فلما وصل قوله فيها

ذكروا لهم فنفروا اليهم فيما يقرب من مائة رام أي ولا يخالف ما في الصحيح قريبا من مائة رجل فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا نوى تمرأ كلوه في منزل نزلوه أي فان منهم امرأة كانت ترعى غنما فرأت النوى فقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها أتيتم فتبعوهم الى ان وجدوهم في المحل المذكور فلما أحسوا بهم لجؤا الى موضع من جبل هناك أي صعدوا اليه فأحاطوا بهم وقالوا لهم انزلوا ولكم العهد ان لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم رضي الله تعالى عنه أما أنا فلا أنزل على ذمة أي أمان وعهد كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما أي وستة منهم وصار عاصم يرميهم بالنبل وينشد أبياتا منها

الموت حق والحياة باطل * وكل ما قضى الاله نازل * بالمرء والمرء اليه آيل

ولا زال يرميهم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى انكسرت رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم اني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ونزل اليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبد الله بن طارق رضي الله تعالى عنهم فلما أمسكوهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبد الله وقال هذا أول الغدر أي ترك الوفاء بعهد الله والله لا أصحبكم ان لي بهؤلاء يعني القتلى اسوة فعالجوه فأبى ان يصحبهم أي فقتلوه كما في الصحيح وقيل صحبهم الى ان كانوا بمر الظهران يريدون مكة انتزع عبد الله يده منهم ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد أي ودخلوا بهما مكة في شهر القعدة فباعوهما بأسيرين من هذيل كانا بمكة أي وقيل بيع كل بخمسين من الابل أي وقيل بيع خبيب بأمة سوداء فابتاع بنو الحرث بن عامر خبيبا قيل لانه قتل الحرث يوم بدر كما في البخاري وتعقب بأن المعروف عندهم ان قاتل الحرث يوم بدر انما هو خبيب بن اساف الخزرجي أي وقيل القاتل له علي كرم الله وجهه وخبيب بن عدي هذا أوسي لم يشهد بدرا عند أحد من أرباب المغازي أي وقيل في هذا تضعيف الحديث الصحيح ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر أنه لزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب بن عدي الحرث بن عامر ما كان لاعتناء آل الحرث بشرائه وقتله به معنى الا أن يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الانصار وابتاع زيدا صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ليقتله بأبيه فحبسوهما الى أن تنقضي الاشهر الحرم واستعار خبيب رضي الله تعالى عنه وهو محبوس موسى من بنت الحرث وفي الصحيح من بعض بنات الحرث ليستحد بها أي يحلق بها عانته فدرج ابن لها صغير وهي غافلة عنه حتى أتى الى خبيب رضي الله تعالى عنه فأجلسه خبيب رضي الله تعالى عنه على فخذه والموسى بيده فلما رأت ابنها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضي الله تعالى عنه فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وذلك بكسر الكاف لانه خطاب للمؤنث وروى انه رضي الله تعالى عنه أخذ بيد الغلام وقال هل أمكن الله منكم فقالت المرأة ما كان هذا ظني بك فرمى لها بالموسى وقال انما كنت مازحا ما كنت لاغدر وفي السيرة الشامية ان تلك المرأة قالت قال لي تعني خبيبا رضي الله تعالى عنه حين حضره القتل ابعثي الي بحديدة أتطهر بها للقتل أي وقد كان رضي الله تعالى عنه قال لها اذا أرادوا قتلي فآذنيني فلما أرادوا قتله آذنته فطلب منها تلك

فلا خير في حكم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وثمانين وروى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم الحبر وترجمان القرآن وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيأ الا ربح فيه وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الجحر قال لا والذي

 بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر
الورق في بيت المقداد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البخاري والامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعروة بن أبي الجعد البارقي
رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد قال عروة فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة أي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح

أربعين ألفا وقال البخاري في حديث عروة فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأم أبي هريرة
رضى الله عنهما بأن يهديها الله للاسلام فأسلمت وحازت شرف الصحبة رضى الله عنها وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصا على اسلامها
فدعاها للاسلام فأبت وأسمعته مايكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يبكي وقال اني كنت أدعوها للاسلام
فتأبى فدعوتها اليوم فأسمعتني
فيك ما أكره فادع الله أن يهديها
فقال اللهم اهد أم أبي هريرة
فخرج مستبشرا بدعائه فلما أتى
الباب سمعت خشف أقدامه فقالت
مكانك يا أبا هريرة فسمع صب الماء
فاغتسلت ولبست درعها
وخمارها وفتحت له الباب فلما
دخل قالت يا أبا هريرة اني أشهد
أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع
أبو هريرة رضى الله عنه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال
ابشر يا رسول الله فقد أجيبت
دعوتك وهدى الله أمي للاسلام
فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله
ادع الله أن يحببني أنا وأمي الى عباده
المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم
حبب عبدك هذا وأمه الى
عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع
به أحد ولا يراه الا أحبه ورواه
البيهقي أيضا في الدلائل وروى
البيهقي عن عمران بن حصين رضى
الله عنهما وعن أبيهما قال كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلت
فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها
وقد اصفر وجهها من الجوع
فوضع يده على صدرها وقال اللهم
مشبع الجاعة ورافع الوضيعة
ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران
فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت
صفرته ثم جئتها فقالت ما جعت
يا عمران بعداي بعد دعائه صلى الله
عليه وسلم لها قال البيهقي وكان هذا قبل نزول آية الحجاب وروى ابن اسحق والبيهقي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم
دعا للطفيل بن عمرو الدوسي أن يجعل له آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اني أخاف أن يقولوا مثلة
فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي الطفيل ذا النور وتقدمت قصته في باب الوفود عند ذكر وفد دوس وروى

الحديدة قالت فأعطيت غلاما من الحي الموسى فقالت له ادخل بها على هذا الرجل البيت قالت
فوالله ما ادخل عليه الغلام قلت والله أصاب الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ويكون رجل برجل
فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه
الحديدة اليّ ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام ابنها أي ويرشد اليه قول خبيب رضى الله تعالى عنه
ما خافت أمك وكانت بنت الحرث تقول والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب قالت والله لقد
وجدته يوما وأي وقد اطلعت عليه من شق الباب وأي كل قطفا من عنب في يده أي مثل رأس
الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة وفي رواية ولا أعلم في أرض الله عنبا يؤكل أي واستدل
أئمتنا بقصة خبيب هذه على أنه يستحب لمن أشرف على الموت أن يتعهد نفسه بتقليم أظفاره
وأخذ شعر شاربه وابطه وعانته ولعل ذلك كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأقره فلما انقضت
الاشهر الحرم بانقضاء المحرم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل فلما قدم للقتل قال لهم
دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال لهم والله لولا أن تحسبوا أن ما بي من جزع
لزدت ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا أي متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم أحدا
أي الكفار وقد قتلوا في الخندق متفرقين قال ذكر أنهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء
والصبيان والعبيد فلما انتهوا به الى التنعيم أمر بخشبة طويلة فحفر لها فلما انتهوا بخبيب
اليها وبعد صلاته الركعتين صلبوه على تلك الخشبة أي ابراه الوارد والصادر فذهب بخبره
الى الاطراف ثم قالوا له ارجع عن الاسلام نخل سبيلك وان لم ترجع لنقتلنك قال ان قتلي في
سبيل الله لقليل اللهم انه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام
وبلغه ما يصنع بنا وعن اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
جالسا مع أصحابه فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي فسمعناه يقول وعليه السلام ورحمة
الله وبركاته فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام يقرئني من
خبيب السلام خبيب قتلته قريش وقد جاء أن المشركين دعوا أربعين ولدا ممن قتل آباؤهم يوم
بدر فأعطوا كل واحد رمحا وقالوا هذا الذي قتل آباءكم فطعنوه بتلك الرماح حتى قتلوه وكانوا
بتلك الخشبة أربعين رجلا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير بن العوام
رضى الله تعالى عنهما في انزال خبيب عن خشبته وفي لفظ قال صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل خبيبا
عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه أنا يا رسول الله وصاحبي
المقداد بن الاسود فجاآ فوجدا عندها أربعين رجلا لكنهم سكارى نيام فأنزلاه وذلك بعد
أربعين يوما من صلبه وموته وحمله الزبير رضى الله تعالى عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه
شئ فشعر بهما المشركون أي وكانوا سبعين رجلا فتبعوهما فلما لحقوهما قذفه الزبير رضى
الله تعالى عنه فابتلعته الارض اه ومن ثم قيل له بليع الارض أي وكشف الزبير رضى الله
تعالى عنه العمامة عن رأسه وقال لهم أنا الزبير بن العوام وصاحبي المقداد بن الاسود أسدان
رابضان يذبان عن شبلهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا
عنهما وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عنده صلى الله عليه وسلم جبريل عليه
السلام

البخاري ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم دعا على مضر حين تأخر اسلامهم فقال اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأقحطوا حتى أكلوا الجلود والدم والعظام فقال له أبو سفيان انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد
هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريئا طبقا غدقا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا
وروى الشيخان عن ابن عباس
رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه
وسلم دعا على كسرى حين مزق
كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له
باقية ولا بقيت لفارس رياسة في
أقطار الدنيا وروى أبو داود
والبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم
دعا على صبي قطع عليه صلاته
أي مر بينه وبين سترته أن يقطع
الله أثره فأقعد قال ابن مهران
رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد
ابن بهرام فسألته أي عن سبب
اقعاده فقال مررت بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما
مشيت بعد وروى مسلم عن سلمة
ابن الاكوع رضى الله عنه أنه صلى
الله عليه وسلم قال لرجل رآه يأكل
بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع
فقال له صلى الله عليه وسلم لا
استطعت فلم يرفعها الى فيه وروى
الحاكم والبيهقي وابن اسحق من
طرق صحيحة أنه صلى الله عليه وسلم
دعا على عتيبة بالتصغير بن أبي لهب
وقال اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك فأكله الاسد وقيل ان
المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير
لكن الصحيح الاول لان عتبة
المكبر ومعتبا أخاهما اسلما عام
الفتح وحسن اسلامهما رضى
الله عنهما وعقير الاسد انما هو
عتيبة المصغر وتقدمت قصته في
باب مراتب الوحي عند تعداد
ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه المشهور على أبي جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من
عتاة قريش حين وضعوا السلى على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر وتقدم الكلام
على ذلك في الباب المذكور عند تعداد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى البيهقي باسناد صحيح أنه صلى الله عليه وسلم دعا

السلام فقال له جبريل يا محمد ان الملائكة تباهي بهذين الرجلين من أصحابك فنزل فيهما ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية وتقدم أنه قيل انها نزلت في علي كرم الله
وجهه لما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه الى الغار وقيل انها نزلت في حق صهيب
لما أراد الهجرة ومنعه منها قريش فجعل لهم ثلث ماله أو كله كما تقدم ورأيت بعضهم قال
انها نزلت في صهيب رضى الله تعالى عنه لما أخذه المشركون ليعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير
لا يضركم أمنكم كنت أو من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتدعوني وديني ففعلوا وفي كلام
ابن الجوزي رحمه الله أن عمرو بن أمية هو الذي أنزل خبيبا فعنه رضى الله تعالى عنه قال جئت
الى خشبة خبيب فرقيت فيها فحللته فوقع الى الارض ثم التفت فلم أر خبيبا ابتلعته الارض
وهذا هو الموافق لما في السيرة الهشامية وأن ذلك كان حين أرسله صلى الله عليه وسلم والانصار
لقتل أبي سفيان بن حرب كما سيأتي ان شاء الله تعالى أي وكان خبيب رضى الله تعالى عنه تحرك
على الخشبة فانقلب وجهه عن القبلة أي الكعبة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي
نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه
ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ودعا عليهم خبيب رضى الله تعالى عنه فقال اللهم
احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا قال معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى
عنهما فألقى أبو سفيان بنفسه الى الارض على جنبه خوفا من دعوة خبيب رضى الله تعالى عنه
لانهم كانوا يقولون ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زال عنه أي لم تصبه تلك الدعوة
وقد ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سعد بن عامر رضى الله تعالى عنه على بعض أجناد
الشام فقيل له انه مصاب يلحقه غشي فاستدعاه فلما قدم عليه وجد معه مزودا وعكازا وقدحا
فقال له عمر رضى الله تعالى عنه ليس معك الا ما أرى فقال له وما أكثر من هذا يا أمير المؤمنين
مزودي أضع فيه زادي وعكازي أحمل به ذلك وقدحي آكل فيه فقال له عمر رضى الله تعالى عنه
أبك لمم فقال لا فقال فما غشية بلغني أنها تصيبك فقال والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني
كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في
مجلس قط الا غشي علي فزاده ذلك عند عمر رضى الله تعالى عنهما خيرا ووعظ عمر فقال له من
يقدر على ذلك فقال أنت يا أمير المؤمنين انما هو أن يقال فتطاع فقال له عمر رضى الله تعالى عنه
ارجع الى عملك فأبى وناشده الاعفاء فأعفاه وكان خبيب رضى الله تعالى عنه هو الذي سن
لكل مسلم قتل صبرا الصلاة أي لانه صلى الله عليه وسلم بلغه ذلك عنه فاستحسنه فكان سنة
وهذا يدل على أن واقعة زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما متأخرة عن قصة خبيب رضى الله
تعالى عنه لكن في النور والمعروف ان زيد بن حارثة صلاهما قبل خبيب بزمن طويل وفي
الينبوع أن قصة زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما كانت قبل الهجرة أي وكان ابن سيرين
رحمه الله اذا سئل عن الركعتين قبل القتل قال صلاهما خبيب رضى الله تعالى عنه وحجر وهما
فاضلان ويعني بحجر حجر بن عدي رضى الله تعالى عنه فان زيادا والي العراق من قبل معاوية
رضى الله تعالى عنه وشى به الى معاوية فأمر معاوية باحضاره فلما قدم على معاوية قال له

على الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو أبو مروان وكان يتخلج بوجهه أي يحرك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج الى أن مات وتقدم الكلام عليه مبسوطا في الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بن جثامة الكناني الليثي

السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية رضي الله تعالى عنه أو أمير المؤمنين انا اضربوا عنقه فلما قدم للقتل قال دعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفة ثم قال رضي الله تعالى عنه لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لاطلتهما ثم قتل هو وخمسة من أصحابه ولما حج معاوية رضي الله تعالى عنه وجاء المدينة زار استأذن على عائشة رضي الله تعالى عنها فأذنت له فلما قعد قالت له أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال انما قتلهم من شهد عليهم وقصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما رواها الليث بن سعد قال بلغني أن زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف فال به ذلك الرجل الى خربة وقال له انزل فنزل زيد رضي الله تعالى عنه فاذا في الخربة المذكورة قتلى كثيرة فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين لانه رأى ان الصلاة خير ما ختم به عمل العبد قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيأ وهذا يدل على أن القتلى كلهم كانوا مسلمين قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم ير شيأ فرجع الي فناديت يا أرحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لي لما دعوت الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك (أقول) وقد وقع مثل ذلك لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى أبا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الآفاق وكان ناسكا ورعا فخرج مرة في بعض أسفاره فلقيه لص مقنع في السلاح وقال له ضع ما معك فاني قاتلك فقال ما تريد من دمي فشأنك والمال فقال أما المال فلي ولست أريد الا دمك فقال ذرني أصلي أربع ركعات فقال صل ما شئت فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ثم دعا في آخر سجدة فقال يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني وكرر ذلك ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها من أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه الفارس فقتله ثم أقبل الى أبي معلق فقال قم فقال من أنت بأبي أنت وأمي فلقد أغاثني الله بك اليوم قال أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني قتله قال أنس رضي الله تعالى عنه من فعل ذلك استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب أي وقد وقع نظير هذه المسئلة أي من حيث اقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو أنهم كانوا يأتون الصلاة قد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى الرجل كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصليهما وحده ثم يدخل مع القوم في صلاتهم فجاء معاذ رضي الله تعالى عنه فقال لا أجده صلى الله عليه وسلم على حال أبدا الا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قام فقضى ما عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد سن لكم معاذ فكذا فاصنعوا أي وكان هذا قبل قوله

فمات بعد سبع ليال من دعائه ولما دفنوه لفظته الارض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات فألقوه في شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا لغدر الامر كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم دعا عليه ولما أخبروه صلى الله عليه وسلم بان الارض لفظته قال ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يجعله لكم عبرة وهذا الباب واسع جدا لان أدعيته صلى الله عليه وسلم المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر وما ذكر قطرة من بحر وفيه كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم اخباره بكثير من المغيبات قال في الشفاء وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أي ماؤه الكثير وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ولا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى فمن ذلك ما تقدم في هذا الكتاب في مواضعه وهو كثير ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقاما أي يخطب فما ترك شيأ مما يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ورواه البخاري أيضا لكن رواية أبي داود أبسط وفيها انه ليكون منه الشيء أي يوجد الشيء مما حدثنا به قد نسيته فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه أي أظهروا نسيانه خوف الفتن والله ما ترك صلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة وروى الامام أحمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكر لنا منه علما أي يذكر لنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما

صلى الله عليه وسلم ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا وأخرج صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه زيدا رضي الله تعالى عنه الى الحل مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فلما قدم للقتل قال له أبو سفيان رضي الله تعالى عنه أنشدك بالله يا زيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك فقال والله ما أحب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني لجالس في أهلي فقال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ونقل مثل ذلك عن خبيب رضي الله تعالى عنه أي فانهم لما وضعوا السلاح في خبيب رضي الله تعالى عنه وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يؤذى بشوكة في قدمه ثم قتله ذلك المولى أي طعنه برمح في صدره حتى أنفذه من ظهره وقيل رمي بالنبل وأرادوا فتنته عن دينه فلم يزدد الا ايمانا ولما قتل عاصم رضي الله تعالى عنه الذي هو أمير هذه السرية على ما تقدم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة بن أبي طلحة ابن عبد الدار وكلام بعضهم يقتضي انها أسلمت بعد فان عاصما هذا كما تقدم قتل يوم أحد ولديها كلاهما أشعره سهما وكل يأتي اليها بعد اصابته بالسهم ويضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر وجعلت لمن يجيء برأسه مائة ناقة كما تقدم فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهي الزنابير بينهم وبين عاصم رضي الله تعالى عنه كلما قدموا على قحفه طارت في وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسي فنأخذه فبعث الله الوادي أي سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث أراد الله فسمي حمي الدبر وبعث ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم في طلب جسده أو شيء منه يعرفونه أي ليمثلوا به لانه قتل عظيما من عظمائهم قال الحافظ ابن حجر لعله عقبة بن أبي معيط فان عاصما قتله صبرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر أي كما تقدم قال وكأن قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم أو شعروا بذلك ورجوا ان الزنابير تركته أي ولم يشعروا بان السيل أخذه اه أي وقد كان عاصما رضي الله تعالى عنه دعا الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك في حياته وتقدم هذا انه دعا الله ان يحمي لحمه فاستجاب الله فلم يحصل له ذلك لا في حياته ولا بعد موته أي وفي كلام بعضهم لما نذر عاصم ان لا يمس مشركا وفي بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين اياه فصار عاصم معصوما هذا وقيل ان هؤلاء العشرة لم يخرجوا لياتوا بخبر قريش وانما خرجوا مع رهط من عضل والقارة وهما بطنان من بني الهون قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث صلى الله عليه وسلم معهم أولئك النفر فساروا حتى اذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا فلم يشعروا الا والرجال بأيديهم السيوف فدعوهم فاخذوا أسيافهم ليقتلوا القوم فقالوا لهم والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيأ من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم فأبوا الحديث والحافظ الدمياطي رحمه

من أصحاب السنن ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه لغلبتهم وفل شوكتهم كفتح مكة فانه أخبرهم به قبل وقوعه ولما فتحت قال لهم هذا الذي قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس وأخبر تميما الداري رضي الله عنه حين اسلامه بان الله سيفتح بيت المقدس وأقطعه أرضا بها فلما فتح في خلافة عمر رضي الله عنه أعطى تميما اعطاءه تحقيقا لوعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشام واليمن والعراق وظهور الامن في الممالك الاسلامية حتى تظعن المرأة أي تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله والحيرة مدينة بقرب الكوفة وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بان المدينة ستغزى فكان ذلك في وقعة الحرة وأعلمهم بفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه فكان ذلك كما تقدم وأخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وانهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وبأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وان الناجية منها واحدة

وان الناجي من كان على ما أنا عليه وأصحابي فكان ذلك كما أخبر وأخبر بأن أمته ستتبع سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قال حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذن وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون لامته أنماط وهي جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعني أن أمته يتوسعون في الدنيا حتى

يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة وانهم يغدو أحدهم فى حلة و يروح فى أخرى
وتوضع بين يدى أحدهم صحفة وترفع أخرى وانهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال فى آخر الحديث فى رواية رواها
الترمذى وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أى لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله و يتعب القلب والبدن كما
يشاهده من ابتلى به وروى
الترمذى عن ابن عمر رضى الله
عنهما انه صلى الله عليه وسلم ان
أمته اذا مشوا المطيطا أى مشوا
بالتبختر وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم والمراد
به وقوع العداوة والقتال بينهم
وسلط الله شرارهم على خيارهم
واخبر ان الروم ذات قرون أى
جماعات وملك قائم بدارهم الى
آخر الدهر بخلاف فارس فان
الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته
صلى الله عليه وسلم واخبر بذهاب
الامثل فالامثل اى الاشرف
فالاشرف من الناس وتبقى حثالة
كحثالة الشعير والتمر لا يباليهم
الله أى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم
وزنا وروى الترمذى عن أنس
رضى الله عنه لا تقوم الساعة حتى
يتقارب الزمان فتكون السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كالساعة والساعة
كالضرمة بالنار وهى حشيش
يحترق بسرعة والمراد ارتفاع
البركة من الاعوام والايام واخبر
بقبض العلم وظهور الفتن وروى
الشيخان عن زينب أم المؤمنين
رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال ويل للعرب من شر قد اقترب
واخبر بانه زويت له الارض أى
جمعت وضم بعضها الى بعض فأرى
مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ
ملك أمته ما زوى له منها فكان
كذلك فامتدت مملكتهم فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق الى بحر طنجة وهى بلدة بساحل
بحر المغرب وروى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى
تقوم الساعة وأخبر بملك بنى أمية وولاية معاوية رضى الله عنه ووصاه اذا ملك بالعدل والرفق وقال له اذا ملكت فأسجح أى ارفق

الله اقتصر على هذا الثانى وأن أميرهم كان مرثد الغنوى رضى الله تعالى عنه فقال سرية
مرثد الغنوى الى الرجيع قال قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما
الحديث لكنه فى سياق القصة قال وأمر عليهم عاصما وقيل مرثدا رضى الله تعالى عنهما
وأخر هذه السرية عن السرية بعدها التى هى سرية القراء الى بئر معونة

﴿سرية القراء رضى الله تعالى عنهم الى بئر معونة﴾

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة اى ويقال له ملاعب
الرماح وهو رأس بنى عامر أى ويقال له أيضا أبو براء بالمد لا غير وهو عم عامر بن الطفيل عدو
الله أى واهدى اليه صلى الله عليه وسلم ترسين وراحلتين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا أقبل هدية من مشرك وفى رواية نهيت عن عطايا المشركين (أقول) وفى كلام السهيلى
انه أهدى اليه فرسا وارسل اليه انى قد أصابنى وجع فابعث الى بشئ أتداوى به فارسل اليه
صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وأمره أن يستشفى به وقال نهيت عن زبد المشركين قال السهيلى
والزبد مشتق من الزبد لانه نهى عن مداهنتهم واللين لهم كما ان المداهنة مشتقة من الدهن
فرجع المعنى الى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل ان يكون قبله وهو الاقرب
والله أعلم فلما قدم عليه أبو عامر عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه
فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام أى وقال انى أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا أى ولم يسلم بعد
ذلك على الصحيح خلافا لمن عده فى الصحابة ثم قال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد
أى وهم بنو عامر و بنو سليم فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار وهم فى جوارى وعهدى
فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك وخرج أبو براء الى ناحية نجد وأخبرهم انه قد أجار أصحاب
محمد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو رضى الله تعالى عنه فى أربعين وقيل فى سبعين
وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى أى لانه الذى فى صحيح البخارى وقيل فى ثلاثين رجلا من أصحابه
من خيار المسلمين أى وذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل وهم وانه يمكن الجمع بين كونهم سبعين
وكونهم أربعين بأن الاربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا أتباعا ويقال لهؤلاء القراء أى
لملازمتهم قراءة القرآن فكانوا اذا أمسوا اجتمعوا فى ناحية المدينة يصلون و يتدارسون
القرآن فيظن أهلوهم انهم فى المسجد ويظن أهل المسجد انهم فى أهاليهم حتى اذا كان من وجه
الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاؤا بذلك الى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وفى كلام
بعضهم أنهم كانوا يحتطبون بالنهار و يتدارسون القرآن بالليل وكانوا يبيعون الحطب
و يشترون به طعاما لاصحاب الصفة وقد يقال لا منافاة لجواز أنهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا
أخرى أو بعضهم يفعل أحد الامرين و بعضهم يفعل الآخر وكان منهم عامر بن فهيرة رضى الله
تعالى عنه (وكتب صلى الله عليه وسلم) لهم كتابا فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهى بين أرض بنى
عامر وحرة بنى سليم والحرة أرض فيها حجارة سود فلما نزلوها بعثوا حرام بالحاء المهملة والراء ابن

ملحان

قال معاوية رضى الله عنه فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه قال له يا معاوية اذا
ملكت فأحسن وروى الترمذى والبيهقى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو أبى العاص
أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا اى يتداولونه واحدا بعد واحد والمراد انهم
يستأثرون بالمال ويمنعون الحقوق
و يبذرون ويسرفون و يضيعون
بيت مال المسلمين فكان كذلك
وروى البيهقى والامام أحمد أنه
صلى الله عليه وسلم أخبر بخروج
ولد العباس بالرايات السود حتى
ينزلوا بالشأم و يقتل الله على
أيديهم كل جبار وفى رواية
تخرج الرايات السود من خراسان
لا يردها شئ حتى تنصب بايليا أى
بيت المقدس وأخبر العباس بان
الخلافة قد تكون فى ولده
فكانوا يتوقعون ذلك وروى
الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال
ان أهل بيتى سيلقون بعدى
من أمتى قتلا وتشريدا وأخبر
بقتل على بن أبى طالب رضى الله
عنه كما رواه الامام أحمد والطبرانى
وان أشقى هذه الامة الذى
يخضب هذه يعنى لحية على رضى
الله عنه من هذه يعنى رأسه يشير
الى انه يضرب على رأسه ضربة
يسيل منها دمه حتى يبل لحيته
وروى الشيخان أنه صلى الله
عليه وسلم أخبر بقتل عثمان بن
عفان رضى الله عنه وهو يقرأ
فى المصحف فكان كذلك وروى
الترمذى عن ابن عمر رضى الله
عنهما أنه صلى الله عليه وسلم ذكر
فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما
يعنى عثمان رضى الله عنه وان
الله عسى أن يلبسه قميصا وانهم
يريدون خلعه وانه قال لعثمان
رضى الله عنه فلا تخلعه وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيقطر من دمه على قوله
تعالى فسيكفيكهم الله وتكلم فى هذا الحديث بعضهم لكن قال المحب الطبرى ان أكثرهم يروى ان قطرة من دمه أو قطرات
سقطت فى المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ونقل عن حذيفة رضى الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال

ملحان وهو خال أنس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل
لعنه الله أى وهو رأس بنى سليم وفى لفظ سيد بنى عامر وابن أخى أبى براء عامر بن مالك كما تقدم
فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا عليه فقتله أى بعد ان قال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليكم فآمنوا بالله و رسوله فجاءه رجل من خلفه فطعنه بالرمح فى جنبه
حتى نفذ من جنبه الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة وقال بالدم هكذا فنضحه على وجهه
ورأسه ثم استصرخ عليهم أى استغاث بنى عامر فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن
نخفر بأبى براء أى لا نزيل خفارته وننقض عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم
قبائل من سليم قال الحافظ الدمياطى عصية ورعلا وذكوان زاد بعضهم و بنى لحيان قال
بعضهم وليس فى محله (أقول) كان قائله سرى اليه ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم جمع بنى
لحيان فى الدعاء عليهم مع من ذكر قبله وسيأتى أنه انما جمعهم معهم لان خبر أصحاب الرجيع
وأصحاب بئر معونة جاءه صلى الله عليه وسلم فى يوم واحد و بنو لحيان أصحاب الرجيع فدعا عليهم
دعاء واحدا والله أعلم فلما دعا تلك القبائل الثلاثة التى هى عصية ورعل وذكوان أجابوه الى
ذلك ثم خرجوا حتى أحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا
الى آخرهم الا كعب بن زيد رضى الله تعالى عنه فانه بقى به رمق وحمل من المعركة فعاش بعد ذلك
حتى قتل يوم الخندق شهيدا والا عمرو بن أمية الضمرى رضى الله تعالى عنه ورجلا آخر كانا فى
سرح القوم ولما أحاطوا بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسولك عنا السلام غيرك فاقرأه
منا السلام فأخبره جبريل عليه السلام بذلك فقال وعليهم السلام أى وفى لفظ أنهم قالوا اللهم
بلغ عنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فلما جاءه الخبر من السماء
قام صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم
وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه ورضى عنا ربنا وفى لفظ فرضى عنا
وأرضانا فأنا رسولهم اليكم انهم قد رضوا عنه ورضى عنهم وذكر أنس رضى الله عنه أن ذلك
أى قولهم المذكور كان قرآنا يتلى ثم نسخت تلاوته أى فصار ليس له حكم القرآن من التعبد
بتلاوته وانه لا يمسه الا الطاهر ولا يتلى فى صلاة الى غير ذلك من أحكام القرآن ولما رأى عمرو
ابن أمية والرجل الذى معه الطير تحول على محل أصحابهما أى وكانا فى رعاية ابل القوم كما تقدم
قالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا ينظران فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم
واقفة فقال الرجل الذى مع عمرو ماذا ترى فقال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم
فنخبره الخبر فقال له لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو فأقبلا
فلقيا القوم فقتل ذلك الرجل وأسر عمرو فأخبرهم أنه من مضر فأخذه عامر بن الطفيل وجز
ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو حتى جاء الى ظل فجلس فيه فأقبل رجلان
حتى نزلا به معه فسألهما فأخبراه أنهما من بنى عامر وفى لفظ من بنى سليم وكان معهما عهد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فأمهلهما حتى ناما فعدا عليهما فقتلهما وهو
يرى أى يظن أنه قد أصاب بهما ثأرا من بنى عامر فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبره الخبر وأخبره بقتل الرجلين فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما أي لأدفعن ديتهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا ولما بلغ أبا براء أن عامر بن الطفيل ولد أخيه أزال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فعند ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل أي الذي هو ابن عمه فطعنه بالرمح فوقع في فخذه ووقع عن فرسه وقال ان أنا مت فدمي لعمي يعني أبا براء وان أعش فسأرى رأيي أي وفي لفظ نظرت في أمري وفي الاصابة ان ربيعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة أن أضرب عامر بن الطفيل ضربة أو طعنة قال نعم فرجع ربيعة فضرب عامرا ضربة أشواه منها فوثب عليه قومه فقالوا للعامر بن الطفيل اقتص فقال قد عفوت أي وعقب ذلك مات أبو براء أسفا على ما صنع به ابن أخيه عامر بن الطفيل من ازالته خفارته وعاش عامر بن الطفيل ولم يمت من هذه الطعنة بل مات بالطاعون بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في الوفود في وفد بني عامر ه أي وقال بعضهم قد أخطأ المستغفري في عده صحابيا ولما قتل عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه رفع الى السماء فلما رأى قاتله ذلك أسلم أي وهو جبار بن سلمى أي لا عامر بن الطفيل كما وقع في بعض الروايات كما علمت وقال صلى الله عليه وسلم أي لما بلغه قتل عامر بن فهيرة ان الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة أي في الارض أي بناء على أنه لما رفع الى السماء وضع كما في البخاري فقد جاء أن عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه وأشار الى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى اني لأنظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي بعض الروايات أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ أي فلم يوجد فيرون أن الملائكة رفعته وظاهرها أن الملائكة لم تضعه في الارض بل رفعته اه ويؤيده أن عامر بن الطفيل لعنه الله دخل بعمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه في القتلى وصار يقول له ما اسم هذا ما اسم هذا اما اسم هذا ثم قال له هل من أصحابك من ليس فيهم قال نعم ما رأيت فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قال له عامر أي رجل هو فيكم قال من أفضلنا وأولى أي ومن أولى المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر لما قتل رأيته رفع الى السماء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا (أقول) وفي رواية الشيخين قنت شهرا أي متتابعا يدعو على قاتلي أصحاب بئر معونة أي بعد الاعتدال في الصلوات الخمس من الركعة الاخيرة وحينئذ يكون المراد بالصباح اليوم وليلته وذكر بعض أصحابنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء المذكور وقاس عليه رفعهما في قنوت الصبح وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في قنوت الصبح واستدل أصحابنا على استحباب القنوت للنازلة في سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلي أصحاب بئر معونة وفي بعض السير فدعا النبي صلى الله عليه وسلم شهرا عليهم في صلاة الغداة وفي لفظ يدعو في الصبح وذلك بدء القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان وقد سئل الجلال السيوطي هل دعاؤه صلى

والذي نفسي بيده لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره أخرجه الحافظ السلفي وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتن يعني بين أصحابه لا تظهر ما دام عمر رضي الله عنه حيا ولقي عمر رضي الله عنه يوما أباذر رضي الله عنه فأخذ بيده وعصرها

فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا أباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت أن تتخطى الناس فجلست في أدبارهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم وروى الشيخان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما أيكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة رضي الله عنه ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل لحذيفة من الباب قال هو عمر فقيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة اني حدثته حديثا ليس بالاغاليط وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه مرة بالشام فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو أي الزبير ظالم وكان صلى الله عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي رضي الله عنه أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال أما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال له ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وأنت لي ظالم قال نعم ولكن الله نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ما لك قال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس

الله عليه وسلم على من قتل أصحابه كان عقب فراغه من القنوت المشهور أو كان الدعاء هو قنوته فأجاب رحمه الله بأنه لم يقف على شيء من الاحاديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعاء قال بل ظاهر الاحاديث أنه اقتصر على الدعاء أي فيكون قنوته هو هو الدعاء وهو الموافق لقول أصحابنا ويستحب القنوت في اعتدال آخرة صبح مطلقا وآخر سائر المكتوبات أي باقيها للنازلة وهو اللهم اهدنا الخ في أن أل في القنوت للعهد والله أعلم وفي رواية أنه يدعو على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين أي بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لانه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما في وقت واحد كما تقدم وأدمج البخاري رحمه الله بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما في الزمن اي ففيه مكث صلى الله عليه وسلم يدعو على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان اي وهو يقتضي أنهما شيء واحد وليس كذلك وقد علمت أن بني لحيان قتلوا أصحاب الرجيع ومن قبلهم قتلوا أصحاب بئر معونة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء﴾

بالقاف مفتوحة وبالطاء المهملة وهم بنو بكر بن كلاب بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الى القرطاء في ثلاثين راكبا أي وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأمره أن يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار قال وصادف في طريقه ركبانا نازلين فأرسل اليهم رجلا من أصحابه يسأل من هم فذهب الرجل ثم رجع اليه فقال قوم من محارب فنزل قريبا منهم ثم أمهلهم حتى عطنوا أي بركوا الابل حول الماء أغار عليهم فقتل نفرا منهم أي عشرة وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء ولم يتعرض للظعن أي النساء انتهى ثم انطلق حتى اذا كان بموضع يطلعه على بني بكر بعث عباد بن بشر اليهم وخرج محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه في أصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاء ثم انحدر رضي الله عنه الى المدينة فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وعدل الجزور بعشرة من الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاة وأخذت تلك السرية ثمامة بن أثال الحنفي من بني حنيفة أي سيد أهل اليمامة وهم لا يعرفونه وجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفي فأحسنوا اساره أي قيده ه فربط بسارية من سواري المسجد قال وقيل ان هذه السرية لم تأخذه بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير في المدينة وقد كان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند مسيلمة وأراد اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه ان يمكنه منه فأخذ وجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فربط بسارية من سواري المسجد فدخل صلى الله عليه وسلم على أهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وأمر له صلى الله عليه وسلم بناقة يأتيه لبنها مساء وصباحا وكان ذلك لا يقع عند ثمامة موقعا من كفايته أي وجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ثمام هل أمكن الله منك فقال قد كان ذلك يا محمد ودار رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فيقول ما عندك يا ثمامة فيقول يا محمد عندي خير ان تقتل تقتل ذا كرم وفي لفظ ذا دم وان تعف تعف

لا لمقاتلته فقال قد حلفت أن لا أقاتله قال أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال علي رضي الله عنه أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قاتل الزبير في النار وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضي الله عنه بايعوا عليا لما بايعه الناس

ولم يرض بمبايعتهم لكنه خشي الفتنة لكثرتهم ولغلبهم وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم اياه وامتنع معاوية وجماعة من البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان وأرادت عائشة رضي الله عنها أن تساوي الامر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضي الله عنه فسارت في هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير رضي الله عنهما حتى التقوا مع علي رضي الله عنه وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية فلم يتم الامر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد وكانوا كلهم مجتهدين رضي الله عنهم ثم تبين لعائشة رضي الله عنها ان الحق مع علي رضي الله عنه في عدم تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب أمرهم فكان يرى تأخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم فلما تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة في عز واكرام وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى هذا القتال وأخبر به وذلك ان عائشة رضي الله عنها كانت مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم يوما والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وهن يتحدثن فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة

وموحدة اسم ماء أو موضع في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة وفي حديث آخر أخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضي الله عنها بذلك المكان نبحتها كلاب به فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس الحوأب ثم تبين لها الامر فعادت بعد الصلح كما تقدم وروى الحاكم والبيهقي عن أم سلمة

رضى الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها أى تعجبا من خروج المرأة على الخليفة فقال انظرى يا حميراء أن لا تكونى أنت ثم التفت الى على رضى الله عنه فقال ان وليت من أمرها شيأ فارفق بها وقد امتثل الامر رضى الله عنه فانه أرسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد وشيعها على رضى الله عنه بنفسه اميالا وسرح بنيه معها يوما * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار ابن ياسر تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وكان هو مع على بصفين وكان كل من على ومعاوية رضى الله عنهما مجتهدا لكن عليا رضى الله عنه هو المصيب فى تأخير أمر قتلة عثمان ومعاوية رضى الله عنه هو المخطئ فى طلب التعجيل بأخذ ثاره قبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم لكن حيث كان ذلك ناشئا عن اجتهاد فلا لوم عليه للحديث المشهور ان المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطأ له أجر واحد فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضى الله عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة وما عداه زيغ وضلال نسأل الله الحفظ منه * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالهلاك وسبب قوله ذلك انه صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى دمه لعبد الله ابن الزبير رضى الله عنه ليدفنه وكان صغيرا فتوارى وشربه فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال له أما انك لن تمسك النار وقال له أيضا ويل للناس منك وويل لك من الناس حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان الى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنه يكر على الالوف فيهزمها وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والشجاعة ولما انما كان من ذلك الدم * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله فى حق قزمان انه من أهل النار وذلك ان قزمان قاتل فى بعض الغزوات أى غزوة خيبر وقيل حنين قتالا شديدا حتى أعجب الصحابة رضى الله عنهم وكان شجاعا وهو مولى لبعض الانصار فلما رأى

عن شاكروان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ففعل ذلك معه ثلاثة أيام قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فجعلنا أيها المساكين أى أصحاب الصفة نقول بيننا ما يصنع بدم ثمامة والله لأكلة جزور سمينة من فدائه أحب الينا من دم ثمامة وفى الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم انصرف عن ثمامة وهو يقول اللهم أكلة لحم من جزور أحب الى من دم ثمامة ثم أمر به فاطلق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث قال أطلقوا ثمامة فقد عفوت عنك يا ثمامة فاطلق فانطلق الى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر ثيابه ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أى وهذا يخالف ما ذكره فقهاؤنا من الاستدلال بقصة ثمامة على انه يستحب لمن أسلم أن يغتسل لاسلامه ثم رأيت بعض متأخرى أصحابنا أجاب بأنه أسلم أولا ثم لما اغتسل أظهر اسلامه وفى الاستيعاب فاسلم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يغتسل كما فى رواية أخرى أنه قال يا محمد والله ما كان على الارض وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى والله ما كان على الارض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الى ثم شهد شهادة الحق فلما أمسى جىء له بما كان يأتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم يصب من حلاب اللقحة الا يسيرا فعجب المسلمون قال وقال يا رسول الله انى خرجت معتمرا وفى لفظ فى الصحيح فان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فامره ان يعتمر فلما قدم بطن مكة لبى فكان أول من دخل مكة ملبيا فاخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا أنت صبوت يا ثمامة قال أسلمت وتبعت خير دين محمد والله لا يصل اليكم حبة من حنطة أى من اليمامة من أرض اليمن وكان ريفا لاهل مكة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة لطعامكم فخلوا سبيله فخرج ثمامة الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيأ حتى أضر بهم الجوع وأكلت قريش العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الابل فيشوى على النار ثم تقدم فكتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثمامة رضى الله تعالى عنه أن يخلى بينهم وبين الحمل وفى لفظ خل بين قومى وبين ميرتهم ففعل فانزل الله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب الآية هذا والذى فى الاستيعاب أن ثمامة لما دخل مكة وقد سمع المشركون خبره قالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك قال لا أدرى ما تقولون الا أنى أقسمت برب هذه البنية يعنى الكعبة لا يصل اليكم من اليمامة شىء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا من آخركم وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ثم خرج رضى الله تعالى عنه فمنع عنهم ما كان يأتى منها فلما أضر بهم ذلك كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحث عليها وان ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا فان رأيت ان تكتب اليه ان يخلى بيننا وبين ميرتنا فافعل فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل بين قومى وبين ميرتهم

الصحابة اقدامه وشجاعته أخبروا النبى صلى الله عليه وسلم بخبره فقال انه من أهل النار ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل انه أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم به فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا ان ينادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم فيه انه من أهل النار اما لكونه منافقا أو انه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة أو انه استحل قتل نفسه فلا ينافى ان قتل الشخص نفسه لا يقتضى كفره وروى الطبرانى والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال فى حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم أبو هريرة وحذيفة ابن اليمان وسمرة بن جندب آخركم موتا فى النار فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم موتا كبر سنه فأصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه فاوقدت له نار ليصطلى بها فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وابهم لهم النار حيث لم يبين لهم انها نار الدنيا ليجدوا فى أعمالهم ويدأبوا على الخوف والمراقبة أو انه لم يؤذن له فى ذلك وذلك من الحكم الخفية قال ابن حكيم الضبى كنت اذا لقيت أبا هريرة رضى الله عنه سألنى عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة فى بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا فى النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله وفى رواية للبيهقى كان اذا أراد احد أن يغيظ أبا هريرة قال مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ثم مات أبو هريرة قبل سمرة رضى الله عنهما وروى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه صلى الله عليه وسلم قال فى حنظلة بن أبى عامر الانصارى الغسيل الذى استشهد يوم أحد انى رأيت الملائكة تغسله فسلوا امرأته عنه فسألوها فقالت انه خرج جنبا اعجله الحال عن الغسل وكان عروسا ابتنى بجميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وكانت امرأة صالحة قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ووجد رأسه

ولما عجب المسلمون من أكله بعد اسلامه رضى الله تعالى عنه لكونه دون أكله قبل اسلامه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر ليأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد انتهى أى وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك مع جهجاه الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه أكل مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو كافر فأكثر ثم أكل معه وقد أسلم فأقل فقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ثم رأيت فى الجامع الصغير ان الكافر ليشرب فى سبعة أمعاء والمسلم يشرب فى معى واحد والمراد أنه يأكل ويشرب مثل الذى يأكل ويشرب فى سبعة أمعاء وكان رضى الله تعالى عنه مقيما باليمامة ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة فى قومه على الاسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله ويقول لهم اياكم وأمرا مظلما لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه منكم

﴿سرية عكاشة بن محصن رضى الله عنه الى الغمر﴾

بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء ماء لبنى أسد أى جمع من بنى أسد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه فى أربعين رجلا منهم ثابت بن أرقم رضى الله عنه وقيل ان ثابتا رضى الله عنه هو الذى كان الامير على هذه السرية فخرج يسرع فى السير الى أن وصل الى الماء المذكور فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا فى دارهم أحدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا ويرى أثرا فاخبر أنه رأى أثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس قال وأين الناس لقد لحقوا بعليات بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه أحدهم بسوط فى يده فقال تؤمنونى على دمى وأطلعكم على نعم لبنى عم له لم يعلموا بمسيركم اليهم قالوا نعم فامنوه فانطلقوا معه فامعن أى بالغ فى الطلب حتى خافوا أن يكون ذلك غدرا منه لهم فقالوا والله لتصدقنا أو لنضربن عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا المحل فلما اطلعوا منه وجدوا نعما رواتع فاغاروا عليها فاستاقوها فاذا هى مائة بعير وشردت الاعراب فى كل وجه ولم يطلبوهم وانحدروا الى المدينة بتلك الابل وأطلقوا الرجل الذى أمنوه والله أعلم

﴿سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه لذى القصة﴾

بفتح القاف والصاد المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر لبنى ثعلبة وبنى عوال من ثعلبة بذى القصة فورد عليهم ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة وأصحابه وأمهلوهم حتى ناموا وأحدقوا بهم أى فما شعروا الا وقد خالطهم القوم فوثب محمد بن مسلمة فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا وتراموا ساعة ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضربوا كعبه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوه من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد وأصحابه رجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضى الله تعالى عنه يسترجع تحرك له فاخذه وحمله الى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا

تقطر دما أى وذلك من أثر تغسيل الملائكة * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الامام أحمد والترمذى بل وأصحاب الكتب الستة من قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على رضى الله عنهما وقال الخلافة فى قريش ولن يزال ١٩٦ هذا الامر فى قريش ما أقاموا الدين أى فاذا غيروا غيرهم الله وقد وقع كما قاله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون فى ثقيف كذاب ومبير أى مهلك يكثر القتل قال العلماء ان المراد بهما الحجاج والمختار بن أبى عبيد قال النووى أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج والكذاب هو المختار بن أبى عبيد الثقفى كان يزعم ان جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وكان له كرسى يضاهى به تابوت بنى اسرائيل فهو ضال مضل وكان فى أول أمره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم انه يأخذ بثار الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقا كثيرا واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأما الحجاج فأمره اشهر من أن يذكر * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن مسيلمة الكذاب يعقره الله وفى رواية يقتله وكان ادعى النبوة فى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم فجهز اليه الصديق رضى الله عنه جيشا وأمر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا مسيلمة وقومه حتى قتله الله وكان قتله على يد وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وشاركه فيه ناس ففى التعبير عن قتله بالعقر اشارة الى أنه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنته صلى الله عليه وسلم أول أهله لحوقا به أى أول أهل بيته لحوقا به فكانت بعده بستة أشهر * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات انه أنذر أصحابه عن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم فوقع ذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فارتد بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب الا أهل الحرمين وأهل

ووجدوا نعما وشاء فانحدروا بها الى المدينة

﴿سرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى ذى القصة أيضا﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه فى أربعين رجلا الى من بذى القصة فانه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم يريدون أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال وأسروا رجلا واحدا وأخذوا نعما من نعمهم ورثة أى أمتعة خلقة من متاعهم وقدموا بذلك الى المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم الرجل فتركه صلى الله عليه وسلم

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه الى بنى سليم بالجموح﴾

بفتح الجيم وهو اسم لناحية من بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بنى سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فاصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال القوم فاصابوا فى تلك المحلة ابلا وشاء وأسروا منها جماعة من جملتهم زوج تلك المرأة وانحدروا بذلك الى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى العيص﴾

وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عير القريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة فى سبعين ومائة راكب ليعترضها أى وكان فيها أبو العاص ابن الربيع وقدم به وبتلك العير المدينة فاستجار أبو العاص بزوجته زينب رضى الله عنها فاجارته ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر أى دخل فى الصلاة هو وأصحابه فقالت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لما سلم وأقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفسى بيده ما علمت بشئ من هذا أى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته وقال قد أجرنا من أجرت قال وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم أى وفى الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما أى أزال خفارته أى نقض جواره وعهده فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم دخلت عليه صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله تعالى عنها فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه فأجابها الى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له أى لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين أى كما تقدم فى الحديبية وبعث صلى الله عليه وسلم للسرية فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرد عليه فردوا عليه ما أخذ منه وهذا السياق يدل على ان ذلك كان قبل صلح الحديبية ووقوع الهدنة لان بعد ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وهو يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لها لا يخلص اليك لان تحريم

البحرين فكفى الله أمر المرتدين بأبى بكر رضى الله عنه بعد ان قاسى منهم أمورا شديدة فلما توفى رضى الله عنه حتى رجعت العرب الى الاسلام * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار عن أبى عبيد رضى الله عنه والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر أى دين الاسلام بدأ نبوة ورحمة ١٩٧ ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبرية من الجبر وهو الاكراه والقهر وفسادا فى الامة فكان الامر كما أخبر * ومما أخبر به من المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرنى رضى الله عنه وكان قد اشتغل ببر أمه عن الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وسلم والا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به بياض أى برص فبرأ منه الا موضع درهم أى لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه فمن أدركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم لهم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول فى أهل الارض معروف فى السماء لو أقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر رضى الله عنه قام على أبى قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما أويس ولكن انه أخ لى أخمل ذكرا وأهون من ان نرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله عنه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل قال

نكاح المؤمنات على المشركين انما كان فى الحديبية وقد ذكر بعضهم أن ذلك كان قبيل الفتح سنة ثمان ومن ثم ذكر الزهرى وتبعه ابن عقبة رحمهما الله تعالى ان الذين أخذوا هذا العير وأسروا من فيها أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما رضى الله عنهم لانهم كانوا فى مدة صلح الحديبية من شأنهم ان كل عير مرت بهم لقريش أخذوها بغير معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما أخذوا هذه العير خلوا سبيل أبى العاص لكونه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أعجزهم هربا وجاء تحت الليل فدخل على زوجته زينب رضى الله تعالى عنها فاستجار بها فاجارته ثم كلمها فى أصحابه الذين أسروا فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فخطب الناس وقال انا صاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه قد أقبل من الشام فى أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأسروهم وأخذوا ما كان معهم وان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى أن أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأبا بصير وأصحابهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا الاسرى وردوا عليهم كل شئ حتى العقال وصوب فى الهدى هذا الذى ذكره الزهرى أى لما علمت ان مما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبنته زينب ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان بعد الحديبية وذكر ان المسلمين قالوا لابى العاص يا أبا العاص انك فى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لانه يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئسما أمرتمونى افتتح دينى بغدرة أى بالغدر وعدم الوفاء ثم ذهب أبو العاص الى أهل مكة فادى كل ذى حق حقه ثم قام فقال يا أهل مكة هل بقى لاحد منكم مال لم يأخذه هل وفيت ذمتى فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما فقال انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى عن الاسلام عنده الا خشية أن تظنوا أنى انما أردت ان آكل أموالكم ثم خرج حتى قدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها على النكاح الاول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى (أقول) وفى رواية بعد سنتين والمتبادر أن السنة أو السنتين من اسلامها دونه وهو مخالف لما عليه أهل العلم من أنه لا بد أن يجتمع الزوجان فى الاسلام والعدة ومن ثم قالت طائفة منهم الترمذى هذا حديث ليس باسناده بأس ولكن لا يعرف وجهه وفى كلام بعض الحفاظ يمكن أن يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من اسلامها دونه صيره مجهول تاريخ الابتداء فلا يصح الاستدلال به وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد بنته زينب على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا فى اسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف وقال آخر لا يثبت والحديث الصحيح انما هو أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاول وقال ابن عبد البر حديث انه صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الاصول وان صح الاول أريد به على الصداق الاول وهو محل

رأى ابل أجير فقالا لسنا نسألنك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك قال ماتريدان منى
فأخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وسألاه أن يكشف لهما عن البياض الذى تحت منكبه الايسر لتتحقق العلامة
فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف كما أخبر صلى الله عليه وسلم وسألاه الدعاء كما أمرهما صلى الله عليه وسلم ثم سألاهما
من هما فعرفاه بأنفسهما فقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله خيرا عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضى الله عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائى وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد لى ولا ترانى بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وجاء فى حديث صحيح ان خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى وقال الامام أحمد ان سعيد ابن المسيب أفضل التابعين قال القرافى لعل الامام أحمد لم يقف على هذا الحديث أولم يصح عنده وقال النووى أفضلية أويس شدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه فلا منافاة وقيل أفضلهم الحسن البصرى وقيل حفصة بنت سيرين قال بعضهم ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب والله أعلم * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه من اخباره بأنه سيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها فصل معهم فانها لك نافلة وقد وقع ذلك
كما أخبر صلى الله عليه وسلم * ومما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار والطبرانى بسند صحيح انه صلى
الله عليه وسلم قال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون أفياءكم ويضربون رقابكم وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم وروى الشيخان انه
صلى الله عليه وسلم قال خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون فهو

حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر لحديث أنه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام أئمة الحديث كالبخارى وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطنى والبيهقى وغيرهم هذا كلامه وفى كون زينب رضى الله تعالى عنها كانت مشركة وأسلمت قبل زوجها المشعر به قول بعضهم ولم يقل من اسلامها نظر لانها اتبعت ما بعث به أبوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها لا يقال فحيث كانت مسلمة فكيف زوجها من أبى العاص وهو كافر لانا نقول على فرض أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لان تلك الآية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على أن ابن سعد ذكر انه صلى الله عليه وسلم زوجها له فى الجاهلية أى قبل البعثة والله أعلم

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى بنى ثعلبة﴾

أى بالطرف ككتف اسم ماء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا أى بالطرف فأصاب عشرين بعيرا وشاء واقتصر الحافظ الدمياطى على النعم ولم يذكر الشاء ولم يجد أحدا لانهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فصبح زيد رضى الله تعالى عنه بالنعم والشاء المدينة أى وقد خرجوا فى طلبه فأعجزهم ٥ وكان شعارهم الذى يتعارفون به فى ظلمة الليل أمت أمت

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى جذام﴾

محل يقال له حسمى بكسر الحاء المهملة وسكون السين على وزن فعلى وهو موضع وراء وادى القرى يقال ان الطوفان أقام بذلك المحل بعد نضوبه أى ذهابه ثمانين سنة وسببها ان دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم أى وكان صلى الله عليه وسلم وجهه اليه ٥ كذا قيل ولعله من تصرف بعض الرواة أو أنه أرسله اليه بغير كتاب والا فارساله اليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لانه كان بعد الحديبية ولما وصل رضى الله تعالى عنه اليه أجازه بمال وكساه فأقبل بذلك الى أن وصل ذلك المحل فلقيه الهنيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ولم يتركوا عليه الا ثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بنى الضبيب أى ممن أسلم منهم فنفروا اليهم واستنقذوا لدحية رضى الله تعالى عنه ما أخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية وكان زيد رضى الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فأقبل حتى هجم على القوم أى على الهنيد وابنه ومن كان معهم مع الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم وأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف ومن السبى مائة من النساء والصبيان قال ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد رضى الله تعالى عنه ركبوا وجاؤا الى زيد وقال له رجل منهم انا قوم مسلمون فقال له زيد اقرأ أم الكتاب فقرأها ثم قدم منهم جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر وقال بعضهم يا رسول الله لا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما فقال كيف أصنع بالقتلى فقال أطلق لنا من كان حيا ومن قتل

ويندرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن يعنى عظم البدن لكثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم
فى عواقب الامور وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال هلاك أمتى على يد أغيلمة من قريش قال أبو هريرة رضى الله عنه
راوى الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأراد يزيد وبعض بنى مروان ولم يسمهم خوف الفتنة وكان أبو
هريرة رضى الله عنه يقول أعوذ بالله من رأس الستين وأمارة الصبيان فتوفى قبل ذلك وكانت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذى أراده أبو هريرة رضى الله عنه وكان ذلك باعلام من النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية فى حديث رواه الترمذى وأبو داود والحاكم وأخبر انهم مجوس هذه الامة وكذا أخبر بظهور الرافضة فى أحاديث رواها البيهقى من طرق متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفى رواية فاقتلوهم فانهم مشركون * وأخبر صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البغوى وغيره بأنها لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع ذلك من كثير من أهل البدع يتناولون كثيرا من الصحابة وأهل البيت وكثير من الفقهاء يتعاطون سب كثير من الاولياء كسيدى محيى الدين ابن العربى وسيدى عمر بن الفارض رضى الله عنهما فنعوذ بالله من أمثال ذلك فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله أن ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا فى زمرتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الانصار يقلون حتى يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى منكم شيأ يضر فيه قوما وينفع آخرين
فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم انكم ستلقون اثرة بعدى فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فكان ذلك كله كما أخبر
صلى الله عليه وسلم وأخبر بشأن الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه وجاء ذلك فى أحاديث رواها الشيخان وغيرهما أخبر
بأن آيتهم رجل أسود احدى ثدييه مثل ثدى المرأة ومثل البضعة تدردر فلما قاتلهم على رضى الله عنه خطب الناس وذكر

فهو تحت قدمى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقالوا ابعث معنا رجلا الى زيد رضى الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يأمر زيدا أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم أى فقال على يا رسول الله ان زيدا لا يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فأخذه وتوجه فلقى على كرم الله وجهه رجلا أرسله زيد رضى الله تعالى عنه مبشرا على ناقة من ابل القوم فردها على كرم الله وجهه على القوم وأردفه خلفه ولقى زيدا فأبلغه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال هذا سيفه صلى الله عليه وسلم فعرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شئ فليرده فهذا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الناس كافة كل ما أخذوه انتهى (أقول) وهذا السياق يدل على أن جميع ما أخذه من النعم والشاء والسبى كان ان أسلم من جذام من بنى الضبيب وأن بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفى ذلك من البعد ما لا يخفى والله أعلم

﴿سرية أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه لبنى فزارة﴾

كما فى صحيح مسلم بوادى القرى عن سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أى جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذرارى فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة أى وهى أم قرفة عليها قشع من أدم أى فروة خلقة معها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر فنفلنى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك أى أبوك لله خالصا حيث أنجب بك وأتى بمثلك يقال ذلك فى مقام المدح والتعجب أى وقد كان وصف له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هى لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين وفى لفظ فدى بها أسيرا كان فى قريش من المسلمين كذا ذكر الاصل أن أمير هذه السرية أى التى أصابت أم قرفة أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأنه الذى فى مسلم وذكر فى الاصل قبل ذلك عن ابن اسحق وابن سعد أن أمير هذه السرية أى التى أصابت أم قرفة زيد بن حارثة رضى الله عنهما وأنه لقى بنى فزارة وأصيب بها ناس من أصحابه وانفلت زيد من بين القتلى أى احتمل جريحا وبه رمق فلما قدم زيد رضى الله تعالى عنه نذر أن لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بنى فزارة فلما عوفى أرسله صلى الله عليه وسلم اليهم فكمنوا النهار وساروا الليل حتى أحاطوا بهم وكبروا وأخذوا أم قرفة وكانت أم قرفة فى شرف من قومها كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم وكان لها اثنا عشر ولدا ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل فى العزة فتقول لو كنت أعز من أم قرفة فأمر زيد بن حارثة أن تقتل أم قرفة أى لانها كانت تسب النبى صلى الله عليه وسلم وجاء أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم أغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال

بعضهم انه خبر منكر ٥ فربط برجليها حبلين ثم ربطا الى بعيرين وزجرهما أى وقيل الى فرسين فركضا فشقاها نصفين وقرفة ولدها هذا الذى تكنى به قتله النبى صلى الله عليه وسلم وبقية أولادها قتلوا مع أهل الردة فى خلافة الصديق فلا خير فيها ولا فى بنيها ثم قدم واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وذكر له صلى الله عليه وسلم جمالها فقال صلى الله عليه وسلم لابن الاكوع ياسلمة ماجارية أصبتها قال يارسول الله جارية رجوت أن أفدى بها امرأة منا فى بنى فزارة فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين أو ثلاثا فعرف سلمة أنه صلى الله عليه وسلم يريدها فوهبها له فوهبها النبى صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بمكة كان أحد الاشراف فولدت له عبد الرحمن بن حزن وانما قيل لحزن خاله لان فاطمة أم أبى النبى صلى الله عليه وسلم هى بنت عائذ كما تقدم وعائذ جد حزن لابيه وفى لفظ بنت عمرو ابن عائذ وفى كلام السهيلى أن رواية الفداء ان كان أسيرا بمكة أصح من رواية أنه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن وجمع الشمس الشامى بين الروايتين حيث قال يحتمل أنهما سريتان اتفق لسلمة بن الاكوع فيهما ذلك أى احداهما لابى بكر والاخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك أن فى سرية أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بنت أم قرفة الى مكة ففدى بها اسرى كانوا فى أيدى المشركين أى وفى سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة قال ولم أر من تعرض لتحرير ذلك انتهى (أقول) فى هذا الجمع نظر لانه يقتضى أن أم قرفة تعددت وان كل واحدة كانت لها بنت جميلة وأن سلمة بن الاكوع أسرهما وأنه صلى الله عليه وسلم أخذهما منه وفى ذلك بعد الا أن يقال لا تعدد لام قرفة وتسمية المرأة فى سرية أبى بكر أم قرفة وهم من بعض الرواة ويدل عليه أن بعضهم أوردها ولم يسم المرأة أم قرفة بل قال فيهم امرأة من بنى فزارة معها بنت لها من أحسن العرب فنفلنى أبو بكر بنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق مرتين فى يومين فقال ياسلمة هب لى المرأة فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا كانوا أسرى بمكة ثم لا يخفى ان ماذكره الاصل عن ابن اسحق وابن سعد من أنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة الى وادى القرى أى غازيا لبنى فزارة وأنه لقيهم وأصيب بها ناس من أصحابه وأفلت زيد من بين القتلى جريحا الخ يخالفه ماذكره عن ابن سعد مما يقتضى أن زيد بن حارثة فى هذه لم يكن غازيا بل كان تاجرا وأنه لم يرسل لبنى فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه والمذكور عن ابن سعد مانصه قالوا خرج زيد بن حارثة فى تجارة الى الشأم ومعه بضائع لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه أى ظنوا أنهم قد قتلوا وأخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر زيد أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فلما خلص من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية لهم وقال لهم أكمنوا النهار وسيروا الليل فخرج بهم دليل من بنى فزارة وقد نذر بهم القوم فكانوا يجعلون له ناظورا حين يصبحون فينظر على جبل يشرف على وجه الطريق الذى يرون أن المسلمين يأتون منه فينظر قدر مسيرة يوم فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا أمسوا أشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة

الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد شكر الله اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه رضى الله عنه على الحق وهم على الباطل أى زاده ذلك يقينا وأخبر ان سيماهم التحليق أى حلق رؤسهم ولم يكن فى الصدر الاول حلق الرؤس الا فى نسك وأخبر صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة ان ترى رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتطاولون فى البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له فى الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله * ومما أخبر عنه من المغيبات ما رواه الشيخان ان قريشا لا يغزونه بعد غزوة الاحزاب وانه هو الذى يغزوهم فكان كذلك وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أخبر بالموتان الذى يكون بعد فتح بيت المقدس والموتان على زنة البطلان والمراد منه الموت الكثير فكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه بعد فتح بيت المقدس ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكر المسلمين وهو أول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون ألفا فى ثلاثة أيام وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ثم استفاضة المال وفتنة وهدنة بينكم وبين بنى الاصفر وروى أبو داود عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون أمصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها وكلاؤها بشد اللام مرسى سفنها ففى هذا الحديث من أعلام نبوته ومن الاخبار بالغيب مالا يخفى فانه مصرت البصرة فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة سبع عشرة بناها عتبة بن غزوان رضى الله عنه وسكنت سنة

فيقول ناموا فلا بأس عليكم فى هذه الليلة فلما كان زيد بن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلة أخطأ بهم الدليل الفزارى طريقهم فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضر من بنى فزارة فحمدوا خطأهم فكمن لهم فى الليل حتى أصبحوا فأحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر أصحابه الى آخر ما تقدم ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء اليه صلى الله عليه وسلم وقرع عليه الباب فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه واعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله تعالى به وحينئذ يشكل قوله فى الاصل ثبت عن ابن سعد ان لزيد بن حارثة سريتين بوادى القرى احداهما فى رجب والاخرى فى رمضان فانه بظاهره يقتضى انه أرسل غازيا فى المرتين لبنى فزارة بوادى القرى وقد علمت ان كلام ابن سعد يدل على أن زيد بن حارثة فى السرية الاولى انما كان تاجرا اجتاز ببنى فزارة بوادى القرى فقاتلوه هو وأصحابه وأخذوا ما معهم ثم رأيت الاصل تبع فى ذلك شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال سرية زيد بن حارثة الى وادى القرى فى رجب قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا رضى الله تعالى عنه أميرا ثم قال سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة بناحية وادى القرى فى رمضان وفيه ما علمت ثم لا يخفى أن فى هذا اطلاق السرية على الطائفة التى خرجت للتجارة ولا يختص ذلك بمن خرج للقتال أو لتجسس الاخبار وقد تقدم

﴿سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل﴾

بضم الدال المهملة وبفتحها وأنكره ابن دريد لبنى كلب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فأقعده بين يديه وعممه بيده قال أى بعد ان قال له تجهز فانى باعثك فى سرية من يومك هذا أو من الغد ان شاء الله تعالى ثم أمره أن يسرى من الليل الى دومة الجندل فى سبعمائة وعسكر واخارج المدينة فلما كان وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحببت يارسول الله أن يكون آخر عهدى بك وكان عليه عمامة من كرابيس أى غليظة قد لفها على رأسه فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم عممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه وقام صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال خذه يا ابن عوف انتهى وقال اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل أى لا تخن فى المغنم ولا تغدر أى لا تترك الوفاء ولا تقتل وليدا وفى رواية لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا أى صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم له اذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وهم يأبون ويقولون لا نعطى الا السيف وفى اليوم الثالث أسلم رأسهم وملكهم الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا قال فى النور لم أجد أحدا ترجمه والظاهر انه ما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وأسلم معه ناس كثير من قومه

ثمانى عشرة وكان أنس رضى الله عنه ممن سكنها ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم * ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان ان أمته يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة ولم يكن ذلك فى حياته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كما أخبر والحديث مروى فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها يوما ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما أضحكك يارسول الله فقال أناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبج البحر أى وسطه كالملوك على الاسرة قالت ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فرأى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال أولا فقالت ادع الله أن يجعلنى منهم فقال لها أنت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضى الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية فى خلافة عثمان رضى الله عنهما فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا لها دابة لتركبها فوقعت وماتت شهيدة رضى الله عنها وكان عمر رضى الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر فلما سمع هذا الحديث أذن للناس فى ركوبه وأم حرام رضى الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف يزار * وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسى والامام أبى حنيفة والبخارى وأمثالهم رضى الله عنهم وظهر فيهم من الاولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعد ولا يحصى وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال هاجت ريح والنبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته أى وهى غزوة تبوك وقيل غزوة بنى المصطلق فقال انها هاجت لموت منافق يعنى رفاعة بن زيد بن التابوت وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم ووجدوا اهلاكه وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوما القوم من جلسائه ضرس أحدكم فى النار مثل أحد قال أبو هريرة رضى الله عنه ذهب القوم كلهم أى ماتوا وبقيت أنا ورجل

فقتل مرتدا يوم اليمامة ولم يعينه لكراهته أو طلبا للستر وروى أبو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم أخبر بالذي غل خرزا من خرز يهود خيبر وكان قد توفي فأخبر صلى الله عليه وسلم به ليصلي عليه فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت
وجوه الناس فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشوا امتاعه ومامعه فوجدت ثلاث الخرزات التي غلها في رحله وروى
البيهقي ان ناقته صلى الله عليه وسلم
ضلت فطلبها الناس فقال رجل
من المنافقين كيف يزعم محمد انه
يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته
ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه
جبريل وأخبره بقول المنافق
وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه
وسلم ما أزعم أني أعلم الغيب وما
أعلمه ولكن الله أخبرني بقول
المنافق وبمكان ناقتي فهي في
الشعب قد تعلق زمامها بشجرة
كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب
فوجدوها حيث قال وكما وصف
فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو
زيد بن اللصيب * ومن اخباره
صلى الله عليه وسلم بالغيب ما أعلم به
أصحابه حين تجهز عام الفتح وقد
أراد اخفاء أمره من ان حاطب
ابن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب
الى أهل مكة يعلمهم بسيره صلى
الله عليه وسلم اليهم واخفى الكتاب
وبعث به مع امرأة وقال لها اخفيه
ما استطعت وقال صلى الله عليه
وسلم لعلي والزبير والمقداد رضي
الله عنهم انطلقوا الى روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني
به فانطلقوا وجاؤا بالكتاب فسأل
صلى الله عليه وسلم حاطبا فاعتذر
وحلف أنه ما فعل ذلك نفاقا
ولا ارتدادا فقبل صلى الله عليه وسلم
عذره كما تقدم ذلك مبسوطا في
غزوة الفتح * ومما أخبر به صلى
الله عليه وسلم من المغيبات ما أظهره
صلى الله عليه وسلم من شأن عمير بن وهب بن خلف لما قدم المدينة وأظهر انه جاء لطلب فك ابنه وهب من الاسر وقد
تواقف مع صفوان بن أمية في الحجر على ان صفوان يتحمل دينا كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم
المدينة سأله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فأحسنوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بالحجر

القوم

وأقر من أقام على كفره باعطاء الجزية أي وأرسل رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك وأنه يريد أن يتزوج فيهم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزوج بنت الاصبغ أي فتزوجها رضي الله تعالى عنه وبنى بها عندهم وقدم بها المدينة وهي أم ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهي أول كلبية نكحها قرشي ولم تلد غير سلمة وطلقها عبد الرحمن في مرض موته ثلاثا ومتعها جارية سوداء ومات وهي في العدة وقيل بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضي الله تعالى عنه قال وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أنه قال سرت لاسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فاذا فتى من الانصار أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا ثم قال وأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل بهم أولئك الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلت بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لن تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا وما نقص المكيال والميزان في قوم الا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون وما منع قوم الزكاة الا أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما نقض قوم عهد الله ورسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ ما كان في أيديهم وما حكم قوم بغير كتاب الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم وفي رواية الا ألبسهم الله شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض وفي الاصل ذكر ابن اسحق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه لدومة الجندل في سرية زاد في السيرة الشامية على ذلك قوله كما سيأتي

﴿سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى مدين﴾

قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه وهي تجاه تبوك فأصاب سبيا وفرقوا في بيعهم بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فقيل يا رسول الله فرق بينهم أي بين الامهات والاولاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوهم الا جميعا قال في الاصل وكان مع زيد رضي الله تعالى عنه في هذه السرية ضميرة مولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكذا أخوه رضي الله تعالى عنه وأخ له وهو تابع في ذلك لابن هشام ورد بأن مولى علي هذا الذي هو ضميرة لم يذكر في كتب الصحابة وكذا أخوه

﴿سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى بني سعد بن بكر بفدك﴾

وهي قرية بينها وبين المدينة ستة ليال أي وفي لفظ ثلاث مراحل وهي خراب الآن وفي الصحاح فدك قرية بخيبر وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن لبني سعد جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر وأن يجعلوا لهم تمر خيبر أي ما يوجد من غلتها فبعث عليهم عليا كرم الله وجهه في مائة رجل فسار الليل وكمن النهار الى أن نزلوا محلا بين خيبر وفدك فوجدوا به رجلا فسألوه عن

وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلني فقال أشهد انك
رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام أشهد
أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم وتقدم ذلك في غزوة بدر عند تعداد الاسراء * ومن
اخباره بالغيب قوله صلى الله عليه
وسلم لابي بن خلف أنا أقتلك ان شاء
الله حين قال له أبي عندي فرس
أعلفها كل يوم فرقا أقتلك عليها
وقد حقق الله قول نبيه صلى الله
عليه وسلم فانه قتل أبيا يوم أحد
كما تقدم في غزوة أحد * ومن
اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب
ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا
مصرع فلان ووضع يده على
الارض ثم قال هذا مصرع فلان
ووضع يده عليها وذكرهم واحدا
واحدا مشيرا الى مصارعهم
فصرعوا كذلك ما تجاوز أحد منهم
موضعه الذي أشار اليه * ومن
اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب
ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله
صلى الله عليه وسلم في الحسن بن
علي رضي الله عنهما ان ابني هذا
سيد وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين فكان كذلك
وذلك انه لما قتل علي كرم الله
وجهه بايع الناس الحسن على
الموت وكان الذين بايعوه أكثر من
أربعين ألفا وكانوا أطوع له وأحب
من أبيه فبقي نحو سبعة أشهر
خليفة بالعراق وخراسان وماوراء
النهر ثم سار الى معاوية وسار
معاوية اليه فلما تراءى الجمعان
بناحية الانبار علم الحسن رضي الله
عنه انه سيقع قتال يذهب فيه كثير
من المسلمين وعلم معاوية رضي الله
عنه مثل ذلك فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضي الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ما شئت وأنا ألتزمه فاصطلحا على
ان الحسن يفوض الامر له بشرط أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في أيام أبيه فأجابه معاوية رضي الله
عنه الى ذلك واشترط أن يكون الامر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين وحقق الله قول نبيه صلى الله

القوم أي فقال لا علم لي فشدوا عليه فأقر أنه عين أي جاسوس لهم وقال أخبركم على أن تؤمنوني فأمنوه فدلهم فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن فعزل علي كرم الله وجهه صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوحا أي حلوبا ه قريبة عهد بنتاج تدعى الحفدة بفتح الحاء وكسر الفاء وفتح الدال المهملة لسرعة سيرها ومنه في الدعاء اليك نسعى ونحفد ثم عزل الخمس وقسم الباقي على أصحابه (أقول) قوله يريدون أن يمدوا يهود خيبر يقتضي بظاهره أن ذلك كان عند محاصرة خيبر وعند ارادة ذلك وفيه ما لا يخفى لما تقدم والله أعلم

﴿سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الى أسير﴾

بضم الهمزة وفتح السين ويقال أسير بن رزام اليهودي بخيبر لما قتل الله أبا رافع بن سلام بن أبي الحقيق عظيم يهود خيبر كما تقدم أمروا عليهم أسير بن رزام قال ولما أمروه عليهم قال لهم اني صانع بمحمد ما لم يصنعه أصحابي فقالوا وما عسيت أن تصنع قال أسير في غطفان فأجمعهم لحربه قالوا نعم ما رأيت وكان ذلك قبل فتح خيبر انتهى فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر سرا يسأل عن خبر أسير وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فانتدب له ثلاثون رجلا وأمر عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن عتيك فقدموا على أسير فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك أي واستشار يهود في ذلك فأشاروا عليه بعدم الخروج وقالوا ما كان محمد ليستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مل الحرب قال في النور هذا الكلام لا يناسب أن يقال قبل فتح خيبر فالذي يظهر انها بعد فتح خيبر وأقول يجوز أن يكون المراد باستعماله على خيبر المعاملة وترك القتال ومن ثم أجاب بقوله انه صلى الله عليه وسلم قد مل الحرب والله أعلم فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من يهود مع كل رجل منهم رديف من المسلمين قال عبد الله بن أنيس كنت رديف الاسير فكان أسير اندم على خروجه معنا فاهوى بيده الى سيفي ففطنت بفتح الطاء له وقلت أغدرا عدو الله أغدرا عدو الله أغدرا عدو الله ثلاثا فضربته بالسيف فأطحت عامة فخذه فسقط وكان بيده مخدش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مأمومة وملنا على أصحابه فقتلناهم الا رجلا واحدا أعجزنا جريا ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث فقال صلى الله عليه وسلم قد نجاكم الله من القوم الظالمين وبصق في شجتي فلم تقح علي ولم تؤذني قال وفي رواية زيادة على ذلك وهي وقطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله بن أنيس جعلت معه على جلده دون ثيابه انتهى (أقول) تقدم نظير ذلك لعبد الله بن أنيس هذا لما أرسله صلى الله عليه وسلم لقتل سفيان بن خالد الهذلي وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن هذا وهم

عليه وسلم ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به وفي رواية ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وذلك ان سعدا

رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره أن يموت بالارض التي هاجر منها واشتد مرضه حتى أشفى أي أشرف على الموت فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ولم يكن لسعد الا بنت فقال يارسول الله أوصي بمالي كله قال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير وهو حديث مشهور ثم قال له صلى الله عليه وسلم لعلك تخلف أي تعيش حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون فشفاه الله من ذلك المرض وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به اناسا اسلموا على يديه وغنموا معه وأضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وكانت المدة التي عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة قال النووي فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما أخبر به فيه * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه من اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وذلك أنه بعث جيشا جهة الشام وقال أميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فان أصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله عن موضع قتالهم وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معركهم فنعاهم لاصحابه وقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم فلما أتاه يعلى بن أمية رضي الله عنه وكان رسولا من الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرني وان شئت أخبرتك فقال اخبرني فأخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت

من بعض الرواة ويحتمل تعدد الواقعة أي أعطاه صلى الله عليه وسلم عصاه أولا في تلك وأعطاه أخرى ثانيا في هذه وجعل العصاتين بين جلده وكفنه ولا مانع منه لكن ربما تتشوف النفس للسؤال عن حكمة تكرر ذلك لعبد الله بن أنيس وتخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله أعلم

﴿سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس رضي الله عنهما﴾

بالحاء المهملة وكسر الراء وسين مهملة وكل ما في الانصار حريس بالسين المهملة الا الحريش فانه بالشين المعجمة وقيل بدله جبار بن صخر الى أبي سفيان بن حرب بمكة ليغتاله وسببها أن أبا سفيان رضي الله عنه قال لنفر من قريش ألا أحد يغتال لنا محمدا فانه يمشي في الاسواق وحده فأتاه رجل من الاعراب وقال يعني نفسه قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عدوا فاذا أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله فان معي خنجرا بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر واني عارف بالطريق فقال له أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال له اطو أمرك وخرج ليلا الى أن قدم المدينة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الاشهل فعقل راحلته وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فجاء ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخلة ازاره أي بحاشيته من داخل فاذا بالخنجر فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقني قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أي وقال يارسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ما هممت به فعلمت أنك على الحق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومن تقدم معه الى أبي سفيان بمكة أي وذلك بعد قتل خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه وصلبه على الخشبة ورضي عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فأخبر قريشا بمكانه فخافوه لانه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يأت عمرو بخير واشتدوا في طلبه قال وفي رواية لما قدما مكة حبسا جمليهما ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له صاحبه يا عمرو لو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أبا سفيان فقال له عمرو اني أعرف بمكة من الفرس الابلق أي وان القوم اذا تعشوا جلسوا على أفنيتهم فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا لطلب أبي سفيان فلقيني رجل من قريش فعرفني وقال عمرو بن أمية فأخبر قريشا بي فهربت أنا وصاحبي انتهى أي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل ولقي عمرو رجلا من قريش فقتله أي قتل ذلك الرجل عمرو فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا ونحن في الغار فقلت لصاحبي ان رآنا صاح بنا فخرجت اليه ومعي خنجر أعددته لابي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة أسمع أهل مكة فجاء الناس يشتدون فوجدوه بآخر رمق فقالوا له من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فاحتملوه

فقلت

من حديثهم حرفا واحدا وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه يعني أرض الحبشة وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات فلما تحقق ذلك أسلم وروى الماوردي في أعلام النبوة

أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بأن فيروز الديلمي قتل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة بصنعاء فكان كذلك وروى الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم أخبر أبا ذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة وانه يعيش وحده ويموت وحده فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم أخبر ان أسرع زوجاته لحوقا به أطولهن يدا أي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أكثرهن صدقة فكانت أول الزوجات موتا وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل الحسين ابن علي رضي الله عنهما بالطف وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلاء وأخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة وقال فيها مضجعه وفي رواية ان جبريل عليه السلام جاءه بها وروى ابن عدي والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن صوحان العبدي رضي الله عنه يسبقه عضو من أعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في الذين كانوا معه على حرا حين تحرك بهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير اثبت فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وعد بعضهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد مات بالطاعون وهو نوع من أنواع الشهادة وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وتقدمت قصة تعرضه للنبي صلى الله عليه وسلم وانه أخذ أمانا ثم أسلم عام الفتح رضي الله عنه فلما سلب الله كسرى ملكه في

فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاة فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه فقال أحدهم لولا أن عمرو بن أمية بالمدينة لقلت انه هذا الماشي فلما حاذيت الخشبة شددت عليها فحملتها واشتديت أنا وصاحبي فخرجوا وراءنا فألقيت الخشبة فغيبه الله عنهم كذا في السيرة الهشامية وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الزبير والمقداد لانزاله وان الزبير أنزله فابتلعته الارض وتقدم عن ابن الجوزي مثل ما هنا من أن الذي أنزله عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه فيحتاج الى الجمع على تقدير صحة الروايتين ويقال ان عمرا قتل رجلا آخر سمعه يقول

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رجلين بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر ثم قدم رضي الله تعالى عنه المدينة وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

﴿سرية سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه﴾

وقيل كرز بن جابر رضي الله تعالى عنه وعليه الاكثرون ومن ثم اقتصر عليه الحافظ الدمياطي أي وقيل جرير بن عبد الله البجلي ورد بأن اسلام جرير بن عبد الله المذكور قال بعد هذه السرية بنحو أربع سنين ه الى العرنيين وسببها انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر أي ثمانية من عرينة وقيل أربعة من عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا مجهودين قد كادوا يهلكون أي اشتد هزالهم وصفرة ألوانهم وعظم بطونهم وقالوا يارسول الله آونا وأطعمنا فأنزلهم صلى الله عليه وسلم عنده أي بالصفة ثم قال لهم أي بعد أن ذكروا له صلى الله عليه وسلم ان المدينة وبية وخمة وانهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف لو خرجتم الى ذود لنا أي لقاح وكانت خمسة عشر فشربتم من ألبانها وأبوالها أي لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتفتيحا للسدد فان الاستسقاء وعظم البطن انما ينشأ عن السدد وآفة في الكبد ومن أعظم منافع الكبد ابن اللقاح لاسيما ان استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التي يخرج بها فأفعلوا ثم لما صحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبي صلى الله عليه وسلم ومثلوا به أي قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح وفي لفظ أنهم ركبوا بعضها واستاقوها فأدركهم يسار ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يده ورجله الحديث وبلغه صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وأرسل معهم من يقص آثارهم فأدركوهم فأحاطوا بهم فأسروهم ودخلوا بهم المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم أي غورت بمسامير محماة بالنار وألقوا بالحرة أي وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار يستسقون فلا يسقون قال أنس رضي الله تعالى عنه ولقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش

خلافة عمر رضى الله عنه اتى بسوار به لعمر رضى الله عنه فألبسهما سراقة رضى الله عنه تحقيقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرم لانه انما فعل ذلك تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما بعد ذلك ومثل ذلك لا يعد استعمالا محرما وروى أبو نعيم فى الدلائل والخطيب البغدادى فى تاريخه انه صلى الله عليه وسلم قال تبنى مدينة بين دجلة والصراة (وهو نهر بالعراق مشهور) تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعنى بتلك المدينة وهى بغداد وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقى أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى الامام أحمد والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتى من فرعون لقومه قال الاوزاعى فكانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم تبين انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان سفيها مدمنا للخمر تفاءل يوما فى المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليد

وفى هذا الحديث معنى لطيف وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب فشاركه فى التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية رضى الله عنهما وكانت دعواهما فى اعتقادهما ودينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا وروى البيهقى والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب

لبحبردها لم يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم ٥ وأنزل الله فيهم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية ولم يقع بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سمل عينا وفى لفظ أنهم لما أسروا بطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه بجمع السيول فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هنالك وأنه صلى الله عليه وسلم فقد من اللقاح لقحة تدعى الحفاء فسال عنها فقيل نحروها كذا فى سيرة الحافظ الدمياطى وقدم فيها هذه السرية على سرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله تعالى عنه

﴿سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى طائفة من هوازن﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ثلاثين رجلا الى عجز بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاى محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة مفتوحة ثم تاء تأنيث وأرسل معه صلى الله عليه وسلم دليلا من بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه محالهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل هل لك فى جمع آخر من خثعم فقال له عمر رضى الله تعالى عنه لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرنى بقتال هوازن

﴿سرية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى بنى كلاب﴾

عن سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره علينا فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدى سبعة أهل أبيات من المشركين وما زاده الاصل على هذا من قوله ان سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فزارة الخ نسب فيه للوهم لان ذلك كان فى سريته لبنى فزارة بوادى القرى وقد تقدمت فهما قضيتان مختلفتان جمع بينهما أى وهذا الذى فى الاصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطى وفيه ما علمت

﴿سرية بشير بن سعد الانصارى رضى الله تعالى عنه الى بنى مرة بفدك﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد فى ثلاثين رجلا الى بنى مرة بفدك وتقدم أنها قرية بينها وبين المدينة ستة أميال فخرج فلاقى رعاء الشاء فسأل عن الناس فقيل فى بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ اليهم فأدركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يترامون بالنبل حتى فنى نبل أصحاب بشير أى فلما أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث أى جرح وصار ما به رمق وضرب كعبه اختبارا لحياته فلم يتحرك فقيل مات فرجعوا بنعمهم وشياههم وجاء اليه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء بشير رضى الله تعالى عنه الى المدينة بعد ذلك أى فانه استمر بين

القتلى

رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو العامرى رضى الله عنه عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك فان سهيلا رضى الله عنه قام فى أهل مكة يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطبهم وثبتهم بنحو قيام أبى بكر رضى الله عنه فى أهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم كما تقدم بيان قيام سهيل لاهل مكة عند ذكره فى جملة اسرى بدر وروى ابن اسحق والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضى الله عنه حين أرسله لاكيدر دومة انك تجده يصيد البقر فخرج خالد ابن الوليد ومعه أربعمائة وعشرون فارسا فأتوه فى ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليهما فقتلوا اخاه حسان وأسروا اكيدر فقدموا به على النبى صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ومات على نصرانيته وقيل أسلم وعده ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة والله أعلم * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما كان يخبر به أصحابه عن المنافقين مما اسروه واخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ومن أقوالهم فيه صلى الله عليه وسلم وفى المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء وتقدم فى قصة فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا رضى الله عنه ان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب ابن أسيد والحرث بن هشام رضى الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل ان يتمكن الاسلام فى قلوبهم فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله اسيدا اذ لم يرهذا اليوم وقال الحرث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيأ ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحرث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول اخبرك * ومن اخباره بالغيب فى الصحيحين من اعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم اليهودى وانه فى مشط ومشاطة فى جف طلع نخلة ذكر وأنه فى بئر ذروان

القتلى الى الليل فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام بفدك عند يهودى أياما حتى قوى على المشى وجاء الى المدينة (أقول) وهذا يدل على أن بنى مرة الذين توجه اليهم بشير لم يكونوا بفدك بل بالقرب منها فيكون قوله أولا لبنى مرة بفدك فيه تسمح وأن بشيرا حصلت له هذه الحالة مرتين فليتأمل

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه الى بنى عوال وبنى عبد بن ثعلبة بالميفعة اسم محل وراء بطن نخل﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه فى مائة وثلاثين رجلا لبنى عوال وبنى عبد بن ثعلبة بالميفعة ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجموا عليهم جميعا ووقعوا فى وسط محالهم فقتلوا جمعا من أشرافهم واستاقوا نعما وشاء ولم يأسروا أحدا وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما الرجل الذى قال لا اله الا الله وهو مرداس بن نهيك وفى سيرة الحافظ الدمياطى نهيك بن مرداس والاول هو الذى فى الكشاف وقال له النبى صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فعن اسامة رضى الله تعالى عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما أعييناه قال لا اله الا الله فكف الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت انما قالها متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى تمنيت ان أكون أسلمت اليوم فيكفر عنى ما صنعت قال كذا وقع فى الاصل ان قتل اسامة للرجل الذى قال لا اله الا الله كان فى هذه السرية وقد تبع فى ذلك ابن سعد وانما كان ذلك فى سرية اسامة بن زيد للحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف ثم تاء تأنيث بطن من جهينة وسيأتى عن اسامة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس بن نهيك اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا واذا أدبروا كان من حاميتهم فهزمناهم فتبعته أنا ورجل من الانصار فرفعت عليه السيف فقال لا اله الا الله وزاد فى رواية محمد رسول الله فكف الانصارى فطعنته برمحى حتى قتلته ثم وجدت فى نفسى من ذلك موجدة شديدة حتى ما أقدر على أكل الطعام حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلنى واعتنقنى قال بعضهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث اسامة بن زيد يسأل عنه أصحابه ويحب ان يثنى عليه خير فلما رجعوا لم يسألهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله لو رأيت ما فعل اسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا الله فشد عليه اسامة فقتله وهو صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم فلما أكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الشريف لاسامة فقال يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقال أسامة رضى الله تعالى عنه انما قالها تخوفا من السلاح وفى رواية انما كان متعوذا من القتل قال أسامة رضى الله تعالى عنه ولا زال رسول الله صلى

الله عليه وسلم يكرر على حتى تمنيت انى لم أسلم الا يومئذ انتهى والذى فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا أصله ان مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها غالب ابن فضالة الليثى رضى الله تعالى عنه فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لى قال فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى وددت انى لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وقال أعتق رقبة وسيأتى نحو ذلك فى سرية غالب بن عبد الله الليثى الى مصاب بشير بن سعد ويبعد تعدد هذه الواقعة سيما فى مواطن ثلاثة أو أربعة وكون يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دليلا فى هذه السرية يقتضى انها متقدمة على سرية العرنيين فقد تقدم انهم قتلوه ثم رأيته فى النور قال ولعل هذا غير ذاك لكن لم أر له ذكرا فى الموالى الا أن يكون أحد موالى أقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب اليه ومن ثم لم يشهد أسامة رضى الله تعالى عنه مع على كرم الله وجهه قتالا وقال له لو أدخلت يدك فى فم تنين لادخلت يدى معها ولكنك قد سمعت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذى شهد أن لا اله الا الله وقلت له أعطى الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا اله الا الله والله أعلم

﴿سرية بشير بن سعد الانصارى رضى الله تعالى عنه الى يمن﴾

بفتح الياء آخر الحروف وقيل بدعها ويقال أمن بالهمزة مفتوحة وسكون الميم وجبار بفتح الجيم واد قريب من خيبر لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن أى قبل ان يسلم رضى الله تعالى عنه ليكون معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا المحل المذكور فأصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء بكسر الراء والمد ذهبوا الى القوم وأخبروهم فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم وعلياء بضم العين وسكون اللام مقصور نقيض السفلى فلم يظفر بأحد منهم الا برجلين أسروهما فرجع بالنعم والرجلين الى المدينة فأسلم الرجلان فأرسلهما صلى الله عليه وسلم قال والرجلان من جمع عيينة فان المسلمين لما القوا جمع عيينة انهزموا أمامهم وتبعوهم أخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى أى وعيينة بن حصن كان يقال له الاحمق المطاع لانه كان يتبعه عشرة آلاف قناة وقيل له عيينة قال فى الاصل لان عينه جحظت أى عظمت وكبرت فلقب بذلك رضى الله تعالى عنه

﴿سرية ابن أبى العوجاء السلمى رضى الله تعالى عنه الى بنى سليم﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى العوجاء رضى الله تعالى عنه السلمى فى خمسين رجلا الى بنى سليم فكان لهم جاسوس مع القوم فخرج اليهم وسبق القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا

والمشاطة ما يسقط من الشعر والجف وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشاء فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة فارسل صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فاستخرجوه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء وروى البيهقى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم أعلم عمه أباطالب بأكل الارضة ما فى صحيفة قريش التى تظاهروا بها على بنى هاشم حين امتنعوا من تسليم النبى صلى الله عليه وسلم لقريش يقتلونه وان الارضة أبقت فيها اسم الله تعالى فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدمت القصة فى ابتداء البعثة بتمامها هذا كله مع ما أخبر به من الحوادث التى تكون بعده فجاء كثير منها كما أخبر وبقى بعض سيظهر كما أخبر صلى الله عليه وسلم فمما أخبر به مما يكون بعده ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى أى وهى مدينة معروفة بالشام وهى مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وفى كامل ابن عدى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضىء له أعناق الابل ببصرى قال الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى وكذلك العلامة القسطلانى وهذا ينطبق على النار التى ظهرت بالمدينة فى المائة السابعة وتقدمها زلزلة وكان ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة وقيل ابتدأت يوم الثلاث ثالث الشهر المذكور وجمع بان الاول نظر لابتدائها الخفى على بعض الناس والثانى نظر الى ظهورها الخاص والعام واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لباريها كثيرا تتوسل أن ينظر اليها ودامت حركة بعد حركة حتى أيقن أهل المدينة بالهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا فلما كان يوم الجمعة فى نصف النهار ثار فى الجو دخان متراكم أمره متفاقم ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشى الابصار ونقل العلامة القسطلانى عن القرطبى فى تذكرته أنه

كثير الجأوا اليهم وهم معدون لهم فدعوهم الى الاسلام فقالوا أى حاجة لنا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد تأتيهم وأحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبى العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه الى بنى الملوح﴾

بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ثم حاء مهملة بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثى فى بضعة عشر رجلا قال وما نقل عن الواقدى انهم كانوا مائة وثلاثين رجلا فذلك فى سرية لغالب غير هذه انتهى (أقول) وهى المتقدمة التى توجهت لبنى عوال وبنى عبد بن ثعلبة بالميفعة والله أعلم وأمر صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله وأصحابه ان يشنوا الغارة على القوم فخرجوا حتى اذا كانوا بقديد لحقوا الحرث الليثى فأسروه فقال انما خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فقالوا له ان كنت مسلما لم يضرك ربطنا لك يوما وليلة وان كنت غير ذلك استوثقنا منك فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر وفى لفظ خلفوا عليه رجلا أسود منهم وقالوا له ان نازعك فاحتز رأسه وساروا حتى أتوا محل القوم عند غروب الشمس فكمنوا فى ناحية الوادى قال جندب الجهنى وأرسلنى القوم جاسوسا لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر أى القوم المقيمين بجاههم فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لانظر اذ خرج رجل منهم فقال لامرأته انى لانظر على هذا الجبل سوادا ما رأيته قبل انظرى الى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيأ فنظرت فقالت والله ما فقدت من أوعيتى شيأ فقال ناولينى قوسى ونبلى فناولته قوسه وسهمين فأرسل سهما فوالله ما أخطأ بين عينى فانتزعته وثبت مكانى فأرسل آخر فوضعه فى منكبى فانتزعته وثبت مكانى فقال لامرأته والله لو كان جاسوسا لتحرك لقد خالطه سهمان لا أبالك أى بكسر الكاف أى لا كافل لك غير نفسك وهو بهذا المعنى يذكر فى معرض المدح وربما يذكر فى معرض الذم وفى معرض التعجب لا بهذا المعنى فاذا أصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل فلما اطمأنوا وناموا شننا عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعد ان قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية أى ومروا على الحرث الليثى فاحتملوه واحتملوا صاحبهم الذى تركوه عنده فخرج صريخ القوم فى قومهم فجاء ما لا قبل لنا به فصار بيننا وبينهم الوادى فأرسل الله سحابا فأمطر الوادى ما رأينا مثله فسال الوادى بحيث لا يستطيع أحد ان يجوز به فصاروا وقوفا ينظرون الينا ونحن متوجهون الى أن قدمنا المدينة أى وفى لفظ آخر فقلنا القوم ينظرون الينا اذ جاء الله بالوادى من حيث شاء يملأ جنبيه ماء والله ما رأينا يومئذ سحابا ولا مطرا فجاء بما لا يستطيع أحد أن يجوزه فوقفوا ينظرون الينا وقد وقع نظير ذلك أى سيل الوادى لقطبة بن عامر حين توجه الى بنى خثعم بناحية تبال كما سيأتى

كان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة ترى فى صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن وترى رجال يقودونها لا تمر على جبل الا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهى الى محط الركب العراقى فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار الى قرب المدينة وكان يأتى المدينة ببركة النبى صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فأحرقتها قال القرطبى وقال لى بعض أصحابنا القدر أيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال أبو شامة وردت كتب من المدينة فى بعضها أنه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الارض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد وفى آخر سال منها واد مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة اميال يجرى على وجه الارض يخرج منها مهاد وجبال صغار قال السيد السمهودى فى تاريخ المدينة ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل وفنيت من نزول الاجل وعج المجاورون بالجؤار بالاستغفار وعزموا على الاقلاع عن الاصرار وعلى التوبة عما اجترحوا من الاوزار وفزعوا بالصدقة بالاموال ونالهم من الخوف والفزع ما لا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبينا صلى الله عليه وسلم فى أمته ويمن طلعته فى رفقته بعد فرقته وفى المواهب ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوما وكان انطفاؤها فى السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج وفى شرح البخارى للعلامة القسطلانى فقد ظهر أن النار المذكورة فى حديث الباب هى النار التى ظهرت بنواحى المدينة كما فهمه القرطبى وغيره وكذلك قال النووى

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله تعالى عنه الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضى الله تعالى عنه﴾

أى فى بنى مرة بفدك لما قدم غالب من الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم فى مائتى رجل الى حيث أصيب أصحاب بشير بن سعد وذلك فى بنى مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هيأ صلى الله عليه وسلم الزبير لذلك وعقد له لواء فلما قدم غالب رضى الله تعالى عنه قال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس فسار غالب رضى الله تعالى عنه الى ان أصبح القوم فأغاروا عليهم وكان غالب رضى الله تعالى عنه قد أوصاهم بعدم مخالفتهم له وآخى بين القوم فساقوا نعما وقتلوا منهم قال لما دنا غالب منهم ليلا قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله تعالى وحده لا شريك له وان تطيعونى ولا تخالفوا الى أمر فانه لا رأى لمن لا يطاع وفى رواية لا تعصونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى تعصونى فانكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم ألف رضى الله تعالى عنه بين القوم فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق رجل منكم زميله فايا كم ان يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدرى فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالقوم كبر غالب رضى الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار المسلمين أمت أمت وكان فى القوم أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما وتفقده غالب رضى الله تعالى عنه فلم يره وبعد ساعة أى من الليل أقبل فلامه غالب وقال ألم تر الى ما عهدت اليك فقال خرجت فى أثر رجل منهم جعل يتهكم بى حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله فقال له الامير بئسما فعلت وما جئت به تقتل امرأ يقول لا اله الا الله فندم أسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة أبعرة وعدل البعير بعشرة من الغنم انتهى وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم ما فيها وقوله هنا حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله يقتضى انه انما قال لا اله الا الله بعد ضربه بالسيف الا أن يحمل على الارادة وتقدم انه طعنه برمحه فليتأمل

﴿سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله تعالى عنه الى بنى عامر﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله تعالى عنه فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن أى يقال لهم بنو عامر وأمره صلى الله عليه وسلم أن يغير عليهم فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون أى وقد نهى أصحابه أن يمعنوا فى الطلب فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم

﴿سرية كعب بن عمير الغفارى رضى الله تعالى عنه﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفارى الى ذات اطلاح من أرض الشام وراء

فى شرح مسلم وكان ظهورها فى أيامه وقد تضمن الحديث ثلاثة أمور خروجها من الحجاز وسيلان واد منه بالنار وقد وجدا وأما الثالث وهو اضاءة أعناق الابل ببصرى قال العلامة القسطلانى فقد جاء من أخبر به فاذا ثبت هذا فقد صحت الامارات وتمت العلامات ثم ذكر أنه جاء من أخبر انه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هى عليه بالمدينة فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد وأما النار التى تسوق الناس الى أرض المحشر فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهى تخرج من قعر عدن * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عما سيقع ما رواه أبو داود فى سننه من قوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية * ومن ذلك اخباره باشراط الساعة وظهور المهدى وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وغير ذلك وحسبك هذا الفصل أن يكون مؤلفا مفردا يشتمل على أجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم * (ومن معجزاته) * صلى الله عليه وسلم ما فضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوته وفرط شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه وكل ما أكرمه الله به وميزه به على غيره من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية ومعرفة ذلك كله من تمام الايمان فان من الايمان التصديق بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمى مثله فكل ما يشاهد من بدنه صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات لمن شاهده وهى تدل على عظيم أخلاق باطنه فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن وذلك الباطن دليل على ما أورد فى قلبه من العلوم والمعارف ولله در البوصيرى حيث يقول

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعنى حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهى غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذى

وادى القرى فى خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا أى لانه لما دنا كعب بن عمير رضى الله تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فأخبروهم بقلة المسلمين ه فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن عمير فانه ظن قتله فلما أمسى تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى محل آخر فتركهم (أقول) لم أقف على السبب الذى اقتضى البعث الى ذلك المحل والله أعلم

﴿سرية عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه الى ذات السلاسل﴾

أرض بها ماء يقال له السلاسل بضم السين الاولى وكسر الثانية أى وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المشهور انها بفتح الاولى قيل سمى المكان بذلك لانه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة يقال ماء سلسل وسلسال اذا كان سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه وتلك الارض وراء وادى القرى وقيل لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا (أقول) وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى زمن الصديق غزاة مع أهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن آخرهم لان السلاسل منعتهم من الهزيمة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاسل الى الصديق رضى الله تعالى عنه والله أعلم * بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أى وذلك بعد اسلامه بسنة وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن يمر عليهم فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من القوم فبلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهنى رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وعقد له لواء وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو وأبو عبيدة وأراد أبو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا وأنا الامير قال وعند ذلك قال جمع من المهاجرين الذين مع أبى عبيدة لعمرو وأنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه فقال عمرو أنتم مدد لنا فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف قال لتعلم يا عمرو أن آخر شئ عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال ان قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وانك والله ان عصيتنى لاطيعنك قال فانى الامير عليك قال فدونك اه ه أى لان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه كان حسن الخلق لين العريكة فكان عمرو يصلى بالناس أى وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى فقال يا عمرو انى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك فقلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وأوجعا كثيرا فحمل عليهم المسلمون فتفرقوا قال وأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو رضى الله تعالى عنه وأرادوا أن يوقدوا

ثم معناه وصورته دون غيره والمراد انه صلى الله عليه وسلم أعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره فى الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالزيادة التى لم يؤتها غيره وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن فالمراد منه انه أوتى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا وفى الاثر ان خالد بن الوليد رضى الله عنه خرج فى سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحى صف لنا محمدا فقال اما انى أفصل فلا أى لان صفاته لا يمكن الاحاطة بها فقال الرجل أجمل فقال خالد رضى الله عنه الرسول على قدر المرسل أى على حالة تليق به وهو رسول الله بعثه لتبليغ أحكامه فمن لازمه أنه بالغ الغاية فى كل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له فان الملك اذا بعث رسولا لقضاء ما يريد انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرف تام ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل لان عموم رسالته ونسخها الشرائع من قبله يقتضى رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذى تصل قدرته الى معرفة ما أعطى صلى الله عليه وسلم * وفى المواهب نقلا عن القرطبى عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم لعجزنا عن ذلك ولقد أحسن البوصيرى رحمه الله حيث قال

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * فى القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله فى الهمزية

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

يعنى أن واصفيه لم يبلغوا حقيقته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما أن الماء لم يحك الا مجرد صورها لا غير * ولنشرع فى ذكر جملة من أوصاف ذاته الشريفة فنقول أما وجهه الشريف فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما عن البراء ابن عازب رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وروى الترمذى والامام

أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ومعناه أن جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه من شدة النور والبريق واللمعان يعم وجهه الشريف ولا تختص ببعض منه دون باقيه فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ٢١٢ ولله در القائل لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر

فشمس حسنك كل يوم مشرق
وبدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر فكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء ردا بليغا فقال بل مثل القمر أي في التدوير أو ان السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى التشبيه بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو رد لتوهم السائل أن لمعانه كلمعان السيف بانه وان شاركه في اللمعان لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شئ وقال بعضهم يحتمل أن السائل سأل عنهما جميعا في هذا الحديث اشارة الى أن التشبيه بمن لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالقمر لكان أولى فلذلك رد عليه البراء فقال بل مثل القمر وأبدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا تقل في العين بضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف وروى مسلم عن جابر ابن سمرة رضي الله عنهما أن رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر والمراد أنه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور فقد كان مستديرا لا طويلا والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه

نارا ليصطلوا عليها من البرد فنهاهم عمرو أي وقال كل من أوقد نارا لاقذفنه فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة المهاجرين في ذلك فغالظه عمرو في القول وقال له قد أمرت أن تسمع لي وتطيع قال نعم قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه غضب وهم أن يأتيه فمنعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لعلمه بالحرب فسكت واحتلم عمرو رضي الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جدا فقال لاصحابه ما ترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام وصلى بالناس اهـ ثم بعث عمرو عوف بن مالك مبشرا للنبي صلى الله عليه وسلم بقدومهم وسلامتهم قال قال عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه جئته صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال عوف بن مالك فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال اخبرني فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبي عبيدة بن الجراح وبين عمرو ومطاوعة أبي عبيدة لعمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح وأخبرته بمنع عمرو رضي الله تعالى عنه للمسلمين من اتباع العدو ومن ايقاد النار ومن صلاته باصحابه وهو جنب فلما قدم عليه عمرو كلمه صلى الله عليه وسلم في ذلك قال كرهت أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره قال عمرو وسألني عن صلاتي فقال يا عمرو صليت باصحابك وأنت جنب فقلت والذي بعثك بالحق اني لو اغتسلت لمت لم أجد بردا قط مثله وقد قال الله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فضحك صلى الله عليه وسلم اهـ أي ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن صلاة الصحابة خلفه فاني لم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقضاء

سرية الخبط

وهو ورق السمر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلثمائة رجل من المهاجرين والانصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى حي من جهينة في ساحل البحر وقيل لرصد عير القريش أي وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة في الحديبية لما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عير القريش الى الفتح وتعدد سرية الخبط بعيد فلا يقال يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين مرة قبل الهدنة ومرة بعدها ومن ثم حكم على هذا القول بانه وهم فأقاموا بالساحل نصف شهر وأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط أي كانوا يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم فان أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه كان يعطي الواحد منهم في اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها بمصها في ثوبه أي وعن الزبير رضي الله تعالى عنه أنه قيل له كيف كنتم تصنعون بالتمرة قال نمصها كما يمص الصبي ثدى أمه ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يوما الى الليل لانه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يقوتهم اياه حتى صار يعده لهم عدا حتى كان يعطي الواحد تمرة كل يوم ثم بعد التمر أكلوا الخبط ولما رأى قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى

عنهما

كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ولم يكن كثير السمن ولا نحيفا والمراد أنه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم وطبع قويم فالمقصود تشبيهه بمحاسن كل حسن وروى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله ٢١٣ صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو في عيني أحسن من القمر وفي رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر فهو عندي أحسن من القمر وروى البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضي الله عنها دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه وهي جمع أسرار جمع سر بكسر السين وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهي الجبين وهذه الاستنارة التي تحصل عند السرور زائدة على ما هو موجود قبل من النور والبهاء المشبه بضياء الشمس ونور القمر وروى الطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر وهي بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات أو انه كان متلثما فلا ينافي أن وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك رضي الله عنه من طرق في بعضها كأنه دارة قمر وروى أبو نعيم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر وروى البيهقي عن امرأة من همدان نسي اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال أبو اسحق البيهقي الراوي عنها فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وروى

عنهما ما بالمسلمين من جهد الجوع أي مشقته أي وقال قائلهم والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة اليه لما بالناس من الجهد قال من يشتري مني تمرا أوفيه له في المدينة بجزر يوفيها الى ههنا فقال له رجل من أهل الساحل أنا أفعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت قال أنا قيس بن سعد بن عبادة فقال الرجل ما أعرفني بسعد ان بيني وبين سعد خلة سيد أهل يثرب فاشترى خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر والوسق بفتح الواو وكسرها ستون صاعا وجمع الاول أوسق والثاني أوساق فقال له الرجل أشهد لي فقال أشهد من تحب فاشهد نفرا من المهاجرين والانصار من جملتهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل ان عمر رضي الله تعالى عنه امتنع من أن يشهد وقال هذا يدان ولا مال له انما المال لابيه فقال الرجل والله ما كان سعد ليخني بابنه أي لا يوفي عن ابنه ما التزمه فكان بين قيس وعمر كلام حتى أغلظ له قيس الكلام وأخذ قيس رضي الله تعالى عنه الجزر فنحر لهم منها ثلاثة في ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم في اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة وقال له عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك أي لا يوفي لك بما التزمت ولا مال لك فقال له قيس رضي الله تعالى عنه أترى أبا ثابت يعني والده سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي دينا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله وفي البخاري أن قيسا رضي الله تعالى عنه نحر لهم تسع جزائر كل يوم ثلاثا ثم نهاه أبو عبيدة أي وعمار يدما ذكر أن الجزر كانت خمسة وأنه نحر لهم ثلاثة أيام كل يوم جزورا ما جاء في بعض الروايات أنه بقي معه جزوران قدم بهما المدينة يتعاقبون عليهما فلينظر الجمع ثم ان البحر ألقى لهم دابة هائلة يقال لها العنبر بحيث ان أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نصب لهم ضلعا من أضلاعها وفي لفظ من أضلاعه ومر تحته أطول رجل في القوم أي وهو قيس بن سعد بن عبادة راكبا على أطول بعير لم يطأطئ رأسه وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت أنا وفلان وفلان وعد خمسة نفر عينها ما رآنا أحد أي وفي لفظ ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فقعدهم في وقب عينها فأكلوا منها أياما أي نحو شهر وكانوا ثلثمائة فمن بعضهم لما تقرحت أشداقهم من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هي دابة تدعى العنبر وقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ميتة ثم قال اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه الدهن بالقلال (وفي رواية) فأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك وحملوا من لحمها الى المدينة أي وقيل لها العنبر لانها تبتلع العنبر فمن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه قال سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا في البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من جوفها وقيل العنبر اسم لسمكة مخصوصة في البحر هائلة الخلقة طولا وعرضا وقد أخبرني بعض السفار أن جملا مات على شاطئ البحر فألقي في البحر فابتلعته سمكة فوقفت اخفاف يديه في حلقها فجاءت سمكة فابتلعت تلك السمكة وفي زمن الحاكم بأمر الله وجدت سمكة بدمياط طولها مائتا ذراع وعرضها مائة وستون ذراعا وكان يقف في حلقها خمس رجال بالمجاريف يجرفون الشحم وأقام أهل دمياط يأكلون من لحمها خمسة أشهر * ولما بلغ سعد بن عبادة ما حصل للمسلمين من المجاعة قبل قدومهم قال ان يكن قيس يعني ولده كما

أعهد فلينحر للقوم فلما قدم قيس قال له سعد ماصنعت فى مجاعة القوم قال نحرت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم قال ماذا قال ثم نهيت قال ومن نهاك قال أميرى أبو عبيدة قال ولم قال زعم أنه لا مال لى انما المال لابيك فقلت له أبى يقضى عن الاباعد ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يصنع هذا بى فلان لو افقنى فأبى عليه عمر بن الخطاب الا التصميم على المنع فقال سعد لولده قيس ذلك أربع حوائط أى بساتين أدناها ما يحصل منه خمسون وسقا ثم ان قيسا رضى الله تعالى عنه وفى الرجل صاحب الجزر وحمله أى أعطاه ما يركبه وكساه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم مافعل قيس فقال انه فى بيت جود ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت أى ومن ثم قال بعضهم لم يكن فى الاوس والخزرج مطعمون يتوالدون فى بيت واحد الا قيس وأبوه سعد وأبو عبادة وأبوه دليم كان فى كل يوم يقف شخص على اطم ينادى من يريد الشحم واللحم فعليه بدار أبى دليم أى وكان أصحاب الصفة اذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة وأما سعد فينطلق بالثمانين وعن سعد بن عبادة زارنا النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله ثم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة قال ويذكر أن سعدا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال من عذيرى من ابن الخطاب يبخل على ابنى اه ويذكر عن سعد بن عبادة أنه كان شديد الغيرة لم يتزوج الا بكرا وما طلق امرأة وقدر أحد أن يتزوجها وعن جابر رضى الله تعالى عنه فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العنبر فقال رزق أخرجه الله تعالى لكم لعل معكم من لحمه شئ فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله أى ولم يكن أروح بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال لو نعلم أنا ندركه لم يروح لاحببنا لو كان عندنا منه قال ذلك ازديادا منه

﴿سرية أبى قتادة رضى الله تعالى عنه الى غطفان﴾

أرض محارب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة فى خمسة عشر رجلا الى غطفان وأمره ان يشن الغارة عليهم فصار يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم عليهم وأحاط بهم وقتلوا من أشراف لهم واستاقوا الابل والغنم فكانت الابل مائة بعير والغنم ألفى شاة وسبوا سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد اخراج الخمس اثنى عشر بعيرا وعدل البعير بعشرين من الغنم ووقع فى سهم أبى قتادة رضى الله تعالى عنه جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لشخص أى كان وعده بجارية من أول فئ يفئ الله به فجاء ذلك الشخص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية من أول فئ يفئ الله به عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى قتادة قال هب لى الجارية فوهبها له الحديث

﴿سرية عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله تعالى عنه الى الغابة﴾

وهى الشجر الملتف قال عبد الله المذكور تزوجت امرأة من قومى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على ذلك فقال كم أصدقت قلت مائتى درهم فقال سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم

الدارمى والبيهقى وأبو نعيم والطبرانى عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ رضى الله عنهما صفى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الليثى الصحابى رضى الله عنه وهو آخر الصحابة موتا ولد عام الهجرة وتوفى عام مائة حدث يوما فى آخر عمره فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقى على وجه الارض أحد رآه غيرى فقيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذى عن الحسن ابن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن أبى هالة وهو أخو السيدة فاطمة رضى الله عنها من أمها خديجة رضى الله عنها وأبوه أبو هالة واسمه النباش وقيل مالك وقيل زرارة وكانت خديجة متزوجة به قبل النبى صلى الله عليه وسلم ثم مات عنها وأما هند ابنه فصحابى رضى الله عنه أسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وهو مع على رضى الله عنه وهو خال الحسن والحسين رضى الله عنهما قال الحسن بن على رضى الله عنهما كان خالى هند بن أبى هالة وصافا لحلية النبى صلى الله عليه وسلم وكنت أشتهى أن يصف لى منها شيأ أتعلق به فقال لى يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما أى عظيما فى نفس الامر معظما فى صدور الصدور وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها مبلج الوجه تعنى مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا أسفر قال فى المواهب وما أحسن قول السيد على وفى رضى الله عنه حيث قال

ألا يا صاحب الوجه المليح * سألتك لا تغيب فأنت روحى
متى ما غاب شخصك عن عيانى * رجعت فلا ترى الاضريحى
ورق لمغرم فى الحب أمسى * وأصبح فى الهوى دنفا طريحى
بحقك جد لرقك يا حبيبى * وداوى لوعة القلب الجريح
محب ضاق بالاشواق ذرعا * وآوى منك للكرم الفسيح

الدراهم من بطن واديكم هذا وفى لفظ لو كنتم تغرفونها من ناحية بطحان مازدتم والله ماعندى ما أعينك فلبثت أياما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا يقال له رفاعة بن قيس أو قيس ابن رفاعة فى جمع عظيم نزل بالغابة يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتونى منه بخبر ودفع لنا شارفا عجفاء أى ناقة مسنة وقال تبلغوا عليها واعتقبوها فركبها أحدنا بوالله ماقامت به ضعفا حتى ذهبت نخرجنا ومعنا سلاحنا النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكنت فى ناحية وصاحبى فى ناحية أخرى فقلت لهما اذا سمعتمانى قد كبرت فكبروا فوالله انا كذلك ننتظر غرة القوم الا ورفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة المجمع للقوم خرج فى طلب راع لهم أبطأ عليهم وتخوفوا عليه فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب أنت فقال والله لا يذهب الا أنا فقال فنحن معك فقال والله لا يتبعنى أحد منكم وخرج حتى مر بى فلما أمكننى نفحته أى رميته بسهم فوضعته فى فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت عليه فاحتززت رأسه وشددت فى ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا فهرب القوم واستقنا ابلا وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا فى صداقى قال وبعضهم جعل هذه السرية وسرية أبى قتادة الى غطفان بأرض محارب التى قبل هذه واحدة أى ومن ثم ذكرتها عقبها خلاف ما صنع فى الاصل قال ويدل لكونهما واحدة مانقل عن عبد الله بن أبى حدرد قال لما طلبت منه صلى الله عليه وسلم الاعانة فى مهر زوجتى قال لى ما وافقت عندنا شيأ أعينك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة فى أربعة عشر رجلا فى سرية فهل لك أن تخرج فيها فانى أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك فقلت نعم نخرجنا حتى جئنا الحاضر أى وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه أى كما تقدم فلما ذهبت فحمة العشاء أى اقباله وأول سواده خطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله تعالى وألف بين كل رجلين وقال لا يفارق كل رجل زميله حتى يقفل أى يرجع ولا يجئ الى الرجل فاسأله عن صاحبه فيقول لا علم لى به واذا كبرت فكبروا واذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا فى الطلب فأحطنا بالحاضر فجرد أبو قتادة سيفه وكبر وجردنا سيوفنا وكبرنا معه وقاتل رجال من القوم واذا فيهم رجل طويل فأقبل على وقال لى يا مسلم هلم الى الجنة يتهكم بى فأتبعته فذهب أمامى أى وصار يقبل على بوجهه مرة ويدبر عنى بوجهه مرة أخرى فتبعته فقال لى صاحبى لا تتبعه فقد نهانا أميرنا أن نمعن فى الطلب ولا زال كذلك وقال ان صاحبكم لذو مكيدة وان أمره هو الامر فادركته فرميته بسهم فقتلته وأخذت سيفه وجئت صاحبى فأخبرنى انهم جمعوا الغنائم وان أبا قتادة تغيظ على وعليك فجئت أبا قتادة فلامنى فأخبرته الخبر ثم سقنا النعم وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالاقتاب ثم لما أصبحنا رأيت فى السبى امرأة كأنها ظبى تكثر الالتفات خلفها وتبكى فقلت لها أى شئ تنظرين قالت والله أنظر الى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم فوقع فى نفسى أنه الذى قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب فقالت فأتنى الى غمده فقلت هذا غمد سيفه فلما رأته بكت ولبثت اه

وفى المواهب نقلا عن النهاية لابن الاثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر فكأن وجهه المرآة وكأن الجدر تلاحك وجهه والملاحكة شدة الموافقة والمراد انه يرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم لشدة ضيائه وقول ابن أبى هالة رضى الله عنه فى حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر وهو أبلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لان البدر هو القمر وقت كماله وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف تشبيهه صلى الله عليه وسلم معناه الحقيقى أيضا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر فقد روى ان الله قال لموسى صلى الله عليه وسلم ان محمدا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر ولهذا أنشد نساء الانصار لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى الهجرة ومن غزوة تبوك

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * مادعا لله داعى

ومن أحسن قول ابن الحلاوى فى صفته صلى الله عليه وسلم

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه * وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه

القد بالغوا فى المدح للغصن واشتطوا أى فقد حصل للبدر والغصن غاية فى الفخر بهذا التشبيه على أن هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله عليه وسلم انما هى على عادة الشعراء والعرب والا فلاشئ فى هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در سيدى محمد وفى رضى الله عنه حيث قال

سبحان من أنشاه من سبحاته * بشرا بأسرار الغيوب يبشر
هذا وحقك ماله من مشبه * وأرى المشبه بالغزالة يكفر
كم فيه للابصار حسن مدهش * كم فيه للارواح راح مسكر
فاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
يأتى عظيم الذنب فى تشبيهه * لولا رب جماله يستغفر

طلب الملاح بحسنه وجماله * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة * وله منار كل وجه نير
جنات عدن فى جناه وجنانه * ودليله ان المراشف كوثر
هيهات ألهو عن هواه بغيره * والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على فى أسفاره * كتبا تؤول بالهوى وتفسر
فدع الدعى وما ادعاه فى الهوى * فدعيه بالهجر فيه تهجر

ولا يخفى ان السياق فى كل يبعد كونهما واحدة

﴿سرية أبى قتادة رضى الله تعالى عنه الى بطن اضم﴾

اسم موضع أوجبل لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة بعث أبا قتادة رضى الله تعالى عنه فى ثمانية نفر من جملتهم محكم بن جثامة الليثى الى بطن اضم ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية وتنتشر بذلك الاخبار فمر عليهم عامر بن الاضبط الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محكم فقتله أى لشئ كان بينه وبينه وسلبه متاعه وبعيره وعند وصولهم الى المحل رجعوا فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه الى مكة فمالوا اليه حتى لقوه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحكم أقتلته بعدما قال آمنت بالله وفى رواية بعد ما قال انى مسلم أى أتى بما لم يأت به الا مؤمن آمن بالله وكان مسلما قال يارسول الله انما قالها أى تحية الاسلام متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه قال لم يارسول الله قال لتعلم أصادق هو أم كاذب أى وفى رواية فقال يارسول الله لو شققت عن قلبه أكنت أعلم ما فى قلبه فقال له فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما فى قلبه فقال استغفر لى يارسول الله فقال لا غفر الله لك فقام يتلقى دمعه ببرده اهـ وأنزل الله تعالى فيه يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة الى آخر الآية وذكر ابن اسحق فى خبر محكم أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بحنين ثم عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان فى عامر بن الاضبط عيينة بن حصن يطلب دمه أى ويقول والله يارسول الله انى لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائى والاقرع يدافع عن محكم وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية ثم قالوا ان محكما يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محكم وهو رجل آدم طويل أى عليه حلة قد كان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان فقال له ما اسمك قال أنا محكم قد فعلت الذى بلغك وانى أتوب الى الله تعالى واستغفر لى يارسول الله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لا تغفر لمحكم قالها ثلاثا بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث الا سبعا حتى مات فلفظته الارض مرات حتى ضموا عليه الحجارة وواروه أى ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهم ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم أى وفى رواية ان الله أحب ان يريكم تعظيم حرمة لا اله الا الله أى حرمة من يأتى بها ولفظ الارض له يرد ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له بعد دعائه عليه الا أن يكون المراد استغفر له بعد موته ويوافقه ما فى بعض الروايات أراد الله أن يجعله موعظة لكم لكيلا يقدم رجل منكم على قتل من يشهد أن لا اله الا الله أو يقول انى مسلم اذهبوا به الى شعب بنى فلان فادفنوه فان الارض ستقبله فدفنوه فى ذلك الشعب

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجير الاذى والهلاك ويقال تهجير سار وقت الهاجرة أى شدة الحر فكأنه قال مدعى المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر فى شدة الحر فأتعب نفسه وآذاها بلام عليه عاجلا وآجلا * وأما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله فى كتابه العزيز بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى أى ما مال بصره عما رآه ليلة الاسرى وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها وقد قال تعالى فى علة الاسراء لنريه من آياتنا فقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى يفيد انه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة البصر بحيث انه لا يحصل له تخيل فى شئ رآه حتى يكون على خلاف الواقع بل متى تعلق ببصر أدركه على ما هو به فى الواقع وان كان فى غاية الخفاء وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء والمعنى أن رؤيته فى النهار الصافى والليل المظلم متساوية لان الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك فى مدركات العيون (وروى البيهقى) وابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يرى المحسوس من وراء ظهره كما يراه من امامه فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم وفى رواية ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم

انى لأراكم من وراء ظهرى وفى رواية لمسلم عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى أراكم من أمامى ومن خلفى وعن مجاهد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه وهذه الرؤية رؤية ادراك وابصار حقيقية خاصة به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيها العادة فهى من المعجزات والرؤية عند أهل السنة لا تتوقف عقلا على مقابلة ولا على انفصال أشعة من الرائى متصلة بالمرئى نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يخرقها للمؤمنين يوم القيامة فيرون ربهم من غير شرط من تلك الشروط (ومما يدل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم) وان الله أعطاه قوة خارقة للعادة أنه كان يرى فى الثريا اثنى عشر نجما لم يتحقق للناس منها غير ستة أو سبعة فلم يرجعها غير النبى صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله فى بصره ومن قوة بصره صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى الملائكة والشياطين ورفع له النجاشى حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ورأى جبريل فى صورته وله ستمائة جناح وجاء فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة فقوله اذا التفت التفت جميعا أراد أنه لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطائش الخفيف ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل جميعا ويدبر جميعا وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الى شئ خفض بصره ولا ينظر الى الاطراف والجوانب بلا سبب بل لم يزل مطرقا متوجها الى عالم الغيب مشغولا بحاله متفكرا فى أمور الآخرة لان هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه وقيل هو كناية عن شدة حيائه ولين جانبه أو عدم كثرة سؤاله واستقصائه وقوله نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء أى حال السكوت وعدم التحدث لانه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن وأعماله جنانه فيما بعث

فيجوز أن يكون استغفر له حينئذ وقيل ان الذى لفظته الارض غير محكم لان محكما مات بحمص أيام ابن الزبير رضى الله تعالى عنه والذى لفظته الارض اسمه فليت

﴿سرية خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى العزى﴾

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حين فتح مكة خالد بن الوليد فى ثلاثين فارسا من أصحابه الى العزى وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا وفى لفظ العزى نخلات أى سمرات مجتمعة لانه كان يهدى اليها كما يهدى الى الكعبة لان عمرو بن لحى أخبرهم ان الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى فلما وصل الى محلها أى وكان بناء على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم ذلك البناء ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له هل رأيت شيأ قال لا قال فارجع اليها فرجع خالد وهو متغير فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أى شعر رأسها منتشر تحثو التراب على رأسها فجعل السادن يصيح بها أى يقول ياعزى عوريه ياعزى خبليه فضربها خالد فقطعها نصفين أى وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى

﴿سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه الى سواع﴾

بالعين المهملة أى سمى باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة وكان لقوم نوح ثم صار لهذيل كانوا يحجون اليه أى قبل فتح مكة وبعد ذلك أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى جماعة من أصحابه الى سواع ليكسره ويهدم محله قال عمرو رضى الله عنه فانتهيت الى ذلك الصنم وعنده سادنه أى خادمه فقال لى ما تريد فقلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيها شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

﴿سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه الى مناة﴾

صنم كان للاوس والخزرج أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الاشهلى فى عشرين فارسا الى مناة ليهدم محله فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصيانك فضربها سعد رضى الله عنه فقتلها وهدم محلها

﴿سرية خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى جذيمة﴾

بناحية يلملم يدعوهم الى الاسلام أى ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم باسلامهم ولم يأمره بقتالهم

أى اذا لم يسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار ومن بنى سليم أى وهو عليه السلام مقيم بمكة الى بنى جذيمة وكانوا فى الجاهلية قد قتلوا الفاكه عم خالد وقتلوا أخا الفاكه أيضا فى الجاهلية وكانوا من أشر حى فى الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فلما علموا به وعلموا أن معه بنى سليم وكانوا قتلوا منهم مالك بن الشريد وأخويه فى موطن واحد خافوه فلبسوا السلاح فلما انتهى خالد رضى الله عنه لهم تلقوه فقال لهم خالد أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قال فالقوا السلاح وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح الا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم الا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت بقية القوم وفى رواية لما انتهى خالد الى القوم تلقوه فقال لهم ما أنتم أى أمسلمون أم كفار قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنينا المساجد فى ساحتنا وأذنا فيها وفى لفظ لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا قال فما بال السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا اياهم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم فى أصحابه فلما كان فى السحر نادى منادى خالد رضى الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والانصار رضى الله تعالى عنهم وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعل خالد أى فان رجلا من القوم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل خالد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل أنكر عليه أحد ما صنع قال نعم رجل أصفر ربعة ورجل طويل أحمر فقال عمر رضى الله تعالى عنه والله يا رسول الله أعرفهما أما الاول فهو ابنى فهذه صفته وأما الثانى فهو سالم مولى أبى حذيفة فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد أى قال ذلك مرتين وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه فودى لهم قتلاهم قال له صلى الله عليه وسلم يا على أخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ودفع اليه صلى الله عليه وسلم مالا أى ابلا وورقا يدى به قتلاهم ويعطيهم منه بدل ما تلف عليهم من أموالهم فودى قتلاهم وأعطاهم عوض ما تلف عليهم حتى ميلغة الكلب أى الاناء التى يشرب فيها حتى اذا لم يبق لهم دم ولا مال قال هل بقى لكم دم أو مال قالوا لا قال أعطيكم ما بقى معى من المال احتياطا بدل ما لا تعلمون أى مما تلف من أموالكم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت وأحسنت أى وزاد وفى رواية والذى نا عبده لهى أحب الى من حمر النعم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة شاهرا يديه يقول اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى ووقع بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام فقال له انما أخذت بثأر أبيك فقال له عبد الرحمن كذبت أنا قتلت قاتل أبى أى وفى رواية كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل فى الجاهلية فقال خالد ومن أخبركم أنهم أسلموا فقال أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد

لاجل أو لكثرة حيائه وأدبه مع ربه أو لانه بعث لتربية أهل الارض لا لأهل السماء والاول أحسن وقوله جل نظره الملاحظة معناه أنه يلحظ الشئ بمؤخر عينه من غير التفات فلا ينافى قوله واذ التفت التفت جميعا وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد أن نظره الى الاشياء لم يكن كنظر أهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملا بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وفى حديث الشمايل فى وصف على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أدعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر والمراد أنه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهى عروق حمر رقاق وفى رواية لجابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أشكل العينين والشكلة هى الحمرة تكون فى بياض العين وذلك محبوب محمود قال الحافظ العراقى وهى احدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ولما سافر مع ميسرة الى الشأم سأل عنه الراهب فقال أفى عينيه حمرة فقال ما تفارقه فقال الراهب هو هو وفى رواية عن على رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان أدعج العينين أهدب الاشفار مقرون الحاجبين وفى رواية أزج الحواجب سوابغ من غير قرن يعنى أن طرفى حاجبيه قد سبغا أى طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافى بين الروايتين وفى رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أى يحركه ويظهره أى يظهر ويرتفع عند الغضب وفى المواهب عن على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما أى أعظهم وأذكرهم لينمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن فخطبت وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر أى كتاب كبير ينظر فيه فلما رآنى قال لى صف لى أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث يعنى المذكور فيه جملة من أوصافه صلى الله عليه وسلم قال على رضى الله عنه ثم سكت فقال الحبر

وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالاسلام فقال جاءنى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أغير فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أخذت بثأر عمك الفاكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا فأنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته أى والغدوة السير فى أول النهار الى الزوال والروحة السير من الزوال الى آخر النهار والمراد بأصحابه هنا السابقون الى الاسلام ومنهم عبد الرحمن بن عوف بل هو المراد كما تصرح به الرواية الآتية فقد نزل صلى الله عليه وسلم الصحابة غير السابقين الذين يقع منهم الرد على الصحابة غير السابقين لكون ذلك لا يليق بهم منزلة غير الصحابة قال ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور أعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرض عن خالد وقال يا خالد ذر أصحابى وفى رواية لا تسب أصحابى لو كان لك أحد ذهبا فانفقته قيراطا قيراطا فى سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن انتهى أى ولا يخفى أنه يبعد أن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه انما قتلهم لقولهم صبأنا ولم يقولوا أسلمنا الا أن يقال يجوز أن يكون خالد فهم انهم قالوا ذلك على سبيل الانفة وعدم الانقياد الى الاسلام وأنه صلى الله عليه وسلم انما أنكر عليه العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا ثم لا يخفى أنه جاء لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ونقل الامام السبكى عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فانه كان يحضر مجالس وعظه أن قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى كان خطابا لمن يأتى بعده من أمته لانه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات فرأى فى بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال خطابا لهم لا تسبوا أصحابى وارتضى منه هذا التأويل اه فالنهى والخطاب بلا تسبوا أصحابى لغير الصحابة تنزيلا للغائب الذى لم يوجد منزلة الموجود الحاضر وفيه ان هذا لا يساعد عليه المقام وفى الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم ما يقطع الاطماع عن مداناتهم فان كون ثواب انفاق مثل جبل أحد ذهبا فى وجه الخير لا يبلغ ثواب التصدق بنصف المد الذى اذا طحن وعجن لا يبلغ الرغيف المعتاد أمر عظيم (أقول) ووقع لخالد رضى الله تعالى عنه نظير ذلك فى زمن خلافة الصديق فان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم عين خالد القتال أهل الردة وكان من جملتهم مالك بن نويرة فأسره خالد هو وأصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادى خالد ان أدفئوا أسراكم فظن القوم انه أراد ادفنوا أسراكم أى اقتلوهم فقتلوهم وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بذلك قال اذا أراد الله أمرا أمضاه وتزوج خالد رضى الله عنه زوجة مالك بن نويرة وكانت من أجمل النساء ويقال ان خالدا استدعى مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الاسلام وتمنع الزكاة ألم تعلم ان الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له أهو صاحبنا وليس هو بصاحبك يا ضرار اضرب عنقه وأمر برأسه فجعل ثالث حجرين جعل عليها قدرا يطبخ فيه لحم فعل ذلك ارجافا لاهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال للصديق رضى الله تعالى عنهما اعزله فان فى سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال

وماذا قلت هذا ما يحضرنى الآن أى من صفته قال الحبر فى عينيه حمرة حسن اللحية فقال على هو والله صفته قال الحبر فانى أجد هذه الصفة التى وصفتها يا على والتى ذكرتها لك فى سفر آبائى وانى أشهد أنه رسول الله الى الناس كافة (وأما سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم) فحسبك أنه قال انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذى والامام أحمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية أبى ذر رضى الله عنه وقوله أطت بفتح الهمزة وشد الطاء أى صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه اذ قال لهم تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ قال انى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم (وأما جبينه) صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى وصفه أنه كان واضح الجبين والمراد جنس الجبين لان لكل انسان جبينين وهما مكتنفان الجبهة يمينا وشمالا وفى رواية صلت الجبين أى واسع الجبينين والمراد بسعتهما امتدادهما طولا وعرضا وسعتهما محمودة عند كل ذى ذوق سليم وذكر ابن أبى خيثمة أنه صلى الله عليه وسلم كان أجلى الجبين اذا طلع جبينه أى اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضى الله عنه

متى يبد فى الليل البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجا المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

وروى البيهقى عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم ولا ضرر فى ابهامه لان الصحابة كلهم عدول قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدى محمد وفى رضى الله عنه حيث يقول فى وصفه صلى الله عليه وسلم

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره

بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نونام اسينا اضفائره مكمل الخلق ماتحصى خصائصه * منضر الحسن قد فاقت نظائره
وعن مقاتل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى
فاعبدو وعلى فتوكل فسر لاهل سوران انى أنا الله الحى القيوم لا أزول فصدقوا النبى الامى صاحب الجمل والمدرعة

والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين أى سهل الخدين ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع الكث اللحية عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه كأن عنقه ابريق فضة وفى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة وفى حديث آخر من رواية هند بن أبى هالة رضى الله عنه كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج فى الاشراق والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال لان صورة العاج يتأنق الناس فى صنعتها وبالفضة فى اللون والاشراق والجمال وقوله فى الحديث السابق أقنى الانف القنا فى الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وهو معنى قول ابن الاثير وهو السائل الانف المرتفع وسطه ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه دقيق العرنين أى أعلى الانف حيث يكون الشمم وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وقال ابن أبى هالة رضى الله عنه أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أى وليس هو بأشم والاشم الطويل قصبة الانف مع استواء أعلاه (وأما رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم) فقد دل حتى على وصفه قول غير واحد انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الهامة أى الرأس وفى رواية البيهقى عن على رضى الله عنه ضخم الرأس أى عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لانه أعون على الادراكات ونيل الكمالات أما مع الافراط فى العظم فهو آية البلادة

الصديق رضى الله عنه لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين والمنافقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين وقال الصديق رضى الله تعالى عنه فى حق خالد عجزت النساء ان يلدن مثل خالد بن الوليد وفى كلام السهيلى انه روى عن عمر بن الخطاب انه قال لابى بكر الصديق ان فى سيف خالد رهقا فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فى ذلك قال عمر لابى بكر اقتله فقال لا أفعل لانه متأول فقال اعزله فقال لا أغمد سيفا سله الله تعالى على المشركين ولا أعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وأصل العداوة بين خالد وسيدنا عمر رضى الله عنهما على ما حكاه الشعبى انهما وهما غلامان تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت ولما ولى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه الخلافة أول شئ بدأ به عزل خالد لما تقدم وقال لا يلى لى عملا أبدا وقيل الكلام بلغه عنه ومن ثم أرسل الى أبى عبيدة ان أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فهو معزول فانتزع عمامته وقاسمه ماله نصفين فلم يكذب نفسه فقاسمه أبو عبيدة ماله حتى احدى نعليه وترك له الاخرى وخالد يقول سمعا وطاعة لامير المؤمنين وبلغه ان خالدا أعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء احسانه فأرسل لابى عبيدة ان يصعد المنبر ويوقف خالدا بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته لان العشرة آلاف ان كان دفعها من ماله فهو سرف وان كان من مال المسلمين فهى خيانة فلما قدم خالد رضى الله تعالى عنه على عمر رضى الله تعالى عنه قال له من أين هذا اليسار الذى تجيز منه بعشرة آلاف فقال من الانفال والسهمان قال ما زاد على الستين ألفا فهو لك ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفا ثم قال له والله انك على لكريم وانك لحبيب ولم تعمل لى بعد اليوم على شئ وكتب رضى الله عنه الى الامصار انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع أى وان نصر خالد على من قاتله من المشركين ليس بقوته ولا بشجاعته بل بفضل الله فالصديق لم يعزل خالد بن الوليد مع فعله ما يكرهه بتأويل له فى ذلك كما انه صلى الله عليه وسلم لم يعزله مع فعله لما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه الى السماء وقال اللهم انى أبرأ اليك مما فعل خالد لكونه كان شديدا على الكفار رجحان المصلحة على المفسدة وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه عزله لخوف افتتان الناس به فعزله وولى أبا عبيدة بن الجراح قال بعضهم كان الصديق رضى الله تعالى عنه لينا وخالد بن الوليد شديدا وعمر رضى الله عنه كان شديدا وأبو عبيدة لينا فكان الاصلح لكل منهما أن يولى من ولاه ليحصل التعادل والله أعلم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه كان فى القوم رجل قال لهم انى لست من هؤلاء ولكنى عشقت امرأة فلحقتها فدعونى أنظر اليها ثم افعلوا بى ما بدا لكم ثم أشار الى نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم فقلت والله ليسير ما طلب فأخذته حتى أوقفته عليهن فأنشد أبياتا ثم جئت به فقدموه فضربت عنقه فقامت امرأة من بينهن فجاءت

(وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم) ففى مسلم من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم أى عظيمه أو واسعه من غير افراط والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضدها والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم أو لمعنى لا يلتفت اليه أو ان ذلك بالنسبة للنساء وزاد فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه كان يفتتح

الكلام ويختتمه بأشداقه أى جوانب فمه وفى حديث عن البزار والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الفم أشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وتحديدها ومفلج الاسنان متفرقها وقال على رضى الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة أى براقها وجاء فى رواية براق الثنايا أى مضيئها وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين أى بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه وكان صلى الله عليه وسلم قوى الاسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ولا يتوهم فى سياق المدح غير هذا وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهى رؤس العظام وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى وفى رواية جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين أى عظيمهما وفى الصحاح المشاش رؤس الاصابع اللينة التى يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين وفى المواهب عن أبى قرصافة أى وهو جندرة بن خيشنة الكنانى الليثى الصحابى رضى الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمى وخالتى فلما رجعنا قالت لى أمى وخالتى يا بنى ما رأينا مثل هذا الرجل أى خلقا وخلقا لا أحسن وجها ولا أنقى ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه (وأما ريقه) صلى الله عليه وسلم فحسبك ما تقدم فى قصة فتح خيبر لما بصق فى عينى على

حتى وقفت عليه فشهقت بفتح الهاء شهقة أو شهقتين ثم ماتت أى وفى رواية فأكبت عليه تقبله حتى ماتت انتهى أى وفى رواية فتحدرت اليه من هودجها فحنت عليه حتى ماتت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم القلب

سرية أبى عامر الاشعرى رضى الله عنه الى أوطاس

لما انصرف صلى الله عليه وسلم من حنين وانهزم المشركون عسكر منهم طائفة بأوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعرى عم أبى موسى الاشعرى فى جماعة فيهم أبو موسى الاشعرى ووقع فى الاصل ان أبا عامر ابن عم أبى موسى الاشعرى قال فى النور وهو غلط وانما أبو موسى ابن أخى أبى عامر فلحقوا القوم وتناوشوا القتال أى تكافؤا فيه وبارز أبو عامر تسعة ويقال انهم اخوة وهو يقتلهم واحدا بعد واحد أى وصار كل من برز له منهم يدعوه الى الاسلام فيأبى فيقول اللهم أشهد ويحمل عليه فيقتله ثم برز له أخوهم العاشر فقتل أبا عامر أى فانه قال له أسلم فأبى فقال اللهم أشهد فقال اللهم لا تشهد وفرش يديه فظن أبو عامر انه أسلم فكف عنه فعاد الى أبى عامر فقتله ثم أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وكان اذا رآه صلى الله عليه وسلم يقول هذا شريد أبى عامر قال وعن أبى موسى الاشعرى قال جئت لابى عامر وفيه رمق فقلت يا عم من رماك فقال ذاك وأشار الى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما رآنى ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحى ألا تثبت فثبت فاختلفنا ضربتين فقتلته ثم قلت لابى عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فقال يا ابن أخى بلغ النبى صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له يستغفر لى وقال ادفع فرسى وسلاحى له انتهى فليتأمل الجمع بين هذا وما قبله وقيل أن يموت أبو عامر رضى الله عنه استخلف ابن عمه أبا موسى ودفع الراية له وفى لفظ ان أبا عامر رماه واحد فأصاب قلبه ورماه آخر فأصاب ركبته فقتلاه وولى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلهما أى وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ولما رجع أبو موسى رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت أبى عامر استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعله من أعلى أمتى فى الجنة أى وفى رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس ودعا لابى موسى أى فقال اللهم اغفر له ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

سرية الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسى ليهدمه

لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل رضى الله تعالى عنه لهدم ذى الكفين وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشى النار فى وجهه وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الازد من يحمل رايتكم فقال الطفيل من كان يحملها فى الجاهلية النعمان بن الزاوية قال أصبتم

﴿سرية عيينة بن حصن الفزارى رضى الله تعالى عنه الى بنى تميم﴾

أى وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان الى بنى كعب لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وأشهروا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لا ندع يخرج بعير واحد ولما رأى بشر رضى الله تعالى عنه ذلك قدم المدينة واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم احد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وفى لفظ احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا فى دار رملة بنت الحرث فجاء فى أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد ابن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورياح بكسر الراء والمثناة تحت بن الحرث فلما رأوهم ابكى اليهم النساء والذرارى فجاؤا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم أى بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا أى بصوت خاف أخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضى الله تعالى عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم أى قالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد أى بعد ان قالوا له ما تقدم ومنه ان مدحنا زين وان شتمنا شين نحن أكرم العرب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله عز وجل الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ثم قالوا له فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى لفظ انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفى لفظ قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب أى فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وانا لو نشاء لأكثرنا وانما أقول قولى هذا الان يأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس أى وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض وأكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه أى قال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره

رضى الله عنه وهو أرمد يجىء به يقاد فتفل فى عينيه فشفى حتى كأن لم يكن به وجع وروى الطبرانى انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الانصارية هى واخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديدا أى لحما مقددا فمضغ لهن قديدة فأخذتها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها فلقين الله أى متن وما وجد لافواههن خلوف أى تغير رائحة وتقدم فى معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ذكر جملة من بركات ريقه صلى الله عليه وسلم وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن بن على رضى الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى وروى الطبرانى ان امرأة بذية اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدا فقالت ألا تطعمنى فناولها من بين يديه فقالت لا الا الذى فى فيك فأخرجه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شئ مما كانت عليه من البذاءة (وأما فصاحة لسانه) صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله كلاما وأعظمهم نظاما وأسرعهم أداء حتى ان كلامه ليأخذ بجامع القلوب ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره فهو أفصح خلق الله اذا لفظ وأنصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا أى لا يخلط فى كلامه ولا ينطق بما لا ينبغى لانه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها كلامه كله يثمر علما وشرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجزل منه فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده أن يكون أحكم الخلق جنانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ وروى مسلم والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان

ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم انه كان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه قلبا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذو ورحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم أى وفى رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أحلاما فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعز الدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع

اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ما قاله فأسمعه فقال حسان رضى الله تعالى عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر

واحياؤنا من خيرمن وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال أنا يا رسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك قال أخشى أن أكون من أهل النار لانى رفعت صوتى فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت فى منامه فقال له انى أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقل له ان على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد ان وجدها على ما وصف وحدث أبا بكر رضى الله تعالى عنه برؤياه فأجاز وصيته قال بعضهم ولا يعلم أحد حدث وصيته بعد موته سواه ووقعت مفاخرة بين

رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردا وفى رواية انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه والمراد المبالغة فى الترتيل والتفهيم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا حتى تعقل عنه وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها وروى العسكرى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما قدم بنو نهد على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث المتقدم فى المكاتبات وفيه ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبى صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما هو معروف من لغتهم قال على فقلنا يا نبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر وتقدم فى المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباته صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب وتكليم كل قبيلة بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب قال فى المواهب وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذى لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفا للقاضى عياض من ذلك ما يشفى العليل ثم ذكر فى المواهب جملة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وكقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه

وقوله القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وحسن الخلق نصف الدين وقوله لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ولا حسب كحسن الخلق وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله وقوله التجاوز عن الذنب لا يزيد العبد الا عزا وصنائع المعروف تقي مصارع السوء والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال من صدقة وقوله أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله من ضمن لى ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة وقوله لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وأمثال هذه الاحاديث الجوامع مما أطال العلماء فى شرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعانى والاحكام روى الترمذى عن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيأ فان اليد العليا هى المنطية والسفلى هى المنطاة ومال الله مسؤل ومنطى قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان من معجزاته وخصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وماذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سود وحمر فعلمه يا رسول الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه صلى الله عليه وسلم بأى لغة يقع فى غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا فى الترجمة نازلا عن الاصيل فى تلك اللغة الا نبينا صلى الله عليه

الزبرقان بن بدر و بين حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه كل منهما يذكر قصيدة يذكر فيها فخرا فمن قصيدة الزبرقان بن بدر وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضى الله تعالى عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولم يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفيه أن هذا البيت من قول بعض بنى تميم وقد أسمعه لحسان كما تقدم فليتأمل ووقعت مفاخرة بين الاقرع بن حابس و بين حسان رضى الله تعالى عنه فقال الاقرع بن حابس انى والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه فقال له صلى الله عليه وسلم هات فأنشد

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بنى دارم ان تذكر ما كنت ترى أن الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد عليهم من قول حسان رضى الله تعالى عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا أى ثم دنا من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرك ما كان قبل هذا ورأى النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله لى من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم قال ابن در يد رحمه الله اسم الاقرع نواس وانما لقب الاقرع لقرع كان فى رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان رضى الله تعالى عنه شريفا فى الجاهلية والاسلام ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ووقع أن عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبى صلى الله عليه وسلم انه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدنى يا رسول الله لشرفى وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفى لفظ أن الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع فى ناديه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك للئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض فى العشيرة فعرف عمرو الانكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت وفى رواية والله

وسلم فانه زاده الله تكريما وشرفا اذا تكلم بأى لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتى فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس مما لا يضبطه قياس ولا يدخل فى تحقيقه الباس ومن تكلمه صلى الله عليه وسلم بلغة الحبشة ما رواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهى بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه وفى رواية سنه سنه يعنى حسنة يصف لها خميصة أعطاها اياها وأم خالد رضى الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيأ من كلامهم وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة وقوله فى قصة طعام جابر رضى الله عنه ان جابرا قد صنع اكسورا ومعناه بالفارسية الطعام الذى يدعى اليه وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال هجر النبى صلى الله عليه وسلم وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ومعناه بالفارسية الوجع وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف فقوله شكم درد معناه وجع بطن والمعنى على الاستفهام أى أبك وجع بطن فقال أبو هريرة رضى الله عنه نعم فقال له قم فصل فان فى الصلاة شفاء ورواه بعضهم دردم بزيادة ميم فى آخره وهذه الميم فى اللغة الفارسية ضمير المتكلم قال العلامة منلا على القارى فى شرحه على الشفا انه لا يظهر لى وجه خطاب أبى هريرة رضى الله عنه بهذه

الكلمة اللهم الا أن يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة يعنى كما اذا رأيت انسانا يشكو شيأ فأظهرت له ان بك مثل ما به من الشكوى اظهار المطايبة فى المخاطبة لزيادة المحبة وضبطه بعضهم أشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون أشكنبه وذكر الكرش لا يناسب

يا رسول الله لقد صدقت فيهما أرضانى فقلت أحسن ما علمت وأسخطنى فقلت أسوأ ما علمت فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وجاء ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيا قال بعضهم أما قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا فان الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله ان من العلم جهلا فان العالم يكلف ما لا يعلم فيجهله ذلك وأما قوله ان من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والامثال وأما قوله وان من القول عيا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه هذا كلامه وفيه أن هذا بيان للسحر المذموم وليس المراد هنا وانما هو من السحر الحلال ومن ثم أقر صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاهتم عليه ولم يسخطه منه فالسحر المذموم أن يصور الباطل فى صورة الحق ببيانه ويخدع السامع بتمويهه وهو المراد عند الاطلاق والسحر غير المذموم فما كان من البيان على حق لان البيان بعبارة مقبولة عذبة لا استكراه فيها تستميل القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبى وأحسن جوائزهم قال أى بعد أن أسلموا وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية قيل الا عمرو بن الاهتم فان القوم خلفوه فى ظهورهم لانه كان أصغرهم سنا فأعطاه خمس أواق وقد اختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل كانوا ثمانين وقيل كانوا تسعين انتهى أى والذى فى الاستيعاب ثم أسلم القوم وبقوا فى المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم اسراهم ونساءهم وقال أما بقى منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم فى ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وبلغ عمرو ما قال قيس فى حقه فأنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان رضى الله تعالى عنه جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذا كلامه وأنزل الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قيل معناه لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا اجابته بالاعذار التى يؤخر بها بعضكم اجابة بعض ولكن عظموه صلى الله عليه وسلم بسرعة الاجابة

سرية قطبة بن عامر رضى الله تعالى عنه الى حى من خثعم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر فى عشرين رجلا الى حى من خثعم وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم أى سكت ولم يعلمهم بالامر فجعل يصيح بالحاضر أى وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين وساقوا النعم والشاء الى المدينة وجاء سيل

تقضت به أو يجمع البطن الآن يقال ان الكرش قد تطلق ويراد بها البطن قال منلا على وحديث العنب دودو يعني اثنين اثنين والتمر بك بك يعني واحدة واحدة فشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة والله سبحانه وتعالى أعلم (وأما صوته) الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت وروى نحوه عن علي رضي الله عنه وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في العشاء والتين والزيتون فلم أسمع صوتا أحسن منه وعن جبير ابن مطعم رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك وروى الطبراني والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره وروى البيهقي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في خدورهن وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة في بني غنم فجلس في مكانه وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ابن عم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا وروى ابن ماجه عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي أي سريري قال العلامة الزرقاني فسماعها له وهي على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته (وأما ضحكه) صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا

فخال بينهم وبين القوم فلم يجد القوم اليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

﴿سرية الضحاك الكلابي رضي الله تعالى عنه﴾

الى جمع الى بني كلاب فلقوهم ودعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وكان من جملة المسلمين شخص لقي أباه في جملة القوم فدعاه الى الاسلام فسبه وسب الاسلام فضرب عرقوب فرس أبيه فوقع فأمسك أباه الى أن أتى بعض المسلمين فقتله أي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث لبني كلاب وكتب اليهم في رق فلم ينقادوا للاسلام وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال ما لهم أذهب الله عقولهم فصار لا يوجد أحد منهم الا مختلط العقل مختلط الكلام يهذي لا يفهم كلامه

﴿سرية علقمة بن مجزز رضي الله تعالى عنهما﴾

بضم الميم وفتح الجيم وزايين الاولى مكسورة مشددة المدلجي أي وهو ولد القائف الذي قاف في حق زيد بن حارثة وأسامة رضي الله تعالى عنهما وقال ان بعض هذه الاقدام من بعض فهو صحابي ابن صحابي الى جمع من الحبشة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراآهم أهل جدة أي في مراكب وجدة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر ولان الجدد شاطئ البحر فبعث اليهم علقمة بن مجزز رضي الله تعالى عنه في ثلثمائة فخاض بهم البحر حتى انتهوا الى جزيرة في البحر فهربوا أي ورجعوا ولم يلق كيدا ثم لما كانوا في أثناء الطريق أذن علقمة رضي الله تعالى عنه لجماعة أن يتعجلوا وأمر عليهم أحدهم فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم أميرهم عزمت عليكم الا تواثبتم أي وقعتم في هذه النار فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه وقال وعن علي كرم الله وجهه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال اجمعوا لي حطبا فجمعوا له ثم قال أوقدوا نارا فأوقدوها ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فكان كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا وقال صلى الله عليه وسلم لا طاعة في معصية الله وانما الطاعة في المعروف انتهى أي والضمير في دخلوها للنار التي أوقدت والضمير في منها للنار الآخرة لان الدخول فيها معصية والعاصي يستحق النار فالمقصود من ذلك الزجر وفي رواية من أمركم منهم أي من الامراء بمعصية الله فلا تطيعوه وفي لفظ لا طاعة في معصية الله ولا مانع من تكرر هذه الواقعة

﴿سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه﴾

الى هدم الفلس بضم الفاء وسكون اللام صنم طيء والغارة عليهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا معه راية سوداء ولواء أبيض الى هدم الفلس والغارة عليهم فشنوا الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفلس واحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي أي واسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الالف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث والسفانة في الاصل هي الدرة وهذه أسلمت رضي الله تعالى عنها قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت الا هذه ووجدوا في خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهي رسوب والمخذم واليماني وثلاثة أدراع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذي هو اليماني قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم بأخت عدي فقامت اليه وكانت امرأة جزلة أي ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم ان يمن عليها فمن عليها فأسلمت رضي الله تعالى عنها وخرجت الى أخيها عدي فأشارت اليه بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه كما سيأتي في الوفود ويذكر أنها قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طيء فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق أي وفي لفظ قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت ان تمن علي ولا تفضحني في قومي فاني بنت سيدهم ان أبي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي فقال لها صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الاخلاق حقا ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق وفي رواية انها قالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال ومن وفدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله أي لانه هرب لما رأى الجيش كما سيأتي في الوفود قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى اذا كان من الغد قلت له كذلك وقال لي مثل ذلك ففي اليوم الثالث أشار الى رجل خلفه بأن كلميه فكلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلي حتى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك فآذنيني أي أعلميني وسألت عن الرجل الذي أشار علي بكلامه فقيل لي انه علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قالت فصبرت حتى قدم علي من أثق به فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي انتهى

﴿سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى بلاد مذحج﴾

بفتح الميم واسكان الذال المعجمة ثم حاء مهملة مكسورة ثم جيم كمسجد أبو قبيلة من اليمن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه الى بلاد مذحج من أرض اليمن في ثلثمائة فارس

أي ضحكا تاما بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى بدت نواجذه أي أضراسه فهذا كان منه نادرا ولم تره عائشة رضي الله عنها ورآه أبو هريرة رضي الله عنه فرواه وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام هو البرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد في الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك أي ولم يقهقه والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار فالذي ينبغي أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم من أفعاله ما واظب عليه من ذلك وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان الجواز وقد روى البخاري في الادب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاما له بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه أو اعتبارا وتفكرا لما أتاه به وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما ﴿وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم﴾ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا في الصلاة وقد حفظه الله من التثاؤب ففي

تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الاصم ابن أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت ماتثاءب النبي صلى الله عليه وسلم قط وفي رواية ماتثاءب نبي قط وفي البخاري مرفوعا ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ﴿وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم﴾ فقد وصفه غير واحد ٢٢٨ بأنه كان شثن الكفين أي غليظهما وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة وذلك جمال في الرجال وذم في النساء وبأنه عبل الذراعين أي ضخمهما وبأنه رحب الكفين أي واسعهما ويكنون بذلك عن السخاء والكرم وقد مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضي الله عنهما تأنيسا وشفقة قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أو هو معنى الراحة واللذة والطيب قال ابن الاثير لما كان محبوبا عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية قال بعضهم ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب لاسيما في الزمن الحار ولا بعد في انه خاص به صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر رضي الله عنه لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي أي فأعرف أثره بعد مفارقته له وانه لأطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود رضي الله عنه ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وروى الطبراني عن المستورد بن شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فاذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج وروى الامام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله . عليه
عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع قال سعد فوضع يده صلى الله عليه وسلم على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل الي أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك

وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت أول خيل دخلت الى تلك البلاد ففرق أصحابه رضي الله تعالى عنهم فأتوا بنهب بفتح النون وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فأسرع الى اجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى وجمع علي كرم الله وجهه الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقي على أصحابه ثم رجع علي كرم الله وجهه فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قدمها للحج أي حجة الوداع وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه في سرية الى اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن الى الاسلام قال في الاصل ان هذه السرية هي الاولى وما قبلها السرية الثانية

﴿سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه﴾

الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان نصرانيا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد في أربعمائة وعشرين فارسا في رجب سنة تسع الى أكيدر بدومة الجندل وقال له انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فجاءت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر وقاتل أخوه حتى قتل وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل وكان على أكيدر قباء من ديباج مخوصة أي فيها خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخل فاستلبه خالد اياه وأرسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها فقال صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا أي وقد تقدم وصالح على أهل دومة الجندل بألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ثم خرج خالد بأكيدر وأخيه مصاد قافلا الى المدينة فقدم بالأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب له كتابا فيه أمانهم وختمه يومئذ بظفره أي ومن جملة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها الى آخره وهذا كما لا يخفى يدل على ان أكيدر أسلم أي وهو الموافق لقول أبي نعيم وابن منده باسلامه وانه معدود من الصحابة وأهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم حلة فوهبها صلى الله

رضي الله عنه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمراد اللين في الجلد فلا ينافي الغلظ في العظام الذي جاء في وصف علي وابن أبي هالة رضي الله عنهما حيث قالا غليظهما أي الكفين في خشونة ٢٢٩ أي في العظام أي فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس رضي الله عنه وروى الطبراني والبزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيأ قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو المزني في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم أي أزاله بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما وتقدمت جملة من بركات يده صلى الله عليه وسلم في معجزة ظهور الآثار فيما لمسه ﴿وأما بياض ابطه صلى الله عليه وسلم﴾ فقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر واختلف في المراد من ذلك فقيل المراد ان لونهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة ابطيه ولا تنافي بينهما لان الاعفر ما بياضه ليس بناصع وهذا شأن المغابن يكون لها في البياض دون بقية الجسد وقال الطبري من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون الا هو عليه الصلاة والسلام قال الولي العراقي الخصائص لا تثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لا يكون له شعر لاحتمال انه كان يديم تعهده فان الشعر اذا نتف بقي المكان أبيض وان بقي فيه آثار الشعر وقال عبد الله بن أرقم الخزاعي رضي الله عنه كنت أنظر الى

عليه وسلم لعمر بن الخطاب وذكر ابن الاثير أي في أسد الغابة ان القول باسلامه غلط فاحش فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير أي وحينئذ يكون قوله في الكتاب حين أجاب الى الاسلام أي انقاد اليه ويبعده قوله وخلع الانداد والاصنام فليتأمل وانه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد الى حصنه وبقي فيه على نصرانيته ثم ان خالدا رضي الله تعالى عنه حاصره في زمن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقتله لنقضه العهد قال ابن الاثير وذكر البلاذري أن أكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم ثم بعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد ثم قتله خالد أي بعد ان عاد من العراق الى الشام قال وعلى هذا القول لا ينبغي أن يذكر في الصحابة والا كان كل من أسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثم ارتد أي ومات مرتدا يذكر في الصحابة أي ولا قائل بذلك ثم رأيت الذهبي قال في عمارة بن قيس بن الحرث الشيباني انه ارتد وقتل مرتدا في خلافة أبي بكر وبهذا خرج عن ان يكون صحابيا بكل حال

﴿سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم﴾

الى أبنى بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان والرملة وفي كلام السهيلي رحمه الله وهي قرية عند مؤتة التي قتل عندها زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز باسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله فخرج رضي الله تعالى عنه بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والانصار الا اشتد لذلك منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين والانصار أي لان سن أسامة رضي الله تعالى عنه كان ثمان عشرة وقيل تسع عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة ويؤيد ذلك أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس ابن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه المهدي وقال كم سنك يا فتى فقال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد ابن حارثة رضي الله تعالى عنهم لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة ومما يؤثر عنه من لم يعرف عيبه فهو أحمق فقيل له ما عيبك يا أبا وائلة قال كثرة الكلام وقيل كان عمر أسامة رضي الله تعالى عنه عشرين سنة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم وطعنهم في ولايته

عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع فهذا يدل على ان أثر الشعر هو الذى جعل المكان أعفر والا فلو كان المكان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر انتهى الذى نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولى الدين العراقى قال العلامة الزرقانى وقد يمنع دلالته على ما قال بما تقدم ٢٣٠ عن الحافظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضا من باقى الجسد وروى البزار عن رجل من

مع حداثة سنه غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة لقد طعنتم فى امارتى أباه من قبله وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن أحب الناس الى وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم وتقدم أنه رضى الله تعالى عنه كان يقال له الحب ابن الحب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح خشمه وهو صغير بثوبه ثم نزل صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ارسلوا بعث أسامة أى واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس أى فلا منافاة بين القول بأن أبا بكر رضى الله عنه كان من جملة الجيش وبين القول بأنه تخلف عنه لانه كان من جملة الجيش أولا وتخلف لما أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول الرافضة طعنا فى أبى بكر رضى الله عنه انه تخلف عن جيش أسامة رضى الله عنه لما علمت أن تخلفه عنه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وقول هذا الرافضى مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة مردود لانه لم يرد اللعن فى حديث أصلا فلما كان يوم الاحد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من عسكره والنبى صلى الله عليه وسلم مغمور فطأطأ رأسه فقبله وهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على أسامة رضى الله عنه قال أسامة فعرفت أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لى ورجع أسامة رضى الله عنه الى عسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له صلى الله عليه وسلم اغد على بركة الله تعالى فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذا رسول أمه أم أيمن رضى الله عنها قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وفى لفظ فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس أى وفى لفظ أنه رضى الله عنه لما نزل بذى خشب قبض النبى صلى الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة حتى أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابى بكر رضى الله عنه بالخلافة أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضى أسامة لما أمر به فلما مات صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب أى فانه لما اشتهرت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وعند ذلك كلم أبو بكر رضى الله عنه فى منع أسامة من السفر أى قالوا له كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أى وقال والله الذى

لا اله

بنى حريش وهم بطن من الانصار قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على من عرق ابطيه مثل ريح المسك ﴿وأما بطنه وظهره﴾ صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان مفاض البطن أى مستوى البطن مع الصدر عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان بعيد ما بين المنكبين أى عريض الصدر فقد روى ابن سعد عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم رحب الصدر أى واسعه ﴿وأما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم﴾ فقد ثبت له من الكمال ما لم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر والاخلاص الذى هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول مخلوق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو أولهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الانبياء كلها وآخرهم ظهورا فى هذا العالم اذ لا نبى بعده وقد جعل الله سبحانه وتعالى اخلاق القلوب اعلاما على أسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم ببيان ما يضرهم وما ينفعهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ

القلب لانفضوا من حولك فاذا لم يفد فى كفهم عن المعاصى الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود الى ما صدر منهم وذلك من سعة الخلق لانه نفع لهم بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات ٢٣١ دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظم خلقه

لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفى لفظ والله لأن تخطفنى الطير أحب الى من أن أبدأ بشئ قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أقول) ذكر بعضهم أن أسامة رضى الله عنه وقف بالناس عند الخندق وقال لسيدنا عمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه أن يأذن لى أن أرجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت له الانصار رضى الله عنهم فان أبى أبو بكر الا أن يمضى أى الجيش فأبلغه منا السلام واطلب اليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر على أبى بكر رضى الله عنهما وأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر والله لو تخطفنى الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضى الله عنه فان الانصار أمرونى أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولى أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه فخرج عمر الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا هذا كلامه وفيه ان هذا مخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر وانكاره على من طعن فى ولاية أسامة اذ يبعد عدم بلوغ ذلك للانصار رضى الله عنهم الا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه المقالة جمع من الانصار لم يكونوا سمعوا ذلك ولا بلغهم أو جوزوا أن الصديق رضى الله عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه المصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه جوز ذلك حيث لم يتكفل بالرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على من طعن فى ولاية أسامة رضى الله عنه فليتأمل والله أعلم وكلم أبو بكر رضى الله عنه أسامة فى عمر رضى الله عنه أن يأذن له فى التخلف ففعل ولعل ذلك كان تطييبا لخاطر أسامة ومن ثم كان عمر رضى الله عنه لا يلقى أسامة الا قال السلام عليك أيها الامير كما يأتى فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضى الله عنه أى فى ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه بعد أن سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق رضى الله عنه أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقد وقع نظير ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضى الله عنه الى اليمن شيعه صلى الله عليه وسلم وهو يمشى تحت راحلة معاذ وهو يوصيه ثم ان أسامة رضى الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق أرضها وأزال نخلها وأجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضى الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه رضى الله عنهما وأسهم للفرس سهمين وللفارس سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر فى المهاجرين والانصار

وتكون أحواله وأخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الاولى أن يكون هو قلب العبد الذى يقول فيه تعالى ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ومعناه وسع قلبه الايمان بى ومحبتى ومعرفتى والا فمن قال أن الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا من ذلك المسيح وحده وقد روى الطبرانى عن أبى عتبة الخولانى يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء به كما قال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فلما أسرى به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره وقد صح ان جبريل عليه السلام شق قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك أى هذا هو الموضع الذى يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ثم غسله فى طست وانما خلقت هذه العلقة فى ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية التى اقتضت الحكمة وجودها فى الانسان فخلقها تكملة للخلق الانسانى فلا بد منها ونزعها أمر ربانى طرأ بعد خلقها فاخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها وأيضا لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وهذا الشق وقع له صلى الله عليه وسلم أربع مرات

الأولى فى بنى سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية رضى الله عنها والثانية وهو ابن عشر والثالثة عند البعثة والرابعة عند المعراج وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالاولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على قوة الايمان والرحمة والثالثة ليتقوى لتحمل أعباء الوحى والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الارض والسماء والشوق بأقسامه هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فانه لولم يشرح لكان ضيقة والقلب اذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو فى الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع وتيسر له القيام بأداء العبودية ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة * وههنا نكتة دقيقة لطيفة هى انه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام رب اشرح لى صدرى وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك صدرك فأعطى بلا سؤال قال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لى صدرى ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له ألم نشرح لك صدرك وفرق بين المريد والمراد *(وأما جماعه صلى الله عليه وسلم)* فقد كان يدور على نسائه أى يجامعهن فى الساعة الواحدة من النهار أو الليل وهن احدى عشرة قال قتادة بن دعامة لانس بن مالك رضى الله عنه أو كان يطيقه أى الدوران عليهن فقال أنس كنا نتحدث انه أعطى قوة ثلاثين وفى رواية أربعين رجلا زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال الجنة وروى أبو نعيم عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع يعنى من أهل الجنة وروى الامام أحمد والحاكم عن زيد بن أرقم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من أهل الجنة ليعطى مائة قوة فى الاكل والشرب والجماع والشهوة فاذا ضربنا أربعين فى مائة بلغت أربعة آلاف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة أربعين فقط وسليمان عليه السلام أعطى قوة مائة رجل أو ألف رجل

عمن لم يكن فى تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه ويسرون بسلامتهم ودخل أسامة رضى الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ثم انصرف الى بيته أى وكان فى خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام أى وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى بعد أن ولى الخلافة اذا رأى أسامة رضى الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير وفى السيرة الشامية سرايا آخر تركنا ذكرها تبعا للاصل * وفى السنة الثامنة أمر صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله عنه أن يحج بالناس وهو بمكة وقد كان صلى الله عليه وسلم استعمله عليها لما أراد الخروج الى حنين وقيل لما رجع من حنين واستمر أميرا على مكة حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره الصديق رضى الله عنه الى أن توفى وكانت وفاته يوم وفاة الصديق رضى الله عنهما أى لانه أطعم سم سنة فى اليوم الذى أطعم فيه الصديق ذلك وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب فى الجاهلية من حج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم فى الموقف ولما دخلت سنة تسع استعمل صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه على الحج فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها صلى الله عليه وسلم وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات ثم تبعه على كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء أى بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر ونسب للخطا فقال له أبو بكر رضى الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثنى أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم كما تقدم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وفى كلام السهيلى رحمه الله تعالى لما أردف أبو بكر بعلى رضى الله عنهما رجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل أنزل فى قرآن قال لا ولكن أردت أن يبلغ عنى من هو من أهل بيتى فمضى أبو بكر رضى الله عنه فحج بالناس أى فى ذى الحجة لا فى ذى القعدة كما قيل من أجل النسىء الذى كان فى الجاهلية يؤخرون له الاشهر الحرم أى فان براءة نزلت أى صدرها والا فقد نزل منها قبل ذلك فى غزوة تبوك انفروا خفافا وثقالا الآيات وكان نزول صدرها بعد سفر أبى بكر رضى الله عنه فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اخرج بصدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه براءة يوم النحر أى الذى هو يوم الحج الاكبر عند الجمرة الاولى وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أمرنى على كرم الله وجهه ان أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى فقيل له بما اذا كنت تنادى فقال بأربع

فان مثار الاشكال حملها على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد فى سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا العدم ورود ما يخالف ذلك وفى نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد وذلك بأربعة آلاف فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير وزال الاشكال وذكر ابن العربى انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة فى الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق وكان له فى الاكل القناعة فأكثر أكله بلغة ليجمع الله له الفضيلتين فى الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين فى الامور الشرعية وهما ما شارك أمته فيه من التكاليف وما خص به منها ومن كل ما يقربه الى الله تعالى مما لم يطلع عليه أحدا من الخلق حتى يكون حاله كاملا فى الدارين وروى ابن سعد عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه التسع فى ليلة وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل عليه السلام بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ووصله أبو نعيم والديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبين فيه ما فى القدر وروى ابن سعد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثناياه جبريل عليه السلام فقال له أين أنت من أكل الهريسة فان فيها قوة أربعين رجلا وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل تناول ما يقوى شهوته لا لاستكثار الوقاع كالادوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام وكالادوية المثيرة للشهوة ورده الغزالى بأنه صلى الله عليه وسلم انما فعله لانه كان عنده من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن أو مات عنهن فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شىء فلا تقاس الملائكة بالحدادين قال وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلى بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه أحيانا فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق

ان لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله عهد أربعة أشهر ثم لا عهد له وأول تلك الاربعة يوم النحر من ذلك العام ومن لا عهد له فعهده الى انقضاء المحرم وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى كرم الله وجهه سترون بعد الاربعة أشهر فانه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب وانما أمر صلى الله عليه وسلم بما ذكر لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك أى وتقدم سبب الاتيان بذلك ويطوف رجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل فيقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شىء من الدنيا خالطه الظلم أى وفى لفظ التى قارفنا فيها الذنوب وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يعيده هو ولا أحد غيره أبدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللقى وفى الكشاف كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا بأن يعروا من الذنوب كما يعرون من الثياب وكانت النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت امرأة عريانة ويدها على قبلها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق فأبطلت ذلك سورة براءة فى تلك السنة أى وقيل الزينة المشط وقيل الطيب وكان بنو عامر فى أيام الحج لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجتهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل ذلك فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا ويحكى ان بعض الاطباء الحذاق من النصارى قال لبعض العلماء ليس فى كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى بعض آية من كتابه قال له وما هى قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم صلى الله عليه وسلم شىء من الطب قال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة قال وما هى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال ذلك الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيأ وبينت براءة ان من كان له عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله الى أربعة أشهر وفى لفظ لما لحق على كرم الله وجهه أبا بكر رضى الله عنه قال له أبو بكر أمير أو مأمور قال بل مأمور وزعمت الرافضة أنه صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر عن امارة الحج بعلى وعبارة بعض الرافضة ولما تقدم أبو بكر بسورة براءة رده صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة أيام بوحى من الله وكيف يرضى العاقل امامة من لا يرتضيه النبى صلى الله عليه وسلم بوحى من الله لاداء عشر آيات من براءة هذا كلامه قال الامام ابن تيمية رحمه الله وهذا أبين من الكذب فان من المعلوم المتواتر أن أبا بكر رضى الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان على كرم الله وجهه من جملة رعيته فى تلك السفرة يصلى خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع الى المدينة حتى

لام براد الخاص منها وروى الدارقطنى من حديث حذيفة رضى الله عنه بلفظ أطعمنى جبريل الهريسة أشد بها ظهرى وأتقوى
بها وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضى الله عنهم وكلها أحاديث واهية أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات بل
صرح الحافظ ابن ناصر الدين أيضا بانها ٢٣٤ موضوعات فى جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله
النبى صلى الله عليه وسلم من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ما احتلم نبى قط أى لانه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم *(وأما صفة قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم)* فقد وصفه غير واحد كعلى وهند وأنس رضى الله عنهم بأنه كان شثن القدمين أى غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذى وغيره وفى رواية ضخم القدمين وجاء من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم منهوس القدمين أى قليل لحم العقب فيهما وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضى الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الامام أحمد والطبرانى وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الالسنة ان سبابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت أطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس ان ذلك فى يديه قال الحافظ ابن حجر لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك فى أصابع رجليه وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد (وأما طوله) صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول أقرب
رواه البيهقى ورواه الترمذى بلفظ لم يكن بالطويل ولا بالقصير وروى عبد الله ابن الامام أحمد عن على رضى الله عنه تعالى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب أى المفرط طولا وفوق الربعة اذا جاء مع القوم غمرهم أى زاد عليهم فى الطول فكان
فوق كل من معه وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول أقرب وفى رواية

قضى الحج فى ذلك العام وانما أردف صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه بعلى كرم الله وجهه لنبذ العهود وكان من عادة العرب أنه لا ينبذ العهد الا المطاع أو رجل من أهل بيته أى فلو تلا أبو بكر رضى الله عنه ما فيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما قالوا وقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فأزاح الله عللهم بكون ذلك على يد رجل من بنى أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الادنى اليه ممن له ذرية وهو عبد المطلب قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة وبهتانهم أى وهى على عادة العرب باذكر جاء قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عنى الا رجل من أهل بيتى كما تقدم وفى لفظ الا رجل منى أى لا يبلغ عنى عقد العقود وحلها الا رجل منى أى من بنى أبى الادنى ولا أب له ذرية أدنى اليه صلى الله عليه وسلم من عبد المطلب ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ الاحكام والقرآن اذ كل أحد من المسلمين مأذون له فى تبليغ ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة التى هى سنة تسع تتابعت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل لها سنة الوفود

﴿باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود التى وفدت عليه صلى الله عليه وسلم﴾

أى غير من تقدم فقد تقدم انه قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه بها مالك بن عوف النصرى وذلك فى آخر سنة ثمان أى ووفد نصارى نجران أى قبل الهجرة ووفد بنى تميم فى سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد أن ذلك كان فى المحرم سنة تسع ووفد عليه وفد نصارى نجران أيضا بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا ودخلوا المسجد النبوى أى وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب أى ومعهم هدية وهى بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لى فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزى الحسن تشوقت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآيات وأرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد ان حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر فأراد الناس منعهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم ان لله ولدا أى لان أحدهم قال له صلى الله عليه وسلم المسيح عليه السلام ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم انه عبد فقال صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا ان تقول انه اله وقالوا له صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فأرنا عبدا لله يحيى الموتى ويشفى الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فيطير فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحى بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله

عند الترمذى عن على رضى الله عنه لم يكن بالطويل الممغط أى المتناهى فى الطول ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم وفى رواية
عن عائشة رضى الله عنها ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله أو زاد عليه صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه
الرجلان الطويلان فيطولهما أى يزيد عليهما طولا اكراما من الله حتى لا يزيد ٢٣٥ عليه أحد صورة فاذا فارقاه نسب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقى واختلف فى زيادة طوله صلى الله عليه وسلم هل هو باحداث الله طولا حقيقة حينئذ ولا مانع منه أو ان ذلك يرى فى أعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته فى حد قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم قال الزرقانى وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولى وذلك كى لا يتطاول عليه أحد صورة كما لا يتطاول معنى فقيل ارتفاعه المعنوى فى عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن سبع فى الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وحكمته أن لا يزيد أحد عليه صورة كما تقدم ووصفه ابن أبى هالة بأنه صلى الله عليه وسلم بادن متماسك أى معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضا من غير ترجرج وفسره بعضهم بأنه ليس بمسترخى البدن (وأما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم) فعن قتادة قال سألت أنسا رضى الله عنه عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط أى مسترسل والمراد ان شعره ليس نهاية فى الجعودة وهى تكسره الشديد
ولا فى السبوطة وهى عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطا بينهما وخير الامور أوساطها قال الزمخشرى الغالب على العرب
جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته فقد أحسن الله برسوله صلى الله عليه وسلم الشمائل وجمع فيه ما تفرق فى الطوائف من الفضائل
وكان شعر رأسه صلى الله عليه وسلم يضرب الى منكبيه وفى رواية الى انصاف أذنيه وجمع بانه تارة يكون الى نصف الاذن وتارة

تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله أمرنى ان لم تنقادوا للاسلام ان أباهلكم أى ندعو ونجتهد فى الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله علمتم أن الرجل نبى مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أى أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفى لفظ انهم ذهبوا الى بنى قريظة أى من بقى منهم وبنى النضير وبنى قينقاع واستشاروهم فأشاروا عليهم ان يصالحوه ولا يلاعنوه وفى لفظ انهم وادعوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلى رضى الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلى أى وعند ذلك قال لهم الاسقف انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا لا نباهلك وعن عمر رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال صلى الله عليه وسلم آخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذا أى زيادة عائشة وحفصة فى هذه الرواية دل عليه قوله تعالى ونساءنا ونساءكم وصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية صالحوه على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا له أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر ابن الجراح رضى الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة أى وفى رواية هذا هو القوى الامين وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنونى لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادى عليهم نارا ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون أبو هند الدارى وتميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند فنهضنا من عنده نتشاور فى أى أرض نأخذ فقال تميم الدارى رضى الله عنه نسأله بيت المقدس وكورتها فقال أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا فقال تميم نسأله بيت جبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذا أعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى أبد الابد شهد بذلك عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابنا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى وأصحابه انى أنطيتكم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم

ابد الابد فن آذاهم فيه آذاه الله شهد بذلك أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب نقل ذلك في المواهب وأقره وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة قال فيها حدثني تميم الداري وذكر خبر الجساسة أي لان تميما رضي الله عنه أخبره صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقي انسانا يجر شعره فقال له من أنت قال أنا الجساسة قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال مافعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال ذلك خير لهم قال أفلا تخبروني عن عين زغر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال مافعل نخل بيسان العرب هل أطعم بثمر وأخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها فقال أما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى مايخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار أي كما تقدم ووفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر الاشعريون صحبة أبي موسى الاشعري وصحبوا جعفر بن أبي طالب من الحبشة وقال صلى الله عليه وسلم فيهم كما تقدم أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال في حق أهل اليمن يريد أقوام ان يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم والاشعري نسبة الى أشعر واسمه نبت بن أدد بن يشجب وانما قيل له اشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه قال ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب ودخلوا في دين الله أفواجا قال في النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد اهـ ولو فدر سول القوم يقدمهم وقد يراد به ما هو أعم من ذلك فيشمل من قدم غير رسول وحينئذ يكون من ذلك كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان أخاه بجير بن زهير خرج يوما هو وكعب في غنم لهما فقال لاخيه كعب اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ماعنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وآمن به وذلك ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير والدهما رضي الله تعالى عنهما أنه قد مد بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم ان أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير رضي الله تعالى عنه الى أخيه كعب بن زهير وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة وانه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجالا ممن كان يهجوه من شعراء قريش وهرب بعضهم في كل وجه كابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب وأنه صلى الله عليه وسلم قال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فان كان لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ولا يطالبه بما

الى المنكب وفي رواية ومن له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة مانزل الى شحمة الاذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافي بين الروايات ومن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل ٢٣٦ الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ تألفا لهم ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه قال القرطبي حبه لموافقتهم كان أولا في الوقت الذي كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ماجاء به فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم في أمور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وسدل الشعر ارساله والمراد انه يتركه على حاله بشبه شعر الناصية المقصوص وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أي شعر رأسه قال العلماء والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل معا لكن الفرق أفضل وروى الترمذي عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمة تعني يوم فتح مكة وله أربع غدائر أي ذوائب وفي رواية لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع قال في شرح المصابيح لم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم في سني الهجرة لا عام الحديبية ثم عام القضاء ثم في حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافة الواقعة منه في تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفي بعدها بثلاثة أشهر وأما شعر لحيته صلى الله عليه وسلم فقد كان تقدم صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقي وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب فقال لم يبلغ الخضاب كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفي رواية له

تقدم الاسلام وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك وفي تصحيح الانساب لابن أبي الفوارس ان زهير ابن أبي سلمى قال لاولاده اني رأيت في المنام سببا أتى الي من السماء فمددت يدي لاتناوله ففاتني فأولته انه النبي الذي يبعث في هذا الزمان وانا لا أدركه فمن أدركه منكم فليصدقه وليتبعه ليهتدي به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به ابنه بجير وأقام كعب ابنه على الشرك والتشبيب بام هانئ بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان وقع كعب في يدي لاقطعن لسانه الحديث أي ولا مانع ان يكون ضم الى ذلك هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وارجف به أعداؤه وصاروا يقولون هو مقتول لا محالة فلم يجد بدا من مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها ارجاف أعدائه به رضي الله تعالى عنه التي مطلعها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * ثم خرج رضي الله تعالى عنه حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فأشار له ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى ان جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ومن حضره لا يعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يارسول الله أنا كعب بن زهير فوثب رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا فلما أنشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض للانصار قيل حمله على ذلك ما سمعه من ذلك الانصاري مما غاظه ولم يسمع من المهاجرين شيأ يغيظه وفيه ان هذا واضح اذا كان أنشأ ذلك في ذلك الوقت واما اذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر ماتقدم انه عمل تلك القصيدة التي من جملتها ماذكر فلا فعند ذلك غضب الانصار فمدحهم بالقصيدة التي مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار

أي ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذي حضه على مدحهم فقال له لما أنشد بانت سعاد ورآها صلى الله عليه وسلم مشتملة على مدح المهاجرين دون الانصار لولا أي هلا ذكرت الانصار بخير فان الانصار أهل لذلك أي ولما أنشده صلى الله عليه وسلم بانت سعاد وقال

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما من آل كعب بمال كثير أي بعد ان دفع لكعب فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب رضي الله تعالى عنه أخذها من ورثته بعشرين ألفا وتوارثها خلفاء بني أمية ثم خلفاء بني العباس اشتراها السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار أي بعد انقراض دولة بني أمية أي وكانوا يطرحونها على أكتافهم جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ويقال ان التي كانت عند

لم ير من الشيب الا قليلا لو شئت ان أعد شمطات كن في رأسه فعلت وجاء ان الذي ابيض في لحيته ورأسه كان سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة أو عشرين شعرة وفي رواية ماشانه الله ببيضاء وانما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيأ كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولان فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه ٢٣٧ والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالا على ضعف القوة ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه الاعتبارات فلا ينافي أنه وقار ونور روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام وروى الديلمي عن أنس مرفوعا أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به وروى ابن سعد ان حجاما أخذ من شاربه صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة في لحيته فأهوى اليها فأمسك صلى الله عليه وسلم بيده وقال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضي الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما خضب لحيته ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما في سنن أبي داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته وحمله بعضهم على عمومه وقال يصبغ شعره واستدل بما في السنن انه كان يصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما والحاصل أنه اختلف العلماء هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم شيبه أم لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك أي فوافق أنسا على الانكار وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر وقال النووي المختار انه صبغ شعره حقيقة لان التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الاوقات

بنى العباس بردته صلى الله عليه وسلم التى أعطاها لاهل أيلة مع كتابه الذى كتبه لهم أمانا وذلك
فى غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب رضى الله تعالى عنه فقدت عند زوال دولة بنى
أمية وأما هذه البردة فلعل فقدها كان فى فتنة التتار ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال ان معاوية
رضى الله تعالى عنه اشترى البردة التى كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم
توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتار منهم سنة أخذ بغداد وقال هذا من
الامور المشهورة جدا ولكنى لم أر ذلك فى شئ من الكتب باسناد أرتضيه وصار كعب رضى
الله تعالى عنه من شعرائه صلى الله عليه وسلم الذين يذبون عن الاسلام كعبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت الانصاريين رضى الله تعالى عنهما ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة
من تبوك فى رمضان قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه حتى
أدركه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال له عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من
أبكارهم أى أول أولادهم وفى رواية من أبصارهم فخرج رضى الله تعالى عنه يدعو قومه
الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمرتبته فيهم أى لانه رضى الله تعالى عنه كان فيهم محببا مطاعا
فلما أشرف لهم على علية ودعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فأصابه
سهم فقتله وفى لفظ انه رضى الله تعالى عنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه
فدعاهم الى الاسلام ونصح فعصوه وأسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده
حتى اذا كان السحر وطلع الفجر قام الى غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم
فقتله فقيل له قبل ان يموت ما ترى فى دمك فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى
فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم
فادفنونى معهم فدفنوه معهم وقال فى حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله فى قومه كمثل صاحب
يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه أى المذكورة فى سورة يس وهو
حبيب بن برى وقال السهيلى يحتمل ان المراد به صاحب الياس فان الياس يقال فى اسمه يس
أيضا وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة فى حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن
الحرث بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه
فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا أقامت بعد قتل عروة شهرا
ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد أسلموا
فاجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا عبد ياليل بن عمرو
وكان فى سن عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه فى ذلك فأبى ان يفعل لانه خشى أن
يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل ونسب قائله الى الغلط فقال لست فاعلا
حتى ترسلوا معى رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف
أسلم غيلان بالغين المعجمة على عشر نسوة وممن أسلم على عشر نسوة أيضا عروة بن مسعود وكذلك

فاخبر كل بما رأى وكان صلى الله عليه وسلم اذا ادهن لم يتبين شيبه لتفرقه وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته
بالماء وقد وصفه على بن أبى طالب رضى الله عنه بانه ذو مسربة وفسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ووصفه أيضا ابن أبى هالة
رضى الله عنه بانه كان صلى الله عليه وسلم موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عادى الثديين أى لم يكن عليهما
شعر أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل أى تيمنا وتبركا وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لم يحلق رأسه فى غير نسك فتبقية الشعر فى الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتداء به صلى الله عليه وسلم سنة قال فى المواهب ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة السلمانى عندنا شئ من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس فقال لان تكون عندى شعرة منه أحب الى من الدنيا وما فيها (وأما مشيه) صلى الله عليه وسلم فعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا أى تمايل الى قدام كأنما ينحط من صبب أى كأنما تنزل فى موضع منحدر والمراد أن مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع رواه الترمذى وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس
تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض
تطوى له أى كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه مع كونه على غاية من التأنى وعدم العجلة أى بالنسبة له لا لمن يماشيه بدليل
قول أبى هريرة رضى الله عنه وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أى غير مبال بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة أى فكان

مسعود

مسعود بن معتب ومسعود بن عمير وسفيان بن عبد الله وأبو عقيل مسعود بن عامر وكلهم من
ثقيف ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن
عبد ياليل وهو رأسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبى العاص وهو أصغرهم فلما اقتربوا من المدينة
لقوا المغيرة بن شعبة الثقفى فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه
فلقيه أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه أقسمت عليك
لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضى
الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة أى
وعلمهم رضى الله تعالى عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا تحية الجاهلية
وهى عم صباحا ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة فى ناحية المسجد أى
ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم
ويخلفون عثمان بن أبى العاص عند أسبابهم فكان عثمان اذا رجعوا ذهب الى النبى صلى الله
عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبى صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى
أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأحبه وكان فيهم رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفى
المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين وهذا
معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وبما جاء فى أحاديث أخر انه صلى الله عليه
وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه فى القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا
عليه وأجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادى ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة
محمولة على من قوى ايمانه وعدم جوازها على من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم
الصورتين ليقتدى به فيأخذ القوى الايمان بطريق التوكل والضعيف الايمان بطريق
الحفظ والاحتياط وعند انصرافهم قالوا يا رسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان
ابن أبى العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين ولقول الصديق
رضى الله تعالى عنه له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى رأيت هذا الغلام من أحرصهم على
التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن وفى رواية ان عثمان بن أبى العاص قال قلت يا رسول الله
اجعلنى امام قومى قال أنت امامهم وقال لى اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ
على أذانه أجرا فكان خالد بن سعد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن
وجد يفعل شيأ من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه
كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود والترمذى الا ان صيد وج
وعضاهه حرام محرم وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم الصلاة فقال لا خير

يمشى على هينته ويقطع ما انقطع بالجهد من غير جهد منه وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه قال الزمخشرى أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالا لقوله تعالى واقصد
فى مشيك أى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا يدب دبيب المتماوتين ولا يثب وثب الشياطين وروى انه كان اذا مشى
يمشى مجتمعا أى قوى الاعضاء غير مسترخ فى المشى وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما كان يمشى مشيا يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهرى للملائكة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل فى شمس ولا قمر لانه كان نورا رواه الترمذى الحكيم عن ذكوان وروى ابن المبارك وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج قال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لان النور لا ظل له ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعلنى نورا (وأما لونه) الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم أبو بكر وعمر وعلى وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبى هالة والحسن بن على والطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضى الله عنهم ورواياتهم فى الصحيحين وغيرهما ففى بعضها كان أبيض مليحا وفى بعضها أبيض مليح الوجه وفى رواية لابى الطفيل
ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفى شعر أبى طالب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
وفى رواية عن على رضى الله عنه أبيض مشرب بحمرة وقال أبو هريرة رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ
من فضة أى كأنما خلق منها والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الانوار والبريق الساطع فلا ينافى

انه مشرب بحمرة وفى رواية لانس أزهر اللون وهو بمعنى قول على أبيض مشرب بحمرة وفى رواية لانس أزهر اللون ليس بالابيض
امهق أى شديد البياض كلون الجص وفى رواية ولا آدم أى شديد السمرة قال الحافظ ابن حجر مبينا المجموع ما يؤخذ من الاحاديث
المتفرقة أنه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب قد تطلق على

فى دين لا صلاة فيه وفى لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه أن يترك لهم الطاغية التى هى صنمهم وهى اللات أى وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا زالوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام فى قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وعند خروجهم قال لهم سيدهم كذا أنا أعلمكم بثقيف فاكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم سألنا أمورا عظيمة ما أبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما جاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا أبدا فقالوا لهم اصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال ورموا حصنكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم وقالوا والله ما لنا من طاقة فارجعوا اليه واعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنهما لهدم الطاغية وفى رواية لما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة رضى الله تعالى عنه ان يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال له ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول أى الفأس العظيمة التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه خشية أن يرمى كما رمى عروة وخرج نساء ثقيف حسرا أى مكشوفات الرؤس حتى العواتق من الحجال يبكين على الطاغية قال وفى رواية يظنون أنه لا يمكن هدمها لانها تمتنع من ذلك فأراد المغيرة رضى الله تعالى عنه أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فألقى نفسه لما علا على الطاغية لهدمها وفى لفظ أخذ يركض فصاحوا صيحة واحدة وقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا لا يستطيع هدمها وفى رواية لما أخذ المعول وضرب به اللات ضرب ثم صاح وخر لوجهه فارتج الطائف بالصياح سرورا وان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيت يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم يا خبثاء والله ما قصدت الا الهزء بكم وفى رواية فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ فى هدمها فهدمها بعد أن بدأ بكسر بابها حتى هدم أساسها وأخرج ترابها ما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم وأخذ حليها وحلتها فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والاسود أخوه من مال الطاغية فقضاه فان أبا مليح بن عروة ابن مسعود وقارب ابن عمه ابن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل

من كان كذلك أسمر ولهذا جاء فى بعض روايات أنس رضى الله عنه كان أسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل الى السمرة أى فيه حمرة قليلة وفى الشفاء من قال أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل (وأما طيب ريحه وعرقه ودمه وفضلاته) صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا روى ابن مردويه عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسرى به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس والمراد أنه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافى أنه طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب ان أمه آمنة لما ولدته قالت ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر وروى الامام أحمد عن أنس رضى الله عنه ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى ومسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبى صلى الله عليه وسلم واذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرة فلا بدع فى أن يدع فى أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك فى نفس خلقته وفى رواية للترمذى ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والطبرانى عن أبى هريرة رضى ان الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى زوجت ابنتى وأنا أحب أن تعيننى بشئ فقال ما عندى شئ ولكن اذا كان غدا فأتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية ما بينى وبينك ان أجيف ناحية الباب فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يسلت العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة فقال خذها وأمر ابنتك ان تغمس هذا العود فى القارورة فتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى الدارمى والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال أى خارقة للعادة منها أنه لم يكن يمر فى طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له ولله در من قال

ولو أن ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل به الركب

وروى أبو يعلى والبزار عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه أى الطريق رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق قال بعض العارفين ان القلب الطاهر الحى يشم منه رائحة الطيب كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن لان نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره والعرق يفيض من الباطن فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرقها حتى يبدو على الجسد والخبيثة بضدها وما أحسن قول من قال

يروح الى غير الطريق التى غدا
عليها فلا ينهى علاه نماته
تنفسه فى الوقت أنفاس عطره
فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت
له سحرا من حبه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب باسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت قاعدة أغزل والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال مالك بهت قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم انك أحق بشعره حيث يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت بروق العارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وزاد

أن تسلم ثقيف كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم قد أجاب أبا مليح فقال له نعم فقال له ابن عمه قارب ابن الاسود وعن الاسود يا رسول الله فان عروة والاسود أخوان لاب وأم فقال صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب يا رسول الله انما الدين على وأنا الذى أطلب به (ومن الوفود وفد بنى تميم) وقد تقدم ذكره أى فى الكلام على سرية عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وفى ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وذكر فى الاستيعاب أنه كان مع وفد تميم قيس بن عاصم فأسلم وذلك فى سنة تسع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للاحنف بن قيس وكان من أحلم الناس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فأتى برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه فقال يا ابن أخى بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بنى فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة وكان قيس بن عاصم رضى الله تعالى عنه ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وسبب ذلك أنه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب أبويها ورأى القمر فصار يخاطبه وأعطى الخمار مالا كثيرا فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه وقال فى ذمها أبياتا كثيرة ولما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال لهم يا بنى احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا أصغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل فاذا مت لا تنوحوا على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقد قيل فيه من جملة أبيات عند موته

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وتقدم انهم نادوه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا ثلاث مرات فخرج اليهم الى آخر ما تقدم (ومنها وفد بنى عامر) فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكانوا أى هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم كان مناديه ينادى بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على هذا الرجل فانى شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال والله لقد كنت آليت أى حلفت ان لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالنى أى اجعلنى خليلا وصديقا لك قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالنى وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتى بشئ وفى رواية لما أتاه صلى الله عليه وسلم عامر وسده أى ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له صلى الله عليه وسلم أسلم يا عامر فقال له عامر ان لى اليك

في شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء قالت عائشة رضى الله عنها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال ماسررت بشئ
كسرورى بهذا وقوله غبر حيضة بضم الغين وشد الباء ومعناه ان أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو
محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة بكسر الحاء وقوله وفساد مرضعة أى ولا حملت عليه في حال ٢٤٢
رضاعه فيفسد رضاعه والمغيل
بوزن مكرم بالكسر من الغيل
بفتح المعجمة وسكون التحتية وهى
أن ترضعه وهى حامل وروى أبو
نعيم عن عائشة رضى الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحسن الناس وجها
وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط
الاشبه وجهه بالقمر ليلة البدر
وكان عرقه في وجهه مثل
اللؤلؤة أى في البياض والصفاء
وأطيب من المسك الاذفر أى
طيب الرائحة وروى مسلم عن
أنس رضى الله عنه قال دخل
علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عندنا أى نام وقت
القائلة فعرق فجاءت أمى أم سليم
بنت ملحان الانصارية رضى الله
عنها بقارورة فجعلت تسلت
العرق وتجعله فيها قال القاضى
عياض كانت محرما له من قبل
الرضاع فاستيقظ صلى الله عليه
وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذى
تصنعين قالت هذا عرقك نجعله
في طيبنا وفى رواية لطيبنا
وهو أطيب الطيب وفى رواية
كان صلى الله عليه وسلم يدخل
بيت أم سليم وليست فيه فينام
على فراشها أى لعلمه برضاها
وفرحها به قال فجاء ذات يوم فنام
على فراشها فقيل لها هذا النبى
صلى الله عليه وسلم نائم في بيتك
على فراشك فجاءت وقد عرق
واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله
عليه وسلم فقال ماتصنعين يا أم سليم قالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذى تترك
فيه المرأة مايعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعد ها للطيب وفى رواية قالت هذا عرقك أدوف أى أخلط به طيبى وروى أبو نعيم

حاجة قال اقرب منى فقرب منه حتى حنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن
قوله خالنى أى اجعل لى منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لاربد انى أشاغل عنك وجهه
قال وذكر ان عامر بن الطفيل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم يا عامر فقال
أتجعل لى الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك
أى انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء أى وقال له يا محمد أسلم على أن لى الوبر ولك المدر فقال لا
فقال مالى ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ماعليهم فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا
ورجالا وفى رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمنعك الله عز وجل قال السهيلي وجعل أسيد بن حضير رضى الله تعالى عنه يضرب
فى رؤسهما ويقول أخرجا أيها الهجرسان أى القردان فقال له عامر ومن أنت فقال أسيد بن
حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك قال بلى أنا خير منك ومن أبى
لان أبى كان مشركا وأنت مشرك ومكث صلى الله عليه وسلم أياما يدعو الله عليهم و يقول
اللهم اكفنى عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله اه أى ثم قال صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بنى عامر بن الطفيل بما شئت وانى شئت وفى
البخارى انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولى
أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بالف أشقر وألف شقراء فلما
خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك
به والله ما كان على وجه الارض من رجل أخافه على نفسى منك أبدا وايم الله لا أخافك بعد
اليوم أبدا فقال لا أبالك لا تعجل على والله ماهممت بالذى أمرتنى به الا دخلت بينى وبين الرجل
حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف أى وفى رواية الا رأيت بينى وبينه سورا من حديد وفى
رواية لما وضعت يدى على قائم السيف يبست فلم أستطع ان أحركها وفى رواية لما أردت
سل سيفى نظرت فاذا فحل من الابل فاغر فاه بين يدى يهوى الى فوالله لو سللته لخفت أن يبتلع
رأسى ويمكن الجمع بان مافى الرواية الاولى كان بعد أن تكرر منه الهم ومافى الرواية الثانية
كان بعد ان حصل منه هم آخر وكذا يقال فى الثالثة وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا
كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه أى وفى لفظ حلقه أى
وأوى الى بيت امرأة سلولية من بنى سلول وكانوا موصوفين باللؤم وفى كلام السهيلى انما
اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لانها منسوبة الى سلول بن صعصعة والطفيل من بنى عامر بن
صعصعة أى فهى تأسف عليه وصار يأسف الذى كان موته بيتها وصار يمس الطاعون و يقول
يابنى عامر غدة أى أغدة كغدة البعير وموتا فى بيت امرأة من بنى سلول ائتونى بفرسى ثم
ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا أى ويذكر انه صار يقول ابرز
ياملك الموت وفى لفظ ياموت ابرز لى أى لاقاتلك وهذا يدل على ان موت عامر لم يتأخر سيما وقد
جاء فى رواية فخرج حتى اذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية

عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت كفه صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أولم يمسها يصافح
المصافح فيظل يومه يجد ريحها أى طيبا خلقيا خصه الله به معجزة وتكرمة ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان
بريحها وروى الطبرانى عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال كنت أصافح رسول الله ٢٤٣ صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده
فاتعرفه بعد فى يدى وانه لاطيب
من ريح المسك وفى الشفاء
والمواهب انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا أراد أن يتغوط انشقت
الارض وابتلعت بوله وغائطه
وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم
يطلع على مايخرج منه بشر قط
يعنى اذا بال أو تغوط على الارض
فلا ينافى ذلك مارواه الحاكم
والدارقطنى والطبرانى وأبو نعيم
عن أم أيمن رضى الله عنها قالت
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الليل الى فخارة فى جانب
البيت فبال فيها فقمت من الليل
وأنا عطشانة فشربت مافيها وأنا
لا أشعر أنه بول أى اطيب ريحه
فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم
قال يا أم أيمن قومى فاهريقى مافى
تلك الفخارة فقلت قد والله
شربت مافيها فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه ثم قال أما والله لا يبجعن
بطنك أبدا وروى عبد الرزاق
وأبو داود عن أميمة بنت بجاد بن
عبد الله التميمى وأمها رقية بنت
خويلد أخت خديجة رضى الله
عنها فرقية خالة السيدة فاطمة
رضى الله عنها وكانت أميمة رضى
الله عنها صحابية من المبايعات
قالت كان للنبى صلى الله عليه
وسلم قدح من عيدان يبول فيه
وعيدان بفتح المهملة واسكان
التحتية ومهملة مفتوحة جمع
عيدانة بالهاء وهو الطوال من النخل وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم
أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنهما وكانت أم حبيبة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وكانت
بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف أى

فنزل عن فرسه ونام فى بيتها فاخذته غدة فى حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو
يقول غدة كغدة البكر وموت فى بيت سلولية فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا
ويحتاج للجمع بينه وبين قول الاوزاعى قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا وقدم صاحباه على قومهما فقالوا لاربد ماوراءك يا أربد
فقال لا شئ والله لقد دعانا الى عبادة شئ لوددت انى عنده الآن فارميه بالنبل حتى أقتله فخرج
بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمل يتبعه فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما
أى وذلك فى يوم صحو قائظ وأنزل الله تعالى قوله و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما
جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر (ومنها وفود ضمام بن ثعلبة) أى
وقيل وفد فى سنة خمس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل
البادية قال فيه طلحة بن عبيد الله جاءنا اعرابى من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته
ولا نفقه مايقول الحديث أى جاء على جمل وأناخه فى المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب
أى وفى رواية أيكم محمد قالوا هذا الامغر المرتفق أى الابيض المشرب بحمرة المتكئ على
مرفقه فدنا منه صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك فمشدد عليك فى المسئلة قال سل عما بدالك
أى وفى رواية اغلظ عليك فى المسئلة فلا تجد على فى نفسك مالا أجد فى نفسى فقال سل
مابدالك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك بفتح
الهمزة برب من قبلك ورب من بعدك وفى رواية بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه
الجبال قال اللهم نعم قال وفى رواية أنه قال له قبل ذلك آلله أمرك ان تامرنا أن نعبده وحده
لا نشرك به شيأ وان نخلع هذه الانداد الذى كان آباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال أنشدك
بالله آلله أمرك أن نصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله
أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله
أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن
يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فانى قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن
ثعلبة (أقول) وهذا السياق يدل على أن وفوده كان بعد فرض الحج وهو يخالف ماسبق أنه كان
فى سنة خمس ومن ثم استبعده ابن القيم قال والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض
الرواة وفيه ان الذى جزم به ابن اسحق وأبو عبيدة انه وفد فى سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر
رحمه الله تعالى ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسلم و يؤيد ذلك قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم علينا
الحديث لان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انما قدم المدينة بعد الفتح فلما أن ولى ضمام
رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل أى بضم القاف صار فقيها
وبكسرها فهم وفى لفظ ان صدق ليدخلن الجنة وكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول ما رأيت
أحدا أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة أى وفى لفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما فما سمعنا بوافد قط كان أفضل من ضمام ولما رجع ضمام رضى الله تعالى عنه الى قومه

جعله الله صحة فما مرض قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وصحح ابن دحية انهما قصتان احداهما قصة أم أيمن والثانية قصة
بركة أم يوسف قال في المواهب وقد وضح ان بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن لان أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضى الله عنها وجاءت
معها من الحبشة وأم أيمن هي مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته قال القاضي عياض والنووي حديث شرب المرأة
البول صحيح وفيه دلالة على طهارة بوله وكذا سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا وكذا حديث الدم الذي شرب به عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيأ من الاذى فقال ياعائشة وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته قد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم أر له أثر غائط ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا أي طيبا وكانت الصحابة رضى الله عنهم يتبركون بدمه صلى الله عليه وسلم وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم
أتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته وفي رواية قلت جعلته
في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال له لعلك شربته قلت شربته قال ويل لك من الناس وويل للناس منك فقوله وويل لك
للتعبير والتألم وذلك اشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج وويل للناس منك اشارة لما أصابهم من حروبه ومحاصرة

قال لهم ان الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه قال وفي رواية ان أول شئ تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال لهم ويلكم والله انهما لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا الى آخر ما تقدم واني أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم (ومنها وفد عبد القيس) وفيهم الجارود وكان نصرانيا أي قد قرأ الكتب فقال أبياتا يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم منها

يانبي الهدى أتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقي وقع شر يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

الفدفد المفاز والآل ما يرفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل السراب قيل وكانوا ستة عشر فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال يا محمد اني كنت على دين واني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك ان قد هداك الى ما هو خير لك منه فاسلم وأسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم فقال والله ما عندي ما أحملكم عليه فقال يارسول الله يحال بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال المسلمين أي من الابل والبقر يمشي نفسه أفنتبلغ عليها الى ركابها الى بلادنا قال لا اياك واياها فانها تلك حرق النار أي لهبها كذا في الاصل وفي السيرة الهشامية أن الجارود انما وفد مع حلف له يقال له سلمة بن عياض الازدي وأن الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج بتهامة يزعم انه نبي فهل لك أن تخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى بن مريم لكن يضمر كل واحد منا له ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري انه ان أخبرنا بها انه لنبي يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة أن لا اله الا الله وأني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند أو وثن يعبد من دون الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا فأخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة الا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام الا وان أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة فانها تغدو برفده وتروح بعله وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فاما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما يوم السباسب فقد أعقبه الله ليلة خير من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله انتهى وذكر في السيرة الهشامية في وفد عبد

مكة بسببه وقتل من قتل وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب
عن شرب دمه فانه بضعة من النبوة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق امارة فضلا
عن الخلافة وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حملك على ذلك قال قد علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم
فشربته لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسك النار ومسح على رأسه وجاء في رواية ان ابن الزبير رضى الله عنهما لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته في فمه الى ان صلب بعد قتله رضى الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت خلافته بمكة تسع سنين قال الامام مالك رضى الله عنه وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فامسكت عن رضاعه فقال أرضعيه ولو بماء عينيك كبش كبش بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية فاطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما حتى لم يبق معه أحد فقاتل حتى قتل رضى الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اشكموه فاعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعني الدم فتوارى ابن الزبير رضى الله عنهما فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار قال الشعبي فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال أما الطعم فطعم
العسل وأما الرائحة فرائحة المسك وهذا من باب قلب الاعيان الذي عد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان عن ابن عباس

القيس أنه كان قبل فتح مكة وذكر ما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفي رواية ليستبين ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضى الله تعالى عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك برأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقى أي يشرب في مسوك أي جلود الرجال وانما يحتاج الرجل من أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يارسول الله أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال لا بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والاناة على وزن قناة التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة وفي رواية أنهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة أي وهو المراد بما في بعض الروايات ربيعة فانه من التعبير عن البعض بالكل وفي البخاري في الصلاة ان هذا الحي من ربيعة أي ان هذا الحي حي من ربيعة وهو في الاصل اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لان بعضهم يحيا ببعض قال خير ربيعة عبد القيس مرحبا القوم أي صادفتم رحبا بضم الراء أي سعة وأول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم قالها لابنة عمه أم هانئ رضى الله تعالى عنها وقال لعكرمة بن أبي جهل رضى الله تعالى عنه مرحبا بالراكب المهاجر وقال لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها مرحبا بابنتي وقال لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم غير خزايا ولا ندامى أي حالة كونكم سالمين من الخزي ومن الندم وفي لفظ مرحبا بالوفد الذين جاؤا غير خزايا ولا ندامى أنا حجيج من ظلم عبد القيس فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة أي من سفر بعيد لان مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام أي وفي لفظ الا في هذا الشهر الحرام وهو كمسجد الجامع ونساء مؤمنات وهو شهر رجب للتصريح به في بعض الروايات ٣ وقال بعضهم وفي هذا دليل على أن الاعمال الصالحة تدخل الجنة اذا قبلت وقبولها يقع برحمة الله لان مضر كانت تبالغ في تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الاشهر الحرم ومن ثم قيل رجب مضر فأمرنا بأمر فصل أي فاصل بين الحق والباطل فقال آمركم بأربع أي بخصال أربع أو جمل

رضى الله عنهما قال حجم النبى صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا أى شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر صلى الله عليه وسلم فى وجهه فقال ويحك ما صنعت فقال غيبته فى بطنى فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أحرزت ٢٤٦ نفسك من النار ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة وفى متن سعيد بن منصور أن مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه لما جرح النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال مجه فقال لا والله لا أمجه أبدا ثم ازدرده أى ابتلعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد يومئذ بأحد فظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة وفى رواية انه قال من سره ان ينظر الى رجل خالط دمى دمه فلينظر الى مالك بن سنان (وكان صلى الله عليه وسلم) يتستر عند البراز وغيره فمن تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضى الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط رواه ابن ماجه والترمذى وعن على رضى الله عنه قال أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله غيرى فانه لا يرى أحدا عورتى الا طمست عيناه وروى الحاكم وأبو عوانة عن عائشة رضى الله عنها قالت ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن وفى رواية قالت من حدثكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول الا قاعدا وفى رواية الا جالسا والمراد من حدثكم انه ثلاث عادته فلا ينافى ما صح عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما والسباطة ما المزبلة وموضع القمامة والاوساخ فهذا كان منه صلى الله عليه وسلم للتشريع وبيان الجواز أو لكونه لم يجد فى السباطة المذكورة موضعا خاليا عن الاوساخ يجلس فيه وأيضا عائشة رضى الله عنها ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة

أربع ففى بعض الروايات قالوا حدثنا بجمل من الامر وأنهاكم عن أربع آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أى وفيه أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمة الشهادة ووقع فى البخارى فى الزكاة زيادة واو قبل شهادة وهى زيادة شاذة لم يتابع عليها راويها واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس أى لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر وهذا زائد على الاربع ومن ثم قال بعضهم هو معطوف على قوله بأربع أى آمركم بأربع وبأن تعطوا ومن ثم غاير فى الاسلوب وفى مسلم آمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وأعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لانه لم يكن فرض على الصحيح كما قال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو بناء على الاصح انه فرض سنة ست وقول الواقدى ان قدوم وفد عبد القيس كان فى سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر بعضهم أن لعبد القيس وفدتين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة بعده ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسند الامام أحمد وهو وأن تحجوا البيت وأنه لم يتعرض فى هذه الرواية لعدد أى لقوله أربع ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم وأنهاكم عن أربع عن الدباء أى القرع أى عما ينبذ فيها والحنتم وهو جر مدهونة بدهان أخضر أى عما ينبذ فيها أى وقيل الحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر أى ما ينبذ فى ذلك والمزفت ما طلى بالزفت أى عما ينبذ فيه وفى رواية زيادة على ذلك والقير ما طلى بالقار وهو نبت يحرق اذا يبس وتطلى به السفن كما تطلى بالزفت زاد فى رواية وأخبروا بهن من وراءكم أى من جئتم من عندهم ومن يحدث من الاولاد قالوا فيم نشرب يا رسول الله قال فى أسقية الادم أى الجلود التى يلاث أى يربط على أفواهها قالوا يا رسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أى الفيران أى لا تبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الاشج يا رسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه فأومأ صلى الله عليه وسلم بكفيه وقال له يا أشج ان رخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها يعنى أعظم منها حتى اذا ثمل أى سكر أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان فى القوم رجل وقع له ذلك أى وهو جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبى لاغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أى وفى كلام السهيلى فعجبوا من علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واشارته الى ذلك الرجل هذا كلامه أى وفى رواية أنهم سألوه عن النبيذ فقالوا يا رسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحها الا النبيذ قال فلا تشربوا فى النقير فكأنى بكم اذا شربتم فى النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجلا منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال صلى الله عليه وسلم ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا فى النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم أنواع تمر بلادهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبى أنت وأمى يا رسول الله لو كنت ولدت فى جوف هجر

وعادته الدائمة وقيل السبب فى بوله قائما ما روى عن الامامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما ان العرب كانت تستشفى لوجع الصلب بالبول قائما فلعله كان به وجع صلب وروى البيهقى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة باطن الركبة ٢٤٧ فكأنه لم يتمكن لاجله من القعود وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث أى ذكران الشياطين واناثهم وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية والا فهو معصوم من الشياطين كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجهر بذلك للتعليم وكان اذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض واذا خرج من الخلاء قال غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الاذى وعافانى منه وكان يقول اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره وبقية الآداب شهيرة فلا حاجة الى الاطالة بها والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم ما أكرمه الله به من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية زيادة على ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وسكناته فمن ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التى جماعها حسن الخلق وقد اتصف بها بجميعها صلى الله عليه وسلم ونحن اذا شاهدنا من اتصف بصفة أو صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الامثال ويتقرر له بذلك الوصف فى القلوب مكرمة يتفرد بها كما تراه فى اشتهار حاتم بالكرم وكسرى بالعدل وحسان بالفصاحة وعنتر بالشجاعة فيقولون أجود من حاتم وأعدل من كسرى وأفصح من حسان وأشجع من عنتر فما ظنك بعظيم قدر من

ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرضكم رفعت الى منذ قعدتم أى فنظرت من أدناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرنى يذهب بالداء ولا داء معه أى وانما اقتصر صلى الله عليه وسلم فى المناهى على شرب الانبذة فى الاوعية المذكورة مع أن فى المناهى ما هو أشد فى التحريم لكثرة تعاطيهم لها كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومعنى النهى عن الانتباذ فى هذه الاوعية بخصوصها أنه يسرع فيها الاسكار فربما يشرب منها من لا يشعر بذلك وكان فى عبد القيس أبو الوازع بن عامر وابن أخته مطر ابن هلال ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم أنه ابن أختهم قال ابن أخت القوم منهم وكان فيهم ابن أخى الوازع وكان شيخا كبيرا مجنونا جاء به الوازع معه ليدعو له صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبرأ لحينه وكسى شبابا وجمالا حتى كأن وجهه وجه العذراء وجاء أنه صلى الله عليه وسلم زودهم الاراك يستاكون به وذكر أنه كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كان خطيئة داود عليه الصلاة والسلام النظر ﴿ومنها وفد بنى حنيفة﴾ ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاءت بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه رضى الله تعالى عنهم معه عسيب من عسب النخل فى رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله أن يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا فى رحالنا يحفظها لنا فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لواحد من القوم وهو خمس أواق من فضة وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا اليه أخبروه بما قال عنه فقال انما قال ذلك لانه عرف أن لى الامر من بعده فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وكذب وادعى انه أشرك معه صلى الله عليه وسلم فى النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له أما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم أنى أشركت معه فى الامر أى وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك أنه حفظ ضيعة أصحابه هذا وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضى الله تعالى عنه وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال ان سألتنى عن هذه القطعة ما أعطيتكها أى فانه صلى الله عليه وسلم بلغه عنه أنه قال ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته وانى لاراك الذى منه رأيت وهذا قيس يجيبك عنى ثم انصرف والذى رآه منه صلى الله عليه وسلم انه رأى فى المنام أن فى يده سوارين من ذهب قال فأهمنى شأنهما فأوحى الله الى فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى أى وهما طليحة العبسى صاحب صنعاء ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان طليحة العبسى يقول ان ملكا كان يقال له ذو النون يأتينى كما يأتى جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذى فى

اجتمعت فيه كل الصفات الحميدة الى ما لا يأخذه عد ولا احصاء ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة وانما يكون بتفضل
الكبير المتعال ومن تأمل فى صفاته صلى الله عليه وسلم وجده حائزا لجميع صفات الكمال محيطا بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة
الاخبار من ثقات الرجال بل بلغ ذلك ٢٤٨ مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه الا مخذول مستغرق فى بحار الضلال وناهيك بقوله
تعالى له وانك لعلى خلق عظيم
وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما ولنشرع
فى ذكر جملة من أخلاقه
العظيمة فنقول (أما وفور عقله)
وحلمه وذكائه صلى الله عليه وسلم
فلا مرية انه كان أعقل الناس
وأذكاهم فطنة وفهما ومن
تفكر فى تدبيره أمر بواطن
الخلق وظواهرهم بحسن
تصرفه وسياسته العامة والخاصة
لم يشك فى رجحان عقله وثقوب
فهمه وقد أطلعه الله على ظواهر
أحوال الخلائق وخفياتها حتى
يصلحها ويرشدهم للاحسن
منها وهو مبعوث الى سائر العباد
داع الى الله وهذا انما يكون
باصلاح بواطنهم وظواهرهم
وهو يتوقف على معرفة ذلك
فموسى عليه الصلاة والسلام
كان ينظر فى أحكام أمته بالظاهر
والخضر عليه السلام أعطاه الله
العلم بباطن الامر والنظر اليه
ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطاه
الله العلم بالظاهر والباطن فكان
ينظر الى ظواهر الخلائق
وبواطنهم ويعامل كل انسان بما
يقتضيه حاله من رعاية ظاهره
أو باطنه فكان يسوس الخلق
على حسب اختلاف أحوالهم
حتى انه يأتيه الاعرابى الجلف
فيتلطف به ويسوسه حتى ينطق
بالحكمة فى أقرب زمن وكانت
الاعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه
أهلهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل انسان
منهم على قدر عقله ويفتيه على حسب حاله وهذا مع ما أفاضه صلى الله عليه وسلم عليهم من العلم وقرره لهم من الشرع وكل ذلك دون صلى

الصحيحين وماهذا أنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وهو من ثم كان فى حفظ
الرحال والثانية كان متبوعا ولم يحضر أنفة منه واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة
الاكرام على عادته صلى الله عليه وسلم فى الاستئلاف فأتى الى قومه وهو فيهم كذا قيل ولا يخفى
ان قوله ولم يحضر يقتضى انه لم يجئ الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المرتين وتقدم أنه جاء اليه صلى
الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب وهذا أى ستره بالثياب هو المناسب لكونه متبوعا ثم صار
مسيلمة لعنه الله يتكلم بالهذيان يضاهى به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على
الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف وحشا وقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا
والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا وقيل
انه لعنه الله طلب منه أن يتفل فى بئر تبركا ففعل فملح ماؤها ومسح رأس صبى فصار أقرع قرعا
فاحشا ودعا لرجل فى بنيه بالبركة فرجع الرجل الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى بئر
والآخر أكله الذئب ومسح على عينى رجل لاستشفائه بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة
للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا السياق يرشد الى أنه كان برأس ذلك الصبى قرع يسير فمسح عليه
للاستشفاء فأظهر معجزة بزعمه وهو أنه أدخل بيضة فى قارورة وافتتن بأن البيضة بقت
يوما اذا ألقيت فى الخل والنوشادر يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل فى القارورة ويصب
عليها ماء فتجمد وبهذا يرد على رثائه من بنى حنيفة بقوله

لهفى عليك أبا ثمامه * كم آية لك فيهمو * كالشمس تطلع من غمامه

فيقال له كذبت بل كانت آياته معكوسة قال وكتب مسيلمة قبحه الله الى النبى صلى الله عليه وسلم
كتابا فقال من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان
لنا نصف الامر وليس قريش قوما يعدلون وبعث رجلين فكتب اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع
الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للرجلين وانما
تقولان مثل ما يقول قالا نعم قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما انتهى
(ومنها وفد طى) وفيهم زيد الخيل رضى الله تعالى عنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفيهم
قبيصة بن الاسود وسمى بهذا زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له أى ولو كان وجه
التسمية يلزم اطراده لقيل للزبرقان بن بدر زبرقان الخيل فقد قيل انه وفد على عبد الملك بن
مروان وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحدة من تلك الافراس الى آبائها وأمهاتها
وحلف على كل فرس يمينا غير اليمين التى حلف بها على غيرها فقال عبد الملك عجبى من اختلاف ايمانه
أشد من عجبى من معرفته بانساب الخيل وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا بليغا جوادا فعرض
عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم فى حق
زيد الخيل ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل
فانه لم يبلغ أى ما قيل فيه كل ما فيه وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير أى فانه صلى الله عليه وسلم
قال له وهو لا يعرفه الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ثم قبض

تعلم سبق له من غيره ولا بممارسة تقدمت لشئ من ذلك ولا مطالعة للكتب فمن تأمل ذلك كله تحقق انه صلى الله عليه وسلم أعقل
العالمين قال وهب بن منبه قرأت فى أحد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله عليه وسلم أرجح الناس
عقلا وأفضلهم رأيا وفى رواية فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس ٢٤٩ من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى
جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
أى لم يعطهم جميعا منه شيأ
نسبته الى عقله الا كنسبة حبة
بالنسبة الى رمالها ولما كان
عقله عليه الصلاة والسلام أوسع
العقول اتسعت أخلاق نفسه
الكريمة اتساعا لا يضيق عن شئ
فمن ذلك اتساع خلقه فى الحلم
والعفو مع القدرة وصبره على
ما يكره وغير ذلك من كريم
أخلاقه (أما صبره) فحسبك فيه
صبره عليه الصلاة والسلام على
الكافرين وعفوه عن المقاتلين
المحاربين له مع ما ناله منهم من
الجراح والجهد بحيث كسرت
رباعيته اليمنى السفلى وشج
وجهه يوم أحد حتى صار الدم
يسيل على وجهه الشريف فصار
ينشفه ويقول لو وقع شئ منه
على الارض لنزل عليهم العذاب
من السماء وشق ذلك على
أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم
فقال انى لم أبعث لعانا ولكنى
بعثت داعيا ورحمة أى لمن أراد
الله اخراجه من الكفر الى
الايمان ثم قال اللهم اغفر لقومى
فانهم لا يعلمون وفى رواية اللهم
اهد قومى وهو المراد من قوله
اللهم اغفر لهم فان المغفرة
لا تكون الا بعد الهداية فالدعاء
بالمغفرة متضمن للدعاء لهم
بالهداية وفى الشفاء عن عمر رضى
الله عنه انه قال فى بعض كلامه بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهى ان حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه انما هو فيما يتعلق بنفسه

صلى الله عليه وسلم على يده فقال من أنت قال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله
وأنك عبده ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم بل أنت زيد الخير ثم قال يا زيد ما أخبرت عن
رجل قط شيأ الا رأيته دون ما أخبرت عنه غيرك أى وأجاز صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم
خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنتى عشرة أوقية ونشا أى وأقطعه مخابين من أرضه وكتب له
بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينجو زيد من الحمى أى ما ينجو منها ففى أثناء الطريق أصابته الحمى أى
وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعنى الحمى وفى رواية ان زيد
الخيل لما قام من عنده صلى الله عليه وسلم وتوجه الى بلاده قال صلى الله عليه وسلم أى فتى
ان لم تدركه أم كلبة يعنى الحمى والكلبة الرعدة وفى رواية ما قدم على رجل من العرب بفضله
قومه الا رأيته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد فان ينج زيد من حمى المدينة فلا مرما هو
قال ولما مات أقام قبيصة بن الاسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أقطعه فيه مخابين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة ضرمتها
بالنار فاحترقت واحترق الكتاب انتهى وفى كلام السهيلى وكتب له كتابا على ما أرادوا وأطعمه
قرى كثيرة منها فدك هذا كلامه وقيل بقى الى خلافة عمر رضى الله عنهما ﴿ومنها وفود
عدى بن حاتم الطائى﴾ حدث عدى رضى الله عنه قال كنت امرأ شريفا فى قومى آخذ المرباع
من الغنائم كما هو عادة سادات العرب فى الجاهلية أى وهو ربع الغنيمة كما تقدم فلما سمعت
برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حين سمع به منى فقلت لغلام كان راعيا لابلى لا أبالك اعزل من ابلى أجمالا ذللا
سمانا فاحتبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنى ففعل ثم انه
أتانى ذات يوم فقال يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات
فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لى أجمالى فقربها فاحتملت أهلى وولدى
والتحقت بأهل دينى من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر فأصيبت فيمن أصيب
أى سبيت فيمن أصيب من الحاضر فلما قدمت فى السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها
وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى أن قدمت على الشام فوالله انى لقاعد فى أهلى اذ نظرت الى
ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هى هى فلما وقعت على قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك
وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت أى أخية لا تقولى الا خيرا فوالله مالى من عذر
ولقد صنعت ما ذكرتى ثم نزلت وأقامت عندى فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين فى
أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن
ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا للرأى أى ولعلها لم تظهر له اسلامها لئلا ينفر طبعه من
قولها ان يكن نبيا أى على الفرض والتنزل تحريضا له على اللحوق به صلى الله عليه وسلم
فخرجت حتى جئته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدى بن

حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى الى بيته فوالله انه لقائدنى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته صلى الله عليه وسلم فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ماهو بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوة ليفا فقدمها لى وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ماهذا بأمر ملك ثم قال لى مامعناه ياعدى بن حاتم أسلم تسلم قالها ثلاثا فقلت انى على دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بدينى قال نعم ألست من الركوسية ألست من القوم الذين لهم دين لانه تقدم انه كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع أى تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم فى الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك فقلت أجل والله وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلك ياعدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ماترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فوالذى نفسى بيده ليتمن هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد وفى رواية ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية أى وهى قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أى الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه ﴿ومنها وفود فروة بن مسيك المرادى﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة مفارقا لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا فى يوم يقال له الردم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال يارسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فروة عند توجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتى أؤم محمدا * أرجو فواضلها وحسن ثوابها

﴿ومنها وفد بنى زبيد﴾ بضم الزاى وفتح الموحدة وفد بنو زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معديكرب الزبيدى وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادى انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبى فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك

الشريفة وأما اذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد الغضب ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا وفى رواية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا فالصلاة عماد الدين فرج حق خالقه ودعا على من شغله عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه صلى الله عليه وسلم فعفا فالصبر على الاذى هو جهاد النفس الاكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاذى فكان يصبر ويعفو واذا كان فى حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين أما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وأما حلمه صلى الله عليه وسلم) وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى ان زيد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال لم يبق من علامات النبوة شئ وفى رواية ما بقى شئ من نعت محمد فى التوراة الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له توصلا لان أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أى اشتريت منه تمرا الى أجل وفى رواية لابى نعيم فأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالا ذهبا فى تمر معلوم الى أجل معلوم قال زيد بن سعنة فلما كان قبل مجئ الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضينى يامحمد حقى فوالله انكم يابنى عبد المطلب مطل فقال عمر وفى رواية أبو نعيم فنظر اليه عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير فقال أى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالله لولا ما أحاذر فوته واذا أى من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر بسكون وتؤدة وتبسم

واذا القيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو رضى الله عنه حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه وأسلم فلما بلغ ذلك قيسا قال خالفنى وترك أمرى ورأيى وتوعد عمرا فقال عمرو فى قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذرى من ذى سفاه * يريد بنفسه شد المزار

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

أى وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو وهذا مع الاسود العبسى ثم أسلم وحسن اسلامه وشهد فتوحات كثيرة فى أيام الصديق وايام عمر رضى الله عنهما وعن ابن اسحق قيل ان عمرو بن معديكرب لم يأت النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم قيس بعد ذلك قيل له صحبة وقيل لا ﴿ومنها وفد كندة﴾ أى وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهى أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون أى وقيل ستون من كندة فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا فى قومه وفى الامتاع وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم رجلوا أى سرحوا جممهم أى شعورهم أى الساقطة على مناكبهم وتكحلوا ولبسوا عليهم جبب الحبرة أى بوزن عنبة برود اليمن المخططة قد كففوها أى سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وعند ذلك قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد ابن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبأ فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة فى ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والمتكهن فى النار فقالوا كيف نعلم أنك رسول الله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء فقال هذا يشهد أنى رسول الله فسبح الحصى فى يده فقالوا نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى بالحق وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغارب ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شئ ودموعه تجرى على لحيته فقالوا انا نراك تبكى أفمن مخافة من أرسلك تبكى فقال صلى الله عليه وسلم ان خشيتى منه أبكتنى بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا صلى الله عليه وسلم ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك الآية ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فى أعناقكم فعند ذلك شقوه منها وألقوه وفيه أن هذا يخالف ماقاله فقهاؤنا معاشر الشافعية من جواز التسجيف بالحرير الا أن يقال الجواز مخصوص بأن لا يجاوز الحد اللائق بالشخص ولعل سجفهم جاوزت الحد اللائق بهم وقد قال الاشعث له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار يعنى جدته أم كلاب فقد تقدم أنها من كندة وقيل انما قال ذلك الاشعث لان عمه العباس بن عبد المطلب كان اذا دخل حيا من أحياء العرب لانه كما تقدم كان تاجرا فاذا سئل من أين قال أنا ابن آكل المرار ليعظم يعنى انتسب الى كندة لان كندة كانوا ملوكا فاعتقدت كندة أن قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال له

ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك ياعمر أن تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة وفى رواية تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث فتكرم صلى الله عليه وسلم بالتعجيل وقال اذهب ياعمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ماروعته أى فى مقابلة ترويعك له ففعل ذلك عمر رضى الله عنه قال زيد فقلت ياعمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما أى بما رأيت من فعله صلى الله عليه وسلم فاشهد ياعمر انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفى رواية ما حملنى على ما رأيتنى صنعت ياعمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى أشهدك ان هذا التمر وشطر مالى فى فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة وروى أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابى قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداؤه خشنا فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الاعرابى احملنى على بعيرى هذين أى احملهما لى طعاما من مال الله الذى عندك فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله أى لا أحملك من مالى ولا من مال أبى وفى رواية المال مال الله وأنا عبده أى أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه ثم قال لا أحملك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى أى تمكننى من القود من نفسك فأفعل معك مثل ما فعلت معى من جبذ ردائى قال الاعرابى والله لا أقيدكها قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم أى تطمينا لقلبه اذ أبدى بالمسرة بمقالته وسرور اعجابا آه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك تنقيصا له وهذا

يقتضى انه كان مسلما غير منافق غير ان فيه جفاء البادية ثم دعا صلى الله عليه وسلم رجلا وفى رواية دعا عمر فقال احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه

اعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس رضى الله عنه فنظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته وفى رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته فى عنقه ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين آنفا ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى وفى هذا بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الأذى فى النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا أى متكلفا للفحش أى لم يقم به فحش طبعا ولا تكلفا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله ابن عمر رضى الله عنهم وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضى الله عنها ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر صريح اسمه وما ضرب بيده شيأ قط الا أن يضرب فى سبيل الله ولا سئل شيأ قط فمنعه الا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم وفى رواية عن أنس رضى الله عنه فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضبا وقد وصفه الله بحسن الخلق فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأمر بقوله ادفع بالتى هى أحسن الآية وروى أن اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان فصيح اللسان قوى الجنان وكان قد صنع شعرا مشتملا على حكمة وظن أن أحدا لا يقدر أن يأتى بما فيه من الحكمة فقال النبى صلى الله

صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفى من آبائنا أى لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء والاشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أى فانه حوصر ثم جئ به أسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقنى لحربك وزوجنى أختك فزوجه أخته أم فروة فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا أن الرجل يعنى أبا بكر رضى الله عنه زوجنى أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه وقال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال لى غلام ولد لى عند مخرجى اليك لوددت ان لى به لسبعة فقال انهم لمجبنة مبخلة محزنة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد انتهى (ومنها وفد ازد شنوءة) وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد الله الازدى أى وكان أفضلهم فأمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره ان يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهى مدينة بها قبائل من قبائل اليمن وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين وقيل باسكان الكاف فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش ان المسلمين رضى الله عنهم انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا فى طلبهم حتى اذا أدركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أى ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأى بلاد الله شكر فقام اليه رجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله تنحر عنده الآن فأخبرهما الخبر فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا فى اليوم والساعة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وعند اخبارهما قومهما بذلك وفد وفد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها وأصدقه لقاء وأطيبه كلاما وأعظمه أمانة أنتم منى وأنا منكم وحمى لهم حمى حول بلدهم (ومنها وفد رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم باسلام الحرث بن عبد كلال بضم الكاف وقد اختلف فى كون الحرث له وفادة فهو صحابى أولا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان أى باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهى قبيلة وأما همذان بفتح الميم والذال المعجمة فقبيلة بالعجم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أى رجوعنا من غزوة تبوك فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم

المشركين

عليه وسلم اصغ الى أوصك ثم قال

تحى ذوى الاضغان تسلى نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل

فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل

فان الذى يؤذيك منه استماعه * كأن الذى قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة

كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه رضى الله عنه * ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للمنافقين قال ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اذا غاب ويتملقون اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له فى التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام خيرنى ربى فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال صلى الله عليه وسلم فوالله لازيدن على السبعين وفى رواية فأنا أستغفر سبعين سبعين سبعين الى أن أنزل الله عليه فى سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فترك الاستغفار وروى ابن منده أن الحباب بن عبد الله بن أبى ابن سلول جاء يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته فى النبى صلى الله عليه وسلم لنفاقه وكان ابنه صحابيا صالحا فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن له فى قتله وأمره ببره وحسن صحبته وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبى جاءه النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن على وكفنى فى قميصك وصل على ففعل فكان طلب ذلك منه نفاقا لا عن حقيقة ايمان ولما مات كفنه النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب خلعه عن بدنه

المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبى أرسل الى زرعة ذى يزن وفى الاستيعاب زرعة بن سيف ذى يزن وفى كلام الذهبى زرعة بن سيف ذى يزن ان اذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلى وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثنى أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء المثناة الفوقية وكسر الذال ويجوز أن يكون بفتح المثناة وفتح الذال محذوف احدى التاءين فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامى) وفد رسول فروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه وأهدى له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء أى يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب وكان فروة رضى الله عنه عاملا للروم على ما يليهم من العرب فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه أى بعد ان قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم فانك تعلم أن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر به ولكنك تضن بملكك (ومنها وفد بنى الحرث بن كعب) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى الحرث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم وقال له ان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد رضى الله عنه حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلموا فقام فيهم خالد بن الوليد رضى الله عنهم يعلمهم الاسلام أى شرائعه وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل ويقبل معه وفدهم فأقبل رضى الله عنه ومعه وفدهم وفيهم قيس ابن الحصين ذو الغصة بالغين المعجمة أى لانه كان فى حلقه غصة لا يكاد يبين الكلام منها وهى صفة لابيه الحصين وربما وصف بها قيس قال فى النور يحتمل أن يقال له ذو الغصة وابن ذى الغصة لانه وأباه كانت بهما الغصة وفيه بعد وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم أمر عليهم صلى الله عليه وسلم يزيد بن الحصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنها أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الخزاعى) وفد رفاعة بن زيد الخزاعى بالخاء المعجمة والزاى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فأسلم وحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وصلى عليه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ولما قيل له صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال وما يغنى عنه قميصى وانى لارجو أن يسلم بذلك ألف من قومه روى أن ألفا من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه وجاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٢٥٤ حين أراد النبى أن يصلى عليه منعه وصار يجذبه بثوبه ويقول يارسول الله أتصلى على

كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة رضى الله عنه على قومه أجابوا وأسلموا (ومنها وفد همدان) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات بكسر الحاء المهملة ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم المدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم وفدوا اليه صلى الله عليه وسلم على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أى يقول الرجز بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول

اليك جاوزن سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

(ومن شعره)

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه كذا فى الاصل وفى الهدى روى البيهقى باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى من ذكر يدعوهم الى الاسلام فأقام ستة أشهر يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه ثم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه وأمر خالدا بالرجوع اليه وأن من كان مع خالد ان شاء عقب مع على وان شاء رجع مع خالد فلما دنا من القوم خرجوا اليه فصف على كرم الله وجهه أصحابه صفا واحدا ثم تقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا جميعا وكتب بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان السلام على همدان وهذا أصح لان همدان لم تكن تقاتل ثقيفا فان همدان باليمن وثقيف بالطائف أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد (ومنها وفد تجيب أى بضم المثناة فوق وتحتية ويجوز الفتح وهى قبيلة من كندة) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وقد كانوا ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يارسول الله سقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يارسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا أى وفضل بفتح الضاد وكسرها فقال أبو بكر يارسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رغبة

رأس المنافقين فنثر ثوبه من عمر رضى الله عنه أى جذبه منه بقوة وقال اليك عنى ياعمر وصلى عليه تخالف مؤمنا فى حق عدو منافق كل ذلك رحمة منه لامته لكمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين وليطيب قلب ولده الصحابى الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لانه لولم يجب ابنه الى ما سأل وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين فى السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره وهذه من الآيات التى جاءت موافقة لرأى عمر رضى الله عنه وقيل انما كفنه صلى الله عليه وسلم فى قميصه مكافأة له لانه ألبس العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم قميصا حين أسر يوم بدر فكافأه بقميصه حتى لا يكون له على عمه منة وفى ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وقوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وتوليه كبر الافك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال مجمع بن جارية رضى الله عنه ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال الصلاة على جنازة قط ما أطال على جنازة ابن أبى ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبى قال فصلينا معه قال أبو نعيم ففيه أن عمر رضى الله عنه ترك رأى نفسه وتابعه صلى الله عليه وسلم ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم وأردوا

عفوه عن لبيد بن الاعصم اليهودى حين صنع له صلى الله عليه وسلم سحرا فأعلمه الله به فأرسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال قد شفانى الله وكرهت أن أثير شرا وعفا عن اليهودية التى سمت له الشاة بالنسبة لنفسه صلى الله عليه وسلم فلا ينافى أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصا وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة خيبر ٢٥٥ ورحم الله القائل فى حقه صلى الله عليه وسلم

وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل له ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاقينا اياه وما ورد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى قال وما حاجتك قال تسأل الله عز وجل أن يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فى الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يارسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله انى لارجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا فلعل الاجل يدركه فى بعض تلك الاودية فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام ذلك الغلام فى قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكر ذلك الغلام ويسأل عنه ولما بلغه ما قام به كتب الى زياد بن لبيد أى وكان واليا على حضرموت يوصيه به خيرا ﴿ومنها وفد بنى ثعلبة﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بنى ثعلبة أى مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم أى ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعانا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته صلى الله عليه وسلم تجرى علينا ثم لما جاؤا يودعونه صلى الله عليه وسلم قال لبلال أجزهم فأعط كل واحد منهم خمس أواق فضة أى والاوقية أربعون درهما ﴿ومنها وفد بنى سعد هذيم من قضاعة﴾ عن النعمان رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا فى نفر من قومى وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أى جعلها موطأة قهرا وغلبة وأزاح العرب أى استولى عليها والناس صنفان اما داخل فى الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على جنازة فى المسجد أى وهو سهيل بن البيضاء لانه صلى الله عليه وسلم لم يصل فى مسجده على جنازة الا عليه رضى الله عنه وما وقع فى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه على سهيل وأخيه نظر فيه مع أن فقهاءنا

وما الفضل الا خاتم أنت فصه وعفوك نقش الفص فاختم به عذرى

وحسبك ما نقل فى كتب السنة الصحيحة نقلا متواترا بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة الى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح وهم لا يشكون فى استئصاله جماعاتهم وقطعه دابرهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال هبط ثمانون رجلا من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة فأمسكهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وجاؤا بهم اليه صلى الله عليه وسلم فأعتقهم وأطلقهم وأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وقد لاطف صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم وتشهد أن لا اله الا الله فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله ما أحلمك وأوصلك فانظر الى هذه الملاطفة منه صلى الله عليه وسلم لابى سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الاحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعفا عنه ولاطفه بالقول والفعل ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه الدارقطنى والحاكم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغى أى يميل الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته

ذكروه وأقروه فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم وقلنا حتى يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه (ثم انصرف) رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعانا فقال ممن أنتم فقلنا من بنى سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يارسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان رضى الله عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر صلى الله عليه وسلم بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا (ومنهم وفد بنى فزارة) وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الجد بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أى توالى عليهم الجدب على ركائب عجاف أى هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أى وهو خارجة أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أى ما حولنا وغرثت ٥ أى جاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع الى ربى عز وجل فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه أى علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه السموات والارض أى أحاط بالسموات والارض وهو دون العرش كما جاءت به الآثار فهى تئط أى تصوت من عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة الحديث أى من ثقل الحمل (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وأزلكم أى شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غياثكم فقال الاعرابى لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه أى الرفع البالغ فى شئ من الدعاء الا فى الاستسقاء فرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى رؤى بياض ابطيه أى وفى النور وقد جوزت وجها وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه فى الاستسقاء يعنى ظهور كفيه الى السماء كما فى مسلم أى فيكون التقدير لا يرفع ظهور كفيه الى السماء الا فى الاستسقاء (وأقول) فيه أن هذا يقتضى أنه يفعل ذلك وان كان استسقاؤه لطلب حصول شئ كما فى دعائه صلى الله عليه وسلم فى هذا الاستسقاء فانه متضمن للحصول (وقد ذكر فى النور) انما كان الدعاء فيه لطلب شئ كان ببطون الكفين الى السماء والظاهر أن مستند ذلك استقراء حاله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء فى الاستسقاء وغيره فليتأمل والله أعلم (ومما حفظ من دعائه) صلى الله عليه وسلم اللهم اسق بقطع الهمزة ووصلها بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا أى مطرا مغيثا مريعا بضم الميم واسكان الراء وبالموحدة مكسورة وبالعين المهملة مسرعا الانزاج

وأمره اياهم بالستر حيث قال من ابتلى بهذه القاذورات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وأما تواضعه) صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه مع ماخصه الله به من الرفعة وعلو المقام فأمر لا ندرك له غاية كما يأتى وصفه قال بعضهم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة فى قلبه وانما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها فى الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فعند ذلك تذوب النفس وتفنى قواها عن ميلها الى الشهوات ويتيسر لها استعمال القوى والجوارح فى الطاعات كل الاوقات وعند ذلك تصفو من غش الكبر وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها فلم يبق لها تعلق بشئ من مألوفها فتلين للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم فكلما ازداد قربا ازداد تواضعا وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام ان خيره ربه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا تواضعا لربه مع أنه لو كان نبيا ملكا ما ضره ولكن رأى التواضع يزيده قربا من ربه فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع فلم يأكل متكئا بعد أن اختار العبودية حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى والترمذى وغيرهما لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمعنى لا تتجاوزوا الحد فى مدحى بأن تقولوا ما لا يليق بى كما تجاوزته النصارى ولكن قولوا الخ فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا لسواه (ومن تواضعه) صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينهر خادما روى البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم

الربيع مرتعا بالتاء المثناة فوق من رتعت الدابة اذا أكلت ما شاءت طبقا أى مستوعبا للارض منطبقا عليها واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدما ولا غرقا ولا محقا اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضى الله عنه فقال يارسول الله التمر فى المرابد أى وتكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم ومن أبى لبابة ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا الغيث حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده أى المحل الذى يخرج منه ماء المطر بازاره فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالله ما رأينا الشمس سبتا أى من السبت الى السبت الآخر وقام أبو لبابة رضى الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه (وفى بعض الروايات) فأمطرت السماء وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاف الانصار بأبى لبابة رضى الله عنهم يقولون له يا أبا لبابة ان السماء والله لم تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو لبابة رضى الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره فأقلعت السماء وحينئذ يكون قول الراوى لئلا يخرج منه التمر بحسب ما فهم ويكون قول الصحابة فوالله ما رأينا الشمس سبتا كان فى قصة غيرها خلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل أو غيره والذى فى الصحيح أنه الرجل الاول وذكر بعض الحفاظ أنه خارجة بن حصن فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه وهو أى بياض الابط معدود من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام بكسر الهمزة جمع أكمة وهى التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المشالة جمع ظرب بفتحها الروابى الصغار وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة أى أقلعت عن المدينة انجياب الثوب (أقول) لعل هذا المطر كان عاما للمدينة وما حولها حتى وصل الى محل هؤلاء الوفد والا فهم انما طلبوا حصول المطر لمحالهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجوده بمحالهم الا اذا كان قريبا بالمدينة بحيث اذا وجد المطر بها يوجد بمحالهم غالبا وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى هذه القصة بقوله

ودعا للأنام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعى والسقـ * ـى وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذى الأنام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل فى * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى وقرت عيون * بقراها وأحييت احياء
فترى الارض عنده كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
يخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

ثم رأيت فى الحدائق لابن الجوزى رحمه الله عن أنس رضى الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر

عشر سنين فما قال لى اف قط وفى رواية لابى نعيم فما سبنى قط وما ضربنى من ضربة ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد قال دعوه ولو قدر شئ كان وفى رواية البخارى ولا قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وفى رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم أحدا قط وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية وما ذاك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم انه لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله وان الخلق آلات ووسائط فالغضب على المخلوق فى شئ فعله كالاشراك المنافى للتوحيد وقيل سبب ذلك انه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب فى المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ فكل ما يفعله الحبيب محبوب وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يجاهد فى سبيل الله وما نيل منه شئ فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله ثم يستثنى من ذلك ما رواه النسائى عن طفيل الاشجعى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فرسه لما رآه متخلفا عن الناس وقال اللهم بارك فيها قال طفيل فلقد رأيتنى ما أملك رأسها ولقد بعت من بطنها اثنى عشر ألفا أى وذلك من بركة قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فيها ووكز جمل جابر رضى الله عنه حتى سبق الناس بعدما كان متأخرا عنهم وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضى الله عنها ما ضرب شيأ قط وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا فى بيته قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه وروى أبو نعيم عن

عائشة أيضا رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وروى أبوداود والترمذي عن أنس والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنهما ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وروى الامام أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ويفعل ذلك ارشادا للتواضع وترك التكبر ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوة المكرم بالرسالة والآيات وتفلية الثوب انما كانت للتعليم أو للتفتيش عن نحو شوك أو وسخ لأنه صلى الله عليه وسلم نور ولا عفونة فيه وأكثر القمل من العفونة ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من التفلية وجود القمل وقيل كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما تفليه استقذارا له وقيامه بخدمة نفسه صلى الله عليه وسلم دليل على كمال تواضعه وهذا لا ينافي أنه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الأوقات فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته وبيان ندب الانسان الى خدمة نفسه وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفا وتارة عريا ليس عليه شئ وفي ذلك غاية التواضع وارشاد العباد وبيان أن ركوبه كذلك ليس مخلا بمروءة ولا رفعة بل فيه غاية التواضع وكسر النفس وكان يردف خلفه الذكر حيا والأنثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في رجوعه من خيبر وأركب معه الصغار والكبار فكان اذا قدم من غزو استقبله الصبيان فيركبهم معه ويأمر أصحابه باركاب من بقي وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف

يوم الجمعة فقام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة سحاب فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الشريفة قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيديه الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود (ثم رأيت بعضهم) قال أحاديث الاستسقاء ثابتة في الصحيحين وظاهرها أنه تعدد ففي بعضها أنه وقع وهو في خطبة الجمعة وفي بعضها أنه صعد المنبر حين شكى اليه فخطب ودعا وفي بعضها أنه خرج الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه صلى الله عليه وسلم اعرابي وقال له يارسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد شعرا يقول فيه

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقي ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الابيات فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفي رواية لما جاءه صلى الله عليه وسلم المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا رحيما واسعا وجدا طبقا غدقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا ساكبا مسبلا مجللا دائما دررا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث غيثا اللهم تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكنها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام لا تقلع عن المدينة فأتاه صلى الله عليه وسلم المسلمون فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رءوس الظراب ومنابت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال صلى الله عليه وسلم لله در أبي طالب لو كان

عليها اكاف من ليف وهذا نهاية التواضع وأي تواضع أعظم من هذا وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ما هو معروف وروى أبوداود وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه ووطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كن معه في خدمته قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت ان أركب أي تأدبا معه لا لمخالفة لامره فقال اما ان تركب واما ان تنصرف أي ترجع ولا تمشي معي فوافقه على الركوب فقال له اركب امامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وفي رواية لابن منده فأرسل ابنه معه ليرد الحمار فقال صلى الله عليه وسلم احمله بين يدي قال سعد سبحان الله أتحمله بين يديك قال نعم هو أحق بصدر حماره قال هو لك يارسول الله قال احمله اذن خلفي وجاء في بعض روايات هذه القصة انه صلى الله عليه وسلم جاء على حمار مردفا اسامة خلفه فعلى هذا تقريب سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبها صلى الله عليه وسلم بل ليرجع عليه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء عليه وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة أي وقعت أو أوقعتها الدابة فقال صلى الله عليه وسلم انها أمكم تذكيرا لهم بوجوب تعظيمها فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت خلفه وصح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وروى البخاري أيضا عن

حيا قرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله فقال الابيات (ومنها وفد بني أسد) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من بني أسد منهم ضرار بن الازور ووابصة بن معبد وطلحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن اسلامه ومنهم معاذة بن عبد الله بن خلف وقد استهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب منها ثم سقاه ثم قال اللهم بارك فيها وفيمن منحها فقال يارسول الله وفيمن جاء بها فقال وفيمن جاء بها ومنهم حضرمي بن عامر ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يارسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا أي وفي لفظ ان حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا وفي رواية يارسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والتخرص على الغيب والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل وضرب الحصباء فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت فقال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه قال صلى الله عليه وسلم علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم أي وفي رواية لمسلم فمن وافق خطه أي علم موافق خطه فذاك أي يباح له والا فلا يباح له الا بتيقن الموافقة أي وفي شرح مسلم ان محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه أي لأنه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم (ومنها وفد بني عذرة قبيلة باليمن) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة أي وسموا باسم الجاهلية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائلهم من بني عذرة أي أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا أي لقيتم رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ما أعرفني بكم قال ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم ما منعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا وقالوا الام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله الى الناس كافة فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج انتهى فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم

صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكاهنة أى فقد قالوا يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألوها عن شئ ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن الذبائح التى كانوا يذبحونها لأصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا أى وكسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهم بردا ﴿ومنها وفد بنى بلى﴾ على وزن على مكبرا وهو حى من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم بلى منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويفع بن ثابت البلوى وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هدا كم للاسلام فمن مات منكم على غير الاسلام فهو فى النار قال وفى رواية عن رويفع رضى الله عنه قال قدم وفد قومى فأنزلتهم على ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى أصحابه فسلمنا عليه فقال صلى الله عليه وسلم رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم قلت قومى يارسول الله قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهديه للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا وفدنا اليك لنصدقك ونشهد أنك نبى حق ونخلع ما كنا نعبد وكان يعبد آباؤنا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هدا كم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو فى النار انتهى وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لى رغبة فى الضيافة فهل لى فى ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة فقال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أى يضيق عليك أى وفى لفظ فيؤثمك أى يعرضك للاثم أى تتكلم بسيئ القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها فى الفلاة من الارض قال هى لك أو لأخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى منزلى يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة أيام ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم ﴿ومنها وفد بنى مرة﴾ وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بنى مرة رأسهم الحرث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بنى لؤى بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحرث أين تركت أهلك فقال بسلاح وما والاها فقال كيف البلاد فقال والله انا لمسنتون وما فى المال مخ أى صوت برده فادع الله لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجازهم بعشر أواق من فضة وفضل الحرث بن عوف فأعطاه اثنى عشر أوقية أى وهذا يفيد ان كل واحد أعطى عشر أواق ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم

ابن عباس رضى الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد حمل قثم بن العباس رضى الله عنهما بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه شك الراوى وذكر المحب الطبرى فى مختصر السيرة النبوية التى صنفها أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة رضى الله عنه معه قال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله أى فافعله فقال اركب فوثب أبو هريرة رضى الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك أى تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله فقال اركب فلم يقدر أبو هريرة رضى الله عنه فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال لا والذى بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر المحب الطبرى أيضا فى كتابه المذكور انه عليه الصلاة والسلام كان فى سفر وأمر أصحابه باصلاح شاة أى تهيئتها للاكل فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقال آخر يارسول الله على سلخها وقال آخر يارسول الله على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفونى ولكن أكره ان أتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه وروى ابن اسحق والبيهقى عن أبى قتادة رضى الله عنه قال وفد وفد النجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك قال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب ان أكافئهم وروى أبو الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التى أرضعته رواه أبو داود وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة الذى

الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت لهم بعد ذلك بلادهم ﴿ومنها وفد خولان﴾ وهى قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله وقد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والحزون كفلوس وهو ما غلظ منها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما ذكرتم من مسيركم الى فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فانه من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة فقالوا يارسول الله هذا السفر الذى لا توى عليه أى والتوى بفتح المثناة فوق وفتح الواو ومقصورا هو هلاك المال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل عم أنس وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه قالوا أبشر بدلنا الله تعالى ما جئت به وقد بقيت منا بعد بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه فى غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنة قالوا لقد رأيتنا بضم المثناة فوق واسنتنا حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لعم أنس قربانا فى غداة واحدة وتركناها يردها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا الغيث يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من أنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمى زرعا آخر حجرة أى ناحية لله فاذا مالت الريح بالذى سميناه له أى لله جعلناه لعم أنس واذا مالت الريح بالذى سميناه لعم أنس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل على فى ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الامانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد أيام وأجازهم أى أعطى كل واحد اثنتى عشرة أوقية ونشا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس ﴿ومنها وفد بنى محارب﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بنى محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل فى المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر الى رجل منهم وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل أى والله لقد رأيتنى وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ثم قال يارسول الله ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى جاء بى حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يارسول الله استغفر لى من مراجعتى اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الاسلام يجب ما قبله يعنى الكفر أى ومسح

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة كان فى عقلها شئ فقالت ان لى اليك حاجة فقال اجلسى فى أى سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضى حاجتك فخلا معها فى بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها وروى النسائى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف ان يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة وفى رواية للبخارى كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفى رواية للامام أحمد ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجىء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد فقد اشتمل ذلك على أنواع من المبالغة فى التواضع لذكره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عم الاماء أى أمة كانت وبقوله حيث شاءت أى من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها فى تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم ومن ثم أورده البخارى فى باب الكبر اشارة الى براءته صلى الله عليه وسلم منه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له وفى رواية وكان لا يخرج شيأ من اطرافه وهو بين أصحابه أى كقطع ظفره أو قلع وسخه أو طرح بزاقه أو مخاطه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان امتنع ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن على رضى الله عنهما عليه صلى الله عليه وسلم

وهو يصلي وقد سجد فركب على ظهره فأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه فلما فرغ قال له بعض أصحابه يارسول الله قد أطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعجله أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ودخل عليه مرة جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما والحسن ٢٦٢ والحسين رضي الله عنهما على ظهره صلى الله عليه وسلم راكبين فقال لهما جابر رضي الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيعة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود ثم انصرفوا الى أهليهم ﴿ومنها وفد صداء﴾ حي من عرب اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهم ودفع له لواء أبيض ودفع اليه راية سوداء وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جئتك وافدا على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد رضي الله تعالى عنهما وخرج الصدائي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليه فحباهم بالموحدة أعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا له نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع وسمي ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش ومجيء الوفد زياد بن الحرث الصدائي أي وذكر زياد أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بل من الله عز وجل ومن رسوله قال وفي رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يارسول الله فكتب لي كتابا بذلك فقلت يارسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر انتهى (قال زياد) رضي الله تعالى عنه وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال صلى الله عليه وسلم أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي أي وهي اناء من جلد صغير وفي رواية لا الا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئت به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه صلى الله عليه وسلم يتلاحقون ثم وضع صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا أي من غير أصل ثم توضأ وقال أذن في أصحابي من كان له حاجة في الوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم يعني من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يارسول الله انه آخذنا بذحول كانت بيننا وبين قومه في الجاهلية أي وفي رواية آخذنا بكل شيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يكل قسمتها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن فقلت يارسول الله هذان

عنه نعم الجمل جملكما فقال له صلى الله عليه وسلم ونعم الراكبان هما وتقدم انه كان يحمل في الصلاة امامة بنت زينب ابنته من أبي العاص رضي الله عنهما ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة فلا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة فالذي ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه قطعة من لحم وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم (ومن تواضعه) صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع والحر والعبد حتى عاد مرة غلاما يهوديا كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه والعيادة فيها مع التواضع رضا الله وحيازة الثواب ففي الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ولابي داود من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم سبعين خريفا وانما كان فيها تواضع لان فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى ما دون ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع فيتأكد التأسي به صلى الله عليه وسلم وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير وروى البيهقي وابن اسحق عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم

كتابا

لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعا لله تعالى وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رث وعليه قطيفة أي كساء له خمل لا يساوي أربعة دراهم وذلك لانه في أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجرد واقلاع وخروج من المواطن وسفر الى الله ألا ترى ٢٦٣ الى ما فيه من الاحرام فانه اشارة الى ان المراد

كتابا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قلت اني سمعتك تقول لا خير في الامارة لرجل مسلم وأنا رجل مسلم وسمعتك تقول من سأل الصدقة وهو عنها غني فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الذي قلت كما قلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك أستعمله فدللته صلى الله عليه وسلم على رجل منهم فاستعمله قلت يارسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته ففركهن في يده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة ﴿ومنها وفد غسان﴾ اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم ﴿ومنها وفد سلامان﴾ بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة منسوبون اليه بطن من الازد وبطن من طيء وبطن من قضاعة وهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم خبيب بن عمرو والسلاماني فأسلموا (قال) وعن خبيب رضي الله تعالى عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعي اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم السلام من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء وسألناه عن أشياء انتهى (قال) خبيب رضي الله تعالى عنه قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة في وقتها وصلوا معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث في دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام صلى الله عليه وسلم وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته صلى الله عليه وسلم تجري علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا خمس أواق فضة لكل واحد واعتذر الينا بلال رضي الله تعالى عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رجعنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ومنها وفد بني عبس﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بني عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هي معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أي ينقصكم من أعمالكم شيأ وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه أنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبي ضيعه قومه وجاء ابليس

احرام النفس من الملابس تشبيها بالفارين الى الله وليكون تذكرة للموقف الحقيقي وقال في تلبيته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وهذا قاله تخشعا وتذللا وعدا لنفسه كواحد من الآحاد فيكون دالا على عظيم تواضعه لان الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث وانما يكون ممن حج على مراكب نفيسة وملابس فاخرة واغشية محبرة وأكوار مفضضة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم اهدى في هذه الحجة مائة بدنة واهدى أصحابه ما لا يسمع بمثله فمن جملة ما أهداه عمر رضي الله عنه بعير أعطى فيه ثلثمائة دينار فأبى قبولها رواه أبو داود ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء يريدون التبرك بأثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ولا يمتنع لاجل البرد وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والترمذي وغيرهما وفي ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ليصل كل ذي حق حقه وليعلم الجاهل ويقتدي بافعاله وهكذا ينبغي للائمة بعده وروى أبو نعيم في الدلائل عن أنس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا امة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما كلمه أحد قط الا أصغى اليه فلا ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه وما تناول أحد يده قط الا ناوله اياها فلا ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان حسن العشرة مع أزواجه فكان ينام معهن في فراش واحد ولو كانت حائضا مع مواظبته على

بيني وبين عيسى عليه الصلاة والسلام نبي أي واذا صح شيء من الاحاديث التي ذكر فيها خالد ابن سنان أو غيره يكون معناه لم يكن بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام نبي مرسل أي وتقدم ما في ذلك ﴿ ومنها وفد النخع ﴾ أي بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة في النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله اني رأيت في سفري هذا عجبا أي وفي رواية رأيت رؤيا هالتني قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها في الحي ولدت جديا أسفع وهو ولد المعز أسفع أحوى أي والاسفع الاسود الذي سواده مشرب بحمرة والاحوى الذي ليس شديد السواد ومن ثم فسر بالاخضر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت أمة لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال يا رسول الله فما له أسفع أحوى قال ادن مني فدنا منه فقال هل بك من برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أي وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون في شحمة الاذن ومدملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بضم الميم وسكون المهملة قال ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أي يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعموني أكلكم أهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجار اطباق الرأس ويشتجرون بالشين المعجمة وبالجيم أي يشتبكون في الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل أي وفي لفظ أحلى من شرب الماء البارد وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك فقال يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وكان ممن خلع عثمان رضي الله تعالى عنه قال وفي رواية ان النخع بعثت رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم أرطاة بن شرحبيل من بني حارثة والارقم من بني بكر فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يا رسول الله قد خلفنا وراءنا من رجالا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ الاشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك في النخع وعقد صلى الله عليه وسلم لارطاة لواء على قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ رضي الله تعالى عنه اه وقوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم أن وفد النخع كان قدومه في سنة احدى عشرة الا أن يقال

ان

قيام الليل فينام مع احداهن فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها فيجمع بين وظيفته من قيام الليل واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل من نوم كل في فراش اذا القصد الانس لا الجماع لا سيما ان عرف من حالها حرصها على أن ينام معها ٢٦٤ فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروها ولا يلزم من نومه معها الجماع ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم كان يسرب أي يرسل لعائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها وذلك في أول تزوجه بها لانها كانت صغيرة وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اذا شربت عائشة رضي الله عنها من الاناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها وهذا من شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم واذا تعرقت عرقا بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وروى أصحاب السنن الستة انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل نساءه وهو صائم كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن وهذا لا يكون الا ممن حسنت أخلاقه وكمل تواضعه وجاء انه صلى الله عليه وسلم وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها وهي تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهي متكئة على منكبه قالت فقال لي أما شبعت أما شبعت فجعلت أقول لا لا رواه الترمذي وقال حسن صحيح وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا ثم قال تعالى أسابقك فسبقني فجعل يضحك ويقول هذه بتلك وانما قال ذلك لها تلطفا بها وتطييبا لخاطرها رضي الله عنها وذلك من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني في الصغير والاوسط عن أنس رضي الله عنه انهم يعني

ان هذين وفدا قبل وفود ذلك الجم وقد ترك الاصل التعرض لجملة من الوفود وذكرت في السيرة العراقية والسيرة الهشامية تركناها تبعا للاصل منها ان عمرو بن مالك وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم رجع الى قومه فدعاهم الى الاسلام فقالوا حتى نصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا فكان بينهم وبين بني عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا من جملة من قاتل معهم فقتل رجلا من بني عقيل قال عمرو فشددت يدي في غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال صلى الله عليه وسلم ان أتاني لاضرب ما فوق الغل من يده فلما جئت سلمت فلم يرد علي السلام وأعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني فأتيته عن يساره فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه فقلت يا رسول الله ان الرب عز وجل ليترضى فيرضى فارض عني رضي الله تعالى عنك قال رضيت وتقدم أنه قد جاء في الصحيح لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله أعلم

﴿ باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي أرسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ﴾

أي في الغالب والا فمنها ما ليس كذلك وهذه غير كتبه صلى الله عليه وسلم التي كتبها بالامان التي تقدم ذكرها أي ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يا رسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أي ليكون في ذلك اشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر ان ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به صلى الله عليه وسلم ذو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه رضي الله تعالى عنهم خواتيمهم فجاءه جبريل عليه السلام بعد من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر (وفي حديث موضوع) كان نقش خاتمه صدق الله وفي رواية شاذة أنه بسم الله محمد رسول الله والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول في الوسط والله فوق كذا قال بعض أئمتنا قال في النور والذي يظهر لي ان هذه الكتابة كانت مقلوبة حتى اذا ختم بها يخرج على الاستواء كما في خواتم الكبراء اليوم وختم صلى الله عليه وسلم بذلك الخاتم الكتب وكان في يده الشريفة ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله تعالى عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه وذكر أن هذا الخاتم الذي كان في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم كان الخاتم الحديد الذي كان ملويا عليه الفضة وانه الذي كان في يد خالد بن سعيد فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما نقش هذا الخاتم قال محمد

الصحابة رضي الله عنهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة من بيت أم سلمة رضي الله عنها فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا أيديكم أي للاكل فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة رضي الله عنها تصنع طعاما عجلته ٢٦٥ حين رأت الصحفة التي أتي بها من بيت أم سلمة رضي الله عنها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا باسم الله أي من صحفة عائشة غارت أمكم ثم أعطى صحفتها أم سلمة رضي الله عنها وقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء وهذا الحديث رواه البخاري بلفظ كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت واتفقوا على ان التي كان في بيتها هي عائشة رضي الله عنها واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها فجاء في رواية أنها أم سلمة وفي أخرى انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم رجعت الى نفسي وندمت فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وجاء في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم حين

كسرت لم يثرب عليها أي لم يلمها ولم يعبها فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور أصحابه لمزيد حلمه وعلمه بما تؤدي اليه الغيرة وقضى عليها بحكم الله في التقاص بجعل المكسورة عندها ودفع الصحيحة لضرتها وهكذا كانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه لا يؤاخذهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق

ولا غضب فهو رؤوف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه أي شديد عليه ما عنتم أي ما يشق عليهم وفي الحديث اشارة الى أن
المرأة ينبغي أن لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بالشدة لغضب الذى أثارته الغيرة وقد
أخرج أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها ٢٦٦ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغيرى أي المرأة الغيرى لا تبصر أسفل الوادي
من أعلاه وروى البزار والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة فقام اليها رجل فألقى عليها ثوبا وضمها اليه فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم فقال بعض جلسائه احسبها امرأته أى أظنها امرأته فقال صلى الله عليه وسلم أحسبها غيرى ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن كان له أجر شهيد وفي المواهب عن عائشة رضى الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له وقلت لسودة أم المؤمنين رضى الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لها لتأكلن أو لالطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسي على فخذه وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وان كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق ذكر
وحد الزاني الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف أصحابه و يباسطهم بالقول والفعل بما يوجب حبه في القلوب تطمينا لهم
وتقوية لايمانهم وتعليما لهم أن يباسطوا بعضهم بعضا لانهم اذا رأوا ذلك من أكمل الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى لقد كان لكم في

رسول الله قال اطرحه الى فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسه فكان في يده ثم في يد أبي بكر الحديث وعن أنس رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فصه حبشي أي من جذع لانه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل صنف من الزبرجد وانه الذى نقش فيه محمد رسول الله وفي لفظ فصه منه وفي لفظ فصه من عقيق أي ولا ينافي ذلك وصفه بأنه حبشي لان العقيق يؤتى به من بلاد الحبشة ولم يرد أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتما كله عقيق وفي الحديث تختموا بالعقيق فانه مبارك تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر (قيل) وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم في خنصر يده اليسرى وهو المروى عن عامة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وقيل كان في خنصر يمينه صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اوطائفة ومنهم عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه (قال بعضهم) وهذا رواه عبيدة بن القاسم وهو كذاب أي وهو يخالف ما جمع به البغوى بأنه تختم أولا في يمينه ثم تختم به في يساره وكان ذلك آخر الامرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمنى (قال الامام النووى) رحمه الله التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين بها أولى هذا كلامه أي ولان ابن أبي حاتم نقل عن أبي زرعة انه كان في يمينه صلى الله عليه وسلم أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وتقدم ان الخاتم الذى لبسه صلى الله عليه وسلم يوما وألقاه كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد وقد قال صلى الله عليه وسلم للابس خاتم الحديد مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه ولعله لكون سلاسل أهل النار وأغلالهم وقيودهم من حديد أي ثم جاءه وعليه خاتم من صفر أي نحاس فقال مالي أجد فيك ريح الاصنام ولعل الاصنام كانت تتخذ من نحاس غالبا ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب فقال مالي أرى عليك حلية أهل الجنة أي المختص اباحتها بأهل الجنة في الجنة قال يا رسول الله من أي شيء أتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا أي وزن مثقال لكن في رواية أبي داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهي تفيد أن الخاتم اذا كان دون مثقال وزنا لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منهيا عنه (وفي الحديث) ما طهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد (وفي كلام) الشمس العلقمي ولا يكره كونه من نحو حديد ونحاس لحديث الشيخين التمس ولو خاتما من حديد فليتأمل (وعند عزمه) صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلم مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني رحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام فقال أصحابه رضى الله تعالى عنهم وكيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكى ذلك عيسى عليه السلام الى ربه عز وجل فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

رسول الله أسوة حسنة اطمأنت قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم وروى عبد الرزاق والترمذي عن أنس رضى الله عنه ان رجلا من
البادية يسمى زهيرا وفي رواية زاهر بن حرام الاشجعي وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بوجود البادية أي بما يستطرف
ويستملح منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بوجود الحاضرة أي ٢٦٧ بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول
زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول بركته وفي رواية فاحتضنه صلى الله عليه وسلم من خلفه وهو لا يبصره فقال ارسلني من هذا فالتفت فعرف أنه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره أي لا يقصر في الصاق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه تبركا وتلذذا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ملاطفة معه من يشترى العبد فقال زهير يا رسول الله اذن تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال وفي رواية لكن عند الله لست بكاسد فهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشدة تلطفه باصحابه وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم ان رجلا يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن تارة والعسل أخرى فاذا جاء صاحبه يتقاضاه أي يطلبه الثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط
هذا ثمن متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم و يأمر فيعطى الثمن وفي رواية وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا
اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه جاء به فيقول أعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي
فيقول ليس عندي ما أعطيه فيضحك صلى الله عليه وسلم و يأمر لصاحبه بثمنه و وقع نحو ذلك للنعيمان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر﴾

المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي رضى الله تعالى عنه والدحية بلسان اليمن الرئيس وقيصر معناه في اللغة البقير لانه شق عنه لان أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج أي لان كل من ملك الروم يقال له قيصر كتب صلى الله عليه وسلم كتابا لقيصر يدعوه الى الاسلام و بعث به دحية الكلبي رضى الله تعالى عنه وأمره أن يدفعه الى قيصر ففعل كذلك أي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم من ينطلق بكتابي هذا فيسير الى هرقل وله الجنة (وقيل) أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ولما انتهى دحية رضى الله تعالى عنه الى الحرث أرسل معه عدي بن حاتم رضى الله تعالى عنه ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية رضى الله تعالى عنه اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك (قال) دحية رضى الله تعالى عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية رضى الله تعالى عنه وما هو فقال ان له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه المنبر فان أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية ثم قال انظروا الناس قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بالشام أي بغزة مع رجال من قريش في تجارة زمن هدنة الحديبية أي وكان أولها في ذي القعدة سنة ست وقيل كتب اليه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر مرتين والاول ما هو في الصحيحين والثاني قاله السهيلي واستدل له بخبر في مسند الامام أحمد أي وأغرب من قال ان الكتابة له كانت سنة خمس (قال) أبو سفيان فأتانا رسول قيصر أي وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه أي في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أي وهو المعبر عن لغة بلغة وهو معرب وقيل اسم عربي سلهم أيهم أقرب نسبا لهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي أي وفي لفظ لهذا الرجل الذى خرج بأرض العرب يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا اليه لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري أي لان عبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان أي وزاد في لفظ ما قرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال له ادن مني ثم أمر باصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم لاسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي وانما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذبا ان قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ أن يردوا علي كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وأنا كاره أي وفي رواية لولا مخافة أن يؤثر عني الكذب لكذبت أي لولا خفت أن ينقل عني الكذب لي قومي و يتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه لبغضي اياه ومحبتي نقصه و به يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية

الانصاري رضي الله عنه ذكر الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح أنه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه أحضره الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اعط هذا ثمن متاعه فيقول أولم تهده لي فيقول والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الاحقا وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء بهديه فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح ليمزحوا قال بعض السلف كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة فلولا أنه كان يتبسط لاصحابه ويداعبهم لما استطاعوا مكالمته ولا المقام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا أقول الا حقا وروى الترمذي وأبو داود وغيرهما أن رجلا كان به بله أي غفلة في أمور الدنيا قال يا رسول الله احملني أي مر لي ببعير أركب عليه لاغزو معكم فباسطه صلى الله عليه وسلم فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة فقال يا رسول الله ما عسى أن يغني عني ابن الناقة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة أي لو تدبرت وتأملت لادركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال احملوها على ابن بعير فقالت وما أصنع به وما يحملني يا رسول الله فقال هل يجيء بعير الا ابن بعير وروى الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم باسط عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه حين قالت وسألتك
يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فجزعت فقال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم

واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو منا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال قلت لا أي وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا في أمره لعله يطلب ملكا وشرفا كان لاحد من أهل بيته قبله قال هل كان من آبائه ملك قلت لا أي وزاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم أي والمراد بأشراف الناس أهل النخوة وأهل التكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال وعند ابن اسحق رحمه الله تعالى تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأما ذوو الاحساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب أي الاكثر والاغلب أن أتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهة له وعدم رضا به بعد أن يدخل فيه قلت لا ولا يقال هذا منقوض بما وقع لعبد الله بن جحش حيث ارتد ببلاد الحبشة لانه لم يرتد كراهية للاسلام بل لغرض نفساني كما تقدم قال فهل يغدر اذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر وقد تقدم في أحد أن أبا سفيان رضي الله عنه قال يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب * وفي لفظ قال أبو سفيان انتصر علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم ببقر البطون وبجدع الآذان والانوف والفروج وأشار بذلك الى يوم أحد قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيأ أي والذي في البخاري يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيأ وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة وفي لفظ والزكاة وفي لفظ جمع بين الصدق والصدقة والعفاف أي ترك المحارم وخوارم المروأة ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله أحد منكم قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو رجل يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل أي لان الغالب ان اتباع الرسل أهل الاستكانة لا أهل الاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب اذا حصل به انشراح الصدور والفرح به لا يسخطه أحد وسألتك هل قاتلتموه قلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت انه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامنة أي وفي البخاري

ويحادثهم تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره جاءته أم قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يقل شيأ وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه بل كثيرا ما يولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير قال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الافراط ولذا قيل

فاياك اياك المزاح فانه
يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد
ويورثه من بعد عزته ذلا

والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدي الى حرام ولا الى مكروه فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ملاطفة وتأنيسا له وتسلية وذلك من حسن الخلق وكرم الشمايل والتواضع وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران كصرد وصردان ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة في القلوب قبل بعثته وبعدها قدرا عظيما حتى ان قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة اذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقي عليه من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب وتحيرها فمن رآه بديهة هابه   قال الابوصيري

وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر أي لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه الا بالغدر فعلمت انه نبي وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك أي يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين أي وذكر بعضهم ان هذا يدل على ان هذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه ان هذا لا يأتي مع قوله ما تقدم اذ هو يقتضي ان ذلك علامة على رسالة كل رسول ثم قال قيصر ولو أعلم اني أخلص أي أصل اليه لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه أي وفي لفظ آخر ولا أستطيع ان أفعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم قال الامام النووي رحمه الله تعالى ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك فطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب اليه أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أي ومن لم يتبع الهدى فلا سلام عليه فليس في هذا بداءة الكافر بالسلام أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي اليها فالباء موضع الى أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم أو لايمان اتباعك بسبب ايمانك فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين أي فلاحين القرى أي ومن ثم جاء في رواية اثم الفلاحين وفي رواية اثم الاكارين والاكار الفلاح لان أهل السواد وما والاهم أهل فلاحة والمراد ثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم أسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم والفاعل لمعصية المتسبب لارتكاب غيره لها عليه الاثم من جهتين جهة فعله وجهة تسببه ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون والواو في قوله صلى الله عليه وسلم ويا أهل الكتاب عاطفة على مقدر معطوف على قوله أدعوك والتقدير ادعوك بدعاية الاسلام وأقول لك ولاتباعك يا أهل الكتاب قيل وهذه الآية كتبها صلى الله عليه وسلم قبل نزولها لانها انما نزلت في وفد نجران وذلك في سنة تسع وهذه القصة كانت في سنة ست وقيل بعد نزولها لان نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد كذا قال فليتأمل قال أبو سفيان رضي الله عنه فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي أصواتهم التي لا تفهم وفي البخاري كثر عنده الصخب وارتفع الاصوات والصخب اختلاط

نه وهو فرد من جلالته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم أي بجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد أعظم من مهابة
أعظم ملك عند رؤيته وهو مع عسكره وحشمه ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة
شديدة ومهابة فقال له هون عليك ٢٧٠ فاني لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد أي اللحم المقدد

فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني أوحي الي أن تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وانما قال ذلك لانه لما رأى تواضعه كان سببا في تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له عند أحد حقا بل يرى الحق لغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فاني لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار وقال أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعا لان القديد طعام أهل المسكنة فكأنه قال أنا ابن امرأة مسكينة تأكل من مفضول الاكل فكيف يخاف مني وروى أبو داود وغيره أن قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالسا في المسجد فارعدت من الفرق أي الخوف والفزع فقال لها صلى الله عليه وسلم يا مسكينة عليك السكينة فلما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه أي بجميع

أوصافه لما قدرت واذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ويبين ذلك ويوضحه ما روي أنه عليه السهيلي
الصلاة والسلام كان اذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك
للصلاة وما ذاك الا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد ليلا ويشغل بما يقربه من الله فيظهر عليه حال حتى يظن أنه ليس من البشر

الاصوات عند المخاصمة زاد البخاري فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الاصفر يخافه فما زلت موقنا انه سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام أي فأظهرت ذلك اليقين لانه ارتفع وفي لفظ فما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقد تقدم الكلام على كبشة وهو ان جده وهب لامه أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة قال في شرح مسلم وهو الذي كان يعبد الشعرى وأبو سلمة أم جده عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة وزوج مرضعته صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وتقدم الكلام أيضا على بني الاصفر ويروى ان أبا سفيان رضي الله عنه قال لقيصر لما سأله هل كنتم تتهمونه بالكذب فقال لا لكن أخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك فنظر اليه قيصر فقال ما أعلمك بهذا قال اني كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت اليه فاذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب قال في النور الذي يظهر لي انه الصخرة أي المراد بالصخرة في بعض الروايات كما قدمناه واذا فيه أثر مربط الدابة فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون أن يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء أي وأمر بانزال دحية واكرامه وذكر ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به يعني الكتاب فقال له والله انك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر هو أحق أن يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه أي وفي لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد أن يقطعه فقال له قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل قد بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك ملكا فقال له قيصر انك أحمق صغير أو مجنون كبير أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه ولعمري ان كان رسول الله كما يقول لنفسه أحق ان يبدأ بها مني وان سماني صاحب الروم لقد صدق ما أنا الا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاء صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفي لفظ سيكون لهم بقية ولقد صدق الله ورسوله فقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ان الملك المنصور قلاوون أرسل بعض أمرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسله ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله وأكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية فأخرج له صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة وفي لفظ قصبة من الذهب فعن

فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل
اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة ويضطجع بالارض حتى يحصل
التأنيس بجنسهم وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل الخلقة ٢٧١ الذي هو الارض ثم يخرج اليهم ليتمكن

الناس من مخالطته والتكلم معه وما كان يفعل ذلك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما وقد جاء في الحديث أنه لما أخبر على لسان اسرافيل بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام الى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع وفي رواية فأشار الى جبريل أن تواضع فقلت نبيا عبدا فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعا فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع الى السماء وأطلعه الله على الملكوت الاعلى وفي البخاري أن محمود بن الربيع الانصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم عازحه بها فكان في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بسبب ذلك من الصحابة فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ومع القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم اليه وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويقف مع من استوقفه ويمزح مع

الصغير والكبير احيانا اذا اقتضاه المقام ويجيب الداعي وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا أو مستحبا أو مباحا فكان يباسط الخلق
ويلاينهم ليستضيؤا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم وكانت مجالسته صلى الله عليه وسلم مع
أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله تعالى وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والمواعظ

السهيلي رحمه الله تعالى قال بلغني ان هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيما له فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا أي ولا ينافيه ما جاء اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق الا ببلاد الروم أي ويروى ان قيصر لما رجع من بيت المقدس الى محل دار ملكه وهي حمص أي فانه لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر ان يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسط له البسط وطرح له عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك الى ان وصل الى بيت المقدس كما سيأتي فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم اني أردت اختبار صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت فلما رأى قيصر نفرتهم وأيس من الايمان منهم أي وقالوا له أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيدا لاعرابي فقال ردوهم علي وقال اني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه اني مسلم ولكنني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرئ عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل صلى الله عليه وسلم هديته وقسمها بين المسلمين ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم ان قيصر بعد هذه القصة بدون سنتين قاتل المسلمين بغزوة مؤتة وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب للاجابة ولم يجب وفي مسند الامام أحمد أنه كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب انه على نصرانيته وفي لفظ كذب عدو الله والله انه ليس بمسلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فعلى هذا اطلاق صاحب الاستيعاب أنه آمن أي أظهر التصديق لكنه لم يستمر عليه ولم يعمل بمقتضاه بل شح بملكه وآثر العافية على العاقبة لعنة الله عليه أي لانه تحقق كفره أي وقد ذكر حامل كتابه اليه صلى الله عليه وسلم قال جئت تبوك فاذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبيا فقلت أين صاحبكم قيل هو هذا فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال من أنت قلت أنا أحد تنوخ قال هل لك في الاسلام دين الحنيفية ملة ابراهيم قلت اني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع اليهم فضحك صلى الله عليه وسلم وقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين فلما فرغ من قراءة كتابي قال ان لك حقا وانك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها انا قوم سفر فقال رجل أنا أجوزه فأتى بحلة

الحسنة وتعاليم ماينفع فى الدين كما أمره الله أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة
وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة حتى قال ابن مسعود
رضى الله عنه ما كنت أظن أحدا من الصحابة يريد الدنيا حتى نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بانه لم يكن بأرض قومه وهذا من حسن الادب لان المرء قد لا يشتهى الشئ ويشتهيه غيره وكل مأذون من جهة الشرع لا عيب فيه أما اذا كان حراما فانه يعيبه ويذمه وينهى عنه للمنع منه شرعا لا من حيث ذاته فقد يكون حسن المذاق والصنعة فالعيب ان كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز وأما من حيث صنعة الله فالعيب لا يجوز قال النووى ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أن هذه الدنيا شاع سبها فى العالمين قديما وحديثا فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها مع أنه خلاف الواقع لان الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير فمدحه صلى الله عليه وسلم لها ونهيه عن سبها فيه اظهار للحق من احتياج من فيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر وفى رواية لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر أى هو الفاعل لما يحدث فيه والمعنى انكم اذا سببتم الدهر وقع السب على الله لانه الفعال لما يريد لا الدهر فجالب الله
الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره وجاء فى رواية أنا الدهر بيدى الليل والنهار أى أقلبهما كيف شئت وأدبر مافيهما كيف أريد فهو
كالتفسير لقوله أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان

فوضعها فى حجرى فسألت عنه فقيل لى انه عثمان بن عفان رضى الله عنه

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس﴾

على يد عبد الله بن حذافة أى لانه كان يتردد عليه كثيرا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن حذافة السهمى وقيل أخاه خنيسا وقيل أخاه خارجة وقيل شجاع بن وهب وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الى كسرى وبعث معه كتابا مختوما فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أى الذين هم أتباعك قال عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه ومزقه أى وفى رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن بحامل الكتاب أن يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليك كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث فطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق كسرى ملكه وكتب كسرى الى بعض أمرائه باليمن يقال له باذان انه بلغنى ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى برأسه يكتب الى هذا الكتاب أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى أى وفى رواية ان تكفينى رجلا خرج بارضك يدعونى الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه برجلين جلدين فأتيانى به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبى صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه وبعث معه رجلا آخر من الفرس وبعث معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألاه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتى بك وقد بعثنا اليك فان أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك وكانا على زى الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهما ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا بهذا ربنا يعنيان كسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أمرنى ربى باعفاء لحيتى وقص شاربى ثم قال لهما ارجعا حتى تأتيانى غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بان الله قد سلط على كسرى ابنه يقتله فى شهر كذا فى ليلة كذا فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى

انما كان أبعد الناس منه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له بواب راتب روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال
مر النبى صلى الله عليه وسلم بامرأة وهى تبكى عند قبر فقال لها اتقى الله واصبرى فقالت اليك عنى فانك خلو من مصيبتى وفى رواية فانك
لم تصب بمصيبتى وخاطبته بذلك ولم تعرفه صلى الله عليه وسلم فجاوزها ومضى فمر بها رجل وهو الفضل بن العباس رضى الله

عنهما فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته أى لانه صلى الله عليه وسلم من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء وأيضا فقد كانت هى فى غاية من الوجد والبكاء فقال الفضل للمرأة انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فى رواية فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذى أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا أى فكانها تعجبت لانها لما قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة فى نفسها فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول اليه فوجدت الامر بخلاف ما تصورته فقالت له صلى الله عليه وسلم معتذرة لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى وكونه صلى الله عليه وسلم ليس له بواب انما هو باعتبار أغلب الاحوال فلا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم لما جلس على بئر أريس كان أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه جالسا على باب الحائط كالبواب لا يدخل أحد عليه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذن له وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن فى شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة
اليه واذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوابا (وأما حياؤه) صلى الله عليه وسلم فحسبك ما فى البخارى من حديث أبى سعيد
الخدرى رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها واذا كره شيأ عرف فى وجهه وهو اشارة الى
أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك وأخرج البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان صلى

الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى يوم كذا من شهر كذا فلما أتى الكتاب باذان توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم فى تلك الرواية مجرد الوقت أى وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربى قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بان كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين والمؤمنين أو رهط من أمتى كنوز كسرى التى فى القصر الابيض فكنت أنا وأبى فيهم وأصابنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب ولد كسرى شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذى كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمرى فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفى رواية انه قيل له صلى الله عليه وسلم ان كسرى قد استخلف ابنته فقال لا يفلح قوم تملكهم امرأة

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشى ملك الحبشة﴾

على يد عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه الى النجاشى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة سلم أنت أى أنت سالم لان السلم يأتى بمعنى السلامة فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة أى العفيفة أى المنقطعة عن الرجال التى لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم البتول فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتوقن بالذى جاءنى فانى رسول الله وانى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج أى وهو عظام الفيل وجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم أى وفى كلام بعضهم وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى فكان أول رسول وكتب اليه كتابين يدعوه فى أحدهما الى الاسلام وفى الآخر يأمره أن يزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فأخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب اليه صلى الله عليه وسلم النجاشى أى جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أى وهذا من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا فى وجهه بشئ يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة فلما قام قال لاصحابه لو غير أو نزع هذه الصفة وفى رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وعلى حسب حياة القلب و يقظته ومعرفته لما يضره و ينفعه فى الدارين تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب أى من فقد صفاته المقتضية للكمال وكلما كان القلب حيا كان الحياء أتم ولذا كان تمام الحياء فى النبى صلى الله عليه وسلم اذ لا قلب أحيى من قلبه وفى الشرع الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ولذا جاء فى الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله واذا لم تستح فاصنع ما شئت والحياء أقسام كثيرة منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب بنت جحش رضى الله عنها لما تزوجها وطولوا المقام بعد الاكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا الا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فلم ياتهن ثم قاموا فأخبره أنس رضى الله عنه بقيامهم فجاء فدخل على زينب رضى الله عنها وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وان قدر المعبود أعلى وأجل فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومن حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحيا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيى باحداهما من الاخرى وهذا من أكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر وأحق والحياء لا يأتى

عليه وسلم من النجاشى أصحمة السلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته الذى لا اله الا هو زاد فى لفظ الذى هدانى للاسلام أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فورب السماء والارض ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعنى جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين رضى الله عنهم فأشهد انك رسول الله صلى الله عليك وسلم صادقا مصدقا وقد بايعتك و بايعت ابن عمك أى جعفر بن أبى طالب وأسلمت على يده لله رب العالمين وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وذكر ان عمرو بن أمية رضى الله عنه قال للنجاشى أى عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان على القول وعليك الاستماع انك كأنك فى الرقة علينا منا وكأنا فى الثقة بك منك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شئ قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم والانجيل بيننا و بينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفى ذلك موقع الخير واصابة الفصل والا فانت فى هذا النبى الامى صلى الله عليه وسلم كاليهود فى عيسى ابن مريم عليه السلام وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشى أشهد بالله انه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل وان العيان ليس بأشفى من الخبر زاد بعضهم ولكن أعوانى من الحبشة قليل فانظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب * أقول كذا فى الاصل وهو صريح فى أن هذا المكتوب اليه هو الذى هاجر اليه المسلمون سنة خمس من النبوة ونعاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم توفى وصلى عليه بالمدينة منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك فى السنة التاسعة والذى قاله غيره كابن حزم أن هذا النجاشى الذى كتب اليه صلى الله عليه وسلم الكتاب وبعث به عمرو بن أمية الضمرى لم يسلم وأنه غير النجاشى الذى صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم الذى آمن به وأكرم أصحابه وفى صحيح مسلم ما يوافق ذلك ففيه عن أنس رضى الله عنه أن النجاشى الذى كتب اليه ليس بالنجاشى الذى صلى عليه ويرد بأنه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم كتب للنجاشى الذى صلى عليه وللنجاشى الذى تولى بعده على يد عمرو بن أمية فلا مخالفة * ومن ثم قال فى النور والظاهر أن هذه الكتابة متأخرة عن الكتابة لاصحمة الرجل الصالح الذى آمن به صلى الله عليه وسلم وأكرم أصحابه هذا كلامه * وفيه أن رد الجواب على النبى صلى الله عليه وسلم بالكتاب المذكور ورده على عمرو بن أمية بقوله أشهد بالله انه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب الى آخره انما يناسب الاول الذى هو الرجل الصالح و يكون جواب الثانى لم يعلم وقد تقدم عن ابن حزم أنه لم يسلم وقال بعضهم انه الظاهر وحينئذ يكون الراوى خلط فوهم أن المكتوب اليه ثانيا هو المكتوب اليه أولا كما أشار اليه فى الهدى والله أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس ملك القبط﴾

وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بنى اسرائيل على يد حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه

بعث

لا بخير لان من استحيا أن يراه الناس يأتى بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لانه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله انما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة والحياء غريزى ومكتسب فالمكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون المكتسب غريزة وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها حتى روى انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد أى لا يديم نظره فيه ولا يتأمله (وأما خوفه) صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها وكان أتقى الناس وأشدهم خشية وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية وكان يصلى ويبكى وتسيل دموعه من غير صوت ويسمع لجوفه صوت خفى والمرجل القدر من النحاس وفى رواية أنين كأنين الرحا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخوفه صلى الله عليه وسلم كان خوف هيبة وتعظيم واجلال وهذا لا يكون الا مع كمال المعرفة والمحبة فهو تعظيم مقرون بالحب قال بعضهم الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العاملين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين فهو صلى الله عليه وسلم أكمل المحبين المقربين فكان خوفه خوف هيبة واجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الاشياء عيانا مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا (وأما شجاعته) صلى الله عليه وسلم فانه قد كان أشجع خلق الله وقد تواترت بذلك الاحاديث والاخبار فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه الى المقوقس أى فانه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب رضى الله عنه وقال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب رضى الله عنه فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلى وشددت على راحلتى وودعت أهلى وسرت زاد السهيلى وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل مع حاطب جبيرا مولى أبى رهم الغفارى فان جبيرا هو الذى جاء بمارية من عند المقوقس واعترض بأن هذا لا يلزمه أن يكون صلى الله عليه وسلم أرسل جبيرا مع حاطب للمقوقس لجواز أن يكون المقوقس أرسل جبيرا مع حاطب والمقوقس لقب وهو لغة المطول للبناء واسمه جريج بن مينا وبعث معه صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أى الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وختم الكتاب وجاء به حاطب رضى الله عنه حتى دخل على المقوقس بالاسكندرية أى بعد ان ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر أنه فى مجلس مشرف على البحر فركب حاطب رضى الله عنه سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جئ به نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال حاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو على من خالفه أى من قومه وأخرجوه من بلده الى غيرها أن يسلط عليهم فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب رضى الله عنه انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى يعنى فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ان هذا النبى صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبى أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكنا نأمرك به فقال انى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء بفتح الخاء المعجمة وهمز فى آخره أى الشئ الغائب المستور والاخبار بالنجوى أى يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وجعله فى حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له * ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك

لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت على
فرس عرى لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع من عدو بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم
فرسا من أبي طلحة يقال له المندوب فركبه عليه الصلاة والسلام فلما رجع قال ما رأينا من شيء أي يوجب الفزع وان
وجدناه أي الفرس لبحرا أي واسع الجري قال الراوي وكان فرسا يبطئ أي لا يسرع في مشيه وفي رواية ان أهل المدينة فزعوا مرة أي ليلا فركب صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي رواية فما سبق بعد ذلك ففي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم وذلك مأخوذ من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد أن كان بطيئا قال القاضي عياض وقد كان في أفراسه صلى الله عليه وسلم فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم قال الزرقاني وهذا أولى وروى الامام أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجدة الشجاعة والشدة وفي رواية ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت ولان
النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود وروى ابن اسحق
والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له ركانة وكان شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم
فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما أدعوك

وبهت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أي فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أي وهما مارية وسيرين بالسين المهملة مكسورة وبثياب أي وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر * قال بعضهم وبقيت تلك الثياب حتى كفن صلى الله عليه وسلم في بعضها وفي كلام هذا البعض وأرسل له صلى الله عليه وسلم عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه أي لانه سأل حاطبا رضي الله عنه فقال أي طعام أحب الى صاحبكم قال الدباء يعني القرع ثم قال له في أي شيء يشرب قال في قعب من خشب ثم قال وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم ولا يخفى أنه سيأتي أنه أهدى اليه صلى الله عليه وسلم زيادة على الجاريتين جارية أخرى اسمها قيسر وهي أخت مارية ولعله انما اقتصر على ذكر الجاريتين دون هذه الثالثة مع أنها أخت مارية لانها دونهما في الحسن * وذكر بعضهم أن سيرين أيضا أخت مارية فالثلاثة أخوات * وفي ينبوع الحياة لابن ظفر فاهدى اليه صلى الله عليه وسلم المقوقس جواري أربعا أي ويوافقه قول بعضهم وأرسل اليه صلى الله عليه وسلم جارية سوداء اسمها بريرة وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أهدى احدى الجاريتين لابي جهم بن قيس العبدي فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر وأخرى أهداها لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان كما تقدم في قصة الافك وأهدى اليه المقوقس زيادة على ذلك خصيا أي مجبوبا أي غلاما أسود يقال له مابور باثبات الراء وقيل بحذفها وقيل هابو أي بالهاء بدل الميم واسقاط الراء ابن عم مارية وكونه كان مجبوبا عند ارساله وكان المهدى له المقوقس هو المشهور وفي كلام بعضهم ان المهدى له جريج بن مينا القبطي الذي كان على مصر من قبل هرقل وانه لم يكن حال الارسال مجبوبا وانه قدم مع مارية فأسلم وحسن اسلامه وكان يدخل عليها وانه رضي من مكانه من دخوله على سرية النبي صلى الله عليه وسلم أن يجب نفسه فقطع ما بين رجليه حتى لم يبق منه شيء فليتأمل وسيأتي ما وقع له وأهدى اليه المقوقس زيادة على البغلة وهي الدلدل وكانت شهباء والدلدل في اللغة اسم للقنفذ العظيم وكانت أنثى ولا يستدل بلحوق التاء لها لانها للوحدة وفي كلام بعضهم أجمع أهل الحديث على ان بغلة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ذكرا لا أنثى وأول من استنتج البغال قارون قالوا والبغل أشبه بأمه منه بأبيه قيل ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وقد قال له سيدنا علي رضي الله عنه لو حملنا الحمر على الخيل لكان لنا مثل هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون قال ابن حبان أي الذين لا يعلمون النهي عنه وفيه ان الله امتن بها كالخيل والحمير ولا يقع الامتنان بالمكروه وحمارا أشهب يقال له يعفورا وعفير بالعين المهملة مضمومة وضبطه القاضي عياض بالمعجمة وغلط في ذلك مأخوذ من العفرة وهي لون التراب وفرسا وهو اللزاز فان المقوقس سأل حاطبا رضي الله عنه ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد ترك عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له صلى الله عليه وسلم فرسا من خيل مصر الموصوفة فاسرج
والجم

اليه فتؤمن بالله ورسوله فقال له ركانة يا محمد هل لك من شاهد يدل على صدقك فقال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم
يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة فقال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الاقالة
والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب قال الحافظ ابن حجر في الاصابة ركانة بن
عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي روى البلاذري انه قدم من سفر فأخبر خبر النبي صلى الله عليه وسلم أي دعواه النبوة وكان أشد الناس فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه فقال أشهد انك ساحر ثم أسلم بعد وأطعمه النبي صلى الله عليه وسلم خمسين وسقا وقيل لقيه في بعض جبال مكة فقال يا ابن أخي بلغني عنك شيء فان صرعتني علمت انك صادق فصارعه فصرعه وأسلم ركانة في فتح مكة وقيل عقب مصارعته ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل عاش الى سنة احدى وأربعين وجاء في بعض روايات هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعددت فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد ولكل منهما صحبة رضي الله عنهما وروى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء يزيد بن ركانة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة من الغنم فقال يا محمد هل لك ان تصارعني قال وما تجعل لي ان صرعتك قال مائة من الغنم فصارعه فصرعه ثم قال هل لك في العود قال وما تجعل لي قال مائة أخرى فصارعه فصرعه وذكر
الثالثة فقال يا محمد ما وضع جنبي في الارض أحد قبلك وما كان أحد أبغض الي منك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام
عنه ورد عليه غنمه فاتضح بهذا أنه صلى الله عليه وسلم صارع ركانة وابنه جميعا وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمحي
كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت

وألجم وهو فرسه صلى الله عليه وسلم الميمون وأهدى له صلى الله عليه وسلم عسلا من عسل بنها بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر وأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها بالبركة لانه حين أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة * وأهدى اليه مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والمسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا أي فان المقوقس سأل حاطبا عن النبي صلى الله عليه وسلم هل يكتحل فقال له نعم وينظر في المرآة ويرجل شعره ولا يفارق خمسا في سفر كان أو في حضر وهي المرآة والمكحلة والمشط والمدرى والمسواك والمدرى شيء كالمسلة يفرق به بين شعر الرأس ويحك به لان حكه بالاصبع يشوش الشعر ويلوى بها قرون شعر الرأس وعن عائشة رضي الله عنها سبع لم تفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر القارورة التي يكون فيها الدهن والمشط والمكحلة والمقراض أي المقص والمسواك والمرآة زاد بعضهم والابرة والخيط ولعل عدم ذكر ذلك في الكتاب أنه لم يره شيأ ينبغي ذكره أي وقد قال بعضهم ان المقوقس أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع واعترض كون الحمار الذي أرسله المقوقس يسمى يعفورا بأن الحمار الذي يسمى يعفورا أهداه له فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر وأهدى اليه أيضا بغلة شهباء يقال لها فضة وفرسا يقال له الظرب كما تقدم ثم رأيت بعضهم سمى الحمار الذي أهداه عامل قيصر عفيرا أيضا وعليه فتسمية حمار المقوقس عفيرا أيضا كما في الاصل ان الحمار الذي أهداه المقوقس يقال له يعفورا وعفير من خلط بعض الرواة فلا منافاة وفي هذا قبول هدية المشركين وقد تقدم رده صلى الله عليه وسلم لهداياهم وقال لا أقبل زبد المشركين ومما يشكل عليه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية اهدى صلى الله عليه وسلم لابي سفيان عجوة واستهداه أدما فأهداه اليه أبو سفيان وهو على شركه وذكر ان المقوقس قال لحاطب رضي الله عنه القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك وأنا أضن أي أبخل بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده أي وكان كذلك فان المسلمين فتحوا مصر سنة ست عشرة ونزلها الصحابة فارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب رضي الله عنه فرحلت من عنده أي وبعث معه جيشا الى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة قال حاطب وذكرت قوله للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ومن ثم ذكر بعضهم ان هرقل لما علم ميل المقوقس الى الاسلام عزله ويخالفه قول بعضهم وبعث أبو بكر رضي الله عنه حاطبا هذا الى المقوقس بمصر فصالح القبط الا أن يقال يجوز أن يكون المقوقس عاد لولايته بعد عزله * وذكر بعضهم أن باني الاسكندرية لما أراد بناءها قال أبني مدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس فدامت وبنى أخوه مدينة قال عند ارادة بنائها أبني مدينة فقيرة الى الناس غنية عن الله فسلط الله عليها الخراب في أسرع وقت ولما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر وقف على بعض ما بقي من آثار تلك المدينة فسأل عن ذلك فأخبر بهذا الخبر

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوى العبدى بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمى﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية أى وهذا جواب كتاب أرسله المنذر جوابا لكتاب أرسله له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يدعوه الى الاسلام فأسلم وحسن اسلامه (أقول) ولم أقف على ذلك الكتاب ولا على حامله والظاهر أنه العلاء المذكور فقد ذكر السهيلى رحمه الله أن العلاء قدم على المنذر بن ساوى فقال له يا منذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ينكح فيها ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكره من أكله وتعبدون فى الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأتمنه ولمن لا يخلف أن لا نثق به فان كان هذا هكذا فهذا هو النبى الامى الذى والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به فقال المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ورأيت فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام من جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر والله أعلم * ومن جملة كتاب المنذر أى الذى هذا الكتاب جوابه أما بعد يا رسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فاحدث لى فى ذلك أمرك وذكر ابن قانع أن المنذر المذكور وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال أبو الربيع ولا يصح ذلك

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان﴾

أى بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة من بلاد اليمن على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل أى تنزل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب * قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت الى عمان فعمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله

قدميه فيشقرى الجلد أى يتقطع ولم يتزحزح عنه فدعا أبو الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن به وقد حضر صلى الله عليه وسلم المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفر الكماة والابطال عنه وهو ثابت ٢٧٨ لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة الا النبى صلى الله عليه وسلم روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا وفى رواية انهزموا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام وفرت الاعراب ومن تعلم من الناس ولقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وهذا فى غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه فى مثل هذا اليوم فى حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة فركوبها دليل على النهاية فى الشجاعة والثبات وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وكل ذلك مبالغة فى الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وروى مسلم من حديث البراء أيضا رضى الله عنه قال كنا اذا احمر البأس أى اشتد اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذى يحاذى به ومعنى قوله اتقينا به جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وروى الامام أحمد والنسائى عن على رضى الله عنه كنا اذا حمى البأس وفى رواية اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان

عليه

عليه وسلم اليك والى أخيك فقال أخى المقدم على بالسن والملك وانا أوصلك به حتى يقرأ كتابك ثم قال وما تدعو اليه قلت ادعوك الى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعنى العاص بن وائل فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت له لو كان آمن وصدق به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هدانى الله للاسلام قال فمتى اتبعته قلت قريبا فسألنى أين كان اسلامى فقلت عند النجاشى وأخبرته ان النجاشى قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة أى رؤساء النصرانية والرهبان قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة فى رجل أفضح له أى أكثر فضيحة من كذب قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال ما أرى هرقل علم باسلام النجاشى قلت له بلى قال بأى شئ علمت ذلك يا عمرو قلت كان النجاشى رضى الله عنه يخرج له خراجا فلما أسلم النجاشى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألنى درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أى تابعا قلت انه ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات فى الاموال أى ولما ذكرت المواشى قال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما أرى قومى فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا * قال عمرو فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبرى ثم انه دعانى فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعى أى عضدى قال دعوه فأرسلت فذهبت لاجلس فأبوا أن يدعونى أجلس فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه كتابا مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه ثم قال ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب فى الدين واما راهب مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا فى ضلال مبين فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الحرجة وأنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك أى جماعتك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لى فرجعت الى أخيه فأخبرته انى لم أصل اليه فاوصلنى اليه فقال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت أى وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وأنا خارج غدا

من أشد الناس يومئذ بأسا وروى أبو الشيخ فى الاخلاق عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما قال ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب أى يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس كما يومى اليه قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم مع ما ورد ٢٧٩ من اعطائه قوة أربعين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية (وأما كرمه) صلى الله عليه وسلم فكان لا يوازى ولا يبارى فيه وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر وقد روى البخارى وغيره عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس أى وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق لا بد أن يكون فعله أحسن الافعال فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يدا وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر أى وذلك آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى أعطاه الغنم بين الجبلين قيل هو صفوان بن أمية وقيل غيره وروى مسلم والترمذى عن صفوان بن أمية الجمحى رضى الله عنه قال لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطانى وانه لابغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه لاحب الناس الى قال ابن شهاب الزهرى أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وجاء انه طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم وكان على دين قومه اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال

هو لك بما فيه فقال صفوان أشهد أنك رسول الله ماطابت بهذا نفس أحد قط الانفس نبي ثم أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وعاش الى سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وقيل توفى أيام قتل عثمان رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين والحكمة فى كون اعطائه لم يكن دفعة واحدة بل تدريجا ان هذا العطاء دواء لدائه والحكيم لا يعطى الدواء دفعة واحدة بل تدريجا لانه أقرب الى الشفاء

فلما أيقن بخروجي خلا به أخوه فاصبح وأرسل الى فاجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لى عونا على من خالفنى

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة﴾

بالذال المعجمة وقيل بالدال المهملة قال فى النور ولا أظنه الا سبق قلم صاحب اليمامة أى وزاد بعضهم والى ثمامة بن أثال الحنفيين ملكى اليمامة وفيه نظر لان ثمامة رضى الله عنه كان مسلما حينئذ على يد سليط بفتح السين المهملة ابن عمرو العامرى أى لانه كان يختلف الى اليمامة و بعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر أى حيث تقطع الابل والخيل فاسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا دون رد فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل الى بعض الامر أتبعك وأجاز سليطا رضى الله عنه بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألنى سيابة أى بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة من تحت وموحدة مفتوحة أى قطعة من الارض مافعلت باد وباد ما فى يديه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام فأخبره بان هوذة قد مات فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى أى فقال قائل يارسول الله من يقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأصحابك فكان كذلك (أقول) هذا يدل على ان القائل له صلى الله عليه وسلم ذلك هو خالد ابن الوليد رضى الله عنه فان أبا بكر رضى الله عنه وجهه أميرا على الجيش الذى أرسله لمقاتلة مسيلمة لعنه الله وتقدم الخلاف فى قاتله والمشهور أنه وحشى قاتل حمزة رضى الله عنهما وكان سن هوذة مائة وخمسين سنة ويذكر أن هوذة هذا كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما قال فقال له لم لا تجيبه قال أنا ملك قومى ولئن اتبعته لم أملك فقال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك فى اتباعه وانه النبى العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وانه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله الحديث أى وذكر السهيلى رحمه الله تعالى ان سليطا قال له ياهوذة انه سودتك أعظم حائلة أى باليه وأرواح فى النار يعنى كسرى لانه الذى كان توجه وانما السيد من متع بالايمان ثم تزود بالتقوى وان قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به وأنا آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهى عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت مارجوت وأمنت ماخفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهو المطلع فقال هوذة ياسليط سودنى من لو سودك تشرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فاجعل لى فسحة ليرجع الى رأيى فأجيبك به ان شاء الله تعالى

وقد علم صلى الله عليه وسلم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم رضى الله عنه وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته ورأفته اذ عامله بكمال الاحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة رواه الترمذى وروى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن الاجود الله الاجود وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدى رجل تعلم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاهد فى سبيل الله حتى يقتل فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بنى آدم على الاطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله فى اظهار دينه وهدايته عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم قال فى المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال فى وصف كرمه صلى الله عليه وسلم

هذا الذى لا يتقى فقرا اذا * أعطى ولو كثر الانام وداموا
وأدمن الانعام أعطى آملا * فتحيرت لعطائه الاوهام

(وقال ابن جابر أيضا فى وصفه صلى الله عليه وسلم)

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجهه أجمل بدر ومن يده * بحر ومن فمه در لمنتظم

ذكر

يم نيله اتبارى الريح أنمله * والمزن من كل هامى الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده * لم تلق أعظم بحر منه ان تعم
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ * به ودع كل طامى الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وروت قلب كل ظمى

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السحائب من غمم يمينه وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حمل

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن أبى شمر الغسانى﴾

أى وكان بدمشق أى بغوطتها أى وهو محل معروف كثير المياه والشجر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الى الحرث بن أبى شمر الغسانى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق وانى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب * قال شجاع رضى الله تعالى عنه فخرجت حتى انتهيت الى بابه فأقمت يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وجعل حاجبه يسألنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء و يقول انى قرأت فى الانجيل وأجد صفة هذا النبى بعينه فكنت أراه أى أظنه يخرج بالشأم فأراه قد خرج بأرض القرظ أى وهو ورق أو ثمر السلم فأنا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحرث بن أبى شمر أن يقتلنى فكان هذا الحاجب يكرمنى ويحسن ضيافتى ويخبرنى عن الحرث باليأس منه و يقول هو يخاف قيصر فخرج الحرث يوما وجلس وعلى رأسه التاج وأذن لى عليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ثم رمى به ثم قال من ينزع منى ملكى أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته على بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيل ان تنعل ثم قال لى اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره الخبر وصادف ان كان عنده قيصر دحية الكلبى رضى الله عنه بعثه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب اليه أن لا تسر اليه واله عنه أى لا تذكره واشتغل بايلياء أى بيت المقدس ومعنى ايلياء بالعبرانية بيت الله والمراد باشتغاله بذلك أن يهيئ لقيصر الانزال ببيت المقدس فانه نذر المشى من حمص وقيل من قسطنطونية الى بيت المقدس ماشيا شكرا لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس وأظهر الله تعالى الروم على فارس ففرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين وهو يمشى عليها حتى بلغ بيت المقدس فجاءه كتاب قيصر أى الذى فيه انه يلهو عنه ولا يذكره وأنا مقيم فدعانى وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لى بمائة مثقال ذهبا ووصلنى حاجبه بنفقة وكسوة وقال لى ذلك الحاجب اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام واخبره أنى متبع دينه قال شجاع فقدمت على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من الحرث قال باد أى هلك ملكه وأقرأته السلام من الحاجب وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * وفى كلام بعضهم و بعض أهل السير ان الحرث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامى فيقتلنى قيصر * وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال ان شجاع بن وهب أرسل الى الحرث والى جبلة بن الايهم وأن شجاعا قال له ياجبلة ان قومك نقلوا هذا النبى من داره الى دارهم يعنى الانصار فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشأم وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشأم وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع

اليه تسعون ألف درهم قال بعضهم هى التى جاءته من البحرين وقيل غيرها فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وروى الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيه فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على أى اشتر واحسب على الشراء وفى رواية ما عندى شئ أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شئ فنعطيك وفى رواية فاذا جاءنا شئ قضيناه. فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر أى ما ليس حاصلا عندك فكره النبى صلى الله عليه وسلم قول عمر رضى الله عنه لما فيه من حرمان السائل فقال رجل من الانصار حين رأى كراهة النبى صلى الله عليه وسلم للمنع يارسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا أمرت وقيل ان القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر هو بلال رضى الله عنه ولعل القصة تعددت واما قال عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه والانصارى راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة

الى أنه أمر خاص به و بمن يمشى على قدمه وذكر ابن فارس أنه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة يوم حنين فانشدت شعرا تذكر فيه أيام رضاعه فى هوازن فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان ذلك عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله فى الوجود وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه

انه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من خراج البحرين فقال انثروه يعنى صبوه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم أى من
الدراهم أو الخراج فلا ينافى انه غنم فى حنين ماهو أكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم سبيهم قال أنس رضى الله عنه فخرج صلى الله
عليه وسلم الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أى عنده فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس

بالشعانين وكان ماعند الله خير وأبقى قال جبلة انى والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبى
اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرنى اجتماع قومى له وقد دعانى قيصر الى
قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكنى لست أرى حقا ولا باطلا واستأطر * وفى كلام بعضهم
أنه أسلم ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل الهدية وكان
ثابتا على اسلامه الى زمن عمر رضى الله عنه فانه حج فى خلافته * أى وفى كلام بعضهم لما أسلم جبلة
ابن الايهم فى أيام عمر رضى الله عنه كتب اليه يخبره باسلامه ويستأذنه فى القدوم عليه فسر عمر
بذلك وأذن له فخرج فى خمسمائة من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه
فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الذهب والفضة وألبسهم الديباج وسرق الحرير ووضع تاجه
على رأسه فلم تبق بكر ولا عانس الا خرجت تنظر اليه والى بهو زينته فلما دخل على عمر رضى
الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام بالمدينة مكرما فخرج عمر رضى الله عنه حاجا فخرج معه
وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فانحل فلطم الفزارى لطمة هشم بها أنفه
وكسر ثناياه أى وقال فقأ عينه فشكى الفزارى ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فاستدعاه
وقال له هشمت أنفه أو قال فقأت عينه فقال نعم يا أمير المؤمنين تعمد حل ازارى ولولا حرمة
البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر أما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك
وفى رواية وحكم اما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة فتصنع بى ماذا قال مثل ما صنعت به وفى
رواية أتقتص له منى سواء وأنا ملك وهذا سوقة فقال له عمر رضى الله عنه الاسلام سوى بينكما
ولا فضل لك عليه الا بالتقوى فقال ان كنت أنا وهذا الرجل سواء فى الدين فأنا أتنصر فانى كنت
أظن بأمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية فقال له عمر رضى الله عنه اذا
أضرب عنقك فقال فأمهلنى الليلة حتى أنظر فى أمرى قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته
يا أمير المؤمنين فأذن له عمر رضى الله عنه فى الانصراف ثم ركب فى بنى عمه وهرب الى
القسطنطينية الى هرقل وتنصر هناك ومات على ذلك وقيل عاد الى الاسلام
ومات مسلما * وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنى عشر شبرا وكانت تمسح الارض برجليه وهو
راكب فسر هرقل بوروده وأعطاه ملكه وجعله من سماره وبنى له مدينة تدعى
طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه يقال ان أقبر ابراهيم بن أدهم وقيل المحاكمة كانت
عند أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أى فقد ذكر بعضهم أن جبلة لم يزل مسلما حتى كان فى
زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبينما هو فى سوق دمشق اذ وطئ رجلا من مزينة فوثب
المزنى فلطم جبلة فأخذ له مع جماعة من قومه الى أبى عبيدة بن الجراح فقالوا هذا لطم جبلة
قال فليلطمه قالوا وما يقتل قال لا قالوا فما تقطع يده قال لا انما أمر الله بالقود قال جبلة
ذلك أترون أنى جاعل وجهى ندا لوجه جاء من عمق بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه
حتى دخل أرض الروم على هرقل

حجة الوداع

ويقال لها حجة البلاغ وحجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولانه

عمه صلى الله عليه وسلم فقال
يارسول الله أعطنى فانى فاديت
نفسى يوم بدر وفاديت عقيلا فقال
له خذ فحثى فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم
يستطع فقال يارسول الله مر
بعضهم يرفعه على فقال لا قال
فارفعه أنت على فقال لا وانما فعل
ذلك تنبيها له على الاقتصاد وترك
الاستكثار من المال فنثر العباس
رضى الله عنه منه ثم ذهب يقله
فلم يستطع فقال يارسول الله مر
بعضهم يرفعه على قال لا قال
فارفعه أنت على قال لا فنثر منه
ثم احتمله فألقاه على كاهله قال
ابن كثير كان العباس رضى الله عنه
شديدا طويلا نبيلا فاحتمل شيأ
يقارب أربعين ألفا وانطلق وهو
يقول انما أخذت ماوعد الله فقد
أنجز يشير الى قوله تعالى ان يعلم
الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا
مما أخذ منكم قال أنس رضى الله
عنه فما قام صلى الله عليه وسلم
من ذلك المجلس وثم أى هناك منها
درهم واشترى صلى الله عليه
وسلم من جابر رضى الله عنه جملا
ثم أعطاه ثمنه وزاده عليه ثم قال له
اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك
فيهما وقد كان جوده صلى الله عليه
وسلم كله لله فى ابتغاء مرضاته
فتارة كان يبذل المال لفقير
أو محتاج وتارة ينفقه فى سبيل
الله وتارة يتألف به على الاسلام
من يقوى الاسلام باسلامهم
وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى ما بيده للمحتاجين ويتحمل المشقة هو وعياله فيأتى عليه الشهر والشهران
لا توقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع حتى ان ابنته فاطمة رضى الله عنها جاءته تشكو ماتلقى من الرحى
وخدمة البيت وكانت سمعت بسبى جاءه فطلبت منه خادما فقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وأمرها

ذكر

ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد فمنع أحب أهله شفقة على الفقراء وهذه القصة رواها الامام أحمد وغيره عن على رضى الله
عنه أنه قال لفاطمة رضى الله عنها لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد
طحنت حتى مجلت يداى بفتح الجيم وكسرها أى نفطت من كثرة الطحن فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر لهم مايحل ومايحرم وقال لهم هل بلغت ولانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها قيل
لاخراج الكفار الحج عن وقته لان أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج فى كل عام أحد عشر
يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
فى هذه الحجة ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فان هذه الحجة كانت
فى السنة التى عاد فيها الحج الى وقته وكانت سنة عشر * قال الجمهور فرض الحج كان سنة ست
من الهجرة أى وصححه الرافعى فى باب السير وتبعه النووى وقيل فرض سنة تسع وقيل سنة عشر
انتهى وبه قال أبو حنيفة ومن ثم قال انه على الفور وقيل فرض قبل الهجرة واستغرب خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد الحج وأعلم الناس بذلك ولم يحج منذ هاجر الى المدينة غير هذه الحجة قال
وأما بعد النبوة قبل الهجرة فحج ثلاث حجات أى وقيل حجتين أى وهما اللتان بايع فيهما الانصار
عند العقبة وفى كلام ابن الاثير كان صلى الله عليه وسلم يحج كل سنة قبل ان يهاجر وفى كلام ابن
الجوزى حج صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها حججا لا يعلم عددها أى وكان صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة يقف بعرفات ويفيض منها الى مزدلفة مخالفا قريش توفيقا له من
الله فانهم كانوا لا يخرجون من الحرم فانهم قالوا نحن بنو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل
الحرم وولاة البيت وعاكفوا مكة فليس لاحد من العرب منزلتنا فلا تعظموا شيأ من الحل
أى كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم وقالوا قد عظموا من الحل
مثل ما عظموا من الحرم فليس لنا أن نخرج من الحرم نحن الحمس فتركوا الوقوف بعرفة
والافاضة منه الى المزدلفة ويرون ذلك لسائر العرب قال بعض الصحابة لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى وانه واقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين
قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا له من الله عز وجل * وعند خروجه صلى الله عليه وسلم للحج
أصاب الناس بالمدينة جدرى بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما أو حصبة منعت كثيرا من الناس
من الحج معه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى قيل كانوا
أربعين ألفا وقيل كانوا سبعين ألفا وقيل كانوا تسعين ألفا وقيل كانوا مائة ألف وأربعة عشر
ألفا وقيل وعشرين ألفا وقيل كانوا أكثر من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم أى عند
ذهابه عمرة فى رمضان تعدل حجة أو قال حجة معى أى قال ذلك تطييبا للخواطر من تخلف وصوب
بعضهم أن هذا انما قاله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه أى الى المدينة قاله لام سنان الانصارية
لما قال لها ما منعك أن تكونى حججت معنا وقالت لنا ناضحان حج أبو فلان تعنى زوجها وولدها على
أحدهما وكان الآخر نسقى عليه أرضا لنا وقال ذلك أيضا لغيرها من النسوة قاله لام سليم ولام
طلق ولام الهيثم ولا مانع أن يكون قال ذلك مرتين مرة عند ذهابه لما ذكر ومرة عند رجوعه
لمن ذكر * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة أى وقيل
يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة ورجحه بعضهم وأطال فى الاستدلال له وذلك سنة عشر
نهارا بعد أن ترجل وادهن وبعد أن صلى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم بذى الحليفة
ركعتين وطاف تلك الليلة على نسائه أى فانهن كن معه صلى الله عليه وسلم فى الهوادج وكن تسعة

فقال ما جاء بك أى بنية قالت جئت
لاسلم عليك واستحييت ان تسأله
ورجعت فقال مافعلت قالت
استحييت ان أسأله فأتيا جميعا
النبى صلى الله عليه وسلم فقال
على يارسول الله لقد سنوت حتى
اشتكيت صدرى وقالت فاطمة
لقد طحنت حتى مجلت يداى
وقد جاء الله بسبى وسعة فأخدمنا
فقال والله لا أعطيكم وأدع أهل
الصفة تطوى بطونهم من الجوع
لا أجد ما أنفق عليهم ولكن
أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم
فرجعا فأتاهما النبى صلى الله عليه
وسلم وقد دخلا فى قطيفتهما
اذا غطت رؤسهما كشفت
أقدامهما واذا غطت أقدامهما
كشفت رؤسهما فثارا فقال
مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير
مما سألتمانى قالا بلى قال كلمات
علمنيهن جبريل عليه السلام
تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا
وتحمدان عشرا وتكبران عشرا
فاذا أويتما الى فراشكما فسبحا
ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا
وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين
والحديث فى البخارى ومسلم عن
على رضى الله عنه وفى شرح
الزرقانى على المواهب ان من
واظب على هذا الذكر عند النوم
لم يصبه اعياء لان فاطمة رضى
الله عنها اشتكت التعب من العمل
فأحالها عليه وفى الصحيحين عن
على رضى الله عنه انه ماتركت هذا الذكر منذ سمعته قيل له ولا يوم صفين قال ولا يوم صفين * ومن كرمه صلى الله عليه وسلم مارواه
البخارى ان امرأة أتته صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت يارسول الله أكسوك هذه قال نعم فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم
محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يارسول الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقال صلى الله عليه وسلم نعم فجلس

ماشاء الله في المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها
محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيأ فيمنعه وفي رواية لا يرد سائلا فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه
وسلم لعلي أكفن فيها وفي رواية فقال 284 الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنه فكانت كفنه وروى
الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم
أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل
أن يفرغ منها والرجل الذي سألها
فكانت كفنه هو عبد الرحمن
ابن عوف أو سعد بن أبي وقاص
كما قيل بكل ويحتمل تعدد القصة
لكن استبعده بعضهم واستنبط
السادة الصوفية من هذه القصة
جواز استدعاء المريد خرقة
التصوف من المشايخ تبركا بهم
وبلباسهم كما استدلوا لالباس
الشيخ المريد بحديث انه صلى الله
عليه وسلم لبس أم خالد بنت سعيد
ابن العاص رضي الله عنهما
خميصة سوداء ذات علم رواه
البخاري قال في الشفاء وهذه
الخصال الممدوحة كانت حاله
صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث
أي لان هذه الفضائل والشمائل
طبعت في أصل فطرته ومادة
خلقته قبل بعثته بل قبل حصول
ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين
الروح والجسد وقد قالت له خديجة
رضي الله عنها وكذا ورقة بن نوفل
وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها
انك لتحمل الكل وتكسب المعدوم
* وروى الترمذي عن معوذ بن
عفراء قال أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بقناع من رطب يعني
بقوله قناع طبقا وأجر زغب أي
قثاء صغار فأعطاني ملء كفه حليا
وذهبا وفي مسند الامام أحمد عن
ابنة الربيع بالتصغير قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر زغب من قثاء وكان صلى الله عليه وسلم على
يحب القثاء فأعطاني ملء كفيه حليا أو ذهبا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ
لغد أي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله

ثم اغتسل ثم صلى الصبح أي والظهر ثم طيبته عائشة رضي الله عنها بذريرة هي نوع من الطيب مجموع من اخلاط الطيب وبطيب فيه مسك ثم أحرم صلى الله عليه وسلم أي وذلك بعد أن اغتسل ٥ لاحرامه غير غسله الاول وتجرد في ازاره وردائه أي فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم أحرم في رداء وازار ولم يغسل الطيب بل كان يرى وبيص المسك في مفارقه ولحيته الشريفة أي فانه صلى الله عليه وسلم لبد شعر رأسه بما يلزق بعضه ببعض فلا يتشعث وعن عائشة رضي الله عنها طيبته صلى الله عليه وسلم لحرمه وحله وعنها رضي الله تعالى عنها قالت كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت رواه الشيخان وعنها قالت كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا وبه رد على ابن عمر رضي الله عنهما قوله لان أصبح مطليا بقطران أحب الي من أن أصبح محرما أنضح طيبا ويؤيد ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما ما تقدم في الحديبية من أمره صلى الله عليه وسلم من تطيب قبل احرامه بغسل الطيب وتقدم ما فيه أي وصلى كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ركعتين أي قبل أن يحرم وبه يرد قول ابن القيم رحمه الله تعالى لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر ٥ وأهل حيث انبعثت به راحلته أي وهي القصواء ٥ أي وهو يرد ما روى عن ابن سعد رحمه الله تعالى حج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة الى مكة قد ربطوا أوساطهم ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى انه حديث منكر ضعيف الاسناد وانما كان صلى الله عليه وسلم راكبا وبعض أصحابه مشاة * ولم يعتمر صلى الله عليه وسلم في عمره ماشيا وأحواله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن تخفى على الناس بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله وكان على راحلته صلى الله عليه وسلم رحل رث يساوي أربعة دراهم وفي رواية حج صلى الله عليه وسلم على رحل وقطيفة تساوي أو لا تساوي أربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة وذلك عند مسجد ذي الحليفة وأحرم بالحج والعمرة معا فكان قارنا قال وقيل أحرم بالحج فقط فكان مفردا وقيل بالعمرة فقط أي ثم أحرم بالحج بعد فراغه من أعمال العمرة فكان متمتعا أخذا من قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم أحرم متمتعا وقيل أطلق احرامه * وفي كلام السهيلي رحمه الله واختلفت الروايات في احرامه صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح الا من قال كان متمتعا وأراد أنه أهل بعمرة * قال الامام النووي طريق الجمع أي بين من يقول انه أحرم قارنا ومن يقول انه احرم مفردا ومن يقول انه أحرم متمتعا انه أحرم أولا مفردا أي بالحج ثم أدخل العمرة أي وذلك أي دخول الاضعف وهي العمرة على الاقوى الذي هو الحج من خصائصه صلى الله عليه وسلم فصار قارنا * ويدل لذلك حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم أهل بالحج فلما كان بالعقيق أتاه آت من ربه فقال له صل بهذا الوادي المبارك وقل لبيك بحجة وعمرة معا فصار قارنا بعد أن كان مفردا * فمن روى القران اعتمد آخر الامر أي ومنه قول سيدنا أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا * ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق بالقران انتهى أي بالقران المذكور الذي هو ادخال العمرة على الحج لانه يكتفي فيه الاقتصار

أي تسكينا لقلوبهم وهذا وقع في بعض السنين دون بعض وفي الشفاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم يسأله أي شيأ من العطاء فاستلف له نصف وسق فلما جاء الرجل أي رب الدين يتقاضاه أي يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بوفاء الثمن
أعطاه وسقا بكماله وقال نصفه قضاء ونصفه نائل أي عطاء قال الشيخ أبو علي الدقاق 285 الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق
لا يكون الا للنبي صلى الله عليه وسلم
فان كل واحد في القيامة يقول نفسي
نفسي وهو صلى الله عليه وسلم يقول
أمتي أمتي * وأما أمانته صلى الله
عليه وسلم وعدله وعفته وصدق
لهجته * فقد كان صلى الله عليه
عليه وسلم أعظم الناس أمانة
وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم
لهجة ولقد اعترف له بذلك أعداؤه
وكان يسمى قبل النبوة الامين
روى الامام أحمد والحاكم
والطبراني انه حين اختلفت
أكابر قريش عند بناء الكعبة
فيمن يضع الحجر الاسود حكموا أن
يكون الواضع أول داخل عليهم
فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا
محمد الامين قد رضينا به ففرش
صلى الله عليه وسلم رداءه المبارك
ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس
أن يأخذ بطرف منه وهو آخذ
من تحته ثم أخذه فوضعه في
موضعه وكانوا قبل بعثته صلى
الله عليه وسلم يتحاكمون اليه في
كثير من قضاياهم وقال صلى الله
عليه وسلم والله اني لامين في السماء
أمين في الارض وروى الترمذي
عن علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ورضي عنه ان أبا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا
لا نكذبك أي لا ننسبك الى
الكذب لثبوت صدقك ولكن
نكذب بما جئت به فأنزل الله
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وفي رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وروى البيهقي والطبراني وغيرهما أن
الاخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا
اخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط زاد في رواية ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء

على عمل واحد في النسكين أي فلا يأتي بطوافين ولا بسعيين أي وليس مراد التمتع الحقيقي بان أحرم بعمرة فقط ثم بعد فراغه من أعمالها أحرم بالحج كما هو حقيقة التمتع ومن ثم قال بعضهم أكثر السلف يطلقون المتعة على القران * ومن روى الافراد اعتمد أول الامر ومنه قول ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن ذلك لبى بالحج وحده أو أن ابن عمر سمعه يقول لبيك بحج ولم يسمع قوله وعمرة فلم يحك الا ما سمع وأنس رضي الله عنه سمع ذلك أي سمع الحج والعمرة أي فان ابن عمر رضي الله عنه قيل له عن أنس بن مالك انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة فقال ابن عمر لبى بالحج وحده فقيل لانس عن ابن عمر ذلك فقال أنس رضي الله عنه ما يعدونا الا صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك لبيك عمرة وحجا أي يصرح بهما جميعا وقال اني لرديف لابي طلحة وان ركبتي لتمس ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بالحج والعمرة وذلك مثبت لما قاله ابن عمر وزائد عليه فليس مناقضا له أي ودليل من قال انه أحرم مطلقا ما رواه امامنا الشافعي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم خرج هو وأصحابه رضي الله عنهم مهلين أي محرمين احراما مطلقا ينتظرون القضاء أي نزول الوحي لتعيين ما يصرفون احرامهم المطلق اليه أي بافراد أو تمتع أو قران أي فجاءه صلى الله عليه وسلم الوحي ان يأمر من لا هدي معه أن يجعل احرامه عمرة فيكون متمتعا ومن معه هدي أن يجعله حجا فيكون مفردا لان من معه هدي أفضل ممن لا هدي معه والحج أفضل من العمرة * ويدل لكون الصحابة أطلقوا احرامهم ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها خرجنا لا نذكر حجا ولا عمرة لكن أجيب عن ذلك بانهم لا يذكرون ذلك مع التلبية وان كانوا سموه حال الاحرام * هذا وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل فلينظر الجمع بين هذا وما قبله * وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم من لم يكن معه هدي وأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدي فلا أي فلا يجعلها عمرة بل يجعل احرامه حجا ولم يذكر القران * وجاء في بعض الطرق انه أمر من كان معه هدي أن يحرم بالحج والعمرة معا * وفي بعض الروايات خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لا يسمي حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم أهل بالحج ولم يكن معه هدي أن يجعله عمرة * وفي الهدى الصواب أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج والعمرة معا من حين أنشأ الاحرام فهو قارن ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا كما دلت عليه النصوص المستفيضة التي تواترت تواترا يعلمه أهل الحديث * وما ورد أنه صلى الله عليه وسلم طاف طوافين وسعى سعيين لم يصح * قال وغلط من قال لبى بالحج وحده ثم أدخل عليه العمرة أي الذي تقدم في الجمع بين الروايات عن النووي رحمه الله * ومن قال لبى بالعمرة ثم أدخل عليها الحج أي وهذا لم يتقدم * ومن قال أحرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه أي وهو ما تقدم عن امامنا الشافعي رضي الله عنه * ومن قال أفرد الحج أراد به أنه أتى باعمال الحج ولم يفرد للعمرة اعمالا وهذا محمل ما في بعض الروايات وأفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ولم يعتمر على

والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فهذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق والاخنس بن شريق اختلف فيه فقيل له اسلام وصحبة وقيل قتل كافرا يوم بدر وقيل الذي قتل كافرا شريق لا الاخنس وجاء ان هرقل لما سأل أبا سفيان رضي الله عنه فقال له هل كنتم تتهمونه بالكذب قال لا وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النضر بن الحرث العبدري قال لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم أي أكثركم أفم الامرضية وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ما هو بساحر وسبب قوله ذلك ان أبا جهل أراد أن يرضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وهو يصلي تحت الكعبة فتمثل له جبريل في صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحرث قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الى آخر ما تقدم زاد في رواية وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ما هو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقد قلتم شاعر والله ما هو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا في شأنكم والله قد نزل بكم أمر عظيم وهذا غاية منه في الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول في القرآن أساطير الاولين فأخذ أسيرا يوم بدر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة وأما النضير بالتصغير فهو أخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الابل فاحذر أن يتصحف ويلتبس عليك ومن أمانته صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مست يده صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط لا يملك رقها أي لا يملكها

ان بعض الحفاظ قال انه حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة * ثم لبى صلى الله عليه وسلم أي بعد ان استقبل القبلة فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك * وروى انه زاد على ذلك لبيك اله الخلق لبيك * أي وروى انه زاد لبيك حقا تعبدا ورقا على تلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون لم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على عدم كراهة الزيادة على تلبيته المشهورة المتقدمة فكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغباء اليك والعمل * وأتاه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية من شعائر الحج فعن زيد ابن خالد الجهني رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فانها من شعار الحج * واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا دجانة رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة رضي الله عنه وولدت أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولدها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم في ذي الحليفة وأرسلت اليه صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تغتسل وتستثفر أي بخرقة عريضة بعد أن تحشو بحو قطن وتربط طرفي تلك الخرقة في شئ تشده في وسطها لتمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض وتحرم * ثم حاضت سيدتنا عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق بمحل يقال له سرف بكسر الراء وكانت قد أحرمت بعمرة ففي البخاري انها قالت وكنت فيمن أهل بعمرة فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتدخل الحج على العمرة * أقول وقد جاء انها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال ما يبكيك يا عائشة وفي لفظ ما يبكيك يا هنتاه لعلك نفست أي حضت قلت نعم والله لوددت اني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر قال لا تقولي ذلك فهذا شئ كتبه الله على بنات آدم * أي واستدل البخاري رحمه الله بهذا على ان الحيض كان في جميع بنات آدم وأنكر به على من قال ان الحيض أول ما وقع في بني اسرائيل وفي لفظ قال ما شأنك قالت لا أصلي قال لا يضرك انما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجك وفي رواية ارفضي عمرتك أي لا تشتغلي في شئ من أعمالها وأحرمي بالحج قال فاقضي ما يقضي الحاج أي تفعلين كل ما يفعل الحاج وأنت حائض الا أنك لا تطوفين بالبيت ففعلت ذلك أي أدخلت الحج على العمرة ووقفت المواقف حتى وقفت بعرفة وهي حائض حتى اذا طهرت أي وذلك يوم النحر وقيل عشية عرفة طافت بالبيت وبالصفا والمروة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا * وذكر بعضهم ان في هذه الحجة كان جمل عائشة رضي الله عنها سريع المشي مع خفة حمل عائشة وكان جمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها فصار يتأخر الركب بسبب ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة وأن يجعل حمل عائشة على جمل صفية فجاء صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يستعطف خاطرها فقال لها يا أم عبد الله جملك خفيف وجملك سريع المشي وجمل صفية ثقيل وجملها بطيء فأبطأ ذلك بالركب فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب فقالت له انك تزعم أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أفي شك أنت يا أم عبد الله

نكاحا أو ملكا فان التزويج يسمى رقا قال صلى الله عليه وسلم لاسماء رضي الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها ومن عدله صلى الله عليه وسلم قوله أبلغوا عني حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وفي رواية ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكان صلى الله عليه وسلم لا يخير في أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وكان لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد رواه أبو داود عن الحسن البصري مرسلا ونحو من عفته صلى الله عليه وسلم ما رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معي يرعى لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا أي لعبا بالمعازف وهي الملاهي من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني أي أنامني الله فنمت فما أيقظني الا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك أي مثل ما هممت في المرة الاولى فعصمني الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير (وأما زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا) فقد تقدم من الاخبار ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فأعرض عنها ولقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وكان يقصد بذلك التشريع لامته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن الله تعالى وكان يقول في دعائه اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان والمراد قدر الكفاية وروي

الله قالت فبالك لا تعدل قالت وكان أبو بكر رضي الله عنه فيه حدة فلطمني على وجهي فلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما سمعت ما قالت فقال دعها فان المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من أسفله * قال ولما نزلوا بمحل يقال له العرج فقد البعير الذي عليه زاملته صلى الله عليه وسلم وزاملة أبي بكر أي زادهما وكان ذلك البعير مع غلام لابي بكر فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للغلام أين بعيرك قال ضللته البارحة فقال أبو بكر وقد اعترته حدة بعير واحد تضله وأخذ يضربه بالسوط ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم لا يزيد على ذلك فلما بلغ بعض الصحابة ان زاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت جاء بحيس ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه وهو يغتاظ على الغلام هون عليك يا أبا بكر فان الامر ليس لك ولا الينا وقد كان الغلام حريصا على أن لا يضل بعيره وهذا غداء طيب قد جاء الله به وهو خلف عما كان معه فأكل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ومن كان يأكل معهما حتى شبعوا فأقبل صفوان ابن المعطل رضي الله تعالى عنه وكان على ساقة القوم أي لان هذا كان شأنه كما تقدم في قصة الافك والبعير معه وعليه الزاملة حتى أناخه على باب منزله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر انظر هل تفقد شيأ من متاعك فقال ما فقدت شيأ الا قعبا كنا نشرب فيه فقال الغلام هذا القعب معي ولما بلغ سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله تعالى عنهما ان زاملته صلى الله عليه وسلم قد ضلت جاآ بزاملة وقالا أي كل واحد منهما يا رسول الله بلغنا ان زاملتك ضلت الغداة وهذه زاملة مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله لكما اهـ ثم نزل صلى الله عليه وسلم بذي طوى فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح أي بعد ان اغتسل بها أي ثم سار صلى الله عليه وسلم ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا أي وقت الضحى من الثنية العليا التي هي ثنية كداء بفتح الكاف والمد قال أبو عبيدة لا ينصرف وهي التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الآن الحجون التي دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة كما تقدم ودخل المسجد الحرام صباحا من باب عبد مناف وهو باب بني شيبة المعروف الآن بباب السلام وكان صلى الله عليه وسلم اذا أبصر البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا وفي مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت الخ وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت الخ وعند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد طاف بالبيت أي سبعا ماشيا فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال دخلنا مكة عند ارتفاع الشمس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر الاسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه رواه البيهقي في السنن

مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى سبيله وفى رواية ما شبع من خبز
شعير يومين متتابعين ولو شاء لاعطاه ما لم يخطر ببال وفى رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله
وروى مسلم عن عائشة أيضا رضى الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا

الكبرى باسناد جيد وقيل طاف صلى الله عليه وسلم على راحلته الجدعاء أى لانه صلى الله عليه
وسلم قدم مكة وهو يشتكى فمن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم مكة وهو يشتكى فطاف على راحلته فلما أتى على الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه
أناخ فصلى ركعتين رواه أبو داود ورد بان هذا الحديث تفرد به يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف على
ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يذكر ان ذلك كان فى حجة الوداع ولا فى الطواف الاول من
طوافاتها الثلاثة التى هى طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع فينبغى أن يكون
ذلك فى غير الطواف الاول بان يكون فى طواف الافاضة أو طواف الوداع فلا ينافى ما تقدم
عن جابر ولا ما فى مسلم عنه أنه قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على راحلته
بالبيت ليراه الناس فيسألوه وقوله ورمل فى ثلاث منها أى يسرع المشى مع تقارب الخطا
ومشى أى على هينته فى أربع يستلم الركن اليمانى والحجر الاسود فى كل طوفة وابتداء الرمل
كان فى عمرة القضاء لما قال المشركون يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليرى المشركون جلدهم ومن ثم قال بعضهم لبعض هؤلاء
الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا كما تقدم فلما كانت هذه الحجة فعلوا
كذلك فصارت سنة قال وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر الاسود وثبت أنه استلمه بيده
ثم قبلها وثبت أنه استلمه بمحجنه فقبل المحجن ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى
ولا قبل يده حين استلمه اهـ وعند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه يستحب أن يقبل
ما استلم به وروى امامنا الشافعى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال استقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان صلى الله عليه وسلم اذا استلم الحجر
قال بسم الله والله أكبر وقال بينهما أى بين الركن اليمانى والحجر ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم شئ من الاذكار فى غير هذا
المحل حول الكعبة ولم يستلم الركنين المقابلين للحجر أى لانهما ليسا على قواعد سيدنا ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه انك رجل قوى لا تزاحم
على الحجر أى الاسود تؤذى الضعيف ان وجدت خلوة فاستلمه والا فاستقبله وهلل وكبر
وأخذ منه بعض فقهائنا أن من شق عليه استلام الحجر الاسود يسن له أن يهلل ويكبر ثم بعد
الطواف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند مقام سيدنا ابراهيم عليه الصلاة
والسلام جعل المقام بينه وبين الكعبة أى استقبل جهة باب المحل الذى به المقام الآن وهو
المراد بخلف المقام قرأ فيهما مع أم القرآن قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ودخل صلى
الله عليه وسلم زمزم فنزع له دلو فشرب منه ثم مج فيه ثم أفرغها فى زمزم ثم قال لولا أن الناس
يتخذونه نسكا لنزعت أى وتقدم فى فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم قال لولا أن تغلب بنو عبد
المطلب لنزعت منها دلوا وانتزع له العباس ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى الحجر الاسود فاستلمه
ثم خرج الى الصفا وقرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدؤا بما بدأ الله به فسعى بين الصفا
والمروة سبعا راكبا على بعيره وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان سعيه الذى طاف

وفى رواية للبخارى عن جويرية
أم المؤمنين رضى الله عنها ما ترك
صلى الله عليه وسلم الا سلاحه
وبغلته وأرضا جعلها صدقة
وروى الشيخان عن عائشة رضى
الله عنها ولقد مات وما فى بيتى شئ
يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف
لى فأكلت منه حتى طال على
فكلته ففنى فياليتنى لم أكله
وقال لى انى عرض على أن تجعل
لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب
أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما
فاشكر فأما اليوم الذى أجوع
فيه فأتضرع اليك وأما اليوم
الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى
عليك وفى حديث آخر ان جبريل
عليه السلام نزل عليه فقال ان
الله يقرئك السلام ويقول لك
أتحب أن أجعل هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيثما كنت
فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له قد يجمعها من لا عقل له
أى لعدم معرفته بحقيقة الدنيا
من سرعة فنائها وكثرة عنائها
وقلة غنائها وخسة شركائها
ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها
فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد
بالقول الثابت وفى رواية للبيهقى
أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما
لجبريل ما أمسى لآل محمد كفة
سويق ولا سفة دقيق فأتاه
اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع
ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك جبال
تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية للامام أحمد والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وفى رواية
لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وفى أخرى للطبرانى لو سألت الله أن يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل وروى الشيخان

عن عائشة رضى الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وروى الترمذى عن عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله عنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وروى ابن ماجه والترمذى
عن عائشة وأبى امامة وابن عباس رضى الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة

لقدومه كان على قدميه لا على بعير أى فذكر البعير فى هذا السعى غلط من بعض الرواة ثم رأيت
بعضهم قال بعض الروايات عن جابر وغيره يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان ماشيا بين الصفا
والمروة ولعل بين الصفا والمروة مدرجة أو انه صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة بعض
المرات على قدميه فلما ازدحم الناس عليه ركب فى الباقى ويدل لذلك انه قيل لابن عباس رضى
الله تعالى عنهما ان قومك يزعمون ان السعى بين الصفا والمروة راكبا سنة فقال صدقوا وكذبوا
فقيل كيف صدقوا وكذبوا فقال صدقوا فى أن السعى سنة وكذبوا فى أن الركوب سنة فان السنة
المشى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى فى السعى فلما كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا
محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه
فلما كثر عليه الناس ركب وبهذا يحصل الجمع بين الاحاديث الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم مشى
بين الصفا والمروة والاحاديث الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم ركب فيه وصار صلى الله
عليه وسلم فى السعى يخب ثلاثا ويمشى أربعا ويرقى الصفا ويستقبل الكعبة ويوحد الله
ويكبره ويقول لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده أى من غير قتال ثم يفعل على المروة مثل ذلك واعترض بان كونه كان يخب ثلاثا ويمشى
أربعا كان فى الطواف بالبيت لا فى السعى بين الصفا والمروة وهذا السياق يقتضى انه صلى
الله عليه وسلم سعى بعد طواف القدوم وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم حج فاول شئ بدأ به حين
قدم مكة انه توضأ ثلاثا ثم طاف بالبيت ولم يذكر السعى أى وفى مسلم فى سبب نزول قوله تعالى ان
الصفا والمروة من شعائر الله ان المهاجرين فى الجاهلية كانوا يهلون بصنمين على شط البحر يقال لهما
اساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون فلما جاءهم الاسلام كرهوا أن
يطوفوا بين الصفا والمروة يرون أن ذلك من أمر الجاهلية فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من
شعائر الله وقيل ان سبب نزولها ان الانصار كانوا فى الجاهلية يهلون لمناة وكان من أحرم بمناة
لا يطوف بين الصفا والمروة وانهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حين أسلموا
فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم من لا هدى معه
بالاحلال أى وان لم يكن أحرم بالعمرة بان لم يكن سمع أمره صلى الله عليه وسلم بان من لا هدى
معه يحرم بالعمرة فاحرم بالحج قارنا أو مفردا قال السهيلى رحمه الله ولم يكن ساق الهدى معه من
أصحابه رضى الله تعالى عنهم الا طلحة بن عبد الله وكذا على كرم الله وجهه جاء من اليمن وقد ساق
الهدى معه ويأتى ما فيه أى وأمره صلى الله عليه وسلم من ذكر بالاحلال كان بعد الحلق والتقصير
لانه أتى بعمل العمرة فحل له كل ما حرم على المحرم من وطء النساء والطيب والمخيط وان يبقى كذلك
الى يوم التروية الذى هو اليوم الثامن من ذى الحجة فيهل أى يحرم بالحج وقيل له يوم التروية
لانهم كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه معهم فى ذهابهم من مكة الى عرفات لعدم وجدان الماء
بها فى ذلك الزمن وأمر صلى الله عليه وسلم من معه الهدى أن يبقى على احرامه أى بالحج قارنا
أو مفردا حتى قال بعضهم لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى قال ويروى أن
قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم فعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم

طاويا لا يجدون عشاء وروى
البخارى عن أنس رضى الله عنه
قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خوان ولا فى سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة
سميطا قط والخوان ما يؤكل عليه
كالكرسى على عادة المترفهين لئلا
يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم
فالصحابة انما كانوا يأكلون على
السفر المبسوطة فى الارض
والسكرجة فارسى معرب وهو
بضم الثلاثة وشد الراء اناء صغير
يؤكل فيه القليل من الادم
وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده
المترفهون من احضار المخللات
ونحوها من المهضمات والمرغبات
فى أطراف المأكولات والمرقق
الرغيف الابيض اللين الواسع
والسميط بمعنى المسموط المشوى
بجلده بعد اخراج ما فيه من
القاذورات والنجاسات فان لم
تخرج كان حراما وكذا حكم الرؤس
والدجاج وانما يحسن السمط فى
صغار الغنم وروى الشيخان عن
عائشة رضى الله عنها قالت انما
كان فراشه صلى الله عليه وسلم
الذى ينام عليه أدما أى جلدا
مدبوغا وروى الترمذى عن
حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها
قالت كان فراش النبى صلى الله
عليه وسلم فى بيتى مسحا أى من
شعر أبيض وقيل أسود نثنيه
ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة
بأربع طاقات فلما أصبح قال ما فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاءته أى لينته منعتنى أى كمال
حضورى فى طاعتى أو شغلتنى عن القيام لصلاتى وقراءتى ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم فى ابتداء ليلته لاستغراقه فى شهود نوره ووجود
حضوره وروى الشيخان والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان ينام أحيانا على سرير مرمول أى منسوج بشريط مفتول من سعف

حتى تؤثر خشونة الشريط فى جنبه لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى لاحد قط أى لاحد من أصحابه وزوجاته وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا طول ليله فلا يمنعه أى جوعه صيام يومه وهذا كله لكمال زهده واقبال قلبه على ربه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز

الارض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضى الله عنها ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به من الجوع وأمسح بطنه وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى وأخلائى قالت رضى الله عنها فما أقام أى فى الدنيا بعد أى بعد قوله ذلك الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية لابن أبى حاتم عن عائشة رضى الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه وقال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال العلماء من قال مالى صدقة على أعقل الناس يعطى للزهاد لان العاقل من طلق الدنيا كما قيل

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها * انها زوجة سوء * لا تبالى من أتاها الى
أنت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها * فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة أى لان من كثر شبعه ورغب فيه ربما حصل

الماتم سمعه قال لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة تنطلق الى منى وذكر أحدنا يقطر وفى لفظ وفرجه يقطر منيا أى قد جامع النساء أى وفيه انهم لا ينطلقون الى منى الا بعد الاحرام بالحج لانهم يحرمون من مكة الا أن يقال مراده انا كيف نجامع النساء بعد احرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد الاحرام بالحج كما سيأتى فى بعض الروايات وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار فقال أوما شعرت انى أمرت الناس بأمر فاذا هم يترددون وقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الخ تاسف على فوات أمر من أمور الدين ومصالح الشرع كذا قال الامام أحمد رضى الله تعالى عنه لانه يرى أن التمتع أفضل ورد بانه لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل وانما تأسف عليه لكونه أشق على أصحابه فى بقائه محرما على احرامه وأمره لهم بالاحلال وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لو تفتح عمل الشيطان محمول على التأسف على فوات حظ من حظوظ الدنيا فلا تخالف ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله تعالى فقال أما بعد فقد تعلمون أيها الناس لانا والله أعلمكم بالله وأتقاكم ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت هديا ولاحللت وفى رواية قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فقال صلى الله عليه وسلم افعلوا ما أمرتكم به واجعلوا اهلالكم بالحج عمرة فلولا انى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ففعلوا أهلوا فقضوا الحج الى العمرة وكان من جملة من ساق الهدى أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعلى رضى الله تعالى عنهم فان عليا كرم الله وجهه قدم الى مكة من اليمن ومعه هدى وعن جابر رضى الله تعالى عنه لم يكن أحد معه هدى غير النبى صلى الله عليه وسلم وطلحة وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه انطلق وطف بالبيت وحل كما حل أصحابك فقال يا رسول الله أهللت كما أهللت فقال له ارجع فاحلل كما حل أصحابك قال يا رسول الله انى قلت حين أحرمت اللهم انى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد فقال هل معك من هدى قال لا فاشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على احرامه وهذا صريح فى ان احرامه صلى الله عليه وسلم كان بالحج ويمكن الجمع بين رواية أنه لما قدم من اليمن ومعه هدى وبين رواية انه لم يكن معه هدى بان الهدى تأخر مجيئه بعده لانه تعجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على الجيش رجلا من أصحابه ويؤيد ذلك قول بعضهم كان الهدى الذى قدم به على كرم الله وجهه من اليمن والذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم مائة أى والاول الذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين بدنة والذى قدم به من اليمن على كان سبعة وثلاثين بدنة ولا يخالف ذلك اشراكه له فى الهدى لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لاحتمال تلف الهدى وعدم مجيئه والذى فى البخارى لما قدم على كرم الله وجهه من اليمن قال له النبى صلى الله عليه وسلم بم أهللت يا على قال بما أهل به النبى صلى الله عليه وسلم قال فاهد وامكث حراما كما أنت أى فانه تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان أرسل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى اليمن لهمدان يدعوهم

ما يأكله من غير وجهه فيجازى بالجوع فى الآخرة اما فى الموقف أو فى النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لا عذاب فيها والجوع عذاب وروى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا فى الآخرة وذلك لان شأن المؤمن الكامل أن يشتد خوفه ويكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء

شهوته فيقل أكله كما ورد فى حديث لابى امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه أى لان كثرة الطعم تورث قسوة القلب وقال جمع من الصحابة منهم عمرو ابن العاص رضى الله عنه البطنة تذهب الفطنة ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره أى لما يباشره من الطاعات فى يقظته ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن كثر نومه محقت بركة عمره ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه وبطرت نفسه وقسا قلبه فلا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة روى أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط كان اذا تغدى أى أكل فى غدوة النهار وبكرته لم يتعش أى لم يأكل فى المساء واذا تعشى لم يتغد وكان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل أى ان قدموه له ليأكل أكل وما أطعموه قبله منهم وما سقوه أى من الاشربة لبن أو غيره شرب وروى مثل هذا عن عائشة رضى الله عنها ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذى يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضى الى النوم والكسل والبطر والاشر وقد تنتهى كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة روى البخارى ومسلم ان عائشة رضى الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير لتحمله على التأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى التقلل والله يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال

الى الاسلام قال البراء رضى الله تعالى عنه فكنت ممن خرج مع خالد فاقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه فأمره أن يقفل خالد بن الوليد ويكون مكانه وقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقفل فكنت ممن أعقب مع على كرم الله وجهه فلما دنونا من القوم خرجوا الينا وصلى بنا على كرم الله وجهه ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فأسلمت همدان جميعا فكتب على رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام على همدان وكان من جملة من لم يسق الهدى أبو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه فانه لما قدم من اليمن قال له بم أهللت قال أهللت كاهلال النبى صلى الله عليه وسلم قال له هل معك من هدى قال قلت لا فأمرنى فطفت بالبيت والصفا والمروة ورواية الشيخين عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له بم أهللت فقلت لبيت باهلال كاهلال النبى صلى الله عليه وسلم قال فقد أحسنت طف بالبيت وبالصفا والمروة واحل أى بعد الحلق أو التقصير وفيه أنه صلى الله عليه وسلم كان مهلا بالحج فقط أو مع العمرة الا أن يقال جوز لابى موسى الفسخ من الحج الى العمرة كما فعل ذلك مع غيره من الصحابة الذين أحرموا بالحج ولا هدى معهم ومن جملة من لم يسق الهدى أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن فاحللن أى لانهن احرمن احراما مطلقا ثم صرفنه للعمرة أو احرمن متمتعات أى بالعمرة الا عائشة رضى الله تعالى عنها فانها لم تحل أى لانها أدخلت الحج على العمرة كما تقدم وممن أحل سيدتنا فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم أى لانها لم يكن معها هدى وأسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وشكا على كرم الله وجهه فاطمة رضى الله تعالى عنها للنبى صلى الله عليه وسلم اذ أحلت أى فانه وجدها لبست صبيغا واكتحلت فأنكر عليها فقالت رضى الله تعالى عنها أمرنى أبى بذلك فذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم محرشا لها عليها رضى الله تعالى عنها فصدقها عليه الصلاة والسلام فى أنه أمرها بذلك أى فانه صلى الله عليه وسلم قال له صدقت صدقت صدقت أنا أمرتها بذلك يا على وسأله سراقة بن مالك رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للابد فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال بل للابد الابد دخلت العمرة فى الحج هكذا الى يوم القيامة أى وفى رواية فشبك بين أصابعه واحدة فى أخرى وقال دخلت العمرة فى الحج هكذا مرتين بل لابد الابد بالاضافة أى الى آخر الدهر وهذا الجواب بقوله دخلت العمرة فى الحج يدل على أن مراد السائل بالتمتع القران لا حقيقته الذى هو الاحرام بالحج بعد الفراغ من عمل العمرة لكن قول بعضهم لما كان آخر سعيه صلى الله عليه وسلم على المروة قال لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم للابد الحديث يدل على أن مراده بالتمتع حقيقته لكن لا يحسن الجواب بقوله دخلت العمرة فى الحج الا أن يقال المراد حصلت العمرة مع الاحرام بالحج لقلب

ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر
والماء وروى مسلم عنها رضى الله عنها لقدمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين خمصت الزيت
لانهم كانوا يأتدمون به كثيرا ومع ذلك لم يأكله ٢٩٢ فى اليوم الامرة زهدا فى الدنيا وعن أبى حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد
الساعدى رضى الله عنه هل رأيتم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم النقى يعنى الخبز الحوارى قال لا قلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكنا كنا ننفخه رواه البخارى وفى رواية هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت هل كان لكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه فأكلناه أى نديناه ولييناه ثم خبزناه فأكلناه وروى مسلم والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى ساعة لا يخرج فيها أحد ولا يلقاه فيها أحد فاذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما أخرجنا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده أخرجنى الذى أخرجكما وهذا قاله تسلية وتأنيسا لهما فانطلقوا الى منزل أبى الهيثم بن التيهان الانصارى رضى الله عنه وكان رجلا كثير النخل والشاء واذا هو ليس فى بيته فلما رأت امرأته النبى صلى الله عليه وسلم قالت مرحبا وأهلا وفى رواية مرحبا بنبى الله وبمن معه فقال وهو
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان يعنى زوجها قالت ذهب يستعذب لنا الماء أى يستقى لنا ماء عذبا من بئر بعيدة وكانت
أكثر مياه المدينة مالحة فبينماهم على ذلك اذ جاء الانصارى فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه

الاحرام بالحج الى العمرة لان هذا كله يدل على انه أمر من أحرم بالحج ممن لا هدى معه ان يقلب احرامه عمرة وأجاب عنه أئمتنا بان ذلك أى فسخ الحج الى العمرة كان من خصائص الصحابة فى تلك السنة ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج ويقولون انه من أفجر الفجور وبهذا قال أبو حنيفة ومالك وامامنا الشافعى وجماهير العلماء من السلف والخلف رضى الله عنهم وفى مسلم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه لم يكن فسخ الحج الى العمرة الا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وخالف الامام أحمد رضى الله عنه وطائفة من أهل الظاهر فقالوا بل هذا ليس خاصا بالصحابة فى تلك السنة أى بل باق لكل أحد الى يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدى أن يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها وبعضهم قال ان قول سراقة رضى الله تعالى عنه معناه ان جواز العمرة فى أشهر الحج خاصة بهذه السنة أو جائزة الى يوم القيامة وفيه أنه لا يحسن الجواب عنه بما تقدم من قوله دخلت العمرة فى الحج ثم نهض صلى الله عليه وسلم ونهض معه الناس يوم التروية الذى هو اليوم الثامن الى منى وأحرم بالحج كل من كان أحل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بمنى والعصر والمغرب والعشاء وبات بها تلك الليلة أى وكانت ليلة الجمعة وصلى بها الصبح ثم نهض بعد طلوع الشمس الى عرفة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تضرب له قبة من شعر بنمرة فأتى عليه الصلاة والسلام عرفة ونزل فى تلك القبة حتى اذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء بفتح القاف والمد وقيل بضم القاف والقصر وهو خطأ كما تقدم وفى كلام الاصل ان القصواء والعضباء والجدعاء اسم لناقة واحدة وفيه ما لا يخفى فرحلت ثم أتى بطن الوادى فخطب على راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس رضى الله تعالى عنه ووضع الدماء فى الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قتلته هذيل فقال هو أول دم أبدأ به من دماء الجاهلية موضوع فلا يطالب به فى الاسلام وأوصى صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا وأباح ضربهن غير المبرح ان أتين بما لا يحل وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهن وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل أى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه لا يضل من اعتصم به وأشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك وأمر أن يبلغ ذلك الشاهد الغائب ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانكم لتسئلون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم فاشهد ثلاث مرات وجاء أنه صلى الله عليه وسلم أمر مناديا صار ينادى بكل ما قاله من ذلك أى وهو ربيعة بن أمية بن خلف أخو صفوان بن أمية وكان صيتا وصار صلى الله عليه وسلم يقول له يا ربيعة قل يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا كما تقدم فيصرخ به

وفى رواية فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله أى على هذه التى لم يظفر بها غيرى فى هذا اليوم ما أحد
اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق بهم الى بستانه فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية أى السكين ليذبح لهم فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب أى باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها ٢٩٣ فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه
وأتاهم به فلما وضع بين يديه صلى الله عليه وسلم أخذ من ذلك فجعله فى رغيف وقال للانصارى أبلغ بهذا فاطمة رضى الله عنها فانها لم تصب مثله منذ أيام فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وفى رواية أنه قال هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ثم انطلق أبو الهيثم يصنع لهم طعاما وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة وفى رواية فكبر ذلك على أصحابه أى كون هذا من النعيم الذى يسئلون عنه فقال اذا أصبتم مثل هذا فصار بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذى أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله أنا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به عورته أو جحر يدخل فيه من القر والحر وفى هذه القصة فوائد منها ان اتيانهم دار أبى الهيثم
رضى الله عنه لا ينافى شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهما السلام لارادة الله تسلية الخلق بهم وان يستنوا بهم فيفعلوا
ذلك تشريعا للامة وفى قول امرأة أبى الهيثم يستعذب لنا ماء دليل على ان طلب الماء العذب لا بأس به وانه لا ينافى الزهد وان
السبب لا ينافى التوكل اذ التوكل اعتماد القلب على الله وأن لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه فالحركة الظاهرة لا تنافيه وقصده

وهو واقف تحت صدر ناقته صلى الله عليه وسلم وربيعة هذا ارتد فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه فانه شرب الخمر فهرب منه الى الشام ثم هرب الى قيصر فتنصر ومات عنده وعن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه أنه طاف ليلة هو وعمر رضى الله تعالى عنهما العسس بالمدينة فرأوا نورا فى بيت فانطلقوا يؤمونه فاذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الرحمن أتدرى بيت من هذا قال لا قال هذا بيت ربيعة بن أمية وهم الآن شرب فما ترى قال أرى انا قد أتينا ما نهى الله عنه ولا تجسسوا فانصرف عمر ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه غرب ربيعة الى خيبر فكان ما تقدم وقد رأى ربيعة قبل ذلك فى المنام كأنه فى أرض معشبة مخصبة وخرج منها الى أرض مجدبة كالحة ورأى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فى جامعة من حديد عند سرير الى الحشر فقص ذلك على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان صدقت رؤياك تخرج من الايمان الى الكفر وأما أنا فان ذلك دينى جمع لى فى أشد الناس الى يوم الحشر وبعثت اليه صلى الله عليه وسلم أم الفضل زوجة العباس أم عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهم لبنا فى قدح فشربه أمام الناس فعلموا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن صائما ذلك اليوم الذى هو يوم التاسع أى لانهم تماروا عندها فى صيامه صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم الذى هو يوم عرفة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة أى وبهذا استدل أئمتنا على انه لا يستحب للحاج صوم يوم عرفة الذى هو التاسع من ذى الحجة فلما تم صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا فصلاهما مجموعتين فى وقت الظهر باذان واحد واقامتين أى لانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بمكة اقامة تقطع السفر لانه دخلها فى اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فقد صلى بها احدى وعشرين صلاة من أول ظهر يوم الرابع الى عصر الثامن يقصر تلك الصلوات فالجمع للسفر كما يقول امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه كالجمهور لا للنسك كما يقول غيرهم (أقول) وفيه ان فقهاءنا ذكروا انه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة فى حجة الوداع مع عزمه على الاقامة يوما أى تقطع السفر لعدم استيطانه ويرد بانه من أين انه صلى الله عليه وسلم عزم على الاقامة بمكة المدة التى تقطع السفر هذه دعوى تحتاج الى دليل وأيضا عزمه على ذلك انما هو بعد عوده الى مكة بعد فراغه من الوقوف والرمى ولا ينقطع سفره الا بوصوله الى مكة واذ ولى استدلال فقهائنا على وجوب الاستيطان فى اقامة الجمعة بعدم أمره صلى الله عليه وسلم لاهل مكة باقامة الجمعة مع انهم غير مسافرين لعدم استيطانهم للمحل فما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من أن الجمع للسفر لا للنسك فى محله وقد رأيت ان مالكا رضى الله تعالى عنه سأل أبا يوسف وقد كان جمع هرون الرشيد وذلك بحضرة الرشيد فقال له ما تقول فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة أصلى جمعة أم صلى ظهرا مقصورة فقال أبو يوسف صلى جمعة لانه خطب لها قبل الصلاة فقال مالك أخطأت لانه لو وقف يوم السبت لخطب قبل الصلاة فقال أبو يوسف ما الذى صلى فقال مالك صلى الظهر مقصورة لانه أسر بالقراءة فصوبه هرون فى احتجاجه على أبى يوسف والله

صلى الله عليه وسلم بيت الانصارى رضى الله عنه من هذا الفعل * ومن زهده صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلق من خبز فقال ما من أدم أى هل عندكم شئ من الادم آكل الخبز به قالوا الا شئ من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبى الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبى الدنيا عن ابن بجير رضى الله عنه قال أصاب النبى صلى الله عليه وسلم الجوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الارب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألارب مهين لنفسه وهو لها مكرم وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى طلحة زوج أمه رضى الله عنهما قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين وانما رفع لهم ليعلمهم أن ليس عنده ما يستأثر به عليهم وتسلية لهم لاشكاية أن ما بهم من الجوع أصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين وفى قصة جابر رضى الله عنه فى حفر الخندق قام صلى الله عليه وسلم الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وما أحسن قول البوصيرى رحمه الله

وشد من سغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح ما بين الخاصرة والقصير ضلع وانما حصل له الجوع فى بعض الاوقات ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن به جوعا وانما يعرفه بعض الخواص كأبى طلحة بالصوت ونحوه لان جسمه صلى الله عليه وسلم كان يرى أشد نضارة وحسنا من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم فى الدنيا وهذا المعنى هو الذى قصده البوصيرى رحمه الله بقوله مترف الادم أى حسن الجلد ناعمه وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب أى جوع خاف أن يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه أثر الجوع وهو الضعف فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم

أعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته الى ان أتى الموقف فاستقبل القبلة ولم يزل واقفا للدعاء من الزوال الى الغروب وفى الحديث أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى أى فى يوم عرفة كما فى بعض الروايات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وجاء أن من جملة دعائه فى ذلك اليوم اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الشيطان ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذى شر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا خير المعطين واستمر كذلك صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة أى وخطب صلى الله عليه وسلم على ناقته فى ذلك اليوم فعن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة رضى الله تعالى عنهم قال بعثنى عتاب بن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لعابها يقع على رأسى فسمعته يقول أيها الناس ان الله قد أدى الى كل ذى حق حقه وانه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى الى غير أبيه أو مولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من نجد فسألوه كيف الحج فأمر مناديا ينادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع أى المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وجمع بفتح الجيم وسكون الميم أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه أى وقال صلى الله عليه وسلم وقفت ههنا وعرفة كلها موقف زاد مالك فى الموطا وارتفعوا عن بطن عرنة وفى كلام بعضهم نزلت اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى يوم الجمعة بعد العصر والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكاد عضد الناقة يندق من ثقل الوحى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اتفق فى ذلك اليوم أربعة أعياد عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل فى يوم قبله ولا بعده ولما نزلت بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال رضى الله تعالى عنه أبكانى انا كنا فى زيادة أما اذا كمل فانه لا يكمل شئ الا نقص فقال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يعش بعدها الا ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ولم ينزل بعدها شئ من الاحكام ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه خلفه ودفع الى مزدلفة وقد ضم زمام راحلته القصواء التى خطب عليها فى عرفة حتى ان رأسها ليصيب طرف رجليه يسير العنق حتى اذا وجد فجوة سار النص وهو فوق العنق وهو يأمر الناس بالسكينة فى السير فلما كان فى الطريق عند الشعب الايسر نزل فيه فبال وتوضأ وضوأ

وحصول الجوع فى بعض الاوقات لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن مواصلته فى الصوم لست كأحدكم انى ربى يطعمنى ويسقينى لان كلا منهما حصل له فى وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغنى عن الطعام والشراب فى بعض الاوقات وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيها وفى بعض الاوقات يحصل له شئ من الجوع حتى يظهر لبعض أصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الاجر والثواب وليقتدوا به ويتصبروا اذا حصل لهم شئ من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا فى الدنيا ويتقللوا منها وقيل ان عصب الحجر على البطن ليس لاجل الجوع بل لان عادة العرب أو أهل المدينة أن يفعلوا ذلك اذا اخلت أجوافهم وغارت بطونهم ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم * ومن زهده صلى الله عليه وسلم انه أوتى مفاتيح خزائن الارض فأعرض عنها فتح كثير من البلاد فى حياته صلى الله عليه وسلم وجاءته أموالها فقسمها بين أصحابه وما استأثر بشئ منها ولا أمسك دينارا ولا درهما بل صرفها فى مصارفها وبالجملة فما من خلق كريم الا واتصف صلى الله عليه وسلم بأكمله وأعلاه وفى الشفاء عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته أى طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة بالله كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضى غنيمتى والفقر فخرى والزهد حرفتى واليقين قوت روحى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وفى رواية وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل أمتى وشوقى الى ربى قال ملا على القارى فى شرحه على الشفاء والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها أى هذه الالفاظ الا عن بينة اه * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها امداده بالملائكة ورؤية أصحابه لهم وقتالهم معه ومع أصحابه يوم بدر حتى هزموا

وضوأ خفيفا ثم ركب حتى أتى المزدلفة التى هى جمع أى وتقدم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم بعرفات وافاضته الى مزدلفة قبل أن يبعث كان مخالفا فى ذلك لقوله وصلى المغرب والعشاء مجموعتين فى وقت العشاء أى مقصورتين باذان واحد واقامتين ثم اضطجع وأذن للنساء والضعفة أى الصبيان أن يرموا الجمرة أى ان يذهبوا من مزدلفة الى منى بعد نصف الليل بساعة ليرموا جمرة العقبة قبل الزحمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم ان لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فليتأمل ذلك فعن عائشة رضى الله عنها ان سودة رضى الله عنها أفاضت فى النصف الاخير من مزدلفة باذن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأمرها بالدم ولا النفر الذين كانوا معها وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنا ممن قدم النبى صلى الله عليه وسلم فى ضعفة أهله وروى ذلك الشيخان ولم يأذن صلى الله عليه وسلم للرجال فى ذلك لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم أى فالمراد بالضعفة الصبيان كما تقدم وبهذا استدل أئمتنا على انه يستحب تقديم النساء والضعفة بعد نصف الليلة الى منى أى وان يبقى غيرهم حتى يصلوا الصبح مغلسين وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فلان أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب الى من مفروح به أى لارمى الجمرة قبل ان يأتى الناس وفى لفظ قبل حطمة الناس لان سودة رضى الله عنها كانت امرأة ضخمة ثقيلة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تفيض من مزدلفة مع النساء والضعفة وفى مسلم مضت أم حبيبة من جمع بليل أى فى نصف الليل وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أرسلنى صلى الله عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة فلما كان وقت الفجر قام صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس أى بالمزدلفة الصبح مغلسا ثم أتى المشعر الحرام فوقف به أى وهو راكب ناقته واستقبل القبلة ودعا الله وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا وجاء انه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة لامته يوم عرفة فأجيب بأنه يغفر لها ما عدا المظالم ثم دعا بذلك أى بالمغفرة لامته بمزدلفة فأجيب الى ذلك أى الى غفران المظالم فجعل ابليس لعنه الله يحثو التراب على رأسه فضحك صلى الله عليه وسلم من فعله وجاء ما بين أن المراد بالامة من وقف بعرفة ثم انه صلى الله عليه وسلم دفع أى من المشعر الحرام قبل ان تطلع الشمس أى قال جابر رضى الله تعالى عنه وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وأردف خلفه الفضل بن العباس وجاءته امرأة تسأله فقالت له يا رسول الله ان فريضة الله على عباده الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة فأحج عنه قال نعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر وفى لفظ آخر فوضع صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر وفى لفظ آخر انه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل فقال له أبوه العباس رضى الله عنهما يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى محسر حرك ناقته قليلا وسلك الطريق التى تسلك على جمرة العقبة فرمى بها من أسفلها سبع حصيات التقطها له عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من موقفه الذى رمى فيه مثل حصا الخذف بفتح الخاء المعجمة

المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها وبعضهم رأى تطاير الرؤس
من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالا بيضا على خيل بلق بين
السماء والارض وأرى النبي صلى الله عليه وسلم ٢٩٦ مرة جبريل لعمه حمزة رضي الله عنه فخر مغشيا عليه من عظمته وهيئته

واسكان الذال المعجمة وهذا لا يخالف ما عليه أئمتنا من ان الاولى ان يلتقط حصى الرمي من مزدلفة ويكره أخذه من المرمى لجواز ان يكون التقط له ذلك من مزدلفة ثم سقط منه عند جمرة العقبة فأمر ابن عباس بالتقاطه لكن الذي في مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل محسرا أي الوادي المعروف وهو أول منى قال عليكم بحصى الخذف الذي ترمى به الجمرة وهو يدل على ان أخذ الحصى من ذلك أولى الا ان يقال يجوز ان يكون قال ذلك لجماعة تركوا أخذ ذلك من مزدلفة وأمر صلى الله عليه وسلم بمثلها ونهى عن أكبر منها وقطع صلى الله عليه وسلم التلبية عند الرمي وصار يكبر عند رمي كل حصاة وهو راكب ناقته وفي رواية على بغلة قال بعضهم وهو غريب جدا وبلال واسامة أحدهما آخذ بخطامها والآخر يظله بثوبه لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وفي رواية فرأيت بلالا رضي الله عنه يقود براحلته واسامة بن زيد رضي الله عنه رافع عليه ثوبه يظله من الحر حتى رمى جمرة العقبة وخطب صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء وقيل على بعير خطبة قرر فيها تحريم الزنا والاموال والاعراض وذكر حرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد فقال يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا اعادها مرارا ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت فليبلغ الشاهد منكم الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وأمرهم صلى الله عليه وسلم بأخذ مناسكهم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك وكان وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد وجاء انه صلى الله عليه وسلم خطب في اليوم الاول واليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها و يقال له يوم النفر الاول لجواز النفر فيه كما قال لليوم الثالث في أيام التشريق يوم النفر الآخر ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة أي وهي التي قدم بها من المدينة وذلك بيده الشريفة لكل سنة بدنة قال بعضهم وفي ذلك اشارة الى منتهى عمره صلى الله عليه وسلم لان عمره صلى الله عليه وسلم كان في ذلك اليوم ثلاثا وستين سنة فنحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لكل سنة بدنة وطلع له اللحم من لحمها وأكل منه أي أخذ من كل بدنة بضعة فجعل ذلك في قدر وطبخ فأكل من ذلك اللحم وشرب من مرقته ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فنحر ما بقي وهو تمام المائة أي ولعله الذي أتى به علي كرم الله وجهه من اليمن هذا وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا فنحر ما بقي منها وقال له اقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولا تعط جزارا منها شيئا وأخذنا من كل بعير حذية من لحم ثم جعلها في قدر واحدة حتى اذا كل من لحمها وتحسو من مرقها ففعل وأخبر صلى الله عليه وسلم ان منى كلها منحر وان فجاج مكة كلها منحر ثم حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف أي حلقه معمر بن عبد الله وقال له هنا وأشار بيده الى الجانب الايمن فبدأ بشقه الايمن فحلقه ثم بشقه الايسر وقسم شعره فاعطى نصفه لابي طلحة الانصاري أي شعر نصف رأسه الايسر بعد ان قال

ههنا

وحديثه رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما وروى ابن سعد انها كانت تصافحه (ومن دلائل نبوته) صلى الله عليه وسلم ما تتابعت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعن الكهان على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش وما جاء عن علماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته كما تقدم بسطه أول الكتاب في مواضعه قال كعب الاحبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال وهب بن منبه في الزبور يا داود سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وروى البيهقي انه لما قدم الجارود بن العلاء وكان أسقفا للنصارى على النبي صلى الله عليه وسلم ورآه وتحقق صفاته قال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله (وفي دلائل النبوة) للبيهقي ان ثلاثة من اليهود أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وأخبروا أن حبرا من

يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته
الوفاة بجاؤه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبي
قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث ٢٩٧ بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات

ههنا أبو طلحة وقيل أعطاه لام سليم زوج أبي طلحة رضي الله عنهما وقيل لابي كريب وأعطى من نصفه اثنان أي الذي هو الايمن الشعرة والشعرتين للناس وفي رواية ناول صلى الله عليه وسلم الحلاق شقه الايمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الانصاري فاعطاه اياه ثم ناول الحلاق الشق الايسر فحلقه وأعطاه أبا طلحة وقال اقسمه بين الناس قال في النور والحاصل ان الروايات اختلفت في مسلم ففي بعضها انه أعطاه الايسر وفي بعضها أنه أعطاه الايمن ورجح ابن القيم ان الذي اختص به أبو طلحة هو الشق الايسر (أقول) الذي في مسلم قال للحلاق ها وأشار بيده الى جانبه الايمن فقسم شعره بين من يليه وفي رواية فوزعه الشعرة والشعرتين ثم أشار الى الحلاق والى جانبه الايسر فحلقه فاعطاه لام سليم وفي رواية قال ههنا أبو طلحة وفي لفظ أين أبو طلحة فدفعه الى أبي طلحة وفي رواية ناول الحلاق شقه الايمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة فاعطاه اياه ثم ناوله الشق الايسر فحلقه فاعطاه أبا طلحة فقال اقسم بين الناس والجمع ممكن بين هذه الروايات والله أعلم وعن بعضهم قال سقطت قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك وهو في الحرب فسقطت فطلبها طلبا حثيثا فعوتب في ذلك فقال ان فيها شيأ من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وانها ما كانت معي في موقف الا نصرت بها وعن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وقد طاف به أصحابه ما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ثم تطيب صلى الله عليه وسلم طيبته عائشة رضي الله عنها بطيب فيه مسك قبل أن يطوف طواف الافاضة ويقال له طواف الركن ويقال له طواف الصدر والاشهر ان طواف الصدر طواف الوداع وحلق بعض أصحابه وقصر بعض آخر وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قال والمقصرين فاعاد صلى الله عليه وسلم وأعاد ثلاثا وقال في الرابعة والمقصرين والصحيح المشهور انه قال ذلك في هذه الحجة التي هي حجة الوداع كما قال ذلك في الحديبية كما تقدم وقيل لم يقله الا في الحديبية وبه جزم امام الحرمين في النهاية وقال النووي ولا يبعد أن يكون وقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم في الموضعين قال في فتح الباري بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك في الموضعين أي فان في مسلم في حجة الوداع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين ثم نهض صلى الله عليه وسلم راكبا الى مكة فطاف في يومه ذلك طواف الافاضة قبل الظهر وشرب من نبيذ السقاية فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة رضي الله عنه فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ أي من سقاية العباس رضي الله عنه فانهم كانوا يضعون في السقاية التمر والزبيب كما تقدم فشرب صلى الله عليه وسلم وسقى فضله لاسامة رضي الله تعالى عنه وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ثم شرب صلى الله عليه وسلم من ماء زمزم بالدلو وقيل وهو قائم وقيل وهو على بعير والذي نزع له الدلو عمه العباس بن عبد المطلب أي وفعل ذلك عند فتح مكة أيضا كما تقدم وقيل لما شرب صلى الله عليه وسلم صب منه على رأسه الشريف وعن ابن

فلما افتتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا أحداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهلهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما ذكر في التوراة) من صفاته وصفات أمته قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد (وفي الزبور) يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صدوقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ستا لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطا والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة

 ولهم في المذخور عندي أضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة
والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوءا أو أدخره لهم في الآخرة (ومما أخبر
الله به في القرآن) انه مذكور في التوراة والانجيل من صفاته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه

جريج أنه صلى الله عليه وسلم نزع الدلو لنفسه وقيل ان هذا يخالف ما تقدم من قوله لولا ان الناس يتخذونه نسكا لنزعت ومن قوله يوم فتح مكة لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فصلى بها الظهر كما اتفق عليه الشيخان وقيل صلاه بمكة وبه انفرد مسلم ورجح بامور وجمع بينهما بانه يجوز أن يكون صلى الظهر بمكة أول الوقت ثم رجع الى منى فصلاها مرة أخرى باصحابه أي الذين تخلفوا عنه بمنى فانه صلى الله عليه وسلم وجدهم ينتظرونه فهي له صلى الله عليه وسلم معادة قال بعضهم وهذا مشكل على من لم يجوز الاعادة وعورض هذا بانه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم رمى جمرة العقبة ونحر ثلاثا وستين بدنة ونحر علي كرم الله وجهه بقية المائة وأخذ من كل بدنة بضعة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فاكل من ذلك اللحم وشرب من مرقه وحلق رأسه ولبس وتطيب وخطب فكيف يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أول الوقت ويعود الى منى في وقت الظهر على ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع الى منى رواه أبو داود وأجيب ان النهار كان طويلا فلا يضر صدور أفعال منه صلى الله عليه وسلم كثيرة في صدر ذلك اليوم على ان ابن كثير رحمه الله قال لست أدري ان خطبته صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم أكانت قبل ذهابه أو بعد رجوعه الى منى وأما رواية عائشة رضي الله عنها المقتضية لكونه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى قبل ان يذهب الى البيت فاجاب بعضهم عنها بانها ليست نصا في ذلك بل تحتمل فليتأمل فان قيل روى البخاري وأهل السنن الاربعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الزيارة الى الليل وفي لفظ زار ليلا قلنا المراد بالزيارة زيارة مجيئه لا طواف الزيارة الذي هو طواف الافاضة فقد روى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة من ليالي منى وهو قول عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر الى الليل فقد أخذه من قول عائشة المتقدم وقد علمت ما فيه وقد قال بعضهم الصحيح من الروايات وعليه الجمهور انه صلى الله عليه وسلم طاف يوم النحر بالنهار والاشبه انه كان قبل الزوال هذا كلامه وطافت أم سلمة رضي الله عنها في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس قالت وطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جانب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور أي وعورض ذلك بانه صلى الله عليه وسلم أرسل أم سلمة رضي الله عنها ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فافاضت فكيف يلتئم هذا مع طوافها قبل الظهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن ذلك الوقت بمكة ويجاب بانه يجوز أن تكون أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وان كانت قدمت مكة قبل الفجر وعورض بانه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور ولا جهر بالقراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس هذا من المحال ويجاب بان كونه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور شهادة نفي على من يثبت وأم سلمة رضي الله عنها لم تدع انها سمعت قراءته صلى الله عليه وسلم ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال والظاهر انه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ أي عند قدومه مكة لطواف الوداع عند الكعبة وأصحابه وقرأ في صلاته والطور بكمالها قال

ويؤيد

مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولو لم يكن هذا مكتوبا عندهم في التوراة لكان الاخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته صلى الله عليه وسلم لان الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والافهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم وحرفوا ما وجدوه في التوراة والانجيل وبدلوه ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفي رواية لابن اسحق ولا صخب بالاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنى أسدده لكل جميل وأهب له خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة

ويؤيد ذلك ما روى عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أشتكي قال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة ومضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حينئذ الى جنب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور أي وحينئذ يكون ما تقدم من قول الراوي وطافت أم سلمة في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر وقوله في الرواية الاخرى أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت أي طافت طواف الافاضة وما جاء عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة قال بعضهم ذكر يوم النحر غلط من الراوي أو من الناسخ وانما هو يوم النفر ويقال بمثل ذلك فيما قبله فليتأمل فانه سيأتي في بعض الروايات انه طاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح الا أن يقال انه صلى الله عليه وسلم مكث بعد الطواف لصلاة الصبح حتى صلاها وفيه ان بعضهم ذكر انه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت أي طواف الوداع بعد صلاة الصبح والله أعلم وطافت في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت من حيضها وكانت حائضا يوم عرفة أي كما تقدم وطافت أيضا صفية رضي الله عنها في ذلك اليوم وسئل صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عما تقدم بعضه على بعض من الرمي والحلق والنحر والطواف فقال لا حرج أي لا اثم ففي مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى على راحلته للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر ان الحلق قبل النحر فحلقت قبل أن أنحر فقال اذبح ولا حرج ثم جاء رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج وجاء آخر فقال اني أفضت الى البيت قبل ان أرمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا أخر الا قال افعل ولا حرج ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أيضا في تقديم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالبيت أي فمن شاء قدم السعي عقب طواف القدوم ومن شاء أخره عن طواف الافاضة وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم أتى بالسعي عقب طواف القدوم وأقام صلى الله عليه وسلم بمنى ثلاثة أيام يرمي الجمار أي ماشيا في ذهابه وايابه وأمر صلى الله عليه وسلم شخصا أن ينادي في الناس بمنى انها أيام أكل وشرب وباءة ورمى لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال أي قبل الصلاة للظهر سبع حصيات يبدأ بالتي تلي مسجد منى أي الخيف ويقف عندها للدعاء ثم التي تليها وهي الوسطى ثم يقف للدعاء ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء أي وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم يرمين بالليل وخطبهم أي الناس في اليوم الاول من أيام منى كما تقدم ويقال لذلك اليوم يوم القر لانهم يقرون فيه في منى وهو يوم الرؤس لاكلهم الرؤس في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني من أيام منى وهو يوم النفر الاول أي ويقال له يوم الاكارع أي لاكلهم الاكارع في ذلك اليوم وأوصى بذي الارحام خيرا فقد خطب صلى الله عليه وسلم في الحج خمس خطب الاولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة والثانية يوم عرفة والثالثة يوم النحر بمنى والرابعة يوم القر بمنى والخامسة يوم النفر الاول بمنى أيضا ثم نهض صلى الله عليه وسلم من منى في اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الآخر ونفر معه المسلمون

وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وأخرج ابن سعد عما هو مذكور في بعض الكتب المنزلة ان ابراهيم عليه السلام لما أمر باخراج هاجر حملها على البراق فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة الا قال أنزل ههنا يا جبريل فيقول له لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في أعلام النبوة تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى فظهرت فيه نبوته وجبال فاران هي جبال بني هاشم التي بمكة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في أحدها وفيه فاتحة الوحي وهو حرا قال ابن قتيبة ولا اشكال في هذا لان تجلي الله من سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف فان قال قائل منهم ان جبال فاران ليست بمكة قلنا له أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها افشوه قال في المواهب وفي التوراة أيضا مما ذكره ابن ظفر في اثناء خطاب لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه مانصه وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شيء أمرته وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني أنتقم منه

وفى هذا الكلام أدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بنى اسحق واخوتهم بنو
اسمعيل ولو كان هذا النبى الموعود به من بنى اسحق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم وقوله نبيا مثلك وقد قال فى التوراة لا يقوم فى
بنى اسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام ٢٠٠ وفى ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم فى بنى اسرائيل أبدا فذهبت اليهود
الى ان هذا النبى الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له فى حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفء موسى لانه ماثله فى نصب الدعوة والتحدى بالمعجزة وشرح الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامى فى فمه واضح فى ان المقصود به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحى اليه بكلامى فينطق به على ما سمعه ولا أنزل صحفا ولا ألواحا لانه أمى لا يحسن ان يقرأ المكتوب وفى الانجيل عن عيسى عليه السلام انى أطلب الى ربى فارقليط يكون معكم الى الابد وفيه أيضا على لسانه فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى أى بالنبوة يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته وانى قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفيه أيضا أقول لكم الآن حقا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم أنطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلت به اليكم فاذا جاء يفند العالم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر وروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه وفيه أيضا مما ذكره ابن ظفر بأن فى الدر المنظم عن المسيح عليه السلام انه قال أنا أطلب لكم
من الله ان يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقتلوه فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم
من يقوم مقامه و ينوب عنه فى تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه

بعد الزوال أى وبعد الرمى واستأذنه عمه العباس رضى الله عنه فى عدم المبيت بمنى فى الليالى
الثلاث من أجل السقاية فرخص له فى ذلك وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة بالمحصب وهو
الابطح أى ضربها له أبو رافع رضى الله عنه وكان على ثقله ولم يأمره صلى الله عليه وسلم بذلك
فعن أبى رافع رضى الله عنه لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنزل الابطح ولكنى
جئت فضربت قبته فجاء فنزل وكان صلى الله عليه وسلم قال لاسامة رضى الله عنه غدا ننزل
بالمحصب وهو المحل الذى تحالف فيه قريش وكنانة على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب حتى
يسلموا لهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أى وكان ذلك سبب الكتابة الصحيفة وفيه انه تقدم
فى فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون عند شعب أبى طالب المكان الذى حصرت فيه
بنو هاشم و بنو المطلب وانه خيف بنى كنانة الذى تقاسمت قريش فيه جماعتهم وفى مسلم عن أبى
هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث
تقاسموا على الكفر ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحصب صلى به الظهر والعصر والمغرب
والعشاء ورقد رقدة ثم ان عائشة رضى الله عنها قالت له يا رسول الله أرجع بحجة ليس معها عمرة
فدعا عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقال اخرج باختك من الحرم ثم افرغا من طوافكما
حتى تأتيانى ههنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفى لفظ فاعتمرنا من التنعيم مكان عمرتى
التى فاتتنى وفرغنا من طوافنا فى جوف الليل فأتيناه صلى الله عليه وسلم بالمحصب فقال فرغتما
من طوافكما قلنا نعم فأذن فى الناس بالرحيل وفى رواية فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة الها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها واعترض كيف يأتى قولها
عمرتى التى فاتتنى مع قوله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك وكيف أقرها صلى
الله عليه وسلم على ذلك وأجيب بانها لما رأت صواحبها أتين بعمرة ثم بحج وهى لم تأت الا بحج
أحبت ان تأتى بعمرة أخرى زائدة على الحج وان كانت العمرة مندرجة فيه وأقرها صلى الله عليه
وسلم تطييبا لخاطرها لانه صلى الله عليه وسلم كان معها اذا هويت الشئ الذى لا مخالفة فيه
للشرع تابعها عليه وبهذا استدل أئمتنا على جواز الاحرام بالعمرة قبل طواف الوداع وأمر صلى
الله عليه وسلم الناس أن لا ينصرفوا الى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت
أى الذى هو طواف الوداع ورخص صلى الله عليه وسلم فى ترك المؤمنين ذلك الحائض التى قد
طافت طواف الافاضة قبل حيضها كصفية أم المؤمنين رضى الله عنها فانها حاضت بعد طواف
الافاضة ليلة النفر من منى أى وقالت ما أرانى الا حابستكم لانتظار طهرى وطواف الوداع
فقال لها صلى الله عليه وسلم أو ما كنت طفت يوم النحر أى فى لفظ ما كنت طفت طواف الافاضة
يوم النحر قالت بلى قال لا بأس انفرى معنا وفى رواية قال يكفيك ذلك أى لانه هو طواف الركن
الذى لا بد لكل أحد منه بخلاف طواف الوداع لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر لتطهر
وتأتى به ولا دم عليها فى تركه قال الامام النووى رحمه الله وهذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة
الا ما حكى عن بعض السلف وهو شاذ مردود ثم انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى ثلث الليلة
وطاف طواف الوداع سحر قبل صلاة الصبح ثم خرج من الثنية السفلى ثنية كدى بضم الكاف
والقصر

وسلم وقد اختلفت النصارى فى تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى
ان المخلص رسول يأتى بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبى مخلص لامته من الكفر و يشهد له قول المسيح فى الانجيل انى
جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذى وصف نفسه بانه مخلص العالم ٢٠١ وهو الذى سأل الله أن يعطيكم فارقليط آخر
ففى مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتى فارقليط آخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فأى لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا وفى بعض تراجم الانجيل ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شئ ويذكرهم وفى الانجيل الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وفيه أيضا فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الذى أرسله وهذا كما قال تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى قال ابن ظفر فمن ذا الذى وبخ العالم على كتم الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در أبى محمد الشقراطى حيث قال

توراة موسى أتت عنه فصدقها
انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت
عما رأوا ورووا فى الاعصر الاول

ويعجبنى قول العارف الربانى أبى عبد الله بن النعمان

هذا النبى محمد جاءت به * توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق * ذكرا لاحمد معرب ومذكر

وفى الدلائل للبيهقى عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبى امامة الباهلى عن هشام بن العاص الاموى قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل
صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه أرسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشئ كهيئة الربعة العظيمة مذهبة

والقصر وهو عند باب شبيكة متوجها الى المدينة أى التى خرج منها لما فتح مكة كما تقدم وكان
خروجه صلى الله عليه وسلم من المسجد من باب الحزورة و يقال له باب الحناطين وجاء عن جابر
رضى الله عنه أن خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان عند غروب الشمس فلم يصل حتى
أتى سرف قال بعضهم لعل هذا كان فى غير حجة الوداع فانه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت بعد
صلاة الصبح فما أخره الى وقت الغروب هذا غريب جدا هذا كلامه وما روى أنه صلى الله
عليه وسلم رجع بعد طواف الوداع الى المحصب غير محفوظ أقول هذا جمع به الامام النووى
رحمه الله بين الروايات المتقدمة عن عائشة حيث قال ووجه الجمع انه صلى الله عليه وسلم بعث
عائشة مع أخيها بعد نزوله المحصب وواعدها أن تلحقه بعد اعتمارها ثم خرج هو صلى الله عليه
وسلم بعد ذهابها فقصد البيت ليطوف طواف الوداع ثم رجع بعد فراغه من طواف الوداع فلقيها
وهو صادر وهى داخلة لطواف عمرتها ثم لما فرغت لحقته وهو فى المحصب قال وأما قولها فاذن
فى أصحابه فخرج ومر بالبيت وطاف فيتأول بأن فى الكلام تقديما وتأخيرا والا فطوافه صلى الله
عليه وسلم كان بعد خروجها الى العمرة وقبل رجوعها وأنه فرغ قبل طوافها للعمرة هذا كلامه
فليتأمل فكانت مدة دخوله صلى الله عليه وسلم الى مكة وخروجه منها عشرة أيام وهذا
السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يأت بعمرة بعد حجه وهو لا يناسب القول بأنه أحرم
مفردا بالحج بل يدل للقول بأنه أحرم قارنا أو نواهما بعد اطلاق الاحرام أو ادخل الحج على العمرة
وفى كلام بعضهم لم يعتمر صلى الله عليه وسلم تلك السنة عمرة مفردة لا قبل الحج ولا بعده ولو جعل
حجه منفردا لكان خلاف الافضل أى لانه لم يقل أحد ان الحج وحده من غير اعتمار فى سنته
أفضل من القران وفى كلام بعض آخر أجمعوا على انه لم يعتمر بعد الحج فتعين أن يكون متمتعا تمتع
قران وقد يطلق الافراد على الاتيان باعمال الحج فقط وان كان قد أحرم بهما معا كما ان القران
قد يطلق على الاتيان بطوافين وسعيين فمن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه أفرد الحج أراد به أنه
أتى باعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا ولم أقف على انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فى هذه
الحجة التى هى حجة الوداع ولما طاف صلى الله عليه وسلم سبعا وقف فى الملتزم بين ركن الحجر و بين
باب الكعبة فدعا الله وألزق جسده أى صدره الشريف و وجهه بالملتزم أى ولما وصل صلى الله
عليه وسلم الى محل بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين
فيها فضل على كرم الله وجهه و براءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن
بسبب ما كان صدر منه اليهم من المعدلة التى ظنها بعضهم جورا و بخلا والصواب كان معه كرم
الله وجهه فى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول
ربى فأجيب أى وفى لفظ فى الطبرانى فقال يا أيها الناس انه قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبى
الا نصف عمر الذى يليه من قبله وانى لاظن أن يوشك أن أدعى فأجيب وانى مسؤل وانكم
مسؤلون فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال صلى
الله عليه وسلم أليس تشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وناره
حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث

لها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فاذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر وأخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو وانا نعلم انه كأنه ينظر اليك فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما والله انه لآخر البيوت ولكنى عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فأنزل الله عليه صورهم فكانت فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال عليه السلام وفى الزبور فى مزبور أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك الله الى الابد تقلد أيها الجبار السيف فان شرائعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون بحبك فهذا المزبور بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هى القول الذى يقوله وهو الكتاب الذى أنزل عليه والسنة التى سنها وفى قوله تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبى العربى اذ ليس يتقلد السيوف أمة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفى قوله فان شرائعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار هو الذى يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت فى بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لأنزلن على

من فى القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد الحديث ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته أى فقال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى لن يتفرقا حتى يردا على الحوض وقال فى حق على كرم الله وجهه لما كرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبون صلى الله عليه وسلم بالتصديق والاعتراف ورفع صلى الله عليه وسلم يد على كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار وهذا أقوى ما تمسك به الشيعة والامامية والرافضة على ان عليا كرم الله وجهه أولى بالامامة من كل أحد وقالوا هذا نص صريح على خلافته سمعه ثلاثون صحابيا وشهدوا به قالوا فالعلى عليهم من الولاء ما كان له صلى الله عليه وسلم عليهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ألست أولى بكم وهذا حديث صحيح ورد باسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح فى صحته كأبى داود وأبى حاتم الرازى وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الى آخره موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبى كثيرا منها وقد جاء ان عليا كرم الله وجهه قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشد الله من ينشد يوم غدير خم الا قام ولا يقوم رجل يقول أنبئت أو بلغنى الا رجل سمعت أذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيا وفى رواية ثلاثون صحابيا وفى المعجم الكبير ستة عشر وفى رواية اثنا عشر فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث ومن جملته من كنت مولاه فعلى مولاه وفى رواية فهذا مولاه وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه وكنت ممن كتم فذهب الله ببصرى وكان على كرم الله وجهه دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه فى سائر الامصار وطار فى جميع الاقطار بلغ الحرث بن النعمان الفهرى فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وحوله أصحابه فجاء حتى جثا بين يديه ثم قال يا محمد انك أمرتنا أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلنا ذلك منك وانك أمرتنا أن نصلى فى اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكى أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك ففضلته وقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شئ منك أم من الله فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله الذى لا اله الا هو انه من الله وليس منى قالها ثلاثا فقام الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك وفى رواية اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأرسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع الآية وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذى الحجة وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيدا فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى حدود الاربعمائة فى دولة بنى بويه وما جاء من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا قال بعضهم قال الحافظ الذهبى هذا حديث منكر جدا أى بل كذب (فقد ثبت فى الصحيح) ما معناه أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين

شهرا

جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولأخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يرضى بالله ربا وبه رسولا يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبى وشرفته قال الله يا موسى انى أنتقم من عدوه فى الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل ربيته وللقسط أخرجته وعزتى لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم وأختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برئ نقله فى المواهب عن ابن ظفر (ومن دلائل نبوته) صلى الله عليه وسلم خبر ورقة بن نوفل بن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بما رأته منه من أعلام النبوة وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال

تبكر أم أنت العشية رائح
وفى الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم
كأنك عنهم بعد يومين نازح
فأخبار صدق خبرت عن محمد
يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذى وجهت يا خير حرة
بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التى غدت
وهن من الاحمال قعص ذوابح
يخبرنا عن كل خير بعلمه
وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل
الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظنى به ان سوف يبعث صادقا
كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
وتتبعه حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح
والا فانى يا خديجة فاعلمى * عن أرضك فى الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ما ذكره بعضهم من انه صحابى بل هو أول الصحابة بناء على انه

شهرا هذا باطل هذا كلامه فليتأمل وقد رد عليهم فى ذلك بما بسطته فى كتابى المسمى بالقول المطاع فى الرد على أهل الابتداع لخصت فيه الصواعق للعلامة ابن حجر الهيتمى وذكرت ان الرد عليهم فى ذلك من وجوه (أحدها) ان هؤلاء الشيعة والرافضة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون به على الامامة من الاحاديث وهذا الحديث مع كونه آحادا طعن فى صحته جماعة من أئمة الحديث كأبى داود وأبى حاتم الرازى كما تقدم فهذا منهم مناقضة (ومن ثم قال) بعض أهل السنة يا سبحان الله من أمر الشيعة والرافضة اذا استدللنا عليهم بشئ من الاحاديث الصحيحة قالوا هذا خبر واحد لا يغنى واذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموا أتوا باخبار باطلة كاذبة لا تصل الى درجة الاحاديث الضعيفة التى هى أدنى مراتب الآحاد التى منها انه قال لعلى أخى ووصيى وخليفتى فى دينى بكسر الدال وخبر أنت سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وخبر سلموا على على بامرة الناس فانها أحاديث كاذبة موضوعة مفتراة عليه عليه أفضل الصلاة والسلام (ثانيها) ان اسم المولى يطلق على عشرين معنى منها انه السيد الذى ينبغى محبته ويجتنب بغضه ويؤيد ارادة ذلك ان سبب ايراده ذلك ان عليا كرم الله وجهه تكلم فيه بعض من كان معه باليمن من الصحابة وهو بريدة فقدم هو واياه عليه صلى الله عليه وسلم فى تلك الحجة التى هى حجة الوداع وجعل يشكوه له صلى الله عليه وسلم لانه حصل له منه جفوة فجعل يتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا بريدة لا تقع فى على فان عليا منى وأنا منه ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه فقال ذلك لبريدة خاصة ثم لما وصل صلى الله عليه وسلم الى غدير خم أحب أن يقول ذلك للصحابة عموما أى فكما عليهم أن يحبونى فكذلك ينبغى أن يحبوا عليا وعلى تسليم أن المراد انه أولى بالامامة فالمراد فى المآل لا فى الحال قطعا والا لكان هو الامام مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمآل لم يعين له وقت فمن أين انه عقب وفاته صلى الله عليه وسلم وجاز أن يكون بعد أن يعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل لذلك أنه كرم الله وجهه لم يحتج بذلك الا بعد ان آلت اليه الخلافة ردا على من نازعه فيها كما تقدم فسكوته كرم الله وجهه عن الاحتجاج بذلك الى أيام خلافته قاض على كل من له أدنى عقل فضلا عن فهم بانه لا نص فى ذلك على امامته عقب وفاته صلى الله عليه وسلم (ثالثها) أنه تواتر النقل عن على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عند موته على خلافة أحد لا هو ولا غيره فقد قيل له كرم الله وجهه كما يأتى حدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال لا والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد الا بردتى هذه وفى رواية ما تركت أخا بنى تيم وعدى يعنى أبا بكر وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ينوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدى (رابعها) انه لو كان هذا الحديث نصا على امامته لم يسعه الامتناع من متابعة عمه العباس رضى الله تعالى عنه لما قال له العباس اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا علمناه وأيضا لو كان الحديث نصا لكان لما قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم أبو بكر رضى الله تعالى

عنه بان الائمة من قريش قالوا انه قد ورد النص بخلافة على كرم وجهه ولم يكن بين ذكر الحديث في غدير خم وبين ذلك الا نحو شهرين فاحتمال النسيان على على والعباس وعلى جميع الانصار رضى الله تعالى عنهم من أبعد البعيد على أنه ورد أنه لما قيل لعلى ان الانصار قالوا منا أمير ومنكم أمير قال كرم الله وجهه هلا ذكرت الانصار قول النبى صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم مع الوصاية بهم ودعوى الرافضة والشيعة ان الصحابة رضوان الله عليهم علموا هذا النص ولم يعملوا به عنادا غير مسموعة اذهى ظاهرة البطلان لان فى ذلك تضليلا لجميع الصحابة وهم رضى الله تعالى عنهم معصومون عن ان يجتمعوا على ضلالة ومن العجب العجيب ان بعض غلاة الرافضة يقول بتكفير الصحابة بسبب ذلك وان عليا كرم الله وجهه كفر لانه أعان الكفار على كفرهم وأما دعواهم ان عليا انما ترك النزاع فى أمر الخلافة تقية وامتثالا لوصيته صلى الله عليه وسلم أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفا فكذب وافتراء اذ كيف يجعله اماما على الامة ويمنعه ان يسل سيفا على من امتنع من قبول الحق وكيف منع سل السيف على أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم مع قلة أتباعهم وكثرة أتباعه وسله على معاوية رضى الله تعالى عنه مع وجود من معه من الالوف ولما ساغ له أن يقول كما تقدم لو كان عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تيم وعدى ينوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولما بين سبب تركه لمقاتلة أبى بكر وعمر وعثمان ومقاتلته لمعاوية بان أبا بكر اختاره صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه فولاها عمر فبايعناه وأعطيت ميثاقى لعثمان فلما مضوا بايعنى أهل الحرمين وأهل المصرين البصرة والكوفة فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى ولا سابقته كسابقتى وكنت أحق بها منه يعنى معاوية رضى الله تعالى عنه كما سيأتى ومن ثم لما قيل للحسن المثنى بن الحسن السبط ان خبر من كنت مولاه فعلى مولاه نص فى امامة على كرم الله وجهه قال أما والله لو يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم ولقال لهم يا أيها الناس هذا وال بعدى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا له وأطيعوا والله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد اليه فى ذلك ثم تركه كان أعظم خطيئة (وقد سئل الامام النووى رحمه الله) هل يستفاد من قول النبى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه أنه كرم الله وجهه أولى بالامامة من أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فاجاب أنه لا يدل على ذلك بل معنى ذلك عند العلماء الذين هم أهل هذا الشأن وعليهم الاعتماد فى تحقيق ذلك من كنت ناصره ومواليه ومحبه ومصافيه فعلى كذلك وقد قيل فى سبب ذلك ان أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى وانما مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذى الحليفة بات بها أى لانه صلى الله عليه وسلم كان كره أن يدخل المدينة ليلا (ولما رأى المدينة) كبر ثلاث مرات وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل عليه الصلاة والسلام

اجتمع فى بعد الرسالة اذ صح انه أتاه بعد مجئ جبريل عليه السلام اليه واخباره له عن ربه بأنه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له أبشر فانا أشهد انك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا على القارى فى شرح الشفاء وأما ما نقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ويرده ما فى صحيح البخارى عنه صريحا وبالجملة فأخبار الاحبار والرهبان الواردة فى ذكره صلى الله عليه وسلم وشهادتهم بأنه النبى الموعود به لا تكاد تحصر وانما امتنع من امتنع منهم من الدخول فى الاسلام حسدا وعنادا واختيار البقاء على الشقاء وقد قرع أسماعهم بأنه مذكور فى كتبهم وان صفته عندهم كذا وصفة أصحابه كذا كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع الآية فقد احتج عليهم صلى الله عليه وسلم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وابهم ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ودعاهم الى المباهلة فما منهم الا من فرعن معارضته وعن ابداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره أهون عليهم من بذل النفوس وتخريب الديار ونبذ القتال ﴿ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم﴾ ما سمع من أجواف الاصنام وما وجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور بالخط القديم وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أول هذا الكتاب وكان ذلك سببا لاسلام كثير ممن شاهده ﴿ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم﴾ ما ظهر من خوارق العادات عند مولده وفى أيام رضاعه عند حليمة رضى الله عنها وما حكته أمه آمنة فى مدة حملها وعند ولادتها وما حكاه من حضر مولده

المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة

﴿باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم﴾

قد اعتمر صلى الله عليه وسلم أى بعد الهجرة أربع عمر فقد قال بعضهم لا خلاف ان عمره صلى الله عليه وسلم لم تزد على أربع أى كلهن فى ذى القعدة مخالفا للمشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة فى أشهر الحج ويقولون هى من أفجر الفجور أى كما تقدم وأول تلك الاربعة عمرة الحديبية أى وكانت فى ذى القعدة التى صده فيها المشركون عن البيت وثانيها عمرته صلى الله عليه وسلم من العام المقبل أى وهى عمرة القضاء وكانت فى ذى القعدة كما تقدم وعن قتادة رضى الله تعالى عنه كان المشركون فجروا عليه صلى الله عليه وسلم حيث ردوه فى الحديبية وكان فى ذى القعدة فاقتص الله منهم وأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى هو ذو القعدة وأنزل الله الشهر الحرام بالشهر الحرام وثالثها عمرته صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت فى ذى القعدة ودخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت بها ومن ثم خفيت على الناس كما تقدم ورابعها عمرته صلى الله عليه وسلم مع حجة الوداع أى التى دخلت فى الحج بناء على انه أحرم قارنا أو التى أدخلها على الحج بناء على أنه أحرم بالحج خصوصية له أو عينها بعد ان أحرم مطلقا على ما تقدم فانه أحرم لخمس بقين من ذى القعدة وقد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا سوى التى قرنها بحجة الوداع وأخرج البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها فى ذى القعدة الا التى فى حجته أى فانه لم يوقعها فى ذى القعدة بل أوقعها فى ذى الحجة تبعا للحج وأما احرامه بها فكان فى ذى القعدة فى خمس بقين منه كما تقدم وأخرجا أيضا أن عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال كنت أنا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب قال نعم فقلت لعائشة أى أمتاه الا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب فقالت يغفر الله لابى عبد الرحمن ما اعتمر عمرة الا وهو شاهدها وفى رواية الا وهو معه وما اعتمر فى رجب قط أى وانما اعتمر فى ذى القعدة ولكن روى الدارقطنى رحمه الله عنها رضى الله تعالى عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة فى رمضان فافطر وصمت وقصر وأتممت (قال فى الهدى) انه غلط عليها وهو الاظهر فانه صلى الله عليه وسلم ما اعتمر فى رمضان قط ﴿أقول﴾ وزاد بعضهم أنه اعتمر أيضا عمرتين عمرة فى رجب وعمرة فى شوال فيكون اعتمر ستة الا أن يقال يجوز أن يكون مستند القائل بأنه اعتمر فى رجب قول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما المتقدم وقد تقدم رده وجاز أن يكون قوله اعتمر فى شوال أى خرج للعمرة فى شوال وهى العمرة التى كانت فى ضمن حجة الوداع والله أعلم

﴿باب ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾

التى يمكن التحدى بها سواء تحدى بها بالفعل كالقرآن وتمنى اليهود الموت أولا وتلك المعجزة اصطلاحا هى الحاصلة له صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الى وفاته وأما الامور الحاصلة له بين

من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطا فى باب ذكر الخوارق التى ظهرت فى رضاعه وقبله وبعده أيضا فارجع اليه ان شئت ﴿ومن دلائل نبوته﴾ صلى الله عليه وسلم انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه قال القاضى عياض قد أتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة فى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا وبحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عديدة ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وثانيهما انه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة وكل آية منه كذلك وقال بعضهم كل جملة منه معجزة وفى القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف واعجازه من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه اعجاز آخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد وان نظرت الى بقية وجوه الاعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا فى حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه ثم ان الاخبار والاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى أبواب خوارق العادات والاخبار بالمغيبات تبلغ نحو ذلك من التضعيف مع ما فى معجزاته صلى الله عليه وسلم من الشهرة والوضوح وكانت معجزات الرسل على حسب حال أهل زمانهم فلما كان زمن موسى عليه السلام كان غاية علم أهله السحر فبعث الله اليهم موسى عليه السلام بمعجزة

تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة لطب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم ثم ان الله بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة المقرونة بالفصاحة والشعر والاخبار بانساب العرب وأيامها ووقائعها والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الاربعة بسبب ما فيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الحوادث والاسرار والمخبآت التي كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشياطين بالشهب وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه منضما الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهد زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وجميع معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بانتقالهم ومعجزة نبينا صلى الله

يدي أيام مولده وبعثته وقبل ذلك من الامور الخارقة للعادة الغريبة الموهنة للكفر التي يعجز عن بلوغها قوى البشر ولا يقدر عليها الا خالق القوى والقدر لانها في الاصطلاح يقال لها ارهاصات وتأسيسات للرسالة ولا تسمى في الاصطلاح معجزات وهي اذا تليت على قلب المؤمن زادته ايمانا واذا تكثر فيها ذو البصيرة واليقين زادته ايقانا فان كل من أرسله الله عز وجل لم يخله من آية أيده بها مخالفة للعادات لكون ما يدعيه من الرسالة مخالفا لها فيستدل بتلك الآية على صدقه فيما يدعيه لان اقترانها بدعواه الرسالة تصديق له فيها (وقد كانت للانبياء) أي الرسل معجزات مختلفة أي وهو صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزة وأعظمهم آية وأظهرهم برهانا أي فقد جاء ما من الانبياء من نبي الا وقد أعطي من الآيات ما آمن عليه البشر أي آمنوا بسبب اظهاره وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله عز وجل الي وهو القرآن لانه الذي تحداهم به فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة أي فانه لما غلب السحر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه في معجزاته فألقى العصا وفلق البحر ولما غلب الطب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه فأحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر في زمن نبينا عليه الصلاة والسلام جاءهم بالقرآن وهذا السياق يدل على أن المعجزة خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ويوافق ذلك قول صاحب المواقف وشرحه وهي أي المعجزة بحسب الاصطلاح عبارة عما قصد به اظهار صدق من ادعى أنه رسول الله لكنه قال في شروط المعجزة الرابع أن يكون أي الامر الخارق للعادة ظاهرا على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له انتهى فيحتمل أنه أراد بالنبوة الرسالة ويحتمل أنه أراد بها ما يعم الرسالة للتخصيص نفسه لان النبي غير الرسول مرسل لنفسه ودعواه النبوة متضمنة لدعواه الرسالة لنفسه فهو رسول الى نفسه فتكون المعجزة عامة في حق الرسول والنبي الذي ليس برسول ومما يؤيد هذا الثاني قول النسفي رحمه الله في عقائده وأيدهم قال السعد رحمه الله أي الانبياء بالمعجزات الناقضات للعادات (ثم قال) وقد روي بيان عددهم في بعض الاحاديث قال السعد على ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا ويؤيده أيضا قول الامام السنوسي في شرح عقيدته الكبرى ان معجزة النبي غير الرسول يجوز أن تتأخر بعد موته بخلاف معجزة الرسول فان فيها خلافا الى آخر ما ذكر ومما يؤيد هذا الثاني أيضا ما نقله في الخصائص الصغرى عن بعضهم وأقره فرض الله على الانبياء اظهار المعجزات ليؤمنوا بها وفرض على الاولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتنوا بها انتهى فقد قابل بين المعجزة والكرامة وفيه تصريح بأنه يجب على النبي غير الرسول اظهار المعجزة (وعن القرافي المالكي) رحمه الله أنه يجب على النبي أنه يخبر بنبوته وذكر في الاصل أن الغرض ذكره نبذة من معجزاته صلى الله عليه وسلم والاعجاز انه صلى الله عليه وسلم كالبحر المتدافق بالامواج (وقد ذكر بعض العلماء) أن معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وفي كلام بعض آخر أنه صلى الله عليه وسلم أعطي ثلاثة آلاف معجزة أي غير القرآن فان فيه ستين وقيل سبعين ألف معجزة تقريبا (قال في الخصائص) قال الحليمي وليس في شئ من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الاجسام فان ذلك من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة هذا كلامه (وفيه) أن هذا

معارض

عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة وقوله ما من الانبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر معناه ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيأ ألجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمنه وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يلح برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى وانما كان الذي أوتيت وحيا معجزا في أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة فلذا رتب عليه قوله فأرجو أي بسبب بقائه وظهور ضيائه أني أكثرهم تابعا وقيل المراد أنه وحي وكلام لا يمكن فيه التخيل ولا التحيل فان غير معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم قد قصد المعاندون ابطالها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه ثم ان عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم والسبي والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد فذلك أبين آية وأظهر علامة وأبهر دلالة للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته فعجزهم

معارض بقول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير الآية والغرض ذكر تلك النبذة مجموعة وان كان أكثرها قد سبق لكنه مفرق أي وأنبه على ما تقدم بقولي أي كما تقدم وأسكت عن ذلك فيما لم يتقدم (فمن معجزاته) صلى الله عليه وسلم وهو أعظمها القرآن أي لانه تعالى أتى به مشتملا على أخبار الامم السالفة وسير الانبياء الماضية التي عرفها أهل الكتاب وهو صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا عرف بمجالسة الكهان والاحبار لانه صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين أظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار القرون الماضية والامم السالفة التي اشتمل عليها أي ومن كان من العرب يكتب ويقرأ أو يجالس الاحبار لم يدرك علم ما أخبر به القرآن خصوصا عن المغيبات المستقبلة الدالة على صدقه لوقوعها على ما أخبر به وقد أعجز الفصحاء البلغاء أي لحسن تأليفه والتئام كلماته بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته أحكمت آياته وفصلت كلماته تحارت فيه عقولهم وتبلدت فيه أحلامهم وهم رجال النظم والنثر وفرسان السجع والشعر وقد جاء على وصف مباين لاوصاف كلامهم النثر لان نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب ولا الاشعار واسجاع الكهان وقد تحداهم ودعاهم الى معارضته والاتيان باقصر سورة منه أي وهو دليل قاطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم ذلك الا وهو واثق مستيقن أنهم لا يستطيعون ذلك لكونه من عند الله اذ يستحيل أن يقول صلى الله عليه وسلم ذلك وهو يعلم أنه الذي تولى نظمه ولم ينزل عليه من عند الله اذ لا يأمن أن يكون في قومه من يعارضه وهم أهل فصاحة وشعر وخطابة قد بلغوا الدرجة العليا في البلاغة وهو من جنس كلامهم فيصير كذابا ولو كان في استطاعة أحد منهم ذلك لما عدلوا عن ذلك الى المحاربة التي فيها قتل صناديدهم ونهب أموالهم وسبي ذراريهم أي لان النفوس اذا قرعت بمثل هذا استفرغت الوسع في المعارضة فهو ممتنع في نفسه عن المعارضة خلافا لمن قال انما لم تقع المعارضة منهم لان الله تعالى صرفهم عنها مع وجود قدرتهم عليها لانه وان كان صرفهم عنها فيه اعجاز لكن الاعجاز في الاول أكمل وأتم وهو اللائق بعظيم فضل القرآن (ومن ثم لما جاءه الوليد بن المغيرة) وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة وكان يقال له ريحانة قريش كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون قال له أعده فأعاد ذلك قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وانه ليعلو ولا يعلى عليه وفي رواية قرأ عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب الآيات فانطلق حتى أتى منزل أهله بني مخزوم فقال والله كلام محمد ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن الى آخر ما تقدم ثم انصرف الى منزله فقالت قريش قد صبأ الوليد والله لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فقعد على هيئة الحزين قرب الوليد فقال له مالي أراك كئيبا قال وما يمنعني ان أحزن وهذه قريش قد جمعوا لك نفقة ليعينوك على أمرك وزعموا انك انما زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه فغضب الوليد وقال أوليس قد علمت قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام فانطلق مع أبي جهل حتى أتى مجلس بني مخزوم فقال هل تزعمون أن محمدا كذاب فهل رأيتموه كذبكم قط قالوا اللهم لا قال فتزعمون

أنه مجنون فهل رأيتموه خرف كم قط أى أتى بالخرافات من القول قالوا لا قال تزعمون أنه كاهن فهل سمعتموه يخبر بما تخبر به الكهنة قالوا لا فعند ذلك قالت له قريش فما هو يا أبا المغيرة فقال ان هذا الا سحر يؤثر وقد سمع اعرابى رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد فقيل له فى ذلك فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد أن مخلوقا ان يقدر على مثل هذا الكلام أى ولما سمع الاصمعى من جارية خماسية أوسداسية فصاحة فعجب منها فقالت له أوتعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين و بشارتين ولما أراد بعضهم معارضة بعض سوره وقد أوتى من الفصاحة والبلاغة الحظ الاوفى فسمع صبيانى المكتب يقرأ وقيل يا أرض ابلعى ماءك و يا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر رجع عن المعارضة ومحا ما كتبه وقال والله ما هذا من كلام البشر (قال بعضهم) ولم يتحد صلى الله عليه وسلم بشئ من معجزاته الا بالقرآن قال بعضهم كل جملة من القرآن معجزة وحفظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور وقارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل لا يزال مع تكريره وترديده غضا طريا تتزايد حلاوته وتتعاظم محبته وغيره من الكلام ولو بلغ الغاية يمل مع الترداد و يعادى اذا أعيد يؤنس به فى الخلوات و يستراح بتلاوته من شدائد الازمات واشتمل على جميع ما اشتملت عليه جميع الكتب الالهية وزيادة (وقد قال بعض بطارقة الروم) لما أسلم لعمر رضى الله تعالى عنه ان آية ومن يطع الله ورسوله و يخش الله و يتقه جمعت جميع ما أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام من أحوال الدنيا والآخرة (قال الحليمى) فى منهاجه ومن عظم قدر القرآن ان الله خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن هذا النبى قط انما يكون لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها وقد جمعهما الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن فهو دعوة وحجة دعوة بمعانيه حجة بألفاظه وكفى الدعوة شرفا أن تكون حجتها معها وكفى حجتها شرفا أن لا تنفصل دعوتها عنها وجمع كل شئ أى خصوصا الاخبار بالمغيبات وتوجد على طبق ما أخبر به والاخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وقصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين والامم الماضية كقصص الانبياء مع أممهم وتيسره للحفظ ولا تنقضى عجائبه ولا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء (ومنها) شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أى والتئامه من غير حصول أدنى ضرر ولا مشقة مع تكرر ذلك أربعا أو خمسا كما تقدم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس أى لما أخبر قريشا بأنه أسرى به الى بيت المقدس كما تقدم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بموت النجاشى يوم موته وصلاته عليه مع أصحابه فقال المنافقون انظروا هذا يصلى على علج نصرانى أى لم يره قط فأنزل الله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية (ومنها) انشقاق القمر كما تقدم (ومنها) أن الملأ من قريش لما تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وجاؤا الى منزله صلى الله عليه وسلم وقعدوا الى بابه فخرج عليهم وقد خفضوا أبصارهم وسقطت ذقونهم فى صدورهم وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤسهم فقبض قبضة من تراب والقبضة بضم القاف الشئ المقبوض و بفتحها المرة الواحدة وقال شاهت الوجوه أى قبحت وألقاها على رؤسهم فكل من أصابه شئ من ذلك قتل يوم بدر كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم هزم القوم يوم حنين بقبضة

عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى أنفسها كقلب العصا حية ونحوه فانه قد يسبق الى بال الناظر مبادرة قبل التأمل ان ذلك من الاختصاص ٣٠٨ بمزيد المعرفة فى ذلك الفن كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر بخلاف ما لا يعرف انه معجز الا بالتأمل والفكر فانه حينئذ يتحقق الفهم و يضمحل الوهم و يتبين للقلب الحى ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل الفاعل القوى القادر والتحدى للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعى على المعارضة أبلغ وأظهر من خرق العادة بغيره ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الادراك ما ليس لغيرهم جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة بوجوه الاعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون و بنى اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ما عدا العرب فانهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى وجوز عليهم السامرى ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدت طائفة من بنى اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام بعد مجيئهم من الآيات الظاهرات البينة للابصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع وانما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ومنهم من أدرك بعثته صلى

من تراب رمى بها فى وجوههم كما تقدم له فى بدر مثل ذلك (ومنها) نسج العنكبوت عليه صلى الله عليه وسلم فى الغار أى وعلى بعض أتباعه كما تقدم (ومنها) ما وقع لسراقة رضى الله تعالى عنه من غوص قوائم فرسه فى الارض الجلد كما تقدم فى خبر الهجرة (ومنها) در الشاة التى لم ينز الفحل عليها كما تقدم فى قصة شاة أم معبد وفى قصة أخرى عن أبى العالية قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أبياته التسعة يطلب طعاما وعنده ناس من أصحابه فلم يجد فنظر الى عناق فى الدار ما نتجت قط فمسح مكان ضرعها فدفقت بضرع مدلى بين رجليها فدعا بقعب فحلب فيه فبعث الى أبياته قعبا قعبا ثم حلب فشرب وشربوا (ومنها) دعوته صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه أن يعز الله به الاسلام فكان كذلك كما تقدم (ومنها) دعوته صلى الله عليه وسلم لعلى أن يذهب عنه الحر والبرد فلم يشك واحدا منهما وكان كرم الله وجهه يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر كما تقدم (أى ومن ذلك ما حدث به بلال) رضى الله تعالى عنه قال أذنت فى غداة باردة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلم ير فى المسجد أحدا فقال أين الناس فقلت حبسهم البرد فقال اللهم أذهب عنهم البرد قال فلقد رأيتهم يتروحون فى الصلاة (ومنها) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه وقد أصابه مرض واشتد به وسمعه يقول اللهم ان كان أجلى قد حضر فأرحنى وان كان متأخرا فاشفنى وان كان بلاء فصبرنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد ذلك عليه فمسح صلى الله عليه وسلم بيده المباركة الشريفة ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك المرض اليه (أى ومنها) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضى الله تعالى عنه فى الخندق ليلة انهزام الاحزاب بأن الله يذهب عنه البرد فكان كأنه يمشى فى حمام كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم تفل فى عينى على كرم الله وجهه وهو أرمد فعوفى من ساعته كما تقدم فى خيبر (أى ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم بصق فى نحر كلثوم بن الحصين وقد رمى فيه بسهم يوم أحد فبرأ كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم تفل على أثر سهم فى وجه أبى قتادة فى غزاة ذى قرد فما ضرب عليه ولا قاح كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤلمه كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ضربة بساق سلمة ابن الاكوع رضى الله تعالى عنه يوم خيبر فبرئت كما تقدم (أى ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم نفث على رجل ورأس زيد بن معاذ رضى الله تعالى عنه حين أصابهما السيف عند قتل كعب بن الاشرف فبرئا كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ساق على بن الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم نفث على يد معوذ بن عفراء وقد قطعها عكرمة بن أبى جهل يوم بدر وجاء يحملها فألصقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتصقت كما تقدم (ومنها) أن محمد بن حاطب يحدث عن أمه أنها ولدته بأرض الحبشة وانها خرجت به قالت حتى اذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طعاما ففنى الحطب فذهبت أطلب فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فقدمت المدينة فأتيت بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمى بك أى بعد الاسلام قالت فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فيك ومسح على ذراعك ودعا لك ثم تفل على يدك ثم قال أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما قالت فما قمت من عنده صلى الله عليه وسلم حتى برئت يدك (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم

الله عليه وسلم فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا واكتسبوا احسانا وايقانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وعن همته ٣٠٩ وبركة متابعته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم فى نصرته فجميع هذه الاشياء لم توجد فى غير القرآن من بقية المعجزات ولم تكن لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ممن أوتى خوارق العادات وأما كونه لم يؤت أحد من الانبياء شيأ من المعجزات الا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها فقد تصدى العلماء لبيان ذلك فقالوا انه صلى الله عليه وسلم أعطى ما أعطيه جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واختص بأشياء لم يعطها أحد غيره فمن ذلك انه أوتى جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا فى حال نبوته أى بعد بعثته وزمان رسالته ولما أعطى صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة علمنا انه الممد لكل انسان كامل مبعوث فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الانبياء والمرسلين أحوالا كثيرة زيادة على ما عندهم من الفضائل و يرحم الله الابوصيرى حيث يقول

وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

يعنى ان كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى أوجده الله قبل وجوده فى هذا العالم وما أحسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطى أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هى من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شئ وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أى تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس فى الظلم

فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التي اشتملوا عليها واوصلوها الى أممهم الصلاة والسلام قبل وجوده عليه فانها وصلت اليهم من نوره صلى الله عليه وسلم والحاصل ان جميع ماظهر على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين قبله صلى الله عليه وسلم من الانوار فانما هو من نوره الفائض الكثير الذى عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شئ فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة فنورها لم ينقص منه شئ ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها على حاله وأول ماظهر ذلك فى آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وأمده بالاسماء من مقام جوامع الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلفاء فى الارض أى تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم لاظهار منزلته وشرفه عند الله ظهر اندراج كل نور فى نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فجمع فيه مافرق فيهم فآدم عليه السلام أعطى أن الله خلقه بيده فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودى ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى مع ان المقصود من خلق آدم خلق

نفث على عاتق خبيب وقد أصيبت يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه فالتصق كما تقدم (ومنها) رده عين قتادة بعد ان سالت على خده فكانت أحسن عينيه كما تقدم (ومنها) أن ضريرا شكا اليه صلى الله عليه وسلم ذهاب بصره وانه لا قائد له فقال له صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين ولقنه دعاء فدعا به فأبصر لوقته أى (ومنها) أن رجلا ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر (قال بعضهم) رأيته وهو ابن ثمانين يدخل الخيط فى الابرة (ومنها) أن عتبة بن فرقد السلمى كان يشم منه رائحة الطيب ولا يمس طيبا لكونه صلى الله عليه وسلم نفث فى يده الشريفة ومر بها صلى الله عليه وسلم على جسده قال بعض نساء عتبة كنا أربع نسوة مامنا امرأة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب من صاحبتها ومايمس عتبة الطيب واذا خرج الى الناس قالوا ماشممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلن له يوما انا لنجتهد فى الطيب ولانت أطيب ريحا منا فلم ذلك فقال أخذنى الشرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ذلك فأمرنى أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم وألقيت ثوبى على فرجى فنفث صلى الله عليه وسلم فى يده الشريفة ودلك بها الاخرى ثم مسح ظهرى وبطنى بيديه فعبق هذا الطيب من يديه يومئذ والى ذلك أشار صاحب الاصل بقوله رحمه الله ورحمنا به

وعتبة لما مسه راح عاطرا * يضوع الشذا منه بأعطر مايحوى

(ومنها) دعوته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما بأن الله يعلمه التأويل والفقه فى الدين فعن ابن عباس رضى الله عنهما ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال اللهم علمه الكتاب وفى لفظ الحكمة وعنه رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوأ فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس قال اللهم بارك فيه وانشر منه فكان كما دعا (ومنها) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجمل جابر رضى الله عنهما فصار سابقا بعد ان كان مسبوقا كما تقدم (ومنها) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لانس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا فقد ذكر انه عاش فوق المائة وأخبر عن نفسه انه أكثر الانصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ولد من صلبه وقد كان دفن مائة وعشرين من أولاده حين قدم الحجاج البصرة وولد له بعد ذلك أى (ومنها) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لام أبى هريرة رضى الله عنهما بالاسلام فأسلمت فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنت أدعو أمى للاسلام وهى مشركة فدعوتها يوما فأسمعتنى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يارسول الله قد كنت أدعو أمى الى الاسلام فتأبى على فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبى هريرة للاسلام فخرجت مستبشرا بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم فلما جئت قصدت الى الباب فاذا هو مجاف أى مردود فسمعت أمى حس قدمى فقالت على رسلك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكى من الفرح فقلت يارسول الله أبشر فقد

استجاب

نبينا فى صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لاجل أن نور نبينا صلى الله عليه وسلم كان فى جبهته ظاهرا ولله در القائل

تجليت جل الله فى وجه آدم
فصلى له الاملاك حين توسل

وفى المواهب عن الامام سهل بن محمد قال هذا التشريف الذى شرف الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف لاستحالته فى حقه سبحانه اذ السجود من صفات الاجسام فالتشريف الذى يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة وهو السجود وأما تعليم آدم الاسماء فقد روى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلت لى أمتى فى الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها بل هو صلى الله عليه وسلم علم الاسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها فذات العلوم وحقائقها له صلى الله عليه وسلم والذى لآدم من ذلك بالنسبة له صلى الله عليه وسلم الاسماء فقط ولله در الابوصيرى حيث يقول

لك ذات العلوم من عالم الغيب * ومنها لآدم الاسماء

ولا ريب أن المسميات أعلى من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها للتبيين المسميات فهى مقصودة بالذات واليه الايماء بقوله لك ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهى دونها

استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة فحمد الله وقال خيرا (ومنها) دعاؤه صلى الله عليه وسلم فى تمر حائط جابر رضى الله عنه بالبركة فأوفى منه ماعليه وهو ثلاثون وسقا بسبب دين استدانه والده من يهودى وفضل بعد ذلك ثلاثة عشر وسقا وفى رواية سبعة عشر وسقا أى مع قلة ما كان فيه من التمر حتى قال جابر رضى الله عنه كنت أود أن يؤدى الله دين والدى ولا أرجع الى اخوتى بتمرة واحدة فان النخل فى ذلك العام لم يحمل الا القليل وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودى فى أن يصبر الى عام قابل وهو يأبى ويقول يا أبا القاسم لا أنظره فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف فى النخيل ثم قال يا جابر جذ أى اقطع واقض فأخذت فى الجذاذ ووفيته ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا فجئته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال أخبر بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذهبت فأخبرته فقال لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها وفى لفظ آخر عن جابر توفى أبى وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا النخل بما عليه فأبوا ولم يروا أن فيه وفاء فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال اذا جذذته ووضعته فى المربد فأعلمنى فجذذته فلما وضعته فى المربد آذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة أى وهذا محمل رواية ودعا صلى الله عليه وسلم فى تمر جابر بحذف حائط وقد يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم طاف فى النخل أولا ودعا ثم لما قطع التمر ووضع فى المربد جاء وجلس عليه ودعا فلا مخالفة ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع غرماءك فأوفهم فما تركت أحدا له دين الا قضيته وفضل مثله فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال أشهد أنى رسول الله (ومنها) استسقاؤه صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء أسبوعا ثم شكى له من كثرة المطر فاستصحى لهم فانجاب السحاب كما تقدم (ومنها) أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبى لهب بأن يسلط عليه كلب فافترسه الاسد من بين القوم كما تقدم * أى والاسد انما يسمى كلبا لانه يشبه الكلب فى أنه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب أهل الكهف كان أسدا وحكى انه كان رجلا يسمى بالكلب لملازمته للحراسة ويرده ماجاء ليس فى الجنة من الدواب الا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وتقدم ذلك مع زيادة وأما عتبة مكبرا فقد أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه معتب هذا هو المشهور وبعضهم عكس فقال عتبة المكبر هو عقير الاسد وعتيبة المصغر هو الذى أسلم يوم الفتح (ومنها) شهادة الشجرة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة فى خبر الاعرابى الذى دعاه الى الاسلام فقال هل من شاهد على ماتقول قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت انه كما قال ثلاثا ثم رجعت الى منبتها (ومنها) أمره صلى الله عليه وسلم للشجرتين اللتين كانتا بشاطئ الوادى أن يجتمعا ليستتر بهما عند قضاء الحاجة فاجتمعتا ثم افترقتا وذهبتا الى محلهما كما تقدم فى غزاة خيبر (ومنها) أمره صلى الله عليه وسلم انسا أن ينطلق الى نخلات يقول لهن أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجتمعن ليقضى حاجته بينكن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود الى أماكنهن فعدن كما تقدم (ومنها) مجئ الشجرة اليه صلى الله عليه وسلم لتظله وتسلم عليه فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم نام أى فى الشمس فجاءت شجرة تشق الارض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكر له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها عز وجل فى أن تسلم على فأذن لها (ومنها) حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (ومنها)

تسبيح الحصا فى كفه صلى الله عليه وسلم كما تقدم أى (ومنها) تامين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم آمين آمين آمين كما تقدم (ومنها) تسبيح الطعام بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم (ومنها) اعلام الشاة المسمومة له صلى الله عليه وسلم بانها مسمومة كما تقدم (ومنها) شكوى البعير له صلى الله عليه وسلم قلة العلف وكثرة العمل كما تقدم (أى ومنها) شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها وفى لفظ من فجع هذه بفرخيها فقلنا نحن فقال صلى الله عليه وسلم ردوهما الى موضعهما ولا مانع من وجود البيض مع الفراخ (ومنها) سجود البعير له صلى الله عليه وسلم الذى استصعب على أهله وصار كالكلب الكلب لا يقدر أحد أن يقرب اليه كما تقدم (ومنها) سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم فى بعض حوائط الانصار كما تقدم (ومنها) تكليم الجمل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم (ومنها) تكليم الحمار له صلى الله عليه وسلم فى خيبر وهو اليعفور كما تقدم (ومنها) شهادة الجمل عنده صلى الله عليه وسلم أنه لصاحبه الاعرابى دون من ادعاه ففى المعجم الكبير للطبرانى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصرنا باعرابى أخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبى صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم السلام وجاء رجل آخر كأنه حرسى فقال الحرسى يا رسول الله هذا الاعرابى سرق سرب البعير فرغا البعير ساعة وحن فانصت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة فسمع رغاءه وحنينه فلما هدأ البعير أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال للرجل انصرف عنه فان البعير شهد عليك انك كاذب فانصرف وأقبل النبى صلى الله عليه وسلم على الاعرابى فقال أى شئ قلت حين جئت لى قال قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا تبقى رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل أبداها لى والبعير ينطق بعذرك وان الملائكة قد سدوا الافق أى (ومنها) سؤال الظبية له صلى الله عليه وسلم أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلاها وعادت وتلفظت بالشهادتين فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظبية مربوطة الى خباء فقالت يا رسول الله خلنى حتى أذهب فارضع خشفى ثم أرجع فتربطنى فقال لها صيد قوم وربيطة قوم ثم استحلفها أن ترجع فحلفت له فخلاها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فخلاها وعن زيد بن أرقم نحو هذا وزاد فانا والله رأيتها تسبح فى البرية وتقول لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر بعضهم ان حديث الغزالة موضوع أى (ومنها) شهادة الذئب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم (ومنها) شهادة الضب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع المشركين ببدر فلم يعد أحد منهم مصرعه كما تقدم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن طائفة من أمته يغزون البحر وان أم حرام بالراء المهملة بنت ملحان منهم فكان كذلك كما تقدم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان رضى الله عنه بانه تصيبه بلوى شديدة فاصابته وقتل فيها

ففضل العالم بحسب فضل معلومه فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأما ادريس عليه الصلاة والسلام فرفعه الله مكانا عليا وأعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق وأعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك وهو اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أى ابطال مكايد الكفار التى كانوا يدبرونها لحربه وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أرادوا أن يطفئوا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وأن يخمد شرورهم ويحفظ لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره وفى المواهب انه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذى دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى النسائى ان محمد بن حاطب رضى الله عنه قال كنت طفلا فاصبت القدر على واحترق جلدى كله فحملنى أبى وفى رواية أمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام فى جلدى ومسح بيده على المحترق وقال أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بى ورواه الامام أحمد أيضا والبخارى فى تاريخه وقد خمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد وروى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر رضى الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه فيقول يا نار كونى بردا وسلاما على

ومنها

(ومنها) قوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى والاثرة بضم الهمزة وسكون الثاء المثلثة أى يستأثر عليكم غيركم بأمور الدنيا فكان ما وقع فى زمن معاوية فى وقعة الجمل وصفين وفى زمن ولده يزيد فى وقعة الحرة كما تقدم (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة أى من الهجرة والذى ينبغى أن تكون المائة من حين وفاته صلى الله عليه وسلم لان أبا الطفيل رضى الله عنه آخر من مات من الصحابة فكان موته بعد المائة من الوفاة وعن أبى الطفيل رضى الله عنه قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسى وقال يعيش هذا الغلام قرنا فعاش مائة سنة (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهو باب واسع جدا فمن ذلك انه جئ اليه صلى الله عليه وسلم برجل سرق فقال اقتلوه فقيل له انه سرق فقال اقطعوه ثم أتى به بعد الى أبى بكر رضى الله عنه وقد سرق فقطع ثم ثالثة ورابعة الى أن قطعت قوائمه ثم جئ به الى أبى بكر وقد سرق فقال له أبو بكر رضى الله عنه لا أجد لك شيأ الا ما قضى به فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك فانه كان أعلم بذلك ثم أمر بقتله (ومنها) قوله صلى الله عليه وسلم لقيس بن خرشة العبسى رضى الله عنه وقد قال له يا رسول الله أبايعك على ما جاء من الله وعلى ان أقول الحق يا قيس عسى ان مر بك الدهر ان يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق فقال قيس لا والله لا أبايعك على شئ الا وفيت به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لا يضرك شئ وكان قيس رضى الله عنه يعيب زيادا وابنه عبيد الله بن زياد ومن بعده فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فارسل اليه فقال له أنت الذى تفترى على الله وعلى رسوله فقال لا والله ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفترى على الله وعلى رسوله قال ومن هو قال من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال ومن ذلك قال أنت وأبوك ومن أمركما قال وأنت الذى تزعم أنك لا يضرك بشر قال نعم قال لتعلمن اليوم أنك كاذب ائتونى بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب وأيتكن صاحبة الجمل الادبب بالدال المهملة والفك لغة فى الادب الادغام وهو كثير الشعر يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فكانت تلك عائشة رضى الله عنها فانه لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه كانت عائشة بمكة لانها خرجت الى مكة وهو محاصر وكلمها مروان بن الحكم فى عدم الخروج وقال لها لا تخرجى يا أماه فجاء اليها طلحة والزبير رضى الله عنهما بعد ان بايعا عليا على كره واستأذنا عليا كرم الله وجهه فى العمرة فاذن لهما فقدما مكة وخرجت بنو أمية من المدينة ولحقت بمكة قبل المبايعة لعلى فخرج مروان وغيره من أهل المدينة وجاء الى عائشة رضى الله عنها يعلى بن أمية رضى الله عنه وكان عاملا لعثمان باليمن فلما بلغه حصار عثمان قدم لنصرته فسقط من على بعيره فى أثناء الطريق فكسر فخذه وبلغه قتل عثمان فلا زالوا بعائشة حتى وافقت على الخروج الى العراق فى طلب دم عثمان رضى الله عنه ودفع لها ذلك الجمل يعلى بن أمية اشتراه بمائتى دينار وأعان الزبير بأربعمائة ألف دينار وصار يقول من خرج فى طلب دم عثمان فعلى جهازه فحمل سبعين رجلا من قريش وطلبت عائشة رضى الله عنها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن يكون معها فقال معاذ الله ان أدخل فى الفتنة وقيل أن طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر رضى الله عنهم الى الخروج معهم فقال لهم أما تخافون الله أيها القوم وتدعوا هذه الاباطيل عنكم وكيف أضرب فى وجه على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالسيف وقد عرفت فضله وسابقته ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكما بايعتماه وسألتماه القيام بهذا

عمار كما كنت على ابراهيم وروى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد قال أتينا أنس بن مالك رضى الله عنه فقال يا جارية هلمى المائدة نتغدى فاتت بها ثم قال هلمى المنديل فاتت بمنديل وسخ فقال أسجرى التنور فاوقدته فامر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن فقلنا ما هذا قال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ صنعنا به هكذا لان النار لا تأكل شيأ مر على وجوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقى غير واحد من أمته صلى الله عليه وسلم فى النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة ان الاسود العنسى لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فالقاه فى النار لتصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالمدينة فقال عمر رضى الله عنه الحمد لله الذى جعل فى أمتنا مثل ابراهيم الخليل وروى ابن عساكر ان الاسود بن قيس العنسى بعث الى أبى مسلم الخولانى فاتاه فقال أتشهد انى رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فاتى بنار عظيمة فالقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فامره بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه فقال أبو بكر الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما ما أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام

الامر ثم نكثتما بعدان جعل الله عليكما شهيدا وانه ما بدل ولا غير والقاتل لعثمان رضى الله عنه أخوز عيمتكم ورئيستكم يعنى عائشة وأخوها محمد بن أبى بكر رضى الله عنهم فانه أخذ بلحيته فضربها حتى تقلقلت أضراسه وضربه بالمشقص فلما كانت عائشة رضى الله عنها فى أثناء الطريق سمعت كلابا تنبح فسألت عن ذلك المحل فقيل لها هذا الحوأب فأرادت الرجوع لما تذكرت ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فانها صرخت وأناخت بعيرها وقالت والله أنا صاحبة الحوأب ردونى ردونى فعند ذلك يقال ان طلحة والزبير أحضرا خمسين رجلا شهدوا ان هذا ليس بماء الحوأب وان المخبر لها كذاب قال الشعبى وهى أول شهادة زور فى الاسلام وقال لها الزبير رضى الله عنه ولعل الله أن يصلح بك بين الناس فلما بلغ عليا كرم الله وجهه توجه عائشة ومن ذكر معها الى العراق توجه الى العراق بعدان كان أراد الذهاب الى الشام وقام فى الناس وقال ألا ان طلحة والزبير وأم المؤمنين قدتمالؤا على سخط امارتى وانى خارج اليهم ثم جاءه الخبران ستين ألف شيخ تبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق ومعلق فيه أصابع زوجة عثمان فقال امنى يطلبون دم عثمان ولما أراد الخروج جاءه عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها أى المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يرجع اليها سلطان المسلمين فسبوه وقالوا له يا ابن اليهودية مالك ولهذا الامر فقال لهم على كرم الله وجهه دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان طلحة والزبير وأم المؤمنين وصلوا الى البصرة ووقع بينهم وبين أهل البصرة مقتلة كبيرة بعدان افترقوا فرقتين احداهما تقول صدقت وبرت يعنى عائشة وجاءت بالمعروف وقالت الاخرى كذبت ثم انحازت الاخرى الى عسكر أم المؤمنين وقهروا أهل البصرة ونادى منادى الزبير وطلحة ألا من كان عنده أحد ممن غزا المدينة فليأت به فجئ بهم كما يجاء بالكلاب وكانوا ستمائة فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة الاحرقوص بن زهير وكتب طلحة والزبير الى أهل الشام انا خرجنا لوضع الحرب واقامة كتاب الله فوافقنا خيار أهل البصرة وخالفنا شرارهم ولم يفلت من قتلة أمير المؤمنين عثمان من أهل البصرة الاحرقوص بن زهير والله مقيده ان شاء الله وكتبوا الى أهل الكوفة بمثله وكتبوا الى أهل اليمامة بمثل ذلك وكتبوا الى أهل المدينة بمثل ذلك ثم سار على كرم الله وجهه الى البصرة ثم أرسل الى أهل الكوفة يستنفرهم اليه فنفروا اليه بعد أمور يطول ذكرها وكانوا سبعة آلاف والتقى الجيشان جيش على كرم الله وجهه وجيش عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بعدان كتب لطلحة والزبير أما بعد فقد علمتما انى لم أرد البيعة حتى أكرهت عليها وأنتما ممن رضى ببيعتى وألزمنى اياها فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله وارجعا عما أنتما عليه فانك يا طلحة شيخ المتاخرين وأنت يا زبير فارس قريش لو دفعتما هذا الامر قبل أن تدخلا فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه والسلام وكتب لعائشة رضى الله عنها أما بعد فانك قد خرجت من بيتك تزعمين أنك تريدين الاصلاح بين المسلمين وطلبت بزعمك دم عثمان وأنت بالامس تؤلبين عليه وتقولين فى ملا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا نعثلا فقد كفر قتله الله واليوم تطلبين بثاره فاتقى الله وارجعى الى بيتك واسبلى عليك سترك قبل أن يفضحك الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فلما قرؤا الكتابين عرفوا أنه على الحق وعند ذلك خرج طلحة والزبير رضى الله عنهما على فرسين وخرج اليهما على كرم الله وجهه ودنا كل واحد من الآخر فقال لهما على لعمرى لقد أعددتما خيلا ورجالا وسلاحا فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من

بعد

انفراده فى الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر وقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها بعضر من أولى نصرها عام الفتح وهم أذلاء لا يستطيعون نصرها وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجترأ فيها بالانفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض فى القول بل قال جهرا غير مرتجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان وتقدم بسط ذلك * ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذى بوأه الله له ولا خفاء ان البيت جدو روحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب وذلك على التمثيل ولله المثل الاعلى روى الديلمى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ومسحه كناية عن استلامه كما تستلم الايمان بفتح الهمزة جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من أراد عهدا أو يمينا يمين صاحبه عند المعاهدة والحلف كما كانت عادتهم وقد أعطى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ما جاء فى شأنه عن أحبار اليهود وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته مفصلة وكذا مشى الاشجار بين يديه وتكليمها له فان ذلك أعجب من العصا ولما أراد أبو جهل أن

بعد قوة انكاثا ألم تكونا أخوى فى الله تحرمان دمى وأحرم دمكما فقال له طلحة رضى الله عنه ألبت الناس على عثمان فقال له على كرم الله وجهه أنتما أخذلتماه حتى قتل فسلط الله اليوم على أشرنا على عثمان ما يكره ثم توافقوا على الصلح وقتل من كان له دخل فى قتل عثمان رضى الله عنه وبات الفريقان على ذلك وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وباتوا يتشاورون ثم اتفقوا على انشاب الحرب فلما كان وقت الغلس ثاروا ووضعوا السلاح فثار الناس فخرج طلحة والزبير فى وجوه الناس وقالا ما هذا قالوا طرقنا جيش على فقالا علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة فقام على كرم الله وجهه فى وجوه الناس وقال ما هذا قالوا طرقنا جيش عائشة فقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة ونشبت الحرب فالبسوا هودج عائشة رضى الله عنها الدروع ووقفت على الجمل وصار كل من أخذ زمامه قتل وقتل طلحة رضى الله عنه جاءه سهم غرب يقال أرسله له مروان بن الحكم وهو كان فى جيش أم المؤمنين وفر الزبير رضى الله عنه لما قال له على كرم الله وجهه يا زبير أتذكر لما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تقاتلنى وأنت ظالم لى فقال والله لو ذكرت ذلك ما قاتلتك ولا سرت مسيرى هذا ولكن رجوعى عين العار فقال له على كرم الله وجهه ترجع بالعار ولا ترجع بالنار فترك وذهب وصار الهودج مثل القنفذ من كثرة النشاب فعند ذلك عقروا الجمل ووقع الهودج على الارض وجعلت تقول عائشة رضى الله عنها يا بنى اتبعنه اتبعنه وعند ذلك قال على كرم الله وجهه لمحمد بن أبى بكر رضى الله عنهما انظر أختك هل أصابها شئ فلما جاءها وأدخل يده قالت من أنت قال ابن الخثعمية قالت محمد قال نعم قالت بأبى أنت وأمى الحمد لله الذى عافاك وفى رواية قال لها أخوك محمد البار فقالت بل مذمم العاق فضرب عليها فسطاطا فلما كان من آخر الليل خرج بها وأدخلها البصرة وأنزلها فى دار صفية بنت الحرث أم طلحة الطلحات وبكت عائشة رضى الله عنها بكاء كثيرا وقالت وددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وقد قال على كرم الله وجهه مثل ذلك لما رأى من كثرة القتلى فقد قيل ان القتلى بلغت عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا ثم ان عليا كرم الله وجهه صلى على القتلى من الفريقين ثم دخل البصرة على بغلته متوجها لعائشة رضى الله عنها فلما دخل عليها سلم عليها وقعد عندها ثم جهزها بكل شئ ينبغى لها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وأمرهن بلبس العمائم وتقليد السيوف ثم قال لهن لا تعلمنها بانكن نسوة وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها وقال لاخيها محمد تجهز معها وفى رواية جهز معها أخاها عبد الرحمن فى جماعة من شيوخ الصحابة فلما كان يوم خروجها جاء اليها على كرم الله وجهه ووقف الناس وخرجت فودعها وودعتهم وقالت يا بنى والله ما كان بينى وبين على فى القدم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها وانه على معتبتى عليه عندى لمن الاخيار فقال على أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بينى وبينها الا ذلك وانها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وذهب معها نحو سبعة أميال ثم ذهبت الى مكة حتى حجت ثم رجعت الى المدينة وعلمت عند وصولها الى مكة ان هؤلاء الرجال حولها نساء فانهن كشفن عن وجوههن وعرفنها الحال فشكرت وقالت والله لا يزداد ابن أبى طالب الا كرما وقيل ان كعب بن سعد أتى عائشة رضى الله تعالى عنها وقال لعل الله أن يصلح بك والاولى الصلح والسكون والنظر فى قتلة عثمان بعد ذلك فوافقت وركبت هودجها وقد ألبسوه الادراع ثم بعثوا جملها وذهب الى على كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك فقال له قد أحسنت وأشرف القوم على الصلح فخافت قتلة عثمان رضى الله

يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر أى عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ثعبانين فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون مرعوبا عند القاء العصا وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء أى برص فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى عبد الله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان بينا ظاهرا فى جباههم وتقدم تفصيل ذلك وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه أبو نعيم والامام أحمد والطبرانى وأخرج البيهقى وصححه الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فتحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها اكراما لهما ببركة نبيهما صلى الله عليه وسلم حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ مقصده رواه البخارى وغيره وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء

فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم ٣١٦ أي ركابهم وما سقط من متاعهم وان أصابعي لتنير أي تضيء * ومما أعطيه موسى
عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم فموسى تصرف في عالم الارض بضربه البحر بعصاه فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه والفرق بينهما واضح فاذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض سمت آية السماء على آية الارض وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه كالقطرة فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام لان بحار الارض قد يقع فيها زوال الماء في مواضع منها بحيث يمكن المشي في الارض التي بها والبحر الذي بين السماء والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها * ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام اجابة دعائه في قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي الآية قال تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى وقال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما * وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعني اجابة الدعاء مالا يحصر كما تقدم كثير من ذلك * ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى واذ استسقى فقال

عنه فأشار عليهم ابن السوداء الذي هو السبائي الذي هو أصل الفتنة أن يفترقوا فرقتين تكون كل فرقة في عسكر من العسكرين فاذا جاء وقت السحر ضربت كل فرقة منهم الى العسكر الذي فيه الفرقة الاخرى فنادت كل فرقة في العسكر الذي هي فيه غدرنا ففعلوا ذلك فنشبت الحرب وحصل ماتقدم (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فصالح معاوية رضي الله عنهما وحقن دماء الفئتين من المسلمين أي فان الحسن رضي الله عنه لما بويع له بالخلافة يوم مات أبوه كان في الخلافة سبعة أشهر وقيل ستة أشهر ولما سار الى قتال معاوية كان معه أكثر من أربعين ألفا فلما سار عدا عليه شخص وضربه بخنجر في فخذه ليقتله فقال الحسن قتلتم أبي بالامس ووثبتم علي اليوم تريدون قتلي زهدا في العادلين ورغبة في القاسطين لتعلمن نبأه بعد حين أي ويذكر أنه بينما هو يصلي اذ وثب عليه شخص فطعنه بخنجر وهو ساجد ثم خطب الناس فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فما زال يقولها حتى مابقي أحد من أهل المسجد الا وهو يبكي ثم كتب الى معاوية رضي الله عنهما بتسليم الامر أي بعد ان أرسل اليه معاوية رضي الله عنه رجلين يكلمانه في الاصلاح فان عمرو بن العاص لما رأى الكتائب مع الحسن أمثال الجبال قال لمعاوية اني لارى هذه الكتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها انخلع الحسن رضي الله عنه نفسه وسلم الامر الى معاوية تورعا وزهدا وقطعا للشر واطفاء لنائرة الفتنة وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله المتقدم وغص منه شيعته حتى قال له بعضهم ياعار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين فقال العار خير من النار وقال له بعضهم السلام عليك يامذل المؤمنين فقال له لا تقل ذلك كرهت أن أقتلكم في طلب الملك وعند ذلك أي لما انبرم الصلح طلب منه معاوية رضي الله عنهما أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه سلم الامر الى معاوية فأجابه الى ذلك وصعد المنبر وحمد الله الى أن قال في خطبته أيها الناس فان الله هدا كم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ألا ان أكيس الكيس التقي وأعجز العجز الفجور وان هذا الامر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه اما أن يكون أحق به مني أو يكون حقي فان كان حقي فقد تركته لله ولصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت رضي الله عنه الى معاوية وقال وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين أي ثم انتقل من الكوفة الى المدينة وأقام بها وكان من جملة ما اشترطه على معاوية رضي الله عنه أن يكون الامر شورى بين المسلمين بعده ولا يعهد الى أحد من بعده عهدا وقيل على أن يكون الامر للحسن بعده فلما سم الحسن اتهم بذلك زوجته بنت الاشعث بن قيس وان ذلك بدسيسة من يزيد ولد معاوية ووعدها أن يتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم حرصا على أن يكون الامر له فان معاوية عرض بذلك في حياة الحسن ولم يكشفه الا بعد موته ولما جاء الخبر لمعاوية بموته رضي الله عنه قال ياعجبا من الحسن بن علي شرب شربة من عسل بماء رومة يعني بئر رومة فقضى نحبه وأتى ابن عباس رضي الله عنهما معاوية وهو لا يعلم الخبر فقال له معاوية هل عندك خبر المدينة قال لا فقال معاوية يا ابن عباس احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك فاظهر عدم التشوش وقال اما ما أبقاك الله لي يا أمير المؤمنين فلا يحزنني الله ولا يسوءني فاعطاه على تلك الكلمة ألف ألف وذكر بعضهم قال كنا عند الحسن رضي الله عنه ومعنا الحسين رضي الله عنه فقال الحسن لقد سقيت السم مرارا وما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي

موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأعطى سيدنا ٣١٧ محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من
بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الماء منها بل قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت
وافى بأعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى بأعجب من
شكوى البعير ولا من مشي أشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر
أشد من سلسل من كفه جار

* ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنوي مع الرؤية التي منعها موسى عليه السلام وأما ما أعطيه هرون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل وتقدم تفصيل ذلك وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله ومن تأمل ماتقدم في نعوته وشمائله صلى الله عليه وسلم تبين له التفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على كل مشهور بالحسن في كل جيل وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لانه أعطى من ذلك مالا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من

فقال له الحسين أي أخي ومن سقاك قال وما تريد أتريد أن تقتله قال نعم قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة ولئن كان غيره ما أحب أن يقتل بي بريأ * وكان الحسن رضي الله عنه رجلا حليما لم يسمع منه كلمة فحش وكان مروان وهو وال على المدينة يسبه ويسب عليا كرم الله وجهه كل جمعة على المنبر فقيل له في ذلك فقال لا أمحو عنه شيأ بان أسبه ولكن موعدي وموعده الله فان كان صادقا جازاه الله بصدقه وان كان كاذبا فالله أشد نقمة وأغلظ عليه رضي الله تعالى عنه مروان يوما وهو ساكت ثم امتخط مروان بيمينه فقال له الحسن رضي الله تعالى عنه أف لك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج فخجل مروان وبكى مروان في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ماتجرعه فقال اني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار الى الجبل ومن ثم لما وقع بين الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما بعض الشحناء فتهاجرا ثم أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذي منعني من ابتدائك بهذا انك أحق بالفضل مني وكرهت أن أنازعك ما انت أحق به مني وقد تقدم ذلك ومن شعر الحسن رضي الله تعالى عنه

من ظن أن الناس يغنونه * فليس بالرحمن بالواثق

(ومن ذلك) اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل الاسود العنسي الكذاب أي الذي ادعى النبوة ليلة قتله بصنعاء وبمن قتله كما تقدم (أي ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن رجلا من أمته يتكلم بعد الموت فكان كذلك وهو زيد بن حارثة وتكلم غيره أيضا فعن ابن المسيب أن رجلا من الانصار توفي فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله فلعل المراد بالرجل جنس الرجل (ومنها) اخباره صلى الله عليه وسلم بأن أمته تتخذ الخصيان وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يستوصوا بهم خيرا فقال سيكون قوم ينالهم الاخصاء فاستوصوا بهم خيرا وهو يقتضي أن الخصاء لم يكن في غير هذه الامة (ومن ذلك) اخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب الامانة والعلم والخشوع وعلم الفرائض أي قرب قيام الساعة (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل رضي الله تعالى عنه يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب لعنه الله واخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات باب واسع منه الاخبار بالحوادث الكائنة بعده الى آخر الزمان والاخبار عن أحوال يوم القيامة من القضاء والحشر والحساب والاخبار عن الجنة والنار فعن حذيفة رضي الله تعالى عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوما وصعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر فنزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطب حتى غربت الشمس فأخبر بما كان وبما هو كائن (ومن ذلك) أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن في جماعة من المهاجرين والانصار يامعاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي غدا وقبري وكان كذلك توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن ولم يقدم الا في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم رحما وصهرا والمراد بالرحم أم اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام جده صلى الله عليه وسلم فانها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانها كانت قبطية كما علمت (ومنها) اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم فمن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لثعلبة بن حاطب الانصاري أي غير البدري لان ذاك قتل باحد وهذا تأخر الى زمن عثمان رضي الله تعالى عنه كما سيأتي خلافا لمن وهم في ذلك لان من شهد بدرا

لا يدخل النار وكثيرا ما يقع الاشتراك فى الاسم واسم الاب كما قال بعض الصحابة وهو طلحة ابن عبيد الله لئن مات محمد صلى الله عليه وسلم لأتزوجن عائشة من بعده فانزل الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية فظن بعضهم أن المراد بطلحة هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة وحاشاه من ذلك وهو أجل مقاما من أن يصدر منه مثل ذلك ولما قال ثعلبة ابن حاطب له يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأوتين كل ذى حق حقه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فصارت تنمى كما ينمى الدود وضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها فكان يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك الجماعة فيما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجماعة فيما سوى الجمعة فانه كان يشهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم ترك الجمعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فاخبروه بخبره فقال صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة قالها ثلاثا فلما نزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية بعث النبى صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما فرائض الصدقة وأسنانها وقال لهما مرا بثعلبة فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا ثم مرا عليه فقال أريانى كتابكما أنظر فيه فنظر فيه فقال ما هذه الا أخية الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة فلما أخبراه بالذى صنع ثعلبة أنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله الآيات وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فارسل اليه ان الله قد أنزل فيك قرآنا هو كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه الصدقة فقال ان الله منعنى أن أقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعنى وأبى أن يقبل منه شيأ فأتى أبا بكر رضى الله تعالى عنه حين استخلف فسأله قبول صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا أقبلها ثم فعل كذلك مع عمر رضى الله تعالى عنه ثم مع عثمان رضى الله تعالى عنه وكل يأبى ان يقبل صدقته ومات فى خلافة عثمان (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم فى رجل ارتد ولحق بالمشركين اللهم اجعله آية فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان منا رجل من بنى النجار حفظ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بأهل الكتاب وكان يقول ما يدرى محمد الا ما كتب له فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله آية فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوه وألقوه فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول فحفروا وأعمقوا فلفظته الارض فى المرة الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع أى قال ذلك تكبرا وعنادا فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يطق أن يرفعها الى فيه بعد اى ومن ذلك المرأة التى خطبها صلى الله عليه وسلم فقال له أبوها ان بها برصا ولم يكن بها برص وانما قال ذلك امتناعا من خطبته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم فلتكن كذلك فبرصت (ومن ذلك) أن

ذلك العجب العجاب وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان فى يده كالعجين والشمع يعرفه كيف يشاء من غير احماء ولا طرق بآلة ولا قوة فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر فى يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرت وقد تقدمت قصتها وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح فى كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم تفصيل ذلك وذلك أقوى فى الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانه يتكلم فهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبى والضب وشكا اليه البعير وتقدم كل ذلك مفصلا وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنا فقال اردده رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت وأما الريح التى سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الارض فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق

فاطمة

فاطمة رضى الله تعالى عنها جاءت اليه صلى الله عليه وسلم فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فقال لها صلى الله عليه وسلم ادنى منى يا فاطمة فدنت منه فرفع يده فوضعها على صدرها وفرج بين أصابعه وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد فذهبت الصفرة عنها حالا ولم تشتك بعد ذلك جوعا (ومن ذلك) ما حدث به واثلة بن الاسقع قال حضر رمضان ونحن فى أهل الصفة فصمنا فكنا اذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجلا من أهل الصفة فأخذه فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة فلم يأتنا أحد فأصبحنا صياما ثم أتت علينا الليلة القابلة فلم يأتنا أحد فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه بالذى كان من أمرنا فأرسل الى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شئ فما بقيت امرأة الا أرسلت تقسم ما أمسى فى بيتها ما يأكل ذو كبد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أسألك من فضلك ورحمتك فانهما بيدك لا يملكهما أحد غيرك فلم يكن الا مستأذن يستأذن فاذا بشاة مصلية ورطب فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا (ومنها) تساقط الاصنام التى حول الكعبة باشارته صلى الله عليه وسلم اليها أو طعنه فيها بقضيب كان فى يده قائلا جاء الحق وزهق الباطل كما تقدم (ومنها) تكثير الطعام وقد وقع له ذلك فى مواطن كثيرة فمن ذلك اطعام ألف من صاع شعير فى حفر الخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان كما تقدم (ومن ذلك) اطعام أهل الخندق من تمر يسير كما تقدم (ومن ذلك) جمع ما فضل من الازواد ودعاؤه صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وقسمتها فى العسكر فقامت بهم كما تقدم فى الحديبية وتبوك (ومن ذلك) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لابى هريرة فى تمرات قد صفهن فى يده وقال ادع لى فيهن بالبركة أى فدعا له صلى الله عليه وسلم بذلك قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فاخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا فى سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه أى بانقطاع المزود الذى أمره صلى الله عليه وسلم أن يكون به التمر والمزود وعاء من جلد يوضع فيه الزاد وقال له اذا أردت شيأ فادخل يدك ولا تكفأ فيكفأ عليك قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وكان لا يفارق حقوى فلما قتل عثمان انقطع حقوى فسقط وفى رواية كان معلقا خلف رحلى فوقع فى زمن عثمان أى فى زمن محاصرته وقتله فذهب وفى رواية فلما قتل عثمان انتهب بيتى وانتهب المزود أى بعد سقوطه من حقوه فلا يخالف ما سبق وقد جاء فى بعض الروايات عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت يا رسول الله ادع لى فيهن بالبركة فصفهن ثم دعا فيهن بالبركة وقال خذهن واجعل فى مزودك ما أردت منهن أى اذا أردت أخذ شئ منهن ادخل يدك فيه فخذه ولا تنثره نثرا أى وفى لفظ غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصاب الناس مجاعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هل من شئ قلت نعم شئ من تمر فى المزود فقال ائتنى به فأتيته به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ثم قال لى ادع لى عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم خذ ما جئت به ادخل يدك فاقبض ولا تكفأه قال فقبضت على أكثر مما جئت به ثم أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبى بكر وأطعمت وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت فلما قتل عثمان انتهب منى (ومن ذلك) تكثير الطعام الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصابعه فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصفة لقصعة ثريد فأكلوا حتى لم يبق الا اليسير فى نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة

الذى هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف حمله من الفرش الى العرش فى ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك ما لا يعلمه الا الله وهذا كله بناء على ان العروج الى السموات كان على البراق والذى اختاره السيوطى ان العروج كان على المعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم والاسراء على البراق انما كان لبيت المقدس وأيضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحى الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى اليه الارض وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان أبا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سوارى المسجد وهذا أمكن ومما زاد به صلى الله عليه وسلم على سليمان ايمان الجن به صلى الله عليه وسلم فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به والنبى صلى الله عليه وسلم استسلمهم ولا شئ أعلى من الاسلام وأما عد الجن والطير من جنود سليمان عليه السلام فى قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه فى جملة أجناده باعتبار الجهاد فى بدر العظمى وباعتبار تكثير السواد فى غيرها لارهاب العدو على طريقة الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها فى الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه اذ الغرض من استكثار الجند انما هو الحماية من الاعداء وقد حصلت حمايته صلى الله عليه وسلم

فوضعها على أصابعه وقال لابى هريرة رضى الله تعالى عنه أى لانه كان من أهل الصفة كل بسم الله قال أبو هريرة فو الذى نفسى بيده مازلت آكل منها حتى شبعت كما تقدم قيل وكان أصحاب الصفة حينئذ تسعين وقيل مائة ونيفا وقيل أربعمائة (ومن ذلك) تكثير الطعام الذى جاءبه أنس رضى الله تعالى عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فعنه رضى الله تعالى عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله فصنعت أمى أم سليم حيسا فجعلته فى تور فقالت يا أنس اذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام وتقول لك ان هذا لك منا قليل قال فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له ان أمى تقرئك السلام وتقول لك ان هذا منا لك قليل فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت قيل لانس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس هات التور ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال يا أنس ارفع فما أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت (ومن ذلك) تكثير الطعام الذى صنعه أبو أيوب الانصارى فعنه رضى الله تعالى عنه قال صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله تعالى عنه طعاما قدر ما يكفيهما فأتيتهما به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الانصار قال فشق ذلك على ما عندى ما أزيده فقال اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الانصار قال أبو أيوب رضى الله تعالى عنه فدعوتهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله قبل ان يخرجوا ثم قال اذهب فادع لى ستين من أشراف الانصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله قبل ان يخرجوا ثم قال اذهب فادع لى تسعين من الانصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يخرجوا فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الانصار (قال ومنها) تكثير اللبن فى القدح فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه اشتدبه الجوع يوما قال فمر على أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقمت اليه وسألته عن آية من كتاب الله ليشبعنى فمر ولم يفعل ثم مر على عمر ففعلت معه وفعل معى كذلك ثم مر صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى ثم قال يا أبا هريرة وفى لفظ يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق فتبعته صلى الله عليه وسلم الى أن دخل بيته وأذن لى فدخلت فوجدت لبنا فى قدح فقال صلى الله عليه وسلم أى لاهل بيته من أين هذا اللبن فقيل اهدى لك فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال ادع لى أهل الصفة فساءنى ذلك فقلت ما هذا اللبن فى أهل الصفة وما أظن أن ينالنى من هذا اللبن شئ أى لانهم كانوا أربعمائة على ما تقدم فدعوتهم فاقبلوا واخذوا مجالسهم من البيت فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم فاخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى حتى لم يبق الا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اقعد فاشرب فشربت فقال لى اشرب فشربت فما زال يقول لى اشرب فاشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأعطيته القدح فحمد الله عز وجل وسمى وشرب الفضلة اه أى وقد تقدم ذلك وفى لفظ حتى اذا لم يبق الا أنا وهو فاخذ القدح على يده ونظر الى وتبسم فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب الحديث وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لابى هريرة يا أبا هر قال انما أنا أبو هريرة فقال صلى الله عليه وسلم الذكر خير من الانثى ولما وقع القتال بين على ومعاوية رضى

منهم بذلك التعشيش وأما ما أعطيه سليمان ٣٢٠ عليه السلام من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بالطلب بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله در القائل

* يا خير عبد على كل الملوك ولى *

أى جعلت له الولاية عليهم وكفى بذلك شرفا وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين لقتادة رضى الله عنه الى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وروى أن امرأة معاذ ابن عفراء رضى الله عنه كانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فأذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لانها أجنبية وتقدم تسبيح الحصى فى كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه وذلك أبلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم فحلول الحياة والادراك والعقل فى الحجر الذى كان يخاطبه صلى الله عليه وسلم أبلغ من حياة الحيوان لانه كان محلا للحياة فى وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية قال أبو نعيم ونظير خلق الطين طيرا جعل العسيب سيفا كما تقدم وفى دلائل النبوة للبيهقى قصة الرجل الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فأراه اياه فأتاه فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك وتقدمت القصة بتمامها والحاصل ان النبى صلى الله عليه وسلم شارك عيسى فى ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وزاد بتكليم الجماد له واحياء الجزء

الله

الله تعالى عنهما كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يصلى خلف على كرم الله وجهه ويحضر طعام معاوية وعند القتال يصعد على تل فقيل له فى ذلك فقال الصلاة خلف على أقوم وطعام معاوية أدسم والقعود على هذا التل أسلم (ومن ذلك) ما حدثت به بنت خباب بن الارت رضى الله تعالى عنهما قالت خرج خباب فى سرية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهدنا وكان لنا عنز فكان يحلبها فيملأ حلابها جفنة لنا فلما جاء خباب عاد حلابها لما كان عليه أولا فقلت لابى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلبها فتمتلئ جفنتنا فلما حلبتها رجع حلابها (ومن ذلك) ما حدث به بعض الصحابة انه قال كنا زهاء أربعمائة رجل فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه صلى الله عليه وسلم فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روى وسقى أصحابه حتى رووا ثم قال لى صلى الله عليه وسلم املكها الليلة وما أراك تملكها فاخذتها فوتدت لها وتدا ثم ربطتها بحبل ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحا فجئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ذهب بها الذى جاء بها (ومنها) ان امرأة كانت أهدت للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا فى عكة فقبله وترك فى العكة قليلا ونفخ فيه ودعا بالبركة فكان يأتيها بنوها يسألونها الادم فتعمد الى تلك العكة فتجد فيها سمنا فما زالت تقيم به ادم بيتها بقية حياته صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان حتى كان من أمر على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما ما كان وفى رواية انها عصرتها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها عصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها ما زال دائما ويحتمل أن الواقعة تعددت وعن أم سليم أم أنس رضى الله تعالى عنهما قالت كان لى شاة فجمعت من سمنها ما ملأت به عكة وأرسلت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وأمر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل فلما جئت رأيت العكة مملوءة سمنا قالت فقلت للتى أرسلتها معها كيف الخبر فأخبرتنى الخبر فما صدقتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وقلت له يا رسول الله وجهت اليك عكة سمن قال قد وصلت فقلت بالذى بعثك بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنا تقطر قال فتعجبين أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه صلى الله عليه وسلم اذهبى فكلى وأطعمى الحديث أى ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس جعيل الاشجعى فعنه رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء ضعيفة فكنت فى آخر الناس فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول الله عجفاء ضعيفة فرفع مخفقة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها فلقد رأيتنى ما أملك رأسها اقدام القوم ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا (ومنها) أن جليبيبا على وزن قنيديل الانصارى وكان قصيرا دميما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه فقال يا رسول الله اذا تجدنى كاسدا فقال انك عند الله لست بكاسد فخطب له صلى الله عليه وسلم جارية من أولاد الانصار فكره أبو الجارية وأمها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قبلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم وقالت رضيت وسلمت لما رضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اصبب الخير عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا فكانت من أكثر الانصار نفقة ومالا مع كونها أيما فانه رضى الله تعالى عنه قتل عنها فى بعض غزواته معه صلى الله عليه وسلم بعد ان قتل سبعة من المشركين ووقف عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وقال هذا منى وأنا منه وحمله صلى الله عليه وسلم على ساعديه ماله سرير غير ساعديه صلى الله عليه وسلم ثم حفر وله فوضعه

من الميت بعد انفصاله كما فى كلام ذراع الشاة المسمومة ولم يعهد مثله لغيره ٣٢١ صلى الله عليه وسلم وأما نزول المائدة فكانت محنة لبنى اسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها وعلى تقدير الكرامة فهى اجابة دعوة لعيسى عليه السلام فنظير ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اجابته حين خفت ازواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ولا اخفاء انه طعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فملأ الناس أوعيتهم والطعام بحاله وهم زهاء ألف ونيف فهذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج الى البرية يلتمس شيأ فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملأى خميرا والرحى تطحن والتنور مملوء شواء فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال ماذا كنت تطحنين فأخبرته وان رحاهما التدور وتصب دقيقا فلم يبق فى البيت وعاء الا ملئ فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما فعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو تركتموها ما زالت كما هى لكم حياتكم وفى رواية لو تركتموها الدارت الى يوم القيامة وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من انه كان يعرف ما تخفيه الناس فى بيوتهم كما قال تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم أى بالمغيبات من أحوالكم

فى قبره ولم يغسله ولم يصل عليه (ومنها) نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم حتى شرب القوم وتوضؤا وهم ألف وأربعمائة قال وفى رواية ألف وخمسمائة وفى رواية فشربوا وسقوا وملؤا قربهم وكان فى العسكر اثنا عشر ألف بعير والخيل اثنا عشر ألف فرس أى وهذه فى غزوة تبوك وقد تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن عظيمة تقدمت وتكررت الروايات بحسب تكرر الوقائع وهو أشرف المياه كما قاله السراج البلقينى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة التى هى خروج الماء من بين الاصابع عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهى أبلغ من نبع الماء من الحجر الذى ضربه موسى عليه الصلاة والسلام لان خروج الماء من الحجر معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والدم والعظم والعصب اه كما تقدم (ومنها) أن الماء فار بغرز سهم من كنانته صلى الله عليه وسلم فى محله وقع له ذلك فى الحديبية وفى تبوك فقد جاء أنه ورد فى منصرفه من غزوة تبوك على ماء قليل لا يروى واحدا وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم العطش فاخذ سهما من كنانته وأمر أن يغرز فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفا كما تقدم (قال ومنها) ما تقدم له صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب بذى المجاز من ضربه صلى الله عليه وسلم الارض أو صخرة برجله حين عطش فخرج الماء كما تقدم (ومنها) ركوبه صلى الله عليه وسلم الفحل الذى قطع الطريق على من يمر لما سافر صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب الى اليمن كما تقدم (ومنها) انقلاب الماء الملح عذبا ببركة ريقه الشريف فقد جاء ان قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم ملوحة فى ماء بئرهم فجاء صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه حتى وقف على ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين (ومنها) انه كان باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات فلما بعث صلى الله عليه وسلم وجه اليه أيها الماء اسلم فقد أسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب منه حم ولا يموت ومنها زوال القراع بمرور يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد جاء ان امرأة اتته بصبى لها اقرع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه (ومنها) احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وسماع كلامهم فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا للاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى بنتى فقال صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فأراه قبرها فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعى الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا (ومنها) ابراء الابرص فقد روى ان امرأة معاوية بن عفراء كان بها برص فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليه بعصا فاذهبه الله (ومنها) ابراء الرتة واللقوة والقرحة والسلعة والحرارة والدبيلة والاستسقاء فان ابن ملاعب الاسنة أصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وقد أشار الى ذلك صاحب الاصل بقوله

ويكف من تربة الارض داوى * من تشكى من مؤلم استسقاء

(ومنها) ان أخت اسحق الغنوى هاجرت من مكة تريد المدينة هى وأخوها اسحق المذكور حتى اذا كانت فى بعض الطريق قال لها أخوها اجلسى حتى ارجع الى مكة فآخذ نفقة انسيتها قالت له انى أخشى عليك الفاسق أن يقتلك تعنى زوجها فذهب أخوها الى مكة وتركها فمر عليها راكب جاء من مكة فقال لها ما يقعدك ههنا قالت انتظر أخى قال لا أخ لك قد قتله زوجك بعد ما خرج من مكة قالت فقمت وانا أسترجع وأبكى حتى دخلت المدينة

التى لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك مالا يحصى وتقدم جملة من اخباره بالمغيبات وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وهو حى فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد فى الترقى لمزيد الدرجات وسماع المناجاة وبزيادة المحبة ورفعة المنزلة فى الحضرة المقدسة بالمشاهدات فهذا تفصيل بعض ما أوتيه فى نظير ما أوتيه الانبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر وروى الامام أحمد والبخارى وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر واسود وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل حيث كان زاد فى رواية وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وفى رواية ولم يكن من الانبياء أحد يصلى حتى يبلغ محرابه ونصرت بالرعب مسيرة شهر زاد فى رواية يقذف فى قلوب أعدائى الرعب من مسيرة شهر وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر وأعطيت الشفاعة أى العظمى فى اراحة الناس من هول الموقف وفى رواية وأعطيت الشفاعة فاخترتها لامتى فهى لمن لا يشرك بالله شيأ وفى رواية فهى لكم ولمن يشهد أن لا اله الا الله فعلى هذا المراد

قد خلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فى بيت حفصة فاخبرته الخبر فاخذ ملء كفه ماء فضربنى به فمن يومئذ لم ينزل من عينى دمعة وكانت تصيبنى المصائب العظام غايته أن ينفر الدمع على مقلتى ولا يسيل على وجنتى (ومنها) ابراء الجراحة كما تقدم (ومنها) ابراء الكسر فقد مسح صلى الله عليه وسلم على رجل ابن عتيك رضى الله تعالى عنه وقد انكسرت فكأنها لم تنكسر قط كما تقدم (ومنها) ابراء الجنون أى ومنها ان امرأة جاءته صلى الله عليه وسلم بابن لها لا يتكلم وقد بلغ أوان الكلام فأتى بماء فمضمض وغسل يديه ثم أعطاها صلى الله عليه وسلم اياه وأمرها أن تسقيه وتمسه به ففعلت ذلك فبرئ وعقل عقلا يفضل عقول الناس (ومنها) ان بعض الصحابة نبتت فى كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فما زال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه الشريفة حتى زالت ولم يبق لها أثر (ومنها) انه صلى الله عليه وسلم أعطى جذلا من الحطب فصار سيفا وقع ذلك لعكاشة بن محصن رضى الله تعالى عنه يوم بدر كما تقدم ووقع ذلك لعبد الرحمن بن جحش أيضا يوم أحد كما تقدم أى (ومنها) انقلاب الماء لبنا وزبدا (ومنها) انه عرضت كدية بالخندق ولم يقدر أحد على ازالة شئ منها فضربها فصارت كثيبا كما تقدم أى ومن اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ما روى عن النابغة الجعدى رضى الله تعالى عنه قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياتا منها

فلا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجدت لا أفضض الله فاك من هذه اشارة الى اسنانه قال النابغة رضى الله تعالى عنه فلقد أتت على نيف ومائة سنة وما ذهب لى سن قيل عاش مائة واثنتى عشرة سنة وقيل مائة وثمانين سنة أى كما تقدم وفى لفظ كان من أحسن الناس ثغرا وكان اذا سقطت له سن نبت له أخرى أى وعلى هذا الاخير فالمراد لا أخلى الله فاك من الاسنان (ومن ذلك) ان امرأة جاءت بابن لها صغير فقالت يا رسول الله ان ابنى هذا مجنونا وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ودعا له فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى (ومنها) ابراء وجع الضرس فقد جاء ان بعض الصحابة شكا اليه صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فقال له صلى الله عليه وسلم ادن منى فوالذى بعثنى بالحق لادعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب الا كشف الله عنه كربه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على الخد الذى فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح هذا ما يتعلق ببعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التى يمكن التحدى بها والحمد لله وحده

باب نبذة من خصائصه صلى الله عليه وسلم

أى ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الانبياء وغيرهم وما اختص به عن غير الانبياء وفيما اختصت به أمته صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الانبياء وغيرهم وفيما اشتركت فيه مع الانبياء دون أممهم لا يخفى أن ذكر خصائصه صلى الله عليه وسلم مندوب قال فى الروضة ولا يبعد القول بوجوب ذلك ليعرف فلا يتأسى به جاهل فى ذلك ثم لا يخفى ان الذى من خصائصه صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس اما أن يكون اختص بوجوبه عليه لان الله علم أنه صلى الله عليه وسلم أقوم به واصبر عليه من غيره ولان ثواب الفرض أفضل من ثواب النفل

بالشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه فى هذه الخمس المذكورة لان العدد لا مفهوم له فلا ينافى ما ورد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل جاء فى بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس فقد روى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون وفى رواية وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وفى رواية وأعطيت مفاتيح الارض وجعلت أمتى خير الامم وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر وأعطيت الكوثر وفى رواية وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه والحاصل ان خصائصه صلى الله عليه وسلم كثيرة فكان كلما أعلمه الله بشئ منها أعلم أمته به وقد أفردت خصائصه صلى الله عليه وسلم بالتآليف وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

باب فى وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته وسنته

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا يعنى من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله فهو فى الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك فى الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فان أحدا لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على أن الرسول معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى كل

غالبا وقد جاء ما تقرب الى عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه أو اختص بتحريمه
عليه لان الله علم أنه صلى الله عليه وسلم اصبر على تركه وازيد فضل تركه أو اختص باباحته له
تسهيلا عليه أو اختص باتصافه به لمزيد فضله وشرفه فن القسم الاول صلاة الضحى أي ما هو
أقلها وهو ركعتان وركعتا الفجر وصلاة الوتر قال صلى الله عليه وسلم ثلاث علي فرائض ولكم
تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى أي وفي الامتاع ان هذا الحديث ضعيف من جميع
طرقه ومع ذلك ففي ثبوت خصوصية هذه الثلاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فان الذي
ينبغي ولا يعدل عنه الى غيره أن لا تثبت خصوصيته الا بدليل صحيح وفي البخاري عن عائشة
رضي الله تعالى عنها ما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها وفي
الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وهذا يدل بظاهره ويقتضي عدم
الوجوب اذ لو كانت واجبة في حقه صلى الله عليه وسلم لكان مداومته عليها أشهر من أن
تخفى هذا كلامه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى الضحى يوم الفتح في بيت أم هانئ واظب
عليها الى أن مات وأنه صلى الله عليه وسلم صلى ثمان ركعات وجاء في حديث مرسل كان صلى
الله عليه وسلم يصلي ركعتين وأربعا وستا وثمانيا وهل المراد بالوتر أقله أو أكثره أو أدنى كماله
والسواك قال في الامتاع وهل هو بالنسبة الى الصلاة المفروضة أو في كل الاحوال المؤكدة
في حقنا أو فيما هو أعم من ذلك وغسل الجمعة والاضحية واستدل لوجوبهما بقوله تعالى ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الى قوله وبذلك أمرت قال في الامتاع والامر على الوجوب
هذا كلامه وفيه نظر لان أمر للوجوب والندب والذي للوجوب انما هو صيغة أفعل قال في
الامتاع ان الآمدي وابن الحاجب رحمهما الله عدا ركعتي الفجر من خصائصه صلى الله عليه
وسلم ولا سلف لهما في ذلك الا حديث ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واعترض
كون الوتر واجبا عليه صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين صلاه على
البعير اذ لو كان واجبا لما صلاه على الراحلة وأجاب النووي رحمه الله بأن جواز هذا الواجب
على الراحلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وأجاب القرافي المالكي رحمه الله بأن الوتر لم يكن
واجبا عليه صلى الله عليه وسلم الا في الحضر ووافقه على ذلك من أئمتنا الحليمي والعز بن عبد
السلام والعقيقة وأنه صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يؤدي فرض الصلاة كاملة لا خلل
فيها وأنه يجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في كل يوم وليلة خمسين صلاة على وفق ما كان
في ليلة الاسرا كذا في الخصائص الصغرى للسيوطي والمشاورة في أمر الدين والدنيا لذوي
الاحلام من الامور الاجتهادية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أكثر
مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت
هذه الآية وشاورهم في الامر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عنها ولكن
جعلها الله رحمة في أمتي فمن شاور منهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا وقد قيل
الاستشارة حصن من الندامة ومصابرة العدو وان كثر في الحاوي للماوردي أنه صلى الله عليه
وسلم كان اذا بارز رجلا لا ينفك عنه قبل قتله هذا كلامه ولم أقف على انه صلى الله عليه وسلم
بارز أحدا وقضاء دين من مات معسرا من المسلمين وأداء الجنايات والكفارات عن من لزمته
وهو معسر وتخيير نسائه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة أي بين زينة الدنيا ومفارقته
وبين اختيار الآخرة والبقاء في عصمته وان من اختارت الدنيا يفارقها ومن اختارت
الآخرة

ما يبلغه عن الله تعالى لانه لو أخطأ في شيء منهم لم تكن طاعته طاعة الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الرسول فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين الآية وهذا عام في
المطيعين لله من أصحاب الرسول
صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم
وعام في المعية في هذه الدار وان
فات فيها معية الابدان وقد ذكروا
في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه
وعرف الحزن في وجهه فسأله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع
غير أني اذا لم أرك اشتقتك
واستوحشت وحشة عظيمة حتى
ألقاك فذكرت الآخرة حيث
لا أراك هناك لاني ان دخلت
الجنة فانت تكون في درجات
النبيين فلا أراك فنزلت هذه
الآية وروى أيضا عن عكرمة
مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا
منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة
لا نراك فانك في الجنة في الدرجات
العلا فانزل الله هذه الآية فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنت معي في الجنة والعبرة في
الآية بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ففي الآية الحث على
الطاعة والترغيب فيها وهي عامة
لجميع المكلفين وهو ان كل من
أطاع الله وأطاع الرسول فقد
فاز بالدرجات العالية والمراتب
الشريفة عنده تعالى وليس
المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين والا لدخل الفساق والكفار بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات

الآخرة يمسكها ولا يفارقها أي لان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما قيل اختلف
سلف هذه الامة في سبب نزول هذه الآية على تسعة أقوال فقد قيل نزلت لما طلبن منه صلى
الله عليه وسلم زيادة في النفقة فاعتزلهن شهرا ثم أمر بتخييرهن فيما ذكر كما تقدم عن جابر رضي
الله تعالى عنه قال جاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
الناس جلوسا ببابه ليأذن لهم قال فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد
النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه أي قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم
فقال عمر رضي الله تعالى عنه لاقولن شيأ أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى عائشة فوجأ
عنقها وقام عمر رضي الله تعالى عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمع بهن شهرا فعن عمر
رضي الله تعالى عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الانصار جاء اليه ليلا ودق عليه بابه وناداه
قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان لانا كنا حدثنا ان غسان
تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه
فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي
ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري
هو هذا معتزلا في هذه المشربة أي لان نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه في طلب
النفقة أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن قال عمر رضي الله تعالى عنه
لاقولن من الكلام شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له أسود فقلت
استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد
فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد
ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني
فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على
رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه الي وقال لا فقلت
الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم
نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعتني فأنكرت عليها فقالت
تنكر علي أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لتراجعنه وتهجره احداهن
اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أفتأمن احداهن أن يغضب الله عليها بغضب
زوجها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت الى حفصة فقلت أتراجعين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن
وخسر أتأمن احداكن أن يغضب الله عليها بغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كان جارتك أحب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعني عائشة فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله
قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع

حسب الاستطاعة وليس المراد ان الكل في درجة واحدة لانه لا يجوز أن يسوي بين المفضول والفاضل بل المراد
كونهم في الجنة مع التمكن من
الرؤية والمشاهدة وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد
بعضهم بعضا واذا أرادوا الرؤية
والتلاقي قدروا على ذلك وقد قال
صلى الله عليه وسلم المرء مع من
أحب والمعية والصحبة الحقيقية
انما هي بالروح لا بمجرد البدن
فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان
النجاشي معه صلى الله عليه وسلم
من أقرب الناس اليه وهو بين
النصارى بأرض الحبشة وعبد
الله بن أبي من أبعد الخلق عنه
وهو معه في المدينة وذلك ان
العبد اذا أراد بقلبه أمرا من
طاعة أو معصية أو شخص من
الاشخاص فهو بارادته ومحبته
معه لا يفارقه فالارواح تكون
مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضي الله عنهم وبينها
وبينهم من المسافة الزمانية
والمكانية بعد عظيم قال بعض
السلف ادعى قوم محبة الله فانزل
الله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم فجعل سبحانه وتعالى اتباع
الرسول عليه الصلاة والسلام
مشروطا بمحبتهم لله وشرط المحبة
الله لهم ووجود المشروط ممتنع
بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء
المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء
محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله
لهم الكائن بترك المتابعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يكفي
في العبودية وجود أصل المحبة
حتى يكون الله ورسوله أحب
اليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان

عليهم وهم لا يعبدون فاستوى جالسا وقال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يا رسول الله ٥ فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخبر نساءه فى قوله تعالى يا أيها النبى قل لأزواجك الآية فنزل ودخل على عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت له يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون وفى رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وفى الثالثة حبس ابهامه ثم قال يا عائشة انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك فقالت وما هو يا رسول الله فقرأ يا أيها النبى قل لأزواجك الآية قالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفى رواية أفيك يا رسول الله أستشير أبوى بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت ثم قلت له لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى متعنتا ولكن بعثنى معلما بشيرا ثم فعل أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت عائشة رضى الله تعالى عنهن وقد ذكر الاقوال التسعة فى الامتاع وذكر فيه أن التخيير كان بعد فتح مكة لان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يقدم المدينة الا بعد الفتح مع أبيه العباس رضى الله تعالى عنهما وذكر أنه حضر الواقعة * ومن القسم الثانى تحريم أكل الصدقة واجبة أو مندوبة وكذا الكفارة والمنذورة والموقوف عليه الا على جهة عامة كالآبار الموقوفة على المسلمين ويشاركه فى الصدقة الواجبة آله دون صدقة التطوع على الجهة الخاصة دون الجهة العامة والصدقة الواجبة هى المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس ولما سأله عمه العباس رضى الله تعالى عنه أن يستعمله على الصدقات قال صلى الله عليه وسلم ما كنت لأستعملك على غسالات ذنوب الناس ولما أخذ الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه قال له النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها أما علمت انا لا نأكل الصدقة وفى رواية أن آل محمد لا يأكلون الصدقة واختلف علماء السلف هل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تشاركه النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فذهب الحسن رحمه الله تعالى الى أن الانبياء تشاركه فى ذلك وذهب سفيان بن عيينة الى اختصاصه بذلك دونهم وأن يعطى شيأ لاجل أن يأخذ شيأ أكثر منه وان يتعلم الكتابة أو الشعر وانشاءه وروايته لا التمثل به وأنه اذا لبس لأمته للقتال لا يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وهذا الاخير مما شاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخائنة الاعين وهى الايماء الى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر كما تقدم وامساك من كرهته ونكاح الكتابية قيل والتسرى بها والراجح خلافه ونكاح الامة المسلمة لانه لا يخشى العنت أى الزنا * ومن القسم الثالث القبلة فى الصوم مع وجود الشهوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل عائشة رضى الله تعالى عنها وهو صائم ويمص لسانها ولعله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبلع ريقه المختلط بريقها والخلوة بالاجنبية وأنه صلى الله عليه وسلم اذا رغب فى امرأة خلية كان له أن يدخل بها من غير لفظ نكاح أو هبة ومن غير ولى ولا شهود كما وقع له صلى الله عليه وسلم فى زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها كما تقدم ومن غير رضاها وأنه اذا رغب فى امرأة متزوجة يجب على زوجها أن يطلقها له صلى الله عليه وسلم وأنه اذا رغب فى أمة وجب على سيدها أن يهبها له وله أن يزوج المرأة لمن يشاء بغير رضاها وله أن يتزوج فى حال احرامه ومن ذلك نكاح ميمونة على ما تقدم وأن يصطفى من الغنيمة ما شاء قبل القسمة من جارية أو غيرها

ومن

كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان قال بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فجعل رجاء الاهتداء أثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو فى الضلالة وكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه الا ما خصه الدليل ثم ان محبته صلى الله عليه وسلم هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده ففى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التى متى خلت

ومن صفاياه صلى الله عليه وسلم صفية وذو الفقار كما تقدم وأن يتزوج من غير مهر كما وقع لصفية رضى الله تعالى عنها وقد قال المحققون معنى ما فى البخارى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم جعل عتقها صداقها أنه صلى الله عليه وسلم أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر فقول أنس رضى الله تعالى عنه أمهرها نفسها معناه أنه لما لم يصدقها شيأ كان العتق كأنه المهر وان لم يكن فى الحقيقة كذلك وان يدخل مكة بغير احرام اتفاقا وأن يقضى بعلمه ولو فى حدود الله تعالى قال القرطبى فى تفسيره أجمع العلماء على أنه ليس لاحد أن يقضى بعلمه الا النبى صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وجمع له صلى الله عليه وسلم بين الحكم بالظاهر والباطن معا وجمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا احداهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وقوله انى على علم لا ينبغى لك ان تعلمه وأنت على علم لا ينبغى لى أن أعلمه هذا كلامه وكتب عليه الشهاب القسطلانى رحمه الله هذه غفلة كبيرة وجراءة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يلزم منه خلو بعض أهل العزم عليهم الصلاة والسلام من علم الحقيقة الذى لا يجوز خلو بعض آحاد الاولياء عنه واخلاء الخضر بل بقية بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن علم الشريعة وأعجب من ذلك أنه بين له وجه الخطا فأجاب بقوله مرادى الجمع بين الحكم والقضاء هذا كلامه (وأقول) ذكر السيوطى فى كتابه الباهر فى حكم النبى بالباطن والظاهر هل يقول مسلم ان الذى خص به نبينا صلى الله عليه وسلم أى عن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام يورث نقصا فى حق سائر الانبياء معاذ الله وكل مسلم يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الانبياء على الاطلاق وذلك لا يورث نقصا فى حق أحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الاعتراض كان لا يحتاج الى جواب عنه لكن خشيت أن يسمعه جاهل فيؤديه ذلك الى انكار خصائص النبى صلى الله عليه وسلم التى فضل بها على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام توهما منه أن ذلك يورث نقصا فيهم فيقع والعياذ بالله فى الكفر والزندقة هذا كلامه ومما حكم فيه بالظاهر والباطن معا قوله صلى الله عليه وسلم فى ولد وليدة زمعة والد سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لما اختصم فيه سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وعبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن أخى عهد الى أنه ابنه انظر الى شبهه به وقال عبد بن زمعة هذا أخى ولد على فراش أبى من وليدته فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شبهه فرأى شبها بينا بعتبة ثم قال هو لك يا عبد الولد للفراش واحتجبى منه يا سودة بنت زمعة زاد فى رواية فليس بأخ لك فقد جعله صلى الله عليه وسلم أخا لسودة عملا بظاهر الشرع ونفى اخوته عنها بمقتضى الباطن فقد حكم فى هذه القصة بالظاهر والباطن معا وأما حكمه صلى الله عليه وسلم بالباطن فقد جاء فى أمور متكثرة من ذلك قتله الحرث بن سويد بقتله المجذر بن زياد غيلة من غير دعوى وارث ولا قيام بينة ولا قبل الدية كما تقدم (ومن ذلك) أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل مات أخوه ان أخاك محبوس بدينه فاقض عنه فقال يا رسول الله قد أديت عنه الا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة قال أعطها فانها محقة * ومن ذلك أن امرأة جاءت الى أخرى وقالت لها فلانة تستعيرك حليك وهى كاذبة فأعارتها اياه فبعد مدة جاءت للمرأة تطلب حليها فقالت لم أطلب حليك فجاءت للمرأة التى أخذته فأنكرت أخذه فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته القصة فدعاها فقالت والذى بعثك بالحق ما استعرت منها شيأ فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فخذوه من تحت فراشها فأخذ وأمر بها فقطعت وان يقضى لنفسه ولولده وان يشهد لنفسه ولولده وان يقبل الهدية ممن يريد

منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها وتبوؤهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هى داخليها وهى مطايا القوم مسراهم فى ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذى يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون

من لى بمثل سيرك المذلل
تمشى رويدا وتجى فى الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حى على الفلاح وبذلوا أنفسهم فى طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد وضعوا للمحبة رسوما باعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها فمنها قول بعضهم المحبة موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وقال آخر هى محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وقال آخر هى استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال آخر هى استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وقال آخر هى معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال آخر أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقى لك منك شيأ وقال آخر أن تمحو من

الحكومة عنده وان يقضى فى حال غضبه وان يقطع الارض قبل أن يفتضها * ومما شاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى هذا القسم أن له صلى الله عليه وسلم أن يصلى بعد نومه غير متمكن أى فى النوم الذى تنام فيه عينه وقلبه بناء على أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان وحينئذ يكون قوله نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا المراد به غالبا اذ يبعد أن يكون بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس لهم الا نوم واحد وله صلى الله عليه وسلم نومان واباحة ترك اخراج زكاة المال لانه كيفية الانبياء لا ملك لهم مع الله وما فى أيديهم من المال وديعة لله عندهم يبذلونه فى محله ويمنعونه فى غير محله ولان الزكاة طهرة وهم مبرؤن من الدنس كذا فى الخصائص الصغرى نقلا عن سيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله وفيها بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختص بأن ماله باق بعد موته على ملكه ينفق منه على أهله فى أحد الوجهين وصححه امام الحرمين والذى صححه النووى الوجه الآخر وهو خروجه عن ملكه لكنه صدقة على المسلمين لا يختص به الورثة وما قاله ابن عطاء الله بناء على مذهب امامه سيدنا مالك ومذهب الشافعى رحمه الله تعالى خلافه ففى الخصائص الصغرى قبل هذا وذكر مالك رضى الله تعالى عنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يملك الاموال انما كان له التصرف وأخذ قدر كفايته وعند الشافعى رضى الله تعالى عنه وغيره أنه يملك هذا كلام الخصائص *ومن القسم الرابع أنه صلى الله عليه وسلم أول من أخذ عليه الميثاق يوم ألست بربكم وأنه أول من قال بلى أى وأنه خص بالبسملة وفيه ما تقدم ان ذلك على وجه وان الاصح خلافه لما فى القرآن فى سورة النمل وفى المرفوع أنزل على آية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم وجاء بسم الله فاتحة كل كتاب وفيه أن الانجيل من جملتها وهو كتاب عيسى بن مريم وهو بعد سليمان عليهما السلام وقد قدمنا ذلك عند الكلام على أوائل البعث وبفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة آمن الرسول الى ختامها وآية الكرسى أعطيها من كنز تحت العرش وكذا الفاتحة والكوثر فقد جاء أربع نزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شئ غيرهن أم الكتاب وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة والكوثر وذكر الجلال السيوطى رحمه الله فى الخصائص الصغرى ان مما خص به أنه أعطى من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد غيره والسبع الطوال والمفصل وان دار هجرته التى هى المدينة آخر الدنيا خرابا وأن جميع ما فى الكون خلق لاجله وأنه تعالى كتب اسمه على العرش وعلى كل سماء وما فيها كما تقدم وعلى بعض الاحجار وورق الاشجار وبعض الحيوانات كما تقدم قال بعضهم بل وعلى سائر ما فى الملكوت وذكر الملائكة له صلى الله عليه وسلم فى كل ساعة وذكر اسمه صلى الله عليه وسلم فى الاذان فى عهد آدم والملكوت الاعلى كما تقدم ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنه يحرم نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد موته حتى على الانبياء بخلاف زوجات الانبياء بعد موتهم لا يحرم نكاحهن على المؤمنين قال شيخنا الشمس الرملى والاقرب عدم حرمتهن على الاتقياء من أممهم وفيه أنه اذا لم يحرمن على آحاد المؤمنين فعلى الاتقياء بطريق الاولى الا أن يقال الفرق ممكن يدل عليه قوله والاقرب والا فهذا مما يتوقف فيه على النقل وقيل ومن ذلك أنه يجب على أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده الجلوس فى بيوتهن ويحرم عليهن الخروج منها ولو لحج أو عمرة والراجح خلاف ذلك فقد حججن مع عمر رضى الله تعالى عنه وعنهن الا سودة وزينب نخرجن فى الهوادج عليهن الطيالسة الخضر وعثمان رضى الله تعالى عنه يسير أمامهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن اليك اليك وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه

القلب ماسوى المحبوب وقال آخر غض طرف المحب عما سوى المحبوب وقال آخر هى ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه وقال آخر هى سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه وقال آخر هى الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود احسان أو انعام وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فاذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب فى وصولنا للبقاء الابدى فى النعيم السرمدى فأى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهالنا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان فى كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله

خلفهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن مثل ذلك ولا ترى هوادجهن الا مد البصر ولما ولى عثمان رضى الله تعالى عنه حج بهن أيضا الا سودة وزينب وأنه يحرم أيضا رؤية أشخاص زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الازر وسؤالهن مشافهة أى من غير حجاب ولا يجوز كشف وجوههن لشهادة بلا خلاف وأن الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق على سائر النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وينصروه ان أدركوه وان يأخذوا العهد على أممهم بذلك كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم يحشر على البراق فقد جاء تبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الدواب ويبعث صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة رضى الله تعالى عنهم على ناقته العضباء والقصوى ويبعث بلال رضى الله تعالى عنه على ناقة من نوق الجنة وان فى كل يوم ينزل على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه الى ان يمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحون لا يعودون الى أن تقوم الساعة وانه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الوحى وانه تكرر له ذلك خمس مرات على ما تقدم وان خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وخاتم الانبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام كان فى يمينهم كما تقدم وتقدم ما فيه وان له صلى الله عليه وسلم ألف اسم ونقل عن تفسير الفخر الرازى ان له صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف اسم وانه صلى الله عليه وسلم تسمى من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسما وانه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على الصورة التى خلق عليها مرتين كما تقدم وغيره لم يره كذلك وانه عليه الصلاة والسلام يحكم بالظاهر والباطن كما تقدم وانه صلى الله عليه وسلم أحلت له مكة ساعة من نهار وانه حرم ما بين لابتى المدينة كما تقدم وانه لم تر عورته قط وان من رآها طمست عيناه كما تقدم وانه اذا مشى فى الشمس أو فى القمر لا يكون له صلى الله عليه وسلم ظل لانه كان نورا وانه اذا وقع شئ من شعره فى النار لا يحترق وان وطأه أثر فى الصخر على ما تقدم وان الذباب لا يقع على ثيابه فضلا عن جسده الشريف ولا يمتص نحو البعوض والقمل دمه كما تقدم وهذا لا ينافى كون القمل يكون فى ثوبه ومن ثم جاء كان صلى الله عليه وسلم يفلى ثوبه وان عرقه أطيب من ريح المسك كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا ركب دابة لا تبول ولا تروث وهو راكبها ولو بنى مسجده الى صنعاء اليمن كان مسجده أى فى المضاعفة خلافا لجمع منهم ابن حجر الهيتمى وقد قال الحافظ السيوطى نص العلماء على ان المسجدين أى المكى والمدنى ولو ومعالم تختلف أحكامهما الثابتة لهما وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال لو مد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذى الحليفة لكان منه فهذا الاثر مصرح بان أحكام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة له فالتوسعة لا تمنع استمرار الحكم وتقدم ما فى ذلك وانه يجب على أمته صلى الله عليه وسلم ان تصلى وتسلم عليه فى التشهد الاخير وعند كل ما يذكر عند بعضهم وأن القمر شق له صلى الله عليه وسلم كما تقدم وان الحجر والشجر سلما عليه صلى الله عليه وسلم وشهادة الشجر له صلى الله عليه وسلم بالنبوة واجابتها دعوته وكلام الصبيان المراضع وشهادتهم له بالنبوة كما تقدم وان الجذع اليابس حن اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة الانس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحد ذلك وقد يتوقف فى كفر العامى بجحد ارساله صلى الله عليه وسلم للجن والى الملائكة على ما هو الراجح كما تقدم قال بعضهم والقول بمقابله مبنى على تفضيل الملائكة على الانبياء وهو قول مرجوح ذهب اليه المعتزلة والفلاسفة وجماعة من أهل السنة الاشاعرة واستدلوا بأمور كلها مردودة وتقدم عن البارزى رحمه

وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفى رواية عن أنس رضى الله عنه والناس أجمعين وفى رواية أخرى ان يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال القرطبى كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو حاله من وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه فى الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكرنا وقر فى قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات وتفاوت المحبين فى محبته صلى الله عليه وسلم بسبب استحضار ما وصل اليهم من جهته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضى الله عنهم فى هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهى فيهم أتم روى ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعنى صغيرة ورواه البيهقى فى الدلائل وفى بعض

الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الى الحيوانات والجمادات لكن استدل له بشهادة الضب والشجر له بالرسالة صلى الله عليه وسلم وقد يتوقف فى الاستدلال بذلك وتقدم عن الحافظ السيوطى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل لنفسه وتقدم الفرق بين عموم رسالته عليه الصلاة والسلام وعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتأخير العذاب وعدم معاجلتهم بالعقوبة بنحو الخسف والمسخ والغرق كسائر الامم المكذبة كما تقدم وان الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل خاطبه صلى الله عليه وسلم بيا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المدثر يا أيها المزمل وقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى وان الله أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم قال تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وروى ابن مردويه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم وأقسم الله على رسالته بقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وان اسرافيل عليه السلام أهبط اليه صلى الله عليه وسلم ولم يهبط الى نبى قبله كما تقدم وانه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله وانه يحرم نكاح موطوآته صلى الله عليه وسلم من الزوجات والسرارى الا من باعه أو وهبه من السرارى فى حياته ان فرض ذلك وذهب الماوردى الى تحريمها وفى كلام بعضهم وتحرم زوجاته صلى الله عليه وسلم على غيره ولو قبل الدخول ولو مختارة للفراق خلافا لما فى الشرح الصغير للرافعى من حل المختارة للفراق وأنه يحرم التزوج على بناته صلى الله عليه وسلم وقيل على فاطمة خاصة رضى الله تعالى عنها وأما التسرى عليهن فلم أقف على حكمه وما علل به منع التزويج عليهن حاصل فى التسرى الا أن يفرق وأوتى صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا من أهل الجنة فى الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطى صلى الله عليه وسلم قوة أربعة آلاف رجل وسليمان صلوات الله وسلامه عليه أعطى قوة مائة رجل وقيل ألف رجل أى من رجال الدنيا وان فضلاته صلى الله عليه وسلم طاهرة كما تقدم وانه كان له صلى الله عليه وسلم ان يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين لان النبى صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابى فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبى صلى الله عليه وسلم وتباطأ الاعرابى والفرس معه فساومه فى الفرس رجال لا يعرفون أن النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه بزيادة عما اشتراه به صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمع نداء الاعرابى أو ليس قد ابتعته منك فقال الاعرابى لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى قد ابتعته منك فقال الاعرابى شاهدان يشهدان أنى بعتك فلما سمع خزيمة رضى الله تعالى عنه ذلك قال أنا أشهد أنك بعته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخزيمة كيف تشهد ولم تكن معنا فقال يا رسول الله انا نصدقك بخبر السماء أفلا نصدقك بما تقول فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته رضى الله تعالى عنه فى القضايا بشهادة رجلين ومنه أخذ جواز الشهادة له صلى الله عليه وسلم بما ادعاه وترخيصه صلى الله عليه وسلم لام عطية رضى الله تعالى عنها ولخولة بنت حكيم رضى الله تعالى عنها فى النياحة لجماعة مخصوصين وترخيصه صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس رضى الله تعالى عنها فى عدم الاحداد لما قتل زوجها سيدنا جعفر ابن أبى طالب حيث قال لها تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ما شئت وتجويز التضحية بالعناق لابى بردة ولعقبة بن عامر رضى الله تعالى عنهما وزاد بعضهم ثلاثة آخرين وتزويجه صلى الله عليه وسلم

لشخص

زوايات هذا الحديث لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لا تدرى بأيهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى اذا سلمت من عطب وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ (ولما أخرج) أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان ابن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى لجالس فى أهلى فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وفى المواهب ان عبد الله بن زيد الانصارى رضى الله عنه كان يعمل فى جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم توفى فقال اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمد أحدا فكف بصره وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف

لشخص امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون لاحد غيرك مهرا ولعل المراد سورة مجهولة فلا يخالف ذلك ما عند أئمتنا من جواز ذلك على معين من السور القرآنية وتزويجه صلى الله عليه وسلم أم سليم أبا طلحة رضى الله تعالى عنهما على اسلامه كما تقدم واعادة امرأة أبى ركانة اليه بعد ان طلقها ثلاثا من غير محلل وتخصيصه صلى الله عليه وسلم نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن دون بقية الورثة وقد ألغز فى ذلك بعضهم بقوله

سلم على مفتى الانام وقل له * هذا سؤال فى الفرائض مبهم
قوم اذا ماتوا تحوز ديارهم * زوجاتهم فلغيرها لا تقسم
وبقية المال الذى قد خلفوا * يجرى على أهل التوارث منهم

وأنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم أهل البقيع فيخرجون معى ثم أنتظر أهل مكة أى وفى رواية وأنا أول من تنشق عنه الارض فأكون أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى عليه الصلاة والسلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله وفيه ان الاستثناء انما هو من نفخة الفزع التى هى النفخة الاولى التى يفزع بسببها أهل السموات والارض وتمر الجبال مر السحاب وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة فى البحر تضربها الامواج المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والمعنية بقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم الآية قال صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشىء من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى الله فى قوله الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وفيه ان هذا يقتضى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يفزعون لانهم أحياء ولم يذكرهم صلى الله عليه وسلم مع الشهداء والقياس قد يمنع لانه يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل وأنه أول من يكسى فى الموقف أعظم الحلل من الجنة وأنه صلى الله عليه وسلم يقوم فى المقام المحمود على يمين العرش وأنه الذى يشفع فى فصل القضاء بين أهل الموقف وانه له صلى الله عليه وسلم شفاعات فى ذلك اليوم وهى احدى عشرة شفاعة ذكرها فى مزيل الخفاء وأنه صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد فى ذلك اليوم آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وأنه خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامامهم فى ذلك اليوم كما تقدم وأول من يؤذن له فى السجود وأول من ينظر الى الرب عز وجل وانه يسجد أولا فيقول له الرب جل جلاله ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم ثانيا ثم ثالثا كذلك فيشفع وانه أول من يفيق من الصعقة وفيه ان نفخة الصعقة هى النفخة الثانية التى هى نفخة الموت لاهل السموات والارض الا أن يقال المراد بالصعقة هنا نفخة رابعة أثبتها ابن حزم فقد قال الحافظ الجلال السيوطى رحمه الله وأغرب ابن حزم رحمه الله تعالى فادعى ان النفخ فى الصور يقع أربع مرات فعليه تكون هذه النفخة ليست هى المذكورة فى القرآن وانما تكون فى الموقف بعد النفخة الثالثة التى هى نفخة البعث التى بسببها يكون القيام من القبور الى المحشر المعنية بقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذه النفخة الرابعة تسمى نفخة الصعق أيضا لان بها يحصل لجميع أهل السموات والارض فى ذلك الوقت غشى وهو شبيه بالموت ويكون أول من يفيق من تلك الصعقة هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يجد موسى عليه الصلاة والسلام آخذا بقائمة من قوائم العرش ويكون قوله أنا أول من تنشق عنه الارض

فى النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا الخ وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الاشياء الى العبد ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى الدين ويؤثر ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وفى قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن فى الايمان بشىء حلو وأثبت له لازم ذلك وقال العارف بالله ابن أبى جمرة اختلف فى الحلاوة المذكورة هل هى محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم الصوفية ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله فانه حكى عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضى الله عنه حين صنع به ما صنع فى الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهى حلاوة الايمان ومنه حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك وماذاك الا لحلاوة الايمان التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك وأمثال ذلك كثير قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن

فأكون أنا أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش من تخليط بعض الرواة وحينئذ لا يحتاج الى الجواب بانه صلى الله عليه وسلم أخبر بقوله لا أدرى قبل أن أعلمه الله تعالى بانه أول من تنشق عنه الارض على الاطلاق وأن موسى عليه الصلاة والسلام سبقه الى العرش لانه صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الارض ينتظر خروج أهل البقيع ومجىء أهل مكة فليتأمل ذلك وأول من يمر على الصراط وأول من يدخل الجنة ومعه فقراء المسلمين وأن له الوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة وقيل انه فى الجنة لا يصل لاحد شىء الا بواسطته صلى الله عليه وسلم وانه لا يقرأ فى الجنة الا كتابه ولا يتكلم فى الجنة الا بلسانه ومما شاركه فيه الانبياء فى هذا القسم ان من دعاه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة تجب عليه الاجابة قولا وفعلا ولو كثيرا ولا تبطل صلاته بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانها تبطل ومنه أيضا العصمة من الذنب مطلقا كبيرا أو صغيرا عمدا أو سهوا وعدم التثاوب والاحتلام لان كلا من الشيطان ولم ير أثر لقضاء حاجته صلى الله عليه وسلم بل كانت الارض تبتلعه ويشم من مكانه رائحة المسك قال وانه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء واستشكل بما جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بام سلمة رضى الله تعالى عنها دخل عليها فى الظلمة فوطئ صلى الله عليه وسلم على ابنتها زينب فبكت فلما كانت الليلة القابلة دخل صلى الله عليه وسلم فى ظلمة أيضا فقال انظروا ربائبكم لا أطأ عليها وزينب هذه ولدتها من أبى سلمة بالحبشة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهى اذ ذاك طفلة فنضح صلى الله عليه وسلم وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى عجزت وقاربت المائة سنة وكان صلى الله عليه وسلم ينظر من خلفه كما ينظر أمامه أى وعن يمينه وعن شماله فقد جاء انى لانظر الى ماوراء ظهرى كما أنظر الى امامى فقيل كان له صلى الله عليه وسلم بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما لا تحجبهما الثياب وقيل كانت تنطبع صورة المحسوسات التى خلفه فى حائط قبلته كما تنطبع الصور فى المرآة وهذا يدل على ان ذلك خاص بالصلاة وهو ظاهر اكثر الروايات أى وكانت تلك الصلاة الى حائط فليتأمل وكان صلى الله عليه وسلم يرى الثريا اثنى عشر نجما وغيره لا يزيد على تسعة ولو أمعن النظر واختصت هذه الامة المحمدية بأمور لم يشاركها فيه من قبلهم من الامم وهى أنها خير الامم وأكرم الخلق على الله قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وفى الحديث ان الله اختار أمتى على سائر الامم وان الله ينظر اليها فى أول ليلة من رمضان وأعطيت الاجتهاد فى الاحكام وأظهر الله ذكرها فى الكتب القديمة كالتوراة والانجيل وأثنى عليها وأعطيت الصلوات الخمس أى جمعت لهم على ما تقدم وأعطيت صلاة العشاء فقد أخرج أبو داود والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال انكم فضلتم بها أى بصلاة العشاء على سائر الامم ولم تصلها أمة قبلكم وفيه ما تقدم وأعطيت افتتاح الصلاة بالتكبير وأعطيت التأمين أى قول آمين عقب الدعاء فقد جاء أعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها هرون فان موسى كان يدعو ويؤمن هرون عليهما الصلاة والسلام وتقدم أن آمين عقب الفاتحة ليس من القرآن اتفاقا وأعطيت الاستنجاء بالحجر وأعطيت الاذان والاقامة والركوع فى الصلاة وأما قوله تعالى اركعى مع الراكعين فالمراد بالركوع الخضوع كما تقدم ويلزمه أنها أعطيت فى الرفع منه سمع الله لمن حمده وفى الاعتدال اللهم ربنا لك الحمد الى آخره وأعطيت تحريم الكلام فى الصلاة دون الصوم عكس من قبلهم وأعطيت الجماعة فى الصلاة وأعطيت الاصطفاف فيها كصفوف الملائكة وأعطيت

عطاء الله ان القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بلذوذات المعانى كما تتنعم النفوس بلذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لانه لما رضى بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه فتوجد لذة العيش وراحة التفويض ولما رضى بالله ربا كان له الرضا من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من الله به عليه وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية عوفى قلبه من المرض فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا معناه ان من رضى بما رضى به المولى فقد رضى بالاسلام دينا ولازم لمن رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا وان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عمن جنى عليه وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لاخفاء به ومحبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصى على حسب الاستطاعة فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات

صلاة العيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر وأعطيت قصر الصلاة فى السفر والجمع بين الصلاتين فيه على ما تقدم وفى المطر والمرض على قول اختاره جمع من العلماء ومنهم والدى رحمه الله وأعطيت صلاة الخوف وصلاة شدته وأعطيت شهر رمضان على ما تقدم وأعطيت فيه أمورا منها تصفيد الشياطين وقد سئلت ما فائدة تصفيد الشياطين فى رمضان مع وجود الفساد والشر وقتل الانفس فيه وقد أجبت عنه بأربعة أجوبة حاصلها ان فائدة ذلك قلة الشر لا نفيه بالكلية وقد ذكرت ذلك فى كتابى اسعاف الاخوان فى شرح غاية الاحسان وهو كتاب ألفته فى الصوم وما يتعلق به ومنها صلاة الملائكة عليهم حين يفطروا ومنها ان ريح فمهم بعد الزوال أطيب عند الله من ريح المسك وفيه ان هذا لا يختص بصوم رمضان ومنها ان الجنة تزين فيه من رأس الحول الى رأس الحول وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وتفتح أبواب السماء فى أول ليلة منه ومنها انه يغفر لهم فى آخر ليلة منه وأعطيت العقيقة عن الانثى وأعطيت العذبة فى العمامة وأعطيت الوقف والوصية بالثلث عند الموت وأعطيت غفران الذنوب بالاستغفار وجعل الندم توبة وأعطيت صلاة الجمعة وأعطيت ساعة الاجابة فى يومها وأعطيت ليلة القدر وأعطيت السحور وتعجيل الفطر وأعطيت الاسترجاع عند المصيبة وأعطيت الحوقلة أى لا حول ولا قوة الا بالله وأعطيت رفع الاصر عنها ومنه وجوب القصاص فى الخطا والمؤاخذة بحديث النفس والنسيان وما وقع عليه الاكراه وان اجماعها حجة لانها لا تجتمع على ضلالة أى محرم وأعطيت أن اختلاف علمائها رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا والمراد بعلماء الامة المجتهدون كأن المراد ذلك بما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابى رحمة أى ويقاس باصحابه غيرهم ممن بلغ رتبة الاجتهاد قال بعضهم وما ذكره بعض الاصوليين والفقهاء انه صلى الله عليه وسلم قال اختلاف أمتى رحمة لا يعرف من خرجه بعد البحث الشديد وانما يعرف عن القاسم بن محمد بلفظ اختلاف أمة محمد رحمة قال الحافظ السيوطى ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا وأن الطاعون لهم رحمة وكان على من قبلهم عذابا وأعطيت الاسناد للحديث قال أبو حاتم الرازى رحمه الله لم يكن فى أمة من الامم منذ خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام يحفظون آثار الرسل أى ويأخذها واحد عن الآخر الا فى هذه الامة أى حتى ان الواحد منهم يكتب الحديث الواحد من ثلاثين طريقا أو أكثر وان فيها الاقطاب والانجاب والاوتاد ويقال لهم العمد والابدال والاخيار والعصب فالابدال بالشام واختلفت الروايات فى عددهم فاكثر الروايات أنهم أربعون رجلا وفى بعض الروايات أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وعن الفضل بن فضالة قال الابدال بالشام فى حمص خمسة وعشرون رجلا وفى دمشق ثلاثة عشر وفى بيسان اثنان وفى رواية عن حذيفة بن اليمانى الابدال بالشام ثلاثون رجلا على منهاج ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أربعون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام يدفع الله بهم عن أهل الارض يقال لهم الابدال وعن الحسن البصرى رحمه الله لن تخلو الارض من سبعين صديقا وهم الابدال أربعون بالشام وثلاثون فى سائر الارض وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا

والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال ما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه وفى رواية بشىء أحب الى من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذ بى لاعيذنه وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففى الحديث دلالة على أن العبد اذا أدى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل قوله كنت سمعه الخ بانه كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره فى ايثار أمرى فهو يحب خدمتى ويؤثر طاعتى كما يحب هذه الجوارح ومنها أن المعنى ان كليته مشغولة بى فلا يصغى بسمعه الا بما يرضينى ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم فلان املى بمعنى مأمولى والمعنى انه لا يسمع الا ذكرى ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده الا فيما فيه رضاى ولا يمشى برجله

وأهلها الرضا بالقضاء والصبر عن محارم الله والغضب في ذات الله وجاء في وصف الابدال أنهم لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم وفي لفظ لجميع المسلمين وعن أبي سليمان الابدال بالشام والنجباء بمصر وفي لفظ الابدال من الشام والنجباء من أهل مصر وفي رواية عن علي كرم الله وجهه أيضا والنجباء بالكوفة والعصب باليمن والاخيار بالعراق وفي لفظ والعصب بالعراق وعن بعضهم النقباء ثلاثمائة وسبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث أي الذي هو القطب واحد فسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سائحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته حتى يجاب وجاء عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نبي قط الا أعطى سبعة نجباء وزراء رفقاء واني اعطيت أربعة عشر حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال ومصعب وأسقط الترمذي حذيفة وأباذر والمقداد وأنهم أي أمته صلى الله عليه وسلم يخرجون من قبورهم بلاذنوب يمحصها الله عنهم باستغفار المؤمنين لهم وانها أول من تنشق عنها الارض وأنها في الموقف تكون على مكان عال مشرف على الامم وانها أول من يحاسب وانها أول من يدخل الجنة من الامم وأن لكل منها نورين كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها تمر على الصراط كالبرق الخاطف وأنها تشفع في بعضها وأن لها ماسعت وماسعي لها وأنها اختصت عن الامم ماعدا الانبياء بوصف الاسلام على الراجح كما تقدم لانه لم يوصف بالاسلام أحد من الامم السالفة سوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد شرفت بأن توصف بالوصف الذي توصف به الانبياء تشريفا لها وتكريما فقد قال زيد بن أسلم أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير لم يذكر الله بالاسلام غير هذه الامة أي وماورد مما يوهم خلاف ذلك مؤول وقد خصت هذه الامة بخصائص لم تكن لاحد سواها الا للانبياء فقط فمن ذلك الوضوء فانه لم يكن أحد يتوضأ الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا في التوراة والانجيل وصف هذه الامة أنهم يوضئون أطرافهم وفي بعض الآثار افترضت عليهم أن يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الانبياء لكن تقدم في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال هذا وضوء الامم من قبلكم من توضأ مرتين آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليلي ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الحديث كما ترى يقتضي مشاركة الامم مع هذه الامة في أصل الوضوء والاختصاص انما هو بالتثليث وتقدم الكلام على ذلك أي والغسل من الجنابة ففيما أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام في وصف هذه الامة وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء قبلهم وأن منها سبعين ألفا ومع كل واحد من هؤلاء السبعين ألفا سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أي وباجلال الله تعالى توقير المشايخ منهم وأنهم اذا حضروا القتال في سبيل الله حضرتهم الملائكة لنصرة الدين وأن الملائكة تنزل عليهم في كل سنة ليلة القدر تسلم عليهم وأن كل صدقاتهم في بطونهم واثابتهم عليها وتعجيل الثواب في الدنيا مع ادخاره في الآخرة كصلة الرحم فانها تزيد في العمر ويثاب عليها في الآخرة ومادعوا به استجيب لهم روى

الالما فيه رجحى وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها ويدخل في ذلك سرعة اجابته في الدعاء ونجحه في الطلب قال أبو عثمان الحيرى معناه أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي والمراد بالحديث حصر أسباب محبته في أمرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الاولى فتغلب هذه المحبة قلبه فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه روحه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه فالباء في قوله فبي يسمع الخ للمصاحبة وهي مصاحبة لا تظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه أي كما وافقني في مرادي بامتثال أمري والتقرب الى محابي فانا أوافقه في رغبته وقوي أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في امانته لانه يكره الموت والرب يكره مايكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته

الترمذي رحمه الله أعطيت هذه الامة مالم يعط أحد بقوله تعالى ادعوني أستجب لكم وانما يقال هذا للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام في وصف هذه الامة ان دعوني استجبت لهم فاما أن يكون عاجلا واما ان أصرف عنهم سوأ واما أن ادخرلهم في الآخرة ومخالطة الحائض سوى الوطء وما ألحق به وهو مباشرة مابين سرتها وركبتها وتقدم وصفهم في الكتب القديمة بما لا ينبغي اعادته هنا لطوله

﴿باب ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم﴾

ولد له صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله تعالى عنها قبل البعثة القاسم وهو أول أولاده صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى قيل عاش سنتين وقيل سنة ونصفا وقيل حتى مشى وقيل بلغ ركوب الدابة وقيل عاش سبع ليال وهو أول من مات من ولده قبل البعثة ثم ولدت قبل البعثة أيضا زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله تعالى عنهن وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله تعالى عنهن وقيل أكبر بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وبعض الناس ذكر رقية بعد فاطمة وبعد البعثة ولد له صلى الله عليه وسلم عبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله المذكور ولدا في بطن واحدة قبل البعثة أي وقيل اللذان ولدا في بطن واحدة قبل البعثة الطاهر والمطهر وقيل ولد له أيضا قبل البعثة في بطن واحدة الطيب والمطيب وقيل ولد له قبل البعثة عبد مناف مات هؤلاء قبل البعثة وهم يرضعون وأما عبد الله الذي ولد له بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فكان آخر الاولاد من خديجة رضي الله تعالى عنها وبهذا يظهر التوقف في قول السهيلي رحمه الله كلهم ولدوا بعد النبوة وأجاب بعضهم بأن المراد بعد ظهور دلائل النبوة وفيه ان دلائل النبوة وجدت قبل تزوجه بخديجة رضي الله تعالى عنها وعند موت عبد الله هذا قال العاص بن وائل والد عمرو بن العاص وقيل أبو لهب قد انقطع ولده أي لا ولد له ذكر لان ماعدا الذكر عند العرب لا يذكر فهو أبتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ﴿أقول﴾ في مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله فقال انزل علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ولا يخفى ان هذا يقتضي ان السورة المذكورة مدنية ثم رأيت الامام النووي رجح ذلك لما ذكر وقد يقال يجوز أن يكون ان شانئك هو الابتر نزل بمكة وما عداه نزل بالمدينة وقد يعبر عن معظم السورة بالسورة ثم رأيته في الاتقان ذكر ان مما نزل دفعة واحدة سورا منها الفاتحة والاخلاص والكوثر ثم رأيت الامام الرافعي رحمه الله قال فهم فاهمون من الحديث ان السورة نزلت في تلك الاغفاءة وقالوا من الوحي ما كان يأتيه في النوم لان رؤيا الانبياء وحي وهذا غير صحيح لكن الاشبه أن يقال القرآن كله نزل يقظة وكان صلى الله عليه وسلم خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة عليه في اليقظة أي قبل ذلك وفيه ان قوله آنفا لا يناسبه قال أو يحمل الاغفاء على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ثم رأيت الجلال السيوطي في الاتقان نظر في جواب الرافعي الاول بما ذكرته واستحسن الجواب الثاني وفي المواهب ان العاص بن وائل اجتمع هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في باب من أبواب المسجد فتحدثا وصناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل

لكن مصلحته في امانته فانه ما أماته الا ليحييه وما أمرضه الا ليصلحه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه والقصد بقوله وما ترددت الخ بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت به قلوبهم واستأنسوا بقربه وتنعموا بحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة فيصفو لذلك قلبه بذكر الله ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم امامه وأستاذه ومعلمه وشيخه كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع مبادي أموره وكيفية نزول الوحي اليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما منحه الله حتى يصير كأنه معه من بعض

العاص المسجد قالوا له من ذا الذى كنت تتحدث معه قال ذاك الابتر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان توفى أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله تعالى عنها أى الذكور فرد الله سبحانه وتعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر أى عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير أى باغضك هو الابتر أى المقطوع عن كل خير او المقطوع رحمه بينه وبين ولده لان الاسلام حجزهم عنه فلا توارث بينهم فلا يقال العاص وأبو لهب لهما أولاد ذكور فالاول له عمرو وهشام رضى الله تعالى عنهما والثانى له عتبة ومعتب رضى الله تعالى عنهما قيل وكان بين كل ولدين لخديجة سنة وكانت رضى الله تعالى عنها تعق عن الغلام بشاتين وعن الجارية بشاة وكانت تسترضع لهم وذكر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره فى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا كلوط عليه الصلاة والسلام كان له اناث ولم يكن له ذكور ويهب لمن يشاء الذكور كابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه لم يكن له بنت أو يزوجهم ذكرانا واناثا كنبينا صلى الله عليه وسلم ويجعل من يشاء عقيما كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما لم يولد لهما ولد أما زينب رضى الله تعالى عنها فتزوجها ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة شقيقتها وهو العاص بن الربيع كما تقدم وذكر بعضهم بدل هالة هند قال وهالة صحابية وهند لا أعرف لها اسلاما ويحتمل أن يكون أحدهما اسما والآخر لقبا فهما واحدة وفى سنة ثمان من الهجرة أى من ذى الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية رضى الله تعالى عنها وكان صلى الله عليه وسلم معجبا بها لانها كانت بيضاء جميلة ولده ابراهيم وعق عنه صلى الله عليه وسلم بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن فى الارض أى وغارت نساؤه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن من ذلك ولا كعائشة رضى الله تعالى عنها حتى انه صلى الله عليه وسلم قال لها انظرى الى شبهه فقالت ما أرى شيأ فقال ألا ترى الى بياضه ولحمه وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وكانت قبل ذلك مولاة عمته صلى الله عليه وسلم صفية رضى الله تعالى عنها وهبتها له صلى الله عليه وسلم وسلمى زوجة أبى رافع رضى الله تعالى عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعمه العباس رضى الله تعالى عنه قبل ذلك وهبه له صلى الله عليه وسلم واسمه ابراهيم وكان قبطيا وقيل غير ذلك أعتقه صلى الله عليه وسلم لما أخبره باسلام العباس وزوجه مولاته سلمى المذكورة وقيل كان مولى لسعيد بن العاص فورثه بنوه وهم ثمانية فاعتقوه كلهم الا ولده خالد فانه لم يعتق نصيبه منه فكلمه صلى الله عليه وسلم أن يعتق نصيبه أو يبيعه أو يهبه منه فوهبه منه صلى الله عليه وسلم فاعتقه قيل بعد ان سأله صلى الله عليه وسلم أبو رافع فى ذلك وبقى عقبه من اشراف المدينة وكان ولده عبد الله كاتبا وخازنا لعلى كرم الله وجهه أيام خلافته فخرجت الى زوجها أبى رافع فاخبرته أن مارية قد ولدت غلاما فجاء أبو رافع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره فوهب له عبدا وروى أبو رافع رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه واغتسل عند كل واحدة منهن غسلا قال أبو رافع فقلت له يا رسول الله لو جعلته غسلا واحدا قال هذا أزكى وأطيب وسمى صلى الله عليه وسلم ابنه يومئذ أى يوم ولادته وقيل سماه سابع ولادته ودفعه لام بردة خولة بنت المنذر بن زيد الانصارى زوجة البراء بن أوس لترضعه واعطاها قطعة نخل فكانت ترضعه فى بنى مازن وترجع به الى المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ينطلق اليها فيدخل البيت ويأخذه فيقبله ثم يرجع ولما احتضر جاء صلى الله عليه وسلم فوجده فى حجر أمه فأخذه صلى الله عليه وسلم فى حجره وقال يا ابراهيم انا لن نغنى عنك من الله شيأ ثم

أصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحى المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه وماذا أريد بها أو حظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى الشفاء من الامراض ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ماحد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه عز وجل وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة الله تعالى اياه قال الشاعر

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله فى قلب العبد فاذا دام ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته وتقوى عزيمته وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

زرفت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ونهانا عن الصياح أى وفى لفظ تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع فان الآخر منا يتبع الاول وجدنا عليك يا ابراهيم وجدا شديدا ما وجدناه أى وفى لفظ ولولا أنه أمر حق ووعد صدق وأنها سبيل مأتية لحزنا عليك حزنا شديدا أشد من هذا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون وفى لفظ وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وعن سيرين لما نزل بابراهيم الموت صرت كلما صحت أنا وأختى نهانا صلى الله عليه وسلم عن الصياح أى ولما بكى صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أنت أحق من علم الله حقه قال تدمع العين وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أولم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكنى نهيت عن صوتين أحمقين وآخرين صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان وصوت عند نغمة لهو وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم وذكر أنه لما مات كان صلى الله عليه وسلم مستقبلا الجبل فقال يا جبل لو كان بك مثل ما بى لهدك ولكن انا لله وانا اليه راجعون وصرخ أسامة رضى الله تعالى عنه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رأيتك تبكى فقال له صلى الله عليه وسلم البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان ولما مات ولد سليمان بن عبد الله التفت الى ولى عهده عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وقال له انى أجد فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر والتفت الى وزيره رجاء فقال له رجاء اقضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى اربا ثم أقبل عليهما فقال لولم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدى ثم لم يبك بعدها ولذلك قيل

فى افاضة الكئيب لدمعته ما يذهب من لوعته ❊ وفى ارساله لعبرته ما يعينه على سلوته

ومات سنة عشرة من الهجرة واختلف فى سنه فقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام وقيل ثمانية عشر شهرا مات عند ظئره أم بردة وغسلته وحملته بين يديها على سرير وفى رواية غسله الفضل ابن العباس رضى الله تعالى عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير وفى كلام ابن الاثير رحمه الله قيل ان الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما غسل ابراهيم ونزل فى قبره هو وأسامة بن زيد وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر قال الزبير ورش على قبره ماء وعلم على قبره بعلامة وهو أول قبر رش عليه الماء وفيه نظر لانه رش على قبر عثمان بن مظعون بالماء وهو سابق على سيدنا ابراهيم كما تقدم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم وكبر أربعا أى وقيل لم يصل عليه أى لم تقع الصلاة عليه من أحد وفى كلام النووى رحمه الله القول بالصلاة عليه هو قول جمهور العلماء وهو الصحيح وما جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه لم يصل عليه قال ابن عبد البر رحمه الله انه غلط فقد أجمع جماهير العلماء على الصلاة على الاطفال اذا استهلوا عملا مستفيضا عن السلف والخلف وقال الامام أحمد رحمه الله فى خبر عائشة رضى الله تعالى عنها انه خبر منكر جدا أى وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم الطفل يصلى عليه وجاء صلوا على أطفالكم فانه من افراطكم وقد جاء فى المرفوع اذا استهل المولود صلى عليه وورث وورث وجاء أحق ما صليتم على أطفالكم ومن المقرر أنه اذا تعارض الاثبات والنفى قدم الاثبات على النفى ولما كسفت الشمس فى ذلك اليوم قال قائل كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكسف لموت أحد ولا لحياته وفى لفظ ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله

فقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجد المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته قال المحاسبى علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان فى القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد فى اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين فى حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد فى الاوراد والاذكار وبقية الاعمال كلفة روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة قال ابن عطاء من ألزم نفسه آداب

يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته الحديث ودفن بالبقيع وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضى الله عنه ولقنه صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكى وهو غريب وقد احتج به بعض أئمتنا على استحباب تلقين الطفل وفى التتمة للمتولى من أئمتنا والاصل فى التلقين ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دفن ابراهيم قال قل الله ربى ورسول الله أبى والاسلام دينى فقيل له يارسول الله أنت تلقنه فمن يلقننا فأنزل الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره فقال يابنى ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون يابنى قل الله ربى والاسلام دينى ورسول الله أبى فبكت الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم عمر رضى الله عنه بكى حتى ارتفع صوته فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا عمر فقال يارسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج الى تلقين مثلك يلقنه التوحيد فى مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة معه ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يريد بذلك وقت الموت أى عند وجود الفتانين وعند السؤال فى القبر فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الآية فطابت الانفس وسكنت القلوب وشكروا الله وفيه ان هذا يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لم يلقن أحدا قبل ولده ابراهيم وهذا الحديث استند اليه من يقول بأن الاطفال يسئلون فى القبر فيسن تلقينهم وذهب جمع الى انهم لا يسئلون وأن السؤال خاص بالمكلف وبه أفتى الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال والذى يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا ويوافقه قول النووى رحمه الله فى الروضة وشرح المهذب التلقين انما هو فى حق الميت المكلف أما الصبى ونحوه فلا يلقن قال الزركشى وهو مبنى على ان غير المكلف لا يسئل فى قبره وذكر القرطبى رحمه الله أن الذى يقتضيه ظواهر الاخبار ان الاطفال يسئلون وان العقل يكمل لهم وذكر ان الاحاديث مصرحة بسؤال الكافر أى من هذه الامة ويخالفه قولهم حكمة السؤال تمييز المؤمن من المنافق الذى كان يظهر الاسلام فى الدنيا وأما الكافر الجاحد فلا يسئل قال الفاكهانى ان الملائكة لا يسئلون قال بعضهم ووجهه ظاهر فان الملائكة انما يموتون عند النفخة الاولى أى فلم يبق منهم من يقع منه السؤال وأما عذاب القبر فعام للمسلم والكافر والمنافق فعلم الفرق بين فتنة القبر وعذابه وهو ان الفتنة تكون بامتحان الميت بالسؤال وأما العذاب فعام يكون ناشئا عن عدم جواب السؤال ويكون عن غير ذلك وقد اختص نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما ذاك الا ان الانبياء قبل نبينا كان الواحد منهم اذا أتى أمته وأبوا عليه اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث رحمة بتأخير العذاب ولما أعطاه الله السيف دخل فى دينه قوم مخافة من السيف فقيض الله تعالى فتانى القبر ليستخرجا بالسؤال ما كان فى نفس الميت فيثبت الله المسلم ويزل المنافق وفى بعض الآثار تكرر السؤال فى المجلس الواحد ثلاث مرات وفى بعضها ان المؤمن يسئل سبعة أيام والمنافق أربعين يوما أى قد يقع ذلك وفى بعض الآثار أن فتانى القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان وفى بعضها ثلاثة أنكر ونكير ورومان وقيل أربعة منكر ونكير يكونان للمنافق ومبشر وبشير للمؤمن ونقل الحافظ السيوطى عن شيخه الجلال البلقينى رحمهما الله ان السؤال يكون بالسريانية واستغربه وقال لم أره لغيره وفى كلام الحافظ السيوطى لم يثبت فى التلقين حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف

السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحق الرقى وكان من أقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لا يظهر على أحد شئ من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فان ادعى علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء الرسول به من ربه تعالى والا فهو من الشيطان والنفس فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب وروضة البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا مما قضاه ولم يسلم له قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلى رضى الله عنه واذاقنا حلاوة مشربه فى هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقى

باتفاق

باتفاق جمهور المحدثين ولهذا ذهب جمهور الامة الى ان التلقين بدعة وآخر من أفتى بذلك العز بن عبد السلام وانما استحسنه ابن الصلاح وتبعه النووى نظرا الى ان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال وحينئذ فقول الامام السبكى حديث تلقين النبى صلى الله عليه وسلم لابنه ليس له أصل أى صحيح أو حسن وقال صلى الله عليه وسلم فى حق ابراهيم ان له ظئرا تتم رضاعه وفى رواية ان له ظئرين يكملان رضاعه فى الجنة وقال لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطى وفى لفظ لاعتقت القبط وما استرق قبطى قط وفى لفظ مارق له خال قال بعضهم معناه لو عاش فرآه أخواله القبط لاسلموا فرحا به وتكرمة له فوضعت الجزية عنهم لانها لا توضع على مسلم ومعنى الثانى اذا أسلموا وهم أحرار لم يجر عليهم الرق لان الحر المسلم لا يجرى عليه الرق * وذكر ان الحسن بن على رضى الله عنهما كلم معاوية فى أن يضع الخراج عن أهل بلد مارية وهى حفنة بالحاء المهملة واسكان الفاء وبالنون قرية من قرى الصعيد ففعل معاوية ذلك رعاية لحرمتهم أى وقال النووى رحمه الله وأما ما روى عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام فى المغيبات ومجازفة وهجوم على بعض الزلات قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكأنه لم يظهر له وجه تأويله وهو ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع أى وكان اللائق به ان يكون نبيا وان لم يكن ذلك ثم رأيت الجلال السيوطى رحمه الله نقل عن الاستاذ أبى بكر بن فورك واقره انه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره وقال يابنى ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون وكنى به صلى الله عليه وسلم فقد جاء ان جبريل عليه السلام قال له السلام عليك يا أبا ابراهيم ان الله قد وهب لك غلاما من أم ولدك مارية وأمرك ان تسميه ابراهيم فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك فى الدنيا والآخرة زاد الحافظ الدمياطى رحمه الله فاطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك (أقول) وسبب اطمئنانه صلى الله عليه وسلم بذلك ان مابورا كان يأوى اليها ويأتى اليها بالماء والحطب فاتهمت به وقال المنافقون علج يدخل على علجة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث عليا كرم الله وجهه ليقتله فقال له على كرم الله وجهه يارسول الله اقتله أو أرى فيه رأيى فقال بل ترى رأيك فيه فلما رأى السيف بيد على كرم الله وجهه تكشف وفى لفظ فاذا هو فى ركى يتبرد فقال على كرم الله وجهه اخرج فناوله يده فاخرجه فاذا هو مجبوب أى ممسوح فكف عنه على كرم الله وجهه ورجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال أصبت ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب أى وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه السلام المذكور فالمراد مزيد الاطمئنان وفى كلام بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مارية رضى الله عنها وهى حامل بولده ابراهيم فوجد عندها من ذكر فوقع فى نفسه شئ فخرج صلى الله عليه وسلم وهو متغير اللون فلقيه عمر رضى الله عنه فعرف الغيظ فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية رضى الله عنها وهو عندها فاهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه فاذا هو مجبوب فلما رآه عمر رضى الله عنه رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ألا اخبرك يا عمر ان جبريل عليه السلام أتانى فاخبرنى ان الله برأها ونزهها مما وقع فى نفسى وبشرنى ان فى بطنها غلاما منى وانه أشبه الخلق بى وأمرنى ان أسميه ابراهيم وكنانى بابى ابراهيم ولولا انى أكره أن أحول كنيتى التى تكنيت بها لتكنيت بابى ابراهيم والله أعلم أى وفى النور انى لا أعرف فى الصحابة خصيا الا هذا وشخصا

لا يحصل الا ان حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن فى كليهما فاحكام التكليف الاوامر والنواهى المتعلقة باكتساب العبد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفى الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج فى نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصصا ورعاية لانه لم يقل فلا الرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففى ذلك تاكيد بالقسم وتاكيد فى المقسم به علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفى ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط ان لا يوجد الحرج فى نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم

آخر يقال له سفدرآه ولاه يقبل جارية له نخصاه وجدعه واتى النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقه سيده وفى كلام بعضهم عدابن منده وأبو نعيم مابورا فى الصحابة وقد غلطا فى ذلك فانه لم يسلم ومازال نصرانيا ومنه أى بسببه فتح المسلمون مصر فى خلافة عمر رضى الله عنه

﴿باب ذكر أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم﴾

أعمامه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر وهم الحرث وهو أكبر اولاد جده عبد المطلب وبه كان يكنى وشقيقه قثم وقد هلك صغيرا وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة وهؤلاء الثلاثة أشقاء لعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الحرث لا شقيق له وحمزة وشقيقاه المقوم بفتح الواو وكسرها مشددة وجحل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة والجحل السقاء الضخم أى وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على الجيم وهو فى الاصل الخلخال والعباس وشقيقه ضرار وقد تقدم ان أم العباس رضى الله عنه أول من كست الكعبة الحرير وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب وقيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده أى لانه كان أجود قريش وأكثرها طعاما ومالا وذكر بعضهم فى أعمامه العوام وعماته صلى الله عليه وسلم ست وهن أم حكيم وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وهؤلاء الخمسة أشقاء لعبد الله والده صلى الله عليه وسلم وصفية أى وهى شقيقة حمزة ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا لبعثة الا حمزة والعباس وحكى اسلام أبى طالب وقد تقدم ما فيه ولم يسلم من عماته اللاتى أدركن البعثة من غير خلاف الا صفية أى وهى أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت أى وماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه قيل وأسلمت عاتكة التى هى صاحبة الرؤيا يوم بدر وقيل وأروى قال بعضهم والمشهور ان عاتكة لم تسلم

﴿باب ذكر أزواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم﴾

لا يخفى أن أزواجه صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنا عشر امرأة خديجة رضى الله عنها وهى أول نسائه صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت أبى هالة بن زرارة التميمى وقيل كانت تحت عتيق بن عائذ المخزومى أولا ثم تحت أبى هالة كما تقدم وجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب أى ليس فيه رفع صوت ولا تعب أى من درة مجوفة فقد جاء أنها قالت له يا رسول الله هل فى الجنة قصب فقال انه من لؤلؤ مجبى بالجيم والموحدة مشددة أى مجوف وجوزيت رضى الله عنها بهذا البيت لانها أول من بنى بيتا فى الاسلام بتزوجها برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء من كسى مسلما على عرى كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظما سقاه الله من الرحيق جزاء وفاقا وعن عائشة رضى الله عنها ما غرت لى أحد ما غرت على خديجة رضى الله عنها ولقد هلكت قبل ان يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له صلى الله عليه وسلم يوما وقد مدح خديجة رضى الله عنها ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد ابدلك الله خيرا منها فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما أبدلنى الله خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها واتفق له صلى الله عليه وسلم انه أرسل لحما لامرأة تناوله صلى الله عليه وسلم ودفعه لآخر يدفعه لها فقالت له عائشة رضى الله عنها لم تحرز يدك فقال ان خديجة أوصتنى بها فقالت عائشة لكأنما ليس فى الارض امرأة الا

سواء كان الحكم موافقا لما فى أهوائهم أو مخالفا لها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار ففيه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له فى نقضه وابرامه وقال سهل ابن عبد الله رضى الله عنه من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم فى سائر الاحوال ويرى نفسه فى ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال العارف بالله أبو عبد الله القرشى حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيأ فمن آثر هذا النبى الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسرار انسه ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه فى الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق فى الدين وآثر ذلك على اعراض الدنيا ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ التسلى عن المصائب

خديجة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا فلبث ماشاء الله ثم رجع فاذا أم رومان أم عائشة رضى الله عنهما فقالت يا رسول الله مالك ولعائشة انها حديثة السن وأنت أحق من يتجاوز عنها فاخذ بشدق عائشة رضى الله عنها وقال ألست القائلة كأنما ليس على وجه الارض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بى اذ كفر بى قومك ورزقت منها الولد وحرمتموه ثم سودة بنت زمعة أى وأمها من بنى النجار لانها بنت أخى سلمى بن عبد المطلب كما تقدم ثم أم عبد الله عائشة رضى الله عنها بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما كنت بابن أختها أسماء عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهم باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فصار يقال لها أم عبد الله كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت فما زلت أكنى به أى وكان يدعوها أما لانه رضى الله عنه تربى فى حجرها ويقال انها أتت منه صلى الله عليه وسلم بسقط أى وسمى عبد الله قال الحافظ الدمياطى ولم يثبت كما تقدم وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة فى شوال وهى بنت سبع سنين وبنى صلى الله عليه وسلم بها وهى بنت تسع سنين أى فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح كما تقدم وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها أريتك فى النوم مرتين أرى ملكا يحملك فى سرقة أى شقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف فأراك فأقول ان كان من عند الله يمضه وقبض صلى الله عليه وسلم عنها وهى بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها وقبض صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجرها ودفن فى بيتها كما سيأتى وماتت وقد قاربت سبعا وستين سنة فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه بالبقيع وقيل سعيد بن زيد ودفنت به ليلا وذلك فى زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة فى خلافة معاوية وكان مروان استخلف أبا هريرة رضى الله عنه لما ذهب الى العمرة فى تلك السنة ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهى شقيقة عبد الله بن عمر وأسن منه وأمها زينب أخت عثمان ابن مظعون وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة رضى الله عنه فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر وقيل باحد وهو خطأ لما سيأتى من أن تزوجه صلى الله عليه وسلم لها فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين (أقول) وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مراون بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وقيل ماتت لما بويع معاوية سنة احدى وأربعين والله أعلم وطلقها صلى الله عليه وسلم وقيل فى سبب طلاقها انه صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها فاستأذنت فى زيارة أبيها أى وقيل فى زيارة عائشة لانهما كانتا متصادقتين أى بينهما المصافاة فأذن لها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة فأبصرت مارية مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت له انى رأيت من كان معك فى البيت وغضبت وبكت أى وقالت يا رسول الله لقد جئت الى بشئ ما جئت به الى أحد من نسائك فى يومى وفى بيتى وعلى فراشى فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهها الغيرة قال لها اسكتى فهى حرام على أبتغى بذلك رضاك وفى رواية أما ترضين أن أحرمها على نفسى ولا أقربها أبدا قالت بلى وحلف أن لا يقربها أى قال انها حرام وفى رواية قد حرمتها على ومع ذلك أخبرك أن أباك الخليفة من بعد أبى بكر فاكتمى على وفى رواية قال لها لا تخبرى بما أسررت اليك فأخبرت بذلك عائشة رضى الله عنهما فقالت

ولا يجد من مسها ما يجده غيره حتى كأنها اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلى بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوجة بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى تلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون المصائب ليتنى
تحملت ما يلقون من بينهم وحدى
فكانت لقلبى لذة الحب كلها
فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى

﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيأ أكثر من ذكره قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال آخر للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له (وقال المحاسبى) علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على ان من أحب شيأ أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشئ ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن

قد أراحنا الله من مارية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها على نفسه وقصت عليها
القصة وقيل خلا صلى الله عليه وسلم بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى
على قد حرمت مارية على نفسى فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين بينهما المصافاة كما
تقدم فطلقها وأنزل الله تعالى عند تحريم مارية قوله يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى
مرضاة أزواجك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أى أوجب عليكم كفارة ككفارة
أيمانكم لان الكفارة تحل ما عقدته اليمين لان هذ ليس من الايمان أى وأطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على أن حفصة قد نبأت عائشة بما أسره اليها من أمر مارية وأمر الخلافة
فلما أخبر صلى الله عليه وسلم عائشة ببعض ما أسرته لها وهو أمر مارية وأعرض عما أسره
اليها من أمر الخلافة خوفا أن ينتشر ذلك فى الناس قالت عائشة من أنبأك هذا قال نبأنى
العليم الخبير ومن ثم كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول والله ان خلافة أبى بكر وعمر لفى
كتاب الله ثم يقرأ هذه الآية ولما أفشت حفصة رضى الله عنها سره صلى الله عليه وسلم
طلقها كما تقدم فجاءه جبريل عليه السلام يأمره بمراجعتها الا انها صوامة قوامة وانها احدى
زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الجنة وفى رواية تأتى راجعها رحمة لعمر وقيل هم صلى الله
عليه وسلم بتطليقها ولم يفعل فقد جاء عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة
وعليه فيراد بالمراجعة المصالحة والرضا عنها كما سيأتى قال فى الينبوع وهذا هو المشهور فسيأتى
ما يدل على صحته أى والذى سيأتى قول عمر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم لما اعتزل
نساءه يا رسول الله أطلقتهن قال لا وفيه أن هذا كان عند طلبهن منه صلى الله عليه وسلم
النفقة وهذه الواقعة غير تلك وقيل فى سبب نزول الآية غير ذلك وفى البخارى فى سبب نزول
الآية عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند
زينب ابنة جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له صلى الله
عليه وسلم أكلت مغافير أى أجد منك ريح مغافير فدخل على حفصة رضى الله عنها فقالت له
ذلك فقال لها لا ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت
لا تخبرى بذلك أحدا أى لانه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يظهر منه ريح كريهة لان المغافير
صمغ العوسج من شجر الثمام كريه الريح وعن عمر رضى الله عنه ان امرأته راجعته فى شئ
فانكر عليها مراجعتها فقالت له عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد ان تراجع وان ابنتك لتراجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقام عمر رضى الله عنه فدخل على
حفصة رضى الله عنها فقال لها يا بنية انك لتراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل
يومه غضبان فقالت له حفصة والله انا لنراجعه فقلت تعلمين انى أحذرك عقوبة الله وغضب
رسوله صلى الله عليه وسلم يا بنية لا تغررك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياها يريد عائشة قال ثم دخلت على أم سلمة لقرابتى منها فكلمتها فقالت يا ابن
الخطاب دخلت فى كل شئ حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه
فأخذتنى والله أخذا كسرتنى عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها فاتانى منزلى
فجاءنى صاحب لى من الانصار وأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه
فقلت رغم أنف حفصة وعائشة فأخذت ثوبى وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو فى مشربة له يرقى اليها بعجلة وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشربة

ويصدر

اللذات وانقطعت أوهامهم عن
عارض دواعى الشهوات ورقت
الى معادن الذخائر وبغية
الطلبات وربما تزايد وجد المحب
وهاج الحنين وباح الانين
وتحركت المواجيد وتغير اللون
وفتر البدن واقشعر الجلد وربما
صاح وربما بكى وربما شهق
وربما وله وربما سقط وربما زاد
الوجد على المحب فقتله ومن
علامات محبته صلى الله عليه
وسلم تعظيمه عند ذكره واظهار
الخشوع والخضوع والانكسار
مع سماع اسمه فكل من أحب
شيأ خضع له كما كان كثير من
الصحابة رضى الله عنهم اذا ذكروه
خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كان كثير من
التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك
محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال
بعض السلف واجب على كل
مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده
أن يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته ويأخذ من
هيبته واجلاله بما كان يأخذ به
لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا
الله به وكان أيوب السختيانى رحمه
الله اذا ذكر النبى صلى الله عليه
وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر
ابن محمد رضى الله عنه كثير المزح
والدعابة فاذا ذكر عنده النبى
صلى الله عليه وسلم اصفر لونه
وكان عبد الرحمن بن القاسم بن
محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله
عنهم اذا ذكر عنده النبى صلى
الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه

ويصدر منها عليه وغلام له أسود يقال له رباح على رأس العجلة فقلت له قل له هذا عمر بن
الخطاب فأذن لى أى بعد ان قال له يا رباح استأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
وفى كل مرة ينظر رباح الى المشربة ولا يرد له جوابا وفى الثالثة رفع له عمر رضى الله عنه صوته
فأومأ اليه ان ارق قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصت عليه القصة فلما
بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ويأتى ان هذا كان عند
اجتماعهن عليه فى النفقة لا لاجل معاتبة الله اياه بسبب الحديث الذى أفشته حفصة
ويحتمل انه لاجتماع الامرين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا
على ان أسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللتين قال الله تعالى فيهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما
عائشة وحفصة أى فان الله خاطبهما بقوله ان تتوبا الى الله أى فهو خير لكما فقد صغت قلوبكما
أى مالت عما يجب عليكما من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتغاء مرضاته ثم استقبل
الحديث قال كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا قوم تغلبهم
نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نسائهم فصخبت على امرأتى فراجعتنى فأنكرت أن
تراجعنى فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه
وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعنى ذلك منهن فدخلت على حفصة فقلت لها
أتغاضب احداكن النبى صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت
وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله بغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكى لا تستكثرى
النبى صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه فى شئ ولا تهجريه وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت
جارتك أوضأ منك وأحب الى النبى صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فاخبرت أن النبى صلى الله
عليه وسلم طلق نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا فدخلت على حفصة
فاذا هى تبكى فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبى صلى الله عليه وسلم قالت
لا أدرى ها هو معتزل فى المشربة أى الغرفة فانه صلى الله عليه وسلم لما عاتبه الله سبحانه بسبب
الحديث الذى أفشته حفصة على عائشة حلف لا يدخل على نسائه شهرا فصار صلى الله عليه
وسلم يتغدى ويتعشى وحده فى تلك المشربة فجئت المشربة فقلت لغلام اسود استأذن لعمر
فدخل الغلام فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمته وذكرتك له فصمت فانصرفت
ثم غلبنى ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع الى فقال ذكرتك له فصمت
فرجعت ثم غلبنى ما أجد فجئت الغلام ثم قلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع الى فقال ذكرتك
له فصمت فلما وليت منصرفا اذا الغلام يدعونى فقال قد أذن لك النبى صلى الله عليه وسلم
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه
فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت له وأنا
قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع بصره الى فقال لا فقلت الله أكبر كنا معاشر قريش
نغلب النساء فلما قدمنا المدينة فاذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قلت يا رسول الله لو رأيتنى ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ
منك وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى
فجلست حين رأيته صلى الله عليه وسلم تبسم وفى رواية ان عمر رضى الله عنه لما بلغه ان النبى
صلى الله عليه وسلم طلق حفصة حثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها

قد نزف منه الدم وقد جف لسانه
فى فيه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير
رضى الله عنهما اذا ذكر عنده
النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى فى عينه دموع وكان
الزهرى اذا ذكر عنده النبى صلى
الله عليه وسلم يتغير وكأنك
ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان
ابن حكيم من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه
وسلم فلا يزال يبكى حتى يقوم
الناس عنه ويتركوه ومن
علامات محبته صلى الله عليه
وسلم كثرة الشوق الى لقائه
اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه
قال بعضهم المحبة الشوق الى
المحبوب وعن معروف الكرخى
رضى الله عنه المحبة الشوق
المشاهدة الصفات أو مشاهدة
أسرار الصفات فيرى بلوغ
النوال ولو بمشاهدة الرسول
ولهذا كانت الصحابة اذا اشتد بهم
الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة
قصدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستشفعوا بمشاهدته
وتلذذوا بالجلوس معه والنظر
اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم
وعن عبيدة بنت خالد بن معدان
ما كان خالد يأوى الى فراش الا
وهو يذكر من شوقه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى
أصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم أصلى وفصلى
واليهم يحن قلبى طال شوقى اليهم
فعجل رب قبضى اليك فالقلب

فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر وقد يراد بالمراجعة المصالحة والرضا فلا ينافي ما تقدم انه لم يطلقها وانما أراد ذلك ويدل له ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة ومن هذا وما يأتي يعلم انه صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه وأما الظهار فلم يظاهر أبدا خلافا لمن زعمه أي وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب اعتزاله صلى الله عليه وسلم لنسائه في المشربة أنه شجر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين حفصة أمر فقال لها اجعلي بيني وبينك رجلا قالت نعم قال فأبوك اذا فأرسلت الى عمر فجاء فلما دخل عليهما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم تكلمي فقالت بل أنت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر رضي الله عنه يده فوجأها في وجهها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد الى الغرفة فمكث فيها شهرا لا يعرف شيأ من نسائه ونزلت آية التخيير ويقال لا مانع من اجتماع هذا السبب مع ما تقدم ويروى أن سبب نزول آية التخيير ان نساءه صلى الله عليه وسلم اجتمعن عليه فسألنه النفقة ولم يكن عنده شيء فآلى أن لا يجتمع بهن شهرا وصعد المشربة الحديث وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لهم قال فأذن لابي بكر رضي الله عنه فدخل ثم أقبل عمر ماشيا فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم حوله نساؤه أي قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله عنه لاقولن شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمع بهن شهرا وفي رواية أخرى عن عمر رضي الله عنه انه ذكر ان بعض أصدقائه من الانصار جاء اليه ليلا فدق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان لانا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشربة أي لان نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه صلى الله عليه وسلم في طلب النفقة أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن قال عمر رضي الله عنه لاقولن من الكلام شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له صلى الله عليه وسلم أسود فقلت له استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج وقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة

اذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار ... صلى عليه الطيبون الاخيار

قد كنت قواما بكاء بالاسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات وقال لها أعيدي علي قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ﴿ويحكى﴾ انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل عماذا قالت بحبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ حب القرآن الذي أتى به وتخلق به واذا اردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه

تغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعتني فانكرت عليها فقالت تنكر أن راجعتك فوالله لقد رأيت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أتأمن احداهن أن يغضب الله عليها الغضب زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت الى حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن احداكن أن يغضب الله عليها الغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعني عائشة رضي الله تعالى عنها فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى صلى الله عليه وسلم جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يا رسول الله فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه في قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك الآية فنزل ودخل على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت له يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن فقال صلى الله عليه وسلم ان الشهر تسع وعشرون وفي رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير باصابع يديه وفي الثالثة حبس ابهامه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة اني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي وفي رواية اني أعرض عليك أمرا وأحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فقرأ علي "يا أيها النبي قل لازواجك" الآية قالت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت رضي الله تعالى عنها ثم قالت له لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت لك فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا ثم فعل بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت عائشة رضي الله تعالى عنهن ثم زينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها وهي أخت ميمونة لامها كانت تدعى أي في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم أي كما سمي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بأبي المساكين لحبه لهم وجلوسه عندهم وتحدثه معهم واحسانه اليهم رضي الله تعالى عنه كانت قبله تحت الطفيل بن الحرث فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحرث فقتل يوم بدر شهيدا فخطبها صلى الله عليه وسلم فجعلت أمرها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي وذلك على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهر وفي لفظ ان عبيدة بن الحرث قتل عنها يوم أحد فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ انها كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وهو أصح وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس ما عددهم قال كانوا

وسلم فانظر محبة القرآن من قلبك فانه من المعلوم ان من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شيء اليه وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي قال أقرأ عليك وعليك أنزل قال فاني أحب ان أسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكا رواه البخاري وهذا يجده من استنار قلبه ورق عند سماع الكتاب العزيز قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأدمع لان

ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عنده عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا الله وليأكل كل رجل مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كانت أكثر أو حين رفعت فمكثت عنده صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر وقيل شهران أو ثلاثة ثم توفيت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنت بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها ولم يمت من أزواجه صلى الله عليه وسلم في حياته الا هي وخديجة رضي الله تعالى عنهما ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد زينب هذه أم سلمة واسمها هند وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند أبي سلمة رضي الله تعالى عنه عبد الله بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وكانت هي وهو أول من هاجر الى الحبشة على ما تقدم فلما مات أبو سلمة رضي الله تعالى عنه قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيرا فقالت ومن يكن خيرا من أبي سلمة ولما اعتدت أم سلمة رضي الله تعالى عنها أرسل صلى الله عليه وسلم يخطبها مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه أي وكان خطبها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأبت وخطبها عمر فأبت فلما جاءها حاطب قالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له اني امرأة مسنة واني أم أيتام أي لانها رضي الله تعالى عنها كان معها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة واني شديدة الغيرة فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول لها أما قولك اني امرأة مسنة فأنا أسن منك ولا يعاب على المرأة ان تتزوج أسن منها وأما قولك اني أم أيتام فان كلهم على الله وعلى رسوله وأما قولك اني شديدة الغيرة فاني أدعو الله أن يذهب ذلك عنك أي وفيه انهم قالوا يا رسول الله الا تتزوج من نساء الانصار قال ان فيهن غيرة شديدة وفي لفظ أنها قالت زيادة على ما تقدم ليس لي ههنا أحد من أوليائي فيزوجني فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أما ما ذكرت من غيرتك فاني أدعو الله أن يذهبها عنك وأما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه أي على متاع منه رحى وجفنة وفراش حشوه ليف وقيمة ذلك المتاع عشرة دراهم وقيل أربعون درهما قالت فتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلني بيت زينب أم المساكين رضي الله تعالى عنها بعد ان ماتت فاذا جرة فيها شئ من شعير واذا رحى وبرمة وقدر وكعب أي ظرف الادم فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الكعب فادمته فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه وماتت أم سلمة رضي الله تعالى عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وقيل سعيد بن زيد وغلط قائله وذكر بعضهم ان تزويج ولدها لها رضي الله تعالى عنهما انما كان بالعصوبة لانه كان ابن ابن عمها ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد أم سلمة رضي الله تعالى عنها زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم زينب أي خشي أن يقال خرج من عند برة وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما ثم طلقها فلما انقضت عدتها زوجه الله اياها أي لانه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد ابن حارثة يخطبها له صلى الله عليه وسلم قال زيد فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيأ حتى أوامر

الحرارة والبرودة اذا اضطربتا عند المام السماع بالقلب ظهر اثر ذلك في الجسد واقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجا تكاد تضيق منه فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الاحوال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما مر بآية من ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب انه مريض وكان الصحابة رضي الله عنهم اذا اجتمعوا يقولون لابي موسى رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فكانوا يجدون في السماع القرآني من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما يجد أهل السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته في سماع الابيات دون سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر واذا انشد بين يديه شئ من الشعر يميل كالنشوان فاعلم ان هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله ادام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه

ربي عز وجل فأنزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن فكانت رضي الله تعالى عنها تفتخر بذلك على نسائه صلى الله عليه وسلم وتقول ان الله أنكحني اياه من فوق سبع سموات وهذا يرد ما قيل ان أخاها أبا أحمد بن جحش زوجها منه صلى الله عليه وسلم قال في النور ويمكن تأويل تزويج اخيها اياها أي وقد ذكر مقاتل رحمه الله ان زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اخطب علي قال له من قال زينب بنت جحش قال لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نفسا فقال يا رسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس علي فعلت فقال صلى الله عليه وسلم انها امرأة لسناء فذهب زيد رضي الله تعالى عنه الى علي كرم الله وجهه فحمله على أن يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال اني فاعل ذلك ومرسلك يا علي الى أهلها فتكلمهم ففعل ثم عاد يأمره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم وأقضي ان تنكحوه فأنكحوه وساق لهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة امداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولم عليها وأطعم المساكين خبزا ولحما أي وتزوجها صلى الله عليه وسلم هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة على الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين سنة وقيل نزلت في ذلك اليوم آية الحجاب فانه صلى الله عليه وسلم لما دعا القوم وطعموا تهيأ صلى الله عليه وسلم للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس فلم يدخل فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وتكلم في ذلك المنافقون وقالوا محمد حرم نساء الاولاد وقد تزوج امرأة ابنه أي لان زيد بن حارثة كان يقال له زيد بن محمد أي لانه صلى الله عليه وسلم كان تبناه كما تقدم فأنزل الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأنزل ادعوهم لآبائهم فمن حينئذ كان يقال له رضي الله تعالى عنه زيد بن حارثة كما تقدم وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به ماتت رضي الله تعالى عنها بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أي فان عمر رضي الله تعالى عنه أرسل الى زينب رضي الله تعالى عنها بالذي لها من العطاء فسترته بثوب وأمرت بتفرقته فكان خمسة وثمانين درهما ثم قالت اللهم لا تدركني عاما لعمر بعد عامي هذا فماتت وهي أول من جعل على نعشها قبة أي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها فلا يخالف ما سبق مما ظاهره انه فعل لها ذلك وفي كلام بعضهم ان زينب هذه أول من حمل على نعش وقيل أول من حمل على نعش فاطمة رضي الله تعالى عنها وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول في حقها هي التي كانت تساويني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت امرأة قط خيرا في الدين واتقى لله واصدق في حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب رضي الله تعالى عنها وقال صلى الله عليه وسلم في حقها انها لاواهة فقال رجل يا رسول الله ما الاواه قال الخاشع المتضرع وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم بعض نسائه أينا أسرع بك لحوقا قال اطولكن يدا فأخذن قصبة يذرعنها وفي لفظ عن عائشة رضي الله تعالى عنها فكنا اذا اجتمعنا في بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول فكانت سودة رضي الله تعالى عنها أطولهن فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها أي وكانت امرأة قصيرة علموا أن المراد طول اليد بالصدقة

وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشرب منها روحه وقلبه ونفسه وتعمه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني
وسره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب
أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويظهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شئ أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شئ أشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب

﴿ومن علامات محبته﴾ صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة

لانها كانت تعمل وتتصدق لا الجارحة ومافى البخارى من أنها سودة قال ابن الجوزى غلط من بعض الرواة والعجب من البخارى رحمه الله كيف لم ينبه عليه ولا علم بفساد ذلك الخطا فانه قال لحوق سودة به صلى الله عليه وسلم من اعلام النبوة وكل ذلك وهم وانما هى زينب فانها كانت أطولهن يدا بالعطاء وجمع الطيبى رحمه الله بأنه يمكن أن يقال ان سودة رضى الله تعالى عنها أول نسائه صلى الله عليه وسلم موتا التى اجتمعن عند موته وكانت زينب رضى الله تعالى عنها غائبة وفيه أن فى رواية أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم اجتمعن عنده لم يغادر منهن واحدة أى فقد قال له بعضهن وفى لفظ قلنا له أينا أسرع لحوقا بك يارسول الله وقد قال الامام النووى أجمع أهل السير على أن زينب رضى الله تعالى عنها أول من مات من أزواجه صلى الله عليه وسلم بعده ثم جويرية رضى الله تعالى عنها بنت الحرث من بنى المصطلق سبيت فى غزوة بنى المصطلق ووقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق فأدى عليه الصلاة والسلام عنها ذلك وتزوجها وقيل جاء أبوها فافتداها ثم نكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقيل انها كانت بملك اليمين فاعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية أى لما تقدم وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسافع ابن صفوان وتقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت كانت جويرية عليها ملاحة وحلاوة لا يكاد يراها أحد الا وقعت بنفسه وكانت بنت عشرين سنة أى وتوفيت فى المدينة سنة ست وخمسين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والى المدينة يومئذ وقد بلغت سبعين سنة وقيل خمسا وستين سنة ثم ريحانة بنت زيد من بنى النضير وقيل من بنى قريظة وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجل من بنى قريظة يقال له الحكم قال الحافظ الدمياطى رحمه الله ولذلك ينسبها بعض الرواة الى بنى قريظة وكانت جميلة وسيمة وقعت فى سبى بنى قريظة فكانت صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فاعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا وقيل كانت موطوءة له صلى الله عليه وسلم بملك اليمين أى فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها ويتزوجها وبين ان تكون فى ملكه وعليه فتكون من السرارى لا من الزوجات قال الحافظ الدمياطى والاول أى انها زوجة أثبت عند أهل العلم وقال العراقى ان الثانى أى كونها سرية اضبط ودخل بها صلى الله عليه وسلم بعد ان حاضت حيضة أى وذلك فى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية سنة ست من الهجرة وغارت عليه صلى الله عليه وسلم غيرة شديدة فطلقها فأكثرت البكاء فراجعها صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد للقول بأنها كانت زوجة قيل ماتت مرجعه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ودفنها بالبقيع ثم أم حبيبة رضى الله تعالى عنها وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب رضى الله تعالى عنهما وهى بنت عمة عثمان بن عفان هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى وهى ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فى حجره رضى الله تعالى عنها وتنصر عبيد الله بن جحش هنالك وثبتت هى على الاسلام رضى الله تعالى عنها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى رحمه الله فزوجه صلى الله عليه وسلم اياها وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار أى والذى تولى عقد النكاح خالد بن سعيد بن العاص على الاصح وكلنه فى ذلك وهو ابن عم أبيها وقيل الذى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وقيل كان الصداق أربعة آلاف درهم وجهزها

بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين قصور فى نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه ومما يقوى هذه اللذة سماع الاصوات الحسنة المطربة بالانشادات بالصفات النبوية اذ صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وسبب ذلك اجتماع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا ألذ وأطيب من سكر الشراب وفى الحديث أن داود عليه السلام يقوم يوم القيامة عند ساق العرش ويمجد الله فاذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم فى لذة السماع وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التى تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيى به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلى والله سبحانه وتعالى أعلم ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته وذلك ان الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه

النجاشى من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فى سنة سبع وقيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعليه يحمل ما فى كلام العامرى ان النبى صلى الله عليه وسلم جدد نكاح أم حبيبة رضى الله تعالى عنها ابنت أبى سفيان رضى الله تعالى عنه تطييبا لخاطره ثم صفية رضى الله تعالى عنها ابنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير قتل مع بنى قريظة كما تقدم وكانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق وقتل عنها يوم خيبر وتقدمت قصة قتله فى خيبر ولم تلد لاحد منهما واصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها لانه لما جمع سبى خيبر جاءه دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله اعطنى جارية من السبى فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية رضى الله تعالى عنها فقيل يارسول الله انها سيدة بنى قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبى غيرها فجهزتها له أم سليم رضى الله تعالى عنها وأهدتها له من الليل وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة سنة فأولم صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق وفى لفظ لما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده شئ فليجئ به فبسط نطعا فجعل الرجل يأتى بالاقط وجعل الرجل يأتى بالتمر وجعل الرجل يأتى بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال كانت صفية عاقلة فاضلة ودخل عليها صلى الله عليه وسلم يوما وهى تبكى فقال لها ما فى ذلك فقالت بلغنى أن عائشة وحفصة ينالان منى ويقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولى لهن كيف تكن خيرا منى وابى هرون وعمى موسى عليهما الصلاة والسلام وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم أى فهى بنت نبى وزوج نبى ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرا فى وجهها فسألها عن ذلك فقالت رأيت كأن القمر وقع فى حجرى فذكرت ذلك لابى وتقدم فى رواية أنها ذكرت ذلك لزوجها كنانة فضرب وجهى ضربة أثرت فى هذا الاثر وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكونى عند ملك العرب ولا مانع من تعدد الواقعة فقد قال فى النور ولعله وقع الامران اذا وتقدم فى رواية انها رأت الشمس وقعت على صدرها وتقدم أنه يجوز تعدد الرؤيا وانها رأت الشمس والقمر فى وقت واحد وفى زمن خلافة عمر رضى الله عنه أتت جارية لها الى عمر رضى الله عنه فقالت له يا أمير المؤمنين ان صفية تحب السبت وتصل اليهود فسألها عمر رضى الله عنه فقالت أما السبت فانى لا أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة وأما اليهود فان لى فيهم رحما فانا أصلها ثم قالت للجارية ما حملك على ما صنعت قالت الشيطان قالت اذهبى فأنت حرة قال الحافظ الدمياطى رحمه الله ماتت فى رمضان سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع وخلفت ما قيمته مائة ألف درهم من أرض وعرض وأوصت لابن اختها بثلثها وكان يهوديا وذكر الرافعى رحمه الله عن امامنا الشافعى رضى الله عنه انها أوصت لاخيها وكان يهوديا بثلاثين ألفا أى وهذا لا يعارض ما ذكر لانه يجوز أن يكون من روى عنه امامنا لم يعتبر ما زاد على الثلاثين الذى هو تتمة الثلث وهو ثلاثة وثلث لان ثلث المائة ثلاثة وثلاثون وثلث أو ان القائل أوصت بثلثها تجوز وأطلق على الثلاثين ثلثا ثم ميمونة رضى الله عنها بنت الحرث وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة تزوجها له صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه وهى خالة ابنه عبد الله بن عباس وأختها اسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس وزينب بنت خزيمة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد رضى الله عنه وكانت فى الجاهلية عند مسعود ابن عمرو وفارقها فخلف عليها أبو رهم فتوفى عنها فتزوجها صلى الله عليه وسلم وهو محرم أى

وخصه بما فضله به وحباه أعلى بركته من انتمى اليه نسبا أو نسبة ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة الزم الله مودة قرباه كافة بريته وفرض المحبة لاهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم بحسب سياق الآيات التى قبلها والتى بعدها ولكنها دلت على ذلك فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل بيتى أحق رواه الامام أحمد عن واثلة ابن الاسقع زاد فى رواية قال واثلة وأنا يارسول الله من أهلك قال وأنت من أهلى قال واثلة وانها من أرجى ما أرتجى وروى الامام أحمد أيضا عن أم سلمة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها اذ جاءت فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعى زوجك وابنيك قالت فجاء على وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا

كما عليه جمهور علماء المدينة فى عمرة القضاء وفى الهدى يشبه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم خلافا لابن عباس ووهمه فى ذلك قال لان السفير بينهما فى النكاح وهو أبو رافع اعلم بالقصة وهو رجل بالغ وابن عباس كان سنه نحو عشر سنين قال ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وكان ذلك سنة سبع وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وبنى بها بسرف بعد أن أحل على ما تقدم وماتت سنة احدى وخمسين على الاصح وبلغت ثمانين سنة ودفنت بسرف الذى هو محل الدخول بها والحاصل أن جملة من خطبه صلى الله عليه وسلم من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم يعقد عليه ومنهن من عقد عليه وهذا القسم أيضا منه من دخل به ومنه من لم يدخل به وفى لفظ جملة من عقد عليه ثلاث وعشرون امرأة والذى دخل به منهن اثنتا عشرة فمن غير المدخول بها غزية وهى أم شريك العامرية وهذه قبل دخوله بها طلقها ولم يراجعها وهناك أم شريك السلمية أخرى وهى خولة أو خويلة ولم يدخل بها وهناك أم شريك ثالثة وهى الغفارية وأم شريك رابعة وهى الانصارية واختلف فى الواهبة نفسها فقيل ميمونة وقيل أم شريك غزية وقيل أم شريك خولة التى لم يدخل بها ورجح القول الثانى الحصنى حيث اقتصر عليه فى كتاب المؤمنات فقال ومنهن أم شريك واسمها غزية وهى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها على ما قاله الاكثرون فلم تتزوج حتى مات عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى قلب أم شريك الاسلام وهى بمكة فاسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن للاسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لاهل مكة فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا نسيرك اليهم قالت فحملونى على بعير ليس تحتى شئ ثم تركونى ثلاثا لا يطعمونى ولا يسقونى وكانوا اذا نزلوا منزلا أوقفونى فى الشمس واستظلوا فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوقفونى فى الشمس اذا أنا ببرد شئ على صدرى فتناولته فاذا هو دلو من ماء فشربت قليلا ثم نزع منى ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد ثم رفع مرارا فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى فلما استيقظوا اذا هم بأثر الماء على ثيابى فقالوا انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت لا والله ولكنه كان من الامر كذا وكذا فقالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا الى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت الى النبى صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها قال وفى ذلك أن من صدق فى حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه جاءته الفتوحات من الغيب هذا كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم أرجأ من نسائه خمسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة وآوى اليه أربعا عائشة وزينب وأم سلمة وحفصة وهؤلاء التسعة مات عنهن صلى الله عليه وسلم وقد نظمهن بعضهم فقال

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

ومن جملة التى لم يدخل به النبى صلى الله عليه وسلم التى ماتت من الفرح لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم تزوج بها وهى عز أخت دحية الكلبى رضى الله عنهما التى ماتت قبل دخوله بها ومن جملتهن سودة القرشية التى خطبها صلى الله عليه وسلم فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة وقيل ستة فقال لها خيرا ومن جملتهن التى تعوذت منه صلى الله عليه وسلم فقالت أعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله منى وفى لفظ عذت بعظيم وفى لفظ عائذ الله وفى كلام بعضهم

يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فأومأ بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى أى خاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة رضى الله عنها فأدخلت رأسى من البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال انك الى خير انك الى خير وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى عز وجل فأجيبه وانى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى اذكركم الله عز وجل فى أهل بيتى ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل ومن هم قال هم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قيل كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة قال نعم والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما فى القاموس وهو كل شئ نفيس مصون ومراد زيد ابن أرقم ان لا يقتصر على الازواج

ان

أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم خفن أن تغلبهن عليه لجمالها فقلن لها انه صلى الله عليه وسلم يعجبه اذا دنا منك أن تقولى له أعوذ بالله منك فلما دنا منها قالت أعوذ بالله منك وفى رواية قلن لها ان أردت أن تحظى عنده فتعوذى بالله منه فلما دخل عليها قالت له أعوذ بالله منك فصرف صلى الله عليه وسلم وجهه عنها وقال ما تقدم وطلقها وأمر أسامة رضى الله عنه فمتعها بثلاثة أثواب وفى لفظ أتى أبو أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية أى أسماء بنت النعمان بن أبى الجون الكندية فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت تعال أنت وفى رواية فقال هبى نفسك فقالت تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى صلى الله عليه وسلم بيده اليها لتسكت فقالت أعوذ بالله منك قال عذت بمعاذ فخرج فقال يا أبا أسيد اكسها رازقيين وألحقها بأهلها وهذا هو المشهور وروى هذا الخبر عن أسيد بن أبى أسيد قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرأة يتزوجها من بلجون أى من بنى الجون فجئت بها فأنزلتها بالشعب فى أجم ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله جئتك بأهلك فأتاها صلى الله عليه وسلم فأهوى اليها ليقبلها فقالت أعوذ بالله منك الحديث ومن جملتهن التى اختارت الدنيا وقيل التى كانت تلتقط البعر هى المستعيذة منه ومن جملتهن قتيلة بضم القاف وفتح التاء المثناة فوق بنت قيس أخت الاشعث بن قيس الكندى زوجه اياها أخوها وهى بحضرموت ومات صلى الله عليه وسلم قبل قدومها عليها وأوصى صلى الله عليه وسلم بأن تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وان شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فقال هممت أن أحرق عليهما بيتهما فقال له عمر رضى الله عنه ما هى من أمهات المؤمنين ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم ما تزوجت شيأ من نسائى ولا زوجت شيأ من بناتى الا بوحى جاءنى به جبريل عليه السلام من ربى عز وجل أى وعنه صلى الله عليه وسلم ان خديجة رضى الله عنها تزوجها قبل نزول الوحى أى وقد ألف فى أزواجه صلى الله عليه وسلم الحافظ الدمياطى جزأ فليطلب وكذا ألف فيهن الشمس الشامى * وأما سراريه صلى الله عليه وسلم فأربع مارية القبطية أم ولده سيدنا ابراهيم وريحانة على ما تقدم وجارية وهبتها له صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضى الله عنها وأخرى اسمها زليخة القرظية

﴿باب ذكر المشاهير من خدمه صلى الله عليه وسلم من الاحرار﴾

فمن الرجال أنس بن مالك الانصارى رضى الله عنه كان من أخص خدامه صلى الله عليه وسلم خدمه من حين قدم المدينة الى وفاته صلى الله عليه وسلم عشر سنين كما تقدم فعن أنس رضى الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة يعنى زوج أمه بيدى فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم فى السفر والحضر وتقدم فى بعض الروايات أن ابتداء خدمته له صلى الله عليه وسلم كان عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ومات وقد جاوز المائة وعبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه كان صاحب سواكه ونعله صلى الله عليه وسلم اذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه اياهما فاذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم وكان رضى الله تعالى عنه يمشى بالعصا أمامه صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الحجرة أى ومعيقيب الرومى رضى الله تعالى عنه كان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم وعقبة بن عامر الجهنى رضى الله تعالى عنه كان صاحب بغلته

فقط بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم داخلات فى الآية الكريمة أعنى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت لان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وروى الامام أحمد أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انى أوشك ان أدعى فأجيب وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى وان اللطيف الخبير أخبرنى انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفونى فيهما وعترة الرجل أهله ورهطه أى أقاربه وروى البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال أيها الناس ارقبوا محمدا فى أهل بيته أى احفظوهم فلا تؤذوهم وروى البخارى أيضا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتى وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى وقال صلى الله عليه وسلم من أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد عنه صلى الله عليه وسلم من صنع الى أحد

صلى الله عليه وسلم بقودها فى الاسفار وكان عالما بكتاب الله عز وجل وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها ويأتى أنه ولى مصر لمعاوية رضى الله تعالى عنهما وتوفى بها وصرف عنها بمسلمة بن مخلد رضى الله تعالى عنه وأسقع بن شريك صاحب راحلته صلى الله عليه وسلم كان رضى الله تعالى عنه يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أسقع قم فارحل فقال يارسول الله أصابتنى جنابة ولا ماء فسكت صلى الله عليه وسلم وجاءه جبريل عليه السلام بآية التيمم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسقع فتيمم فأرانى التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت وتيممت ثم رحلت له ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى مر بماء فقال لى يا أسقع أمس هذا جلدك وتقدم أن سبب نزول آية التيمم ضياع عقد عائشة رضى الله تعالى عنها فى بعض الغزوات وبلال مؤذنه صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله تعالى عنه على نفقاته وهو مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى لانه الذى اشتراه وهو يعذب فى الله وأعتقه كما تقدم ومن النساء أمة الله بنت رزينة وخولة ومارية أم الرباب ومارية جدة المثنى بن صالح وقيل التى قبلها

﴿باب ذكر المشاهير من مواليه صلى الله عليه وسلم الذين أعتقهم﴾

فمن الرجال زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما كما تقدم ان خديجة رضى الله تعالى عنها وهبته له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فتبناه صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ابن محمد فلما نزل ادعوهم لآبائهم أى وقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية قيل له زيد بن حارثة كما تقدم وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه أسامة واخو اسامة لامه أيمن بن أم أيمن بركة الحبشية رضى الله تعالى عنهم وأبو رافع كان قبطيا وكان للعباس رضى الله تعالى عنهما فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم ولما أسلم العباس وبشر أبو رافع رضى الله تعالى عنه النبى صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه وشقران كان حبشيا وقيل فارسيا وكان لعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم وثوبان وانجشة اشتراه صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية وأعتقه وكان رضى الله تعالى عنه يحدو بالنساء قال له صلى الله عليه وسلم وقد حدا بهن رويدا رويدا يا أنجشة رفقا بالقوارير يعنى النساء لان الحداء اذا سمعته الابل أسرعت فى المشى فتزعج الراكب والنساء يضعفن من شدة الحركة وشبههن صلى الله عليه وسلم فى ضعفهن بالقوارير وهى الاوانى من الزجاج ورباح كان أسود ويسار كان نوبيا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قتله العرنيون وقد تقدم ان هذا غير يسار الذى كان دليلا لسرية غالب بن عبد الله الليثى الى الميفعة وسفينة وكان اسود وكان لام سلمة رضى الله تعالى عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش وكان اسمه بهران وقيل رومان وقيل غير ذلك وانما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانه حمل أمتعة للصحابة رضى الله تعالى عنهم ثقلت عليهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احمل فانما أنت سفينة قال رضى الله تعالى عنه فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين الى أن عدسبعة ما ثقل على وقيل لانه انكسرت به السفينة فى البحر فركب لوحا من ألواحها فنجا وذكر أن البحر ألقاه على أجمة سبع فاقبل نحوه فقال له يا أبا الحرث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى وضربنى بمنكبيه ثم مشى امامى حتى أقامنى على الطريق ثم همهم وضربنى بذنبه فرأيت انه يودعنى وقيل انما وقع له ذلك لما أضل الجيش الذى كان فيه بأرض الروم وسلمان

من أهل بيتى معروفا فعجز عن مكافأته فى الدنيا فانا المكافئ له يوم القيامة ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكمو
فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكمو
من لم يصل عليكم لا صلاة له

﴿ولقد أحسن القائل﴾

رأيت ولائى آل طه فريضة
على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى
بتبليغه الا المودة فى القربى

وروى الترمذى عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين اللهم انى أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذى من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذانى وأخرج الذهبى عنه صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبنى وقال صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب منى وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سبنى وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله وأخرج البغوى انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبى طالب انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما كنت أعلم به من حب عمى لك وروى الدارقطنى انه صلى

الفارسى رضى الله تعالى عنه أى لانه صلى الله عليه وسلم هو الذى أدى عنه نجوم كتابته وفى كونه كان رقيقا ما تقدم أى والخصى الذى أهداه له المقوقس الذى هو مابور المتقدم ذكره وآخر يقال له سندر وفى كلام بعضهم أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه أربعين رقبة ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين التى أهديت له صلى الله عليه وسلم مع مارية أى وتقدم أنها أختها وذكر بعضهم ان سيرين هذه وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه وتقدم أن المقوقس أهدى معهما اقنسر وأنها أخت مارية وسيرين فهن الثلاثة أخوات وتقدم انه أهدى اليه صلى الله عليه وسلم رابعة

﴿باب ذكر المشاهير من كتابه صلى الله عليه وسلم﴾

فقد ذكر بعضهم ان كتابه صلى الله عليه وسلم كانوا ستة وعشرين كاتبا على ما ثبت عن جماعة من ثقات العلماء وفى السيرة للعراقى انهم كانوا اثنين وأربعين منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملى على عزيز حكيم فاقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفى لفظ كان يقول اكتب كذا فأقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ونزل فيه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أى ثم لما كان يوم الفتح وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله فر الى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لانه كان أخاه من الرضاعة أرضعت أمه عثمان فغيبه عثمان رضى الله تعالى عنه ثم جاء به بعد ما اطمأن الناس واستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن حوله ما صمت عنه الا لتقتلوه الى آخر ما تقدم ثم أسلم وحسن اسلامه ودعا الله تعالى أن يختم عمره بالصلاة فمات ساجدا فى صلاة الصبح وقيل بعد التسليمة الاولى وقيل الثانية وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنهم أى وعبد الله بن الارقم وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم قال عمر فى حقه ما رأيت أخشى لله منه وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنه وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الانصار بالمدينة كان فى أغلب أحواله يكتب الوحى وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يكتبون فى عهده عليه الصلاة والسلام وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان أى وأخوه يزيد قال بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما ملازمين للكتابة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوحى وغيره لا عمل لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتعلم بالسريانية قال انى لا آمن يهود على كتابى فما مر بى نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له صلى الله عليه وسلم اليهم وأقرأ له كتبهم والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمى وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة أى ومحمد ابن مسلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول

﴿باب يذكر فيه حراسه صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل
عليه قوله تعالى والله يعصمك من الناس﴾

سعد بن معاذ حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة يوم بدر أى الليلة التى صبيحتها ذلك اليوم وفى ذلك اليوم لم يحرسه صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه شاهرا سيفه حين نام بالعريش وفى كلام بعضهم ان سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه كان مع أبى بكر رضى الله تعالى

الله عليه وسلم قال أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خير أهلى أو من خير أهلى وأخرج الحاكم وصححه عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار وأما أصحابه رضوان الله عليهم فمحبتهم من محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم من توقيره وبرهم من بره فالمؤمن الكامل هو الذى يحبهم ويوقرهم ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم ويحسن الثناء عليهم ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادى من يعاديهم ولا يلتفت الى أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ولا الى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح فى أحد منهم بل ينبغى له ان يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويحمله على أصوب المخارج لانهم أهل لذلك ولا يذكر أحدا منهم بسوء لان الله قد أثنى عليهم فى كثير من الآيات قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وعن الامام مالك قال بلغنى ان النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين واستنبط الامام مالك من قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من السلف وقال تعالى والسابقون

عنه فى العريش يحرسانه صلى الله عليه وسلم فى بدر ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم أحد والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه حرسه يوم الحديبية وأبو أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة بنى بصفية ببعض طرق خيبر وبلال وسعد بن أبى وقاص وذكوان بن عبد قيس رضى الله تعالى عنهم حرسوه صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أى وحرسه صلى الله عليه وسلم ابن أبى مرثد الغنوى فى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة حنين حيث قال صلى الله عليه وسلم ألا رجل يحرسنا الليلة فقال أنا يا رسول الله فدعا له صلى الله عليه وسلم وبعد نزول الآية وهى والله يعصمك من الناس ترك الحرس

﴿باب يذكر فيه من ولى السوق فى زمنه صلى الله عليه وسلم﴾

وتصدق هذه الولاية الآن بالحسبة ومتوليها بالمحتسب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل سعد بن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة واستعمل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على سوق المدينة

﴿باب يذكر فيه من كان يضحكه صلى الله عليه وسلم﴾

منهم نعيمان كان صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى نعيمان لا يتمالك نفسه ان يضحك لانه كان مزاحا وتقدم عنه ويأتى أيضا ما وقع بينه وبين سليط أو سويط ومنهم لذى كان يحده فى الخمر واسمه عبد الله ويلقب بالحمار

﴿باب يذكر فيه أمناء رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

منهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه كان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه وكذا أبو أسيد بن أسيد الساعدى كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نسائه وهو آخر من مات من أهل بدر رضى الله تعالى عنهم وكان ممن أبصر الملائكة يوم بدر وكف بصره وبلال المؤذن رضى الله تعالى عنه كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نفقاته ومعيقب كان أمينه صلى الله عليه وسلم على خاتمه الشريف

﴿باب يذكر فيه شعراؤه صلى الله عليه وسلم﴾

الذين كانوا يناضلون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿باب يذكر فيه من كان يضرب الاعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم﴾

وهم على كرم الله وجهه والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنهم وعاصم بن ثابت أى والضحاك بن سفيان رضى الله تعالى عنه ولعل المراد من كان يتكرر منه ذلك فلا ينافى ما تقدم فى قصة الحرث بن سويد انه قال لعويم بن ساعدة رضى الله تعالى عنه اضرب عنقه

﴿باب يذكر فيه مؤذنوه صلى الله عليه وسلم﴾

وهم بلال وابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنهما بالمدينة وسعد القرظ مولى عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما بقباء وقيل له القرظ لا تجاره فيه ومن قال القرظى فقد أخطأ وأبو محذورة رضى الله تعالى عنه بمكة أى وأذن بين يديه صلى الله عليه وسلم زياد بن الحرث الصدائى كما تقدم

الاوّلون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويكفى ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا روى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه وروى البزار وأبو يعلى عن أنس

وقد يقال مراد الاصل من تكرر أذانه فلا يرد هذا وكذا لا يرد عبد العزيز بن الاصم فانه أذن أيضا بين يديه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة

﴿باب يذكر فيه العشرة المبشرون بالجنة رضى الله عنهم﴾

وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد نظم ذلك بعضهم فى بيت فقال

لقد بشرت بعد النبى محمد * بجنة عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير عامر * وطلحة والزهرى والخلفاء

أى وربما أسقط بعضهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وذكر بدله عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه وهو غريب جدا

﴿باب يذكر فيه حواريوه صلى الله عليه وسلم﴾

بالحاء المهملة أى أنصاره الذين اشتهروا بهذا الوصف وهم الخلفاء الاربعة وحمزة وجعفر وأبو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير وهو أكثرهم شهرة بهذا الوصف بل هو المراد عند اطلاق حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(باب يذكر فيه سلاحه صلى الله عليه وسلم)

كان له صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة ومن الدروع سبعة ومن القسى ستة ومن الاتراس ثلاثة ومن الرماح اثنان ومن الحراب ثلاثة ومن الخود اثنان فأما السيوف فسيف يقال له مأثور بهمزة ساكنة ثم ثاء مثلثة ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقدم به المدينة أى ويقال انه من عمل الجن وسيف يقال له العضب أى القاطع أرسل به اليه سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بدر وسيف يقال له ذو الفقار كان فى وسطه مثل فقرات الظهر غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كان للعاص بن وائل قتل يوم بدر كافرا وكانت قائمته وقبيعته بفتح القاف وكسر الموحدة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وحلقته باسكان اللام وفتحها وعلاقته بكسر العين فضة وكان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم فى حرب من الحروب ويقال ان أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة وسيف يقال له الصمصامة بفتح الصاد المهملة واسكان الميم كان مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو بن معديكرب أهداه صلى الله عليه وسلم لخالد بن سعد بن العاص حيث استعمله صلى الله عليه وسلم على اليمن وسيف يقال له القلعى بفتح اللام نسبة الى برج القلعة موضع بالبادية وسيف يقال له الحتف بفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحت ساكنة وهو الموت وهذه الثلاثة من سلاح بنى قينقاع مثلث النون وسيف يقال له الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملة ثم واو ساكنة ثم موحدة أى يرسب ويستقر فى الضربة وهو أحد السيوف التسعة التى أهدتها بلقيس لسليمان عليه الصلاة والسلام وسيف يقال له المخذم بكسر الميم ثم خاء ساكنة ثم ذال معجمة مفتوحة القاطع وهما كانا معلقين على صنم طى الذى يقال له الفلس وسيف يقال له القضيب من قضب الشئ قطعه فعيل بمعنى فاعل أى قاطع * وأما الدروع فدرع يقال لها ذات الفضول بضم الفاء وبالضاد المعجمة لطولها أرسل بها اليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه حين سار الى بدر أى وكانت من حديد وهى التى رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبى الشحم اليهودى

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه روى مسلم وغيره لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى أبو نعيم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه اذا ذكر أصحابى فامسكوا وروى الديلمى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير وروى الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا من أحب عمر فقد أحبنى ومن أبغض عمر فقد أبغضنى قال الامام مالك رضى الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختيانى

على ثلاثين صاعا من الشعير وكان الدين الى سنة ودرع يقال لها ذات الوشاح بكسر الواو وبالشين المعجمة مخففة وفى آخره حاء مهملة ودرع يقال لها ذات الحواشى ودرع يقال لها السفرية بالفاء والسفر موضع يصنع به الدروع قال فى النور والذى أحفظه فى هذه الدرع السغدية بضم السين المهملة وبالغين المعجمة الساكنة ثم دال مهملة مفتوحة ودرع يقال لها الفضة ويقال لها السعدية بالعين المهملة مفتوحة وهما من دروع بنى قينقاع يقال انها درع داود عليه الصلاة والسلام التى لبسها لقتال جالوت كما تقدم ودرع يقال لها البتراء بفتح الموحدة ثم مثناة فوق ساكنة ممدودة قيل لها ذلك لقصرها ودرع يقال لها الخرنق بالخاء المعجمة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون مكسورة ثم قاف قيل لها ذلك لنعومتها * وأما القسى فقوس يقال لها البيضاء من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه القسى وهو من سلاح بنى قينقاع وقوس يقال لها الروحاء وقوس يقال لها الصفراء من نبع وهو شجر يتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام كسرت يوم أحد وقوس يقال لها الزوراء ويقال لها الكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها قيل وهى التى اندقت سيتها يوم أحد أى وقوس يقال لها السداد * وأما الاتراس فترس يقال لها الزلوق لان السلاح يزلق عنه وترس يقال لها الفتق بضم الفاء وفتح التاء المثناة فوق وبالقاف وترس يقال لها تمثال عقاب أو كبش فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه فذهب * وأما الرماح فرمح يقال له المثنى ورمح يقال لها المثوى بضم الميم واسكان الثاء المثلثة وكسر الواو من الثوى وهو الاقامة لان المطعون به يقيم موضعه ولا ينتقل أى وثلاث رماح أصابها من سلاح بنى قينقاع يقال لاحدها المثنى بضم الميم واسكان الثاء المثلثة ثم نون مفتوحة وفى الاصل المنثى بتقديم النون على الثاء * وأما الحراب فحربة يقال لها النبعة وحربة يقال لها البيضاء وحربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة قال جاء بها الزبير رضى الله تعالى عنه من أرض الحبشة أعطاها له النجاشى رحمه الله وقاتل بها بين يدى النجاشى عدوا للنجاشى وظهر النجاشى على ذلك العدو وشهد بها الزبير رضى الله تعالى عنه بدرا وأحدا وخيبر ثم أخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر فكانت تحمل بين يديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد يحملها بلال رضى الله تعالى عنه فتركز بين يديه صلى الله عليه وسلم ويصلى اليها وكذا كان يصلى اليها فى أسفاره أى وكان صلى الله عليه وسلم يمشى بها وهى فى يده ورابعة يقال لها المهر وخامسة يقال لها الغمر وكان له صلى الله عليه وسلم محجن طوله قدر ذراع أو أكثر بيسير يمشى به ويعلق بين يديه على بعيره يسمى الذقن كان له رأس معقفة كالصولجان وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب من شوحط يسمى الممشوق قيل وهذا القضيب هو الذى كانت تتداوله الخلفاء اهـ أى وكان له صلى الله عليه وسلم مخصرة بكسر الميم واسكان الخاء المعجمة وفتح الصاد وهى ما يمسكه بيده من عصى أو مقرعة تسمى العرجون ويقال لها العسيب * وأما الخود جمع خودة وهى ما يجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة فخودة يقال لها الموشح بالميم وبالشين المعجمة مشددة مفتوحة والحاء المهملة وخودة يقال لها السبوغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة أو ذات السبوغ

﴿باب يذكر فيه خيله وبغاله وحمره صلى الله عليه وسلم﴾

كان له صلى الله عليه وسلم سبعة افراس وكان له بغال ست وكان له من الحمر اثنان وكان له من الابل المعدة للركوب ثلاثة فأما أفراسه صلى الله عليه وسلم ففرس يقال له السكب شبه بسكب

رحمه الله من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن أبغض أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وروى الطبرانى عن سهل بن يوسف بن سهل ابن أخى كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس انى راض عن عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأختانى لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا وقوله أصهارى هم آباء زوجاته كأبى بكر وعمر وأبى سفيان رضى الله عنهم وقوله وأختانى هم أزواج بناته كعثمان وعلى وأبا العاص بن الربيع رضى الله عنه وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم احفظونى فى أصحابى وأصهارى فانه من حفظنى فيهم

الماء وانصبابه لشدة جريه وهى أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابى بعشرة أواق وكان اسمه عند الاعرابى الضرس أى بفتح الضاد وكسر الراء وبالسين المهملة الصعب السيئ الخلق وكان أغر أى له غرة وهى بياض فى وجهه محجلا طلق اليمين كميتا أى بين السواد والحمرة وقال ابن الاثير كان أسود أدهم وفرس يقال له المرتجز أى سمى به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذى هو ضرب من الشعر وكان أبيض وهو الذى شهد له فيه خزيمة بانه صلى الله عليه وسلم اشتراه من صاحبه بعد ان أنكر بيعه له وقال له ائت بمن يشهد لك فجعل شهادة خزيمة بشهادتين بعد ان قال له صلى الله عليه وسلم كيف شهدت ولم تحضر فقال لتصديقى اياك يا رسول الله وان قولك كالمعاينة فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ذو الشهادتين فسمى ذا الشهادتين ثم قال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة أو شهد عليه فهو حسبه لكن جاء انه صلى الله عليه وسلم رد الفرس على الاعرابى وقال لا بارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة برجلها وفرس يقال له اللحيف بالحاء المهملة واللام المضمومة فعيل بمعنى فاعل لانه كان يلحف الارض بذنبه لطوله أى يغطيها وقيل لانه كان يلتحف معرفته وقيل هو بضم اللام مصغرا وقيل بالخاء المعجمة مع فتح اللام وهو الاكثر وهذا الفرس أهداه له صلى الله عليه وسلم فروة بن عمرو من أرض البلقاء بالشام وفرس يقال له اللزاز أى أهداه له المقوقس كما تقدم مأخوذ من قولهم لازرته أى لاصقته فكان يلحق بالمطلوب لسرعته وقيل غير ذلك وفرس يقال له الظرف أى بكسر الطاء المهملة وسكون الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل وفرس يقال له الورد وهو بين الكميت والاشقر أهداه له صلى الله عليه وسلم تميم الدارى رضى الله تعالى عنه وأهداه صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه وفرس يقال له سبحة أى بفتح السين واسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أى سريع الجرى هذا هو المشهور وعد بعضهم فى خيله صلى الله عليه وسلم غير ذلك فاوصل جملتها الى خمسة عشر بل الى عشرين وقد ذكر الحافظ الدمياطى أسماء الخمسة عشر فى سيرته وقال فيها وقد ذكرناها وشرحناها فى كتابنا كتاب الخيل وكان سرجه صلى الله عليه وسلم دفتان من ليف قال لم يكن شئ أحب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم قميصه فقيل له يا رسول الله تمسح بكم قميصك فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام عاتبنى فى الخيل وفى رواية فى الفرس أى فى امتهانها وفى رواية فى سياستها قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة اهـ أى وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قام الى فرسه الظرف فعلق عليه شعيره وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح ظهره بردائه فقيل له يا رسول الله تمسح ظهره بردائك فقال نعم وما يدريك لعل جبريل عليه السلام أمرنى بذلك وعن بعضهم قال دخلت على تميم الدارى رضى الله تعالى عنه وهو أمير بيت المقدس فوجدته ينقى لفرسه شعيرا فقلت أيها الامير ما كان لهذا غيرك فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى لفرسه شعيرا ثم جاء به حتى يعلقه عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة وكان صلى الله عليه وسلم يضمر الخيل للسباق فيأمر باضمارها بالحشيش اليابس شيأ بعد شئ ويأمر بسقيها غدوة وعشيا ويأمر ان يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ منها من الجرى الشوط والشوطان وأما بغاله صلى الله عليه وسلم فبغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له المقوقس كما تقدم والدلدل فى الاصل القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وهذه أول بغلة ركبت فى الاسلام وفى لفظ رؤيت فى

حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وروى سعيد بن منصور عن النبى صلى الله عليه وسلم من حفظنى فى أصحابى كنت له حافظا يوم القيامة وروى الطبرانى من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعد وروى عن كعب الاحبار ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب فى ذكر وفاته﴾

صلى الله عليه وسلم وهذا الباب مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوى الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبى من الانبياء حتى يخير وقد عرف الله النبى صلى الله عليه وسلم اقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من

الاسلام وكان صلى الله عليه وسلم يركبها فى المدينة وفى الاسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها على كرم الله وجهه الخوارج بعد ان ركبها عثمان رضى الله تعالى عنه وركبها بعد على ابنه الحسن ثم الحسين رضى الله تعالى عنهما ثم محمد بن الحنفية رحمه الله وسئل ابن الصلاح رحمه الله هل كانت أنثى أو ذكرا والتاء للوحدة فاجاب بالاول قال بعضهم واجماع أهل الحديث على أنها كانت ذكرا ورماها رجل بسهم فقتلها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الى زوجته أم سلمة فاتيته بصوف وليف ثم فتلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لدلدل رسنا وعذارا ثم دخل البيت فاخرج عباءة فثناها ثم ربعها على ظهرها ثم سمى وركب ثم أردفنى خلفه وبغلة يقال لها فضة أهداها له عمرو بن عمرو الجذامى كانت ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه أى وأوصلها بعضهم الى سبعة وفى مزيل الخفاء وفى سيرة مغلطاى كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضة والتى أهداها له ابن العلماء أى بفتح العين المهملة واسكان اللام وبالمد فى غزوة تبوك والابلية وبغلة أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشى هذا كلامه وعقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه كان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود به فى الاسفار وتوفى بمصر ودفن بقرافتها وقبره معروف بها وكان واليها من قبل معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان ثم صرف عنها بمسلمة بن مخلد وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه قال قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته مدة من الليل فقال انخ فانخت فنزل عن راحلته ثم قال اركب فقلت سبحان الله أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك فأمرنى فقال اركب فقلت له مثل ذلك ورددت ذلك مرارا حتى خفت ان أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ذكره فى الامتاع *وأما حمره صلى الله عليه وسلم فحمار يقال له يعفور وحمار يقال له عفير بالعين المهملة وقيل بالمعجمة وغلط قائله وكان أشهب ومات فى حجة الوداع والاول أهداه له فروة بن عمرو الجذامى وقيل المقوقس والثانى أهداه له المقوقس وقيل فروة بن عمرو وكذا فى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله والعفرة هى الغبرة أى وأوصل بعضهم حمره صلى الله عليه وسلم الى أربعة وتقدم ان يعفورا وجده صلى الله عليه وسلم فى خيبر وانه يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم طرح نفسه فى بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وتقدمت قصته ومافيها وأما ابله صلى الله عليه وسلم التى كان يركبها فناقة يقال لها القصواء وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهى التى كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وفى رواية ان الناس لم يرفعوا شيأ من الدنيا الا وضعه الله عز وجل ويقال ان هذه العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشرب حتى ماتت وقيل ان التى كانت لا تسبق ثم سبقت هى القصواء وكانت العضباء يسبق بها صاحبها الذى كانت عنده الحاج ومن ثم قيل لها سابقة الحاج وقيل ان هذه الثلاثة اسم لناقة واحدة وهو المفهوم من الاصل وهو موافق فى ذلك لابن الجوزى رحمه الله حيث قال ان القصواء هى العضباء وهى الجدعاء وقيل القصواء واحدة والعضباء والجدعاء واحدة وفى كلام بعضهم واما البقر فلم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم ملك شيأ منها أى للقنية فلا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر *وأما غنمه صلى الله عليه وسلم فقيل مائة وقيل سبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضى الله عنها وجاء اتخذوا الغنم فانها بركة وكان له صلى الله عليه وسلم شياه يختص بشرب لبنها وماتت له صلى الله

أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وروى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الى نفسى فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الاولى وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر رضى الله عنه فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر رضى الله عنه ومازال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله فى آخر عمره حتى مرض وكان مرضه فى أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وكان ابتداء مرضه يوم السبت وقيل الاثنين وقيل

عليه وسلم شاة فقال ما فعلتم باهابها قالوا انها ميتة قال دباغها طهورها واقتنى صلى الله عليه وسلم الديك الابيض وكان يبيت معه فى البيت وقال الديك الابيض صديقى وصديق صديقى وعدو عدوى والله يحرس دار صاحبه وعشرا عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وقد جاء اتخذوا الديك الابيض فان دارا فيها ديك أبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر ولا الدويرات حولها واتخذوا هذا الحمام المقاصيص فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم وفى العرائس ان آدم قال يا رب شغلت بطلب الرزق لا أعرف ساعات التسبيح من أيام الدنيا فأهبط الله ديكا واسمعه اصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم عليه السلام من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح ممن فى السماء سبح فى الارض فيسبح آدم بتسبيحه

باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومن شاركه فيها غيره

قال قد خلق الله تعالى أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام سليمة من العيب حتى صلحت لحلول الانفس الكاملة وهم فى ذلك متفاوتون ونبينا صلى الله عليه وسلم أصح الانبياء مزاجا وأكملهم جسدا وعن أنس رضى الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وصوتا انتهى وكانت صفاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة لا تدرك حقائقها والى هذا يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

وتقدم بعض صفته صلى الله عليه وسلم فى خبر أم معبد رضى الله عنها ووصف صلى الله عليه وسلم بانه كان ضخم الهامة أى الرأس ووصف صلى الله عليه وسلم بانه كان فخما مفخما أى عظيما فى الصدور والعيون يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر قال كان فى وجهه تدوير ليس بالمطهم ولا المكلثم وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وفى رواية تجرى من وجهه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج انتهى أقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين مشددة ثم موحدة على وزن معظم البائن الطويل فى نحافة وأطول من المربوع قال وعن على كرم الله وجهه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة القوم والممغط المتناهى فى الطول والمتردد المجتمع الخلق أى القصير جدا لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فارقه رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب للربعة أى لا طويل ولا قصير عظيم الهامة أى وفى رواية ضخم الرأس رجل الشعر اذا تفرقت عقيقته وفى لفظ عقيقته وهى الشعر المعقوص فرق أى اذا انفرقت من ذات نفسها فرقها أى أبقاها مفروقة والا تركها معقوصة أى تركها على حالها لم يفرقها لم يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفرة قال أى جعله وفرة وحاصل الاحاديث أن شعره صلى الله عليه وسلم وصف بانه جمة ووصف بانه وفرة ووصف بانه لمة وفسرت اللمة بالشعر الذى ينزل على شحمة الاذن والجمة بالذى ينزل على المنكبين قال بعضهم كان شعره صلى الله عليه وسلم يقصر ويطول بحسب الاوقات فاذا غفل عن تقصيره وصل الى منكبيه واذا قصره تارة ينزل عن شحمة اذنه وتارة لا ينزل عنها وجاء فى وصف شعره صلى الله عليه وسلم ليس بجعد قطط أى بالغ فى الجعودة ولا رجل سبط أى بالغ فى السبوطة ولا ينافى ما جاء عن على كرم الله وجهه كان

الاربعاء فى بيت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها وقيل فى بيت زينب بنت جحش رضى الله عنها وكان يتنقل فى بيوت زوجاته رضى الله عنهن على حسب ما كان فى صحته ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض فى بيت عائشة رضى الله عنها فأذن له فخرج يهادى بين العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما حتى دخل بيت عائشة رضى الله عنها وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما دخل بيتى واشتد وجعه قال أهريقوا علىّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه الماء من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وفيه أنه قال ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع ابهرى من ذلك السم وأصابته صلى الله عليه وسلم حمى شديدة روى ابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له فى ذلك فقال انا معاشر الانبياء كذلك يشدد علينا البلاء وتضاعف لنا الاجور وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أى يحم وعكا شديدا فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا

شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبطا وعن أم هانئ رضى الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم أربع غدائر أى ضفائر تخرج اذنه اليمنى من بين ضفيرتين وأذنه اليسرى كذلك قال ابن القيم رحمه الله لم يحلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف الا أربع مرات انتهى أزهر اللون أى أبيض مشرب بحمرة أى وهى المراد بالسمرة وفى رواية كان أسمر ومن ثم جاء فى رواية كان بياضه صلى الله عليه وسلم الى سمرة لان العرب قد تطلق على من كان كذلك أى بياضه الى حمرة اسمر ومن ثم جاء ليس بالابيض الامهق أى شديد البياض الذى لا يخالطه حمرة كلون الجص وعن على كرم الله وجهه ليس أبيض شديد الوضح وفى رواية شديد البياض ولا معارضة لانه محمول على ما كان من جسده تحت الثياب ومن ثم جاء أنور المتجرد وهو ما كشف عنه الثوب من البدن وقيل المراد بالامهق الاخضر فقد قيل ان المهق خضرة الماء ولا بالآدم أى شديد الادمة واسع الجبين أى وفى رواية مفاض الجبين أى واسعه وفى رواية كان جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلتا أى أملس وفى رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلى الجبين كأنه السراج المتوقد يتلألأ أزج الحاجبين سوابغ من غير قرن أى بين حاجبيه فرجة وهو الأبلج أى والقرن بالتحريك اتصال شعر الحاجبين وورد مقرون الحاجبين أى شعرهما متصل بالآخر لا حاجز بينهما ولا منافاة لان ذلك يجوز أن يكون بحسب الرائى لان الفرجة التى كانت بين حاجبيه يسيرة لا تبين الا لمن دقق النظر بينهما عرق يدره الغضب أى اذا غضب امتلأ ذلك العرق دما فيظهر ويرتفع أقنى العرنين أى سائله مرتفع وسطه أى وفى وسطه احديداب وفى رواية دقيق العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم أى مرتفعا أدعج العينين أى شديد سواد العينين وفى كلام بعضهم الدعج سواد العين ويقابله الاشهل وهو من فى سواد عينيه حمرة وقد جاء اشهل العينين واشكل العينين أى فى بياض عينيه صلى الله عليه وسلم حمرة وكانت فى الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم كما تقدم أى وفى رواية انجل العينين أى واسعهما أهدب الاشفار أى طويل هدب شعر العينين أى وعن أبى هريرة رضى الله عنه أكحل العينين والكحل سواد هدب العين خلقة وعن جابر رضى الله عنه اذا نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل أى فى عينيه كحل وليس بالكحل سهل الخدين أى وفى رواية أسيل الخدين أى ليس فى خديه نتوء وارتفاع ضليع الفم أى واسعه اشنب أى فى ريقه برد وعذوبة مفلج الاسنان أى مفرق ما بين الثنايا كما فى رواية أفلج الثنيتين لان الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وفى رواية براق الثنايا كان اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه يفتر عن مثل حب الغمام أى اذا ضحك بانت أسنانه كالبرد وعن أبى هريرة رضى الله عنه حسن الثغر وعن أنس رضى الله عنه شممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهته صلى الله عليه وسلم كث اللحية أى كثير شعرها وفى رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية وكان يسرحها بالماء وكان له صلى الله عليه وسلم مشط من العاج وهو الذبل وقيل شئ يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية ويقال لعظم الفيل عاج أيضا أى وليس مرادا هنا أى وكان له مقراض أى مقص يقص به اطراف شاربه وفى المشكاة عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يأخذ من شاربه فليس منا أى وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ بالمقراض من عرض لحيته وطولها وقد لا ينافى ذلك ما جاء أمرنى ربى باعفاء لحيتى وقص شاربى وقال من الفطرة قص الاظفار والشارب وحلق العانة وكان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه حتى كأن ثيابه ثياب زيات أو دهان أى وفى لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع حتى يرى حاشية

شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك لاجرين قال أجل ذلك كذلك وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت دعا النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها فى شكواه الذى قبض فيه فسارها بشئ فبكت ثم دعاها فسارها بشئ فضحكت فسألناها بعد ذلك عن ذلك فقالت سارنى النبى صلى الله عليه وسلم انه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت ثم سارنى فأخبرنى انى أول أهل بيته يتبعه فضحكت ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس وفى بعض روايات الحديث ان عائشة رضى الله عنها قالت لقد راجعته وما حملنى على كثرة مراجعته الا انه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا وجملة الصلوات التى صلى فيها الصديق بالناس سبع عشرة صلاة فكان فى تقديم الصديق رضى الله عنه للصلاة اشارة الى أنه الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ولما رأت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوبه كأنه ثوب زيات أو دهان وليس فى شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعن أنس رضى الله عنه ان شيب لحيته صلى الله عليه وسلم كان فى عنفقته وصدغيه متفرقا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عرف من مجموع الروايات ان الذى شاب فى عنفقته صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب فى غيرها وقال صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود وأخواتها فقال له أبو بكر رضى الله عنه ما أخواتها يا رسول الله قال الواقعة والقارعة وسأل سائل واذا الشمس كورت واقتربت الساعة وفى رواية شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت واقتربت الساعة وقال صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ولعل شيبه صلى الله عليه وسلم لم يخضب وقيل كان يخضب بالحناء والكتم وقال صلى الله عليه وسلم أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم ونهى صلى الله عليه وسلم عن الخضاب بالسواد وقد تقدم ضليع الفم أى واسعه وهو مما تمدح به العرب وتذم بصغر الفم غاض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة دقيق المسربة بضم الميم واسكان السين ثم راء مضمومة وهو الخيط الشعر الذى بين الصدر والسرة كأن عنقه جيد دمية هى صورة تتخذ من العاج فى صفاء الفضة أى وعن على كرم الله وجهه كان عنقه ابريق فضة معتدل الخلق بادنا متماسكا أى ذو لحم متماسك يمسك بعضه بعضا ليس مسترخى اللحم سواء البطن والصدر أى مستويهما عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس وهى رؤس العظام أى ملتقى كل عظمين كالمرفقين والمنكبين والركبتين موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة هو المنحر والسرة بشعر يجرى كالخيط وهو المعبر عنه فيما سبق بدقيق المسربة عارى الثديين والبطن وما سوى ذلك أشعر الذراعين والمناكب وأعالى الصدر طويل الزندين أى عظيم الذراعين رحب الراحة أى واسعها قال أنس رضى الله عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل الاصابع أى طويلها شثن الكفين والقدمين أى يميلان الى الغلظ وذلك ممدوح فى الرجال مذموم فى النساء أى وكانت سبابة يديه صلى الله عليه وسلم أطول من الوسطى قال ابن دحية رحمه الله وهذا باطل بيقين ولم ينقله أحد من ثقات المسلمين أى وانما كان ذلك فى أصابع قدميه صلى الله عليه وسلم وهو فى ذلك كغيره من الناس وفى رواية منهوس بالمهملة والمعجمة العقب أى قليل لحم القدمين سبط العظام أى ممتدها لا تنوء فيها وفى رواية سبط العصب وهو كل عظم فيه مخ خمصان الاخمصين ينبو عنهما الماء أى ويتجافى أخمص القدم وهو وسطه أى شديد التجافى عن الارض مسيح القدمين أى أملسهما وهذا يوافق ما جاء فى رواية اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص اذا زال زال تقلعا أى يرفع رجله بقوة ويخطو تكفيا أى يتمايل الى قدامه وقيل يمينا وشمالا كالمختال ولا يذم الا من تكلفه لا من كان ذلك جبلة له ويمشى هونا أى برفق ووقار دون عجلة ذريع المشية أى واسعها اذا مشى كأنما ينحط من صبب أى وذكر فى سفر السعادة ان هذه المشية مشية أصحاب الهمم العلية ومن قلبه حى وان هذا النوع من المشى يسمى مشى الهوينا المذكور فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وهو أعدل أنواع المشى لان الماشى اما متماوت بالمشى كالخشبة أو طائش ينزعج وهذان النوعان فى غاية القبح لان الاول يدل على الخمول وموت القلب والثانى يدل على خفة الدماغ وقلة العقل ثم قال وأنواع المشى عشرة هذه الثلاثة منها وذكر باقيها وكان صلى الله عليه وسلم اذا التفت التفت جميعا أى بسائر جسده ولا يلوى عنقه كما يفعله أهل الخفة والطيش يفتح الكلام ويختمه باشداقه لا يقال قد

يزداد وجعا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على والفضل رضى الله عنهما وتقدم العباس أمامهم والنبى صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس فى أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغنى انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا انى لاحق بربى وانكم لاحقون بى فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا

ثم صلى الله عليه وسلم المتشدقين لانا نقول المراد بهم من يكثر الكلام من غير احتياط ولا احتراز ومن يلوى أشداقه استهزاء بالناس وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم أى بالكلام القليل الالفاظ الكثير المعانى فصلا لا فضول فيه ولا تقصير قال صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلام واختصر لى الكلام اختصارا قال ومن تلك الكلمات لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها خير الامور أوساطها السعيد من وعظ بغيره انتهى اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث قارب يده اليمنى من اليسرى فضرب بابهام اليمنى راحة اليسرى أى وربما يسبح عند التعجب وربما حرك رأسه وعض شفته وربما ضرب بيده على فخذه وربما نكت الارض بعود واذا غضب أعرض بوجهه أى وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضب احمر وجهه الشريف وكان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته وفى رواية اذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء أى تنفس طويلا وقال حسبى الله ونعم الوكيل جل أى معظم ضحكه التبسم وكون معظم ضحكه ذلك لا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم ضحك غير مامرة حتى بدت نواجذه وكان صلى الله عليه وسلم اذا جرى به الضحك وضع يده على فيه قال وكان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم يمشى منتعلا وربما مشى صلى الله عليه وسلم حافيا وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل من هدية أهديت اليه حتى يأكل منها صاحبها أى بعد أن أهديت اليه صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع ويلعقهن اذا فرغ يلعق الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام وقال ان لعق الاصابع بركة وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بلعق الصحفة ويقول انكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة اه

● ونحن نوضح بعض هذه الصفات الظاهرة بعبارة واضحة قريبة للافهام فنقول كان صلى الله عليه وسلم عظيما معظما فى الصدور والعيون كبير الرأس لان كبر الرأس يدل على كثرة العقل غالبا ووجهه كالقمر ليلة البدر لون جسده الذى ليس تحت الثياب أبيض مشرب بحمرة طويل الحاجبين مع دقة ما بينهما خال من الشعر وهو البلج وضده القرن وهو ان يتصل شعر احدهما بالآخر بين حاجبيه عرق اذا غضب انتفخ طويل الانف مع حدب فى وسطه ودقة فى طرفه ليس فى حدبه ارتفاع لان العرب تذم به فى عينيه شكلة وهى بياض وحمرة شديد سواد العين مع اتساعها واسع الفم لان سعة الفم تدل على الفصاحة بين ثناياه والرباعيات فرجة ويقال لها الفلج كثير شعر اللحية شبيه قليل عنقه كالابريق الفضة اذا مشى مال الى أمامه

❊(باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الباطنة وان شاركه فيها غيره)❊

كان صلى الله عليه وسلم سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح أى كثير المزاح فلا ينافى ما روى كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه قال وقد جاء انى لأمزح ولا أقول الا حقا لكن جاء عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مزاحا وكان يقول ان الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق فى مزاحه وجاء عن بعض الصحابة رضى الله عنهم ما رأيت أحدا أكثر مزاحا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت فى النبى صلى الله عليه وسلم دعابة وعن بعض السلف كان للنبى صلى الله عليه وسلم مهابة فكان يبسط الناس بالدعابة قال صلى الله عليه وسلم لعمته صفية لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها وهو يضحك الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن

فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم الا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى الا فان موعدكم الحوض الا فمن أحب ان يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى وفى رواية للبخارى عن أنس رضى الله عنه فى ذكر هذه القصة قال مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشى وعيبتى أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته وانهم الذين يعتمد عليهم فى أموره

أبكارا عربا أترابا وهن العجائز الرمص أى والعروب المتحببة لزوجها التى تقول وتفعل ما تهيج به شهوته اياها وأترابا كأنهن ولدن فى يوم واحد لانهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل وطلب ان يحمله على بعير فقال له انى حاملك على ولد الناقة فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وقد أتى ازهر وفى لفظ زاهر وكان يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فكان كلما قدم من البادية يأتى معه بطارف وهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضروه وفى لفظ لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه جاءه يوما وهو يبيع متاعه فى السوق وكان رجلا دميما فاحتضنه من خلفه فقال ارسلنى من هذا فلما عرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يمكن ظهره من صدره الشريف عليه الصلاة والسلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشترى العبد فقال يا رسول الله تجدنى كاسدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند الله لست بكاسد وقال أنت عند الله غال ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جمع بين هذين اللفظين وكل روى ما سمع منهما وعن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت حتى اذا حملت اللحم وكنا فى سفرة أخرى قال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول هذه بتلك وعن أنس رضى الله عنه قال دخل صلى الله عليه وسلم على أمى فوجد أخى أبا عمير حزينا فقال يا أم سليم ما بال أبى عمير حزينا فقالت يا رسول الله مات نغيره تعنى طيرا كان يلعب به فقال صلى الله عليه وسلم أبا عمير ما فعل النغير وكان كلما رآه قال له ذلك وعن عائشة رضى الله عنها قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها فقلت لسودة والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها كلى فأبت فقلت لها كلى أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدى فيها فطليت وجهها فضحك صلى الله عليه وسلم وأرخى فخذه لسودة وقال الطخى وجهها فلطخت وجهى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم أى وقال صلى الله عليه وسلم يوما لعائشة ما أكثر بياض عينك انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يتغافل عما لا يشتهى قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكبار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته وكان صلى الله عليه وسلم يقابل السيئة بالحسنة ولا يذم ذواقا ولا يمدحه والذواق الشئ يقال ما ذقت ذواقا أى شيأ من طعام أو شراب وعن عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفى رجلى نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحنى نفحة بسوط فى يده وقال بسم الله أوجعتنى قال فبت لنفسى لائما أقول أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبحنا اذا رجل يقول أين فلان فانطلقت وأنا متخوف فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك وطئت بنعلك على رجلى بالامس فأوجعتنى فنفحتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ولما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال له جبريل عليه السلام أى بعد أن سأله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ان ربك عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وفى الحديث لا ينال عبد صريح الايمان حتى يكون كذلك وفى الحديث ان ذلك أفضل أهل

وقيل أراد بالكرش الجماعة أى جماعتى وصحابتى وفى المواهب عن الواحدى بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة رضى الله عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم وأحذركم الله انى لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وان شئتم فى ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلى عليك قال اذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان اول من يصلى على جبريل ثم

الدنيا والآخرة وكان صلى الله عليه وسلم لا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه و يصبر للغريب على الجفوة
فى المنطق والمسئلة لا يقطع على أحد حديثه ولا يتكلم فى غير حاجة يعظم النعمة وان دقت
لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما يغضب اذا تعرض للحق بشئ وعند غضبه لذلك لا يثنيه شئ
عن الانتصار له و يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم و يتفقد أصحابه و يسأل عنهم فان كان غائبا
دعا له وان كان شاهدا زاره وان كان مريضا عاده و يسأل الناس عما الناس فيه أفضل الناس
عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر واذا
انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس و يأمر بذلك و يعطى كل واحد من جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو نادمه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول عنده الناس فى الحق سواء
مجلسه مجلس حلم وحياء لا ترفع فيه الاصوات ولا يتنازعون عنده الحديث اذا تكلم أطرق
جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير أى على غاية من السكون والوقار لان الطير لا تكاد تقع الا
على ساكن واذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه أى لا يقطع بعضهم على بعض
حديثه يضحك مما يضحكون و يعجب مما يعجبون فقد ذكر أن أبا بكر رضى الله عنه خرج تاجرا
الى بصرى ومعه نعيمان بن عمرو الانصارى وسويبط بن حرملة وكلاهما بدرى وكان سويبط على
زاد أبى بكر فجاءه نعيمان وقال له أطعمنى فقال لا حتى يأتى أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا
مزاحا فيه دعابة وله أخبار ظريفة فى دعابته فقال لسويبط لأغيظنك فذهب الى ناس وفى
رواية فمروا بقوم فقال لهم نعيمان تشترون منى عبدا لى قالوا نعم قال انه عبد له كلام وهو قائل لكم
لست بعبده أنا رجل حر فان كان اذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدى
قالوا لا بل نشتريه ولا ننظر فى قوله فاشتروه منه بعشرة قلائص فأقبل بها يسوقها وأقبل
بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا فجاء القوم له وقالوا له قد اشتريناك فقال هو كاذب أنا
رجل حر وفى رواية انهم وضعوا عمامته فى عنقه فقال لهم انه يتهزأ واست بعبده فقالوا له قد
أخبرنا بخبرك فطرحوا الحبل فى عنقه وذهبوا به ولم يسمعوا كلامه فجاء أبو بكر رضى الله عنه
فأخبره خبره فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم انه يمزح وردوا عليهم القلائص
وردوا سويبطا منهم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فضحك من
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا كاملا لان سفر أبى بكر رضى الله عنه كان قبل
وفاته صلى الله عليه وسلم بعام ووقع لنعيمان هذا انه مر بمخرمة بن نوفل رضى الله عنه وقد كف
بصره وهو يقول ألا رجل يقودنى حتى أبول فأخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال
له ههنا فبال فصاح الناس به فقال من قادنى قيل نعيمان فقال لله على أن أضربه بعصاى
هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال له هل لك فى نعيمان قال نعم قال فقم فقام معه فأتى به عثمان بن
عفان رضى الله عنه وهو اذ ذاك أمير المؤمنين وهو يصلى فقال دونك الرجل فجمع يديه فى
العصا ثم ضربه فقال الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى فقيل نعيمان قال لا أعود الى نعيمان
أبدا وجاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائه فقال
بعض الصحابة لنعيمان لو نحرتها فأكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم ويغرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثمنها فنحرها نعيمان فخرج الاعرابى فرأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبى
صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا قالوا نعيمان فاتبعه النبى صلى الله عليه وسلم يسأل عنه
فوجده فى دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى فى خندق وجعل عليه الجريد

ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت
ومعه جنود من الملائكة ثم أدخلوا
على أفواجا أفواجا فصلوا على
وسلموا تسليما ولا تبدأ بالصلاة على
رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم
واقرؤا السلام على من غاب من
أصحابى ومن تبعنى على دينى من
يومى هذا الى يوم القيامة قلنا
يا رسول الله من يدخلك قبرك قال
أهل بيتى مع ملائكة ربى وكذا
رواه الطبرانى وقالت عائشة رضى
الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم
يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى
الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره
القبض ورأسه على فخذى غشى
عليه فلما أفاق شخص بصره نحو
سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق
الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت
انه حديثه الذى كان يحدثنا وهو
صحيح وفى رواية انها أصغت اليه
قبل ان يموت وهو مستند الى ظهره
وهو يقول اللهم اغفر لى وارحمنى
والحقنى بالرفيق الاعلى وروى
عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى
النبى صلى الله عليه وسلم قال
خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح
على أمتى وبين التعجيل فاخترت
التعجيل وروى ابن حبان عن أبى
موسى الاشعرى رضى الله عنه

فاشار

فأشار اليه رجل ورفع صوته ما رأيته يا رسول الله وأشار باصبعه حيث هو فأخرجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تغير وجهه بالتراب فقال له ما حملك على ما صنعت قال الذين دلوك على
يا رسول الله هم الذين أمرونى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عن وجهه التراب
و يضحك ثم غرم صلى الله عليه وسلم ثمنها وكان رضى الله عنه اذا دخل المدينة طرفة اشتراها
فى ذمته ثم جاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم و يقول يا رسول الله هذه هدية فاذا جاء
صاحبها يطلب ثمنها جاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اعط هذا ثمن ما جئت به اليك
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تهده لى فيقول يا رسول الله لم يكن عندى ثمنه
وأحببت أن يكون لك فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم و يأمر لصاحبه بثمنه وكان
صلى الله عليه وسلم دائم البشر ضحوك السن أى أكثر أحواله ذلك حسبما رآه هذا المخبر
فلا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة فانه
بحسب ما كان عنده ذلك المخبر وفى كلام ابن القيم رحمه الله قد صانه الله عن الحزن فى الدنيا
وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه
الحزن بل كان دائم البشر ضحوك السن كذا قال وفى كلام الامام أبى العباس بن تيمية
رحمه الله ليس المراد الحزن الذى هو الالم على فوات مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك
منهى عنه وانما المراد به الاهتمام واليقظة لما يستقبله من الامور وهذا مشترك بين القلب
والعين وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت خلقه القرآن أى
ما ذكره القرآن وانك لعلى خلق عظيم وانه تأدب بآدابه وتخلق بمحاسنه وقد قال صلى الله عليه
وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال قال وذكر فى عوارف المعارف ان فى قول
عائشة رضى الله عنها خلقه القرآن سرا غامضا حيث عدلت الى ذلك عن قولها كان متخلقا
بأخلاق الله ستر الحال بلطف المقال استحياء من سبحات ذى الجلال اهـ أى فكان صلى الله
عليه وسلم متصفا بما فيه من الاجتهاد فى طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على
أعدائه والتواضع لأوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال
لأذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خيرى الدنيا والآخرة مع التعفف عن
أموالهم الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة التى اتصف بها صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية وخوفا من الله أى ومن ثم كان
صلى الله عليه وسلم يقول أنا أتقاكم لله وأخوفكم منه وعن عائشة رضى الله عنها قالت أتانى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فدخل معى فى لحافى ثم قال ذرينى أتعبد لربى فقام صلى الله عليه
وسلم فتوضأ ثم قام فصلى فبكى حتى سال دمعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه
فبكى فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضى الله عنه فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل الله
تعالى على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى
الالباب الى قوله سبحانك فقنا عذاب النار * وكان صلى الله عليه وسلم يقول أواه من عذاب الله
قبل أن لا ينفع أواه أى وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه
قال أول من صنعت له النورة ودخل الحمام سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخله
وجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله أواه أواه قبل أن لا يكون أواه أى وفى سفر السعادة لم
يدخل صلى الله عليه وسلم الحمام أبدا والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله تعالى المشهورة

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
أسأل الله الرفيق الاعلى الاسعد
مع جبريل وميكائيل واسرافيل
وظاهره ان الرفيق الاعلى المكان
الذى تحصل فيه المرافقة مع
المذكورين وقال ابن الاثير أراد
جماعة الانبياء الذين يسكنون
أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى
يقال الله رفيق بعباده من الرفق
والرحمة والرأفة وقيل المراد به
حضرة القدس قال فى المواهب
لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة
بينه و بين المحسوسات والحظوظ
الضرورية فكانت أحواله صلى
الله عليه وسلم فى زيادة الترقى ولذلك
روى عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال كل يوم لا أزداد فيه قربا من
الله فلا بورك لى فى طلوع شمسه
وكلما فارق مقاما واتصل بما هو
أعلى منه لمح الاول بعين النقص
وسار على ظهر المحبة ونعمت
المطية قطع هذه المراحل
والمقامات والاحوال والسفر الى
حضرة ذى الجلال الذى كل شئ
هالك الا وجهه قال السهيلى
الحكمة فى اختتام كلامه صلى
الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها
تتضمن التوحيد والذكر بالقلب
حتى يستفاد منه الرخصة لغيره
لا يشترط أن يكون الذكر باللسان

بحمام النبى صلى الله عليه وسلم لعلها بنيت فى موضع اغتسل فيه صلى الله عليه وسلم مرة هذا
كلامه وأرسل صلى الله عليه وسلم وصيفة فابطأت عليه فقال لها لولا خوف القصاص
لاوجعتك بهذا السواك وماضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة امرأة ولا خادما من أهله
قال وعن خادمه أنس رضى الله عنه ماأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر فتوانيت
عنه أوماصنعته فلامنى ولالامنى أحد من أهله صلى الله عليه وسلم الاقال دعوه وفى لفظ خدمته
فى السفر والحضر عشر سنين والله ماقال لى فى شئ صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشئ لم أصنعه
لم لم تصنع هذا هكذا وهذا يدل على أنه رضى الله عنه خدمه صلى الله عليه وسلم عشرة مدة المدينة
وتقدم أن فى بعض الروايات مايدل على أن ابتداء خدمة أنس له صلى الله عليه وسلم فى فتح
خيبر وتقدم مافيه ووصف صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة بان حلمه صلى الله عليه وسلم
يسبق غضبه ولاتزيده شدة الجهل عليه الاحلما وقد تقدم قصته صلى الله عليه وسلم مع اليهودى
الذى طلب منه وفاء مااقترض منه صلى الله عليه وسلم قبل حلول الاجل ونظيرها وعن عائشة
رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فلما
رآه صلى الله عليه وسلم قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبى صلى الله
عليه وسلم فى وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رضى الله عنها يارسول الله
حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت فى وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم
ياعائشة متى عهدتنى فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره
قال ابن بطال رحمه الله ان هذا الرجل هو عيينة بن حصن لانه كان يقال له الاحمق المطاع وهو
صلى الله عليه وسلم انما تطلق فى وجهه تألفا له ليسلم قومه لانه كان المطاع فيهم وأماذمه صلى
الله عليه وسلم له فلانه يعلم مايقع منه بعد فانه ارتد فى زمن الصديق رضى الله عنه وحارب ثم رجع
وأسلم أى وقد قيل ان سبب نزول قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية أن عيينة
هذا قال للنبى صلى الله عليه وسلم وقد قال له اسلم قال على أن تبنى لى مقصورة فى مسجدك هذا
أكون أنا وقومى فيها وتكون أنت بى ومن تأمل سيرته صلى الله عليه وسلم مع أهله وأصحابه
وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والضعفاء والمساكين علم أنه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية
فى التواضع ورقة القلب ولين الجانب ❊ وعن أنس رضى الله عنه أرسلنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى حاجة يوما فقلت والله لاأذهب وفى نفسى أنى أذهب فخرجت على صبيان يلعبون
فى السوق واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض ثيابى من ورائى فنظرت اليه صلى الله عليه
وسلم وهو يضحك فقال يا أنيس اذهب حيث أمرتك فقلت نعم أنا أذهب يارسول الله انتهى
وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وأرجح الناس حلما وأعظم الناس عفوا وأسخى
الناس كفا ❊ وكان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وقال صلى الله عليه وسلم يوما
لاصحابه وقد اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ثم قال اعطونى ردائى لو كان لى
عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ❊ وفى رواية لوأن لى مثل جبال تهامة ذهبا لقسمته بينكم
ثم لاتجدونى كذوبا ولابخيلا ولاجبانا كما تقدم ❊ وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلبا
وأشد الناس بأسا وأشد الناس حياء وكان أشد حياء من البنت البكر فى خدرها أى بيتها وسترها
وكان اذا فرح غض طرفه واذا أخذه العطاس وضع يده أوثوبه على فيه وخفض صوته وربما
غطى وجهه بيده أوثوبه ❊ وكان يحب الفأل الحسن ويغير الاسم القبيح بالحسن كما تقدم وربما
غير الحسن بالقبيح كما تقدم وكان يقول لاصحابه اذا أرسلتم لى رسولا فليكن حسن الاسم حسن

لان بعض الناس قد يمنعه من
النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه
عامرا بالذكر قال الحافظ ابن رجب
وقد يروى مايدل على انه قبض ثم
رأى مقعده فى الجنة ثم ردت اليه
نفسه ثم خير ففى المسند عن عائشة
رضى الله عنها قالت كان النبى
صلى الله عليه وسلم يقول مامن
نبى الا تقبض نفسه ثم يرى
الثواب ثم ترد اليه فيخير فكنت
قد حفظت ذلك فانى لمسندته الى
صدرى فنظرت اليه حين ارتفع
ونظر فقلت اذا والله لايختارنا
فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا وفى صحيح
ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها
قالت أغمى على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورأسه فى حجرى
فجعلت امسه وادعو له بالشفاء
فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق
الاعلى مع جبريل وميكائيل
واسرافيل ولما احتضر صلى الله
عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة
رضى الله عنها مارأيت
الوجع على أحد أشد منه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان
بين يديه عنده قدح من ماء فيدخل
يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء

الوجه من ذلك أن شخصا كان سادنا أى خادما للصنم وكان يسمى غاوى بن ظالم فبينما هو عند
صنمه اذ أقبل ثعلبان الى الصنم ورفع كل واحد منهما رجله وبال على رأس ذلك الصنم فلما رأى
ذلك كسر ذلك الصنم وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه ❊ لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوى بن ظالم فقال صلى الله عليه وسلم
له بل أنت راشد بن عبدربه ❊ ومن هذا السياق يعلم أن الثعلبان بفتح الثاء المثلثة مثنى ثعلب
لا بضمها ذكر الثعالب كما قيل ❊ ومن تغيير الاسم القبيح بالحسن ماوقع له صلى الله عليه وسلم
فى غزوة ذى قرد أنه مر على ماء فسأل عنه فقيل له هذا اسمه بيسان وهو مالح فقال لا بل اسمه
نعمان وهو طيب فانقلب عذبا واشتراه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ثم تصدق به فلما جاء اليه
صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت ياطلحة الا فياض
فسمى طلحة الفياض ❊ وكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى الامر قالت عائشة رضى الله
عنها مارأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ وكان صلى الله
عليه وسلم اذا حلف قال لا ومقلب القلوب وربما قال فى يمينه واستغفر الله واذا اجتهد فى اليمين
قال لا والذى نفس أبى القاسم بيده وربما قال والذى نفس محمد بيده وربما قال فى يمينه لا
واستغفر الله والذى نفسى بيده ❊ وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس اغضاء عن العورات
وكان اذا كره شيأ عرف فى وجهه ولم يشافه أحدا بمكروه حتى اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل
مابال فلان يقول أو يفعل كذا بل يقول مابال أقوام يقولون أو يفعلون كذا لايجزى بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة
وأكرمهم عشيرة مادعاه أحد من أصحابه أوأهل بيته الاقال لبيك يخالط أصحابه ويحادثهم
ويداعب أى يمازح صبيانهم ويجلسهم فى حجره الشريف أى فقد كان صلى الله عليه وسلم يصف
أولاد عمه العباس عبد الله وعبيد الله وغيرهم رضى الله عنهم ويقول من سبق الى فله كذا
فيستبقون اليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم ويلتزمهم ويجيب دعوة الحر والعبد
والامة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويشهد الجنائز ويقبل عذر المعتذر ماوضع
أحد فمه فى أذنه الا استمر صاغيا له حتى يفرغ من حديثه ويذهب وما أخذ أحد بيده فيرسل يده
صلى الله عليه وسلم منه حتى يكون الآخذ هو الذى يرسلها وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من
لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه يكرم من يدخل عليه
وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ويدعو أصحابه
باحب أسمائهم ويكنيهم ولايجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلاته وطعن فى الحديث الذى ورد بذلك واذا سمع بكاء الصغير وهو يصلى
تجوز فيها أى خففها أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم ❊ قال
تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومن ثم رغب صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يجعل سبه
ولعنه لاحد من المسلمين رحمة له أى اذا كان لايستحق ذلك السب فى باطن الامر ويستحقه
فى ظاهر الامر ❊ أى وقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم أوصل الناس للرحم وأقومهم
بالوفاء وحسن العهد ❊ وكان صلى الله عليه وسلم يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد وكان يركب الحمار أى وربما ركبه عريانا ويردف خلفه فعن أنس رضى الله عنه
رأيته صلى الله عليه وسلم يوما على حمار خطامه ليف أى وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر

ويقول اللهم أعنى على سكرات
الموت وفى رواية وجعل يقول
لا اله الا الله ان للموت لسكرات
قال العلماء وكانت تلك السكرات
من شدة الوجع لرفعة منزلته
ولتقتدى به أمته فى الصبر وروى
الحافظ ابن رجب انه عليه الصلاة
والسلام قال اللهم انك تأخذ
الروح من بين القصب والعصب
والانامل فاعنى عليه وهونه على
والقصب عظام اليدين والرجلين
ونحوهما قالت عائشة رضى الله
عنها ولما تغشاه الكرب قالت
فاطمة رضى الله عنها واكرب
أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك
بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان
يجده من شدة الموت وفى البخارى
من حديث أنس رضى الله عنه
ان المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر
من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى
لهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد كشف سجف
حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر
اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم
تبسم يضحك فنكص أبو بكر
رضى الله عنه على عقبه ليصل
الصف وظن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد أن يخرج الى
الصلاة قال أنس وهم المسلمون
ان يفتتنوا فى صلاتهم فرحا

*وكان يجلس على الارض وكان يشرب قائما وقاعدا و ينتعل قائما وقاعدا و يصلى منتعلا وحافيا
وفى لفظ كان أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم فى نعليه وكان يحب التيامن فى شأنه كله فى طهوره
وترجله وتنعله   وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته وكان يكتحل بالاثمد عند النوم ثلاثا
فى كل عين وفى لفظ ثلاثا فى اليمنى ومرتين فى اليسرى *وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد
فانه يجلو البصر و ينبت الشعر وانه من خير أكحالكم وكان يعود المساكين و يجالس بين أصحابه
وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ماتساوى أربعة دراهم وقال اللهم اجعله
حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة كما تقدم   وكان يفلى ثوبه
أى وان كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لا يؤذيه و يحلب شاته و يخصف نعله
و يرقع ثوبه و يخدم نفسه و يعلف ناضحه وهو الجمل الذى يسقى عليه الماء و يقم البيت *قال
وعن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وأكثر مايعمل
الخياطة مارئى فارغا قط فى بيته اما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لارملة انتهى
و يأكل مع الخادم و يحمل بضاعته من السوق و يحب الطيب و يأمر به وكان يتطيب بالمسك
والغالية و يتبخر بالعود والعنبر والكافور و يأمر أصحابه بالمشى أمامه و يقول خلوا ظهرى
للملائكة زاهدا فى الدنيا ماترك درهما ولا دينارا توفى ودرعه مرهونة وتقدم أنها ذات الفضول
عند يهودى وتقدم أنه أبو الشحم على نفقة عياله وتقدم أن ذلك كان ثلاثين صاعا من شعير
وكان الاجل سنة *وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ماشبع ثلاثة
أيام تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا   وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال لقد رأيت
نبيكم صلى الله عليه وسلم ومايجد من الدقل مايملأ بطنه *وفى رواية ماشبع يومين من خبز
الشعير أى ومعلوم أن ذلك انما هو لتتأسى به أمته فى الاعراض عن الدنيا قالت عائشة رضى
الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأضرع اليك وأدعوك وأما اليوم
الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك *قال صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا انما أنا فى الدنيا
كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفىء فتركها ولم يرجع اليها وقال صلى
الله عليه وسلم ما أبالى بما رددت به عنى الجوع ولم ينخل له صلى الله عليه وسلم دقيق الشعير قال
وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والذى بعث محمدا بالحق مارأى منخلا ولا أكل خبزا منخولا
منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض فقيل لها كيف كنتم تصنعون بالشعير قالت كنا نقول أف أف
انتهى أى فيطير ماطار ومابقى عجناه ولا خبز له صلى الله عليه وسلم مرقق ولا أكل النقى من
الخبز   وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه
الكسرة فقال صلى الله عليه وسلم أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام أى فانه صلى
الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا ولا أكل على خوان قط انما كان يأكل على
السفرة وربما وضع صلى الله عليه وسلم طعامه على الارض أى وخطب صلى الله عليه وسلم يوما
فقال والله ماأمسى فى بيت محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات قال الحسن والله ماقالها
استقلالا لرزق الله ولكن أراد صلى الله عليه وسلم أن تتأسى به أمته   وعن أبى هريرة رضى الله
عنه كان يمر هلال ثم هلال لا يوقد فى بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لا لخبز ولا
لطبخ فقيل له بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة فقال بالاسودين الماء والتمر *وعن ابن عباس

رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشار اليهم بيده صلى الله عليه
وسلم ان أتموا صلاتكم ثم دخل
الحجرة وأرخى الستر زاد فى رواية
فتوفى من يومه   وفى رواية
لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم
ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب أبو
بكر يتقدم فقال نبى الله صلى الله
عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح
لنا وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مانظرنا منظرا قط كان أعجب
الينا من وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين وضح لنا فأومأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
أبى بكر ان يتقدم وارخى الحجاب
وروى مسلم ان أبا بكر رضى الله
عنه كان يصلى لهم فى وجع النبى
صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه
حتى كان يوم الاثنين وهم فى
صفوف الصلاة كشف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة
فنظر الينا وهو قائم كأن وجهه
ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله
عليه وسلم ضاحكا   أى فرحا
باجتماعهم على الصلاة واتفاق
كلمتهم واقامة شريعته   وروى
البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه
قال لما بقى من أجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه
جبريل فقال يا محمد ان الله قد

رضى الله عنهما قال والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالى مايجدون فيها عشاء
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أهدى لنا أبو بكر شاة قالت انى لاقطعها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى ظلمة البيت فقال لها قائل أما كان لكم سراج فقالت لو كان لنا مانسرج به أكلناه
*وكان صلى الله عليه وسلم لايجمع فى بطنه بين طعامين ان أكل لحما لم يزد عليه وان أكل تمرا لم يزد
عليه وان أكل خبزا لم يزد عليه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد من قطن قصير
الكمين كمه الى الرسغ وطوقه مطلق من غير ازرار أى وفى لفظ كان قميص رسول الله صلى الله
عليه وسلم قطنا قصير الطول قصير الكمين كمه الى الرسغ *وكان له صلى الله عليه وسلم جبة ضيقة
الكمين وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر من نسج عمان *وكان له صلى الله
عليه وسلم بردة يمانية طولها ستة أذرع فى عرض ثلاثة أذرع وشبر كان يلبسهما فى يوم الجمعة
والعيدين ثم يطويان *وكان له صلى الله عليه وسلم رداء أخضر طوله أربعة أذرع وعرضه
ذراعان وشبر تداولته الخلفاء *وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب كساها على
ابن أبى طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه على كرم الله وجهه فيقول صلى الله عليه
وسلم أتاكم على فى السحاب يعنى عمامته التى وهبها له صلى الله عليه وسلم *وكان اذا اعتم يرخى
عمامته بين كتفيه وكان يلبس القلنسوة اللاطئة أى اللاصقة بالرأس وذات الآذان كان
يلبسها فى الحروب والقلانس الطوال انما حدثت فى أيام الخليفة المنصور وكان صلى الله
عليه وسلم يقول فرق بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس أى فانه صلى الله عليه وسلم
كان يلبس القلانس تحت العمائم ويلبس القلانس بغير عمائم ويلبس العمائم بغير
قلانس وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة لابسها *وعن
جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء يلبسها فى
العيدين ويرخيها خلفه وجاء ان جبريل عليه السلام كانت عمامته يوم غرق فرعون سوداء
ومقدار عمامته الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يثبت فى حديث   قال بعض الحفاظ
والظاهر انها كانت نحو العشرة أذرع أو فوقها بيسير وكانت له صلى الله عليه وسلم خرقة اذا
توضأ تمسح بها   هذا وفى سفر السعادة لم يكن صلى الله عليه وسلم ينشف أعضاءه بعد الوضوء
بمنديل ولا منشفة وان أحضروا له شيأ من ذلك أبعده والحديث المروى عن عائشة رضى الله
عنها كانت له صلى الله عليه وسلم منشفة يتنشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ رضى الله عنه فى
معناه كلاهما ضعيف   وقال تنشيف الأعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث *وكانت له صلى
الله عليه وسلم ملحفة مورسة اذا أراد أن يدور على نسائه رشها بالماء أى لتظهر رائحتها *وكان
يصبغ قميصه ورداءه وعمامته بالزعفران أى وفى لفظ كان يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى
العمامة   وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء   وعن ابن أوفى رضى الله عنه كان أحب الصبغ الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة قال الحافظ الدمياطى رحمه الله ويعارض هذه الاحاديث
مارؤى فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزعفر وفى لفظ نهى عن ان
يتزعفر الرجل أى وقد يقال على تقدير صحة تلك الاحاديث فهى منسوخة أو كان ذلك من
خصوصياته صلى الله عليه وسلم *وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل واختلف
هل لبسها قيل نعم ففى الاوسط للطبرانى ومسند أبى يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى بزازين فاشترى سراويل بأربعة

أرسلنى اليك اكراما لك وتفضيلا
لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به
منك يقول كيف تجدك قال
أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى
ياجبريل مكروبا ثم أتاه فى اليوم
الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى
اليوم الثالث فقال له مثل ذلك
ثم استأذن ملك الموت فقال
جبريل يا أحمد هذا ملك الموت
يستأذن عليك ولم يستأذن على
آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى
بعدك قال ائذن له فدخل ملك
الموت فوقف بين يديه فقال
يارسول الله ان الله عز وجل
أرسلنى اليك وأمرنى ان أطيعك
فى كل ما تأمرنى به ان أمرتنى ان
أقبض روحك قبضتها وان أمرتنى
ان أتركها تركتها فقال جبريل
يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك
قال صلى الله عليه وسلم فامض
ياملك الموت الى ما أمرت به فقال
جبريل يارسول الله هذا آخر
موطئى من الارض انما كنت
حاجتى من الدنيا فقبض روحه
فلما توفى صلى الله عليه وسلم سمعوا
صوتا من ناحية البيت السلام
عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون
أجوركم يوم القيامة ان فى الله عزاء
من كل مصيبة وخلفا من كل هالك

دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوزن وارجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشئ أحق بشيئه ان يحمله الا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم قلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال أجل فى السفر والحضر وبالليل وبالنهار فانى أمرت بالستر فلم أجد شيأ أستر منه ومخرجه هو وشيخه ضعيفان وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وفى لفظ آخر اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة أتتنى الدنيا خضرة حلوة ورفعت الى رأسها وتزينت لى فقلت انى لا أريدك لا حاجة لى فيك ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الفاقة أحب الى من اليسار وعن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أرثى له صلى الله عليه وسلم من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر مايقوتك ويمنع عنك الجوع فيقول ياعائشة ان اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم أخشى ان ترفعت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب الى من ان ينقص حظى غدا فى الاخرى ومامن شئ أحب الى من اللحوق باخوانى قال وقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله لاصبرن جهدى ولا قوة الا بالله انتهى * وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان صلى الله عليه وسلم على غاية من الاعراض عن الدنيا وكان يصلى على الحصير وعلى الفروة المدبوغة وربما نام على الحصير فأثرت فى جسده الشريف وكان ينام على شئ من أدم محشو ليفا فقيل له فى ذلك فقال مالى وللدنيا وعن عائشة رضى الله عنها دخلت امرأة من الانصار فرأت ذلك الادم وفى لفظ رأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت اليه بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا قلت يارسول الله فلانة الانصارية دخلت على فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا فقال رديه فلم أرده وأعجبنى أن يكون فى بيتى حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال والله ياعائشة لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وعنها رضى الله عنها انها كانت تفرش تلك العباءة مثنية طاقين ففى بعض الليالى ربعتها فنام صلى الله عليه وسلم عليها ثم قال ياعائشة ما لفراشى الليلة ليس كما يكون قلت يارسول الله ربعتها قال فأعيديه كما كان * وكان صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا قال اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له وكان يقول لاصحابه كلهم رضى الله عنهم اذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى قال وكان أرجح الناس عقلا والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر الناس وعن وهب بن منبه قرأت فى أحد وسبعين كتابا انه صلى الله عليه وسلم أرجح الناس وأفضلهم رأيا وفى رواية وجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انتهائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة بين رمال الدنيا وعما

ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال على رضى الله عنه أتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام ورواه أيضا غير البيهقى كالحاكم فى المستدرك وابن أبى الدنيا ولفظه عن أنس رضى الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كث شعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضى الله عنه لعل هذا الخضر جاء يعزينا قالت عائشة رضى الله عنها توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى والسحر موضع القلادة من الصدر والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفى ورأسه بين حنكها وصدرها قال السهيلى ان أول

يتفرع على العقل اقتناء الفضائل واجتناب الرذائل واصابة الرأى وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك صلى الله عليه وسلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه ومما يكاد يقضى منه العجب حسن تدبيره صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم الى أن انقادوا اليه صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا فى رضاه أوطانهم انتهى والله أعلم

﴿باب يذكر فيه مدة مرضه وماوقع فيه ووفاته صلى الله عليه وسلم التى هى مصيبة الاولين والآخرين من المسلمين﴾

ذكر أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى البقيع من جوف الليل فاستغفر لهم فعن أبى مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فى جوف الليل انى قد أمرت أن أستغفر لاهل البقيع فانطلق معى قال فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لو تعلمون مانجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الاخيرة شر من الاولى قال ثم أقبل على وقال يا أبا مويهبة هل علمت انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى فاخترت لقاء ربى والجنة أى وفى رواية ان أبا مويهبة قال له بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الارض والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك أى ابتداء الصداع أى وفى رواية ذهب بعد ذلك الى قتلى أحد فصلى عليهم فرجع معصوب الرأس فكان ذلك بدء الوجع الذى مات فيه وفى رواية رجع من جنازة بالبقيع قالت عائشة رضى الله عنها لما رجع من البقيع وجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه قال لو كان ذلك وأنا حى فاستغفر لك وأدعو لك وأكفنك وأدفنك وفى لفظ وما يضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقلت واثكلاه والله انك لتحب موتى فلو كان ذلك لظللت يومك معرسا ببعض أزواجك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت ان أرسل الى أبيك وأخيك فاقض أمرى وأعهد عهدى فلا يطمع فى الدنيا طامع وفى لفظ ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون وفى رواية انها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ادعى لى أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فانى أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وفى رواية لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لابى بكر كتابا لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال أبى الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا أبا بكر قال ابن كثير رحمه الله وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها فضل الصديق رضى الله عنه من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولعل خطبته صلى الله عليه وسلم هذه كانت عوضا عما أراد صلى الله عليه وسلم ان يكتبه فى الكتاب وفى رواية انه اجتمع عنده صلى الله عليه وسلم رجال فقال صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم أى وهو سيدنا عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع

كلمة تكلم بها النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وفى رواية جلال ربى الرفيع ويمكن انه تكلم بهما ولما توفى صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضى الله عنه غائبا بالسنح يعنى العالية وهى منازل بنى الحرث ابن الخزرج عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجى رضى الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له فى الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لارجو ان يقطع أيدى رجال وأرجلهم فأقبل أبو بكر رضى الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضى الله عنها فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكى ويقول توفى والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يارسول الله ما أطيبك حيا وميتا بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين وأشار بذلك الى الرد على من يزعم انه سيجئ فيقطع أيدى رجال لانه لو صح ذلك لزم أن يموت موتة أخرى

وعندكم القرآن أى وانما قال ذلك رضى الله عنه تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهم فامرهم بالخروج من عنده وجاء ان العباس رضى الله عنه قال لعلى كرم الله وجهه لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح من مرضه هذا فانى أعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت أى وفى رواية خرج على بن أبى طالب كرم الله وجهه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مرضه الذى مات فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عمه العباس رضى الله عنهما وقال له والله أنت بعد ثلاث عبد العصى وانى لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجعه هذا بعد ثلاث الا ميتا فانى رأيت فى وجهه ما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب عند الموت فاذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله فيمن هذا الامر فان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا كلمناه فاوصى بنا فقال على كرم الله وجهه والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها وصار صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فاشتد به المرض عند ميمونة رضى الله عنها وقيل فى بيت زينب رضى الله عنها وقيل فى بيت ريحانة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها فدعا صلى الله عليه وسلم نساءه فاستأذنهن ان يمرض فى بيتى فاذن له وفى رواية صار يقول وهو فى بيت ميمونة أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة رضى الله عنها وفى البخارى يقول أين أنا اليوم أين أنا غدا استبطاء ليوم عائشة رضى الله عنها فاذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان فى بيت عائشة وفى رواية عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء فى مرضه فاجتمعن فقال انى لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن أن تأذن لى فأكون فى بيت عائشة فعلتن فأذن له قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله معتمدا عليهما الفضل بن العباس ورجل آخر وفى رواية بين عباس بن عبد المطلب ورجل آخر وفى رواية بين اسامة ورجل آخر عاصبا رأسه الشريف تخط قدماه الارض حتى دخل بيتى قال ابن عباس رضى الله عنهما الرجل الذى لم تسمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه أى فانه كان بينها وبين على ما يقع بين الاحماء وقد صرحت بذلك لما أرادت أن تتوجه من البصرة بعد انقضاء وقعة الجمل وخرج الناس ومن جملتهم على كرم الله وجهه لتوديعها حيث قالت والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها فقال على أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيننا وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وقد تقدم ذلك ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه فقال هريقوا على من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فاعهد اليهم فاقعدناه صلى الله عليه وسلم فى مخضب أى اناء من حجر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم وفى لفظ حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن أى وصب المياه المذكورة له دخل فى دفع السم أى فانه صلى الله عليه وسلم صار يقول لعائشة يا عائشة ما زال أجد ألم الطعام الذى أكلته بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الشريف حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد أى دعا لهم فأكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ففهمها أبو بكر رضى الله تعالى عنه وعرف أن نفسه يريد أى فبكى أبو بكر ٥ فقال نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر أى وفى رواية قال يا أبا بكر لا تبك أيها الناس ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر وهذا حديث صحيح جاء عن بضعة عشر صحابيا ولكثرة طرقه عد من المتواتر وفى أخرى ان أعظم

فأخبرانه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين وقيل انه أراد لا يجمع الله عليك موت نفسك وموت شريعتك وعن عائشة رضى الله عنها ان عمر رضى الله عنه قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر رضى الله عنه فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا والذى نفسى بيده لا يذيقنك الله موتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وقال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون رواه البخارى يقال نشج الباكى اذا غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب وعن سالم ابن عبيد الاشجعى رضى الله عنه قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى

الناس على منا فى صحبته وذات يده أبو بكر وفى أخرى فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى يدا فى الصحابة من أبى بكر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة أى وفى الحديث حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت شرا استغفرت لكم أى وهذا بيان للثانى لاستغناء الاول عن البيان ومعلوم أن خيرا وشرا هنا ليسا أفعل تفضيل الذى يوصل بمن حتى يلزم التناقض بل المراد أن ذلك فضيلة ثم قال صلى الله عليه وسلم انظروا هذه الابواب اللاصقة فى المسجد أى وفى لفظ هذه الابواب الشوارع فى المسجد فسدوها الا باب أبى بكر أى وفى لفظ الا ما كان من باب أبى بكر فانى وجدت عليه نورا وفى لفظ سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة أبى بكر فان المراد بالابواب الخوخ فانى لا أعلم ان أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه أى وفى لفظ أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر وفى لفظ لا تؤذونى فى صاحبى ولولا ان الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ألا فسدوا كل خوخة الا خوخة ابن أبى قحافة أى وجاء فى الحديث لكل نبى خليل من أمته وان خليلى أبو بكر وان الله اتخذ صاحبكم خليلا وفى رواية ان خليلى عثمان بن عفان وجاء لكل نبى خليل وخليلى سعد بن معاذ وفى أسباب النزول للثعالبى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبى الا وله خليل الا وان خليلى أبو بكر وفى رواية الجامع الصغير ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وان خليلى أبو بكر وفى رواية الجامع الصغير خليلى من هذه الامة اويس القرنى ولعل هذا كان قبل أن يقول صلى الله عليه وسلم فى مرض موته قبل موته بخمسة أيام انى ابرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لاتخذت أبا بكر خليلا لكن خلة الاسلام أفضل وفى رواية ولكن اخوة الاسلام ومودته وفى رواية لكن أخى وصاحبى وجمع بان الاول أى اثبات الخلة لغير الله محمول على نوع منها ونفيها عن غير الله محمول على كمالها ثم لا يخفى أن قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا يدل على أن مقام الخلة أرقى من مقام المحبة وان المحبة والخلة ليسا سواء خلافا لمن زعم ذلك أى ولا مانع أن يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل فلا حاجة لى ما تكلفه بعضهم مما يدل على أن مقام المحبة أفضل من مقام الخلة أى الذى يدل عليه ما جاء الا قائل قولا غير هجر ابراهيم خليل الله وموسى صفى الله وأنا حبيب الله وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وعند ذلك أى اغلاق الابواب قال الناس أغلق أبوابنا وترك باب خليله فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغنى الذى قلتم فى باب أبى بكر وانى أرى على باب أبى بكر نورا وأرى على أبوابكم ظلمة لقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الاموال وجاد لى بماله وخذلتمونى وواسانى أى واعل قولهم وترك باب خليله لا ينافى ما تقدم من عدم اتخاذه خليلا وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بسد الابواب الا باب أبى بكر قال عمر يا رسول الله دعنى أفتح كوة أنظر اليك حيث تخرج الى الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وقال العباس بن عبد المطلب يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال فى المسجد يعنى أبا بكر وما بالك سددت أبواب رجال فى المسجد فقال يا عباس ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى وفى لفظ ما أنا سددتها ولكن الله سدها وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسد الابواب الا باب على قال الترمذى حديث غريب وقال ابن الجوزى هو موضوع وضعه

هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بأبى بكر رضى الله عنه فلما رأيته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى هذا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال عمر فوالله لكأنى لم أتل هذه الآية قط وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت سجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه

الرافضة ايقابلوا به الحديث الصحيح فى باب أبى بكر وجمع بعضهم بأن قصة على متقدمة على هذا الوقت وأن الناس كان لكل بيت بابان باب يفتح للمسجد وباب يفتح خارجه الابيت على كرم الله وجهه فانه لم يكن له الاباب من المسجد وليس له باب من خارج فأمر صلى الله عليه وسلم بسد الابواب أى التى تفتح للمسجد أى بتضييقها وصيرورتها خوخا الاباب على كرم الله وجهه فان عليا لم يكن له الاباب واحد ليس له طريق غيره ثم تقدم فلم يأمر صلى الله عليه وسلم بجعله خوخة ثم بعد ذلك أمر صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ الاخوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقول بعضهم حتى خوخة على كرم الله وجهه فيه نظر لما علمت ان عليا كرم الله وجهه لم يكن له الاباب واحد فالباب فى قصة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ليس المراد به حقيقته بل الخوخة وفى قصة على كرم الله وجهه المراد به حقيقته ﴿أقول﴾ ومما يدل على تقدم قصة على كرم الله وجهه ماروى عنه قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن سد بابك قال سمعا وطاعة فسد بابه ثم أرسل الى عمر ثم أرسل الى العباس بمثل ذلك ففعلا وأمرت الناس ففعلوا وامتنع حمزة فقلت يارسول الله قد فعلوا الاحمزة فقال صلى الله عليه وسلم قل لحمزة فليحول بابه فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن تحول بابك فحوله وعند ذلك قالوا يارسول الله سددت أبوابنا كلها الاباب على فقال ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها وفى رواية ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب على ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فانى أمرت بسد هذه الابواب غير باب على فقال فيكم قائلكم وانى والله ماسددت شيأ ولا فتحته ولكن أمرت بشئ فتبعته انما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت ان أتبع الا ما يوحى الى ومعلوم أن حمزة رضى الله تعالى عنه قتل يوم أحد فقصة على كرم الله وجهه متقدمة جدا على قصة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وعلى كون المراد بسد الابواب تضييقها وجعلها خوخا يشكل ماجاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب على فقال العباس يارسول الله قدر ما أدخل أنا وحدى وأخرج قال ما أمرت بشئ من ذلك فسدها كلها غير باب على فعلى تقدير صحة ذلك يحتاج الى الجواب عنه وعلى هذا الجمع يلزم أن يكون باب على كرم الله وجهه استمر مفتوحا فى المسجد مع خوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه لما علم انه لم يكن لعلى باب آخر من غير المسجد وحينئذ قد يتوقف فى قول بعضهم فى سد الخوخ الاخوخة أبى بكر اشارة الى استخلاف أبى بكر لانه يحتاج الى المسجد كثير دون غيره لكن فى تاريخ ابن كثير رحمه الله وهذا أى سد جميع الابواب الشارعة الى المسجد الاباب على لا ينافى ماثبت فى صحيح البخارى من أمره صلى الله عليه وسلم فى مرض الموت بسد الابواب الشارعة الى المسجد الاباب أبى بكر لان فى حال حياته صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة رضى الله تعالى عنها تحتاج الى المرور من بيتها الى بيت أبيها صلى الله عليه وسلم فابقى صلى الله عليه وسلم باب على كرم الله وجهه لذلك رفقا بها وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزالت هذه العلة فاحتيج الى فتح باب الصديق رضى الله تعالى عنه لاجل خروجه الى المسجد ليصلى بالمسلمين لانه الخليفة بعده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وهو يفيد أن باب على كرم الله وجهه سد مع سد الخوخ ولم يبق الاخوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وجعل لبيت على كرم الله وجهه باب من الخارج وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لا يحل لاحد جنب مكث فى المسجد غيرى وغيرك وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه حتى انتهى الى صرحة المسجد فنادى

ثم قاما فقال المغيرة ياعمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين ثم جاء أبو بكر رضى الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أبابكر رضى الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يكلم الناس فقال اجلس ياعمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر رضى الله عنه أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها وروى ابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان أبابكر مر بعمر رضى الله عنهما وهو يقول مامات رسول الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون

باعلى صوته أنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض الا لمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد الا هل بينت لكم أن لا تضلوا قال الحافظ ابن كثير وهذا أى الثانى اسناده غريب وفيه ضعف هذا كلامه والمراد المكث فى المسجد لا المرور به والاستطراق منه فان ذلك لكل أحد ثم رأيت الحافظ السيوطى رحمه الله أشار الى ذلك وذكر ان مثل على كرم الله وجهه فيما ذكر ولداه الحسن والحسين حيث قال وكذا على بن أبى طالب والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث فى المسجد مع الجنابة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم يامعشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا انهم كانوا عيبتى التى أويت اليهم فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته هذه أيها الناس من أحس من نفسه شيأ فليقم أدع الله له فقام اليه رجل فقال يارسول الله انى لمنافق وانى لكذوب وانى لنؤم فقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويحك أيها الرجل لقد سترك الله لوسترت على نفسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وايمانا وأذهب عنه النوم اذشاء قال ابن كثير فى اسناده ومتنه غرابة شديدة وأمر صلى الله عليه وسلم فى مرضه أبابكر أن يصلى بالناس قال وكانت تلك الصلاة صلاة العشاء وقد أذن بلال فقال ضعوا الى ماء فى المخضب أى وهو شبه الاجانة من نحاس فاغتسل فيه أى وهذا مع ماسبق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان له مخضب من حجر ومخضب من نحاس ثم أراد صلى الله عليه وسلم ان يذهب فاغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لاهم ينتظرونك أى وعند ذلك قال ضعوا الى ماء فى المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فاغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لاهم ينتظرونك يارسول الله قال ضعوا الى ماء فى المخضب فاغتسل ثم اراد أن يذهب فاغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لاهم ينتظرونك يارسول الله والناس ملمومة فى المسجد ينتظرون النبى صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة فارسل الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه بأن يصلى بالناس فاتاه الرسول فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن تصلى بالناس فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لعمر ياعمر صل بالناس فقال له عمر رضى الله تعالى عنه أنت أحق بذلك وفى رواية ان بلالا رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم وقال الصلاة يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا أستطيع الصلاة خارجا مر عمر بن الخطاب فليصل بالناس فخرج بلال رضى الله تعالى عنه وهو يبكى فقال له المسلمون ماوراءك يابلال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع الصلاة خارجا فبكوا بكاء شديدا وقال لعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن تصلى بالناس فقال عمر رضى الله تعالى عنه ما كنت لاتقدم بين يدى أبى بكر أبدا فادخل على نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان أبابكر على الباب فدخل عليه صلى الله عليه وسلم بلال رضى الله تعالى عنه فاخبره بذلك فقال نعم مار أى مر أبابكر فليصل بالناس فخرج الى أبى بكر فامره أن يصلى بالناس فصلى بالناس وفى رواية فقال مروا أبابكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت ان أبابكر رجل أسيف أى رقيق القلب اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبابكر فليصل بالناس فعاودته فقال مروا أبابكر فليصل بالناس فقلت لحفصة قولى له ان أبابكر اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة مه انكن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام وفى لفظ انكن لانتن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام فقالت حفصة رضى الله تعالى عنها لعائشة ما كنت لاصيب منك خيرا مروا

وقال وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث وروى الطبرانى ان العباس رضى الله عنه لما سمع عمر رضى الله عنه يقول من قال ان محمدا قد مات ضربته بسيفى قال له هل عندكم عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال لا قال فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة بيضاء وهذا من موافقة العباس للصديق رضى الله عنهما وفى المواهب لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى وكان عمر رضى الله عنه ممن خبل وكان عثمان رضى الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان على رضى الله عنه ممن أقعد فلم يستطع ان يتحرك وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك مالم ينقطع

أبا بكر فليصل بالناس أى مثل صاحبة يوسف عليه الصلاة والسلام وهى زليخا أظهرت خلاف ما تبطن أظهرت للنساء اللاتى جمعتهن أنها تريد اكرامهن بالضيافة وانما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف عليه الصلاة والسلام فيعذرنها فى حبه والنبى صلى الله عليه وسلم فهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا هكذا يقتضيه ظاهر اللفظ والمنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها انما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس أبا بكر فيكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنها رضى الله تعالى عنها أنها قالت ما حملنى على كثرة مراجعتى له صلى الله عليه وسلم الا أنه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى انه يقوم أحد مقامه الا تشاءم الناس منه وفى رواية ان الانصار رضى الله تعالى عنهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد واشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل رضى الله تعالى عنه فاخبره بذلك ثم دخل عليه على كرم الله وجهه فاخبره بذلك ثم دخل عليه العباس رضى الله تعالى عنه فاخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على على والفضل والعباس امامه والنبى صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغنى انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ألا وانى لاحق بربى وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم بخير فان الله يقول والعصر ان الانسان لفى خسر السورة وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى الا وان موعدكم الحوض الا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم فاذا بر الناس برتهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوا أئمتهم وفى الحديث حياتى خير لكم ومماتى خير لكم وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى خيرية الموت بأنه فرط فخير صفة لا أفعل تفضيل حتى يشكل بأنه يقتضى ان حياتى خير لكم من مماتى ومماتى خير لكم من حياتى كما مر ثم لا زال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يصلى بالناس سبع عشرة صلاة وصلى النبى صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية أى أتى بها منفردا وقال صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبى حتى يؤمه رجل من قومه أى وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم لما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف كما تقدم فى تبوك قال وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة أى وأبو بكر فى الصلاة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذهب ليتأخر فأومأ اليه أن لا يتأخر وأمرهما فأجلساه الى جنب أبى بكر عن يساره وفى رواية عن يمينه وأنه صلى الله عليه وسلم دفع فى ظهر أبى بكر وقال صل بالناس أى ومنعه من التأخر فجعل أبو بكر رضى الله تعالى عنه يصلى قائما كبقية الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قاعدا انتهى وهذا صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم صلى مقتديا بأبى بكر رضى الله تعالى عنه وحينئذ لا يحسن التفريع على ذلك بما جاء فى لفظ فكان أبو بكر رضى الله تعالى

عنه

للانبياء قبلك فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك وفى رواية قبل جبهته وقال واصفياه واخليلاه وفى رواية فجعل يقبله ويبكى ويقول بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ثم خرج الى الناس الحديث قال القرطبى وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق رضى الله عنه لان الشجاعة هى ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبى صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضى الله عنه وذكر الوائلى أبو نصر فى كتاب الابانة عن أنس رضى الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين بويع أبو بكر رضى الله عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال أما بعد فانى قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت وانى والله ما وجدت المقالة التى قلت لكم فى كتاب الله ولا فى عهد عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه يصلى وهو قائم بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ يأتم بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبى بكر وفى لفظ يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبى بكر وهذا يدل على أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم صلوا خلف أبى بكر وأبو بكر يصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وصار يسمع الصحابة التكبير وقد بوب البخارى على ذلك باب من أسمع الناس تكبير الامام وقال بعد ذلك باب الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم فان منعه صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه من التأخر مع صلاته على يسار أبى بكر أو على يمينه يدل على أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يقتد بالنبى صلى الله عليه وسلم بل استمر اماما اذ لا يجوز عندنا أن يقتدى أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم مع تقدم أبى بكر عليه صلى الله عليه وسلم فى الموقف وحينئذ يخالف ذلك قول فقهائنا ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اقتدائهم بأبى بكر وجعلوه دليلا على جواز الصلاة بامامين على التعاقب اذ لا يحسن ذلك الا أن يكون أبو بكر رضى الله تعالى عنه تأخر ونوى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم الا أن يقال يجوز أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر تكررت ففى مرة منعه صلى الله عليه وسلم من التأخر واقتدى به وفى مرة تأخر أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن موقفه واقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم واقتدى الناس بالنبى بعد اقتدائهم بأبى بكر وصار أبو بكر يسمع الناس التكبير ولا ينافى ذلك قول البخارى الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم لجواز أن يكون المراد يقتدون ويتبعون تكبير المأموم ثم رأيت الترمذى رحمه الله تعالى صرح بتعدد صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر رضى الله تعالى عنه حيث قال ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر مقتديا به فى مرضه الذى مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية هذا كلامه وبه يرد قول البيهقى رحمه الله والذى دلت عليه الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى خلفه فى تلك الايام التى كان يصلى بالناس فيها مرة وصلى أبو بكر رضى الله تعالى عنه خلفه صلى الله عليه وسلم مرة وقال صلى الله عليه وسلم فى مرضه ذلك يوما لعبد الله بن زمعة بن الاسود مر الناس فليصلوا أى صلاة الصبح وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه غائبا فتقدم عمر رضى الله تعالى عنه يصلى بالناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه الشريف حتى أطلعه للناس من حجرته ثم قال صلى الله عليه وسلم لا لا لا ثلاث مرات ليصل بهم ابن أبى قحافة فانتقضت الصفوف وانصرف عمر رضى الله تعالى عنه أى من الصلاة فما برح القوم حتى طلع ابن أبى قحافة فتقدم وصلى بالناس الصبح وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت عمر رضى الله تعالى عنه قال أليس هذا صوت عمر قالوا بلى يا رسول الله فقال يأبى الله ذلك والمؤمنون وفى لفظ يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر قال ذلك ثلاثا قال فى السيرة الهشامية فبعث صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر فجاء بعد ان صلى عمر رضى الله تعالى عنه تلك الصلاة فصلى بالناس وقد يقال المراد بصلى عمر تلك الصلاة نوى تلك الصلاة ودخل فيها فلا يخالف ما تقدم من انتقاض الصفوف وانصراف عمر رضى الله تعالى عنه من الصلاة وقال عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الله ابن زمعة ويحك ماذا صنعت يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتنى الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا فقال عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكن حيث لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة وفى آخر يوم أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الستارة والناس خلف أبى بكر فأراد الناس أن ينحرفوا

حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتا فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذى عنده على الذى عندكم وهذا الكتاب الذى هدى الله رسوله به فخذوا به تهتدوا والمقالة التى قالها ثم رجع عنها هى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت وان يموت حتى يقطع أيدى وأرجل أناس من المنافقين وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ولكونه خشى الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم رجع عن مقالته المذكورة وروى البخارى ان فاطمة رضى الله عنها لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه من الى جبريل ننعاه زاد فى رواية رواها الطبرى يا أبتاه من ربه ما أدناه وقد

فأشار اليهم صلى الله عليه وسلم أن امكثوا وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من هيئة المسلمين فى صلاتهم سرورا منه صلى الله عليه وسلم بذلك وذلك يوم الاثنين يوم موته صلى الله عليه وسلم ثم ألقى الستارة وفى السيرة الهشامية لما كان يوم الاثنين قبض الله تبارك وتعالى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وفتح الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة رضى الله تعالى عنها فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به فأشار اليهم ان اثبتوا على صلاتكم ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه فرجع أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى أهله بالسنح وفيها فى رواية أنه لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى صلاة الصبح وأبو بكر يصلى بالناس فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح الناس فعرف أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه على يمين أبى بكر رضى الله تعالى عنه فصلى قاعدا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس رافعا صوته حتى خرج من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم انى والله ما تمسكون على بشئ انى لم أحل الا ما أحل القرآن ولم أحرم الا ما حرم القرآن ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله قد أراك أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها قال نعم ثم دخل صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى أهله بالسنح فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وقد أمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه ان يصلى بالناس قبل مرضه فانه صلى الله عليه وسلم خرج الى قباء بعد أن صلى الظهر وقد وقع بين طائفتين من بنى عمرو بن عوف تشاجر حتى تراموا بالحجارة ليصلح بينهم فقال صلى الله عليه وسلم لبلال رضى الله تعالى عنه ان حضرت صلاة العصر ولم آتك فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أذن بلال ثم أقام ثم أمر أبا بكر رضى الله تعالى عنه فتقدم وصلى بالناس فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشق الناس حتى قام خلف أبى بكر فصفح الناس أى صفقوا فلما كثر ذلك التفت أبو بكر رضى الله تعالى عنه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فأراد التأخر فأومأ اليه صلى الله عليه وسلم ان يكون على حاله وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال يا أبا بكر ما منعك اذ أومأت اليك ان لا تكون ثبت فقال أبو بكر يا رسول الله لم يكن لابن أبى قحافة أن يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للناس اذا نابكم فى صلاتكم شئ فلتسبح الرجال ولتصفق النساء وهذا استدل به القاضى عياض رحمه الله على انه لا يجوز لاحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصلح للتقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ولا فى غيرها الا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم أئمتكم شفعاؤكم وحينئذ يحتاج للجواب عن صلاته صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه ركعة وسيأتى الجواب عن ذلك ولعل هذه المرة كانت فى اليوم الذى توفى فيه صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم صلى بالناس الغداة ورأى المسلمون انه صلى الله عليه وسلم قد برئ ففرحوا فرحا شديدا ثم جلس

عاشت فاطمة رضى الله عنها بعده
صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما
ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك
وأخرج أبو نعيم عن على رضى الله
عنه قال لما قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم صعد ملك الموت
باكيا الى السماء والذى بعثه
بالحق لقد سمعت صوتا من
السماء ينادى وامحمداه وهذه
مصيبة أصيبها المسلمون لم يصابوا
قط بمثلها كل مصيبة تهون
عندها وروى ابن ماجه انه صلى الله
عليه وسلم قال فى مرضه أيها
الناس ان أحد من الناس أو من
المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز
بمصيبته بى عن المصيبة التى
تصيبه بغيرى فان أحدا من أمتى
لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه
من مصيبتى قال ابن الجوزى كان
الرجل من أهل المدينة اذا أصابته
مصيبة جاء أخوه فصافحه وقال
له يا عبد الله اتق الله فان فى رسول
الله أسوة حسنة ورحم الله القائل
اصبر لكل مصيبة وتجلد
واعلم بأن المرء غير مخلد

صلى الله عليه وسلم فى مصلاه يحدثهم حتى اضحى ثم قام صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يتفرق الناس من مجلسهم حتى سمعوا صياح الناس وهب يقلب الماء ظنا انه غشى عليه وابتدر المسلمون الباب فسبقهم العباس رضى الله تعالى عنه فدخل وأغلق الباب دونهم فلم يلبث ان خرج اليهم فنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا عباس ما أدركت منه صلى الله عليه وسلم فقال أدركته وهو يقول جلال ربى الرفيع فقد بلغت ثم قضى فكان هذا آخر شئ تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأيته فى الامتاع نقل هذا القول الذى قدمته عن البيهقى وذكر فى رواية أخرى لم يزل أبو بكر رضى الله تعالى عنه يصلى بالناس حتى كانت ليلة الاثنين فأقلع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعك وأصبح مفيقا فعمد الى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل وعلى غلام له يدعى ثوبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقد سهد الناس مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه ركعة من صلاة الصبح وقام ليأتى بالركعة الاخرى فجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينفرجون له حتى قام الى جنب أبى بكر رضى الله تعالى عنه فاستأخر أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فقدمه فى مصلاه وجلس صلى الله عليه وسلم فلما فرغ أبو بكر رضى الله تعالى عنه من صلاته أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة ثم انصرف الى جذع من جذوع المسجد فجلس الى ذلك الجذع واجتمع اليه المسلمون يسلمون عليه ويدعون له بالعافية ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل بيت عائشة ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه على عائشة رضى الله تعالى عنها وقال الحمد لله قد أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم معافى وأرجو أن يكون الله عز وجل قد شفاه ثم ركب رضى الله تعالى عنه فلحق باهله بالسنح وانقلبت كل امرأة من نسائه صلى الله عليه وسلم الى بيتها فلما دخل صلى الله عليه وسلم اشتد عليه الوعك فرجع اليه من كان ذهب من نسائه وأخذ فى الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق ويشخص بصره الى السماء فيقول فى الرفيق الاعلى الاله وكان عنده صلى الله عليه وسلم وقد اشتد به الامر قدح فيه ماء وفى لفظ بدل قدح علباء وفى لفظ ركوة فيها ماء فلما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم الامر صار يدخل يده الشريفة فى القدح ثم يمسح وجهه الشريف بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت أى غمراته وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها لما صار صلى الله عليه وسلم لما يغشاه الكرب وتقول واكرب أبتاه يقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد اليوم ﴿أقول﴾ وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال واكرباه وقال لا اله الا الله ان للموت لسكرات اللهم أعنى على سكرة الموت وفى رواية اللهم أعنى على كرب الموت والحكمة فى ذلك أى فيما شوهد من شدة ما لقى من الكرب عند الموت تسلية أمته صلى الله عليه وسلم اذا وقع لاحد منهم شئ من ذلك عند الموت ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها لا أكره شدة الموت لاحد أبدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لا أزال أغبط المؤمن بشدة الموت بعد شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحصل لمن شاهده من أهله وغيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم من المشقة عليه كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب الشديد ثم رأيت الاستاذ الاعظم الشيخ محمد البكرى رحمه الله ونفعنا به سئل عن ذلك فأجاب بأجوبة منها هذا الذى ذكرته ومنها أن مزاجه الشريف كان أعدل الامزجة فاحساسه صلى الله عليه وسلم بالالم أكثر من غيره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انى لاوعك كما يوعك رجلان منكم ولان تشبث الحياة الانسانية ببدنه الشريف أقوى من تشبثها ببدن غيره لانه أصل الموجودات كلها أى كما تقدم أى وعن

واصبر كما صبر الكرام فانها
نوب تنوب اليوم تكشف فى غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها
فاذكر مصابك بالنبى محمد
﴿وقال آخر﴾
تذكرت لما فرق الدهر بيننا
فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا
فمن لم يمت فى يومه مات فى غد
كادت الجمادات تتصدع من ألم
مفارقته صلى الله عليه وسلم
فكيف بقلوب المؤمنين ولما
فقده الجذع الذى كان يخطب
اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه
وصاح وكان الحسن البصرى
اذا حدث بهذا الحديث يبكى
ويقول هذه خشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانتم أحق أن تشتاقوا اليه
(وروى) أن بلالا رضى الله عنه
كان يؤذن بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال
أشهد أن محمدا رسول الله ارتج
المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن
صلى الله عليه وسلم ترك بلال

عائشة رضى الله عنها انها قالت مارأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم فى مرضه ليس أحد أشد بلاء من الانبياء كان النبى من أنبياء الله يسلط عليه القمل حتى يقتله وكان النبى صلى الله عليه وسلم ليعرى حتى مايجد ثوبا يوارى به عورته الا العباءة يدرعها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وقال صلى الله عليه وسلم مايبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشى على الارض ليس عليه خطيئة وقال ليس من عبد مسلم يصيبه اذى فما سواه الاحط عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وفى لفظ لايصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل يشتكى ويتقلب على فراشه وكان يعوذ بهذه الكلمات اذا اشتكى أحد من الناس أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافى لاشفاء الا شفاؤك شفاء لايغادر سقما فلما ثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه أخذت بيده اليمنى وجعلت أمسحه بها أعوذه بتلك الكلمات فانتزع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من يدى وقال اللهم اغفرلى واجعلنى فى الرفيق الاعلى مرتين وفى رواية لم يشتك صلى الله عليه وسلم شكوى الا سأل الله العافية حتى كان مرضه الذى مات فيه فانه لم يكن يدعو بالشفاء وطفق صلى الله عليه وسلم يقول يانفس مالك تلوذين كل ملاذ أى وعن عائشة رضى الله عنها دخل على عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما ومعه سواك يستن به أى من عسيب النخل وكان أحب السواك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضريع الاراك وهو قضيب يلتوى من الاراكة حتى يبلغ التراب فيبقى فى ظلها فهو ألين من فرعها فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت انه يريده لانه كان يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه ان نعم فتناولته فقضمته ثم مضغته وفى رواية فتناولته وناولته اياه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند الى صدرى وكانت رضى الله عنها تقول ان من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو فى بيتى وبين سحرى ونحرى أى والسحر الرئة وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى وان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته وفى رواية فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وجاء انهم لدوه صلى الله عليه وسلم فى هذا المرض أى سقوه لدودا من أحد جانبى فمه وجعل يشير اليهم وهو صلى الله عليه وسلم مغمى عليه ان لا يفعلوا به وهم يظنون ان الحامل له على ذلك كراهة المريض للدواء فلما أفاق قال ألم أنهكم ان تلدونى لا يبقى أحد فى البيت الالد وانا أنظره الا العباس فانه لم يشهدكم وهذا رد عليهم فانه قد جاء أنهم قالوا عمك العباس أمر بذلك ولم يكن له فى ذلك رأى انما قالوا ذلك تعللا وخوفا منه صلى الله عليه وسلم قالوا وتخوفنا ان يكون ذات الجنب فان الخاصرة أى وهو عرق فى الكلية اذا تحرك وجع صاحبه كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ذلك اليوم فأغمى عليه حتى ظنوا انه قد هلك فلدوه أى لدته أسماء بنت عميس رضى الله عنها فلما أفاق وأراد ان يلدد من فى البيت لدد جميع من فى البيت حتى ميمونة رضى الله عنها وكانت صائمة هذا وفى رواية أنه لما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم المرض دخل عليه عمه العباس رضى الله عنه وقد أغمى عليه فقال لازواج النبى صلى الله عليه وسلم لولددتنه فقلن انا لانجترئ على ذلك فأخذ العباس يلدده فأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من لدنى فقد اقسمت ليلدن الا أن يكون العباس فانكم لددتمونى وأنا صائم قلن فان العباس هو قد لدك وقالت له اسماء بنت عميس رضى الله عنها انما فعلنا ذلك

الاذان ماأمر عيش من فارق
الاحباب خصوصا من كانت
رؤيته حياة الالباب
لوذاق طعم الفراق رضوى
لكان من وجده يميد
قدسامونى عذاب شوق
يعجز عن حمله الحديد
(وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم)
حين زاغت الشمس فى الوقت الذى
دخل فيه المدينة حين هجرته
صلى الله عليه وسلم وكانت يوم
الاثنين بلا خلاف وكان دفنه يوم
الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء وقيل
يوم الاربعاء ورثته عمته صفية
رضى الله عنها بمراثى كثيرة منها قولها
ألا يارسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنابرا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده
ولكننى أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبى لذكر محمد
على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمى وخالتى
وعمى وخالى ثم نفسى وماليا

ظننا أن بك يارسول الله ذات الجنب فقال لها ان ذلك لداء ما كان الله ليعذبنى به وفى رواية أنا أكرم على الله من ان يعذبنى بها وفى أخرى انها من الشيطان وما كان الله ليسلطها على قال بعضهم وهذا يدل على أنها من سيئ الاسقام التى استعاذ صلى الله عليه وسلم منها بقوله اللهم انى أعوذ بك من الجنون والجذام وسيئ الاسقام وفى السيرة الهشامية لما أغمى عليه صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه نساء من نسائه منهم أم سلمة وميمونة ومن نساء المؤمنين منهم اسماء بنت عميس وعنده صلى الله عليه وسلم العباس عمه واجتمعوا على ان يلدوه فلدوه فلما أفاق صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بى قالوا يارسول الله عمك فقال عمه العباس رضى الله عنه حسبنا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال ان ذلك داء ما كان الله ليعذبنى به لا يبقى فى البيت أحد الالد الا عمى فلدوا حتى ميمونة وكانت رضى الله تعالى عنها صائمة عقوبة لهم بما صنعوا واعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه هذا أربعين نفسا وكانت عنده صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير أو ستة فأمر عائشة رضى الله عنها ان تتصدق بها بعد ان وضعها صلى الله عليه وسلم فى كفه وقال ماظن محمد بربه ان لولقى الله وهذه عنده فتصدقت بها وفى رواية أمرها بارسالها الى على كرم الله وجهه ليتصدق بها فبعثتها اليه فتصدق بها بعد ان وضعها فى كفه وقد كان العباس رضى الله عنه قبل ذلك بيسير رأى ان القمر قد رفع من الارض الى السماء فقصها على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هو ابن أخيك وجاء صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام صحبة ملك الموت وقال له يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك قال فاقبض ياملك الموت كما أمرت فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ان الله ارسلنى اليك تكريما لك وتشريفا يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى ياجبريل مكروبا ثم جاءه اليوم الثانى والثالث فقال له ذلك فرد عليه صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وجاء معه فى اليوم الثالث ملك الموت فقال له جبريل عليه السلام هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك أتأذن له فأذن له فدخل فسلم عليه ثم قال يامحمد ان الله ارسلنى اليك فان أمرتنى ان أقبض روحك قبضت وان أمرتنى ان أتركك تركت قال أوتفعل قال نعم وبذلك أمرت فنظر النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال له يامحمد ان الله قد اشتاق الى لقائك أى وفى رواية أتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ورحمة الله ويقول لك ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربى يصنع بى مايشاء وفى رواية الخلد فى الدنيا ثم فى الجنة أحب اليك أم لقاء ربك ثم الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاء ربى ثم الجنة أى وجاء ان جبريل عليه السلام قال هذا آخر وطئى بالارض وفى لفظ آخر عهدى بالارض بعدك ولن أهبط الى الارض لاحد بعدك قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث ضعيف جدا ولو صح لم يكن فيه معارضة أى لما ورد أنه ينزل ليلة القدر مع الملائكة يصلون على كل قائم وقاعد يذكر الله لانه يحمل على انه آخر نزوله بالوحى وفيه انه ذكر أن حديث يوحى الله الى عيسى عليه السلام أى بعد قتله الدجال صريح فى انه يوحى اليه بعد النزول والظاهر أن الجائى اليه عليه السلام بالوحى جبريل عليه السلام بل هو الذى يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته لانه السفير بين الله ورسله عليهم الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض لما أمرت به فقبض روحه الشريفة وعند اشتداد الامر به صلى الله عليه وسلم ارسلت عائشة رضى الله عنها خلف أبى

فلوان رب الناس أبقى نبينا
سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته
يبكى ويدعو جده اليوم نائيا
ورثاه أبو سفيان بن الحرث بن عبد
المطلب رضى الله عنه فقال
أرقت فبت ليلى لا يزول
وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما
أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه
نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا
بما يوحى اليه ومايقول
ويهدينا فلانخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل

بكر رضى الله تعالى عنه أى لانه كما تقدم لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا وقال له قد رد الله بك علينا عقولنا وقد أصبحت بنعمة من الله وفضل فقال له أبو بكر يا رسول الله اليوم يوم بنت خارجة يعنى زوجته وكانت بالسنح قال له ائت أهلك فقام أبو بكر وذهب وارسلت حفصة خلف عمر وارسلت فاطمة خلف على كرم الله وجهه فلم يجئ أحد منهم حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صدر عائشة وذلك يوم الاثنين حين زاغت الشمس لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول هكذا ذكر بعضهم وقال السهيلى لا يصح أن يكون وفاته يوم الاثنين الا فى ثالث عشرة أو رابع عشرة لاجماع المسلمين على ان وقفة عرفة كانت يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة وكان المحرم اما بالجمعة واما بالسبت فان كان السبت فيكون أول صفر اما الاحد أو الاثنين فعلى هذا لا يكون الثانى عشر من شهر ربيع الاول بوجه وقال الكلبى انه توفى فى الثانى من شهر ربيع الاول قال الطبرى وهذا القول وان كان خلاف الجمهور فلا يبعد ان كانت الثلاثة أشهر التى قبلها كلها تسعة وعشرين يوما وفيما قاله نظر لمتابعة أنس بن مالك فيما حكاه البيهقى والواقدى وقال الخوارزمى توفى أول شهر ربيع الاول وفى رواية ان سالم بن عبيد ذهب وراء الصديق الى السنح فأعلمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك ذهب الى الصديق بعد الرسول الذى أرسلته له عائشة رضى الله عنها قبل موته صلى الله عليه وسلم وآخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يترغرغ بها فى صدره ولا يفيض بها لسانه وآخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك بجزيرة العرب دينان وكانت مدة شكواه صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ليلة وقيل أربع عشرة ليلة وقيل اثنتى عشرة ليلة وقيل عشرا وقيل ثمانية وقالت فاطمة رضى الله عنها لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وا أبتاه أجاب داعى دعاه يا أبتاه الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه قال ابن كثير رحمه الله وهذا لا يعد نياحة بل هو من ذكر فضائل الحق عليه عليه أفضل الصلاة والسلام قال وانما قلنا ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت من سفاهة رأيى وحداثة سنى انى أخذت وسادة فوسدت بها رأسه الشريف من حجرى ثم قمت مع النساء أبكى وألتدم والالتدام ضرب الخد باليد عند المصيبة وسمعوا قائلا ولا يرون شخصه يقال انه الخضر عليه السلام أى قال على كرم الله وجهه أتدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام وفى اسناده متروك يقول السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا عن كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال ابن كثير رحمه الله هذا الحديث مرسل وفى اسناده ضعف وسجى صلى الله عليه وسلم بثوب حبرة أى بالاضافة برد من برود اليمن ولم أقف على ان ثيابه صلى الله عليه وسلم التى كانت عليه قبل الموت نزعت عنه ثم سجى الآن كلام فقهائنا يشعر بذلك حيث جعلوا ذلك دليلا لنزع ثياب الميت وستره بثوب وعند ذلك دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فأما عمر رضى الله تعالى عنه فخبل وأما عثمان رضى الله تعالى عنه فأخرس وأما على كرم الله وجهه فأقعد وجاء أبو بكر وعيناه تهملان فقبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت جأشهم أى فان عمر رضى الله تعالى عنه صار فى ناحية المسجد يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

أفاطم ان جزعت فذاك عذر
وان لم تجزعى ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر
وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضى الله عنه بقوله

ودعنا الوحى اذ وليت عنا
فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا
تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضى الله عنه أيضا بقوله

لما رأيت نبينا متجدلا
ضاقت على بعرضهن الدور
فارتاع قلبى عند ذاك لهلكه
والعظم منى ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى
فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتنى من قبل مهلك صاحبى
غيبت فى جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده
يعنى بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضى الله عنه بمراثى كثيرة منها قوله

كنت السواد لناظرى
فعمى عليك الناظر

وسلم حتى يقطع أيدى ناس من المنافقين كثير وأرجلهم وصار رضى الله عنه يتوعد من قال انه مات بالقتل أو القطع ونقل عنه رضى الله عنه انه قال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وانه ما مات ولكن ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام ثم رجع الى قومه بعد أربعين ليلة بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى بن عمران عليه السلام فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم ولازال رضى الله عنه يتوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه فقام أبو بكر رضى الله عنه وصعد المنبر وقال كلاما بليغا ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فقال عمر رضى الله عنه هذه الآية فى القرآن وفى لفظ فكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا ثم قال انا لله وانا اليه راجعون صلوات الله وسلامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وعند الله نحتسب رسوله قال يعنى أبا بكر رضى الله تعالى عنه وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون وقال تعالى كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه بالخلافة كما سيأتى أقبلوا على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل يغسل فى ثيابه أو يجرد منها كما تجرد الموتى فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من ناحية البيت قائلا يقول لا تغسلوه فانه كان طاهرا فقال أهل البيت صدق فلا تغسلوه فقال العباس رضى الله عنه لا ندع سنة لصوت لا ندرى ما هو وغشيهم النعاس ثانية فناداهم ان غسلوه وعليه ثيابه أى وزاد فى رواية فان ذلك ابليس وأنا الخضر وفى رواية لا تنزعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه قال الذهبى حديث منكر فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه وفى لفظ وعليه قميص ومحول مفتوح يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون أيديهم على والعباس وكذا ولدا العباس الفضل وقثم فكان العباس وابناه الفضل وقثم يقلبونه مع على وفى لفظ غسله على والفضل محتضنه والعباس يصب الماء وجعل الفضل رضى الله عنه يقول ارحنى قطعت وتينى واسامة وشقران مولاه وفى لفظ وصالح مولاه صلى الله عليه وسلم يصبان الماء ولف على كرم الله وجهه على يده خرقة وأدخلها تحت القميص يغسل بها جسده الشريف وعن على كرم الله وجهه ذهبت ألتمس منه ما يلتمس من الميت أى ما يخرج من بطن الميت فلم أر شيأ فكان صلى الله عليه وسلم طيبا حيا وميتا وما تناولت منه صلى الله عليه وسلم عضوا الا كأنما يقلبه معى ثلاثون رجلا أى ويحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم عن الفضل رضى الله عنه قيل وتغسيل على كرم الله وجهه له صلى الله عليه وسلم كان بوصية منه صلى الله عليه وسلم له فعن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى ان لا يغسله أحد غيرى وقال لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه غيرك أى على فرض وقوع ذلك فلا ينافى ما تقدم وادعى الذهبى ان هذا الحديث منكر وفى رواية فكان الفضل واسامة رضى الله عنهما يناولان الماء من وراء الستر وأعينهما معصوبة وفى لفظ كان العباس واسامة يناولان الماء من وراء الستر أى لان العباس رضى الله عنه نصب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلة أى خيمة رفيعة من ثياب يمانية فى جوف البيت وادخل عليا فيها زاد بعضهم والفضل وأبا سفيان بن الحرث ابن عمه صلى الله عليه وسلم ونصب الكلة دليل أقول فقهاؤنا رحمهم الله والأكمل وضع الميت عند

من شاء بعدك فليمت
فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ورجع الى قومه قال وهو يبكى بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون

الغسل بموضع خال من الناس مستور عنهم لا يدخله الا الغاسل ومن يعينه والذى رواه ابن ماجه رحمه الله انه تولى غسله صلى الله عليه وسلم على والفضل وأسامة بن زيد يناول الماء والعباس واقف أى لا يغسل ولا يناول الماء أى ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وقيل ان العباس لم يشاهد غسله صلى الله عليه وسلم وعن على رضى الله عنه لما غسلت النبى صلى الله عليه وسلم اجتمع ماء فى حقويه فرفعته بلسانى وازدردته فأورثنى ذلك قوة حفظى ويروى انه كرم الله وجهه رأى فى عينه صلى الله عليه وسلم قذاة فأدخل لسانه فأخرجها منها وعن عائشة رضى الله عنها لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نساؤه أى لو ظهر لها قولها المذكور وقت غسله صلى الله عليه وسلم ما غسله صلى الله عليه وسلم الا نساؤه وغسل ثلاث غسلات واحدة بالماء القراح وواحدة بالماء والسدر أى والغسلة التى كانت بالماء القراح كانت قبل الغسلة التى بالسدر فهى المزيلة وواحدة بالماء مع الكافور أى وهذه هى المجزئة فى الغسل هذا (وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله) وغسل صلى الله عليه وسلم فى المرة الاولى بالماء القراح وفى الثانية بالماء والسدر وفى الثالثة بالماء والكافور وفى لفظ فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور فى مواضع سجوده ومفاصله وغسل من ماء بئر غرس وهى بئر بقباء قال صلى الله عليه وسلم نعم البئر بئر غرس هى من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه وكان صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويؤتى له بالماء منها وعند ابن ماجه رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه اذا أنا مت فاغسلنى بسبع قرب من بئرى بئر غرس (وكفن صلى الله عليه وسلم) بثلاثة أثواب سحولية أى بيض من القطن من عمل سحولة قرية من قرى اليمن وفى رواية الشيخين عنها كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة قيل ازار ورداء ولفافة وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أى لم يكن فى كفنه صلى الله عليه وسلم ذلك كما فسر بذلك امامنا الشافعى رحمه الله وجمهور العلماء قال بعضهم وهو الصواب الذى يقتضيه ظاهر الحديث وما قيل ان معناه ان القميص والعمامة زائدان على الاثواب الثلاثة ليس فى محله لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم كفن فى قميص وعمامة وهذا يدل على أنه نزع عنه صلى الله عليه وسلم القميص الذى غسل فيه قبل تكفينه فى الاثواب الثلاثة وقيل كفن فى ذلك الثوب بعد عصره وفيه أنه لا يخلو عن الرطوبة وهى تفسد الاكفان ويؤيد كونه صلى الله عليه وسلم كفن فى ذلك الثوب ما جاء فى رواية كفن صلى الله عليه وسلم فى ثوبه الذى مات فيه وحلة نجرانية والحلة ثوب فوق ثوب قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفى كلام بعضهم أنه حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كفن فى الاثواب الثلاثة المتقدمة وزيادة بردحبرة أحمر وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أتى بالبرد ولفوه فيه ولكنهم ردوه أى ثم نزع عنه صلى الله عليه وسلم ولم يكفنوه فيه وفى رواية ثوبين وبرد أحمر وهذا يخالف ما عليه أئمتنا أن من كفن فى ثلاثة أثواب يجب أن تكون لفائف يستر كل منها جميع البدن وفى رواية كفن فى سبعة أثواب وبعد تكفينه صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الثلاثاء وضع على سرير وفى لفظ ثم أدرج صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وجمروه عودا وندا ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسجوه وذكر انه كان عند على كرم الله وجهه مسك وقال انه من فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم الناس أفذاذا لم يؤمهم أحد وفى لفظ لما أدرج صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وضع على سريره ثم وضع على شفير حفرته ثم صار الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمهم أحد (وذكر) انه دخل عليه

يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد اتبعك فى قصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره فقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل واخرج ابن عساكر عن أبى ذؤيب الهذلى رضى الله عنه قال بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس أهل الحى خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر غفوت فهتف بى هاتف يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام
بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النبى محمد فعيوننا
تذرى الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومى فزعا فنظرت الى السماء فلم ار الا سعد الذابح فعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قبض أو هو ميت أى قريب الموت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق لهم حين أرادوا

صلى

صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والانصار بقدر ما يسع البيت فقالا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وسلم المهاجرون والانصار كما سلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهم ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحد وكان أبو بكر وعمر فى الصف الاول الذى حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا اللهم انا نشهد انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل اليه ونصح لامته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا الهنا ممن تبع القول الذى أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه كان بالمؤمنين رؤفا رحيما لا نبتغى بالايمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا أبدا فيقول الناس آمين آمين وهذا يدل على ان المراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء لا الصلاة على الجنازة المعروفة عندهم والصحيح ان هذا الدعاء كان ضمن الصلاة المعروفة التى بأربع تكبيرات فقد جاء ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فكبر أربع تكبيرات ثم دخل عمر رضى الله عنه فكبر أربعا ثم دخل عثمان رضى الله عنه فكبر أربعا ثم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهما ثم تتابع الناس أرسالا يكبرون عليه أى وعلى هذا انما خصوا الدعاء بالذكر لانه الذى يليق به صلى الله عليه وسلم ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك قال وقال ابن كثير رحمه الله وهذا الامر أى صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم فرادى من غير امام يؤمهم مجمع عليه ولا يقال لان المسلمين لم يكن لهم حينئذ امام لانهم لم يشرعوا فى تجهيزه عليه الصلاة والسلام الا بعد تمام البيعة لابى بكر رضى الله عنه لانه لما تحقق موته صلى الله عليه وسلم واجتمع غالب المهاجرين على أبى بكر وعمر وانضم اليهم من الانصار أسيد بن حضير فى بنى عبد الاشهل ومن معه من الاوس وتخلف على والزبير أى ومن كان معهما من المهاجرين كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بنى هاشم فى بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها وتخلف الانصار بأجمعهم واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة أى وفى دار سعد ابن عبادة وكان سعد مريضا مزملا بثيابه بينهم أى اجتمعوا أولا ثم تفرق عنهم أسيد بن حضير رضى الله عنه ومن معه من الاوس فلا يخالف ذلك ما تقدم من انضمام أسيد بن حضير رضى الله عنه ومن معه من المهاجرين رضى الله عنهم مع أبى بكر رضى الله عنه ولا يخالف ذلك ما فى بعض الروايات عن عمر رضى الله عنه وتخلف الانصار عنا بأجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابى بكر رضى الله عنه الا عليا والزبير ومن معهما تخلفوا فى بيت فاطمة رضى الله عنها فقال عمر رضى الله عنه لابى بكر رضى الله عنه انطلق بنا الى اخواننا من الانصار أى فانه أتاهم آت فقال ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة رضى الله عنه فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل ان يتفاقم أمرهم أى فعن عمر رضى الله عنه بينا نحن فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجل ينادى من وراء الجدار ان اخرج الى يا ابن الخطاب فقلت اليك عنى فانا عنك متشاغل يعنى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد حدث أمر ان الانصار قد اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة فأدركهم قبل أن يحدثوا أمرا يكون فيه حرب قال فانطلقنا نؤمهم أى نقصدهم حتى رأينا رجلين صالحين أى وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى وهما من الاوس قالا أين تريدون فقلت نريد اخواننا من الانصار فقالا لا عليكم ان تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين بينكم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة فاذا هم مجتمعون واذا بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا انه وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر المهاجرين

غسل النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا أى انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقى فى دلائل النبوة بسند جيد وغسله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب

رهط منا وقد ذفت ذافة منكم أى دب قوم بالاستعلاء والترفع علينا تريدون ان تختزلونا من
أهلنا أى تنحوناعنه تستبدون به دوننا فلما سكت أردت ان اتكلم وقد كنت زورت مقالة
أعجبتنى أردت ان أقولها بين يدى أبى بكر فقال أبو بكر رضى الله عنه على رسلك يا عمر فكرهت
ان أغضبه وكنت أرى منه بعض الحدة فسكت وكان أعلم منى والله ماترك من كلمة أعجبتنى فى
تزويرى الا قالها فى بديهته وأفضل فقال أما بعد فـاذكرتم من خير فأنتم له أهل ولم تعرف العرب
هذا الامر الالهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا يعنى مكة ولدتنا العرب كلها
فليست منها قبيلة الا لقريش منها ولادة ودار وكنا معاشر المهاجرين أول الناس اسلاما ونحن
عشيرته صلى الله عليه وسلم وأقاربه وذو رحمه فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة ولم يترك شيأ
أنزل فى الكتاب بايديهم الا قاله ولاشيأ قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الانصار الا
ذكره ومنه لو سلكت الناس واديا وسلكت الانصار واديا لسلكت وادى الانصار وقال لقد
علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر فقال سعد له
رضى الله عنه صدقت فقال أى الصديق رضى الله عنه نحن الامراء وأنتم الوزراء اى وفى رواية
انه أى الصديق رضى الله عنه قال لهم انتم الذين آمنوا ونحن الصادقون انما أمركم الله ان
تكونوا معنا فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والصادقون هم
المهاجرون قال الله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون وفى رواية ان ابابكر
رضى الله عنه احتج على الانصار بخبر الائمة من قريش وهو حديث صحيح ورد عن نحو أربعين
صحابيا وأنتم يامعشر الانصار اخواننا فى كتاب الله وشركاؤنا فى الدين وانتم احق بالرضا بقضاء
الله وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم واخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح فلم
أكره ما قال غيرها وكان والله ان اقدم فتضرب عنقى ولا يقربنى ذلك من اثم أحب الى من ان
أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال كل من عمرو أبى عبيدة لا ينبغى لاحد ان يكون فوقك يا أبابكر
أى وفى لفظ بل نبايعك وأنت سيدنا وخيرنا واحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من
عمر رضى الله عنه كان بعد ان أتى أباعبيدة وقال انك أمين هذه الامة على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما رأيت بك ضعف رأى قبلها منذ أسلمت أما بقى فيكم الصديق وثانى اثنين وفى
رواية ان ابابكر رضى الله عنه قال لعمر ابسط يدك لابايعك فقال له أنت أفضل منى فاجابه بانت
اقوى منى ثم كرر ذلك فقال له فأين قوتى مع فضلك واعترض قول أبى بكر المذكور بانه كيف
يقول ذلك مع علمه بانه أحق بالخلافة وكيف يقدم أباعبيدة على عمر مع انه أفضل منه وأجيب
بأنه رضى الله عنه قال ذلك لانه استحى ان يقول رضيت لكم نفسى مع علمه بأن كلا من عمر وأبى
عبيدة لا يقبل وان أبابكر رضى الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه
وهو الحق عند أهل السنة لانه قد يكون أقدر من الافضل على القيام بمصالح الدين وأعرف
بتدبير الامر وما فيه انتظام حال الرعية وعند قول أبى بكر رضى الله عنه ماذكر قال قائل من
الانصار أى وهو الحباب بحاء مهملة مضمومة فموحدة رضى الله عنه ابن المنذر انا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب بالجيم والجذيل تصغير الجذل وهو عود ينصب للابل الجرباء فتحتك
به ليزول جربها والمحكك الذى كثر به الاحتكاك حتى صار أملس والعذيق تصغير العذق بفتح
العين وهو النخلة والمرجب المسند بالرجبة وهى خشبة ذات شعبتين يسند بها النخلة اذا كثر
حملها أى انا ذو الرأى والتدبير الذى يستشفى به فى الحوادث لاسيما هذه الحادثة منا أمير ومنكم
أمير يامعشر قريش وتتابعت خطباؤهم على ذلك وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

رضى الله عنه وكان العباس وابنه
الفضل رضى الله عنهما يعينانه
فى تقليب جسمه الشريف وقثم
ابن العباس واسامة بن زيد وشقران
مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصبون الماء وأعينهم كلهم
معصوبة حتى لا ينظروا جسده
الشريف وهو يغسل خيفة ان
يبدو ما لم يؤذن فى النظر اليه وقوله
وأعينهم كلهم معصوبة أى الا
عليا رضى الله عنه فكان يقول
وهو يغسله بابى أنت وأمى طبت
حيا وميتا وروى ان عليا رضى
الله عنه نودى وهو يغسله ان
ارفع طرفك نحو السماء خوفا ان

اذا

اذا استعمل الرجل منكم قرن معه رجلا منا فنرى ان يلى هذا الامر رجلان منا ومنكم فقام
زيد بن ثابت رضى الله عنه وقال للانصار أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من
المهاجرين وكنا نحن أنصاره فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبى بكر رضى الله
عنه وقال هذا صاحبكم فقال الحباب بن المنذر رضى الله عنه يامعشر الانصار لا تسمعوا مقالة
هذا فتذهب قريش بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم فاجلوهم من بلادكم فانتم أحق به
منهم أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة فقال له عمر رضى الله عنه اذا يقتلك الله فقال بل أراك تقتل
فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير رضى الله عنهما فقال يامعشر الانصار انا كنا أول من
سبق الى هذا الدين وجهاد المشركين ما قصدنا الا رضا الله ورسوله فلا ينبغى لنا ان نستطيل
على الناس ولا نطلب عرض الدنيا وان قريشا أولى بهذا الامر فلا تنازعهم فقال له الحباب
ألقيت على ابن عمك يعنى سعد بن عبادة فقال لا والله ولكنى كرهت ان أنازع قوما حقا جعله
الله لهم وفى رواية قال عمر رضى الله عنه يامعشر الانصار ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد أمر أبابكر يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه ان يتقدم أبابكر وفى لفظ ان يقيمه
عن مقامه الذى أقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار نعوذ بالله ان نتقدم
أبابكر رضى الله عنه وفى لفظ قالوا نستغفر الله لا تطيب أنفسنا ولعل المراد قال معظمهم فلا
يخالف ذلك ما جاء عن عمر رضى الله عنه ولما كثر اللغط وعلت الاصوات حتى خشيت
الاختلاف وقلت سيفان فى غمد واحد لا يكونان وفى رواية هيهات لا يجتمع فحلان فى مغرس
فقلت ابسط يدك يا أبابكر وكذا قال له من الانصار زيد بن ثابت واسيد بن حضير وبشير بن
سعد رضى الله عنهم فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار أى حتى سعد بن عبادة
رضى الله عنه خلافا لمن قال ان سعد بن عبادة أبى ان يبايع أبابكر حتى لقى الله أى فانه رضى الله
تعالى عنه توجه الى الشام ومات بها قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والعذر له فى ذلك أنه رضى الله
عنه تأول ان للانصار فى الخلافة استحقاقا فبنى على ذلك وهو معذور وان لم يكن ما اعتقده من
ذلك حقا هذا كلامه ولا ينافيه ما جاء عن عمر رضى الله عنه وثبنا على سعد بن عبادة فقال قائل
منهم قتلتم سعد بن عبادة أى فعلتم معه من الاعراض والاذلال ما يقتله فقلت قتل الله سعد بن
عبادة فانه صاحب فتنة نعم ينافيه ما حكاه ابن عبد البران سعد بن عبادة رضى الله عنه أبى أن
يبايع أبابكر حتى لقى الله قال بعضهم ويضعفه ما جاء فى بعض الروايات ان أبابكر رضى الله عنه
لما قال لسعد لقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا
الامر قال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الامراء وبه يظهر التوقف فيما تقدم عن ابن حجر
رحمه الله هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله فأنكروا على سعد أمره وكادوا يطؤن سعدا
فقال ناس من أصحابه اتقوا سعدا لا تطؤه فقال عمر رضى الله عنه اقتلوا سعدا قتله الله ثم قام عمر
رضى الله عنه على رأس سعد وقال قد هممت ان أطأك حتى تندر عيونك فأخذ قيس بن سعد
رضى الله عنهما بلحية عمر رضى الله عنه وقال والله لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة
فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق الرفق ما هنا أبلغ فقال سعد أما والله لو كان لى قوة على النهوض
لالحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع فلما عاد أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى محلهما
أرسلا له بايع فقد بايع الناس فقال لا والله حتى أرميكم بما فى كنانتى من نبل وأخضب من
دمائكم سنان رمحى وأضربكم بسيفى ما ملكته يداى والله لو اجتمع لكم الجن والانس لما
بايعتكم فلما عاد الرسول وأخبرهم بما قال قال له عمر لا ندعه حتى يبايع فقال له قيس بن سعد

يديم النظر اليه وروى البيهقى
عن على رضى الله عنه قال غسلته
صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر
ما يكون من الميت أى من
الفضلات الخارجة فلم ار شيأ كان
طيبا حيا وميتا وسطعت ريح طيبة
لم يجدوا مثلها قط وعن جعفر
الصادق رضى الله عنه قال كان
الماء يستنقع أى يجتمع فى جفون
النبى صلى الله عليه وسلم فكان
على رضى الله عنه يحسوه أى
يشربه وكفنوه صلى الله عليه
وسلم فى ثلاثة أثواب بيض ليس
فيها قميص ولا عمامة واختلف فى
معنى هذا الحديث فقال الجمهور

دعه فقد لح فاتركوه فتركوه وكان سعد رضى الله عنه لا يحضر معهم ولا يصلى فى المسجد ولا يسلم على من لقى منهم فلم يزل مجانبا لهم حتى اذا كان بعرفة يقف ناحية عنهم فلما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة لقيه فى بعض طرق المدينة فقال له ايه يا سعد فقال له ايه يا عمر فقال له عمر أنت صاحب المقالة قال نعم أنا ذاك وقد أفضى الله اليك هذا الامر كان والله صاحبك خيرا لنا وأحب الينا من جوارك وقد أصبحت كارها لجوارك فقال له عمر رضى الله عنه انه من كره جوار جاره تحول عنه فقال له سعد انى متحول الى جوار من هو خير من جوارك فخرج رضى الله عنه الى الشام واستمر بها الى أن مات فى السنة الخامسة عشر من الهجرة وذكر الطبرى رحمه الله أن سعدا رضى الله عنه بايع مكرها وهو وهم هذا كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله قال عمر رضى الله عنه وانما بايعت أبا بكر خشية ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فاما أن نبايعهم على ما لا نرضى واما ان نخالفهم فيكون فيه فساد وذلك كان فى يوم موته صلى الله عليه وسلم الذى هو يوم الاثنين فلما كان الغد كانت البيعة العامة صعد أبو بكر رضى الله عنه المنبر وقام عمر رضى الله عنه بين يدى أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بيعة عامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فى خطبته بعد ان حمد الله واثنى عليه أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى حتى ارتج عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا أشيعت الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم فقوموا الى صلاتكم رحمكم الله وشن الغارة بعض الرافضة على قول الصديق رضى الله عنه فقومونى بأنه كيف تجوز امامة من يستعين بالرعية على تقويمه من ان الرعية تحتاج اليه ورد بأن هذا من أكبر الدلائل على فضله لقوله الآخر أطيعونى ما أطعت الله فان عصيته فلا طاعة لى عليكم لان كل أحد ما عدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام تجوز عليه المعصية ولما بويع بالخلافة أصبح رضى الله تعالى عنه على ساعده قماش وهو ذاهب به الى السوق فقال له عمر أين تريد قال السوق قال تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالى فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا اليه فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بافضلهم أى فى سعة النفقة ولا باوكسهم وكسوة الشتاء والصيف واذا أبليت شيا رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة وفى رواية جعل له ألفين فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلت عن السفارة فزادوه خمسمائة وهو رضى الله تعالى عنه أول من جمع القرآن وسماه مصحفا واتخذ بيت المال وسهامن جعل ذلك من أوليات عمر رضى الله تعالى عنه ولما تخلف على والزبير ومن معهما كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بنى هاشم فى بيت فاطمة كما تقدم عن المبايعة استمروا على ذلك مدة لانهم رضى الله عنهم وجدوا فى أنفسهم حيث لم يكونوا فى المشورة أى فى سقيفة بنى ساعدة مع أن لهم فيها حقا وقد أشار سيدنا عمر رضى الله عنه الى أن بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه كانت فلتة أى بغتة لا عن استعداد لها ولكن وقى الله شرها أى لم يقع فيها مخالفة ولا منازعة ولذلك لما اجتمعوا أى على والزبير والعباس وطلحة بن عبيد الله ومن تخلف عن المبايعة منهم بابى بكر رضى الله عنه قام خطيبا وقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها

ولا

ليس فى الكفن قميص ولا عمامة أصلا وقال آخرون منهم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه معناه كفن فى ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة ثم لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا أى جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفى رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم النساء واختلفوا فى موضع دفنه فقال أناس عند المنبر وقال أناس بالبقيع فقال أبو

ولا سألتها الله فى سر ولا علانية ولكن أشفقت من الفتنة أى لو أخرت الى اجتماعكم وقد روى ان شخصا قال لابى بكر رضى الله عنه ما حملك على ان تلى أمر الناس وقد نهيتنى ان أتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وقال ما فى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما ما لى به من طاقة فقال على والزبير رضى الله عنهما ما غضبنا الا لانا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولذا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة من بين الناس وهو حى فلم يكن تأخرهم رضى الله عنهم للقدح فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن ثم قال امامنا الشافعى رضى الله عنه أجمع الناس على خلافة أبى بكر رضى الله عنه لانهم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فولوه رقابهم أى فالامة أجمعت على حقية امامة أبى بكر رضى الله عنه وهذا أى اجتماع على كرم الله وجهه بأبى بكر رضى الله عنهما كان بعد ما أرسل اليه على كرم الله وجهه فى الاجتماع به واجتمع به كما سيأتى لكن سيأتى ان ذلك كان بعد موت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وسياق غير واحد يدل على أن اجتماع على والزبير ومبايعتهما أبا بكر رضى الله عنه كان قبل موت فاطمة رضى الله عنها وهو ما صححه ابن حبان وغيره ويؤيده ما حكاه بعضهم أن الصديق رضى الله عنه خرج يوم الجمعة فقال اجمعوا الى المهاجرين والانصار فاجتمعوا ثم أرسل الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والنفر الذين كانوا تخلفوا معه فقال له ما خلفك يا على عن أمر الناس فقال خلفنى عظيم المعتبة ورأيتكم استقليتم برأيكم فاعتذر اليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بخوف الفتنة لو أخرتم أشرف على الناس وقال أيها الناس هذا على بن أبى طالب لا بيعة لى فى عنقه وهو بالخيار من أمره الا وأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم فان رأيتم لها غيرى فأنا أول من يبايعه فلما سمع ذلك على كرم الله وجهه زال ما كان قد داخله فقال أجل لا نرى لها غيرك امدد يدك فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه فان هذا دليل على ان عليا كرم الله وجهه بايع أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام وفى كلام المسعودى لم يبايع أبا بكر احد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها وقال رجل للزهرى لم يبايع على كرم الله وجهه أبا بكر ستة أشهر فقال لا والله ولا أحد من بنى هاشم حتى بايعه على كرم الله وجهه فليتأمل الجمع على تقدير الصحة وقد جمع بعضهم بأن عليا كرم الله وجهه بايع أولا ثم انقطع عن أبى بكر لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع أى ويدل لهذا الجمع ان فى رواية ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما صعد المنبر ونظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير رضى الله عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله وحواريه اردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا كرم الله وجهه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته اردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه ويبعد هذا الجمع ما فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها فلما توفيت فاطمة رضى الله عنها التمس أى على كرم الله وجهه مصالحة أبى بكر رضى الله عنه ولم يكن بايع تلك الاشهر فأرسل الى أبى بكر الحديث والسبب الذى اقتضى الوقوع بين فاطمة وأبى بكر رضى الله عنهما أن فاطمة رضى الله عنها جاءت الى أبى بكر تطلب ارثها مما أعطاه الانصار له صلى الله عليه وسلم من أرضهم وما أوصى به اليه صلى الله عليه وسلم وهو وصية مخيريق عند اسلامه وهى سبعة حوائط فى بنى النضير قال سبط ابن الجوزى وهو أول وقف كان فى الاسلام ومما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أرض بنى النضير وفدك

بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما مات نبى قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال على وأنا أيضا سمعته رواه الترمذى وابن ماجه وفى رواية الموطا ما دفن نبى قط الا فى مكانه الذى توفى فيه فحفر له صلى الله عليه وسلم فى المكان الذى توفى فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه حفر لحدا فى موضع فراشه حيث قبض صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فيمن أدخله قبره وأصح ما روى انه نزل فى قبره عمه العباس وعلى والفضل وقثم ابنا العباس رضى الله عنهم

ونصيبه صلى الله عليه وسلم من خيبر وهما حصنان من حصونها الوطيح وسلالم فانه صلى الله عليه وسلم أخذهما صلحا كما تقدم وحصته صلى الله عليه وسلم مما افتتح منها عنوة وهو الخمس فان ذلك كله كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق من ذلك على أهل بيته سنة ومابقى جعله فى الكراع أى الخيل والسلاح فى سبيل الله فربما احتاج صلى الله عليه وسلم الى شئ ينفقه قبل فراغ السنة فيقترض ولهذا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند اليهودى على آصع من شعير وافتكها أبو بكر وتلك الدرع كانت ذات الفضول التى اهداها له صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة لما توجه الى بدر كما تقدم ولم يشبع هو ولا أهل بيته ثلاثة أيام تباعا أى متتابعة كما تقدم فقال لها أبو بكر رضى الله عنه لست بالذى أقسم من ذلك شيأ ولست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها الا عملته وانى أخشى ان تركت أمره أو شيأ من أمره ان أزيغ وفى رواية قال لها قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هى طعمة أطعمنيها الله فاذا مت عادت على المسلمين فان أتهمتينى فسلى المسلمين يخبرونك بذلك وقال لها قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ولكن أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه وقوله صدقة هو بالرفع كما هو الرواية أى الذى تركناه فهو صدقة وقد منع بذلك عائشة وبقية أزواجه صلى الله عليه وسلم لما جئن اليه يطلبن ثمنهن وزعمت الرافضة أن الصديق رضى الله تعالى عنه كان ظالما لفاطمة رضى الله عنها بمنعه اياها من مخلفه والدها وانه لا دليل له فى هذا الخبر الذى رواه لان فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث ورد بانه انما حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعى فساوى آية المواريث من قطعية المتن وكان مخصصا لآية المواريث وذكر عن الرافضة انهم زعموا ان صدقة بالنصب وان ما نافية ويرده صدر الحديث انا معاشر الانبياء لا نورث واما رواية نحن معاشر الانبياء فلم تجئ فى كتاب من كتب الحديث كما قاله غير واحد ومن رواه بذلك رواه بالمعنى لان نحن وانا مفادهما واحد ولا يعارض ذلك قوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى حكاية عن زكريا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث اذ المراد وراثة العلم والحكمة وفى لفظ انها رضى الله عنها قالت له من يرثك قال أهلى وولدى فقالت فمالى لا أرث أبى فقال لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث فغضبت رضى الله عنها من أبى بكر رضى الله عنه وهجرته الى أن ماتت أى فانها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر على ما تقدم ومعنى هجرانها لابى بكر رضى الله تعالى عنه انها لم تطلب منه حاجة ولم تضطر الى لقائه اذ لم ينقل انها رضى الله عنها لقيته ولم تسلم عليه ولا كلمته وروى ابن سعد ان أبا بكر رضى الله عنه جاء الى بيت على لما مرضت فاطمة فاستأذن عليها فقال على كرم الله وجهه هذا أبو بكر على الباب يستأذن فان شئت أن تأذنى له فأذنى قالت وذاك أحب اليك قال نعم فأذنت له رضى الله عنه فدخل واعتذر اليها فرضيت عنه وان أبا بكر رضى الله عنه صلى عليها وقال الواقدى وثبت عندنا ان عليا كرم الله وجهه دفنها رضى الله عنها ليلا وصلى عليها ومعه العباس والفضل رضى الله عنهم ولم يعلموا بها أحدا قال بعضهم وكأنها تأولت قوله صلى الله عليه وسلم لا نورث وحملت ذلك على الاموال أى الدراهم والدنانير كما جاء فى بعض الروايات لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما بخلاف الاراضى ولعل طلب ارثها من فدك كان منها بعد ان ادعت رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطاها فدكا وقال لها هل لك بينة فشهد لها على كرم الله وجهه وأم أيمن فقال لها رضى

ويقال دخل معهم أوس بن خولى رضى الله عنه وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضى الله عنهما لانه تأخر فى القبر حتى خرجوا قبله وروى انه بنى فى قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها صلى الله عليه وسلم فرشها شقران رضى الله عنه وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفرش خصوصية له أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش فى القبر ولما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة رضى الله عنها أطابت نفوسكم أن تحثوا

الله

الله عنه أبرجل وامرأة تستحقها واعترض عليه الرافضة بان فاطمة معصومة بنص انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وخبر فاطمة بضعة منى فدعواها صادقة لعصمتها وأيضا شهد لها بذلك الحسن والحسين وأم كلثوم رضى الله عنهم ورد عليهم بان من جملة أهل البيت أزواجه صلى الله عليه وسلم ولسن بمعصومات اتفاقا فكذلك بقية أهل البيت وأما كونها بضعة منه فمجاز قطعا وانها كبضعة فيما يرجع للخير والشفقة وأما زعم أنه شهد لها الحسن والحسين وأم كلثوم فباطل لم ينقل عن أحد من يعتمد عليه على ان شهادة الفرع للاصل غير مقبولة وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله أنه رضى الله عنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر رضى الله عنه فقال ما هذا فقال كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها فقال مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ثم أخذ عمر الكتاب فشقه وقد جاء ان بعد موت فاطمة رضى الله تعالى عنها أى وذلك بعد ستة أشهر من موته صلى الله عليه وسلم الا ليالى على ما تقدم ارسل على كرم الله وجهه وقد اجتمع علىّ وبنو هاشم الى أبى بكر وقالوا ائتنا ولا يأت معك أحد كراهة أن يحضر عمر رضى الله عنه لما علموا من شدته فخافوا أن ينتصر لابى بكر رضى الله عنه فيتكلم بكلام يوحش قلوبهم على أبى بكر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه لابى بكر لا والله لا تدخل عليهم وحدك قال ذلك خوفا عليه ان يغلظوا عليه فى المعاتبة وربما كان ذلك سببا للتغير قلبه فيترتب عليه ما لا ينبغى فقال أبو بكر رضى الله عنه وما يفعلون بى والله لآتينهم أى فدخل عليهم أبو بكر رضى الله عنه وحده فقال له على كرم الله وجهه انا قد عرفنا لك فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك أى لا نحسدك عليه ولكن استبددت علينا بالامر أى لم تشاورنا فيه وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا نصيبا أى فى المشاورة ففاضت عينا ابى بكر رضى الله عنه وقال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الىّ من قرابتى فقال له على كرم الله وجهه موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر أى وقد حضر عنده على كرم الله وجهه رقى المنبر بكسر القاف فتشهد وذكر شأن على كرم الله وجهه وعذره فى تخلفه عن البيعة ثم ان عليا رضى الله عنه بايعه أى بعد أن عظم ابا بكر رضى الله تعالى عنه وذكر فضيلته وسابقته وذكر انه لم يحمله على الذى صنع نفاسة حق على أبى بكر فأقبل الناس على على كرم الله وجهه وقالوا أصبت وأحسنت وقد علمت الجمع بين من قال بايع بعد ثلاثة أيام من موته صلى الله عليه وسلم ومن قال لم يبايع الا بعد موت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر وهو انه بايع أولا ثم انقطع عن أبى بكر رضى الله عنه لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع ثم بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الامر ان تخلفه انما هو لعدم رضاه ببيعته فأطلق ذلك من أطلقه ومن ثم أظهر على كرم الله وجهه مبايعته لابى بكر ثانيا بعد ثبوتها على المنبر لازالة هذه الشبهة وبهذا يعلم ما وقع فى صحيح مسلم عن أبى سعيد من تأخر بيعة على هو وغيره من بنى هاشم الى موت فاطمة ومن ثم حكم بعضهم عليه بالضعف ومما يؤيد الضعف ما جاء ان عليا وأبا بكر رضى الله عنهما جاآ لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام فقال على كرم الله وجهه تقدم يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر رضى الله عنه ما كنت لاتقدم رجلا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه علىّ منى بمنزلتى من ربى وصلاة أبى بكر رضى الله عنه بالناس لم تختص بالمرض فقد جاء انه وقع قتال بين بنى عمرو بن عوف فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال يا بلال ان حضرت الصلاة ولم آت مر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام

على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد
ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علىّ مصائب لو أنها
صبت على الايام عدن لياليا

(وقالت رضى الله عنها ترثيه)

اغبر آفاق السماء وكورت
شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبى كئيبة
أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها
وليبكه مضر وكل يمان

بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى كما تقدم وفى شرح مسلم للامام النووى رحمه الله وتأخر على كرم الله وجهه أى ومن تأخر معه عن البيعة لابى بكر ليس قادحا فيها لان العلماء اتفقوا على انه لا يشترط لصحتها مبايعة كل أهل العقد والحل بل مبايعة من تيسر منهم وتأخره كان للعذر الذى تقدم وكان عذر أبى بكر وعمر وبقية الصحابة واضح لانهم رأوا ان المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين لان تأخرها ربما لزم عليه اختلاف فينشأ عنه مفاسد كثيرة كما أفصح به أبو بكر رضى الله عنه فيما تقدم وجاء كما تقدم انه قيل لعلى كرم الله وجهه هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال لا والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد الا بردتى هذه وما تركت أخا بنى تيم وعمر بن الخطاب ينوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدى والنبى صلى الله عليه وسلم لم يمت فجأة بل مكث فى مرضه أياما وليالى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترنا الدنيا لمن رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان فلما قبض تولاها عمر رضى الله عنه عن مبايعته وأقام فيها لم يختلف عليه منا اثنان وأعطيت ميثاقى لعثمان رضى الله عنه فلما مضوا بايعنى أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أى الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى ولا سابقته كسابقتى وكنت أحق بها منه يعنى معاوية فهو رأى رأيته وفى لفظ لكن شئ رأيناه من قبل أنفسنا فهذا تصريح منه كرم الله وجهه بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص على امامته وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم عند مرجعه من حجة الوداع بعد ان جمع الصحابة وكرر عليهم ألست اولى بكم من انفسكم ثلاثا وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد على كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه الحديث فتقدم الكلام عليه وان ذلك لا يدل على الخلافة وانما قال سيدنا عمر رضى الله عنه ان بيعة أبى بكر رضى الله عنه كانت فلتة أى من غير استعداد ولا مشورة كما تقدم ردا على من بلغه عنه انه قال اذا مات عمر بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبى بكر بمشورة فالبيعة لا تتوقف على ذلك فغضب فلما رجع من آخر حجة حجها المدينة قال على المنبر قد بلغنى ان فلانا قال والله لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ان بيعة أبى بكر كانت فلتة من غير مشورة فلا يغترن امرؤ أن يقول ان بيعة أبى بكر كانت فلتة فتم وانها كانت كذلك الا ان الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الاعناق اليه مثل أبى بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فانه لا بيعة له ولا الذى بايعه ولما ثقل المرض على الصديق رضى الله عنه دعا عبد الرحمن فقال اخبرنى عن عمر ابن الخطاب فقال أنت أعلم به منى فقال الصديق وان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال اخبرنى عن عمر فقال أنت أخبرنا به ثم دعا عليا كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك ثم قال على كرم الله وجهه اللهم علمى به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله ودعا جماعة من الانصار فيهم أسيد بن حضير وسألهم فقال اللهم اعلمه يرضى للرضا ويسخط للسخط الذى يسر خير من الذى يعلن ولن يلى هذا الامر أحد أقوى عليه منه فعند ذلك دعا عثمان رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر ابن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فان

ورش قبره صلى الله عليه وسلم بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمرا وبيضا ورفع قبره عن الارض قدر شبر ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة وأظلمت الدنيا قال أنس رضى الله عنه ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظلم من يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى

عدل فذلك ظنى فيه وعلمى به وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختم ثم دعا عمر خاليا فأوصاه بالمسلمين وقبل ان يظهر الصديق رضى الله عنه هذا الامر اطلع على الناس من كوة وقال أيها الناس انى قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام على كرم الله وجهه فقال لا نرضى الا أن يكون عمر قال فانه عمر قال وكانت صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم كصلاتهم على غيره أى بتكبيرات أربع لا مجرد الدعاء من غير تكبيرات اه وهو يخالف ما تقدم المفيد ان صلاتهم انما كانت مجرد الدعاء لا الصلاة المعهودة وقد يقال لا مخالفة وانما نصوا على الدعاء لكونه مخالفا للدعاء المعروف فى صلاة الجنازة على غيره صلى الله عليه وسلم وفى شرح مسلم عن القاضى عياض واختلف هل صلى عليه صلى الله عليه وسلم فقيل لم يصل عليه أحد أصلا وانما كان الناس يدخلون ارسالا يدعون ويتضرعون والصحيح الذى عليه الجمهور انهم صلوا عليه أفرادا فكان يدخل عليه فوج يصلون فرادى ثم يخرجون ثم يدخل فوج آخر فيصلون كذلك وعن ابن الماجشون صلى عليه صلى الله عليه وسلم اثنان وسبعون صلاة كحمزة رضى الله عنه قيل له من أين لك هذا قال من الصندوق الذى تركه مالك رحمه الله تعالى بخطه عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما فصلى عليه الرجال الاحرار أولا ثم النساء الاحرار ثم الصبيان ثم العبيد ثم الاماء واختلفوا فى الموضع الذى يدفن فيه فمن قائل يدفن فى البقيع ومن قائل ينقل ويدفن عند ابراهيم الخليل فقال أبو بكر رضى الله عنه ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه فان الله لم يقبض روحه الا فى مكان طيب أى وفى رواية أنه رضى الله عنه قال ان عندى فى هذا خبرا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدفن نبى الا حيث قبض وفى لفظ لا يقبض الله روح نبى الا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه وعن أبى بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبى الا فى أحب الامكنة اليه قال بعضهم ولا شك أن أحبها أى الامكنة اليه أحبها الى ربه تعالى فان حبه صلى الله عليه وسلم تابع لحب ربه جل وعلا وفى الحديث ما مات نبى الا دفن حيث قبض فحول فراشه وحفر له ودفن فى ذلك الموضع الذى توفاه الله فيه واختلفوا هل يجعل له صلى الله عليه وسلم لحد أو يجعل له شق وكان فى المدينة شخصان أحدهما يصنع اللحد والآخر يصنع الشق والاول هو أبو طلحة زيد بن سهل والثانى أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وفى لفظ كان أبو عبيدة يحفر حينئذ لاهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فقال عمر رضى الله عنه ترسلوا اليهما وكل من حضر منهما تركناه فأرسلوا خلفهما رجلين وقال عمر رضى الله عنه اللهم خر لرسولك وقيل المرسل والقائل ما ذكر العباس رضى الله عنه فسبق أبو طلحة رضى الله عنه فصنع له صلى الله عليه وسلم لحدا وأطبق عليه بتسع لبنات ثم أهيل التراب وقد جاء فى الحديث الحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا وقد روى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال فى مرض موته الحدوا لى لحدا وانصبوا على اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم وسل صلى الله عليه وسلم من قبل رأسه كما رواه البيهقى وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما أى وضع سريره صلى الله عليه وسلم عند مؤخر القبر فكان رأسه الشريف عند المحل الذى يكون فيه رجلاه فلما أدخل القبر سل من قبل رأسه ودخل قبره العباس وعلى والفضل وقثم وشقران واقتصر ابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما على الثلاثة الاول وفرش شقران فى اللحد تحته صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء وفى رواية بيضاء

مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا أيدينا من التراب وانا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا يريد انهم وجدوها تغيرت عما عهدوه فى حياته من الالفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم من التعليم والتأييد (ومن آياته) صلى الله عليه وسلم بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردى أى ألقى نفسه

كان يحملها على رحله اذا سافر لان الارض كانت ندية وقال والله لا يلبسها أحد بعدك فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أخرجت أى عملا بوصيته صلى الله عليه وسلم فقد روى البيهقى عن أبى موسى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أوصى ان لا تتبعونى بصارخة ولا مجمرة ولا تجعلوا بينى وبين الارض شيأ لكن فى رواية الجامع الصغير افرشوا الى قطيفتى فى لحدى فان الارض لم تسلط على أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان دفنه صلى الله عليه وسلم ليلة الاربعاء وعن أم سلمة رضى الله عنها كنا مجتمعين نبكى تلك الليلة لم ننم فسمعنا صوت المساحى فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحة واحدة فأذن بلال بالفجر فلما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب فزادنا حزنا فيالها من مصيبة ما أصابنا بعدها من مصيبة الاهانت اذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضى الله عنها لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لانس يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وفى لفظ أطابت نفوسكم أن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التراب ورجعتم وفى رواية أنها قالت لعلى كرم الله وجهه يا أبا الحسن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالت كيف طابت قلوبكم ان تحثوا التراب عليه كان نبى الرحمة قال نعم ولكن لا راد لامر الله وقد جاء ان الانسان يدفن فى التربة التى خلق منها وهو يدل على انه صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من تربة واحدة لانهم دفنوا ثلاثتهم فى تربة واحدة فقد روى ان أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره اذا أنا مت وفرغتم من جهازى فاحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقفوا بالباب وقولوا السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فان أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقا بقفل فادخلونى وادفنونى وان لم يفتح الباب فأخرجونى الى البقيع وادفنونى به فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت أدخلوا الحبيب الى الحبيب فان الحبيب الى الحبيب مشتاق ولما احتضر عمر رضى الله عنه قال لابنه عبد الله رضى الله عنه يا عبد الله ائت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل لها ان عمر يقرئك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم بأمير المؤمنين وقل يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه فان أذنت فادفنونى وان أبت فردونى الى مقابر المسلمين فأتاها عبد الله وهو يبكى فقال ان عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت لقد كنت ادخرت ذلك المكان لنفسى ولاوثرنه اليوم على نفسى فلما رجع عبد الله الى أبيه وأقبل عليه قال عمر أقعدونى ثم قال لعبد الله ما وراءك قال قد أذنت لك قال الله أكبر ما شئ أهم الى من ذلك المضجع وقد ذكر ان الحسن رضى الله عنه لما سقى السم ورأى كبده تقطع أرسل الى عائشة رضى الله عنها أن يدفن عند جده صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلما مات منع من ذلك مروان وبنو أمية فدفن بالبقيع ويذكر انه رضى الله عنه قال لاخيه الحسين رضى الله عنه قال كنت طلبت الى عائشة اذا مت ان تأذن لى أن أدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولا أدرى لعلها كان ذلك منها حياء فاذا أنا مت فاطلب ذلك منها فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد فان لى فيمن فيه اسوة فلما مات الحسن رضى الله عنه جاء الحسين رضى الله عنه الى عائشة رضى الله عنها فطلب منها ذلك فقالت نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدا منعوا عثمان من دفنه هناك ويريدون دفن حسن فبلغ ذلك الحسين رضى الله عنه

فى بئر وكذا ناقته فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت (ومن ذلك) ظهور ما أخبر انه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه وقد تقدم فى المعجزات كثير من ذلك روى مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها

فلبس

فلبس الحديد هو ومن معه وكذلك مروان لبس الحديد هو ومن معه فبلغ ذلك أبا هريرة رضى الله عنه فانطلق الى الحسين وناشده الله وقال له أليس أخوك قد قال لك ما قال فلم يزل به حتى رضى بدفنه بالبقيع فدفن بجانب أمه رضى الله عنها ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص لانه كان أميرا على المدينة قدمه الحسين فصلى عليه اماما وقال هى السنة قال ابن كثير رحمه الله والذى نص عليه غير واحد من الائمة سلفا وخلفا انه صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين قبل ان ينتصف النهار ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى والقول بأنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريب والصحيح انه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء وبعض ليلة الاربعاء وكان السبب فى تأخره صلى الله عليه وسلم ما علمت من اشتغالهم ببيعة أبى بكر رضى الله عنه حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم على موته صلى الله عليه وسلم وكان آخر من طلع من قبره الشريف قثم بن العباس رضى الله عنهما وقيل المغيرة بن شعبة رضى الله عنه لانه ألقى خاتمه فى القبر الشريف وقال لعلى يا أبا الحسن خاتمى وانما طرحته عمدا لامس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكون آخر الناس عهدا به قال انزل فخذه وقيل ألقى الفاس فى القبر وقال الفاس الفاس فنزل وأخذها ويقال ان عليا كرم الله وجهه لما قال له المغيرة ذلك نزل وناوله الخاتم أى أو الفاس أو أمر من نزل وناوله ذلك وقال له انما فعلت ذلك لتقول أنا آخر الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا واعترض بأن المغيرة رضى الله عنه لم يكن حاضر الدفن وقد روى ان جماعة من العراق قدموا على على كرم الله وجهه فقالوا يا أبا الحسن جئناك لنسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه فقال لهم أظن أن المغيرة بن شعبة يحدثكم انه كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أجل عن هذا جئنا نسألك قال كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضى الله عنهما وقام الاجماع على ان هذا الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة الشريفة قال بعضهم وأفضل من بقاع السماء أيضا حتى من العرش وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ما نفضنا الايدى من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا قال بعضهم وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا الى بعض وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى وفى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها فياله من خطب جل عن الخطوب ومصاب علم دمع العيون كيف يصوب وطارق هجم هجوم الليل وحادث هد كل القوى والحيل ولشدة أسف حماره عليه صلى الله عليه وسلم الذى كان يركبه ألقى نفسه فى حفيرة فمات كما تقدم وتركت ناقته صلى الله عليه وسلم الاكل والشرب حتى ماتت وأنشد الحافظ الدمياطى عن غيره

ألا يا ضريحا ضم نفسا زكية * عليك سلام الله فى القرب والبعد
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وما ناح قمرى على البان والرند
وما سجعت ورق وغنت حمامة * وما اشتاق ذو وجد الى ساكنى نجد
ومالى سوى حبى لكم آل أحمد * أمرغ من شوقى على بابكم خدى

باب بيان ما وقع من الحوادث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم الى زمن وفاته صلى الله عليه وسلم على سبيل الاجمال وبيان زمن ولادته عاما ويوما وشهرا ومكانا

ونبيها حى فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره أى كما وقع لامة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وانما كان قبض النبى قبل أمته خيرا لانهم اذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم واذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا بقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات

اعلم ان الاكثر على انه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل وحكى بعضهم الاجماع عليه قال وكل قول خالفه فهو وهم وقيل بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بزيادة خمسة أيام وقيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بشهرين وعشرة أيام وقيل بعشرين سنة وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول لعشر خلون منه وقيل لليلتين وقيل لثمان خلت واختاره الحميدى تبعا لشيخه ابن حزم وحكى القضاعى رحمه الله عن عيون المعارف اجماع أهل التاريخ عليه وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو المشهور وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وذلك فى النهار عند طلوع الفجر وقيل ولد ليلا وعليه عمل أهل مكة فى زيارة موضع مولده الشريف صلى الله عليه وسلم وكونه فى شهر ربيع الاول هو قول الجمهور من العلماء وحكى ابن الجوزى رحمه الله الاتفاق عليه وقيل فى صفر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رجب وقيل فى شهر رمضان واختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل بمكة وعليه قيل بالدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج وقيل بالشعب شعب بنى هاشم وذلك المحل يزار الآن وقيل بالردم وقيل ولد صلى الله عليه وسلم بعسفان وبالسنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف عند ظئره حليمة رضى الله عنها وقيل كان فى الرابعة وفيها ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بمنى وفى السنة السادسة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت وفاة أمه آمنة ودفنت بالابواء وقيل بشعب أبى ذئب بالحجون محل مقابر أهل مكة وقيل فى دار رائعة بالمعلاة وفيها ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وسلم استقل بكفالته جده عبد المطلب وفيها أصابه صلى الله عليه وسلم رمد شديد وفيها استسقى عبد المطلب وهو صلى الله عليه وسلم معه بسبب رؤيا دقيقة وفيها خرج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذى يزن الحميرى بالملك وفى السنة الثامنة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه أبى طالب له صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة مات حاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الجود والكرم ومات كسرى أنوشروان وفى السنة التاسعة من مولده صلى الله عليه وسلم قيل سافر به عمه أبو طالب الى بصرى من أرض الشام وهى مدينة هوازن وفى السنة العاشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الاولى وفى السنة العاشرة وقيل الحادية عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان شق صدره الشريف وفى السنة الثانية عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان حرب الفجار الثانية وكان سفر عمه أبى طالب به صلى الله عليه وسلم الى بصرى من أرض الشام على ما عليه الاكثر وفى السنة الثالثة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى السنة الرابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الثالثة وقيل كان عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وفى السنة السابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفر عمه الزبير بن عبد المطلب والعباس ابنى عبد المطلب لليمن للتجارة وصحبهما النبى صلى الله عليه وسلم وفى السنة الخامسة والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة وفى سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الكعبة وفى سنة أربع وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه وفى سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة وبنتها وفى سنة سبع وثلاثين رأى صلى الله عليه وسلم الضوء

نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب هذا ما يسره الله من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به وأن يحشرنا فى زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته وأن يمنحنا من المدد المحمدى ما منحه عباده الصالحين وأن يمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والنور وكان صلى الله عليه وسلم يسمع الاصوات وفى السنة الاولى من النبوة كان نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد أن مكث صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يوحى اليه فى المنام وفى السنة الثالثة من النبوة قيل توفى ورقة بن نوفل وفى السنة الرابعة من النبوة كان اظهار الدعوة وفى السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضى الله عنها وقيل ولدت فى الرابعة وفى السنة الخامسة كانت الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وفيها ماتت سمية أم عمار بن ياسر رضى الله عنهم وهى أول شهيدة فى الاسلام وفى السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل أسلما رضى الله عنهما فى سنة خمس وكان اسلام حمزة رضى الله عنه قبل اسلام عمر رضى الله عنه بثلاثة أيام وفى السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معاداة بنى هاشم وبنى المطلب وقيل كان ذلك فى السادسة وقيل فى الخامسة وقيل فى الثامنة وذلك فى خيف بنى كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو باعلى مكة شرفها الله عند المقابر وفى السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم وفى السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب وماتت خديجة رضى الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن وفيها جاءه صلى الله عليه وسلم جن نصيبين وأسلموا وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم سودة رضى الله عنها بنت زمعة ودخل عليها فى مكة وفيها عقد صلى الله عليه وسلم عقده على عائشة رضى الله عنها ولم يدخل صلى الله عليه وسلم عليها الا فى المدينة وفى السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء اسلام الانصار رضى الله عنهم وفى السنة الثانية عشرة من النبوة كان الاسراء والمعراج وفيها وقعت بيعة العقبة الاولى وفى السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التى هى الكبرى وبعضهم يسميها العقبة الثالثة ويسمى اسلام الانصار عقبة مع أنه لا مبايعة فيه وفى هذه السنة أراد أبو بكر رضى الله عنه أن يهاجر للحبشة فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة بن الدغنة سيد القارة وفى السنة الرابعة عشرة من النبوة وهى السنة الاولى من الهجرة الى المدينة فكانت الهجرة فيها فى صفر أو فى غرة ربيع الاول وفيها كان بناء المسجد ومساكنه صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار رضى الله عنهم قيل وكان ابتداء خدمة أنس رضى الله عنه له صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صارت الانصار يبعثون اليه صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونساؤهم وكانت أم أنس رضى الله عنهما لا شئ لها تهديه له صلى الله عليه وسلم فكانت تتأسف فأخذت يوما بيد أنس رضى الله عنه وقالت يا رسول الله هذا يخدمك وجاء أن زوجها أبا طلحة رضى الله عنه جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك وجمع بأن أمه جاءت به أولا ثم جاء به أبو طلحة ثانيا لانه وليه وعصبته قال فى الخميس وهذا غير مجيئه به لخدمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر وفيها كما فى الاصل وقيل فى السنة الثانية زيد فى صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب لانها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وتركت على الفريضة الاولى كذا قيل وفى هذه السنة مات من مشركى مكة الوليد ابن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل لعنه الله يا عم ما جزعك فقال والله ما بى من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبى كبشة بمكة فقال أبو سفيان رضى الله عنه لا تخف انى ضامن أن لا يظهر وفيها مات العاص بن وائل وفيها مات أسعد بن زرارة رضى الله عنه وفيها ابتدئت الغزوات فكان فيها غزوة الابواء وغزوة ودان كما فى الاصل وفى هذه السنة بنى صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها وفيها شرع الاذان وفيها صلى صلى الله عليه وسلم الجمعة

فى طريقه حيث ارتحل صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة وهى أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها فى الاسلام وفيها أسلم عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكان فيها بعث عمه حمزة رضى الله عنه يعترض عير القريش وبعث ابن عمه عبيدة بن الحرث رضى الله عنه الى بطن رابغ وبعث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الى الخرار يعترض عير القريش وفى السنة الخامسة عشرة من النبوة والثانية من الهجرة تزوج عليا كرم الله وجهه بفاطمة رضى الله عنها وتكنيته بأبى تراب وغزوة بواط وغزوة العشيرة وسرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه الى بطن نخلة وتحويل القبلة وتجديد بناء مسجد قباء وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى ووفاة رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر وشروع صلاة عيده وفرض زكاة الاموال وغزوة قرقرة الكدر وسرية سالم بن عمير رضى الله عنه وغزوة بنى قينقاع وغزوة السويق وموت عثمان بن مظعون رضى الله عنه والتضحية وصلاة عيدها وفى السنة السادسة عشرة من النبوة والثالثة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه لقتل كعب بن الاشرف لعنه الله وتزوج عثمان رضى الله عنه أم كلثوم رضى الله عنها وغزوة غطفان وغزوة بحران وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى قردة وتزوج حفصة رضى الله عنها وتزوج زينب بنت خزيمة رضى الله عنها وولادة الحسن وغزوة أحد وغزوة حمراء الاسد وعلوق فاطمة بالحسين رضى الله عنهما وفى السنة السابعة عشرة من النبوة والرابعة من الهجرة سرية أبى سلمة رضى الله عنه الى قطن ووفاته وسرية عبد الله بن أنيس رضى الله عنه الى عرنة لقتل سنان بن خالد وسرية القراء رضى الله عنهم الى بئر معونة وقصة الرجيع وسرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه الى مكة لقتل أبى سفيان رضى الله عنه وغزوة بنى النضير ووفاة زينب بنت خزيمة وغزوة ذات الرقاع وصلاة الخوف وولادة الحسين رضى الله عنه وغزوة بدر الصغرى وتزوج أم سلمة رضى الله عنها وتحريم الخمر عند بعضهم وفى السنة الثامنة عشرة من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع ونزول آية التيمم وتزوج جويرية رضى الله عنها وقصة الافك وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة وقصة أولاد جابر رضى الله عنهم وتزوج زينب بنت جحش رضى الله عنها ونزول آية الحجاب وفرض الحج وفى السنة التاسعة عشرة من النبوة والسادسة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى القرطاء وقصة ثمامة وغزوة بنى لحيان وغزوة الغابة وسرية عكاشة رضى الله عنه الى الغمر وسرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى ذى القصة وسرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة رضى الله عنهم وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى بنى سليم بالجموم وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى العيص وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى الطرف وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى وادى القرى وسرية زيد ابن حارثة رضى الله عنهما الى أم قرفة وسرية عبد الله بن عتيك رضى الله عنه لقتل أبى رافع وسرية عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الى أسير بن رزام اليهودى بخيبر وسرية زيد ابن حارثة رضى الله عنهما الى حسمى وغزوة الحديبية ونزول حكم الظهار وتحريم الخمر وتزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضى الله عنها وفى السنة العشرين من النبوة والسابعة من الهجرة كان اتخاذه الخاتم وارسال الرسل الى الملوك ووقوع السحر به صلى الله عليه وسلم وغزوة خيبر وفتح وادى القرى والدخول بأم حبيبة رضى الله عنها وسرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى طائفة من هوازن وعمرة القضاء وتزوج ميمونة رضى الله عنها وسرية ابن أبى

العوجاء رضى الله عنه الى بنى سليم وفى السنة الحادية والعشرين من النبوة والثامنة من الهجرة كان اسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه وعمرو بن العاص رضى الله عنه وعثمان ابن طلحة رضى الله عنه وسرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه الى بنى الملوح وسريته الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضى الله عنه بفدك واتخاذ المنبر الشريف وسرية شجاع ابن وهب رضى الله عنه الى بنى عامر وسرية كعب بن عمير الغفارى الى ذات اطلاح وسرية مؤتة وسرية عمرو بن العاص رضى الله عنه الى ذات السلاسل وسرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى سيف البحر وسرية أبى قتادة رضى الله عنه الى بطن أضم وسرية عبد الله ابن أبى حدرد رضى الله عنه الى الغابة وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى وسرية خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العزى بنخلة وسرية عمرو بن العاص رضى الله عنه الى سواع صنم هذيل وسرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه الى مناة صنم للاوس وسرية خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى جذيمة وغزوة حنين وسرية أبى عامر رضى الله عنه الى أوطاس وسرية الطفيل الى ذى الكفين وغزوة الطائف وولادة ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقدوم أول الوفود عليه صلى الله عليه وسلم وهو وفد هوازن ووفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وفى السنة الثانية والعشرين من النبوة وهى التاسعة من الهجرة بعث عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وبعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط الى بنى المصطلق وسرية قطبة بن عامر رضى الله عنه الى خثعم وسرية الضحاك الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب وسرية علقمة ابن محرز رضى الله عنه الى أهل الحبشة وبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى الفلس وبعث عكاشة بن محصن رضى الله عنه الى الجباب واسلام كعب بن زهير وهجره صلى الله عليه وسلم لنسائه وغزوة تبوك وسرية خالد بن الوليد رضى الله عنه من تبوك الى أكيدر وارسال كتابه من تبوك الى هرقل وهدم مسجد الضرار وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضى الله عنهم وقصة اللعان واسلام ثقيف ورجم الغامدية ووفاة النجاشى ووفاة أم كلثوم رضى الله عنها وموت عبد الله بن أبى ابن سلول وحج أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى السنة الثالثة والعشرين من النبوة وهى العاشرة من الهجرة قدوم عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه وبعث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الى اليمن وبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى الحرث بن كعب بنجران وبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى اليمن وبعث جرير بن عبد الله البجلى الى تخريب ذى الخلصة وبعث جرير بن عبد الله أيضا رضى الله عنه الى ذى الكلاع وبعث أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى أهل نجران وقصة بديل وتميم الدارى ووفاة ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وخروجه صلى الله عليه وسلم للحج وفى السنة الرابعة والعشرين من النبوة وهى الحادية عشرة من الهجرة قدوم وفد النخع وسرية أسامة ابن زيد رضى الله عنهما الى أبنى وقصة الاسود العنسى ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة وما وقع فى ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه ووقت مرضه صلى الله عليه وسلم وموته وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شر نفوسنا اللهم ارزقنا نفسا مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك اللهم انا مقصرون فى طلب رضاك فأعنا عليه بحولك وقوتك والحمد لله

الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد وأزواجه وذرياته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد واختم لنا بخير وأصلح لنا شأننا كله وافعل ذلك باخواننا وأحبابنا وسائر المسلمين وأستغفر الله من قول بلا عمل وأستغفره من كل خطا وزلل وأسأله علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا وعملا متقبلا وشفاء من كل داء وان يجعل ذلك حجة لنا ولا يجعله حجة علينا انه جواد كريم رؤف رحيم لطيف خبير والحمد لله وحده اللهم صل على من لا نبى بعده عبدك ورسولك سيدنا محمد الذات المكملة والرحمة المنزلة من عندك اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من خدام سنته آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد حمد الله الكريم وأفضل الصلاة وأتم التسليم على ذى الخلق العظيم وعلى آله وأصحابه المأخوذ عنهم سيرة من هو بالمؤمنين رؤف رحيم فقد تم بالمعونة الالهية طبع كتاب السيرة الحلبيه المسماة بانسان العيون فى سيرة النبى المأمون تأليف الحبر الذى فاق بصفاته الاوائل والبحر المشتمل بذاته على جواهر الفضائل صاحب التآليف الرائقه والتصانيف الفائقه صدر العلماء الراسخين العلامة على بن ابراهيم الحلبى القاهرى الملقب نور الدين وبهامشها السيرة النبويه والآثار المحمديه لتاج النبلاء المتصدرين وانسان عين الدهر اليمين المشهور فضله عند جميع الاقران مفتى السادة الشافعية بمكة السيد أحمد زينى دحلان فدونك كتابين جليلين لامامين عظيمين قد جمعا من تاريخ المصطفى وسيرته ونسبه وأخلاقه وهديه وطريقته وبعوثه وسراياه وغزواته وعباداته وارهاصاته ومعجزاته وسائر أحواله الشريفه وما يتعلق بحضرته السنية المنيفه مالا يكاد يحويه بهذا النمط مؤلف ولا يستوعبه على هذا الوجه مصنف فيالهما من كتابين حلت مشاربهما وبزغت فى سماء الفضل شموسهما وكواكبهما وكان هذا الطبع الرائق وذلك التمثيل الفائق على ذمة كل من ذى الحسب الطاهر والنسب الفاخر الغنى عن المادح بشرفه السنى حضرة السيد الحبيب البافقيى الحسنى وعمدة الاكابر المعظمين وقدوة الاماثل المعتبرين فخر التجار ولا غرو حضرة الفاضل الحاج محمد الحلو ومعهما ذو المعارف والصفا صاحب المطبعة المحترم محمد أفندى مصطفى لا زالت روضة عزهم ناضره وأعين التوفيق بالسعادة لهم ناظره وكان تمام تهذيب هذا الطبع الانيق وكمال شكله الفائق الرقيق بالمطبعة العامره التى هى للقطب الدردير مجاوره فى أوائل شعبان المعظم سنة ١٣٠٨ من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ما انجلى غسق الظلام ولاح فى الافق بدر تمام